

تفسير

القرآن الكريم

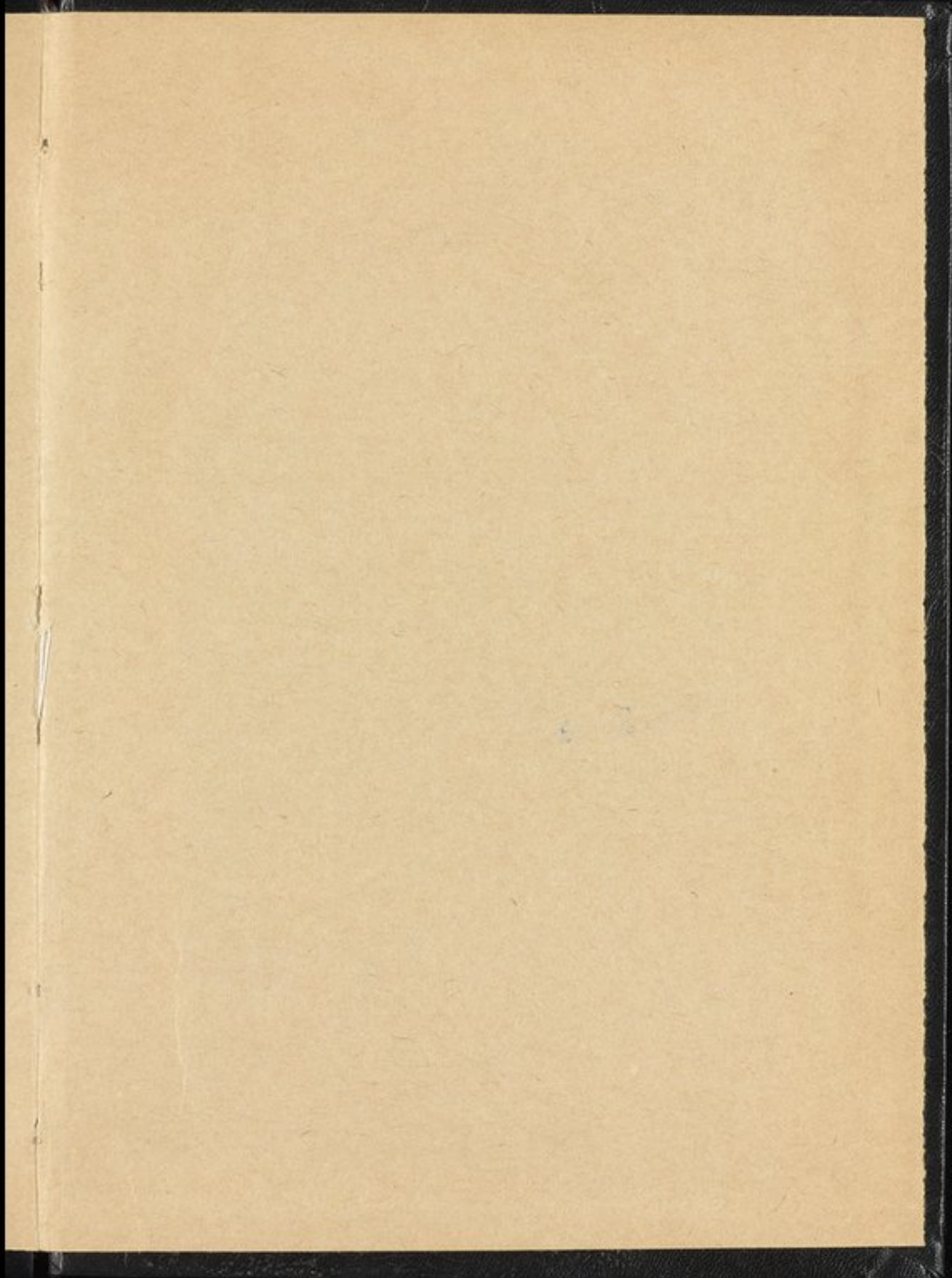
مؤلف

عبد الرحمن بن محمد

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد

أستاذ الطب

الرياض



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR



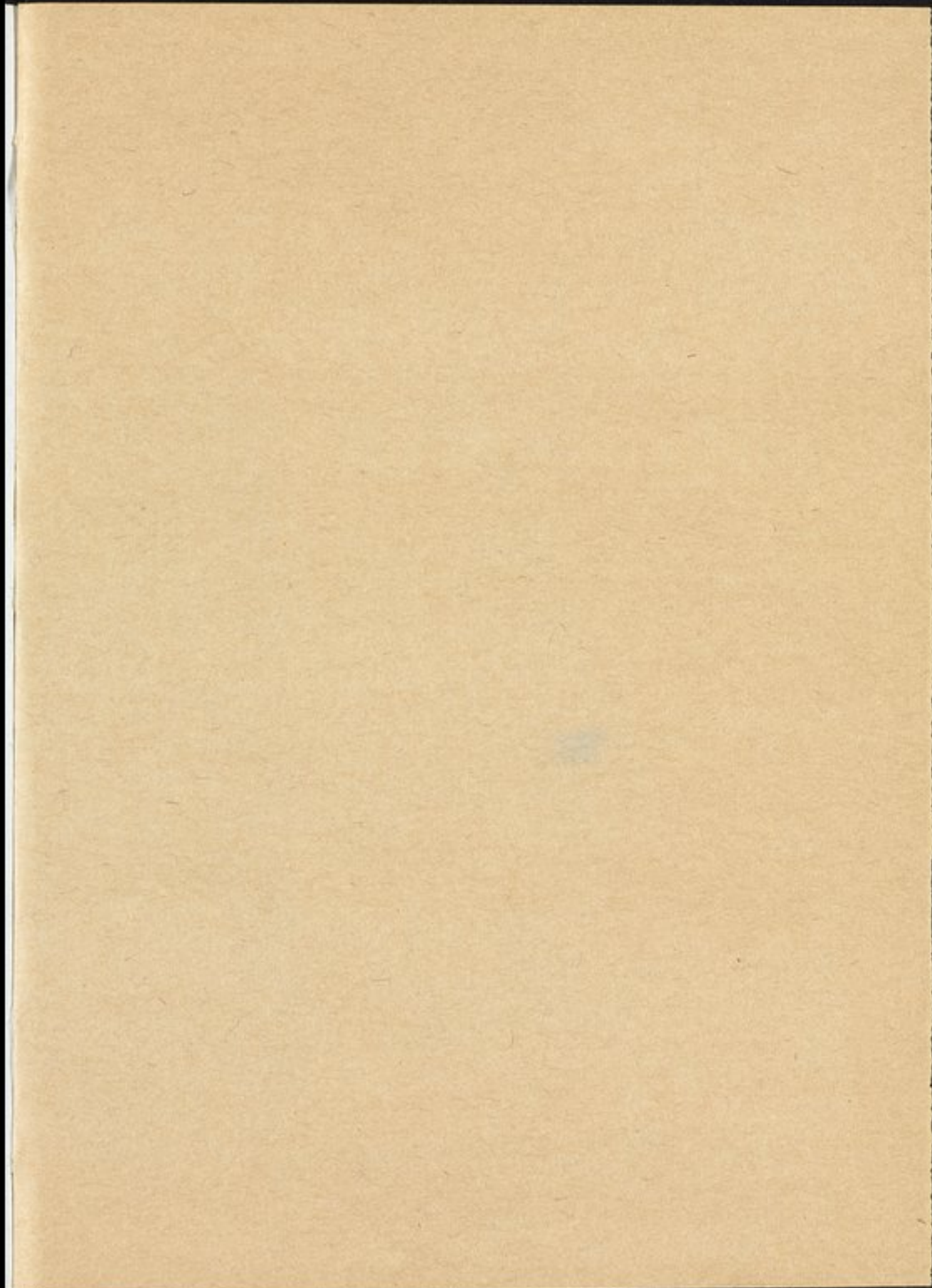
32101 017422971

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15 1999

JUN 15 2001



Sadr al-Din Shirazi

تَقْسِيمِي

# الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

تأليف

صَدِّقُ بْنُ مَنَافٍ

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ

تصحیح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قم

2273

18283

1987

qism 1

بِسْمِ اِيْتِي الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الكتاب تفسير القرآن الكريم  
المؤلف صدر المتألهين الشيرازي - قده -  
الناشر انتشارات بيدار قم - ۳۴۳۰۵  
المطبعة مطبعة أمير - قم  
الطبعة الثانية  
العدد ۲۰۰۰ نسخة  
التاريخ ۱۳۶۶ هـ - ش  
الثمن ۱۳۰۰ ریالا



## هو

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته، والصلوة والسلام على من اختاره من شجرة الانبياء و مشكوة الضياء محمد، الذي أصل معادن الكرامة ومعهد السلامة، وعلى خليفته ووصيه أمير المؤمنين الذي سراج لمع ضوئه وشهاب سطع نوره. وعلى الثاني عشر من الائمة والعتر، صاحب الامر والعصر و الزمان وخليفة الرحمن.

أما بعد لما نشرت قبل عشر سنوات الجزء الاول من تفسير القرآن الكريم للفيلسوف الالهي والعالم الرباني صدر المتألهين الشيرازي - قدس الله سره الزكي - حجزني عوائق الدوران و طوارق الحدثان عن نشر أجزاءها المتبقية. حتى قام بطبعها «مكتبة بيدار» وخرج الى الان ست مجلدات وبالمجلد السابع يتم ما وجد من هذا التفسير انشاء الله تعالى.

وقد بذلت مجهودي في المجلد الاول من ذلك الطبع في شرح حال المؤلف وآرائه وثقافته وأساتذته وغيره ولكن جدد النظر فيه في هذا الطبع.

وقد عرفت النسخ المعتمدة في تصحيح هذا التفسير في تصدير كل مجلد. و قد قابلت هذا المجلد مع نسختين مطبوعتين: الاولى في سنة ١٣٢٠ هـ ق المشتمل

على تفسير الفاتحة والموجود من التفسير على سورة البقرة وقسم قليل من تفسير آية الكرسي. والثانية المطبوعة سنة ١٣٢٢ التي قام بطبعها الشيخ أحمد الشيرازي و تشمل على جميع ما وجد من التفسير.

ومما يسرني ان صديقي الناشر أعد نسخاً مخطوطة و أكمل العمل بمعونتها فله الاجر من الله تعالى.

وفي الخاتمة أرجو من الله أن يتقبل منا هذا العمل القليل ويدخره عنده ثمرة صالحة وكلمة باقية انه قريب مجيب. وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد وآله الغر الميامين .

افقر الخلق الى الله العلي العبد المفتقر الولوي

محمد بن أحمد الخواجوي ١٣٦٣/٧/٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



## فهرس ما جاء في المقدمة

٩	تقديم	٥٢
١١	١- المؤلف : مولده	٥٣
١٢	وفاته وعمره	٥٧
١٣	حياته	٥٥
١٦	سيرته العلمية	٥٥
٢١	٢- الحكمة	٥٥
٢٢	الحكمة المتعالية	٥٥
٣٠	٣- المباحث الهامة في الحكمة المتعالية	٥٥
٣٠	اصالة حقيقة الوجود و وحدته	٥٥
٣٤	الحركة الجوهرية	٥٩
٣٥	حدوث العالم الجسماني	٥٩
٣٧	اتحاد العاقل بالمعقول	٦٩
٣٨	علمه تعالى	٥٧
٤٠	بسيط الحقيقة كل الأشياء	٦٧
٤١	المثل	٦٧
٤٢	النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء	٦٧
٤٣	النفس في وحدتها كل القوى	٥٧
٤٤	التجرد البرزخي للقوة الخيالية	٥٧

٢٥	بطلان التناسخ
٢٦	إمكان الأخصّ
٢٧	المعاد الجسماني
٢٨	صيرورة الإنسان مختلف الحقيقة بحسب الباطن
٢٩	خلود الكفار في العذاب
٥١	٣- موقف صدر المتألهين تجاه الفرق المختلفة
٥١	الف - قدماء الحكماء
٥٣	أفلاطون
٥٤	أرسطو
٥٧	فرغوريوس
٥٧	ب - الفلاسفة المسلمون :
٥٧	أبونصر الفارابي
٥٨	ابن سينا
٦٢	الشيخ الإشرافي
٦٦	المحقق الطوسي
٦٧	السيد الداماد
٦٨	إخوان الصفاء
٦٩	المتأخرون
٧٠	ج - المتكلمون :
٧١	الغزالي
٧٢	فخرالدين الرازي
٧٦	د - العرفاء :
٧٨	محيي الدين ابن العربي
٧٨	صدرالدين القونوي

٨٠	آخرون من العرفاء
٨١	٥ - المتصوفة
٨٣	و - العلماء الظاهريون
٨٧	٥- أساتذته
٨٨	تلامذته
٩٠	٦- تاليفاته
١٠٧	الترتيب الزمني لمولفاته
١١٣	منهجه في التأليف
١١٦	شعره
١١٨	٧- تفسير القرآن الكريم
١٢١	منهج التفسير
١٢٩	١٠- كيفية العمل في هذا الطبع
١٣١	١١- المحشّي
١٣٣	١٢- صور من النسخ المعتمد عليها

The History of the Book	1A
The History of the Book	1B
The History of the Book	1C
The History of the Book	1D
The History of the Book	1E
The History of the Book	1F
The History of the Book	1G
The History of the Book	1H
The History of the Book	1I
The History of the Book	1J
The History of the Book	1K
The History of the Book	1L
The History of the Book	1M
The History of the Book	1N
The History of the Book	1O
The History of the Book	1P
The History of the Book	1Q
The History of the Book	1R
The History of the Book	1S
The History of the Book	1T
The History of the Book	1U
The History of the Book	1V
The History of the Book	1W
The History of the Book	1X
The History of the Book	1Y
The History of the Book	1Z

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

## حول الكتاب والمؤلف

محسن بيدارفر

نحمدك اللهم بجميع المحامد ، و نسألك أن تصلي على محمد و آله  
الأطيبين ، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً .

هذا التفسير الذي جاد به براع مؤلفه الحكيم الإلهي و العالم الرباني ،  
صدرالدين محمد الشيرازي ، المشهور بصدر المتألهين ، طبع سنة ١٣٢٢ طبعة  
حجرية و بصورة مشوهة . فصارت رداثة الطبع و قلة النسخ موجبا لعدم الإقبال  
عليه و نسيانه وحتى عدم اطلاع بعض أهل الفنّ على وجود تفسير لهذا المؤلف .  
وقد عزم على طبعه صديقنا الفاضل محمد خواجوى بسنة ١٣٩٣ هـ ق ، و  
صدر منه جزء واحد ولكن عاقته العوائق و بقي إتمامه بعيداً عن الطالبين .

وطالما كنت أفكر في ذلك ، أقدم رجلا و أؤخر أخرى . يدفعني شوقي إلى  
انتشار الكتب القرآنية الحكمية و حبي لهذا المعلم الإلهي ، و تؤخرني صعوبة العمل  
و كبر حجم الكتاب ، الذي يقع بكامله في سبع مجلدات . حتى أن خطر بخاطري  
أن أشتغل بطبع بعض السور منه أولاً « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » فشرعت

فيه مستعيناً بالله تعالى مسهّل الأمور الصعاب، فرأبته سهّل عليّ بمنته العظيم هذا الأمر الجسيم ، ووفق بفضله هذا الضعيف لانجاز ذلك العبء الثقيل - وإن طالت المدة لامور حدّة .

وقد أخبرني السيد الخواجوي أو ان الشروع في العمل أنّه استنسخ بعض أجزاء الكتاب من النسخة المطبوعة وطابقه على بعض النسخ ، وأهداني ما كتبه وعمل فيه وأنعب نفسه عليه ، بصدر منشرح و دون أيّ شرط و نظر - شكر الله مساعيه الجميلة ووفقه لمرضاته .

ثم إنني راجعته ثانياً وعملت فيه حسبما أشرت إليه في آخر هذه المقدمة .  
والآن بتقديم الجزء الأول يكون قد صدر بحمد الله ست مجلدات من الكتاب وبقي مجلداً واحداً أسأله تعالى التوفيق لطبعه ، وأشكره على ما وفقني لانجازه ، فإنه ولي التوفيق .

و إنني كنت عازماً على أن أكتب كلاماً موجزاً في تعريف المؤلف والكتاب ولكن بعض الإخوان حرّضني على التفصيل غير أن شرح عقائد حكيم كهذا و ذكر بدائع أقواله وتأثيره وتأثره ، يقع في مجلد أو مجلدات ، مما هو خارج عن نطاق مقدمة هذا الكتاب ووسع كاتبها . فما جئت به إنما هو إشارات موجزة و نصوص مختارة أرجو أن تصير معيناً للمحققين في هذا المجال. إذ لم أعتمد فيها - تقريباً - على ما قيل أو نقل. بل كان عمدة سعبي في تخريج حياة المؤلف وآراءه عما كتبه هو نفسه. فإن ذلك أقرب وأصحّ ما يوصلنا إلى المقصود .

## المؤلف :

سمى - قدس سره - نفسه في مقدمة أكثر كتبه ورسائله :  
فقال في مقدمة رسالة الحدوث : « محمد المعروف بصدرالدين بن إبراهيم  
القوامي ».

و في مقدمة تفسير آية الكرسي : « محمد المشتهر بصدرالدين بن إبراهيم  
الشيرازي مولداً ، والقمي مسكناً » .  
وفي مقدمة سه أصل الفارسية: « محمد بن إبراهيم بن يحيى مشهور بصدر-  
شيرازي ».

## مولده :

كان مولده - ره - سنة ٩٧٩ هـ - ق على ما جاء في شرحه للاصول من  
الكافي :<sup>١</sup>

« اعلم أن تبين هذا المرام وتحقيق هذا الكلام... من العلوم الفاضلة  
التي لم أر في مدة عمري - وقد بلغ خمساً وستين - على وجه الأرض  
من كان عنده خبر عنه... » .

وتأليف هذا الشرح على ما صرح به في آخر كتابي العلم والتوحيد كان

سنة ١٠٤٤ .

---

(١) شرح الاصول من الكافي : ص ٢٤٣ . شرح الحديث رقم ٢٣٩ .

وفي تعليقه له - ره - على رسالته المشاعر:<sup>٢</sup>

« تأريخ هذه الإفاضة كان ضحوة يوم الجمعة ، سابع جمادى الأول ،  
لعام سبع و ثلاثين بعد الألف من الهجرة . وقد مضى من عمر المؤلف  
ثمان و خمسون سنة قمرية » .

وقال في تفسيره لسورة الطارق :<sup>٣</sup>

« يا نفس دع الهوى . واسلكي سبل ربك بالهدى . ألم بأن لك وقد  
شبت وما انتبهت! وبلغت سنك إلى خمسين ، و ما خرجت عن باب  
عتبتك قدماً إلى منازل القديسين » .

وتأليف هذا التفسير على ما صرح به في آخره سنة ١٠٣٠ . وهذا وإن أنتج  
رقم ٩٨٠ ، إلا أن بلوغ السن إلى خمسين يصدق مع الزيادة عليه بسنة .

وفاته و عمره :

جاء في التراجم أنه توفى - ره - سنة ١٠٥٠ . فكان عمره المبارك ٧١ سنة.  
قال معاصره صاحب سلافة العصر :<sup>٤</sup>

« توفي بالبصرة ، وهو متوجه للحج في العشر الخامس من هذه المائة  
رحمه الله تعالى » .

وقال آية الله السيد أبو الحسن القزويني - طاب ثراه -<sup>٥</sup>

« سألت أحد شيوخ العرب - كان ساكناً في النجف وسافر إلى البصرة  
مراراً - سأله قبل أربعين سنة عن قبر صاحب الترجمة - فأجابني : « ان

---

(٢) المشاعر : ص ٧٧ من الطبعة الحجرية . راجع أيضاً ما نقله آية الله حسن زاده  
أهلى - دام ظله - في كتابه « اتحاد عاقل به معقول » ص ١٠٧ .

(٣) تفسير سورة الطارق : ذيل قوله تعالى : « وما هو بالهزل » .

(٤) سلافة العصر : ص ٤٩١ .

(٥) يادنامه ملاصدرا : ص ٤ .



في البصرة قبراً مشهوراً بأنه قبر مولى صدرا الشيرازي « ولكن فتش  
عن هذا القبر أخيراً بعض من ذهب إلى البصرة فلم يعثر عليه ولعل الأثر  
ضاع طيلة هذه المدة » .

\*\*\*

#### حياته :

ولد قدس سره - بشيراز . وعاش بها عنفوان شبابه ثم سافر إلى إصبهان ،  
و استفاد فيها من استاذيه العظيمين : الشيخ البهائي ، والسيد الداماد . ثم ذهب إلى  
قم<sup>٦</sup> و انزل فيها للعبادة والرياضة الروحية . وأخيراً رجع إلى شيراز ، واشتغل  
فيها بالتدريس إلى أواخر عمره الشريف .

و الذي كتبه المولى محسن الفيض الكاشاني صهر المؤلف وتلميذه يُلقي  
بعض الاضواء على تاريخ رحلات صدر المتألهين - ره - حيث قال في رسالته  
« شرح الصدر »<sup>٧</sup> عن نفسه ما ملخصه :

« انه سافر إلى إصبهان في العشرين من عمره ، ولم يجد فيه أحداً  
عنده شيء من علم الباطن . فسافر إلى شيراز ، و استفاد فيه من السيد  
الاجلّ ماجد البحراني . ثم رجع إلى إصبهان ، و وصل بخدمة  
الشيخ البهائي - ره - ثم ذهب إلى الحجاز ورجع منه . وبعد التفحص  
و التقلب في البلاد وصل إلى بلدة قم و أقام فيها بخدمة صدر المتألهين  
ثمانين سنين . و بعد ما رحل صدر المتألهين إلى شيراز صار إليه و أقام  
عنده سنتين أيضاً .

فبحساب أن مولد الفيض - ره - في ١٠٠٧ هجرية ، كان سفره إلى إصبهان

(٦) يظهر من تعليقة للمؤلف على كتابه الأسفار الأربعة أنه كان : « كهك » من قرى

قم . راجع كتاب « اتحاد عاقل به معقول » : ص ١٠٨ .

(٧) رسالة شرح الصدر : مخطوط . توجد ضمن مجموعة بمكتبة آية الله المرعشي

العامة بقم . رقم ١٤٠١ .

في ١٠٢٧ . وقد توفي السيد ماجد البحراني سنة ١٠٢٨ . فسفره إلى شيراز كان قبله بسنة على الأقل ، يعني في نفس السنة ١٠٢٧ . ثم وصوله إلى خدمة صدر المتألهين كان قبل سنة ١٠٣٦ بسنوات حيث أُلّف فيها كتابه « عين اليقين » وأشار فيه إلى آراء صدر المتألهين ونقل عنه <sup>٨</sup> ولو قدرنا ذلك سنة ١٠٣٢ ، فنظراً إلى إقامته عند صدر المتألهين بقم ثماني سنين يكون ارتحال صدر المتألهين إلى شيراز في سنة ١٠٤٠ .

نَسَمَ إن صدر المتألهين يصرح في مقدمة تفسير آية الكرسي أنه « القمّي مسكناً » و يقول فيه <sup>٩</sup> « قد بلغ سنّة إلى نيف و أربعين » و ذلك بحساب مولده - ره - سنة ١٠٢٢ بالتخمين .

فكان - ره - بين سنوات ١٠٢٣ إلى ١٠٤٠ بقم على التخمين القريب من اليقين . بل ما جاء في مقدمة الأسفار يلمح أنه كان ساكناً به قبل هذا التأليف بسنين : <sup>١٠</sup>

« إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار ، واستترت بالخمول و الانكسار ، منقطع الآمال ، منكسر البال ، متوفراً على فرض أؤديه ، و تفریط في جنب الله أسمى في تلافيه . لا على درس ألقبه أو تأليف أنصرف فيه ... »

وتقارن حياته - قدس سره - حكومة شاه عباس الصفوي (٩٩٦-١٠٣٨ ق) و شاه صفي (١٠٣٨-١٠٥٢) وفي هذا الأوان رغم الحروب و المهاجمات الواقعة في بعض الولايات الحدودية من إيران - مثل خراسان و آذربيجان - كان محتد صدر المتألهين ومسكنه في هدوء نسبي ، وعاش بعيداً من هذه الحوادث الدامية .

(٨) علم اليقين : ص ٢٤٦ و ٢٦٠ و ٢٧٩ و ٢٩٤ و ٢٩٧ و ٢٩٩ ومواضع أخرى .

(٩) تفسير آية الكرسي : ص ٥٩ .

(١٠) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٦ .

ثم لوصح ما في بعض التواريخ<sup>١١</sup> من أن رجوعه إلى شيراز كان بأمر من شاه عباس الصفوي ، يلزم أن يكون وصول الفيض الكاشاني إليه سنة (١٠٣٠) أو قبله ، حتى يتمكن من إقامة ثمانين سنة عندده بقم قبل سنة (١٠٣٨) التي مات فيها ذلك السلطان .

وفي تاريخ «آثار العجم» عند الكلام في بناء مدرسة خان بشيراز التي بنيت بأمر من الله وردبخان والي فارس وتم بناؤها زمن ولده إمامقليخان بسنة ١٠٢٢ قال :<sup>١</sup>

« و برفراز كرياس دالانش يك ارسى هفت دهنه بسيار بزرگ است  
که در آن صدرالمتألهين شيرازى مباحثه ميفرموده .»

\* \* \*

و أما اسرته : فلا نعلم منها شيئاً . غير أنه طبع على ظهر الصفحة الأولى من كتاب مفاتيح الغيب ترجمة قصيرة للمؤلف ، كتبه الحكيم الإلهي «الآغا علي- المدرّس - ره -» ونقل شطراً منه بلفظه :

« التي وصل إلى محرر هذه الحروف - ابن عبدالله المدرس علي -  
المدرس - بدأ عن يد وخلفاً عن سلف أنه كان والده من أجلّ الوزراء ،  
ولم يكن له ولد ذكر ، فألزم على نفسه بنذر أو شبهه إنفاق خطير من  
ماله إن أعطاه الله ولداً ذكراً صالحاً موحداً . فلما قبل الله منه أعطاه هذا  
الولد الجليل الصالح الموحّد ...»

وله - ره - ابن فاضل يسمى « ميرزا إبراهيم » وكان عالماً متكلماً ،<sup>١٢</sup> وسبطه «محمد بن إبراهيم» أيضاً كان من الفضلاء .

---

(١١) عالم آرای عباسی .

(١٢) آثار العجم : ص ٤٩٥ .

(١٣) لؤلؤة البحرين : ص ١٣١ .

## سيرته العلمية:

تنقسم حياته - ره - إلى ثلاث فترات متميزة :  
ألف - نشأ بشيراز ، و بعد استكمال أوائل العلوم الرسمية فيه إنتقل إلى  
أصبهان - وكانت في تلك الأيام عاصمة ايران ومركزه الثقافي والسياسي - فحضر  
فيها مجالس الأساتذة ، واستفاد من العلمين الكبيرين : السيد الداماد ، والشيخ -  
البهائي ، واشتغل بتكميل المعارف العقلية والنقلية . قال : <sup>١٤</sup>

« ثم إنني قد صرفت قوتي في سالف الزمان ، منذ أول الحداثة والريغان  
في الفلسفة الإلهية ، بمقدار ما أوتيت من المقدور ، وبلغ إليه قسطنطين من  
السعي الموفور ، واقتنيت آثار الحكماء السابقين والفضلاء اللاحقين .  
مقتبساً من نتائج خواطرهم وأنظارهم ، مستفيداً من أفكار ضمايرهم و  
أسرارهم . وحصلت ما وجدته في كتب اليونانيين والرؤساء المعلمين ،  
تحصيلاً يختار اللباب من كل باب » .

<sup>١٥</sup> « وإنني كنت سالفاً كثيراً الاشتغال بالبحث والتكرار ، وشديد المراجعة  
إلى مطالعة كتب الحكماء النظائر » .

فحاز - ره - لجودة قريحته و شدة فطنته - الكمال في العلوم الرسمية و  
الاطلاع على المشارب المختلفة الفلسفية والكلامية و صار من أساتذة الفن بارعاً  
في الحكمة البحثية ، ولأنه كان ذا معنوية عال و روح أبي يتباعد عن التقرب إلى  
الملوك <sup>١٦</sup> و الرؤساء والترأس على العوام ، صار مرمى طعن الجهلة و الأزدال

(١٤) الاسفار الاربعة ج ١ ص ٤ .

(١٥) تفسير سررة الواقعة : المقدمة .

(١٦) قال - ره - في تفسير سورة الجمعة (في تفسير قوله تعالى «ذكر الله») : عند  
ذكر خطبة صلوة الجمعة : وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة ، وألقابهم و الثناء عليهم و  
الدعاء لهم - وهم أحقاء بعكس ذلك - فمن ذكر الشيطان . نعوذ بالله من غربة الإسلام  
ونكد الأيام .

و أهل الهوى :

١٧ « وأني لقد صادفت أصدافاً علمية في بحر الحكمة الزاهرة مدعمة بدعائم البراهين الباهرة ... و كنت برهة من الزمان أجيل رأبي وأردد قداحي ، و أوامر نفسي ، و أنازع سري ، حدباً على أهل الطلب ، و من له في تحقيق الحق أرب ، في أن أشق تلك الأصداف السمينة ، و استخرج منها دررها الثمينة ... و أصنّف كتاباً جامعاً لشتات ما وجدته في كتب الأقدمين ، مشتملاً على خلاصة أقوال المشائين ، و نقاوة أذواق أهل الإشراف من الحكماء الرواقيين ، مع زوائد لم توجد في كتب أهل الفن من حكماء الأعصار... ولكن العوائق كانت تمنع من المراد ... فأقعدني الأيام عن القيام ، و حججني الدهر عن الاتصال إلى المرام ، لما رأيت من معادات الدهر بتربية الجهلة و الأردال ... و قد ابتلينا بجماعة غاربي الفهم تعمش عيونهم عن أنوار الحكمة و أسرارها ، تكلّ بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة و آثارها ، يرون التعمق في الامور الربانية و التدبر في الآيات السبحانية بدعة ، و مخالفة أوضاع جماهير - الخلق من الهمج الرعاع ضلالة و خدعة ... و كل من كان في بحر الجهل و الحمق أولج و عن ضياء المعقول و المنقول أخرج ، كان إلى أوج - القبول و الاقبال أوصل و عند أرباب الزمان أعلم و أفضل » .

ب : ولما لم ينل مناه فيما استحصل في الفترة الاولى من عمره ، و نال من الجهلة و الأردال مانال ، استعزل عن الناس و استخلص لعبادة ربه المتعال ، و اشتغل بالرياضات و المجاهدات الشرعية ساكناً في بعض قرى قم . يقول - ره - :<sup>١٨</sup>

« قد صرفنا العمر في بحث العلوم      لم يفدنا بحثنا غير الهموم

(١٧) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٥ .

(١٨) منتخب مثنوى ، المطبوع بآخر رسالة سه اصل : ص ١٥٢ .

كل عمر ضاع في غير الحبيب لم يكن فيه سوى الحسرة نصيب  
أيها الساقى أدرك أسأ بنا ينجبر مافات من أوقاتنا »

١٩ « فلما رأيت الحال على هذا المنوال من خلوّ الديار عمتن يعرف  
قدر الأسرار وعلوم الأحرار ، وأنه قد اندرس العلمُ وأسراره ، وانطمس  
الحق و أنواره ... ضربتُ عن أبناء الزمان صفحاً ، وطويتُ عنهم كشحاً  
فألجأني خمود الفطنة و جمود الطبيعة لمعاداة الزمان و عدم مساعدة  
الدوران ، إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار، واستترت بالخمول  
والانكسار . منقطع الآمال ، منكسر البال ، متوفراً على فرض أودبه و  
نفرط في جنب الله أسعى في تلافيه . لاعلى درس ألقيه أو تأليف أتصرف  
فيه . إذ التصرف في العلوم والصناعات ، وإفادة المباحث ، ودفع المعضلات  
وتبيين المقاصد و رفع المشكلات مما يحتاج إلى تصفية الفكر ، وتهذيب  
الخيال عما يوجب الملل و الاختلال ... فتوجّهت توجهاً غريباً نحو  
مسبب الأسباب ، وتضرّعت تضرّعاً جبلياً إلى مسهل الأمور الصعاب .  
فلما بقيتُ على هذا الحال من الاستتار والانزواء ، والخمول و الاعتزال  
زماناً مديداً ، وأمدأ بعيداً ، أشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعلاً  
نورياً ، و التهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قوياً . ففاضت عليها أنوار  
الملكوت ، وحلت بها خبابا الجبروت ، ولحقتها الاضواء الأحديّة ،  
وتدار كنها الألفاف الإلهية . فاطلعت على أسرار لم أكن أطلع عليها إلى  
الآن ، و انكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان.  
بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان ... »  
٢٠ « وظنّتي أن هذه المزيّة إنما حصلت لهذا العبد المرحوم من الامّة

(١٩) الاسفار الاربعة ج ١ ص ٦ .

(٢٠) المبدء ، والمعاد : في تحقيق المعاد الجسماني ، ص ٣٨٢ .

المرحومة عن الواهب العظيم ، الجواد الرحيم . لشدة اشتغاله بهذا  
المطلب العالي ، وكثرة احتماله من الجهلة والأرذال ، وقلة شفقة الناس  
في حقّه ، وعدم التفاتهم إلى جانبه . حتى أنه كان في الدنيا مدة مديدة  
كثيراً حزيناً ، ما كان له عند الناس رتبة أدنى من آحاد طلبة العلم ، ولا  
عند علمائهم - الذين أكثرهم أشقى من الجهال - قدر أقل من تلاميذهم .  
وذلك لعدم معرفتهم بطريق التحصيل إلا من جهة القال و القيل ، وقلة  
شعورهم بالكمال والتكميل ، إلا من مدارسة الأباطيل .

إلى تداركتني الرحمة الأزليّة ، ولحقتني الأضواء الأحديّة والألطف  
القيوميّة ، فاستراحت نفسي من إقرارهم وإنكارهم ، وخلصت من  
أضرارهم وأسرارهم . فاطلعتني الله على أسرار ورموز لم أكن أطلع  
عليها إلى ذلك الزمان و انكشفت لي حقائق لم تكن منكشفة هذا  
الانكشاف من الحجّة والبرهان - من المسائل الربويّة والمعارف  
الإلهية ... »

و كتب في مكتوب له - ره - إلى استاذ المير الداماد :

« در اين اوان افتراق و زمان انفصال از آن قبله آفاق ، بواسطه كثرت  
وحشت از محبت مردم وقت و ملازمت خلّوات و مداومت بر افكار و  
اذكار ، بسی از معانی لطيفه ومسائل شريفه مكشوف خاطر عليل و ذهن  
كليل گشته . واكثر آن از طريق مشهور متداول نزد جمهور بغايت دور  
است ... »

« و حرام في الرقم الأول الواجبي ، والقضاء السابق الإلهي أن يرزق  
شيء من هذه العلوم الأربعة - خصوصاً معرفة الذات و علم الآخرة -

(٢١) فرهنگ ايران زمين : ج ١٣ ص ٩٤ .

(٢٢) تفسير آية الكرسی : ٦٠ .

إلا مع رفض الدنيا وطلب الخمول وترك الشهرة . مع فطنة وقادة ، و قريحة منقادة ، و ذكاء بليغ ، و فطرة صافية . و حدس شديد » .

« فإني - و الحمد لله - أعلمُ بعين اليقين أن هذا الحديث ونظائره ، الواردة من طريق الكتاب و السُنّة في أحوال القيامة و أهوالها حقٌ و صدق . فأمنت بها إيماناً عيانياً مقروناً بالكشف والشهود ... »

و أشار أحياناً في مطاوي كتبه إلى مكاشفات وقعت له :

« بل إنما هي من الواردات الكشفية على قلب أقل العباد عند انقطاعه عن الحواس و المواد . و انسلاخ نفسه عن البدن العنصري » .

« حكاية أقوال وقعت لنا في مقام عقلي مع أرواح رهط من الحكماء - العارفين ، و قد شاهدناهم و خاطبناهم بهذا الخطاب ... »

ج : في هذا القسم من عمره الشريف - الذي ابتدأ بـ « قم » و انتهى بفوته بالبصرة اشتغل - ره - بالتأليف و التدريس . و القسم الأعظم من كتبه و رسائله ثمرة هذه السنين .

(٢٣) اسرار الايات : ١٨١ .

(٢٤) المسائل القدسية : ص ٤ .

(٢٥) مفاتيح الغيب : ص ٣٧٩ .



## ٢ الحكمة :

العلم بالله تعالى أفضل علم بأفضل معلوم، والحكمة العرفان به تعالى وشؤونه،  
وصدر المتألهين يعتقد أن الاشتغال بغيرها من العلوم رضى من العالى بالخسيس ،  
و مادام يوجد من به الكفاية في الاشتغال بالعلوم الجزئية والمطالب الدنيوية - و  
ذلك موجود في كل عصر ومدينة - لا يجدر بالعاقل الاشتغال بها ، و الاعراض عن  
العلم العالى الشريف .

ولذلك ترى معظم تصنيفاته سيما كتابه الكبير - الاسفار الاربعة - موقوفة  
على هذا العلم . وإذا ذكر مسألة ترتبط بعلم آخر عادةً نبه على وجه الارتباط  
بينها وبين هذا العلم :

١ « ونحن لما كرهنا رجوع الرجل الإلهي في شيء من المسائل العلمية  
إلى صاحب علم جزئي - طبيعياً كان أو غيره ... لهذا نرفع الحوالات  
في أكثر المواضع من شرح هذا الكتاب و نوردها بالفعل كما هو عادتنا  
في كتابنا الكبير المسمى بالأسفار . و هو في أربعة مجلدات كلها في  
الإلهيات ، بقسميها الفلسفة الأولى و فن المفارقات » .

٢ « العادة جرت بذكر هذه المسألة في فن الطبيعيات ، لكننا أوردناها

(١) تعليقات الشفاء : ٢٥٦ .

(٢) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٣٢٠ .

هيهنا للعللة المذكورة ، ولعللة أخرى وهي أن البحث عن ماهية شيء ونحو وجوده مناسب لأن يذكر في العلوم الإلهية .

### الحكمة المتعالية :

لعل أول من استعمل هذا الاصطلاح ابن سينا ، حيث قال في الفصل التاسع من النمط العاشر من المجلد الثالث من كتابه ، الإشارات :  
« ثم إن كان ما يلوحه ضرب من النظر مستوراً إلا على الراسخين في الحكمة المتعالية ... » .

وقال المحقق الطوسي - ره - في شرحها :<sup>٢</sup>

« وإنما جعل هذه المسألة من الحكمة المتعالية ، لأن حكمة المشائين حكمة بحثية صرفة ، وهذه و أمثالها إنما تتم مع البحث والنظر بالكشف والذوق . فالحكمة المشتملة عليها متعالية بالقياس إلى الأول » .

و استعملها أيضاً القيصرى شارح الفصوص في رسالة له في التوحيد و النبوة  
« الولاية :<sup>٣</sup>

« و المغابرة بينهما كالتغاير بين الكلي وجزئيه . لالتغاير بين الحقيقتين المختلفتين ، كما ظن المحجوبون ممن لا يعلم الحكمة المتعالية ... »

فالحكمة المتعالية تتعالي عن الحكمة المطلقة بعدم اعتمادها على البحث الصرف ، والاعتناء بالكشف والذوق . وقد رأى صدر المتألهين بغيته في هذه الطريقة ، حيث يعتقد أنه يمكن حصول المعرفة من طرق ثلاث : البرهان ، والكشف ، والوحي . و حيث العقل يجد نفسه راجلاً في المباحث العالية الإلهية ، إذ يرى طوراً وراء طوره : فالطريق الناجح هو الكشف المؤيد بالوحي الذي لا يخالف البرهان

(٢) شرح الإشارات : ٧ ج ٣ ص ٤٠١ .

(٣) رسائل القيصرى : ١٥ . نصوص فلسفية : ٢٣٩ .

اليقيني. وهذا هو الأساس المعتمد عليه في حكمته المتعالية، التي سمّي بها كتابه الكبير: «الأسفار الأربعة» وسلك في أكثر مباحثه الدقيقة هذا المسلك.<sup>٦</sup>

«ثم إن بعض أسرار الدين و أطوار الشرع المبين بلغ إلى حدّ هو خارج عن طور العقل الفكري، وإنما يعرف بطور الولاية والنبوة. و نسبة طور العقل و نوره إلى طور الولاية ونورها، كنسبة نورالحسّ إلى نور الفكر. فليس لميزان الفكر كثير فائدة وتصرف هناك».

وهو يفصّل وصوله إلى هذا المسلك في مقدمة تفسير سورة الواقعة:

«وإنني كنت سالفاً كثير الاشتغال بالبحث و التكرار و شديد المراجعة إلى مطالعة كتب الحكماء النظّار، حتى ظننت أنني على شيء. فلما انفتحت بصيرتي قليلاً ونظرت إلى حالي، رأيت نفسي - و إن حصلت شيئاً من أحوال المبدأ وتنزيهه عن صفات الإمكان والحدثان، وشيئاً من أحكام المعاد لنفوس الإنسان - فارغة عن علوم الحقيقة وحقائق العيان. مما لا يدرك إلا بالذوق و الوجدان. وهي الواردة في الكتاب و السّنة من معرفة الله وصفاته وأسمائه... مما لا يعلم حقيقتها إلا بتعليم الله ولا - ينكشف إلا بنور النبوة والولاية.

والفرق بين علوم النظّار، وبين علوم ذوي الأبصار كما بين أن يعلم أحدٌ حدّ الحلاوة، و بين أن يذوق الحلاوة... فعلمتُ يقيناً أن هذه الحقائق الإيمانية لا تُدرك إلا بالتصفية للقلب عن الهوى، و التهذيب عن أعراض الدنيا، والعزلة عن صحبة الناس - خصوصاً الأكياس - والتدبّر في آيات الله و حديث رسوله وآله عليهم السلام، والتسيّر بسيرة الصالحين في بقية من العمر القليل، و بين يدي السير الطويل. فلما أحسست بعجزتي

(٦) شرح الاصول من الكافي: الحديث الثالث من باب ان الارض لا يخلو من

وأيقنت أنني لست على شيء - وقد كنت قنعتُ عن ضوء النور بظلمةٍ وفيءٍ - أشتعلت نفسي لكثرة الاضطراب اشتعالاً قوياً ، والتهب قلبي لشدة الانضجار التهاباً نورياً ، فتداركته العناية الازليمة بالرحموت ، و نظرت اليه العطوفة الربانية بشيء من لوامع الملكوت . فأفاض عليّ من بحر الجود شيئاً من أسرار الوجود ، وأفادني مظهر الخفيات ومنور الماهيات بعضاً من أسرار الآيات وشواهد البيّنات .

٧ « فإني قد آمنت بصدق نبينا محمد ﷺ في جميع ما أتى به وبصدق موسى عليه السلام ، لا بشق القمر وقلب العصاحية ، بل بإعلامات إلهية وإلهامات ربانية في القلب ، التي لا يتطرق إليها شائبة شكّ وريب ، ولا يعتبره وصمة شبهة وعيب . وهي موزونة مع ذلك بميزان صحيح العيار ، من موازين القسط ليوم الحساب ، الذي وضعه الله من السماء العقلية في أرض القلب الإنساني ، الموضوع تحت سماء العقل المرفوع ، وأمر بإقامته . كما دلّ عليه قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ \* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ \* وَأَقِيمُوا الصَّوْلَةَ بِالقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ \* وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [١٠-٧/٥٥] .

وقد أقيمتُ هذا الميزان الصحيح كما أمر الله به ووزنتُ به جميع المعارف الإلهية . بل أحوال المعاد ... فوجدت جميعها مطابقة لما في هذا القرآن ... وتيقنتُ أن جميع ما صحَّ عن رسول الله ﷺ حقٌّ وصدقٌ .

فهناك نلت النظر إلى أمور :

ألف : انه - قده - لا يُخطيء العقل ولا يُخرجه عن طور المعرفة . بل يعتقد أنه :<sup>٨</sup>

(٧) تفسير سورة البقرة : ج ٣ ص ٣٧٦ .

(٨) رسائل صدر المتألهين : سريان الوجود ، ص ١٣٨ . نقل عن الغزالي .

« لا يجوز في طور الولاية ما يقضي العقل باستحالته . نعم يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يقصر العقل عنه . بمعنى أنه لا يدرك بمجرد العقل . ومن لم يفرق بين ما يحيله العقل وبين ما لا يناله العقل ، فهو أخس من أن يخاطب . فليترك وجهه » .

٩ « لكل مسألة من المسائل الإلهية والأسرار الناموسية مبادي ومقدمات ، لا يمكن التفتن إلى تلك المسألة إلا بعد التفتن بها ، سواء كان بحدس و حركة سريعة - كما هو طريقة الأنبياء و الأولياء و ذوي الأبصار - أو بفكر و حركة بطيئة - كما هو طريقة العلماء و النظّار و أولي الاعتبار »  
ب : إذ الميزان الذي وصل العقل إلى صحته وعدم تخطيه الحق هو الوحي فلا يسع لأي فلسفة صحيحة أن تتجاوزه - فماذا بعد الحق إلا الضلال .

١٠ « و من لم يكن دينه دين الأنبياء عليهم السلام فليس من الحكمة في شيء . ولا يعدّ من الحكماء من ليس له قدم راسخ في معرفة الحقائق » .  
ولكن كما أن البرهان اليقيني يطابق الوحي ولا يخالفه أبداً ، فتابع النبي أيضاً لا يردّ حكم العقل :

١١ « و أنتي يصيب الرشاد من يفتن بتقليد الأثر و الخبر وينكر مناهج البحث و النظر ؟ أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ، و البرهان العقلي هو الذي عرف صدقه فيما أخبر ؟ و كيف يهتدي إلى الصواب من اقتفى محض العقل واقتصر ، وما استضاء بنور الشرع و لا استبصر ؟! فليت شعري كيف يفرع إلى العقل حين يعتريه العمى والحصر أو لا يعلم أن خطي العقل قبل أن يهتدي بنور الشريعة قاصرة ؟ و أن مجاله

(٩) تفسير سورة الحديد : ٢٠٤ .

(١٠) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٢٠٥ .

(١١) شرح الاصول من الكافي : مقدمة كتاب الحجة ص ٣٣٨ .

## ضيق مختصر؟

هيهات، هيهات - فقد خابَ على القطع والبتات، وتعلق بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات . فمثال العقل البصر- السليم عن الآفات والأدواء ، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء ، فأخلق بأن يكون طالبُ الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر، في غمار الاغبياء . فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن والخبر مثاله المعترض لنور الشمس والقمر مغمضاً للاجفان . فلا فرق بينه وبين العميان. فالشرع مع العقل نورٌ على نور .»<sup>١٢</sup>

«وحاشى الشريعة الحقّة البيضاء أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينية الضرورية . وتباً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنة» .

ج : هناك طريق آخر في الوصول إلى المعارف لا يعدله شيء - إذ لا يكون الخبر كالمعاينة - وهو الكشف الصحيح . فالوصول من هذا الطريق ، وإن يراه الجمهور بعيداً لوعورة مسلكه وصعوبة الوصول إليه ، إلا ان المكاشف يراه قريباً لعظم ما يناله وجمعيّة الخاطر فيه :

« وحقيقة الحكمة إنما تنال من العلم اللدني . وما لم يبلغ النفس هذه المرتبة لا تكون حكيماً » .

وإذ الكشف الذي لا ريب فيه هو الكشف النبوي، فالشرع ميزان يزن به سائر المكاشفات ، ولا وزن لما لا يوافقه :

« إنني أستعيز بالله ربّي الجليل في جميع أقوالي وأفعالي ومعتقداتي

(١٢) الاسفار الاربعة ج ٨ ص ٣٠٣ .

(١٣) مفاتيح الغيب : ٣١ .

(١٤) العرشية : ٢٨٥ .

ومصنفاتي من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة التي أتناهاها سيد -  
المرسلين و خاتم النبيين - عليه وآله أفضل صلوات المصلين .

ثم ما ظهر للمكاشف لا يمكن بيانه وإثباته للغير إلا بالبرهان ، فالعالم بالحكمة  
المتعالية عالمٌ بالبرهان وشاهدٌ بالعيان ومطابق الكلام مع الشرع .

<sup>١٥</sup> « ولا يُحْمَلُ كَلَامُنَا عَلَى مَجْرَدِ الْمَكَاشِفَةِ وَالذُّوقِ ، أَوْ تَقْلِيدِ الشَّرِيعَةِ  
مِنْ غَيْرِ مِمَارَسَةِ الْحُجُجِ وَالْبَرَاهِينِ وَالتَّزَامِ الْقَوَانِينِ . فَإِنَّ مَجْرَدَ الْكَشْفِ  
غَيْرُ كَافٍ فِي السُّلُوكِ مِنْ غَيْرِ بَرَهَانٍ ، كَمَا أَنَّ مَجْرَدَ الْبَحْثِ مِنْ غَيْرِ مَكَاشِفَةٍ  
نَقْصَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّبْرِ » .

<sup>١٦</sup> « قَدْ أَشْرْنَا مَرَاراً إِلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ غَيْرَ مُخَالَفَةٍ لِلشَّرَائِعِ الْحَقَّةِ الْإِلَهِيَّةِ ،  
بَلِ الْمَقْصُودُ مِنْهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، هِيَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ الْأَوَّلِ وَصِفَاتِهِ وَ...  
أَفْعَالِهِ . وَهَذِهِ تَحْصُلُ تَارَةً بِطَرِيقِ السُّلُوكِ وَ الْكَسْبِ فَتَسْمَى بِالْحِكْمَةِ وَ  
الْوَلَايَةِ . وَإِنَّمَا يَقُولُ بِمُخَالَفَتِهِمَا فِي الْمَقْصُودِ مِنْ لِمَعْرِفَةِ [ لَهُ ] لِتَطْبِيقِ  
الْخَطَابَاتِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الْبَرَاهِينِ الْحَكْمِيَّةِ . وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مُؤَيَّدٌ  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . كَامِلٌ فِي الْعُلُومِ الْحَكْمِيَّةِ ، مُطَّلِعٌ عَلَى الْأَسْرَارِ النَّبَوِيَّةِ .  
فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ بَارِعاً فِي الْحِكْمَةِ الْبَحْثِيَّةِ ، وَلا حِظٌّ لَهُ مِنْ عِلْمِ  
الْكِتَابِ وَالشَّرِيعَةِ ، أَوْ بِالْعَكْسِ » .

وفي هذا المجال تظهر عبقرية صدر المتألهين ، إذ به كمل مجاهدات الحكماء ،  
الذين يجتهدون في البرهنة على المطالب الدوقية والمعانيات الكشفية .

<sup>١٧</sup> « وَنَحْنُ قَدْ جَعَلْنَا مَكَاشِفَاتِهِمُ الذُّوقِيَّةَ مُطَابِقَةً لِلْقَوَانِينِ الْبَرَهَانِيَّةِ » .

(١٥) الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ٣٢٦ .

(١٦) الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ٣٢٦ .

(١٧) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٦٣ .

١٨ « وظنني أن هذه المطالب ، وإن أشارت إليها كلمات الأولين ، وقصدت إلى سبيلها عبارات المحققين ، إلا أنه لم يتفق لأحد إقامة البراهين و حجج أنوار العلم واليقين على مثل هذه الأصول التي اضطربت فيها عقول الناظرين » .

\* \* \*

وبعد هذا فإنه لا يرى لمن ليس له همّة سلوك الطريق نفعاً في مطالعة كتبه ويقول تحكماً : ١٩

« فافهم إن كنت من أهله . وإلا فغضّ بصرك عن مطالعة هذا الكتاب ، و التدبّر في غوامض علم القرآن . وعليك بممارسة القصص والأخبار والروايات و علم السيرة و الأنساب ، و تتبّع العربية واللغة ، و تحمّل الرواية من غير دراية ، وما هو كالنتيجة عندك للكل ، من البحث عن المسائل الفرعية الخلافية » .

٢٠ « وحرامٌ على أكثر الناس أن يشرعوا في كسب هذه العلوم الغامضة ، لأن أهليّة إدراكها في غاية الندرة و نهاية الشدوذ . والتوفيق لهما من عند الله العزيز العليم » .

٢١ « ونحى لم نقصد في تحقيق كل مسألة وتنقيح كل مطلوب إلاّ التقرب إلى الله وملكوته الأعلى في إرشاد طالب زكي ، أو تهذيب خاطرنقي .

---

(١٨) شرح الاصول من الكافي : الحديث الأول من باب النوادر من كتاب التوحيد

ص ٣٧٠ .

(١٩) أسرار الايات : ١٥٢ .

(٢٠) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٤٤٦ .

(٢١) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٦ .



فإن وافق ذلك نظرَ أبناء البحث والتدقيق، فهو الذي أومأناه . وإن لم يوافق ، فمعلوم أن الحق لا يوافق عقولَ قوم فسدت قرائحهم بأمراض باطنية أعيت أطباء النفوس عن علاجهم ... وليس للحكيم الرباني مع أمثال هؤلاء كلام ، ولا كتاب ، ولا مع أشباههم نداء ولا خطاب...» .

«<sup>٢٢</sup> فهذا ماجرى على لسان القلم ، وإن لم يكن مناسباً لطور أهل البحث عصمنا الله عن جحود المنكرين وعناد المستكبرين» .

## المباحث الهامة في الحكمة المتعالية

نروم الآن إلى ذكر أصول أسسها صدر المتألهين أو أثبتها ، مما صار عمادُ الحكمة المتعالية ومشكّلُ فلسفته الخاصة :

الف و ب : إصالة حقيقة الوجود ووحدته :

عند ما ندرك شيئاً فإننا ندرك شيئاً واحداً في الخارج ، و العقل يحلّه إلى ماهية و وجود . و من هنا يتّجه سؤال بأن المتأصل أيّ من هذين في الخارج ؟ و هذا البحث لم يكن معنوياً بهذه الصراحة بين القدماء ، و لذلك ترى منهم كلمات تستنبط منها الاعتقاد بإصالة الوجود تارة ، و باعتباريته أخرى . و إنما القول باعتبارية الوجود انتشر من الشيخ الاشراقي - على المشهور - و تبعه جمع من الحكماء ، منهم استاذ صدر المتألهين السيد الداماد .

وكان صدرا متابعا لاستاذه في هذا الرأي حتى استبان له الحقيقة و مال إلى إصالة الوجود ، و ترسخ فيها حتى جعلها الأصل الأول و الحجر الأصلي لجميع استدلالاته الفلسفية تقريباً .

« و إنى كنت شديد الذبّ عنهم في اعتبارية الوجود و تأصل الماهيات <sup>٢٣</sup> »

(٢٣) الاسفار الاربعة : ٤٩/١ .

حتى أن هداني ربي وانكشف لي انكشافاً بيّناً أن الأمر بعكس ذلك .  
وهو أن الموجودات هي الحقائق المتأصلة الواقعة في العين » .  
والقول بإصالة الوجود كان مشهوراً بين العرفاء الإسلاميين ومعتقداً بها ، إلا أنه  
لم يكن مبرهنأ عليه كما في الحكمة المتعالية .

\* \* \*

وبعد إثبات تأسل الوجود يعنون العقول بوحدته ، وهو الأصل الثاني  
الذي يبتني عليهما جميع المطالب الأخر تقريباً .  
و العرفاء كانوا معتقدين بوحدة الوجود - وحدة شخصية - وتكلفوا أحياناً  
في البرهنة عليها لكسر سورة استبعاد المخالفين<sup>٢٤</sup> . إلا أنهم لم يتمكنوا من إثباتها  
بأدلة قوية ، وإنما استدلالاتهم كاستدلالات كلامية غير خالصة من الخلل والفتور .  
حتى جاء صدر المتألهين - وكان كما اشتهر « الأمور مرهونة بأوقاتها » .  
و ينبغي التنبه بأن صدر المتألهين يستظهر أولاً الوحدة النوعية ، الذات  
المراتب المشككة للوجود ، ويبتني عليها حلّ المسائل . ثم يوصل الكلام إلى  
نظر أدقّ هو قول العرفاء في الوحدة الشخصية . وهو معتقد في هذه المسألة بالوحدة  
الشخصية ، كما يظهر من أكثر مؤلفاته .  
<sup>٢٥</sup> « بل ليس في الوجود إلا ذاته وصفاته وأفعاله التي هي صور أسمائه  
ومظاهر صفاته » .

إلا أنه لما رآها ثقيلة على الأذهان ، ومحركة للخلاف و المخالفين استظهر القول  
بالوحدة النوعية . ومشى على منواله تكسيراً لسورة المخالفين ، وصوناً عن تشنيع

---

(٢٤) راجع مقدمة شرح الفيضري للفصوص ، و شرح تمهيد القواعد لابن تركة ،  
و جامع الأسرار للسيد حيدر الاملي وغيرها من الكتب العرفانية .

(٢٥) أسرار الايات : ٢٤ .

الجاهلين و المتفلسفين ، مُلمِحاً إلى ما يرومه من الحقّ والنظر الأدقّ . قال :  
« إنَّ العاقلَ اللبيبَ بقوة الحدس يفهم من كلامه ما نحن بصدد إقامة -  
البرهان عليه حيث يحين حينه ، من أن جميع الوجودات الإمكانية و  
الإنبيات الإرتباطية التعلقية اعتبارات و شؤونٌ للوجود الواجبي ، وأشعة  
وظلالٌ للنور القيومي ... فالحقيقة واحدة ، وليس غيرها إلا شؤونها و  
فنونها وحيثياتها و أطوارها ، ولمعات نورها وظلال ضوئها و تجليات  
ذاتها .

كلُّ ما في الكون وَهْمٌ أو خيال أو عكوسٌ في المرايا أو ظلال  
و أقمنا نحن بفضل الله و تأييده برهاناً نيبراً عرشياً على هذا المطلب  
العالي الشريف ، والمحبوب الغالي اللطيف . وسنورده في موضعه كما  
وعدنا به - إن شاء الله العزيز- وعملنا فيه رسالة على حدة ، سمّيناها  
بـطرح الكونين .»

ثم كرّر هذا الوعد و أشار إليه في مطاوي فصول الكتاب :

« كما سيرد عليك برهانه إن شاء الله العزيز » .<sup>٢٧</sup>

« و مما يجب أن يعلم أن إثباتنا لمراتب الوجودات المتكثّرة و  
مواضعنا في مراتب البحث والتعليم - على تعددها وتكثّرها - لا ينافي  
ما نحن بصدده من ذي قبل إنشاء الله [تعالى] من إثبات وحدة الوجود  
والموجود ذاتاً وحقيقة كما هو مذهب الأولياء والعرفاء من عظماء أهل  
الكشف واليقين، وسنقيم البرهان القطعي على أن الوجودات وإن تكثّرت  
وتمايزت إلا أنها من مراتب تعيّنات الحق الأول و ظهورات نوره و

٢٦) الاسفار الاربعة : ٤٧/١ .

٢٧) الاسفار الاربعة : ٦٥/١ .

٢٨) الاسفار الاربعة : ٧١ / ١ .

شؤونات ذاته ... وليكن عندك حكاية هذا المطلب إلى أن يسرد عليك برهانه» .

<sup>٢٩</sup> « وهذا الأصل من جملة الأصول التي تُقرّر ما نحن بصدده من كون جميع الموجودات بحسب موجوديتها رشحات و فيوض و رقائق للوجود الإلهي، و تجليات و شؤونات للحقّ الصمدي » .

و موعدُ الوفاء في الفصل الخامس و العشرين من المرحلة الخامسة من السفر الأول، حيث يبرهن على الوحدة الشخصية بعد إرجاع المعلولية إلى التشأن . ثمّ يقول مبتهجاً بما وفقه الله تعالى إليه .

<sup>٣٠</sup> « و برهان هذا الأصل من جملة ما آتانيه ربي من الحكمة بحسب العناية الأزليّة ، و جعله قسطنطين من العلم بفيض فضله و جوده . فحاولتُ به إكمال الفلسفة و تنميم الحكمة .

و حيث أن هذا الأصل دقيقٌ غامضٌ صعب المسلك عسير النبل ، و تحقيقٌ بالغ ربيع السمك ، بعيد الغور ، ذهلت عنه جمهور الحكماء ، و زلت بالذهول عنه أقدم كثير من المحصلين - فضلاً عن الأتباع و المقلّدين لهم و السائرين معهم .

فكما وفقني الله تعالى بفضله و رحمته للاطلاع على الهلاك السرمدى و البطلان الأزلي للماهيات الإمكانية و الأعيان الجوازية، فكذلك هداني ربي بالبرهان النير العرشي إلى صراط مستقيم ، و كون الموجود و الوجود منحصرأ في حقيقة واحدة شخصية لا شريك له في الموجودية الحقيقية ، و لا ثاني له في العين » .

(٢٩) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٣٨٠ .

(٣٠) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٢٩٢ .

فهناك مفرق الطريق بين ناظر يرى العالمَ مجموعةً مجتمعة من الماهيات المختلفة المستقلة كل واحد منها عن غيرها ، و بين فيلسوف يراه واحداً منسجماً مرتبطاً - بنظريه الدقيق و الأدق - و أن الله نور السموات والأرض .

### ج - الحركة الجوهرية :

جمهور الحكماء أذعنوا بوقوع الحركة في بعض المقولات العرضية ، إلا أنهم يتحاشون قبول الحركة في مقولة الجوهر ، لعويصات عمدتها شبهة عدم بقاء الموضوع .

«<sup>٣١</sup> و المتأخرون من الحكماء كأبي علي و من يحذو حذوه مصرون غاية الإصرار على نفي هذه الاستحالة الجوهرية . و لذلك قصرُوا و عجزوا عن إثبات كثير من المقاصد الحقّة ... » .

فمن أبرز ما جاء به صدر المتألهين الاعتقاد بالحركة الجوهرية و الجواب عن الشبهات الموجهة إليها . و هذه القاعدة و ان كانت ملهمة عن اعتقاد العرفاء بتجدد الأمثال ، إلا أن تمايز القاعدتين غير خفية . على أن القول بتجدد الأمثال أيضاً لم يكن مبرهنأ عليه من العرفاء .

فصدر المتألهين أول من أظهر القول بالحركة الجوهرية و دافع عنها ، و بنى عليها حل مسائل عدّة .

«<sup>٣٢</sup> و الذي استخرجناه بقوة استفادة من الملكوت الأعلى - لابططالعة موروثات الحكماء - إن الحركة واقعة في الجوهر ، و إن طبائع الأجسام النوعية دائمة التجدد و التبدل في ذاتها ... »

« إنه لا يمكن التصحيح بين الحكمة و الشريعة في حدوث العالم و انه لا أول له إلا بهذه القاعدة » .

(٣١) أسرار الآيات : ١٤٦

(٣٢) تعليقات حكمة الاشراف : ٢٣٩ .

و يقول العلامة الطباطبائي - نور الله مضجعه - في حاشيته على الأسفار: ٣٣  
« و الحق أن القول بوقوع الحركة في مقولة الجوهر يستتبع القول  
لوقوعها في جميع المقولات . والمصنّف - ره - وإن تنبّه بوقوعها  
فيها ، و بذلّ الجهد في كتبه في بيانه وإقامة البرهان عليه ، غير أنه  
لم يستوف البحث عن فروع هذه المسألة المهمة التي تُحوّل الفلسفة  
الإلهية إلى أساس قيم جديد . وله - رحمه الله - مع ذلك المنّة العظيمة  
على الباحثين من بعده في هذا الشأن - شكر الله سعيه » .

#### د - حدوث العالم الجسماني :

كانت المسألة قديماً موضع النقاش بين الحكماء و المتكلمين ، فالحكماء  
مستنداً إلى فيثاضية الواجب تعالي و عدم امكان التغيير عليه يُرجّحون دوام  
الفيض عنه . و المتكلمون خوفاً من انجرار القول بالدوام إلى عدم احتياجه إلى  
العلّة بزعمهم ، و صيرورته واجب الوجود ، ينفون هذا القول ، و يرونه كُفراً و  
زندقة ، و يدعون اجماع الملل التوحيدية على خلافه .

و ربما يظهر شدّة انزعاجهم من سماع اسم « القديم » و « الدوام » في غير  
الواجب ، من فصل عنوانه صدر المتألهين في مفاتيح الغيب و قال : ٣٤  
« فصل في أن الحركة من حيث حدوثها تدل على حركة دائمة لانهاية  
لها . و إثبات هذا المطلب مما يحرك سلسلة المجانين ، لدلالته بحسب  
الظاهر على قَدَم العالم و تسرمد الأفلاك . إلا أنّنا في عهدة إثبات الحدوث  
الزمني »

و ممن اشتغل بالتوفيق بين الكلامين السيد الداماد استاذ صدر المتألهين ،

(٣٣) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٧٨ . (الحاشية).

(٣٤) مفاتيح الغيب : ٣٦٤ .

حيث أبدع القول بالحدوث الدهري ، وصنّف في ذلك كتابه المشهور بـ«القبسات» كما أنه ألّف رسالة أخرى في حدوث العالم أيضاً . و لكن تلميذه صدر المتألهين مستفيداً من اعتقاده بالحركة في الجوهر أظهر قولاً آخر ، و أثبت أن العالم الجسماني دائم الحدوث و التكوّن ، ولا سبيل للقدم و الوجود عليه . و لذلك صنّف رسالة مفردة في حدوث العالم يذكرها في أكثر كتبه و يحول البحث عليها:

٣٥ « قد علمناك و هديناك طريقاً عرشياً لم يسبقنا أحد من المشهورين بهذه الصناعة النظرية في إثبات حدوث العالم الجسماني بجميع ما فيه من السموات و الأرضين ... »

٣٦ « اعلم أن هذه المسألة من أعظم مسائل الايمان و العرفان التي اتفقت على إثباتها أديان جميع الأنبياء ، و حارت في فهمها عقول جماهير الحكماء . و قد ألهمنا الله بفضل إحسانه فهم هذه المسألة و فضّلنا على كثير من خلقه تفضيلاً ... »

و هو مبتهج بتوفيقه في حلّ المسألة على الغاية حيث يقول :

٣٧ « اعلم إن تبين هذا المرام و تحقيق هذا الكلام - و هو الموافق للحديث المستفيض المشهور عن النبي ﷺ من قوله : « كان الله و لم يكن معه شيء » من العلوم الغامضة التي لم أرفي مسددة عمري - و قد بلغ خمساً و ستين - علي وجه الأرض من كان عنده خبر عنه . و لم أجد أيضاً في كتب من كتب السابقين و اللاحقين أن يثبت فيه ما يشفي العليل و يروي الغليل في هذه المسألة . و لقد أفادني الله من لدنه بفضلته و رحمته ، و فتح باب كشفه على قلبي فأوردت هذه المسألة العظيمة و

(٣٥) رسائل صدر المتألهين : رسالة الحدوث ص ٤٨ .

(٣٦) مفاتيح الغيب : ٣٨٧ .

(٣٧) شرح الاصول من الكافي: الحديث السابع من باب الكون و المكان ص ٢٤٣ .



### الدرة الفاخرة اليتيمة في بعض كتبي ورسائلي «

وبدل على كون المسألة موضع نقاش المفكرين في عصره وبيّن لميّة اهتمام صدر المتألهين بها الرسائل المؤلّفة حولها من معاصريه . فقد أُلّف فيه معاصره - الحكيم شمس الجيلاني رسالة في حدوث العالم ، كما أن لتلاميذ صدر المتألهين - الفيض والفياض والشيخ حسين التنكابني قدس أسرارهم - أيضاً رسائل حول المسألة .<sup>٣٨</sup> ويوجد نسخة من رسالة صدر المتألهين بخطه، كتبها وأرسلها إلى شمس الجيلاني .<sup>٣٩</sup>

### هـ : اتّحاد العاقل بالمعقول

القول باتّحاد العاقل بالمعقول كان معروفاً من بعض الأقدمين، والعرفاء الكاملين إلا أن تنقيح ذلك وتبيينه بطريق برهاني خاصّ بصدر المتألهين :

«<sup>٤٠</sup> إن مسألة كون النفس عاقلة لصور الأشياء المعقولة من أعمص - المسائل الحكميّة التي لم يفتح لأحد من علماء الإسلام إلى يومنا هذا . ونحن لما رأينا صعوبة هذه المسألة وتأمّلنا في اشكال كون العلم بالجواهر جوهرأ وعرضاً ، ولسم نرّ في كتب القوم سيّما كتب رئيسهم أبي علي كالشفاء، و النجاة ، والاشارات ، و عيون الحكمة ، و غيرها ما يشفي العليل ويروي الغليل . بل وجدناه و كلّ من في طبقتة و أشباهه و أتباعه كتلميذه بهمنيار، و شيخ أتباع الرواقيين، و المحقق الطوسي نصير الدين وغيرهم من المتأخرين لم يأتوا بشيء يمكن التعويل عليه ... فتوجّهنا توجّهأ جلياً الى مسبّب الأسباب، و تضرّعنا تضرّعأ غريزياً إلى مسهل

(٣٨) راجع الذريعة : ج ٦ ص ٢٩٣ و ج ١ ص ٨٩ .

(٣٩) راجع الكلام حول هذه الرسالة في ذكر تاليفات المؤلف ره .

(٤٠) الاسفار الاربعة ج ٣ ص ٣١٢ .

الامور الصعاب في فتح هذا الباب ... فأفاض علينا في ساعة تسويدي  
هذا الفصل من خزائن علمه علماً جديداً...» .

٤١ وقد مضى تعليقه على هذا البحث أنه كان تاريخ هذه الإفاضة «سابع -  
جمادى الأول لعام سبع وثلاثين وكان له - ره - ثمان وخمسون سنة» .  
والمعروف أن الشيخ الرئيس أنكر هذا القول وأورد عليه إشكالات عدّة  
وقال في النمط السابع من الإشارات . بعد ذكر الردود عليه، متحكماً :  
«و كان لهم رجل يُعرف بفرفوربوس ، عمل في العقل و المعقولات  
كتاباً يشني عليه المشاؤون ، وهو حشفتُ كله ! وهم يعلمون من أنفسهم  
أنهم لا يفهمونه ، ولا فرفوربوس نفسه ...» .  
فأجاب صدر المتألهين عن ردود الشيخ وإشكالاته ، وبين مواضع الخلل في كلامه  
واستفاد من هذا الأصل في بيان مسائل كثيرة وقال :  
٤٢ «وقد تفرّدت باستنباطه بناء على أصول مقررة عندي . فهو نمط آخر من  
الكلام لا يصل إليه أفهام جماهير الأنام ، لأنه مرتقى عالٍ ومقصد شريف  
غال ، ويحتاج دركه إلى فطرة ثانية ، بل ثالثة» .

#### و : علمه تعالى

من الغوامض في مسألة التوحيد علمه تعالى بما سواه . وقد ذكر صدر -  
التألهين سبعة مذاهب في المسألة في الأسفار ٢٣ الأربعة ، وانتقد كلاً منها مبسوطاً .  
وأثبت علمه تعالى مستفاداً من القاعدة : «بسيط الحقيقة كل الأشياء» وقال : ٢٤

(٢١) راجع ما مضى في البحث عن تاريخ ولادة المؤلف ره .

(٢٢) المبدء و المعاد : ٩٣ .

(٢٣) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ١٨٠ .

(٢٤) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٨٠ .

« فهذا غاية تحقيق هذا المقام . ولعله لم يثبت في شيء من الكتب إلى الآن إلا في هذا الكتاب . فاعرف أيها المتأمل فيه قدره ، وانظم هذه الفريدة في سلك نظائرها من الفرائد المنشورة فيه » .

والطريقة التي سلكها وإن نسبتها إلى الأقدمين من الحكماء الراسخين ، وهي قريب المأخذ مما قاله العرفاء الكاملون إلا أن هذا البيان والسياق لم يكن معهوداً قبله كما صرح - ره - به بعد بيان منهج الصوفية :

٤٥ « لكنهم لاستغرافهم بما هم عليه من الرياضات و المجاهدات ، وعدم تمرنهم في التعاليم البحثية ، والمناظرات العلمية ربما لم يقدرُوا على تبين مقاصدهم ، وتقرير مكاشفاتهم على وجه التعليم » .

وقال في شرحه للأصول من الكافي :

٤٦ « وهذه المسألة بعينها كمسألة الوجود . ووزان كل منهما وزان الآخر . ولم أرفي وجه الأرض من له اطلاع على احدهما ، ولا صادفت أيضاً في كتب واحد من الحكماء والفضلاء كلاماً يدل على تحقيق الحال وكنهه .  
المقال فيهما ... »

و استظهر بعض الفضلاء أن هذه العقيدة لم تستكمل لديه حين تأليفه لكتاب المبدأ والمعاد ، لعدم سلوكه فيه على هذا السياق . ولكن الاوفق أن السبب ما أشار إليه في الشواهد الربوبية :

٤٧ « مناط علمه [تعالى] الكمالي بالممكنات ليس كما ذهب إليه المشاؤون ... ولا ما ذهب إليه أفلاطن ... ولا الذي استراحت إليه قلوب المتأخرين بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سوى هذه الطرق المذكورة

(٤٥) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٨٤ .

(٤٦) الفصل الحادي عشر من شرح الحديث الأول من باب جوامع التوحيد ص ٣٣٧ .

(٤٧) الشواهد الربوبية : ٣٩ .

ولا أرى في التنصيص عليه مصلحة ، لغموضه وعسر إدراكه على أكثر الأقسام . « الأفهام » .

ويؤيد ذلك إشارته - ره - في كتاب المبدأ والمعاد إشارة سريعة قال بعده :  
«<sup>٤٨</sup> وهذا الذي ذكرناه انموزج قليل مما ألهمنيه ربي ، وجعله قسطين من الحكمة المضمون بها على غير أهلها . بعد ما كتبت أوائل هذا المختصر موافقاً للطريقة المشهورة . وقد بسطنا الكلام في تحقيق هذا المذكور وما يتفرع عليه من الأحكام في المواضع اللانقة بها » .

### ز - بسيط الحقيقة كل الأشياء

«<sup>٤٩</sup> إن واجب الوجود بسيط الحقيقة غاية البساطة . وكل بسيط الحقيقة كذلك ، فهو كل الأشياء . فواجب الوجود كل الأشياء لا يخرج عنه شيء من الأشياء ... » .

«<sup>٥٥</sup> هذا من الغوامض الإلهية التي يستصعب إدراكه إلا على من آتاه الله من لدنه علماً وحكمة . لكن البرهان قائمٌ على أن كل بسيط الحقيقة كل الأشياء الوجودية ، إلا ما يتعلق بالنقائص والأعدام ... » .

وهذه القاعدة أيضاً ، وإن كانت موروثه عن الأقدمين ، إلا أن بيانها واستخدامها في حل شتى المسائل التوحيدية - سيما في مسألة علم الواجب تعالى كما مضى - من اختصاصات صدر المتألهين - ره - قال :

«<sup>٥١</sup> وهذا مطلب شريف لم أجد في وجه الأرض من له علمٌ بذاك »

(٤٨) المبدء والمعاد : ١٩٤ و ١٩٥ .

(٤٩) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٤٩ .

(٥٠) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ١١٠ .

(٥١) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٤٠ .

مسألة المثل أو أرباب الأنواع كان من أقدم الأزمنة معركة آراء المفكرين .  
وأول من اشتهر بالاعتقاد بها أفلاطون . و لم يقبلها أرسطو . وذلك من مفارق الطرق  
المشهورة بين هذين الفيلسوفين . ثم مشى المشاء من تابعي أرسطو مصرّاً على  
نفيها وردّها ، و أورد الشيخ كلاماً مشبعاً نافيّاً لها في الشفاء<sup>٥٢</sup> . والشيخ الاشراقي  
مال إلى القول بها ، و قال في حكمة الإشراق :

<sup>٥٣</sup> « و صاحب هذه الأسطر كان شديد الذبّ عن طريقة المشائين في إنكار  
هذه الأشياء ، عظيم الميل إليها . و كان مصرّاً على ذلك لولا أن رأى  
برهان ربّه ... » .

و صدر المتألهين انظّم إلى افلاطون ، و قال :

<sup>٥٤</sup> « وقد حققنا قول هذا العظيم وأشياخه العظام بوجه لا يرد عليه شيء من  
النقوض والابرادات » .  
إلا أنه يزعم أن :

<sup>٥٥</sup> « لم يتيسر لأحد من الفلاسفة بعد عصر السابقين الأولين تحقيقها و  
تهذيبها عن المطاعن و الشكوك ، إلا لبعض من هذه الأمة المرحومة » .  
<sup>٥٦</sup> « ولا أظن أحداً في هذه الأعصار الطويلة بعد ذلك العظيم ، و من  
يحدو حدوه بلغ إلى فهم غرضه و غور مرامه باليقين البرهاني ، إلا واحد  
من الفقراء الخاملين المنزوين » .

(٥٢) الشفاء الالهيات ، الفصل الثاني و الثالث من المقالة السابعة .

(٥٣) مجموعة مصنفات شيخ الاشراق : ج ٢ ص ١٥٦ .

(٥٤) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٣٠٧ .

(٥٥) العرشية : ٢٤١ .

(٥٦) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٥٠٧ .

و الذي يقول به صدر المتألهين في هذه المسألة :

٥٧ « إن لكل نوع من الأنواع الجسمانية فرداً كاملاً تاماً في عالم الإبداع هو الأصل و المبدأ . و سائر أفراد النوع فروع و معاليل و آثار له . و ذلك لتمامه و كماله لا يفتقر إلى مادة و لا إلى محلّ متعلق به . بخلاف هذه ، فإنها لضعفها و نقصها مفتقرة إلى مادة في ذاتها أوفي فعلها ... »

ط - النفس جسمانية الحدوث و روحانية البقاء :

النفس و كيفية وجودها و تكوّنها كانت من أقدم الأزمنة مطرح الأفكار و مورد الآراء . و قد اشتهر فيها رأيان : أحدهما من أفلاطون بقدمها . و ثانيهما من أرسطو بحدوثها . و مال إلى كلّ منها فريق .

الإشكالات الموجهة على القول الأول كانت تبعد المفكرين عن قبوله . كما كانت النصوص المتعددة المأثورة في خلق الأرواح قبل الأجساد لا تسمح بالميل إلى الثاني . على أن هناك معضلة ثانية ، و هي كيفية تأثير الجسم في النفس مع تجرّدها .

و لم تنجح الجهود الكثيرة حتى جاء صدر المتألهين و أظهر قوله المشهور بكون النفس جسمانية الحدوث و روحانية البقاء ، و أن اشتغال العلة في مرتبتها الوجودية على وجود المعلول يرفع التناقض عن قدم وجود النفس مع حدوثها .

٥٨ « و أما الراسخون في العلم ، الجامعون بين النظر و البرهان و بين الكشف و الوجدان ، فعندهم إن للنفس شؤوناً و أطواراً كثيرة ، و لها مع بساطتها أكوانٌ وجودية ، بعضها قبل الطبيعة ، و بعضها مع الطبيعة

(٥٧) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٦٢ .

(٥٨) الاسفار الاربعة : ج ٨ ص ٣٤٦ .

و بعضها بعد الطبيعة . و رأوا أن النفوس الإنسانية موجودة قبل الأبدان بحسب كمال علتها و سببها . و السبب الكامل يلزم المسبب معها . فالنفس موجودة مع سببها . لأن سببها كامل الذات تامّ الإفادة . و ما هو كذلك لا ينفكّ عنه مسببه . لكن تصرفها في البدن موقوفٌ على استعداد مخصوص و شروط معينة . و معلوم أن النفس حادثة عند تمام استعداد البدن ، و باقية بعد البدن إذا استكملت

٥٩ « فالحق إن النفس الإنسانية جسمانية الحدوث والتصرف ، روحانية البقاء والتعقل . فتصرفها في الأجسام جسماني . و تعقلها لذاتها و ذات جاعلها روحاني » .

### ي - النفس في وحدتها كلّ القوى

نقل عن الفلاسفة في قوى النفس قولين :

٦٠ « فذهب بعضهم إلى أن النفس واحدة... تفعل الأفعال بذاتها، لكن بواسطة آلات مختلفة ، يصدر عن كل قوة خاصة فعل خاصّ منها - و هو مذهب الشيخ الرئيس ، و من في طبقتة - و منهم من قال: إن النفس ليست بواحدة ، ولكن في البدن نفوس عدّة بعضها حسّاسة ، و بعضها مفكّرة ، و بعضها شهوانية ، و بعضها غضبية » .

٦١ « وستعلم إن لكل بدن منّا نفساً واحدة ، و إن سائر القوى معلولة لها منشعبة منها في الأعضاء . هذا على ما اشتهر عند أئمة الحكمة من المتأخرين . و أما الذي استقرّ عليه اعتقادنا ، فهو أن النفس كلّ القوى .

(٥٩) الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ٣٤٧ .

(٦٠) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٥٧ .

(٦١) الاسفار الاربعة : ج ٨ ص ٥١ .

و هي مجمعها الوجداني ، و مبدؤها و غايتها » .

و هذا المنهج مما استفاده - ره - من كلمات العرفاء حول التوحيد الأفعالي ، فشبّه به أمر النفس و أفعالها في مملكتها . كما استفاد مما قال في النفس في مسائل أخرى و مثلها على أمر النفس :

٦٢ « و هذا الإشكال مما عرضته على كثير من فضلاء العصر، و ما قدر

أحد على حله . إلى أن نور الله قلبي و هداني إلى صراط مستقيم ... و

ذلك إني نظرت إلى نفسي فوجدتها إنية صرفة ... »

كما أن من المسائل التي استعان في توضيحها بأمر النفس مسألة التوحيد الأفعالي أيضاً :

٦٣ « ما أشد إعانة و تيسيراً في هذا الباب مطالعة كتاب النفس الإنسانية

... فعليك أن تتدبّر في كتاب النفس و تتأمل في الأفعال الصادرة عن

قواها ، حتى يظهر لك أن الأفعال الصادرة ... »

يا - التجرد البرزخي للقوة الخيالية :

قال قدس سره :

٦٤ « هذا و إن كان مخالفاً لما عليه جمهور الحكماء - حتى الشيخ ومن

يحدو حدوه - لكن المتبّع هو البرهان . والحق لا يعرف إلا بالبرهان

لا بالرجال » .

٦٥ « و لم أرفي شيء من زُبر الفلاسفة ما يدل على تحقيق هذا المطلب

٦٢) الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ٢٥٥ .

٦٣) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٣٧٧ .

٦٤) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٤٧٥ .

٦٥) الاسفار الاربعة : ج ٣ ص ٤٧٩ .



و القول بتجرد الخيال و الفرق بين تجردها عن هذه العالم ، و بين  
تجرد العقل و المعقول عنها و عن هذا العالم جميعاً . و هذه من  
جملة ما آتاني الله ، و هداني ربي إليه . أشكره كثيراً على هذه النعمة  
العظيمة و نحمده عليها .

ثم فرّغ - ره - عليه تجرد النفس الحيوانية :

٦٦ « قد ألهمنا الله بفضلته وإحسانه برهاناً مشرقياً على تجرد النفس الحيوانية  
التي لها قوة التخيل عن مواد هذا العالم و عوارضها » .  
وقد فسّر « عجب الذنب » - الذي عبّره في الحديث عن الباقي من بدن الإنسان  
بعد الموت - بالقوة الخيالية :

٦٧ « واختلفت العلماء في معناه . فقيل : هو العقل الهولاني . وقيل : بل  
الهولولي . وقال أبو حامد الغزالي : إنها هو النفس ، وعليها تنشأ النشأة  
الآخرة . و قال أبو يزيد الوقواقى : هو جوهرٌ فردٌ يبقى من هذه النشأة  
لا يتغير . وقال الشيخ العربي في الفتوحات إنه العين الثابت من الإنسان  
وقال المتكلمون : إنه الأجزاء الأصلية . وعندنا : القوة الخيالية ، لأنها  
آخر الكوان الحاصلة في الإنسان من القوى الطبيعية » .

#### يب - بطلان التناسخ

التناسخ بمعنى انتقال النفس من بدن هي متعلقة به إلى بدن آخر و اشتغالها  
بتدبيره ، مردودٌ عند جمهور الحكماء و المتكلمين الإسلاميين . وقد ذكروا في  
بطلانه وجوهاً ، إلا أن صدر المتألهين لم ير الوجوه المذكورة تامةً غير ذي خلل  
وأقام بنفسه برهاناً آخر مبتتياً على الحركة الجوهرية :

(٦٦) مفاتيح الغيب ٥٠٩ .

(٦٧) الاسفار الاربعة . ج ٩ ص ٢٢١ . راجع ايضاً مفاتيح الغيب . ٦٠٥ .

٦٨ « ونحن بفضل الله وإلهامه عَلَّمنا ببرهان قوي على نفي التناسخ مطلقاً ، سواء كان بطريق النزول أو الصعود . وهو أن النفس - كما علمت مراراً - لها تعلق ذاتي بالبدن . والتركيب بينهما تركيب طبيعي إتحادي ، وأن لكل منهما مع الآخر حركة ذاتية جوهرية ... » .

٦٩ « فالمصير في دفع مفسدة التناسخ إلى ما ذكرناه سابقاً مما تفرّدنا ببيانه وجعله الله قسطين من الحكمة المتعالية و المعرفة الدينية ، كسائر نظائره التي ألهمنا الله بها بفضل فيضه وإحسانه ... » .

### بيج - إمكان الأخصّ

من القواعد المشهورة التي وضعها المعلم الأول « قاعدة إمكان الأشرف » . التي تشير إلى عدم تنزّل الوجود إلى المرتبة الأخصّ ما لم تستوف المرتبة الأشرف و لم يقع له المرور على جميع المراتب المرتبة قبله . و صدر المتألهين - ره - أيضاً وضع كفوفاً لهذه القاعدة ما يكملها ، و هي « قاعدة إمكان الأخصّ » بيّن أن الوجود لا يصل في القوس الصعودي إلى ممكن أشرف ما لم يقع له المرور على جميع الدرجات الأخصّ منه في هذا القوس .

٧٠ « كما يمكن إثبات الموجودات المتوسطة بقاعدة إمكان الأشرف يمكن إثبات كثير منها بقاعدة أخرى ، لنا أن نسميها قاعدة إمكان الأخصّ » .

٧١ « و البرهان عليه مستفاد من قاعدة إمكان الأشرف ، و قاعدة أخرى

(٦٨) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٢ .

(٦٩) المبدء والمعاد : ٣٧٩ .

(٧٠) الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ٢٥٧ .

(٧١) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٣٤٢ .

هي قاعدة إمكان الأخرس . أما الأولى فموروثة عن المعلم الأول ، و  
أما الثانية فنحن واضعوها بعون الله .

### يد - المعاد الجسماني :

الاعتقاد بالمعاد أصل مقبول في جميع الأديان الإلهية ، ومن أصول الاعتقاد  
في الدين الإسلامي . و المستفاد من ظواهر الكتاب و السنة كونه جسمانياً و  
روحانياً .

و لم يتمكن الفلاسفة و المتكلمون من إثبات هذا الأصل جسمانياً ، و  
اعتمدوا في ذلك على ما جاء به الوحي . قال الشيخ :

٢٢ « يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع ، و لا سبيل إلى  
إثباته إلا من طريق الشريعة و تصديق خبر النبوة ، و هو الذي للبدن  
عند البعث . »

و لكن صدر المتألهين يدعي أنه تمكن من إثبات المعاد الجسماني و بعد ذلك  
من أبرز ميزات حكمته المتعالية .

٢٣ « و أما بيانه بالدليل العقلي ، فلم أرفى كلام أحد إلى الآن . »

٢٤ « و إنني لم أر أحداً من الفضلاء عنده خبر تحقيق في هذا المرام  
الذي هو قرّة عيون الكرام ، و لا وجدت في كلام أحد من فحول علماء  
الإسلام من السابقين و اللاحقين ما كان فيه شفاء لعليل هذا الداء العضال...  
و قليل من فحول أساطين الحكماء الربانيين من حقق علم المعاد  
الجسماني على النهج اليقيني »

(٧٢) الشفاء : الالهيات ، الفصل السابع من المقالة التاسعة .

(٧٣) الشواهد الربوبية : ٢٧٠ . مفاتيح الغيب : ٣٠٥ .

(٧٤) تفسير سورة السجدة : ٦٣ .

٧٥ « فاعتقادنا في حشر الأبدان بسوم الجزاء هو أن يبعث من القبور أبدان إذا رأيت كل واحد منها لقلت هذا فلان . و ذلك فلان - إعتقاداً مطابقاً للواقع . لا أن تكون تلك الأبدان مُثلاً و أشباحاً للأشخاص الإنسانية. وذلك لأن المعلوم من الآيات والمفهوم من الشرائع والديانات أن المعاد في المعاد هو مجموع النفس و البدن بعينهما ، دون مجرد النفس ... و ليس بواجب في كل فرد من أفراد الإنسان أن يحشر مع بدن من الأبدان . بل الكاملين في العلوم إنما يحشرون إلى الله مفارقين عن الأجسام الكلية » .

و إذ الأمور الأخروية خارجة عن هذا الدنيا فلا يتمكن العقل من إدراك الواقعات الأخروية :

٧٦ « و إياك أن تستشرف الاطلاع عليهما من غير جهة الخبر والايان بالغيب ، بأن تريد أن تعلمها بعقلك المزخرّف و دليلك المزيف ، فتكون كالأكمه الذي يريد أن يعلم الألوان بذوقه أو شمته أو سمعه أولمسه . و هذا عينُ الجُحود و الإنكار لوجود الألوان . فكذلك الطمع في ادراك أحوال الآخرة بعلم الاستدلال و صنعة الكلام عين الجحود لها و الإنكار لها ... »

ثم إن الحكيم الإلهي الآغا علي المدرّس ، لم ير التمامية في قول المؤلف ، ونهج طريقاً يراه أكمل و أقرب إلى الجسمانية في حشر الأبدان ، و إن انتقده و أجاب عنه البعض الآخر .

يه - صيرورة الإنسان مختلف الحقيقة بحسب الباطن

هذا البحث يتبع كلامه - ره - في كون النفس جسمانية الحدوث وروحانية

(٧٥) تفسير سورة السجدة : ٧٣ .

(٧٦) تفسير سورة يس : ١٥٠ .

٧٧ « إن النفس الإنسانية هي آخر الصور الجسمانية و أفضلها ، و أول المعاني الروحانية و أدونها . لأنها جسمانية الحدوث روحانية البقاء ، و أنها إنما تحدث بسبب استعداد البدن و تبقى بسبب ملكات نفسانية راسخة ، تصير صورة ذاته و تخرج بها من القوة إلى الفعل ... و كما أن الله خلق في هذا العالم من المادة الجسمانية أنواعاً من الحيوانات كالسباع و البهائم و الوحوش و الحيات و العقارب ، فكذلك يخلق في الآخرة من المادة النفسانية من الإنسان أنواعاً من المخلوقات ... و الإنسان نوع واحد في هذا العالم ... و ستصير أنواعاً من أجناس كثيرة متخالفة . و في القرآن آيات كثيرة دالة على ما ذكرناه من التحقيق . و هو مما ألهمنا الله به خاصة من بين أهل النظر . و لم أجده في كلام أحد من الحكماء و غيرهم ... »

٧٨ « و هذا المذهب - أي كون النفوس الإنسانية في أوائل فطرتها من نوع ، و صيرورتها في الفطرة الثانية أنواعاً و أجناساً كثيرة - و إن لم يكن مشهوراً من أحد من الحكماء ، لكنه ما ألهمنا الله تعالى و ساق إليه البرهان . »

#### يو - خلود الكفار في العذاب

اختلف المتكلمون في مسألة خلود الكفار في العذاب و أظهروا فيه آراء مختلفة نقلها صدر المتألهين في موارد مختلفة من تأليفاته و انتقدها و لم يظهر رأياً خاصاً في الأغلب . ثم إنه نقل في مطاوي هذا البحث نظرية محيي الدين ببقاء الكفار في جهنم مخلداً و صيرورة العذاب عذاباً لهم لاعتيادهم بها . و صار ذلك

(٧٧) أسرار الايات : ١٤٢ .

(٧٨) الاسفار الاربعة : ٢٠ / ٩ .

النقل دون النقد دليلاً للناظرين لحساباتهم كونه متذبذباً بما يقوله الشيخ و يفسره القيصري .

إلا انه يظهر مما قاله في أواخر الرسالة العرشية التي سنشير إلى أنها من أواخر تأليفاته - ره - عدم اعتقاده بهذا القول :

« و صاحب الفتوحات المكية أمعن في هذا الباب و بالغ فيه ... و أما أنا والذي لاح لي بما أنا مشغول به من الرياضات العلمية و العملية ان دار الجحيم ليست بدار نعيم وإنما هي موضع الألم و المحن و فيها العذاب الدائم ... و ليس هناك موضع راحة و اطمئنان ... »

و قد المح رحمه الله إلى عدم هذا الاعتقاد في تفسير قوله تعالى : خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... حيث قال :

٢٩ « ... فلذلك كان موجب تحيّر الحكماء و تدهّش أفاضل العرفاء . حتى أن الشيخ العارف السبحاني محيي الدين الأعرابي و تلميذه الشيخ صدر الدين القونوي قدّس سرهما - صرّحا القول بانتهاء مدة العقاب و عدم تسرمد العذاب ، و تبعهما غيرهما من شراح الفصوص و من يحدو حدوهم » .

## موقف صدر المتألهين تجاه الفرق المختلفة

ننظر في هذا الفصل نظرة سريعة في موقف المؤلف تجاه بعض الفرق و المذاهب المختلفة على اختلاف شؤونهم وتشعب طرقهم ، لأن له - ره - موقف مخصوص تجاه كل فريق ، على أن التفصيل و استقصاء هذا البحث يتطلب مجالاً أوسع .

### ألف : قدماء الحكماء :

١ « والجزم حاصل لهذه الفقراء أن مذهب اولئك الأساطين الواصلين إلى منازل الأولياء السراسخين ، المقتبسين أنوارهم من مشكاة الأنبياء الكاملين بعينه مذهب أهل الحق واليقين » .

٢ « وإن كان قدماؤهم ، لكونهم على مسلك الأنبياء ، قلما أخطؤا في المباني والأصول المهمة . وما اشتهر منهم من القول بقديم العالم و نفي القدرة عن الباري وعدم العلم منه بالجزئيات و إنكار الحشر الجسماني كل ذلك افتراء عليهم وأفك عظيم » .

فهو يعتقد أنهم أخذوا معتقداتهم عن الأنبياء والاولياء و الخلافات المشاهدة في

(١) رسائل صدر المتألهين : رسالة الحدوث ، ٧ .

(٢) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٥ .

أقوالهم راجعة إلى ما في كلماتهم من الرموز المتعمدة بها صوتاً للحكمة عن غير مستحقيها .

٣ « وما ظهر لنا من آثارهم ونتائج أفكارهم يدل دلالة واضحة على أن مبنى رموزهم و أسرارهم ليس على المجازفة والتخمين ولا على مجرد الظن والتخيل من غير يقين . بل أمورهم كانت مبنية على المكاشفات النورية والبراهين اليقينية... ثم أشاروا إلى نبذ منها حسب ما وجدوه مناسباً للنفوس المستعدين » .

٤ « ثم لا يخفى أن عادة الأقدمين من الحكماء تأسياً بالأنبياء أن ينوا كلامهم على الرموز والتجوّزات ، لحكمة رأوها ومصلحة راعوها ، مداراة مع العقول الضعيفة وترؤفاً عليهم . وحذراً عن النفوس المعوجة العسوفة وسوء فهمهم ... » .

٥ « وبالجملة : القدماء لهم ألغاز ورموز ، وأكثر من جاء بعدهم ردّ على ظواهر كلامهم ورموزهم إما بجهله أو غفلته عن مقامهم ، أولفرط حبه لرئاسة الخلق » .

و يظهر مدى حسن اعتقاده فيهم في البحث عن حدوث العالم . إذ يسرد ، عنهم الأقوال المختلفة ، ثم يجتهد في جمعها وتوجيهها . ويقول في الخاتمة :

٦ « فأقول مخاطباً لهم ومواجهاً لأرواحهم: ما أنطق برهانكم يا أهل - الحكمة ، وأوضح بيانكم يا أولياء العلم والمعرفة . ما سمعت شيئاً منكم إلا مجتدكم وعظمتكم به . فلقد وصفتم العالم وصفاً عجبياً إلهياً و علمتم آلاء الله علماً شريفاً برهانياً ونظمتم السماء والأرض نظماً عقلياً

(٣) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٤) الاسفار الاربعة : ج ٨ ص ٣٦٤ .

(٥) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٢١١ .

(٦) رسائل صدر المتألهين : رسالة الحدوث ١٠٥ .



وربتم الحقائق ترتيباً حكيمياً حقيقياً . جزاكم الله خيراً الجزاء . فله دزّ  
قوة عقلية سرّت فيكم، وقومتكم وصانت عليكم ، وعصمتكم من الخطأ  
والزلل ، وأزاحت عنكم الآفة والخلل ، والأسقام و العلل .  
والذين سمّاهم واستشهد بأقوالهم منهم : انباذقلس ، اسكندر الافروديسي،  
انكساغوراس ، آغاثاذيمون ، أفلاطون ، أرسطو ، أنكسيمايوس ، أبيقورس ،  
أبرقلس ، أرسلانوس ، أفراطويس ، أرشميدس ، تامسطيوس ، تاليس ، ذيمقراطيس،  
فيثاغورس ، زينون ، ديوجانس ، هرمس ، فرفوريسوس ، حرينوس ، يوداسف ،  
سقراط .

ولما لم يكن لغير أرسطو وأفلاطون كتب موجودة عنده، فما ينقل من كلماتهم  
مأخوذة عمّا في كتب السابقين كابن سينا والفخر الرازي ، وفي الأكثر عن الملل و  
النحل للشهرستاني ، والأمد على الأبد للعامري ، و تاريخ الحكماء للشهرزوري  
و غيرها .

ونقل في موارد عن الرسالة الذهبية لفيثاغورس ، وذكر أنها « موجودة  
عندنا »<sup>٧</sup> كما ذكر عن زينون أن<sup>٨</sup> « لهذا الفيلسوف برهان مخصوص ... نقله بعض  
أفاضل المتأخرين في تصانيفه ، وتلك الرسالة موجودة عندنا » .

## أفلاطون

من أعظم الحكماء المتقدمين عند صدر المتألهين . وعنه اشتهر القول بالمثل  
وقال المؤلف بعد تنقيحه ودفع الإيرادات عنه :<sup>٩</sup>

(٧) الاسفار الاربعة ج ٨ ص ٣٠٨ . الشواهد الربوبية : ٢١٩ . راجع أيضاً كسر  
أصنام الجاهلية : ١١٥ وما علق عليه محققه .

(٨) مفاتيح الغيب : ٤٠١ والا سفار الاربعة : ج ٥ ص ٢٣٥ ويحتمل كون الرسالة  
المشار إليها رسالة الفاضل المذكور . لانفس رسالة زينون .

(٩) الأسفار الاربعة : ج ٣ ص ٥٠٧ .

« لا أظن أحداً في هذه الأعصار الطويلة بعد ذلك العظيم ، ومن يحنو-  
حذوه بلغ إلى فهم غرضه ، وغورمرامه باليقين البرهاني إلا واحداً من  
الفقراء الخاملين المنزوين » .

ولذلك يجتهد في تصحيح ما اشتهر من آرائه المخالفة لرأيه، وتأويلها إلى مايناسب  
منهجه المختار، مثل قوله في النفس إنها قبل البدن .

### أرسطو

المعلم الأول - كما هو معروف - من أكبر الفلاسفة تأثيراً في تاريخ الفكر  
والعلم . وصدر المتألهين ينظر إليه نظراً الإعجاب والتحسين :

<sup>١٥</sup> « وهو المحمود إسمه ونعته في شريعتنا . حتى أنه نقل عن النبي ﷺ  
أنه قال في حقه : هو نبيٌّ من الانبياء جهله قومه . وقال لعليّ عليه السلام : يا  
أرسطاطاليس هذه الأمة . وفي رواية أخرى : يا علي أنت أرسطاطاليس  
هذه الأمة و ذوقنيها » .

<sup>١١</sup> « و أكثر كلمات هذا الفيلسوف الأعظم مما يدلّ على قوّة كشفه ، و  
نور باطنه ، وقرب منزلته عندالله ، وأنه من الأولياء الكاملين . ولعل  
اشتغاله بأمر الدنيا وتدبير الخلق وإصلاح العباد وتعمير البلاد كان عقيب  
تلك الرياضات والمجاهدات، وبعد أن ملكت نفسه ، وتمت ذاته ، وصار  
في كمال ذاته بحيث لم يشغله شأن عن شأن . فأراد الجمع بين الرئاستين  
وتكميل النشاطين فاشتغل بتعليم الخلق وتهذيبهم ، وإرشادهم سبيل  
الرشاد ، تقرباً إلى رب العباد » .

ولكن القول الفصل في أرسطو يواجه مشكلة بين القدماء ، وهي انتساب اثولوجيا

(١٥) التفسير : ج ٣ ص ١٠٥ .

(١١) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ١٠٩ .

إليه ، والاختلاف البارز بين ما جاء فيه، وما في المؤلفات الأخرى لهذا الفيلسوف وقد تكلف صدر المتألهين أحيانا لتقريب هذه الاختلافات :

١٢ « ... التي عجزت العقلاء الذين جاؤوا من بعده (أفلاطون) عن إدراك هذه المثل النورية على وجهها و الإذعان بوجودها ، ماخلا المعلم الأول. ربما مال إلى صحّة القول بها في بعض كتبه و أنكرها في الأكثر. و كأنه يرى في الإنكار مصلحة » .

١٣ « و ذلك بناء على مصلحة رآها أو قاعدة راعاها في بساب التعليم ، لأن من دأب الحكيم أن يتكلّم مع كل واحد على مقدار سعة فهمه و طاقة إدراكه » .

١٤ « فقد تبيّن و تحقّق بما نقلناه - من كلمات هذا الفيلسوف الأعظم ونصوصه و إشارات - أنه كان مذهبه اعتقاد حدوث العالم و اعتقاد بواره و ... فإذا ن مازعمه الجمهور و اشتهر بينهم أنه كان يعتقد قدم العالم ، فلعل مراده قدم ما سوى عالم الأجسام و الجسمانيات » .

١٥ « و كأنه لم ينظر إلى كتاب أثولوجيا . أو كأنه لم ينسبه إلى أرسطو - طاليس ، بل إلى أفلاطون » .

١٦ « إن المشهور أن مذهب الفيلسوف الأول أن علمه تعالى بارتسام صور المعلومات . و هو خلاف ما وقع منه التصريح به في أثولوجيا » . فالشطر العظيم من مدائحه لأرسطو ينشأ مما يراه و يقرره في أثولوجيا ، و يراه

---

(١٢) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٢١٦ . رسائل صدر المتألهين : رسالة العدوث ٧٩

(١٣) تعليقات حكمة الاشراق : ٢٥٢ .

(١٤) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٢٣٢ .

(١٥) العرشية : ٢٤٠ .

(١٦) الشواهد الربوبية : ٥٥ .

مطابقاً لآرائه :

١٧ « و كلامه في النشآت الثلاث للإنسان يطابق القرآن كما وقعت الإشارة إليه » .

١٨ « فما أشد نور عقله ، و قوة عرفانه ! وما أشمخ مقامه في الحكمة الإلهية ، و أعلى مرتبته ! حيث حقق هذه المسألة على وجه وقف أفكار من لحقه من المتفكرين دون بلوغ شأوه . و جمهور الحكماء الإسلاميين كالشيخ أبي علي ، و من في طبقته لفي ذهول عما ذكره » .  
و لسولا هذا الانتحال لما خلص المعلم الأول من حملات صدر المتألهين و مخالفاته له :

١٩ « فإن قلت : قد خالفت المعلم الأول ، حيث يرد على هذا المذهب ؟ قلت : الحق أحق بالإتباع . مع أن رده إما على ما يفهمه الجمهور من ظاهر كلام أفلاطون و الأقدمين . فإن من عادتهم بناء الكلام على الرموز و التجوزات - خصوصاً في هذا المبحث الذي يخرس فيه الفصحاء و تكلّم منه الأفهام فضلاً و شرفاً . و إما لشوب حبه للرئاسة اللازم عن معايشرة الخلق و خلطة الملوك و السلاطين . و لإفكتابه المعروف بأثولوجيا يشهد بأن مذهبه وافق مذهب استاذه في باب وجود المثل العقلية للأنواع و الصور المجردة النورية » .

و مما يؤيد عنده قداسة أرسطو حسبانه أنه :

٢٥ « كان أرسطاطاليس هو معلم اسكندر المعروف بذي القرنين ، المذكور

(١٧) التفسير : ج ٣ ص ١٠٧ .

(١٨) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٧١ .

(٩١) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٦٤ .

(٢٥) التفسير : ج ٢ ص ٣٦١ .

في القرآن ممدوحاً مكرماً». في تفسيره له أبو عبد الله عليه السلام في قوله

اللعن

فرفوريوس :

القول باتحاد العاقل بالمعقول ، واتحاد النفس بالعقل الفعّال اشتهر من فرفوريوس و لذلك يعظمه صدر المتألهين و يراه من أعظم تلامذة المعلم الأول :  
« و من عظماء الحكماء المتألهين ، الراسخين في العلم و التوحيد فرفوريوس صاحب المشائين واضع ايساغوجي . و هو عندي من أعظم أصحاب المعلم الأول ، و أهدى القوم إلى عيون علومه ، و أرشدهم إلى إشاراته و جميع ما ذهب إليه في علم النفس و علم الربّ و كيفية المعاد ، و رجوع النفس إلى عالم الحق و دار الثواب . »  
« و هو عندي أعظم تلامذة ذلك الحكيم الموحد الرباني لوثاقة قوله و متانة رأيه ، و حسن سماعه ، و اهتدائه بكلام معلم القوم بالتوحيد و المعاد ، ما لم يسمع غيره ، و لم يهتد به من سواه من شركائه في التعليم و الصناعة . »

## ب - الفلاسفة المسلمون

راجع صدر المتألهين أقوال أكثر الفلاسفة المسلمين و تأثر بهم و انتقد أقوالهم . أشهرهم الفارابي و ابن سينا و المحقق الطوسي و الشيخ الإشراقي و استاذه المحقق الداماد . ثم بعض متابعيهم كبهمنيار و شارح حكمة الإشراق و غيرهم .

أبونصر الفارابي

يسميه بالمعلم الثاني - كما هو معروف - وأنه من متابعي أرسطو، ومن المشائين

(٢١) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٢٤٢ .

(٢٢) التفسير : ج ٣ ص ٣٠٤ .

و يكثر الثناء عليه . و كثيراً ما يستشهد بفقرات من كلماته كنصّ و إن نقدها وردّها  
أحياناً :

٢٣ « وأما المذهب الأخير الذي اختاره الشيخ أبو نصر في الجمع بين  
الرأيين والشيخ المقتول في حكمة الإشراق ، فنحن قد أبطلناه كما  
مرّ ذكره » .

على أن ايجاز الرسائل وقلة التأليفات الباقية عن هذا العظيم حال دون  
صيرورة آرائه و كلماته محور المباحث في كتب صدر المتألهين .

ابن سينا

« شيخ فلاسفة الإسلام » ٢٤ و « فاضل الفلاسفة » ٢٥ الحكيم الذي يهتم -  
المؤلف دائماً بمراجعة آثاره و طرح أقواله في جميع المباحث . و يظهر شدة هذا  
الاهتمام من تعليقاته المشروحة على قسم الإلهيات من كتاب الشفاء . على أن هذه  
التعليقات من غرر تأليفات صدر المتألهين و عيونها .

٢٦ « و إنني لأجل محافظتي على التأدّب بالنسبة إلى مشايخي في العلوم  
وأساتيدي في معرفة الحقائق ، الذين هم أشباه آبائي الروحانية و أجدادي  
العقلانية ، من العقول القادسة و النفوس العالية ، لست أجد رخصة من  
نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس - عظم الله قدره  
في الناشئين العقلية و المثالية ، و رفع شأنه في الدرجتين العلمية و  
العملية - بالعجز عن دركه و العسر في معرفته » .  
و للشيخ الرئيس أثر في بناء الحكمة المتعالية لا ينكر ، فقد اجتهد قبل

(٢٣) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ١٩٢

(٢٤) تفسير سورة البقرة ، في تفسير الحروف المقطعة .

(٢٥) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٦) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٢٣٤ .

صدر المتألهين و الشيخ الإشراقي في إثبات المطالب العرفانية بالطريق البحثي  
سيما في النمطين الآخرين من كتاب الإشارات ، و سهل هذا الطريق الوعر لمن  
يأتي بعده من الحكماء .

ثم إن صدر المتألهين يخالفه في مواضع مهمة و براه عاجزاً عن الوصول  
إلى الحق فيها ، قال في كتاب الأسفار الأربعة :

٢٧ « والعجب أنه كلما انتهى بحثه إلى تحقيق الهويات الوجودية دون  
الأمر العامة والأحكام الشاملة ، تبدد ذهنه وظهر منه العجز . وذلك في  
كثير من المواضع :

منها منعه الحركة في مقولة الجوهر ...

ومنها إنكاره للصور المفارقة الأفلاطونية ...

و منها إنكاره لاتحاد العاقل بالمعقول . و كذا إتحاد النفس بالعقل  
الفعال ...

و منها تبدد ذهنه عن تجويز عشق الهيولى للصورة وقد أثبتناه .

ومن هنا إنكاره تبدل صور العناصر الى صورة واحدة معتدلة الكيفية ...

ومن هنا عجزه عن إثبات حشر الأجساد ...

ومن هنا رسوخ اعتقاده في تسرمد الأفلاك والكواكب و أزليتها .

ومن هنا أنه سأل بهمنيار في أسئلته : « ما السبب في أن بعض قوى النفس

مدرّكة وبعضها غير مدرّكة ، مع أن الجميع قوى لذات واحدة ؟ » فقال

في الجواب : « لست أحصل هذا » ...

ومن هنا أيضاً سأل قائلاً : « لو أنعم بشيء ثابت في سائر الحيوان والنبات

كانت المنّة أعظم ؟ » فقال : « لو قدرت » ...

ومن هنا أنه سأل : « هل تشعر الحيوانات الأخر سوى الإنسان بذواتها ؟ وما

البرهان عليه إن كان كذلك ؟ » فقال : « يحتاج أن أتفكر في ذلك » ...

(٢٧) الاسفار الأربعة : ج ٩ ص ١٠٩ الى ١٢٠ .

ومنها أنه سأل : « إن ما قيل : إن الصور الكلية إذا حصلت لشيء صار ذلك الشيء بها عقلاً . أمرٌ عجيبٌ !... » فأجاب بأن « معنى صار ، ليس أنه صار حينئذ ... بل معناه أنه دلّ على كونه كذلك . وهذه كلمة تستعمل مجازاً » ...

ومنها أنه قال في مراسلة وقعت بينه وبين بعض تلامذته... وقد سأله عن أشياء : « إنّي قد تأملت هذه المسألة فاستجدها ، وأجبت عن بعضها بالمقنع وعن بعضها بالإشارة ، ولعلّي عجزتُ عن جواب بعضها » ...  
ومنها أنه لما لم يظفر بإثبات تجرّد القوة الخيالية للإنسان ، صار متحيراً في بقاء النفوس الساذجة الإنسانية بعد البدن...

ومنها أنه زعم أن النفوس الفلكية لم يبق لها كمالٌ منتظرٌ إلا في أسهل غرض وأيسر عرض - وهي النسب الوضعية لأجسادها ...  
ومنها أنه ذهب إلى امتناع الاستحالة الجوهرية ، ومع ذلك اعترف بأن النفس إذا استكملت و تجرّدت عن البدن تصير عقلاً و سقط عنها اسم النفس ...

ومنها أنه لم يعرف معنى العقل البسيط ، ولم يحصل مفاده على الوجه الذي مرّ بيانه ...

ومنها أنه أبطل وأحال كون الصورة الجوهرية المفارقة علوماً تفصيلية للواجب تعالى بالأشياء ...

فهذه وأمثالها من الزلّات والقصورات إنمائشأت من الذهول عن حقيقة الوجود و أحكامها ، وأحكام الهويات الوجودية ، و صرف الوقت في علوم غير ضرورية - كاللغة ودقائق الحساب و فن ارثماطيقى و موسيقى و تفصيل المعالجات في الطب و ذكر الأدوية المفردة ، والمعاجين ، وأحوال الدرايات و السموم و المراهم و المسهلات ، و معالجة القروح و الجراحات و غير ذلك من العلوم الجزئية التي خلق الله لكل منها أهلاً ، وليس للرجال



الإلهي أن يخوض في غمرتها ...

... قال الشيخ في بعض مراسلاته إلى تلميذ التمس منه إعادة تصنيف ضاعَ منه في بعض الأسفار : ثم من هذا المعيد؟ ومن هذا المتفرغ من الباطل للحق؟ وعن الدنيا للآخرة؟ وعن الفضول للفضل؟! فقد انشبت في مخاليب الغير فما أدري كيف أتخلص...

أقول : فرضنا أن هذه الشواغل العائقة وقعت له على سبيل الجبر و الاضطرار ، من غير إرادة منه وإختيار . فمن الذي صنّف في العلوم - الجزئية التي هي من قبيل الصناعات والحرف مجلدات؟! أليس الاشتغال الشديد بها والخوض في غمراتها حجاباً عن ملاحظة الحق، عائناً عن ملازمته ، والعكوف على بابه ، والاستجلاب لأنوار علمه و مزيد إحسانه؟ .

ويظهر للمتأمل في هذه الكلمات إذعان صدر المتألهين بعقريّة الشيخ وذهنة الوقّاد إلا أنه يتأسّف ويتلهّف على صرّف هذه الفطانة البالغة ، إلى أمور يعوقها عن تمام الاهتمام بالعلم الإلهي والغرض الأصلي .

<sup>٢٨</sup> « ومن القبيح للمتكلم في هذه العلوم أن يطوّل في إيساغوجي وباب... ثم إذا جاء ووصل إلى عظام الأمور وحقائق الأسرار والأنوار التي هي الغاية القصوى و العمدة الوثقى قصّر و وقف، وأهمل في إيراد كثير من المهمّات فيها، وأخطأ في بعض ما أورده من المواضع والأبواب...» .  
ومن المواضع المهمة التي أتد - ره - ما قاله ابن سينا تفسير الشيخ للكلمات المقطّعة القرآنية . فقد نقل صدر المتألهين كلامه من الرسالة النيروزية في التفسير وكتاب أسرار الآيات واستحسنه .

(٢٨) تعليقات الشفاء : ١٧٦ .

## الشيخ الإشراقي

الإمام بمسير المسائل الفلسفية ، و الحركات الفكرية البشرية ينتج خضوع هذه الحركات لقوانين الحركة العامة ، وعدم وجود الطفرة فيها . فالعبور من الفلسفة المشائية إلى الحكمة المتعالية لم يمكن دون ظهور الفلسفة الإشراقية . والشيخ الإشراقي بإدخاله الشهود والكشف في الفلسفة و إيقافها جنب الاستدلال الفكري البحت أقام جسراً أمكن العبور لصدر المتألهين إلى فلسفته الخاصة وتقريبه بين العرفان والفلسفة .

قال الشيخ في مقدمة كتابه حكمة الإشراق بعد ذكر طريقه في مصنفاته

الأخر :

٢٩ « وهذا سياق آخر و طريق أقرب من تلك الطريقة و أنظّم و أضبط و أقلّ إتعباً في التحصيل . ولم يحصل لي أولاً بالفكر . بل كان حصوله بامر آخر ، ثم طلبت عليه الحجّة . حتى لوقطعت النظر عن الحجّة مثلاً ، ما كان يشككني فيه مشكك ...

٣٠ ... و كتابنا هذا لطالبي التأله و البحث . و ليس للباحث - الذي لم يتأله أولم يطلب التأله - فيه نصيب ، ولأئباحث في هذا الكتاب ورموزه إلامع المجتهد المتأله ، أو الطالب للتأله . و أقلّ درجات قارئ هذا الكتاب أن يكون قد ورد عليه البارق الإلهي ، و صار وروده ملكة له .»

وقال أيضاً :

٣١ « و إذا اعتبر رصد شخص أو شخصين في أمور فلكية ، فكيف لا يعتبر قول أساطين الحكمة و النبوة على شيء شاهدوه في أرصادهم

٢٩) مجموعة مصنفات شيخ الاشراق : ج ٢ ص ١٠ .

٣٠) مجموعة مصنفات شيخ الاشراق : ج ٢ ص ١٢ .

٣١) مجموعة مصنفات شيخ الاشراق : ج ٢ ص ١٥٦ .

الروحانية ؟ » .

و ترى صدر المتألهين أخذ يحتجّ بمثل مقاله مضيفاً إليه كلمات شارحه قطب الدين، فقال في الأسفار الأربعة :

«<sup>٣٢</sup> و إذا اعتبروا أوضاع الكواكب و أعداد الأفلاك بناءً على ترصّد شخص كأبرخس ، أو أشخاص كهو مع غيره بوسيلة الحسّ المثار للغلط و الطغيان ، فبأن يعتبر أقوال فحول الفلسفة المبتنية على أرصادهم العقلية المتكررة التي لا يحتمل الخطأ ، كان أحرى » .

ثم إنه جال في هذا الميدان في مجالٍ أوسع و أبعد ، وانتقد طريقة المدّعين لدرك مسائل العلم الأعلى بالبحث و الفكر - دون استعانة الكشف - و سفّه طريقهم و بّخهم أشدّ توبيخ - وقد مضى شيئاً من ذلك .

ولا يقف تأثر صدر الإشراقي في هذا فحسب . بل يوجد التشابه بينهما في كثير من الآراء الأصولية التي يتبنى عليها الحكمة المتعالية ، و لذلك نرى صدر المتألهين يعبّر عن الشيخ ؛ «عظيم التأله والبحث»<sup>٣٣</sup> و «الشيخ الجليل» .<sup>٣٤</sup> و لا ينسى تجليله حتى عندما يرى منه كلاماً يزعم أنه في غاية الوهن :  
«<sup>٣٥</sup> وهذا الجواب سخيفٌ جداً . و صدوره عجيبٌ عن باعثٍ حكيم » .

كما يظهر مدى اعتناؤه بالفلسفة الإشراقية من تعليقاته المشروحة على كتاب «حكمة الإشراق» التي هي مشحونة بالتحقيقات و الانتقادات و أنها من غرر تأليفات صدر المتألهين .

(٣٢) الاسفار الأربعة : ج ١ ص ٣٠٧ .

(٣٣) الاسفار الأربعة : ج ٥ ص ٩٨ .

(٣٤) الاسفار الأربعة : ج ٦ ص ٢٥٣ .

(٣٥) الاسفار الأربعة : ج ٧ ص ٣١٥ .

ولنشر إلى نماذج من أصول الحكمة المتعالية التي يوجد التشابه في جهات بينها و بين أقوال الشيخ الإشراقي ، على ما فيها أحياناً من الخلاف و البون البعيد بين الاعتقادين :

ألف : إصالة الوجود و وحدته التشكيكية. و إن كان الشيخ قائلاً بإصالة الماهية . ولكن التشابه ظاهر فيما يصوره من النور، والتشكيك فيه ، وما في كلام صدر بالوحدة التشكيكية ، مع تصريحاته الكثيرة بمساوقة النور و الوجود. على أن صدر المتألهين أيضاً يجتهد في تأويل كلامه ، و توجيهه إلى اصالة الوجود ، لشدة اعتنائه بهذا الشيخ وتجليله له .<sup>٣٦</sup>

ب - المثل النورية - التي كان المشائون ينكرونه غاية الإنكار . و الشيخ الإشراقي مال إلى قبوله، واحتج لإثباته في كتبه باحتجاجات ذكرها صدر المتألهين في أكثر تأليفاته ، وقال :

«<sup>٣٧</sup> وهذه أقوال هذا الشيخ المتأله في هذا الباب ، ولا شك أنها في غاية الجودة و اللطافة . لكن فيها أشياء ...»

و أشار إلى قصور الشيخ الإشراقي عن التفهّم الكامل لهذه المسألة في تعليقاته على حكمة الإشراق عند قول الشيخ الإشراقي :

«<sup>٣٨</sup> و لاتظنّ أن هـؤلاء الكبار - أولى الأيدي و الأبصار - ذهبوا إلى أن الإنسانية لها عقل هو صورتها الكلية ، و هو موجود بعينه في الكثيرين» .

فقال صدر المتألهين معلقاً عليه :

٣٦) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٤١١ .

٣٧) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٥٩ .

٣٨) مجموعة مصنفات شيخ الاشراق : ج ٢ ص ١٥٨ .

٣٩ « و المصنّف لم يقدر على تميم كلامهم ، وتحصيل مرامهم كغيره  
ممن تأخر منهم ... نعم ، ذهبوا إلى ذلك ... » .  
فصدر المتألهين يفترق في هذا الاعتقاد عن الشيخ إلا أن الشيخ صاحب الخطوة  
الأولى .  
ج - عالم المثال: قال صدر المتألهين بعد ذكر ما احتج به الشيخ الإشراقي  
على وجود عالم المثال :

٤٥ « أعلم أنا ممن يؤمن بوجود العالم المقداري الغير المادي ، كما  
ذهب إليه أساطين الحكمة و أئمة الكشف، حسبما حرّره وقرّره صاحب  
الإشراق أتمّ تحرير و تقرير . إلا أنا نخالف معه في شيئين ... »  
ثم ذكر اختلافه معه في الصور المتخيّلة و المرآتية .

د - علم الحق تعالى بالأشياء : كان اعتقاد مشاهير المشاء « القول بارتسام  
صوّر الممكنات في ذاته تعالى و حصولها فيه حصولاً ذهبنياً على الوجه الكلي »<sup>٤١</sup>  
و أظهر الشيخ الإشراقي القول بـكون وجود الأشياء في الخارج منطوقاً لعالميته  
تعالى ، فأثبت علمه تعالى بالجزئيات فعلمه تعالى بذاته كونه نوراً لذاته . وعلمه  
بالأشياء الصادرة عنه كونها ظاهرة له لإشراقه عليها - ويقول صدر المتألهين :  
٤٢ « و كان لي اقتداء به فيها فيما سلف من الزمان، إلى أن جاء الحق و  
أراني برهانه » .

فأثبت - ره - مستعيناً من قاعدة « بسيط الحقيقة كل الأشياء » إحاطة علمه بجميع  
الأشياء أزلاً و أبداً .

(٣٩) تعليقات حكمة الاشراق : ٣٧٣ .

(٤٠) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٣٠٢ .

(٤١) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ١٨٠ .

(٤٢) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٤٩ .

فهذه نماذج من الأمور التي سهّلت لصدر المتألهين - ره - إكمال الفلسفة المتعالية ، ورفع الاستعدادات التي انتهت إلى شهادة الشيخ لأجل اعتقاداته بأيدي الجهلة المتعالين و الأردال المتعاضمين .  
فانظر إلى صعوبة المسلك و وعورة الطريق ، و لاتفض عجباً من صراخات صدر المتألهين وتحاملاته على مدعي العلم والفهم ، البعيدين عن التفقه والتفكير .

٢٢ « اي عزيز مردمان را درين زمان از علم توحيد و علم إلهي خبري نيست . و من بنده در تمام عمر كسي نديدم كه از وي بسوئي ازين علم آيد » .

#### المحقق الطوسي :

« أفضل المتأخرين » ٢٣ « برهان الحكماء الإسلاميين » ٢٥ « سلطان المحققين ، حامل عرش الحكمة والتحقيق ، نصير الدين الطوسي ، قدس سره القدوسي » ٢٦ من أعظم الفلاسفة الإسلاميين قدراً و رأياً عند المؤلف .  
ويستند تعظيم صدره له مع جلاله قدره إلى سعيه في تقريب الفلسفة المشائية من الإشرافية و بالمآل جهده في بناء الحكمة المتعالية . ثم قيامه تجاه تحاملات المتكلمين - كالفخر الرازي و الغزالي والشهرستاني - و رد اعتراضاتهم وإجابة عن تشكيكاتهم .

على أنّ المحقق الطوسي بتأليفه كتاب تجريد الاعتقاد أدخل علم الكلام في طريق حكمتي صحيح ، و أزال عن حوزتها المطولات بلاطائل و الهديسانات

(٣٣) سه اصل : ١٠٦ .

(٣٤) الاسفار الاربعة : ١٤٩ / ٢ .

(٣٥) المبدء والمعاد : ٢٤٠ .

(٣٦) شرح الاصول من الكافي : ١٠٣ .

التي اهتمّ بجمعها و سردها بعض من كان قبله من المتكلمين . ثمّ إنا لانعرف بين العلماء الإسلاميين من يتلوه في الجمع بين القيام بالمناصب الوزارية في حكومة قاهرة مستعصية ، والتحقيق العميق في المسائل العقلية ، وسعة الاطلاع على العلوم النقلية و الطبيعية والرياضيه .

### السيد الداماد

هو أعظم أساتذة صدر المتألهين . وكان أكثر استفادته في العلوم العقلية منه قدس سره . ولذلك يعظّمه و يجلّله في موارد كثيرة من مؤلفاته أكبر تعظيم و تجليل :

٤٧ « وأخبرني سيدي وسندي وإستاذي في المعالم الدينية والعلوم الإلهية والمعارف الحقيقية ، والأصول اليقينية ، السيد الأجل الأنور، العالم - المقدس الأطهر ، الحكيم الإلهي و الفقيه الرباني ، سيد عصره و صفوة دهره ، الاميرالكبير، والبدر المنير، علامة الزمان ، أعجوبة الدوران ، المسمى بمحمد الملقب بباقر الداماد الحسيني - قدس الله عقله بالنور الرباني ... » .

وقد استفاد - ره - أكثرالمباحث العقلية من استاذهالكبير وتأثر بآرائه الخاصة . على أنه منتقداً لجمع من أقواله وآرائه ومخالف له خصوصاً في أهم مسألة ، وهي إصالة الوجود التي أصبح اسّ الفلسفة المتعالية وحجره الأصلي . إلا أن تأثره باستاذه ، ومشبه على طريقه في كثير من المسائل ظاهر لا يخفى . ولذلك ترى قسماً من عبارات كتب المير بلفظها منقولة في مؤلفات صدر المتألهين .

وقد اهتمّ الميرالداماد بحل مسألة حدوث العالم فأظهر في هذا السياق القول بالحدوث الدهري ، وصنّف في إثباته كتابه المعروف «القبسات» وصدر المتألهين

(٤٧) شرح الاصول من الكافي : الحديث الاول ص ١٦ .

لم يرفيه التمامية ، و تصدى بنفسه لتلك المشكلة وصنف فيها رسالته في حدوث -  
العالم ، التي يذكرها في أكثر كتبه ويباهي بها . وقد كان السيد ألمح إلى المسير  
الذي سلك صدر المتألهين في حل المسألة .

٤٨ « إن الحدوث والزوال في عالم امتداد الزمان لا يتصحح إلا بالانتهاء  
إلى طبيعة متجددة متصرمة يكون طباع جوهرها ثبات اتصال التجدد و  
والتصرم ، و سيلان استمرار الحدوث و البطلان ، من غير استناد في  
الانقضاء والتصرم إلى علة خارجة عن ذاتها ... » .

ويظهر أن هذا الثناء والاعتقاد كان متقابلاً من رباعية قالها المير في الثناء على  
تلميذه الخاص : ٤٩

جاهت صدرا گرفته باج از گردون      داده است بفضل تو خراج افلاطون  
در مسند تحقيق نيسامد مثلت      يك سر ز گريسان طبيعت بيرون

### إخوان الصفا

هم كما حققه جمع من المحققين من الفرقة الإسماعيلية<sup>٥٠</sup> عاشوا في المائة  
الرابع الهجري و ألفوا الرسائل كدائرة لمعارف عصرهم و بينوا فيها طريقتهم و  
عقائدهم و كيفية الوصول إلى السعادة في الدارين . وقد أثر هذه الرسائل في  
التفكير العقلي بعدهم أثراً لا ينكر ، و راجعها صدر المتألهين و تأثر بها و نقل منها  
أحياناً فقرات طويلة أو قصيرة<sup>٥١</sup> و أشار أحياناً أخرى إلى عقائدهم عند سرد الأقوال  
وردها أو مال إليها .

(٤٨) القبسات : ٣٠٥ .

(٤٩) ديوان السيد الداماد .

(٥٠) راجع دانشنامه ايران و اسلام : اخوان الصفا .

(٥١) من ذلك ما جاء في التفسير (١٧٥/٥) و (١٧٦/٥) راجع اخوان الصفا ١/٣١٠



ثم انه يظهر من بعض تعبيراته رحمه الله انه يزعم مؤلف الرسائل واحداً -  
لاجمعاً- : « وإليه ذهب صاحب اخوان الصفا »<sup>٥٢</sup> « مما ذهب إليه كثير من أعظم  
العلماء ، منهم صاحب إخوان الصفا »<sup>٥٣</sup> ولا يخفى على المراجع إحترام صدر -  
المتألهين لهم إذيراهم موافقاً لآرائه في موارد فيعظهم في كثير من المواضع التي  
يذكرهم :

<sup>٥٤</sup> « هذا تلخيص ما وجدنا من كلام الأكابر العظام ، فأوردناه توضيحاً  
للمقام ... » .

كما يخالفهم أيضاً في موارد و يرد أقوالهم كقولهم في جهنم.<sup>٥٥</sup>

### المتأخرون

لاشك في اعتناء صدر المتألهين بأقوال الحكماء المتأخرين و دقته في  
مؤلفاتهم. سيما الذين كانوا قريبا من عهده كالذواني والسيد السند والسيد غياث الدين  
والخفري وغيرهم . إلا انه قليل التاثر بهم والأخذ عنهم إذ قلما يرى لهم قولاً  
جديداً ونظراً بديعاً . على أنه ينقل منهم أحياناً آراء وأقوالا وبتنقدها أو يؤيدها  
نادراً .

<sup>٥٦</sup> « وليعلم ان كلام المتأخرين أكثره غير مبين على أصول صحيحة كشفية  
ومبادقوية إلهامية . بل مبناه على مجرد الاحتمالات العقلية دون المقامات  
الدوقية وعلى الذائعات المقبولة دون المقدمات البرهانية . و لذلك من  
رام منهم إفسادة تحقيق أوزيادة تدقيق إنما جاء بإلحاق منع ونقض .

(٥٢) التفسير : ٧٨/٣ .

(٥٣) الاسفار : ١٣٩/٨ .

(٥٤) التفسير : ١٦٩/٦ .

(٥٥) حاشيه حكمة الاشراف : ص ٥١٠ .

(٥٦) الاسفار الاربعة : ٣٢٣/١ .

فاصبحت مؤلفاتهم بتراكم المناقضات مجموعة من ظلمات بعضها فوق بعض ...» .

### ج - المتكلمون

عند ما يتكلم المؤلف عن المتكلمين ، فهو ناظر في الأغلب إلى الفرقة الأشعرية ، وبعدهم المعتزلة ، ثم الفرق الأخرى الباطلة فيسفه آراءهم و يرد أقوالهم :

٥٧ « وهم بالحقيقة أهل البدع والضلال ، وقدوة الجهلة والأردال . شرهم كلهم على أهل الدين و الورع ، وشرهم على العلماء ، و أشدهم عداوة - للذين آمنوا من الحكماء و السربانيين - هذه الطائفة المجادلة المخاصمة ، الذين يخوضون في المعقولات وهم لا يعرفون المحسوسات » ٥٨ « وليتهم قنعوا بدين العجائز ، واكتفوا بالتقليد ، ولم يستكفوا أن يقولوا : لاندري » .

٥٩ « وللمتكلمين كلمات عجيبة في هذا المقام . وحرام على كل عاقل الاشتغال بها عن الاكتفاء بصورة الشريعة ، والعمل بظواهر الأحكام » .

٦٠ « وإني لأستغفر الله كثيراً مما ضيقت شطراً من عمري في تتبع آراء المتفلسفة والمجادلين من أهل الكلام وتدقيقاتهم ، وتعلم جربزتهم في القول وتفننتهم في البحث » .

٦١ « كما هو عادة أكثر المتكلمين في ارتكابهم طريق المجادلة من غير

(٥٧) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٣٦٣ .

(٥٨) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٢٠١ .

(٥٩) الشواهد الربوبية : ٢٧١ .

(٦٠) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ١١ .

(٦١) رسائل صدر المتألهين: رسالة الحدوث ص ٣ .

بصيرة و يقين ، و ايرادهم المقدمات الواهنة الأساس الكثيرة الغلط و  
الالتباس ، و الأنظار المقدوحة القياس المزخرفة بالأقاويل المضلة للناس  
بل الأكياس . زعماً منهم أن تمهيد أصول الدين مما يحتاج إلى مثل  
تلك الكلمات الواهية » .

واعتذر أحياناً من نقل أقوالهم و نقد آرائهم :

٦٢ « و العجب إن أشباه هؤلاء القوم ، ممن يعدون عند الناس من أهل -  
النظر . و هذا هو العذر في ايرادنا شيئاً من هوساتهم في هذا الكتاب .  
إذ العاقل لا يضيّع وقته بذكر هذه المجازفات و ردّها » .

٦٣ « حقاً كه بسیاری از متکلمان - كه از راه بحث و گفتگو و طریق  
مجادله و مباحثه - در ذات و صفات و أفعال حق و کتب و رسل وی سخن  
می گویند ، صفتی چند از برای معبود خود اثبات می کنند که اگر از  
برای رئیس دهی اثبات کنند بخواد رنجید » .

### الغزالي

كان الغزالي كان جسراً رابطاً بين المتكلمين والعرفاء . و لهذا كلما بارز  
الحكماء و أظهر آراءً واهنة شتتعه صدر المتألهين :

٦٤ « بعض من تصدّى لخصومة أهل الحق بالمعارضة و الجدل و التشبه  
بأهل الحال بمجرد القيل و القال ، كمن تصدى لمقاتلة الأبطال و مقابلة  
الرجال بمجرد حمل الأثقال و آلات القتال ، قال في تأليف سمّاه تهافت

(٦٢) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٧٨ .

(٦٣) سه اصل : ١١٠ . راجع ايضاً : الاسفار الاربعة : ٦٤/٨ . شرح الاصول

من الكافي : ٢٠١ . المبدء والمعاد : ٣٩٧ .

(٦٤) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٢٢٧ .

و عندما مال إلى العرفان و المعرفة أثنى عليه و مدحه آخذاً طريق الاحتياط ، و ملمحاً إلى ما فيه من الضعف و عدم الثبات :

٦٥ « و إنما أوردنا كلام هذا البحر القمقام ، الموسوم عند الأنام بالإمام و حجة الإسلام ، ليكون تلييناً لقلوب السالكين مسلك أهل الإيمان . »

٦٦ « مع أن هذه التحقيقات و التأويلات في الرموز القرآنية و الكنوز الرحمانية إشارة و جيزة من بسيط تمثيلات حجة الإسلام ، و خلاصة مجملة من وسيط منخولات ذا البحر الهمام ، محصلة لنجاة النفوس و شفاء الأرواح ، ملخصة لطريق الهداية و الفلاح ، إذ هو - أيده الله - بحر زاهر يقتنص من أصدافه جواهر القرآن ، و نار موقدة يقتبس من مشكاته أنوار البيان . ذهنه الوقتاد كبريت أحمر يتخذ منه كيمياء السعادة الكبرى ، و فكره غواص يستنبط من بحار المباني لآلي المعاني ... »

ثم إنه جمع بنفسه بين هذا البون البعيد من الكلام قائلاً :

٦٧ « الحقّ الحقيق بالتصديق أن الغزالي في أكثر القواعد الدينية و الأصول إيمانية كان يتبع الحكماء ، و منهم يأخذ كثيراً من عقائده ، لأنه وجد مذاهبهم في باب أحوال المبدأ و المعاد أوثق المذاهب و أتقن الآراء العقلية و أصفى من الشبهة و الشكوك ، و كلماتهم أبعد من التخالف و التناقض من كلمات غيرهم . »

و أما التكفير و الإنكار و الردّ و الاستنكار الذي وقع منه في كتبه ، فهو بناء على المصلحة الدينية من حفظ عقائد المسلمين من الضيغ و الضلال

٦٥) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٣٢٦ .

٦٦) مفاتيح الغيب : ٩٧ .

٦٧) المبدء و المعاد : ٤٠٣ .

مما سمعوه من كلام الحكماء من غير فهم و دراية ، و صرف للكفر في معانيه و حراسة لدينهم ، حتى لانزل أقدامهم بما قرع أسماعهم من الناقصين و المتفلسفين: «إن تعلم الحكمة يوجب الاستغناء عن الشريعة...» و إما لأجل التقيّة و الخوف عن تكفير الظاهريين من فقهاء زمانه إياه - ومشهور أن بعضاً من أهل زمانه حكّم بكفره و كتب رسالة في تكفيره و تضليله - و إما لأنه كان في أوائل حاله و قبل براعته و كماله في المعرفة مكفراً للحكماء ، حيث ظنّ أنهم نفوا عن الباري القدرة ، و العلم بالجزئيات و أنكروا الحشر الجسماني . ثمّ بعد ما أمعن في كلامهم و تفتنّ أنهم قائلون بالأمر الثلاثة على وجه دقيق ، لا يفهمه الجمهور - لمافي عقولهم و مداركهم من القصور - رجع و تاب و استقر رأيه و مذهبه على ما هو رأيهم و مذهبهم .

على أنه لا يستبعد أحياناً اعتقاده بالتنشيع :

٦٨ « و الغزالي جعله (القياس الفقهي) باطلاً، وعدّ صورة هذا القياس من موازين الشيطان ، حيث قال : «أما ميزان الرأي والقياس ، فحاش لله أن يعتصم به . و من زعم من أصحابي إن ذلك ميزان المعرفة، فأسال الله أن يكفّ شره عن الدين . فإنه صديق جاهل . وهو شر من عدو عاقل - انتهى كلامه و يفوح منه رائحة التنشيع .»

و جملة القول إن كثرة مراجعة المصنف لكتب الغزالي في غاية الوضوح . ويمكن القول بأن كلّما جاء في تأليفاته من مطالب خطابية و تمثيلية فأخوذة في الأكثر من كتب الغزالي و سيما أم كتبه « إحياء علوم الدين » نقله عيناً أو تلخيصاً أو شرحاً مع إصلاحات لهفواته على ما يقتضيه المقام . وقد صرح بذلك أحياناً

(٦٨) شرح الاصول من الكافي : باب النهي عن القول بغير علم ، الحديث

التاسع : ١٦٩ .

أو أشار إليه : ٦٩

٧٥ « فهذه خلاصة ما ذكره بعض علماء الآخرة وحجج الإسلام » .

٧١ « هذاتمام ما لخصناه من كلام بعض أئمة العلم و الشريعة » .

كما أن الغزالي أيضاً أخذ أس مطالب تأليفه هذا من كتاب قوت القلوب لأبي- طالب المكي .

### فخر الدين الرازي

ربما يظن الناظر في كتب صدر المتألهين تناقضاً بين اعتماده على كتب إمام المشككين والمنقولات الكثيرة عنها في معظم تأليفاته - و سماعه المباحث المشرقية في الأسفار وعن تفسيره في التفسير - وبين ذمه و تسفيهه لآرائه وتشنيعه لتأليفاته :

٧٢ « إن جميع ما أشار إليه هذا الرجل الفاضل المشهور بالإمامة والعلم عند الجمهور ليس من علم القرآن في شيء . ولا هو بمعرفتها قد صار من أهل القرآن وخاصة الله - كماورد : أهل القرآن أهل الله وخاصة - بل كل ما ذكره و أشار إليه من المسائل الجمة الكثيرة التي شحن بها كتبه

---

(٦٩) راجع التفسير : ج ٣ ص ١٣٨ إلى ص ١٥٧ (الاحياء ج ٤ ص ٣ وبعده ومفاتيح الغيب ص ٢١٠ (الاحياء ج ٣ ص ٣٩) ايضاً ص ١٥٣ الى ص ١٧٩ وشرح الاصول من الكافي في شرح الحديث ١٣ نقل كثيراً من هذا الكتاب - والشواهد كثيرة ذكرنا منها قدراً يسيراً .

(٧٠) التفسير سورة يس : ٩٥ .

(٧١) المبدء والمعاد : ٤٨٨ . راجع ايضاً الشواهد الربوية : ٣٧٥ .

(٧٢) شرح الاصول من الكافي : باب الرد إلى الكتاب و السنة ، الحديث

الاول ص ١٩٩ .

الكلامية والفقهية . إما مأخوذة من السماع من أفواه الرجال ، و إما تقليدات صرفة كأكثر مسائل المعاد ، وبعض مسائل المبدأ ، و إما آراء كلامية وقواعد متزلزلة لاتعويل عليها في تحصيل اليقين ، و إنما يتدرَّع بها طالب المباحث، و إنما يحسن إستعمالها عند الخصومات والمجادلات ... و بالجملة ليس شيء من هذه المسائل الكثيرة التي يتبحر بها من علوم أهل القرآن و أهل الله في شيء .»

إلا أن صدر المتألهين ينظر إليه من وجهين ، بمدحه لواحدة و يذمُّه لأخرى، فيرى فيه فطانة و فضلاً و جِدّاً في البحث و التفتيش عن الآراء و العقائد، و جودة قريحة في نظمها و سردها ، فيمدحه و ينقل من كتبه الأقوال . و يرى فيه طيشاً و عجلة في المبادرة إلى الاعتراض قبل الإمعان ، و عدم و صوله إلى البصيرة الباطنة و اتِّباع أئمة الحق ، فيذمّه و يسفته :

٧٣ « هذا المرء المعروف بالفضل والذكاء سريع المبادرة إلى الاعتراض

على مثل الشيخ الرئيس قبل إلامعان والتفتيش ، لعجلة طبعه وطيشه .»

٧٤ «فهو أيضاً يتمنطق على مثل الشيخ الرئيس فاضل الفلاسفة ليس

ذلك منه غيباً و ضلالاً و حُمقاً و سفاهاة ؟ !» .

٧٥ « سبحان الله هل وجد آدمي في العالم بلغ إلى حده في وفور البحث

و التفتيش و كثرة التصانيف و الخوض في الفكر ، ثم بعدُ عن الحق

هذا البعاد ، و احتجب عن البصيرة هذا الاحتجاب ؟ !» .

٧٦ « وهذا مما تفتنّ به و ذكره صاحب الملخص في كثير من كتبه .

(٧٣) تعليقات الشفاء : ٢٣٨ .

(٧٤) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٧٥) الاسفار الاربعة : ج ٨ ص ٦٥ .

(٧٦) شرح الاصول من الكافي : باب البداء ، الحديث الرابع ص ٣٨٣ .

لكن لا يعرف وجه التوفيق بينهما. لأن الاطلاع عليه إما من طريق السمع -  
و لا يمكن ذلك إلا لمن تتبّع الأحاديث التي من طريق أئمتنا الهادين  
عليهم السلام - و إما من طريق البصيرة الباطنية و نور العرفان - وهو  
ليس من أهلها ... » .

وبعد ذلك كلّ فتاير الرازي بإيراده الشبهات الكثيرة في كل مطلب و باب -  
التي أجبر المفكرين على الاجابة عنها والنقاش حولها - في تقدّم الفلسفة والكلام  
لا يشك فيه . و إن لم يكن له قولاً ثاقباً يذكر و رأياً صحيحاً يستظهر .  
ويظهر من مراجعة كتب صدر المتألهين وجود أكثر تأليفات الرازي عنده ،  
يراجعها و ينقل منها ، أهمها المباحث المشرقية ، والتفسير ، و المحصل ، والأربعين ،  
و شرح إشارات وغيرها .

## د - العرفاء :

للعرفاء مقام شامخ عند صدر المتألهين ، وهم الحكماء الحقيقيين و أهل  
الحق و أولوا الالباب ، إذ يعتقد :

٧٧ « إن بناء مقاصدهم و معتمد أقوالهم على السوانح النورية و اللوامع  
القدسية التي لا يعترها و صمة شك و ريب ، ولا شائبة نقص و عيب .  
لاعلى مجرد الأنظار البحثية التي سيلعب بالمعولين عليها و المعتمدين  
بها الشكوك » .

٧٨ « و كلمات هؤلاء الأفاضل في قوة إفادة العلم القطعي بحقيقة النفس  
أشد و أسدّ من كثير من حجج أصحاب العقل . فإنهم شاهدوا عجائب

(٧٧) الاسفار الاربعة : ج ١ ص ٣٠٧ .

(٧٨) المبدء و المعاد : ٣٠٤ .



أحوال النفس وماهيتها وغرائب آثارها بذوق العيان - دون مزاحمة البرهان». و كما مضى القول فعبقرية صدر المتألهين هي البرهنة على العقائد الذوقية والمطالب العرفانية . وهو - رحمه الله - عارف تلبس الفلسفة :

٢٩ « ونحن قد جعلنا مكاشفاتهم الذوقية مطابقة للقوانين البرهانية » .

فهذه الفرقة أولاً :

٨٥ « لشهودهم بالنور الإلهي الحق وصفاته و أفعاله و كيفية تصرفاته في الوجود لا ينطرق عليهم الشبهة ، ولا يدخل في قلوبهم الريبة ... فلا يظن أحد أن ورعهم في أمور الدين واحتياطهم في عدم القول في مسألة شرعية بمجرد الظن و التخمين يكون أقلّ من ورع غيرهم و احتياطه ... فإذا كان حالهم على هذا المنوال من العلم والمعرفة و الورع والتقوى فالقدح من أحد فيهم في مسألة اعتقادية دينية يدلّ على قصور رتبة القادح و سوء فهمه و قلة انصافه » .

٨١ « و إنما تتبّعنا كلمات هؤلاء العرفاء ... لأنها صدرت عن معدن الحكمة ومشكاة النبوة ومنبع القرب و الولاية » .

و ثانياً إنهم :

٨٢ « لاستغراقهم بما هم عليه من الرياضات و المجاهدات وعدم تمرّنهم في التعاليم البحثية و المناظرات العلمية ربما لم يقدرُوا على تبين مقاصدهم ، و تقرير مكاشفاتهم على وجه التعليم ... ولهذا قلّ من عباراتهم ما خلّت عن مواضع النقوض و الايرادات » .

(٧٩) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٦٣ .

(٨٠) تفسير آية الكرسي : ٣١٧ .

(٨١) مفاتيح الغيب : ٢٠٩ .

(٨٢) الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ٢٨٢ .

٨٣ « لكن لحسن ظننا بهذه الأكابر، لما نظرنا في كتبهم و وجدنا منهم  
تحقيقات شريفة ، ومكاشفات لطيفة وعلومأ غامضة مطابقة لما أفاضه الله  
على قلوبنا و ألهمنا به - مما لانشك فيه ، ونشك في وجود الشمس في  
رابعة النهار - حملنا ما قالوه و وجّهنا ما ذكره حملاً صحيحاً و وجهاً  
وجيهاً في غاية الشرف والإحكام .

و الفارق بينه و بينهم :

٨٤ « إن من عادة الصوفية الاقتصار على مجرد الذوق و الوجدان فيما  
حكّموا عليه. و أما نحن فلا نعتمد كلّ الاعتماد على ما لبرهان عليه قطعياً  
ولا نذكرها في كتبنا الحكيمية .»

٨٥ فمثلاً : « لاح لهم بضرب من الوجدان و تتبّع أنوار الكتاب و السنة  
أن جميع الاشياء حيّ ، ناطق، ذا كبر الله ، مسبح ، ساجد له ... ونحن  
بحمد الله عرفنا ذلك بالبرهان و الايمان جميعاً . وهذا أمر قد اختلف بنا  
بفضل الله و حسن توفيقه .»

### محيي الدين بن العربي

قلّما يعظّم صدر المتألهين أو يثنى على أحد كتعظيمه و ثنائه على ابن العربي .  
يقول بأنه «قدوة المكاشفين» ٨٦ و «عندنا من أهل المكاشفة» ٨٧ و الظاهر منه اعتقاده  
أنه على مذهب الإمامية . ففي شرح الأصول من الكافي يقول بعد نقل كلمات  
ابن العربي في الإمام المنتظر - روعي و أرواح العالمين لمقدمه الفداء :

٨٣ (الاسفار الاربعة : ج ٦ ص ١٨٣ .

٨٤ (الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٢٣٤ .

٨٥ (الاسفار الاربعة : ج ٧ ص ١٥٣ .

٨٦ (الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٤٥ .

٨٧ (التفسير : ج ٣ ص ٤٩ .

٨٨ « واعلم أن أكثر ما ذكره فيما نقلناه من عبارته أولاً موجود في كتب الحديث . بعضها على طريقة أصحابنا ، وبعضها على غير طريقهم . و انظروا أيها الإخوان إلى ما في طيّ كلامه من المعاني الدالة على كيفة مذهبه . كقوله : « إن لله خليفة » وقوله : « أسعد الناس به أهل الكوفة » وقوله : « أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد » وقوله : « إنه على ضلالة »<sup>٨٩</sup> وقوله : « لأنهم يعتقدون أن أهل الاجتهاد و زمانه قد انقطع » - إلى آخره ... » .

وقلما يوجد مقام يردّ عليه أو لا يتكلّف في توجيه كلامه . قال في الأسفار الأربعة بعد نقل كلامه :

٩٠ « وإنما نقلنا بطوليه ، لما فيها من الفوائد النفيسة ، وللتفان في كثير من وجوه الحشر المذكورة فيها لما ذكرناه - وإن وقعت المخالفة في البعض » .

وفي موضع آخر بعد نقل كلامه أيضاً :

٩١ « وإنما نقلنا بطولها لما فيها من بعض التحقيقات المطابقة لما نحن عليه من الحكمة البرهانية . وإن كان فيها بعض أشياء مخالفة لها » .

وفي التفسير ينبّه علي أمور في كلامه يخالف الظاهر ويوجّهه إلى وجوه صحيحة :  
٩٢ « لثلا يقع من أحد سوء ظنّ بهذا الشيخ العظيم » .

---

٨٨ شرح الاصول من الكافي : الحديث الحادي و العشرون من كتاب العقل و الجهل ص ١١١ .

٨٩ نقل قول عن المتظاهرين بالعلم عند ظهوره عليه السلام ، اذا حكم فيهم بغير ما يرضون .

٩٠ الاسفار الأربعة : ج ٩ ص ٢٣٤ .

٩١ الاسفار الأربعة : ج ٩ ص ٢٥٣ .

٩٢ التفسير : ج ٢ ص ٢٥٩ .

٩٣ « وفيه مساهلات كما وقعت الإشارة إليه مبناها ضيقُ العبارة عن تأدية

المراد . وإلا فالشيخ أجلّ رتبةً من ذلك » .

وفي مسألة إيمان فرعون التي اعترض عليه كثيرون : « لا أدري » .  
٩٤ « ويفوح من هذا الكلام رائحة الصدق وقد صدر من مشكاة التحقيق

وموضع القرب والولاية » .

وبالجملة فتأثير فكر ابن العربي في الخطوط الرئيسية من فلسفة صدر المتألهين  
واضح لا ينكر . ونصوص عبارات كتبه أو مضامينه عند اشتغال صدر المتألهين بالتحقيق

الأدق لا يقل .

#### صدر الدين القونوي

تلميذ محيي الدين ، وهو الذي جمَعَ شتات أقوال ابن العربي في كتبه ، و  
نظّمها نظماً تعليمياً . ولهذا ترى كثرة تأثر صدر المتألهين من تأليفاته . ومن أبرز  
ذلك ما نقل في تفسير سورة الفاتحة من فقرات كتاب إعجاز البيان في تفسير الفاتحة  
للقونوي . ٩٥

و تأثر صدر المتألهين وثنائوه عليه يرجع في الجملة إلى شرح القونوي  
لكلمات استاذه ، وتقريره لها . كما أن ذلك شأن الآخرين من متابعي مذهبه .

#### آخرون من العرفاء :

ومن العرفاء الذين يتأمل صدر المتألهين في كتبهم وينقل عنهم عين القضاة

(٩٣) تعليقات حكمة الاشراف : ٥١٨ .

(٩٤) التفسير : ٣/٣٦٤ .

(٩٥) من أمثله ذلك ما نقل في تفسير « اهدنا الصراط المستقيم » (في أن الانسان

أشرف المخلوق) راجع إعجاز البيان ص ٤٥٦ و ٤٥٧ . وفي تفسير غير المغضوب عليهم

(مظاهر الرحمة والغضب) راجع إعجاز البيان ص ٤٧٠ وكذا (درجات غضبه تعالى) راجع

ص ٤٦٥ و ٤٧٥ .

الهمداني ، فقد نقل عنه مطالب في موارد شتى . على أنه في كتابه زبدة الحقائق رام إلى بيان المطالب الذوقية بلسان أهل البرهان . ولذلك قد أثبت اسمه في تاريخ تأليف الحكمة المتعالية و إن لم يوفق في ذلك إلا شيئاً قليلاً .  
و ايضاً منهم علاء الدولة السمناني والسهورودي صاحب عوارف المعارف والخواجه عبدالله الانصاري وجلال الدين الرومي وعبد الرزاق الكاشاني وغيرهم .

## هـ - المتصوفة :

الغرض من المتصوفة ناس يدعون معرفة الحق وينسبون أنفسهم إلى مقام الإرشاد والقطبية ، فيغترّ بهم عوام الناس . ولأنهم لا يطلبون من مريديهم تزكية النفس وتصفية الباطن - لكون أنفسهم أخلأ عنها - يتبعهم العوام الذين لهم حب المعرفة ، لما عندهم من الفطرة الأصلية ، ولكن يشقّ عليهم العمل والاشتغال بالرياضات الشرعية . فهذه القوادر الجهّال يرفعون ذلك المانع عن قبال مريديهم فيسير سبباً لإقبال الناس عليهم . وهم من هذا الطريق يصلون إلى أموال ومقام و اشتهار في البلاد .

ولكونهم حقاظاً لمنافع الحكام والسلاطين بصيرون ذوي مكنة وقبول عند أهل الدولة والشوكة . ويورث ذلك ازدهار اشتهارهم وتبسطهم في البلاد :

٩٦ « ابن گروه از یاد خدا غافلانند ، کجا از اهل دلانند؟! اگر ذره ای از نور معرفت در دل ایشان تابیده می بودی کجا در خانه ظلمه و اهل دنیا را قبله خود می ساختند » .

والظنّ الغالب شدة الابتلاء بهم في عصر صدر المتألهين ، إذ الدولة الصفوية نفسها كانت منتمية إلى فرقة صوفية ، وسلاطينهم مدّعين قطبية هذه الفرقة . ولذلك شوهد من علماء ذلك العصر جدّاً واهتماماً بردهم ومناهضتهم ، ويوجد ردوداً

عليهم في كتب علماء ذلك العصر وما بعده . كالشيخ البهائي ، و العلامة محمد باقر المجلسي و المولى محمد طاهر القمي والمقدس الاردبيلي و صدر المتألهين - رضوان الله عليهم أجمعين .

هذه الجماعة الذين ليست عندهم معرفة علمية ولا شهود كسفي . سمعوا كلمات وأقوالاً من العرفاء ، ولم يفهموا مغزاها ومعناها ، فنفّسوا بكلمات وأقوال ضلّوا بها وأضلّوا . ولذلك لا يدع صدر المتألهين فرصة في التحامل عليهم و تسفيه أقوالهم وعقائدهم .

٩٧ « إن بعض الجهلة من المتصوّفين المقلّدين - الذين لم يحصلوا طريق العلماء العرفاء ، ولم يبلغوا مقام العرفان - توهموا ، لضعف عقولهم و وهن عقبتهم و غلبة سلطان الوهم على نفوسهم أن لا تحقّق بالفعل للذات الأحادية ... » .

ثم إنه لم يقنع بما كتّب في ذمهم في كتبه و رسائله المطوّلة و المختصرة فألّف في ذلك رسالة على حدة سماها : « كسر أصنام الجاهلية » بيّن فيها صفات هذه الأشخاص و كشف عن فضائحهم ، فقال في وصفهم . ٩٨

« وأبم الله إنهم لا يعرفون شيئاً من هذه المعاني إلا بالأسامي ... والحال إنهم عند الله من الفجار المنافقين ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ وهم عند أهل الله وأرباب القلوب من الحمقاء المجانين ، والأشقياء المردودين ... و ذلك لأن أحداً منهم لم يكن له علمٌ يترتّب ، ولا قلب يراقب ، ولا عمل يهدّب ، ولا خلق يؤدّب سوى اتباع الهوى و الشيطان ... » .

قال عندما ذكر شطحياتهم :

(٩٧) الاسفار الاربعة : ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٩٨) كسر اصنام الجاهلية : ٣ و ٤ .

٩٩ « وَمَنْ نَطَقَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَقَتَلَهُ أَفْضَلُ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ إِحْبَاءِ عَشْرَةِ » .

و عند ما يذكر تأويلهم للنصوص :

١٥٥ « و بهذا الطريق توصلت الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم . فيجب الاحتراز عن الاغترار بتلبساتهم . فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين . إذ الشياطين بسوساطتهم يتدرّج إلى انتزاع الدين من قلوب المسلمين » .

وهو يعبر عنهم بالمتصوفة ، و جهلة الصوفية . ولا ينظر إلى آرائهم و أقوالهم إلا تحكماً ورداً . ولما استشهد أحياناً في مطاوي كتبه بكلمات حكمية في المواعظ عنهم استدرك وقال :

١٥٦ « و ليعذرني إخواننا - أصحاب الفرقة الناجية - ما أفعله في أثناء الشرح وتحقيق الكلام وتبيين المرام ، من الاستشهاد بكلام بعض المشايخ المشهورين عند الناس ، و إن لم يكن مرضي الحال عندهم . نظراً إلى ما قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام : لا تنظر إلى من قال ، و انظر إلى ما قال » .

و يجدر بنا أن نشير إلى أن أكثر ما ينقله صدر المتألهين من ذلك كان لكثرة إمامه بكتب الغزالي في الخطابات والتمثيلات ونقله منها .

## و - العلماء الظاهريون

١٥٢ « لما كان للكتاب ظهراً و بطناً و حداً و مطلعاً... كان للشريعة ظاهر و

(٩٩) كسر اصنام الجاهلية : ٢٩ .

(١٠٠) كسر اصنام الجاهلية : ٣٠ .

(١٠١) شرح الاصول من الكافي : المقدمة ص ٥ .

(١٠٢) مفاتيح الغيب : ٤٨٥ و ٤٨٦ .

باطن . ومراتب العلماء أيضاً فيها متكثرة . ففيهم فاضل ومفضول ، و عالم و أعلم . و الذي نسبته إلى نبية أتمّ ، وقربه من روحه أقوى ، كان علمه بظاهر شريعته وباطنه أكمل . والعالم بالظاهر والباطن أحق أن يتبع ... ثم من هودونه في المرتبة إلى أن ينزل إلى علماء الظاهر فقط وفيهم أيضاً مراتب: إذ العالم بالأصول والفروع أحق أن يتبع من العالم بأحدهما - و أعني بالأصول ما يستفاد من الكتاب والسنة من العلم بالله وآياته وكتبه و صحفه و رسله و أوليائه واليوم الآخر ... لا المسائل الكلامية المختلف فيها إختلافاً لا يكاد يرتفع إلى يوم القيامة ... وبالفروع ما يستنبط بها من المسائل الكلامية والأصول والأحكام الفقهية .

فلكلّ من الظاهر والباطن علماء كلّهم داخلون تحت حكم الخليفة الذي هو العالم بالظاهر والباطن و أكمل من الكل .»

فعلماء الظاهر حازوا المرتبة النازلة في التقسيم الذي نقله المؤلف عن بعض

المحققين :

١٥٣ « العلماء ثلاثة: عالمٌ بالله غير عالمٍ بأمر الله ... وعالمٌ بأمر الله غير عالمٍ بالله وهو الذي يعرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام ، لكنه لا يعرف أسرار جلال الله . وعالمٌ بالله وبأمر الله . »

١٥٤ « فالواجب على الطالب المسترشد اتباع علماء الظاهر في العبادات والطاعات ، والانقياد بعلم ظاهر الشريعة - فإنه صورة علم الحقيقة لا غير - ومتابعة الأولياء في السير والسلوك ، لينفتح له أبواب الغيب و الملكوت بمفاتيح إشاراتهم وهداياتهم . وعند هذا الفتح يجب له العمل بمقتضى علم الظاهر والباطن مهما أمكن . وإن لم يمكن الجمع بينهما ،

(١٥٣) تفسير سورة الحديد : ٢١٤ .

(١٥٤) مفاتيح الغيب : ٤٨٦ .



فما دام لم يكن مغلوباً . لحكم الوارد و الحال أيضاً يجب عليه اتباع العلم الظاهر . و إن كان مغلوباً لحاله بحيث يخرج من مقام التكليف ، فيعمل بمقتضى حاله ، لكونه في حكم المجذوبين .

و كذلك العلماء الراسخون ، فإنهم في الظاهر متابعون للفقهاء المجتهدين ، و أما في الباطن فلا يلزم لهم الاتباع ، لأن الفقهاء الظاهريين يحكمون بظاهر المفهوم الأول من القرآن و الحديث . وهؤلاء يعلمون ذلك مع- المفهومات الأخرى . و العارف لا يتبع من دونه - بل الأمر بالعكس - لشهوده الأمر على ما في نفسه .

<sup>١٥٥</sup> « الفقهاء و إن كانوا عالمين بأحكام الله ، إلا أنهم في معرفة الذات و الصفات و الأفعال الإلهية كباقي المقلّدين من المؤمنين ، بخلاف أهل التوحيد الشهودي » .

فهذا شأن كل فريق من علماء الظاهر و الباطن و موقع كل منهما تجاه الآخر . فعلى الظاهريين معرفة حدّهم و إن « فوق كل ذي علم عليم » و على أهل الباطن حفظ الظاهر و عدم إفشاء الأسرار لمن لا يطيقها . و قد قال تعالى حكاية عن العبد الصالح لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴾ [ ١٨ / ٦٧-٦٨ ] .

و كل ذلك ما لم يميل الظاهريون إلى الدنيا و زخارفها ، و لم يتبعوا الحكم و السلاطين في مطامعهم ، و لم يدخلوا في زمرة علماء السوء :

<sup>١٥٦</sup> « إلا أن أعظم هذه الآفات الحاجة عن مكاشفة أسرار الدين و مشاهدة أنوار اليقين ... و حسبانهم أهل الظاهر و علماء الدنيا - الراغبين في طلب اللذات الباطلة العاجلة - هداة الخلق و رؤساء المذهب ، و

١٥٥ (١٥٥) تفسير آية الكرسي : ٣١٧ .

١٥٦ (١٥٦) تفسير سورة يس : ١٤٢ .

أهل الاجتهاد في طلب الآخرة والمعاد، وهو أعظم فتنه في السدين، و  
 أشد حجاب في سبيل المؤمنين، لأن هؤلاء قطاع طريق الحقيقة واليقين.  
 وهل هذا إلا مثل أن يُظن بالجاهل المريض طبيياً حاذقاً، ويُجعل السارق  
 المفلس أميناً؟! ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ  
 هُمْ غَافِلُونَ﴾ [٧/٣٠].

وقد صنّف صدر المتألهين كتابه «سه أصل» مخاطباً لهم و ذاكراً فضائحهم ومذكراً  
 و منبهاً لهم عن النغلة :

<sup>١٥٧</sup> « ای عزیز دانشمند، و ای متکلم خودپسند، تاکی و تا چند خال  
 وحشت بر رخسار الفت نهی، و خاک کدورت بر دیدار وفا از سر کلفت  
 پاشی، و در مقام سرزنش و جفا با اهل صفا و اصحاب وفا باشی، و لباس  
 تلبیس و ربا و قبای حيله و دغا درپوشی، و جام غرور از دست دیو رعنا  
 بنوشی؟! ».

<sup>١٥٨</sup> « ای بی درد نسا انصاف، و ای خود پسند پرجور و اعتساف آخر  
 علمی که اسرار صمدیت و حقائق الهیت را بدان داند، و معارف  
 ربوبیت را بدان شناسند... چرا منکر می شوی، دانستن آن را سهل و  
 عبث می دانی؟! و علمهای دیگر که هر يك از آن را درشش ماه یا کمتر فهم  
 می توان کرد عظیم می شماری، و صاحبش را از علمای دین می پنداری.».

١٥٧) سه اصل : ٧ .

١٥٨) سه اصل : ٨١ .

## ٥ اساتذته

لأنعرف شيئاً ممن تتلمذ عليه بشيراز . ولكن من المعروف أنه بعد وصوله إلى إصبهان حضر مجلس الشيخ بهاء الدين العاملي ، و السيد محمد باقر الداماد - قدس سرهما - و أن أكثر استفادته في العلوم العقلية كان من السيد - ره - .  
الف - قد مضى الكلام حول السيد الداماد و كلمات صدر المتألهين في تعظيمه فلا نعيد .

ب - و أما الشيخ البهائي فيظهر من كلمات صدر المتألهين أنه أخذ منه العلوم النقلية :

١ « ذكر الشيخ البهائي وسندنا في العلوم النقلية - رُوِّحَ اللهُ رُوحَهُ - » .  
٢ « حدثني شبيخي واستاذي ومن عليه في العلوم النقلية استنادي ، عالم عصره ، و شيخ دهره ، بهاء الحق والدين ، محمد العاملي الحارثي - الهمداني - نورالله قلبه بالأنوار القدسية ... » .

و يظهر من الترتيب الذي راعاه في استناد الحديث الأول من الكافي و تقديم ذكر

(١) شرح الاصول من الكافي : المقدمة ص ١٢ .

٢ . . . . الحديث الاول ص ١٦ .

الشيخ على السيد الداماد ان استفادته في المنقول منه أكثر . ولكن قلّما ينقل شيئاً من الشيخ في كتبه . مثل ما نقل في شرحه للاصول من الكافي<sup>٣</sup> كلاماً مفصلاً في علم معرفة رجال الحديث من كتاب مشرق الشمسين . و قال في موضع آخر :  
« هذه الحديث مما أخرجه شيخنا البهائي في كتابه المسمّى بالكشكول » .  
وفي التفسير :

« وقال شيخنا البهائي رحمه الله في أربعينه ... » .<sup>٥</sup>

و يظهر من مقارنة أشعاره (منتخب مثنوى) بمثنويات الشيخ - ره - تأثره منه في هذا المجال أيضاً .

### تلامذته

الظاهر اشتغال صدر المتألهين بالتدريس قبل انعزاله و بعده - وقد مضى تصريحه بأنه في الفترة بينهما لم يكن مشغولاً بالتدريس أو التأليف - فلا جرم كان له تلامذة كثيرة غير أنا لانعرف منهم إلا القليل .

فمن أشهرهم صهره على بنتيه : المولى محسن الكاشاني ، والمولى عبد-الرزاق اللاهجي . وقد لقبهما بالفيض والفيّاض .

وتأثر الفيض - ره - ( ١٠٠٧ - ١٠٩١ ) بصدر المتألهين أكثر من الفياض - ره - . على أنه من كبار المحدثين والمتبحرين في العلوم النقلية ، يشهد بذلك تأليفه الكثيرة التي نال من الإذاعة و الاشتهار شيئاً قلّما يتفق للمؤلفين .

و قال - ره - في رسالته « شرح الصدر » التي كتب فيه حياته : انه بعد التجول في البلاد والتفحص عمن عنده شيء من علم الباطن، وصل بخدمة صدر- المتألهين - ره - :

(٣) شرح الاصول من الكافي : الحديث الثامن من باب فرض العلم ص ١٢٦ .

(٤) « » : الحديث الثاني من باب الروح ص ٣٢٤ .

(٥) التفسير : ج ٣ ص ١٤٨ .

« تا آنکه در بلده قم بخدمت صدر اهل عرفان و بدر سپهر ایقان صدر -  
الدين محمد شیرازی - قدس الله روحه - که در فنون علم باطن یگانه  
دهر و سرآمد عصر خود بود رحل اقامت افکنده ، مدت هشت سال  
بر ریاضت و مجاهده مشغول شد . تا في الجملة بصیرتی در فنون علم  
باطن یافت :

شبان وادی ایمن گهی رسد بمراد

که هشت سال بجان خدمت شعیب کند

و آخر بشرف مصاهرت ایشان سرافراز گردید . و باز چون مشارالیه از قم  
به شیراز تکلیف نمودند و بدانجا اقامت فرمودند بمقتضای ﴿ فَإِنْ أَتَمَّمْتَ  
عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [۲۷/۲۸] به شیراز رفته ، قریب به دو سال دیگر  
در خدمت بسا برکات ایشان بسر برد ، و از انقباس طیبۀ ایشان بسی  
استفاده نمود »

وأما الفيّاض - فهو المولى عبدالرزاق بن حسين اللاهجي [ ۱۰۷۱ -  
صاحب كتاب الشوارق في شرح كتاب التجريد . عالمٌ ، حكيمٌ ، متكلمٌ ، شاعرٌ . سكن  
بقم واستفاد من صدر المتألهين - ره - و كان من أجلة تلاميذه رحمه الله ، وأدق من  
الفيض - ره - إلا أن إحاطة الفيض بالعلوم المختلفة أوسع . و كان الفيض يدرس  
بقم . وقد عارض مع صدرا في بعض أصوله الحكمية . أشهرها إصالة الوجود .  
إذا الظاهر أنه يعتقد اعتباريته ، و إن استظهر خلافه أحياناً .

\* \* \*

ومن تلامذته أيضاً الشيخ حسين التنكابني . وقد طبع منه رسالة في حدود  
العالم بحاشية كتاب المشاعر .

(ع) رسالة شرح الصدر مخلوط توجد بمكتبة آية الله المرعشي - دام ظلّه -

العامة بقم رقم ۱۴۰۱ .

## تأليفاته

ألف صدر المتألهين - قدس سره - كتباً ورسائل قيّمة في المعارف الإلهية أذكر فهرساً مع شرح وجيز لمختصاتهما حسب ترتيب الحرف الأول . ثمّ اتبعها ببحث عن الترتيب الزمني لها حسب ما أمكنني الفحص :

١- اتحاد العاقل والمعقول . قال صاحب الذريعة <sup>١</sup> - ره : إنه طبع بإيران .  
أوله : « الحمد لواهب العلم والحكمة ، والصلاة على واسطة الجود والرحمة » .  
يوجد نسخة منه بمكتبة ملك (طهران - رقم ٤٦٥٣/٥) <sup>٢</sup> .

٢- إتصاف الماهية بالوجود . يبحث عما استشكل في إتصاف الماهية بالوجود ، وعروضه لها ، نظراً إلى القاعدة الفرعية ، إذ ليس للماهية وجود قبل الوجود . وقد ذكر فيها من تأليفاته الأسفار الأربعة (ص ١١١) .

طبع مرتين : ألف - ضمن مجموعة رسائل صدر المتألهين (ص ١١٠ - ١١٩) الطبعة الحجرية (سنة ١٣٠٢ ق) . ب - بهامش رسالة التصور والتصديق له (ص ١-٢٣) المطبوعة مع كتاب الجوهر النضيد ، الطبعة الحجرية ، سنة ١٣١١ .

٣- أجوبة مسائل شمس الدين محمد الجيلاني المعروف بـ «ملاشمسا» . قال

(١) الذريعة : ج ١ ص ٨١ .

(٢) راهنمأ كتاب : ج ٥ ص ٣٣ .

فيه : « ورد إلى كتاب من أعزّ الإخوان و أفاضل الأقران ، أولي الدراية والعرفان ، عالم عصره و خلاصة دهره ... و أما المسائل التي طلب الكشف عنها فاقصرنا فيها على حد الأجمال ... » ثم يجيب عن الأسئلة الخمسة بعد ذكرها واحداً فواحداً : ١- السؤال عن الحركة في مقولة الكم . ٢- تجرد النفس النباتية وعدمه . ٣ - كيفية حصول الأشياء في الذهن . ٤- الفرق بين الإدراك في الحيوان والإنسان . ٥ - خلق الأرواح قبل الاجساد .

والرسالة مطبوعة بحاشية كتاب المبدأ والمعاد ص ٣٤٠ - ٣٥٩ الطبعة الحجرية سنة ١٣١٤ القمرية بطهران .

٤ - أجوبة المسائل النصيرية . هذه الرسالة فيها أجوبة المسائل الثلاثة التي سئل عنها الخواجه نصير الدين الطوسي - قدس سره - شمس الدين عبد الحميد - بن عيسى الخسروشاهي ، ولم يجب عنها . و الأسئلة :

١- كون الحركة علة للزمان، مع أن له مدخل في عليية الحركات الشخصية؟

٢- لماذا يجوزون حدوث النفس الإنسانية ويمنعون عن تجويز فنائها؟

٣- كيفية صدور الكثرات مع ثبوت قاعدة الواحد ... ؟

طبعت مرتين: ألف - بحاشية شرح الهداية الأثيرية (ص ٣٨٣-٣٩٣) الطبعة

الحجرية سنة ١٣١٣ . ب - بحاشية تهذيب الأخلاق (ص ٣٧٢ - ٣٩١) المطبوعة

مع كتاب المبدأ والمعاد ، الطبعة الحجرية سنة ١٣١٤ .

و أشار إليها وأتى بالسؤال الثاني وجوابها في الأسفار ج ٨ ص ٣٩٠ . و

تعليقاته على كتاب الشفا ص ١٧٠ .

٥ - أجوبة المسائل ، أو: جواب مسائل بعض الخلّان . فيها أجوبة عن

خمسة مسائل ، و الظاهر أن السائل من تلاميذه - قدس سره - : الف : سؤال عن

علمه تعالى . ب : كيفية كون الجوهر جنساً للأنواع الجوهرية . ج : الإشكال

الوارد على برهان الفصل والوصل من براهين إثبات الهيولى . د : الشبهة التي

تدل على أن للأعراض مادة يتركب منها . هـ : وجوه الفرق بين الحثيات و أن  
أياً منها أكثر للذات .

طبعت مع رسالتين أخريين من رسائله بعنوان «رسائل فلسفي» ضمن منشورات  
جامعة الإلهيات و المعارف الإسلامية بمشهد رقم ٥ ، سنة ١٣٩٢ القمريّة بتحقيق  
السيد جلال الدين الأشثياني دامت افضاله . و أعاد طبعه بالأفست مكتبة الاعلام  
الإسلامي بقم أخيراً .

و ذكر فيها من كتبه شرح الهداية الأثيرية ص ١٨٢ .

٦- اثبات شوق الهيولى للصورة . لم أر ذكراً لهذه الرسالة في فهرس  
مؤلفاته - قدس سره - عند أحد ، إلا أنه قال في الشواهد الربوبية : <sup>٣</sup> « ونحن قد  
أوردنا كلاماً مبسوطاً في دفع ما ذكره [ ابن سينا ] في الأسفار، وعملنا في بيانه  
رسالة منفردة .

٧- أسرار الايات و أنوار البيّنات يحتوي على مقدمة وعشرة مشاهد في  
المعارف القرآنية في المبدأ و المعاد وتطبيق المطالب الحكمية والعرفانية عليها .  
طبع بتهران أولاً سنة ١٣١٩ ق طبعة حجرية مع تعليقات المولى علي النوري  
عليه . وثانياً سنة ١٤٠٢ هـ ق بتصحيح صديقنا الفاضل محمد خواجسوي مع  
منتخبات من ذلك التعليقات ضمن منشورات «انجمن اسلامي حكمت و فلسفة  
ايران» رقم ٦٩ . وقد ترجمه المصحح أيضاً باللغة الفارسية وطبع بتهران أخيراً .

\* - الأسفار الأربعة = الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة الإلهية .

٨- اكسير العارفين في معرفة الحق واليقين . قال في مقدمته : « وقسمته  
على أبواب وفصول هي كالدعائم والأصول . و أبوابه أربعة : أولها في كمية  
العلوم وقسمتها . وثانيها في محل المعرفة والحكمة وهي الهوية الإنسانية . وثالثها  
في معرفة البدايات لها . و رابعها في معرفة الغاية الأصلية لها ... »

(٣) الشواهد الربوبية : ٧٨ .



طبع ضمن مجموعة رسائله التسعة ص ٢٧٨-٣٤٠ .

٩- ايقاظ النائمين . لم تكن هذه الرسالة معروفة. وقد وجد أخيراً نسختين لها وطبعها محسن مويدي ضمن منشورات «أنجمن إسلامي حكمت وفلسفه إيران» سنة ١٣٤١ ش ٥ - تهران.

ذكر فيها التوحيد على طريقة العرفاء ونقل أقوالهم وبعضاً من إصطلاحاتهم. ذكر فيها من كتبه الأسفار الأربعة (ص ٤ و ١٦) والنسخة المطبوعة مشحونة بالأغلاط والتحريفات على صغر حجمها.

١٠- رسالة في التشخيص - طبع ضمن مجموعة رسائله التسعة (ص ١٢٠

- ١٣٢) .

١١- التصور والتصديق. رسالة عميقة حول مسألة التصور والتصديق وأشار

فيها إلى الأسفار الأربعة (ص ٣١٢).

طبعت مرتين ملحقة بكتاب الجوهر النضيد للعلامة الحلبي - قدس سره -:

ألف : طبعة حجرية سنة ١٣١١ . ب : طبعة مصححة سنة ١٣٤٢ ش ٥

(مكتبة بيدار - قم). وترجمها إلى الفارسية الدكتور مهدي الحائري البيزدي مع

تعليقات عليها سماه : «آگاهي و گواهي» طبعت ضمن «منشورات انجمن اسلامي

حكمت وفلسفه ايران» رقم ٦٨ - ١٤٠١ ق.

١٢- تعليقات شرح حكمة الإشراق. تعليقات دقيقة فيها حكومات بين الفلسفة

المشائية والإشراقية، وذكر عقائده الخاصة. ذكر فيها من تاليفاته تفسير فاتحة الكتاب

(ص ٣٧٩) و رسالة الجدوث (ص ٥١٣ و ٣٩٢ و ٤٤٩) والشواهد الربوبية (ص

٣٧٣ و ٤٢٩ و ٥٣٥) و المبدأ والمعاد (ص ٥١٣ و ٤٥٢ و ٤٨٥) . والكتاب

مؤلف قبل سنة ١٠٤١ . إذ عبّر عن السيد الداماد بـ «سيدنا واستاذنا دام ظلّه»<sup>٤</sup> و

هو رحمه الله متوفى في هذه السنة.

(٤) تعليقات حكمة الاشراق : ٢٣٨ . راجع ايضاً : ٣١٨ .

طبعت بحاشية شرح حكمة الاشراف، الطبعة الحجرية سنة ١٣١٥ ق . و يوجد منه نسخة بمكتبة مجلس الشورى الإسلامي بتهران ( رقم ١٧٦٨ ) استكتبها الأغا علي المدرس الزنوزي لنفسه، وعليها حواش معدودة بخطه - قدس سره -  
١٣- تعليقات الشفا - تعليقات أنيقة على قسم الإلهيات من كتاب الشفاء لابن سينا . أوضح فيها مباني الشيخ الرئيس ، وشرح مشكلات ألفاظه وانتقدتها أحياناً و ذكر بعض عقائده الخاصة مما يفوق أهميتها على متن الكتاب . ومع الأسف لم تتم هذه التعليقات وانتهت إلى آخر المقالة السادسة في العلة والمعلول . ذكر فيها من كتبه الأسفار الأربعة ( في مواضع كثيرة ) والشواهد الربوبية والمبدء والمعاد والحكمة العرشية ( ص ٣٦ ) .

طبعت ملحقة بقسم الإلهيات من الشفا - الطبعة الحجرية سنة ١٣٠٣ ق  
تهران .

١٤ الى ٢٥- تفسير آية النور، آية الكرسي ، سورة الأعلى ، سورة البقرة، سورة الجمعة، سورة الحديد ، سورة الزلزال، سورة السجدة ، سورة الطارق ، سورة الفاتحة، سورة الواقعة، سورة يس .

طبعت مجموعة هذه الرسائل طبعة حجرية سنة ١٣٢٢ ق . وتفسير سورة الفاتحة والبقرة وقسم من آية الكرسي سنة ١٣٠٢ ق .

وطبع بعض منها منفردة كتفسير سورة الأعلى منضمّاً إلى كتاب كشف- الفوائد الطبعة الحجرية سنة ١٣١٢ ق . وتفسير آية النور طبع بحجم صغير أيضاً سنة ١٣١٣ ق وتفسير سورة الواقعة.

كما طبع قسم منها أخيراً مع ترجمتها باللغة الفارسية وهي تفسير آية النور، سورة الجمعة، سورة الواقعة، سورة الأعلى، سورة الطارق، سورة الزلزال. ترجمها صديقنا الفاضل محمد خواجوى وطبعت بطهران.

وستكون مجموعة هذه التفاسير في سبع مجلدات في طبعتنا هذه قد صدر

منه بحمد الله ستّ مجلدات نشكر الله تعالى على انجازهِ ونسئله التوفيق لاتمامه، و  
سنبحث عن خصوصياتها في الفصل التالي بإنشاء الله .

٢٦- حدوث العالم - اهتمّ بهذه المسألة استاذهُ الداماد - ره - وكتب في  
ذلك كتابه المشهور «القبسات» ولم ير صدر المتألهين كلامه تاماً ، ولم يرض به .  
فكتب هذه الرسالة التي أشار إليها في أكثر كتبه و رسائله . فأثبت الحدوث  
مبنياً على رأيه في الحركة الجوهرية . وجاء معظم هذه المطالب بلفظه في الأسفار  
الأربعة ج ٥ ص ٢٠٥ - ٢٤٦ وسائر كتب المؤلف . وأشار فيها من تأليفاته إلى  
الشواهد الربوبية (ص ٧٩ و ١٠٢) .

طبعت ضمن رسائله التسعة ص ٢ - ١٠٩ ويوجد نسخة منها بخطه الشريف  
بمكتبة جامعة طهران (رقم ٢٦٠٢) <sup>٥</sup> وعلى صفحتها الأولى كتابه في إهداء هذه  
الرسالة إلى معاصره الحكيم شمس الجيلاني <sup>٦</sup> .

٢٧ - الحشر . قسّم فيها الممكنات على خمسة طبقات ثم أثبت الحشر  
لجميعها و الرسالة في ثمانية فصول . طبعت ضمن رسائله التسعة ص ٣٤١-٣٧١ .

وايضاً بحاشية المبدء والمعاد (١٨٤-٢٣١) الطبعة الحجرية . وحاشية كشف-  
الفوائد للعلامة الحلّي الطبعة الحجرية سنة ١٣١٢ (ص ٩٤-١٤٠) و طبع أخيراً  
بظهران بتصحيح محمد خواجهي مع ترجمته باللغة الفارسية من المصحح . وأشار  
إليها المؤلف في كتابه الأسفار الأربعة (ج ٩ ص ١٩٨) .

٢٨- الحكمة العرشية . رسالة موجزة يذكر فيها لبّ مطالبه الحكيمية في  
المبدء والمعاد مع إحالة البراهين إلى كتبه المطولة . وتحتوي الرسالة على مشرقين

(٥) راجع فهرست مخطوطات المكتبة المركزية لجامعة تهران ج ٩ ص ١٤٥٢ .

(٦) ذكر في « يادنامه ملاصدرا ص ١١٠ » ان هذه النسخة لاتشتمل على الخاتمة  
التي في النسخة المطبوعة منها وفي نسخة أخرى موجودة في المكتبة برقم ٢٦٠٨ وهي  
مستنسخة من خطه الشريف .

الأول في العلم بالله وصفاته وأسمائه وآياته . والمشرق الثاني في علم المعاد .  
وقد طبعت ملحقة برسالة المشاعر سنة ١٣١٥ ق بطهران ومنظمة إلى ترجمته  
بالفارسية سنة ١٣٤١ بإصبهان ضمن منشورات جامعة إصبهان ( رقم ٥ ) ترجمه  
غلامحسين آهني .

وشرح الرسالة الشيخ أحمد الأحسائي شرحاً مطولاً انتقد فيه جلّ المباحث  
الواردة في الرسالة وردّهما بزعمه، وقد طبع هذا الشرح مرتين . ثم شرحه المولى  
إسماعيل الإصبهاني وأجاب عن إيرادات الشيخ . وطبع قسم من هذا الشرح  
بحواشي العرشية ( الطبعة الحجرية ) والقسم الآخر بحواشي أسرار الآيات ( الطبعة  
الحجرية أيضاً ) .

وذكر المصنف فيها من كتبه الأسفار الأربعة ( ٢٣٧-٢٤٨ ) والشواهد الربوبية  
( ص ٢٤٥ ) ورسالة الحدوث ( ص ٢٦٢ ) وتفسير فاتحة الكتاب ( ص ٢٦٤ ) وتعليقات  
حكمة الإشراق ( ص ٢٣٧-٢٣٩ ) .

٢٩- الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية : هذا الكتاب أمّ كتب  
صدر المتألهين وجامع جميع تأليفاته - ره - والقمة لجميع كتب الفلسفة السابقة  
عليه ومرتب على أسفار أربعة : ١- في الأمور العامّة . ٢- في العلم الطبيعي .  
٣- في العلم الإلهي أو معرفة الربوبية . ٤- في النفس . ويدعي - ره - أن كتابه  
هذا جميعه في المسائل الإلهية وإن ذكر فيه شيئاً من المسائل الطبيعية فلأنّ الحاجة  
إليها في المسائل الإلهية تقتضي بحثها .

و يظهر للناظر أن هذا الكتاب مؤلف مدة طوال عمر المؤلف التألّفي إذ  
يذكر فيه كثيراً من كتبه ورسائله التي ذكر فيها هذا الكتاب . ويوجد فيه عدم الترتيب  
والتقديم والتأخير في شتّى المباحث وكأنّ المؤلف - ره - نوى الكتابة ثمّ النظر  
فيه ثانياً ولم يوفق .

ومن أبرز الأدلة على ذلك عدم تطبيق ترتيب المباحث على الترتيب الذي  
أشار إليه في المقدمة :

٧ « واعلم أن للسلاك من العرفاء و الأولياء أسفاراً أربعة : أحدها السفر من الخلق إلى الحق وثانيها السفر بالحق في الحق . السفر الثالث يقابل الأول لأنه من الحق إلى الخلق بالحق . الرابع يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق . فرتبتُ كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على أربعة أسفار . وسميته بالحكمة المتعالية في الأسفار العقلية» .

ولكن الكتاب غير مرتّب على هذا المنهج ومحاولة بعض المعلقين لتطبيقه عليها تكلف من غير توفيق .

طبع (سنة ١٢٨٢ ق) طبعة حجرية في أربعة أجزاء . وعليه تعليقات الحكيم الإلهي الحاج المولى هادي السبزواري - قدّه - ثم طبع بقم في تسع مجلدات مضيئاً إليها تعليقات العلامة الفقيه و المفسر الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي وتعليقات آخر .

ولجمع من الحكماء و المحققين تعليقات على هذا الكتاب ، منهم الأغا محمد بيدآبادي، والمولى علي النوري، والمولى إسماعيل الإصبهاني، والأغا محمد رضا القمشهي ، و الأغا علي المدرس الزنوزي ، والميرزا هاشم الجيلاني .

ثم إنه - رحمه الله - قال في الشواهد الربوبية :

٨ « و لهذا بسطنا القول فيها في الأسفار الأربعة بسطاً كثيراً ، ثم في الحكمة المتعالية بسطاً متوسطاً ... » .

وهذا الكلام يعني أن له كتاباً مسمى بالحكمة المتعالية غير الاسفار الأربعة . و إذ لم يوجد له تأليف بهذا الاسم غير الأسفار الأربعة على أن كتابه الأسفار أيضاً موسوم بهذا الاسم ومن البعيد تسمية كتابين من مؤلّف واحد باسم واحد، و لهذا حاول بعض الأساتذة توجيه العبارة المذكورة بنحو ينفي وجوده .

(٧) الاسفار الأربعة : ج ١ ص ١٣ .

(٨) الشواهد الربوبية : ٣٣ .

و أخيراً قطع الاستاذ جلال الدين الأشتياني بعد عثوره على رسالة المسائل  
القدسية - الآتى ذكرها - والنظر فيها أن المشار إليه في الشواهد هو هذا الكتاب  
الذي لم يوفق المؤلف لإتمامه .<sup>٩</sup>

٣٠ - خلق الأعمال . رسالة صغيرة حول هذه المسألة العويصة التي كانت  
قديماً محطّ نظر المتفكرين ، وصنّف فيها جمع كثير رسائل مختلفه . وهذا التأليف  
يشمل شتى الأقوال والآراء فيها . ثمّ تحقيق الحق طبّقاً لماورد من أئمة أهل  
البيت عليهم السلام .

وطبعت ضمن رسائله التسعة (ص ٣٧١-٣٧٧) وبحاشية كشف الفوائد للعلامة  
الحلي - ره - (ص ١٤٦-١٥٨) .

٣١- ديوان شعره . قال صاحب الذريعة - ره - :

<sup>١٠</sup> « دُونَ بعض شعره . في حياته تلميذه الفيض في ضمن مجموعة كلّها  
بخطه . توجد في كرمانشاه عند الحاج آقا ضياء بن الحاج آقا مهدي .  
عنوانه لاستادنا العارف صدر الدين محمد الشيرازي سلمه الله تعالى  
و أبقاه » .

وطبع قسماً من أشعاره ملحفاً برسائله الفارسية «سه اصل» الآتى ذكرها .  
\* رسائل صدر المتألهين - تحتوي على تسع رسائل ذكرنا كل واحدة منها  
مفردة . طبعت حجرية سنة ١٣٠٢ ق ٥ .

\* رسائل فلسفي - تحتوي على رسائل ثلاثة ، ذكرناها مفردة طبعت  
سنة ١٣٩٢ ق بمشهد .

\* زاد السالك - المعاد الجسماني .

٣٢ - سريان نور وجود الحق في الموجودات . مطبوع ضمن الرسائل

---

(٩) راجع مقدمة رسائل فلسفي : ص ١ .

(١٠) الذريعة : ج ٩ ص ٦٠٠ .

التسعة (ص ١٣٢-١٤٨) .

٣٣- سه أصل - رسالة فارسية ينتقد فيها طريقة علماء الظاهر والقشربين ، الذين يخالفون أصحاب الحكمة و العرفان والسلوك إلى الله تعالى . يقول في وجه تسميتها :

«سه أصل استكفه في الحقيقة نزد أرباب بصيرت رؤساء شياطين كه مهلكات نفسند اينها اند . وديگر اصول ومبادئ شرور كه رؤوس ثعابين جور و شقاوت و سرهای تنين عذاب گور و قيامت اند - كه رسول خدا ﷺ در حديث عذاب قبر منافق از آن خبر داده - ازین سه اصل منشعب می گردد .

والكتاب مرتب على أربعة عشر باباً ، عرّف في الثلاثة الاول الأصول المذكورة . وهي : الجهل بمعرفة النفس ، حب الجاه والمال والشهوات ، تسويلات النفس الأمارة وتدليسات الشيطان . وفي الأبواب الثلاثة التالية يشرح ثمرات هذه الأصول . وفي السابع و الثامن يبين طريق الخطأ والصواب . والتاسع في بيان خاصية العلم الحقيقي و امتيازاته عن العلوم الظاهرية . والعاشر والحادي عشر فيها بيان نور الايمان ولزوم التصفية والتجلية . وفي الباب الثاني عشر يشرح ثمرات تلك المعرفة . والثالث عشر فيه بيان أمراض النفس و الباب الآخر في بيان العمل الصالح والعلم النافع .

وطبعت بتهران سنة ١٣٨٠ ق ه ضمن منشورات كلية علوم المعقول والمنقول وبتصحيح الدكتور السيد حسين نصر .

٣٤- شرح الأصول من الكافي - شرح متين على ذلك الكتاب القيم الذي هو أهم أصول كتب الحديث عند الشيعة . يصل شرح هذا الكتاب إلى حديث ٥١٣ «نحن ولاة أمر الله ...» من كتاب الحجّة من الكافي . ولم يوفق لإتمامه . فرغ من كتابة كتاب العقل والجهل و التوحيد على ما يصرّح في آخره سنة ١٠٤٤ ه ق .

(١١) سه اصل : ١١ .

و ذلك الشرح من غرر كتب صدر المتألهين وأحسن شرح كتب على ذلك الكتاب .  
ويظهر منه مدى تطلّعه في العلوم النقلية من الدراية و الرجال وأقوال أهل الحديث .  
ذكر فيه من تأليفاته: مفاتيح الغيب (ص ٤٠٩) والشواهد الربوبية (ص ٨٦  
و٤٢١) أسرار الآيات (ص ٤٠٩) و التعليقات على الشفاء (ص ٤١٣) و تفسير  
سورة الحديد و آية الكرسي و النور (ص ٢٤٨ و ٢٤٩) و رسائل أخرى .

طبع طبعة حجرية بطهران ١٢٨٢ هـ ق و عليه تعليقات من المولى علي النوري  
- ره - واشتغل بتصحيحه و ترجمته وطبعه أخيراً محمد خواجوي بطهران ولكن  
لم يصدر منه شيء حتى الآن .

و يوجد قسم منه بخطه الشريف بمكتبة آية الله المرعشي العامّة - أدام الله  
ظله - بقم .

٣٥- شرح الهداية الأثيرية - شرح جيّد على كتاب الهداية لأثيرالدين  
الأبهري - التي تعد من متون الفلسفة المشائية . كتبه صدر المتألهين حين تدريسه  
الكتاب - كما في المقدمة - والظاهر أنه من أوائل تأليفاته - ره - وليس فيه  
ذكر من المباني الخاصّة له . ذكر فيه من تأليفاته الأسفار الأربعة (ص ٢١٣ و ٢٢٣)  
والمبدأ والمعاد (ص ٣٢٤) .

طبع بتهران سنة ١٣١٣ هـ ق طبعة حجرية وعليه حواش من الأغا علي  
المدرس ، و محمد هادي الحسيني ، و الميرزا أبوالحسن جلسوه ، و المولى  
نظام الدين .

و توجد منه نسخة في مكتبة جامعة تهران (رقم ٢٥٤) وفي الفهرس المطبوع  
للمكتبة (مشكوة ٢٨٤/١) استظهر كونها نسخة الأصل .

٣٦- الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية : كتاب موجز ، بين صدر -  
المتألهين فيه عقائده ومبانيه الخاصّة ، وجانب الإطالة و الإطناب . ويعدّ من أنفع  
كتب المؤلف و مرتّب على خمسة مشاهد : الأول في المعاني العامّة . الثاني في وجوده



تعالى و إنشائه النشأة الآخرة والاولى . الثالث في علم المعاد . الرابع في الحشر  
الجسماني . الخامس في النبوات و الولايات .

و أشار فيها من تأليفاته إلى رسالة إثبات شوق الهيولى للصورة (ص ٧٨) و  
تفسير سورة الحديد (ص ٩٢) والأسفار الأربعة (ص ٢٢ و ١٤ و ٣٤ و ...) والحكمة  
المتعالية (ص ٣٤) .

وطبع الكتاب سنة ١٢٨٦ طبعة حجرية مع تعليقات المولى هادي السبزواري  
عليه . وسنة ١٣٤٦ ش ضمن منشورات جامعة مشهد (رقم ١٤) بتصحيح وتعليق  
السيد جلال الدين الأشتباني مع تلك الحواشي أيضاً .

وللمولى علي النوري والآغا محمد رضا القمشهي تعليقات عليه . و يوجد  
ترجمة منه بالفارسية في المكتبة الرضوية - عليه آلاف الثناء والتحية (برقم ٤٠٤) -  
ترجمه أبو القاسم بن أحمد اليزدي من فضلاء العصر الفاجارية .

٣٧- الشواهد الربوبية - توجد نسخة منه بمكتبة سبهسالار بتهران ( رقم  
٦٣١٩/٥) وهذا الكتاب غير السابق . فيه فهرس مطالب مسائله الفلسفية - على ما  
جاء في فهرس المكتبة . وقد حاولتُ مراراً زيارة المكتبة لرؤية النسخة فلم أوفق لذلك  
لبعض الأحوال الموجودة في إدارتها .

٣٨- طرح الكونين - ذكره في كتابه الأسفار الأربعة (١/٤٧) وما قاله  
البعض «من أنه رسالة الحشر» غير مطابق لما في الأسفار إذ يظهر منه أنها في بيان  
وحدة الوجود الشخصية . وقد نبّه على ذلك أيضاً الاستاذ الكبير الشيخ محمدرضا  
المظفر في مقدمة الأسفار الأربعة (ص: ر) .

٣٩- القضاء والقدر - رسالة مرتبة في ستة فصول : ١- معنى العناية  
والقضاء والقدر ٢- في محل القضاء والقدر ٣- في أن العالم مخلوق على أجدود  
النظام . ٤- كيفية دخول الشر في القضاء الإلهي . ٥- كيفية الإختيار فينا . ٦- في  
فائدة الطاعات وتأثير الدعاء .

طبع ضمن رسائله التسعة (ص ١٤٨-٢٣٧).

٤٠- كسر أصنام الجاهلية ورد فيه على المتصوفة ، و بيّن طريق المعرفة و السلوك و رتبة على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة : المقالة الأولى - في جلاله العلم بالله و بيان فضائح المدّعين الكاذبين . الثانية - أن الغاية القصوى في العبادات تحصيل المعارف . والثالثة - في ذكر صفات الأبرار . و الرابعة في المواعظ . طبع سنة ١٣٤٠ ش ضمن منشورات كلية المعقول والمنقول بطهران و بتصحيح محمد تقى دانش پژوه . و ترجمته باللغة الفارسية سنة ١٤٠٥ ق كما ترجمه أيضاً في هذه الأوان الفاضل محسن شفاثي و طبع بتهران .

٤١- لمية اختصاص المنطق بموضع معين من الفلّك - توجد نسخة له في المكتبة الرضوية بمشهد (رقم ٨٧٦) .

٤٢- اللغات المشرقية في المباحث المنطقية - طبع بتهران مع ترجمة و شرح من عبدالحسين مشكوة الدينني باسم «منطق نوبن» .

٤٣- المبدأ والمعاد - يشتمل على قسمين : الفن الأول في بيان الربوبيات والإشارة إلى معرفة الحق الأول وصفاته وأفعاله ... والفن الثاني في النظر المختصّ بالمعاد . وهذا الكتاب من أوائل ما كتبه صدر المتألهين اذ أحبال البحث في علم الحق تعالى في كتابه شرح الهداية إلى هذا الكتاب (ص ٣٢٤) .

ذكر فيها من تأليفاته شرح الهداية (ص ٣٨٤) و الأسفار الأربعة (ص ٢٥٦) طبع طبعة حجرية سنة ١٣١٤ هـ ق مع تعليقات السبزواري عليه و سنة ١٣٥٤ ش هـ بتصحيح السيد جلال الدين الآشتياني ضمن منشورات «انجمن فلسفه ايران» و طبع ترجمته إلى الفارسية التي ترجمه ابوالقاسم بن أحمد اليزدي مترجم الشواهد الربوبية السالف الذكر سنة ١٣٦٢ بتهران .

٤٤- متشابهات القرآن - رسالة صغيرة مرتبة في ستة فصول بيّن فيها أقوال الفرق في المتشابهة وتحقيق الحقّ فيه . وقد جاء معظم هذه الأبحاث بلفظها

في مفاتيح الغيب (ص ٧٣-٨٩) وتفسير آية الكرسي (ص ١٥٠-١٧٥) وكتبه  
الأخرى. وإلى ذلك أشار في المقدمة:

١٢ «وقد بينا ذلك وشرحناه في بعض مواضع من تفسير كتابنا الكبير...»

طبعت الرسالة ضمن مجموعة بعنوان «رسائل فلسفي» بتصحيح السيد  
جلال الدين الأشتياني بجامعة مشهد (ص ٧٣-٩٧).

٤٥- المزاج - يوجد نسخة منه بالمكتبة الرضوية<sup>١٢</sup>.

٤٦- المسائل القدسية - رسالة غير مطولة فيه لبّ مطالبه الحكمية شرع في  
تأليفه ولم يوفق لإتمامه. واستظهر مصحّحه الاستاذ السيد جلال الدين الأشتياني  
بأنه المقصود من الحكمة المتعالية المشار إليها في الشواهد الربوبية الذي مضى  
ذكره. وكان عازماً على إتمامه إذ قال في بحث إثبات الوجود الذهني «ولعلك  
ستجد منا ما يكفيك من التحقيقات اللائقة به عند تحقيقنا المعاد الجسماني...» و  
لم يوفق لإتمام الكتاب أو لم يصل إلينا. و أشار فيه إلى الأسفار الأربعة  
(ص ٢٣).

طبعت هذه الرسالة ضمن المجموعة السابقة الذكر «رسائل فلسفي» بمشهد  
(ص ٧٢-١).

٤٧- المشاعر- رسالة موجزه جمّع فيها أسس القواعد الحكمية المتفرقة في كتبه  
ورسائله<sup>١٣</sup> ورتّبها على فاتحة وثمانية مشاعر: الفاتحة في تحقيق مفهوم الوجود  
وأحكامه. المشعر الأول في غنائه عن التعريف. الثاني: في كيفية شموله للأشياء.  
الثالث في تحقيق الوجود عيناً. الرابع دفع شكوك أوردت على عينية الوجود.

(١٢) متشابه القرآن: ٧٦.

(١٣) فهرس المكتبة: ١٤٣/٤. راجع أيضاً: راهنمای کتاب: ٣٤/٥.

(١٤) راجع مقدمة المشاعر: ٥.

الخامس في كيفية انصاف الماهية بالوجود. السادس بماذا تخصصيص أفراد الوجود؟ السابع في أن المجمعول بالذات هو الوجود. الثامن في كيفية الجعل و اثبات وجود الباري تعالي .

وشرح هذه الرسالة جمع من الأعلام منهم الشيخ الأحسائي شارح العرشية<sup>١٥</sup> و المولى محمد جعفر اللاهيجاني ، وقد طبع هذا الأخير بتصحيح السيد جلال الدين الأشتياني بمشهد ١٣٨٣ ق ، و لجمع من الأعلام تعليقات على الرسالة جاء قسم منها بحاشية الطبعة الحجرية .

وقد طبعت الرسالة طبعة حجرية سنة ١٣١٥ ق ومع ترجمة ميرزا عماد الدولة المسمى بعماد الحكمة بالفارسية ضمن منشورات «انستيتو ايران وفرانسه» بطهران سنة ١٣٤٢ ش (رقم ١٠) وترجمه إلى الفارسية غلامحسين آهني سنة ١٣٤٠ ش.و وطبع ضمن منشورات جامعة أصبهان .

٤٨- المظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية - هذه رسالة موجزة « في تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالمبدأ والمعاد ، ليكون معيناً لمن له فضل قوة على تحصيل الكمال ...»<sup>١٦</sup> رتبت على مقدمة - يبيّن فيها فضل الحكمة - وفنّين: الأول في الإشارة إلى معرفة الله تعالي وكيفية أفعاله ، ويشتمل على ثمانية مظاهر. والفن الثاني في المباحث المتعلقة بالمعاد ويشتمل على ثمانية مظاهر أيضاً .

طبعت الرسالة بحاشية المبدأ والمعاد (ص ٢٣٢-٣٣٨) الطبعة الحجرية سنة ١٣١٤ ق وفي سنة ١٣٨٠ بتصحيح السيد جلال الدين الأشتياني بمشهد .

٤٩ - المعاد الجسماني - الظاهر أنه رسالة زاد المسافر التي شرحها السيد جلال الدين الأشتياني ونشر ضمن منشورات «انجمن حكمت وفلسفه ايران» سنة ١٣٥٩ هـ. وهي رسالة موجزة في بيان المعاد الجسماني ، ويقول في المقدمة إن

(١٥) فهرست كتب مشائخ الشيخية : ٢٢٨ .

(١٦) مقدمة الرسالة : ٢ .

مقدمات ما قال فيها أثبت وبرهن عليها في كتابه الأسفار الأربعة .  
٥٠ - مفاتيح الغيب - هذا الكتاب الذي من غرر كتب صدر المتألهين و  
أهمها كتب كمقدمة لتفسيره الكبير الذي لم يوفق لاتمامه. ولكونه مؤلفة في أواخر  
عمره الشريف. يعدّ من المصادر المهمة لأرائه وهو أقرب من كتبه الأخر إلى المطالب  
العرفانية الصرفة . وقد رتب على مقدمة وعشرون مفتاحاً .

ذكر فيه من تأليفاته تعليقات حكمة الإشراق (ص ٢٤٨) وتفسير سورة الواقعة  
(ص ٦٣٥) و رسالة الحدوث (ص ٤٠٣ ومواضع أخرى) و الشواهد الربوبية  
(ص ٢٤٠ و ١٠٦ و ٤٢١ و ٤٤٦) و المبدأ و المعاد (ص ١٠٦ و ٢٦٦ و ٤٢١).  
طبع بتهران طبعة حجرية مع تعليقات المولى علي النوري وأخيراً ضمن  
منشورات «انجمن إسلامي حكمت و فلسفه ايران» بتصحيح محمد خواجه جوي  
سنة ١٣٦٣ ش. مع بعض التعليقات المذكورة . وترجمه المصحح إلى اللغة الفارسية،  
وهي مطبوعة أخيراً أيضاً .

٥١ - الواردات القلبية في معرفة الربوبية. رسالة مرتبة على أربعين فيضاً  
يكنى و يصرح فيها بالمطالب الذوقية والحكمية . يتندى عن الوجود وأنه الحق  
وبيان صفاته وترتيب العالم الكبير، ثم الصغير ولزوم تهذيب النفس، ومدى تعاليها  
إذا . كهلت ثم التشبيح على المخالفين من الظاهريين و أعوان الجبابة ، ومواعظ  
للسالكين والقارين .

طبعت ضمن رسائله التسعة (ص ٢٣٨-٢٧٧) و أيضاً مفردة مع ترجمتها  
بالفارسية ضمن منشورات «انجمن فلسفه ايران» (رقم ٤٩) سنة ١٣٩٩ ق هـ بتصحيح  
وترجمة دكتور أحمد شفيعها .

٥٢ - قال قدس سره في التفسير [٢/٢٤٣] - بعد ذكر الحديث النبوي بالحديث :  
«خلق الله الأرواح ...» - : «ونحن قد عملنا في شرح هذا الحديث وتعيين

المذكور فيه على كلتا الروايتين رسالة على حدة . ولم نعر بعد على هذه الرسالة .

\* \* \*

وقد نسب إلى صدر المتألهين رسائل أخرى مما هو منحول أو مشكوك فيها .<sup>١٧</sup>

وله مكتوبات طبعت متفرقة :

١- ما كتبه في تمجيد كتاب «عرش التقديس» لاستاده السيد الداماد وقد طبع صورة خطه الشريف في كتاب ربحانة الادب عند ترجمة صدر المتألهين .<sup>١٨</sup>  
٢- مكتوب له إلى استاده السيد الداماد . يوجد نسخة منه في المكتبة الرضوية <sup>عليها</sup> المنصفاً إلى النسخة (رقم ٥٩٠ حكمة) وهو ناقص من آخره . وطبع بجريدة « نامة آستان قدس »<sup>١٩</sup> وكتاب «شرح حال وآراء ملاصدرا» للاستاذ السيد جلال الدين الأشتياني .<sup>٢٠</sup>

٣ و ٤ - مكتوبان آخران إلى استاده أيضاً . موجودان ضمن مجموعة في المكتبة المركزية بجامعة تهران (رقم ١٣٢) . وطبع في مجلة «فرهنگ ایسران زمين»<sup>٢١</sup> . أثنى في الأول على استاده ثناء بالغاً حد الإغراق و ذكر عدم توفيقه

---

(١٧) راجع يادنامه ملاصدرا : ص ١٢٠ . وقد جاء فيما نسب إليه حواش على كتاب التجريد للمحقق الطوسي . ويحتمل أن يكون قوله في التفسير [٥٦/١] : «ولهذا الكلام زيادة تحقيق مذكور في حواش التجريد» إشارة إليها .

(١٨) ربحانة الادب : ج ٣ ص ٤١٨ .

(١٩) رقم ٩ ص ٥٩ إلى ٦٢ .

(٢٠) ص ٢٢٥ .

(٢١) ج ١٣ ص ٨٤ إلى ٩٨ .

في الوصول الى حضرته قريباً من سبع أو ثمان سنين . وانعزاله في هذه الفترة للعبادة والذكر وما انكشف له لهذه المناسبة من الحقائق والمعارف التي لا يمكن التصريح بها إلا إيماء . و في قصده الوصول إلى خدمة الاستاذ و شرح هذه المطالب شفاهاً . وفي المکتوب الثاني أيضاً يذكر بعد ثناء بليغ لاستاده انه أرسل أسئلة إلى استاده بوساطة أحد من أصدقائه أو تلاميذه . والسؤال غير موجود في النسخة المذكورة .

٥ - مکتوب آخر إلى استاده أيضاً . طبع بمجلة «راهنمای کتاب»<sup>٢٢</sup> أنني فيه على استاده كثيراً . ثم شكى من عواري الحدثان و أهل الدوران وضعف المزاج . وصرح بانقطاعه منهم طيلة اثنتي عشر سنة . وقال في آخره :

« وچندين مطالب علمي و مطالب حکمی که ببحث و برهان دانسته بود ، أضعاف آن بمراتب شتی بالهام و كشف و عين اليقين حاصل شد .»

٦ - وقد طبعت في مجلة كلية الأدب بجامعة طهران<sup>٢٣</sup> رسالة فارسية تقع في صفحتين تشبه أن تكون مکتوبة . بصور فيها وجود هذا العالم والقيامة الصغرى والكبرى بطريقة أهل الذوق . وليس فيها دليل لكونها من صدر المتألهين غير انتسابها إليه في مجموعة خطية .

#### الترتيب الزمني لتأليفه - ره -

من المعروف إن آراء صدر المتألهين - كغيره من المفكرين - استكمل طوال عمره الشريف ، وقد بلغ ذروته في الكمال - أو اظهاره - في أواخر عمره قدس سره . فالبحت عن الترتيب الزمني لمؤلفاته في غاية الأهمية للناظرين في فلسفته الخاصة . فنبحث عنها في ذلك الفصل ما أمكننا الفحص رجاء أن يكون عملنا

(٢٢) رقم ٩٥٨ ص ٧٥٨ . منقول عن نسخة يملكها الدكتور اصغر مهدوي .

(٢٣) السنة السابعة عشرة : ص ٣٢٧ - ٣٢٩ .

فتح باب للمحققين في هذا المجال .

فأول ما يمكن أن نقول حول كتابه الكبير الأسفار الأربعة إنه اشتغل بتأليفه طيلة عمره الشريف . حيث يوجد الإشارة إليه في عموم كتبه و رسائله ، و الإشارة فيه إلى ذلك الكتب و الرسائل متعكساً . ويؤيد ذلك ما استظهرناه سابقاً من عدم إكمال ترتيب هذا الكتاب وتنظيمه حسب ما كتبه في المقدمة قبل إتمام الفرصة .<sup>٢٤</sup> ثم من أوائل تأليفاته - ره كتابين «المبدأ والمعاد» و«شرح الهداية الأثيرية» والظاهر سبق المبدأ والمعاد على شرح الهداية ، إذ يشير إليه في ص ٣٢٤ من شرح الهداية ويحيل البحث في مسألة علم الواجب تعالى إليه . وقد جاء في آخر نسخة من كتاب المبدأ و المعاد موجودة بمكتبة المركزية لجامعة تهران (رقم ٤٢١) إنه انتهى من تأليفه سنة ١٠١٥ . واستظهر في الفهرس المطبوع لمكتبة الجامعة (مشكوة ١/٣٤٤) ان التاريخ بخط المؤلف وعليه خاتمه الشريف . غير ان الخط وإن شابه خط المؤلف لكن الخاتم ليس خاتمه وذلك التاريخ لا يوثق عليه .

و الرسائل التفسيرية فأولها تفسير سورة الحديد على ما يأتي من تصريحه بذلك . وتفسير سورة الأعلى حيث لم يشرفي مقدمته إلى شيء من تفاسيره - كما في مقدمة تفاسيره الأخرى .

ثم تفسير آية الكرسي مؤلف حدود سنة ١٠٢٢ بقم لتصريحه بأنه ألفها «و قد بلغ سنه إلى نيف و أربعين»<sup>٢٥</sup>

و تفسير آية النور مصنف بعدها بشهر ربيع الثاني سنة ١٠٣٠ على ما صرح به في آخره، وتفسير سورة الطارق في الشهر التالي لها . وكذا جاء في آخر تفسير سورة يس أنها أيضاً مؤلفة بسنة ١٠٣٠ . ولأن السياق فيها يشبه سياق سائر تفاسيره المتفرقة يقدر تأليفها قريباً من هذه .

(٢٤) راجع ما مضى من الكلام حول هذا الكتاب عند ذكر فهرس تأليفاته ره .

(٢٥) تفسير آية الكرسي : ٥٩ .



و يمكن القول بتأخير تأليف تفسير سورة الجمعة نظراً إلى عدم ذكره في مقدمة تفسير سورة السجدة عند سرد أسامي تفاسيره وكثرة ذكر المطالب الذوقية فيه مما هو سياق تأليفاته الأخيرة .

و أُلّف بعد هذه التفاسير كتابه «الشواهد الربوبية» إلا أنه سبق تفسير سورة الزلزال حيث ذكر فيه كتابه الشواهد .

وقد أُلّف قبل الشواهد الربوبية «الحكمة المتعالية» حيث ذكره في الشواهد ص ٣٣ وكذا رسالة إثبات شوق الهبولى للصورة وأشار إليه في الشواهد ص ٧٨. والظاهر إن تأليف رسالة الحدوث بعد الشواهد الربوبية إذ لم يجيء ذكرها فيه وقد جاء في عامة كتبه المفصلة .

وتعليقاته على شرح حكمة الإشراق مؤلّف بعد هذه الرسالة لأنه ذكرها فيها. وكتاب مفاتيح الغيب ، مؤلّف بعد هاتين وسابق على أسرار الآيات وشرح الأصول من الكافي، لمكان الإشارة فيهما إليه على أنه مقدمة تفسيره الكبير فتأليفه مقدّم على تفسير سورة الحمد والبقرة . كما يحتمل اشتغاله بتأليف هذا التفسير و التعليقات على شرح حكمة الإشراق معاً . لأنه يشير في مفاتيح الغيب - الذي كتبه كمقدمة لتفسيره الكبير إلى هذه التعليقات (ص ٢٤٨). ويشير في التعليقات إلى تفسير الفاتحة (ص ٣٧٩). ثم التعليقات مؤلّف قبل سنة ١٠٤١ على ما أشرنا إليه من أنه مؤلّف في حياة استاذه الداماد - ره - .

وقد ذكر في تفسيره (٥٥/٢) كتاب كسر أصنام الجاهلية . وكتاب متشابهات القرآن مؤلّف بعد التفسير، حيث أشار فيه إلى تفسيره هذا ، وكذا رسالة الحكمة العرشية لأنه أشار فيها إلى تفسير سورة الفاتحة . و تعليقات الشفاء مؤلّف قبل شرح الأصول من الكافي لما فيه من ذكرها ، ورسالة أجوبة المسائل النصيرية مؤلّف بعدها لعدم الإشارة إليها ، حيث جاء معظم تلك الأجوبة بلفظه في التعليقات ص ١٧٠ .

وآخر كتاب نذكرها شرح الأصول من الكافي وقد صرح في آخر كتابي العلم  
والتوحيد أنه فرغ منهما بسنة ١٠٢٤ ق .

فترتيب هذه الكتب تحقيقاً أو حدساً على التالي :

١- المبدأ والمعاد .

٢- شرح الهداية .

٣- تفسير سورة الحديد .

٤- تفسير سورة الأعلى .

٥- تفسير آية الكرسي . بعد سنة ١٠٢٠ .

٦- تفسير آية النور . سنة ١٠٣٠ .

٧- تفسير سورة الطارق . سنة ١٠٣٠ .

٨- تفسير سورة السجدة .

٩- تفسير سورة يس . سنة ١٠٣٠ .

١٠- تفسير سورة الواقعة .

١١- الشواهد الربوبية .

١٢- تفسير سورة الزلزال .

١٣- رسالة الحدوث .

١٤- تعليقات حكمة الإشراف . قبل سنة ١٠٢١ .

١٥- كسر أصنام الجاهلية .

١٦- تفسير سورة الجمعة .

١٧- مفاتيح الغيب .

١٨- تفسير سورة الحمد .

١٩- تفسير سورة البقرة .

٢٠- متشابهات القرآن .

٢١ - أسرار الآيات .

٢٢ - الحكمة العرشية .

٢٣ - تعليقات الشفاء .

٢٤ - أجوبة المسائل النصيرية .

٢٥ - شرح الأصول من الكافي . سنة ١٠٤٤ .

وقد قلنا إن كتاب الأسفار الأربعة مؤلف طيلة عمره الشريف . وأما بقية مؤلفاته

فغير معلومة وإن أمكن الكلام في بعضها بشيء من التقريب .

ثم ليعلم إن الإشارة إلى كتاب في تأليف آخر الذي استفدنا منه أحيانا في

تنظيم هذا الجدول لا يدل على تقدم الأول على الثاني بالبت واليقين لإمكان إضافة

ذلك فيه من جهة مؤلفه بعد سنين من تأليف الكتاب . وقد أشرنا أن هذا النحو من

التداخل قد اتفق في كتب صدر المتألهين .

### منهجه في التأليف

بالنظر الكلي تقسم مؤلفات صدر المتألهين إلى قسمين : الف : رسائل الغرض

فيها بيان المطلب ونتائج البراهين ، ولا يشير فيها إلى شيء من شتى الأقوال الأخرى

وحججها .

ب : كتب الغرض من تأليفها إثبات المطالب وشرحها . ولذا يذكر فيها الآراء

المختلفة في المسائل وينتقدها ، ثم يشير إلى رأيه الخاص .

فالقسم الأول رسائل موجزة ومؤلفة في الأغلب حول موضوع خاص و

القسم الثاني كتب مفصلة ، كالأسفار الأربعة وشرح الأصول من الكافي . و

لأن الغرض في القسم الثاني إيصال القاري إلى المطلب ، يسلك فيها مسلك السلوك

العملي ويذهب بالقساري إلى الإمام خطوة فخطوة . ففي الإبتداء يعنون المسألة

على المنهج الموجود في الكتب المشهورة ويسرد الآراء والأقوال التي حولها

وحجج النافين والمثبتين. ثم ينتقدها، ويظهر مواضع الخلل في البراهين - وقد ينبه  
أن التوغّل في ذلك المجال مما لا يلزم<sup>٢٥</sup>

وأخيراً يكشف النقاب عن رأيه الخاص ويشغل بشرحه وإثباته :

٢٦ « ونحن أيضاً سالكون هذا المنهج في أكثر مقاصدنا الخاصة. حيث  
سلكنا أولاً مسلك القوم في أوائل الأبحاث و أواسطها ، ثم نفرق  
عنه في الغايات، لثلاث تنبؤات الطبائع عما نحن بصدده في أول الأمر.  
بل يحصل لهم الاستيناس به ، ويقع في أسماعهم كلامنا موقع القبول  
إشفاقاً بهم».

٢٧ « ولنذكر البحث الذي يرد عليه من شيعه المنكرين للصور . فنشير  
إلى الجواب المناسب لأصحاب الأذهان البحثية ، ثم نرجع إلى ما  
أرانا الله من برهانه و كشف على ضميرنا ، وفتح على قلبنا من باب  
رحمته ورضوانه. فنظهر نبذاً منه، ولا نستحي من قول الحق وإن كان فيه  
حيداً عن المشهور».

ويكون القسم الأخير نفسه شقين أحياناً: ففي الأول يذكر نظراً دقيقاً لتقريب  
الأذهان إلى الغرض الأصلي. وفي الآخر يظهر رأياً أدقّ دون ردّ القول الأول .  
وهذا القسم الأخير موجزٌ في الأكثر لا يفصله خوفاً من الظاهريين والغوغاء  
وصوناً له عن غير أهله كما انه قد لا يشير إلى هذا القسم أصلاً، قال في مكتوب

---

(٢٥) قال في مفاتيح الغيب (ص ٩٩) : وليس من عادة طالب الحقيقة الاعتناء  
بكلام من لا كشف له ، لا بصيرة في ادراك الحقائق ، كجمهور المتكلمين وأصحاب  
القلقلة و علماء اللسان وأهل البلاغة في البيان . ولكن لا بأس بايراد كلماتهم وتصوير  
مدلولات الالفاظ وحدود المفهومات لتنقيح المناط وتخراج المبعث .

(٢٦) الاسفار الاربعه : ج ١ ص ٨٥ .

(٢٧)

له إلى استاذة الميرالداماد - ره - :

۲۸ « بسی از معانی لطیفه و مسائل شریفه مکشوف خاطر علیل و ذهن کلیل گشته ، و اکثر آن از طریقه مشهور متداول نزد جمهور بغایت دور است . با آنکه اقامت برهان بر آن شده و از قوانین بحثی بعید نیفتاده . اما چون مانوس طبائع اکثر طلبه و منتسبین به طایفه علم و اصحاب دانش چنانکه عرض نموده نیست و نمی باشد، لهذا در مسطورات خود تصریح به آن نمی نماید. بلکه بعضی از آن را بایمای قلیل موّدی می سازد ، و بعضی از آن را متفرق نموده و در اثنای مباحثات طویله به تبعیت دیگر سخنان تطفلاً معروض خواطر اذهان صافیه و اذهان ثاقبه میگرداند . اما آنچه در خاطر مرصود است مسطور نمیگردد . »

۲۹ « وقد انتهت إلى ما تبدل الأذهان عن دركها وتتحرك سلسلة الحمقى والمجانين عن سماعها وتشمئز قلوبهم عن روائعها كاشمئزاز المزكوم عن رائحة الورد الأحمر والمسك الأذفر . »

۳۰ « ولأهل الإشارة فيه كلام لا يجوز التصريح به لقصور الأفهام وشنعة اللثام . »

۳۱ « ولنمسك اللسان عن هذا البيان . فقد انحلّ زمام الكلام عن الضبط . وخرج عن طور عقول الأنام ، وعهدة إدراك الأفهام . »

۲۸) فرهنگ ایران زمین : ج ۱۳ ص ۹۴ .

۲۹) مفاتیح الغیب : ۱۷۳ .

۳۰) التفسیر : ج ۲ ص ۱۷۳ .

۳۱) مفاتیح الغیب : ۳۵۱ .

ولذلك عسر على المنقّين التوصل إلى عقائده الخاصة وتمييزها عن أقوال غيره. ولا يصل إلى ذلك إلا بعد النظر في عامة مؤلفاته - وسيما التي كتبها في أواخر عمره الشريف - والتعمق والدقة في جميعها. إذ تراه أحياناً ينقل أقوالاً واحتجاجات في موضوع دون التصريح برأيه الخاص:

٢٢ «هذه العلوم الأربعة قد أودعنا في بعض كتبنا و رسائلنا شيئاً من مجامعها وأوساطها. دون القدر الذي رزقنا منه. مع قصر العمر وطول الشواغل و قلة الأعوان والرفقاء، وكثرة الأضداد والمعاندين. ولم يشبع الكلام حسب ما جعله الله قسطين. لأنه مما يكلّ عنه أكثر الأفهام، ويستضرّ به الضعفاء. وهم أكثر المترسّمين بالعلم».

٢٣ «ولقد أطنبنا الكلام، وقد بقي بعدُ خبايا في زوايا القلب لتبيين المرام و تحقيق الكلام تركناها لضيق المقام ... على أن الصادّ الشديد عنه موجود ، والباعث القوي عليه مفقود و هما قصور الأفهام من الطلبة المحصّلة، وشنعة اللثام من الجهلة المعطّلة».

٢٤ «وعنه جواب آخر لا نسمح به لأنه مما يشمئزّ عنه قلوب جماعة كاشمئزاز المزكوم من رائحة الورد ...»

وإن كانت تلك العوائق لا تمنعه عن مخالفة الجمهور :

٢٥ « و الرجل الحكيم لا يلتفت إلى المشهور و لا يبالي إذا أصاب

(٣٢) تفسير آية الكرسي : ٥٩ .

(٣٣) تفسير سورة يس : ٢٥٦ .

(٣٣) التفسير: ج ١ في تفسير قوله تعالى: يؤمنون بالغيب .

(٣٥) الأسفار الأربعة : ج ٦ ص ٦ .

الحق - من مخالفه الجمهور. ولا يتوجه في كل باب إلى من قال - بل إلى ما قيل».

\* \* \*

ومن دأبه - ره - نقل آراء السلف وأقوالهم والمطالب الخطابيات والمواعظ عن كتب مختلفة دون التصريح بالمنقول عنه - كما هو شأن أكثر المؤلفين القدماء - فصار ذلك مرمى لذوي الأنظار القصيرة والمعاندين حتى رموه بالآخذ من الغير، دون التوجه إلى سبأه كتابته - ره - أو النظر إلى تصريحاته في ذلك المجال :

٣٦ «هذا تمام ما ذكره صاحب المطارحات نسيابة عن الأقدمين ، ذكرناه بعبارة، إذ لم أجد فائدة في تغيير العبارة إذا كان المقصود تأدية المعنى بأي لفظ كان».

٣٧ «فهذا ما قصدنا إبراده في شرح هذا الحديث بعبارة محررة ذكرها بعض الأماثل في مثل هذا المقام. فأوردناها بلا تبديل في أكثرها لضيق الوقت عن اختيار ألفاظ حسنة في كل مطلب. إذ الغرض الأصلي ليس إلا إظهار الحق، وإعلام المعلم وتبيين الحكمة. فأبى عبارة اتفقت لذلك كفت في هذا الغرض».

٣٨ «فهذا ما أوردناه في هذا المفتاح وآثرنا من البيان ما وقع به المحاذاة في أكثره لما وجدنا من كلام بعض علماء الإسلام، حذراً من

(٣٦) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ١٧٤ .

(٣٧) شرح الاصول من الكافي : باب الخير والشر، الحديث الثاني ص ٤٠٣ .

(٣٨) مفاتيح الغيب : ٣١٧ .

إطالة الزمان في تبديل صور الالفاظ والمباني، مع الاتفاق في المقاصد والمعاني.»

\* \* \*

ثم إنه - ره - استفاد أحياناً لكسر سورة استبعاد المخالفين ، ورفع استبعاداتهم من الاستشهاد بكلام الحكماء - سيما الأوائل - و تأويل أقوالهم إلى قوله - كما فعل ذلك مثلاً في رسالة الحدوث - وعلل أمثاله بأن:

٣٩ «التعويل والاعتماد منا في هذا المطلب الذي هو من المهمات العظيمة وغيرها ليس على مجرد النقل من الحكماء - بل على البرهان - إلا ان أقوالهم إذا وافقت توقع للقلب زيادة اطمئنان» .

شعره :

لا يعدّ صدر المتألهين من الشعراء. إلا أن له أشعاراً. وقد مضى في ذكر تأليفاته ما قاله صاحب الذريعة :<sup>١</sup>

«دوّن بعض شعره في حياته تلميذه الفيض في ضمن مجموعة كلّها بخطه توجد في كرمانشاه...»

ولكن لا نعرف من أشعاره غير «منتخب المثنوي» الذي طبع ملحقاً برسائله «سه أصل» مع رباعيات له. وقد نقل - رحمه الله - في مطاوي كتبه أحياناً أبياتاً من أشعاره أيضاً. قال في مقدمة تفسير سورة السجدة<sup>٢</sup>

«وقد نظمت أبياتاً فارسية في وصف القرآن وكونه غذاء سماوياً يختصّ الاغتذاء به لأرواح أهل المحبّة الإلهية من نوع الإنسان. أوردت بعضاً منها هبها ...»

(٣٩) الاسفار الاربعة : ج ٥ ص ٣٠٠ .

(١) الذريعة : ج ٩ ص ٦٠٠ .

(٢) تفسير سورة السجدة : ٩ .



وقال أيضاً : ٣

«وقد قلت أبياتاً في هذا المعنى عند انشراح صدري وانفتاح قلبي في ذكري.

وهي هذه ...»

وفي تفسير آية النور: ٤

«... وفيك روضة من رياض الجنة، وفيك حفرة من حفر النيران كما قلت

في المثنوى: درونی بود روضه از بهشت...».

فالظاهر أن له مثنوياً أو مثنويات وبعض أشعار أخرى. والأشعار الموجودة

ليست في مستوى عال بل كان وجهة نظره إلى المعاني والمضامين العرفانيات و

المواعظ دون الصناعات البديعية والدقائق اللفظية .

(٣) تفسير سورة السجدة : ٣٣ .

(٤) تفسير آية النور : ٤٠٨ .

## تفسير القرآن الكريم

السُّور المفسَّرة بقلمه الشريف - ره - على ما وجد كالتالي : سورة الحديد  
سورة الأعلى ، آية الكرسي . سورة السجدة ، سورة الطارق ، سورة يس ،  
آية النور ، سورة الزلزال ، سورة الواقعة ، سورة الجمعة ، سورة الفاتحة ،  
سورة البقرة.

وقد نسب إليه - ره - تفاسير أخرى مما لاشكَّ في عدم صحَّتها . ففي مكتبة  
ملك بطهران ضمن مجموعة برقم (١٢٣٦) يوجد تفسير سورة الكافرون منسوبة  
إليه . والنسبة منحولة بلا ترديد . كما نسب إليه في الذريعة تفسير سورة الطلاق و  
ذكر أنه مطبوع ضمن مجموعة تفاسيره . ولاشكَّ أنه سهو منه رحمه الله .  
فتفسير سورة الحديد أول رسالة كتبها في التفسير . صرَّح بذلك في شرحه

للأصول من الكافي :

«ثم من النوادر الغريبة أن هذا العبد المسكين كان في سالف الزمان  
متأملاً متدبِّراً - على عادتي عند تلاوة القرآن - في معاني آياته و رموزها  
و إشاراتنا . وكان المنفتح على قلبي من آيات هذه السورة وإشاراتنا  
أكثر من غيرها . فحداني ذلك مع ما سبق من الخواطر الغيبية والدواعي

(١) شرح الحديث الثالث من باب النسبة : ص ٢٤٦ .

العلمية و الإعلّامات السريّة إلى أن أشرع في تفسير القرآن المجيد ، و التنزيل الحميد. فشرعتُ ، وكان أول ما أخذت في تفسيره من السور القرآنية هذه السورة ، لفرط شغفي وقوة شوقي بإظهار ما ألهمني ربّي من عنده ... ثم بعد أن وقع إتمام تفسيرها مع تفسير عدة أخرى من السور والآيات - كآية الكرسي وآية النور - واتفقت عقيب سنتين أو أكثر مصادفتي لهذا الحديث ، والنظر فيه بعين الاعتبار، فاهتزّ خاطري غاية الاهتزاز ...»

ثم صرّح في تفسير آية الكرسي أنه <sup>٢</sup> « بلغ سنّه إلى نيّف وأربعين » وذلك بالقياس إلى مولده الشريف (٩٧٩) يقارن سنة ١٠٢٢ فيكون قبل سنة ١٠٣٠ التي كتب فيها تفاسير سورة الطارق وبس وآية النور حسب ما صرّح في أواخرها و نظراً لنشابه مقدمة تفسير سورة الزلزال - مع هذه التفاسير كانت أيضاً في ذلك الأوان .

وتفسير سورة الأعلى مؤلّفة قبلها لقلّة الميل فيها إلى التصريح بالمطالب العرفانية . و أما قول صاحب مستدرك الوسائل (ج ٣ ص ٤٢٤) : «لما عرضناها على تفسير الرازي (التنبية على بعض الأسرار المودوعة في بعض سور القرآن العظيم) لم نجد بينهما فرقا إلا في بعض كلمات زائدة لا يضر إسقاطها في أصل المطالب» فنغريبط منه . و كأنّه لم ينظر إلى التسييح السابع مثلاً من هذا التفسير الذي ليس في تفسير الفخر أكثر من سطرين ولكنه في تفسير صدره يقع في ستّ صفحات .  
وتفسير سورة السجدة مؤلّفة قبل تفسير سورة يس لإحالة المطالب المتعلقة بالحروف المقطعة إليه <sup>٣</sup> . وما جاء من سرّد أسامي رسائله التفسيرية في أولها لا يدلّ

(٢) تفسير آية الكرسي : ٥٩ .

(٣) تفسير سورة يس ص ١٧ . وقال أيضا في ص ٤٦ : وقد مرّ تحقيق ذلك في تفسير

سورة السم السجدة .

على تقدّم تفسير يس نظراً إلى هذه القرينة . بل ذلك مما استدركه بعدد. وقد أشار في مقدمة تفسيره هذا بأنه «القمي مسكناً» .

و أما تفسير سورتى الواقعة والجمعة ، فقد كُتب بعد هذه التفاسير نظراً إلى كثرة التصريح فيهما بالمطالب العرفانية مما هو مشاهد في سائر تأليفه التي ألّفها في أواخر عمره الشريف .<sup>٢</sup>

ثمّ بداله - قدّس سره - أن يؤلّف تفسيراً جامعاً أشار إليه في مقدّمة تفسير سورة السجدة :

« فرفعت الحجب عن بعض سورّه وآياته ، وكشفتُ قناع الغمّة عن وجه بيتّاته - مثل آية الكرسي ، وآية النور، وسورة يس ، وسورة الحديد، والواقعة والأعلى، وسورة الطارق والزلزلة وغيرها من المتفرقات و المرجو من الله أن أجمع كتاباً جامعاً وتفسيراً كبيراً لم ير مثله أعين الأعيان ، ولم ينل شبيهه خواطر أبناء الزمان ... » .

و لما حان وقت الجزم بهذا العزم ابتداء بكتابة مقدمة تفسيره - مفاتيح الغيب - :

« على أنني قد كنت برهة من الزمان متشوّقاً إلى إظهار معاني هذا القرآن ... وكنت أشاور نفسي ، و أردّد قِداح رأبي في أخذ هذا المرام وأقدّم رجلاً و أوخّر أخرى فسي طرف السكوت و الاعلام ، فلم ترجّح إلى أحد جانبي الإقدام و الإحجام ، لكونه أمراً عظيماً وخطباً جسيماً . أني لمثلي مع قلة المتاع في المقال، وقصور الباع فيما يتضمن ذلك من

---

(٢) على أنه لم يشر إلى تفسير سورة الجمعة في مقدمة تفسير سورة السجدة ، عند ذكر أسامي السور المفسّرة بقلمه الشريف .

(٥) تفسير سورة السجدة : ٦ .

(٦) مفاتيح الغيب : ٣ .

علوم الأحوال ، وقلب شوّشته عواصف الدهور... فأقعدني الأيام عن الإقدام ، وحجّيني الدهر عن البلوغ إلى هذا المقام . وكنت مدّة على هذه الحال بهذه المنوال ... إلى أن عنّ لي نور الإستخارة مرّة بعد أخرى بالإشارة وجدّلي داعية الحق كرتة بعد أولى في الإنارة بشعلة ملكوتية آنست من جانب طور القدس ناراً، لعلّي آتسكّم - يا أهل التجريد و أصحاب التفريد - منها بخبر أوجدوة لعلكم تصطلون .

ثمّ شرّح في تفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة وبلغ ما وجد إلى الآية ٦٥ . و إنه - ره - كان عازماً على تميمها ولم ينكل عنه . يظهر ذلك مما أشار إليه في أواخر تفسيره الموجود .

٢ « كما سنوضح لك في تفسير سورة الأسراء إن شاء الله تعالى » .

### منهج تفسير القرآن

الكلام هنا في مقامين: الأول منهج المؤلف في تأليف هذه التفاسير . والثاني منهجه التفسيري .

### المقام الأول :

المؤلف - قدّس سره - سالك في هذا الكتاب أيضاً مسلكه المذكور في سائر مؤلّفاته . وهو السلوك بادئاً مع عامّة المفسرين في معنى مفردات الآية واختلاف القراءات وذكر أقوالهم ونقدها . ثمّ التحقيق الذي له أو لغيره من المحقّقين من أهل الحق .

٨ « ذكرت فيها لبّ التفاسير المذكورة في معانيها . ولخصت كلام

(٧) التفسير : ج ٣ ص ٤٦٢ .

(٨) تفسير سورة الحديد : ١٤١ .

المفسرين الناظرين في مبانيها. ثم أتبعها بزوائد لطيفة يقتضيها الحال و  
المقام . وأردفتها بفوائد شريفة يفضيها المفضل المنعم».

٩ «مورداً في كل باب قبل الإشارة إلى ما هو صريح الحق والصواب ،  
وقرة عيون أولي البصائر والألباب ، طائفة من كلمات القوم وتأليفاتهم  
وفوائدهم و تدقيقاتهم في الكتاب ملخصاً لثمرات كلامهم».

ومرجعه في أوائل المباحث وذكر معاني الكلمات والقراءات تفسير مجمع-  
البيان والبيضاوي والكشاف . وعند ذكر الأقوال وسرد الآراء تفسير مجمع البيان و  
الفخر السرازي وتفسير النيشابوري أحياناً . وفي المباحث المعنونة العقلية ،  
فالمراجع هي المراجع الكلية في سائر كتب المؤلف ، إذ سياق البحث يضاهي  
ما فيها في الأكثر .

ولتأليف هذه الرسائل المختلفة في فترة لا تقل عن عشرين سنة من عمره  
الشريف تراها مختلف الكيفية والجهات . فمنها موجز ومختصرة لا يذهب فيها بعيداً  
عن مذهب الجمهور إلا قليلاً . ومنها مفصلة ينتهج منهاج التفاسير الذوقية ولا يعاب  
بشعة المشنعين .

و أخيراً كلما أمعن المؤلف في الكتابة يكثر من رعاية نظم التأليف و  
التصنيف . فمثلاً في أواخر ما كتب من تفسير سورة البقرة يفصل بين القسم الأدبي  
الآتي في صدر البحث و غيره بعنوان « المعنى » كما فعله صاحب مجمع-  
البيان - ره - .

### المقام الثاني

١٥ « [إن القرآن] بمنزلة مائدة نازلة من السماء إلى الارض، لأنها نازلة

(٩) تفسير آية الكرسي : ٢١ .

(١٠) مفاتيح الغيب : ٣٠٤ .

بالوان ما فيها من الأطعمة من سماء عالم العقول إلى أرض النفوس التي فيها غرس أشجار الآخرة . وفيها لكل صنف من أصناف الخلق رزق معلوم ونصيب مقسوم ... فالحكمة والبرهان لقوم، والموعظة والخطابة لقوم، ويوجد لغيرهما أيضاً أغذية متوسطة في اللطافة والكثافة ، على حسب مراتبهم ومقامهم، إلى أن تنتهي الأغذية في الثفالة والسفالة إلى حدّ القشور والنخالة . و هي للعوام الذين درجتهم درجة البهائم و الأنعام».

١٥ هت قرآن چون طعامی کز سما

گشته نازل از برای اغتذا

إغتذای آدم از لوح و قلم

اغتذا یابد دواب از راه قَم

تو ز قرآن بنسگری افسانه ها

قشرو که بینی، نه مغز و دانهها»

١١ « إن القرآن يشمل على المنافع الدنيوية والأخروية ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ﴾. ولا يلزم أن يعود منفعة الأخروية إلى أهل الجلافة والقسوة. بل المنافع الأخروية يختصّ بنيلها أهل الصفاة وانسراح الصدر. و هؤلاء الحمقى بمعزل عن الهداية والضلال جميعاً».

و قد اشير إلى وجه هذا التخالف في حديث نبوي مشهور: « إن للقرآن ظهراً وبطناً...» و سر هذا الإختلاف إختلاف عوالم الوجود وتطابقه.

١٢ « إعلم أن أكثر الألفاظ الواردة في الكتاب الإلهي كسائر الألفاظ

(١٠) تفسير سورة السجدة: ١٠.

(١١) الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ٢١٥ .

(١٢) تفسير سورة السجدة : ٥٨ .

الموضوعة للحقائق الكلية مجملة، تارة يطلق ويراد به الظاهر المحسوس،  
ويطلق تارة ويراد به سرّه وحقيقته وباطنه، وتارة يطلق ويراد به سرّ  
سرّه وحقيقته وباطن باطنه. وذلك لأن أصول العوالم والنشآت ثلاثة :  
الدنيا، والآخرة، وعالم الإلهية. وكلّها متطابقة . وكل ما يوجد في أحد  
من هذه العوالم يوجد في الأخرين على وجه يناسب كل موجود لما في  
عالمه الخاص به ...».

فلدرك حقائق الكتاب درجات ومقامات. والمفسّرون على طبقات :  
منهم من غاية همّة تبيين اللغة والنكات الأدبية . و صدر المتألهين لا يعبأ  
بالمتوقّف في هذه الدرجة ويوصي طالبها بعدم مراجعة كتبه :

١٣ « فمن لم يطلع من القرآن إلا على تفسير الألفاظ وتبيين اللغات و  
دقائق العربية وفنون الأدبية وعلم الفصاحة والبيان وعلم بدائع اللسان،  
وهو عند نفسه أنه من علم التفسير في شيء ، وأن القرآن إنما انزل  
لتحصيل هذه المعارف الجزئية ، فهو أحرى بهذا التمثيل [ كَمَثَلِ  
الْحِمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ] ممن لا خبر له أصلاً ... مع اعترافه بعجزه و  
قصوره.»

١٤ «فمن أراد أن يقف على أنه لِمَ طَوَّلَتِ الْبَاءُ فِي بِسْمِ اللَّهِ وَمَدَّتِ السِّينَ  
أَوْ لِمَ حَذَفَتِ الْأَلْفُ فِي الْخَطِّ هَيْهَنَا وَابْقَيْتِ فِي قَوْلِهِ بِاسْمِ رَبِّكَ ...  
فليرجع إلى أهل الخط والقراءة ... ومن أراد أن يقف على أن البسملة  
ما شأنها في أوائل السور الكريمة - هل هي هناك جزء من كل واحدة ؟  
أو أنها جزء من الفاتحة وحدها لا غير ؟ أو أنها ليست جزء من شيء

(١٣) تفسير سورة الجمعة : في تفسير قوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ...

(١٤) تفسير الفاتحة : في تفسير البسملة .



منها بل هي آية فذّة؟... - فليرجع إلى أصحاب النقل وأهل الرواية...  
ومن أراد أن يعرف بم تعلقت الباء؟ وبأيّ محذوف ارتبطت؟... فليرجع  
إلى مطالعة التفاسير المشهورة سيما الكشاف...».

و منهم من يهتمّ بظاهر الكتاب ولا يغوص في البواطن. فالظاهر وإن كان  
حجة لأهل الظاهر وسيما في استخراج العلوم الجزئية والأحكام الفرعية، إلا أن  
المتبع لهذا الطريق لا يصل إلى اللب العميق :

١٥ « و معظم الآفات الحاجبة للإنسان عن درك حقائق القرآن الاغترار  
بظواهر الأخبار ، و الاحتجاب بأوائل الأنظار من دقائق العلوم الجزئية  
و معارف الأحكام الفرعية. وإلّا فما من شيء إلّا وفي القرآن ما يكشف  
عن حقيقة ذاته ويسهّل السبيل إلى نيل كنه صفاته. لكنك أيها المغرور  
المسرور بما عندك من القشور، محجوبٌ عنه لجهودك بما سوى سمعته  
من المشهور».

و منهم من يجتاز الظاهر، ويميل إلى التأويل . وذلك مسلك صعب عسير  
المنال ولا مطمع فيه للكل. ثم عليه أن يعلم معنى التأويل وشرائط المؤول.  
١٦ « و أسرار ذلك كثيرة ولا يدل عليه ظاهر تفسير اللفظ . ومع ذلك  
فليس مناقضاً لظاهر التفسير . بل هو استكمال له و وصول إلى لبابه عن  
قشره ».

١٧ « و أنت خبير بأن خروج الألفاظ القرآنية عن معانيها المتعارفة  
المشهورة توجب تحيّر الناظرين فيها. والقرآن نازل لهداية العباد و

(١٥) تفسير سورة السجدة : ١٠ .

(١٦) تفسير آية الكرسي : ١٧٦ .

(١٧) تفسير سورة السجدة : ٣٠ .

تعليمهم وتسهيل الأمر عليهم مهما أمكن لا للتعقيد والإشكال. فيجب أن يكون اللغات محمّلة على معانيها الوضعية المشهورة بين الناس لثلاث -  
يوجب عليهم الإلتباس» .

١٨ « ثم لا يخفى على مَنْ له تفقّه في الغرض المقصود من الإرسال  
و الإنزال أن مسلك الظاهريين ، الراكنين إلى ابقاء صور الألفاظ و  
أوائل المفهومات أشبهه من طريقة المأولين بالتحقيق . و أبعده من  
التصريف و التحريف. و ذلك لأن ما فهموه من أوائل المفهومات هي  
قوالب الحقائق التي هي مراد الله و مراد رسوله . أما التحقيق - فهو مما  
يستمدّ و يستنبط من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يفني عنه ظاهر  
التفسير ... و إنما ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من أسراره و  
أغواره بقدر غزارة علومهم و صفاء قلوبهم ... فلهم درجات في الترقى  
إلى أطواره و أغواره. و أما الاستيفاء و الوصول إلى الاقصى فلا مطمع  
لأحد فيه ...

فمن هذا الوجه تنفاوت العقول في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر  
التفسير الذي ذكره المفسرون ، وليس ما حصل للراسخين في العلم من  
أسرار القرآن و أغواره مناقضاً لظواهر التفسير. بل هو استكمال له و  
وصول إلى لبابه عن ظاهره . فهذا ما نريده لفهم المعاني لاما يناقض  
الظواهر ...

فلا بد للمفسر أن لا يعول إلا على نقل صريح ، أو على مكاشفة تامّة و وارد  
قلبي لا يمكن رده و تكذيبه» .

١٩ « فاعلم أن مقتضى الدين و الديانة أن لا يؤوّل المسلم شيئاً من الأعيان

(١٨) تفسير آية الكرسي: ١٦١ .

(١٩) تفسير آية الكرسي : ١٦٦ .

التي نطق به القرآن والحديث إلا بصورها وهيئاتها التي جاءت . بل  
اكتفي بظاهر الذي جاء إليه من النبي والأئمة . - سلام الله عليهم - و  
مشايخ المجتهدين - رضوان الله عليهم أجمعين - .

اللهم إلا أن يكون ممن قد خصّصه الله بكشف الحقائق والمعاني و  
الأسرار، و إشارات التنزيل وتحقيق التأويل . فإذا كوشف بمعنى خاص  
أو إشارة وتحقيق قرّر ذلك المعنى من غير أن يبطل صورة الأعيان، لأن  
ذلك من شرائط المكاشفة، إذ قد مرّ أن ألفاظ القرآن يجب حملها على  
المعاني الحقيقية - لاعلى المجاز، و الاستعارات البعيدة - وكذا ماورد  
في الشرع الأنور من لفظ الجنة والنار ... ولا يؤوّل شيئاً منها على  
مجرد المعنى، ويبطل صورته - كما فعله في باب الأعيان المعاديّة كثير  
من العقلاء المحجوبين بعقلهم و فطانتهم البتراء، التي كانت البلاهة  
أدنى إلى الخلاص منها - بل يثبت تلك الأعيان كما جاء ويفهم منها  
حقائقها ومعانيها .

فالله تعالى ما خلق شيئاً في عالم الصورة إلا وله نظير في عالم المعنى . و  
ما خلق شيئاً في عالم المعنى - وهو الآخرة - إلا وله حقيقة في عالم الحق  
- وهو غيب الغيب - إذ العوالم متطابقة، الأدنى مثال الأعلى، والأعلى  
حقيقة الأدنى - وهكذا إلى حقيقة الحقائق .

فجميع ما في هذا العالم أمثلة وقوالب لما في عالم الآخرة . وما في  
الآخرة هي مثل وأشباه للحقائق والأعيان الثابتة، التي هي مظاهر أسماء  
الله تعالى . ثم ما خلق في العالمين شيئاً إلا وله مثال وانموذج في عالم  
الإنسان» .

٢٥ «كن أحد رجلين : إما المؤمن بظواهر ماورد في الكتاب والحديث

٢٥ (٢٠) تفسير آية الكرسي : ١٦٨ .

من غير تصرف وتأويل. أو العارف الراسخ في تحقيق الحقائق والمعاني مع مراعاة جانب الظواهر وصور المباني ... ولا تكن الثالث بأن تنكر الشريعة الحقّة وما ورد فيها رأساً ... ولا الرابع ، بأن لاتنكرها رأساً و لكن تؤوّله بفظانتك البتراء وبصيرتك الحوّلاء إلى معاني عقلية فلسفيّة، ومفهومات كلية عامية.»

٢١ « و اعلم أنك لو أردت أن تكون عالماً ربانياً مفسراً للكلام الإلهي من دون أن تتعب نفسك وتداول على الأمور المقرّبة للقدس من الرياضة والخضوع والخشوع والصبر و الصلوة وتجريد الذهن عن الخواطر وسد أبواب المشاعر ودوام النظر في الإلهيات، فقد حدثت نفسك بامتنع أو شبيهه بالامتنع .»

وقد أوصى الناظرين في كتابه ونبّه على أمور:

٢٢ « ما رأيت من نقص وخلل لاتجد له محملاً صادقاً أو مخلصاً في زعمك موافقاً ، فإن كان من باب اللفظ مجرداً فاصلحه كراماً وجوداً . و إن كان من باب المعاني المطلوبة فذره في بقعة الامكان مسالم يذك عنه قائم البرهان ...»

مع أن هاهنا موانع غير ما ذكرت ، من إيراد كلام ملائم لطبائع الأنام. ومنها أنّي لم أوثر أن اسلك في الصنائع العلمية - وخصوصاً فيما يتعلّق بتفسير كتاب الله مسلك أهل البحث والجدل ... ومنها طلبني للتخليص و الايجاز في الكلام ... ومنها إن قبلة مخاطبي مسن معاني القرآن هم المحققون من أهل الله خاصّة ، أو المجبّون لهم والمتشبهّون بهم ، و المؤمنون بأحوالهم من أهل القلوب الصافية ... بسل حرمت مناولته للموصوفين بأضداد هذه الصفات ...»

(٢١) التفسير: ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢٢) تفسير آية الكرسي : ٣٣٧ .

## كيفية العمل في هذا الطبع

الاعتماد في تحقيق أجزاء التفسير كان أولاً علي النسخ التي بأيدينا مطبوعة أو مخطوطة، وثانياً على كتب المؤلف ومراجعته العامة التي ينقل عنها أكثر منقولاته . وقد أشرنا في أول كل جزء من الأجزاء - غير الثلاثة الأول - إلى النسخ المعتمدة في تحقيقها ومراجعتها فلانعاود الكلام.

وأما في هذه الأجزاء الثلاثة فكان من منن الله علينا العثور على قسم من نسخة الأصل التي كتبها المصنف بخطه الشريف وهي النسخة الموجودة بمكتبة المسجد الأعظم بقم (رقم ١٩١٦) وقد سقط قسم من أوله وآخره .<sup>١</sup>

تبتدء بعنوان الآية : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ... ﴾ وهي تطابق (ص ٢٢) من الجزء الثاني من طبعتنا هذه. وتختتم بما يطابق السطر السابع عشر من (ص ٣٧٠) من الجزء الثالث: «لبعده بالتخمير...»

وقد طابقتُ هذا القسم بهذه النسخة بدقة بالغة حسب الميسور. وإذ كان فيها أحياناً شيئاً من سهو القلم الواضح جثت بالصحيح ونهتُ عليه في ذيل الصفحة أو على فوق الكلمة. وذلك في موارد نادرة جداً. إلا أن يكون هذا السهو في آية من الكتاب. فكتبتُ الصحيح وأعرضت عن التنبيه لغاية الوضوح.

(١) فهرس المكتبة : ص ٩٠ .

ثمّ في تحقيق ما بقي من هذه الأجزاء الثلاثة التي سقطت من هذه النسخة فكان الاعتماد على صورة فتوغرافية عن النسخة الموجودة بمكتبة آية الله العظمى المرعشي - أطال الله بقاءه الشريف - بقم (رقم ٩٥١) وقد جاء في آخر تفسير سورة الفاتحة منه (الورق ٤٥) : «قوبل وصحّح هذا الكتاب من نسخة الأصل الذي بخط المصنف طاب ثراه عن آخره، بقدر الوسع والطاقة. وكتب الفقير إلى الله الغني محمد علي بن أبي القاسم المنصوري...». وهي نسخة مصحّحة، ولكن قد توجد فيه أغلاط وسقطات.

وقد بذلت وسعي في تخريج ما جاء في الكتاب من الحديث الشريف، وكذلك ما نقله المصنف عن مراجعه وأثبت ما وجد في النسخ من السقط أو الحذف المخل ما بين المعفتين.

ووضعت فهرس فنيّة ترشد إلى المواضع الموجودة في الكتاب والاصطلاحات الهامة فيه.

\* \* \*

وهناك اقدم شكري الجزيل للسيد المكرم والفاضل المعظم الدكتور المدرسي الطباطبائي حيث أعلمني أولاً بإمكان نسخة الأصل - شكر الله سعيه. كما اقدمّ ثنائي الجميل للفاضل الخبير عبدالحسين الحائري مدير مكتبة الشورى الإسلامى حيث أعاننى بالإرشاد الى النسخ الموجودة هناك وإعطاء الصور المحتاج اليها. فجزاه الله عني وطلبة العلم خير الجزاء.

## المحشي

المولى علي بن جمشيد النوري<sup>١</sup> من أعظم الحكماء العاملين والشارحين لمكتب صدر المتألهين. عاش في منتصف القرن الثالث عشر واشتغل بالتدريس بإصبهان وتلمذ عليه كثير من الأفاضل المعروفين بالحكمة. وله تعليقات على أكثر كتب صدر المتألهين.

وكان تعليقاته - ره - على التفسير مطبوعة بحاشية النسخة المطبوعة الحجرية بحروف صغيرة غير مقروءة أو مطموسة أحياناً. وقد من الله عليَّ حيث أتحنفني السيد الجليل الدكتور السيد أحمد التويسركاني بصورة فتوغرافية من نسخة محفوظة عنده عليه تعليقات الحكيم النوري - ره - بخطه الشريف على بعض السور.<sup>٢</sup>

إلا إنِّي لم أظفر بنسخة من التعليقات على سورة الفاتحة والبقرة غير النسخة الموجودة من هذا التفسير بمكتبة المجلس الشورى الإسلامي [رقم ] التي تشمل على قسم من التعليقات على الجزء الأول (حسب تجزئتنا في هذا الطبع) واضطرت في طبع البقية على استنساخها والاعتماد على ما جاء بحواشي المطبوعة الحجرية رغم ما فيها من الاغلاط والسقطات. لثلا يفوت الطالبين - بترك كله - ما يدرك بعضه .

(١) راجع ربحانة الادب : ٢٦٢/٦ .

(٢) اتينا بوصف هذه النسخة في مقدمة تفسير سورة يس. ونأني بنموذج منها في آخر

هذه المقدمة انشاء الله .

Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or introductory paragraph.

Second block of faint, illegible text, appearing as a separate paragraph.

Third block of faint, illegible text, continuing the narrative or list.

Fourth block of faint, illegible text, possibly a detailed description or note.

Fifth block of faint, illegible text, likely a concluding paragraph or signature area.





الحمد لله الذي جعل العلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل  
 والبرهان السليم لا يهتدي الاضواء العقلية الا بالبرهان  
 فطر الله الانسان خلقاً قصصاً سلماً لعلهم يحتفون  
 ما يرضاهن الا للعلم والهدى والبرهان والبرهان  
 والاستيعاب والبرهان والبرهان والبرهان والبرهان  
 العلم هو الوجود حقيقة علمية لا يعلم الا بالعلم  
 بعد اقتحام حجاب الجهل والبرهان والبرهان  
 القرآن يبين ان ربه العليم ومنزل العلم انما كانت عظمته عند الانبياء سلام  
 احد عليهم اجمعين اما علمه صلى الله عليه واله فقد قال الله عز وجل  
 زدنا علماً وزيدنا علماً على عظيم رب العلم ونفاسته وعلو منزلته وكرامته  
 ورفو عجب اصابه حيث لم يجد به الا زوايد منه في صفة دين غيره في اما  
 كلامه عند مخالفة بعض المنزقين لواله من العلم وساعة في النوع منه  
 لاكثر موسى عليه السلام واصل لم يخرجه من ابيك لان علمي ما علمت رسداً  
 واما سليمان فم كان له ملك الدنيا كان حتى لم يظن ربه بجله ملكاً  
 لا يجر الاضداد بعدى فان لم يفتح بالملك او فتح بالعلم حين قال يا اياها اناس علمنا  
 منطق الطير وادبها كل شيء فانفتح كونه فلما منطق الطير فاذا حسن سليمان النصار  
 بذلك فبان حسن الخوارق من غير وجهه رب العالمين وصانده اسمائه وكيفية  
 افعاله وكوثر عبادته وكيفية ورسله والايان يوم القيامة وحسن كلامه  
 اليه وعبادته وكل ذلك مما كان حسن ولانه فهم ذلك على قوله واويناك  
 كل شيء وحما ذلك بمصنوعهم وهم انهم فيها الضعف ومع ان كان في موقف  
 الهامة فلما حطت بلم عظمته فلو كان العلم انزوب للاشياء والا لارسلنا  
 نعلم في مجلس سليمان ثم بمل هذا الكلام وما ذلك الا ببرهان العلم وايضا فان

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً يضيء القلب ويهدي السبيل  
 والبرهان السليم لا يهتدي الاضواء العقلية الا بالبرهان  
 فطر الله الانسان خلقاً قصصاً سلماً لعلهم يحتفون  
 ما يرضاهن الا للعلم والهدى والبرهان والبرهان  
 العلم هو الوجود حقيقة علمية لا يعلم الا بالعلم  
 بعد اقتحام حجاب الجهل والبرهان والبرهان  
 القرآن يبين ان ربه العليم ومنزل العلم انما كانت عظمته عند الانبياء سلام  
 احد عليهم اجمعين اما علمه صلى الله عليه واله فقد قال الله عز وجل  
 زدنا علماً وزيدنا علماً على عظيم رب العلم ونفاسته وعلو منزلته وكرامته  
 ورفو عجب اصابه حيث لم يجد به الا زوايد منه في صفة دين غيره في اما  
 كلامه عند مخالفة بعض المنزقين لواله من العلم وساعة في النوع منه  
 لاكثر موسى عليه السلام واصل لم يخرجه من ابيك لان علمي ما علمت رسداً  
 واما سليمان فم كان له ملك الدنيا كان حتى لم يظن ربه بجله ملكاً  
 لا يجر الاضداد بعدى فان لم يفتح بالملك او فتح بالعلم حين قال يا اياها اناس علمنا  
 منطق الطير وادبها كل شيء فانفتح كونه فلما منطق الطير فاذا حسن سليمان النصار  
 بذلك فبان حسن الخوارق من غير وجهه رب العالمين وصانده اسمائه وكيفية  
 افعاله وكوثر عبادته وكيفية ورسله والايان يوم القيامة وحسن كلامه  
 اليه وعبادته وكل ذلك مما كان حسن ولانه فهم ذلك على قوله واويناك  
 كل شيء وحما ذلك بمصنوعهم وهم انهم فيها الضعف ومع ان كان في موقف  
 الهامة فلما حطت بلم عظمته فلو كان العلم انزوب للاشياء والا لارسلنا  
 نعلم في مجلس سليمان ثم بمل هذا الكلام وما ذلك الا ببرهان العلم وايضا فان

صورة خط المؤلف - قدس سره - من نسخة الأصل  
 الموجودة بمكتبة المسجد الأعظم بقم

الاثنا عشر من الذمومة فاذا نعتهم هذا نقول الاسماء الثلث في التثنية افعلة للاطلاق في المثلثية  
 والاياء السبع التي هي الفاعلة افعلة للاطلاق السبعة بيان ذلك ان من عرف الله بتاعده عن  
 العوالم فرأيت من اتخذ الله هوامه يا موسى خائف هولك فان ما خلقت خلقا بارع في عمل  
 الا هوامك ومن عرف انه رحيم لم يرضب لان منسا االفض طلب الكواكب والكواكب لا ترحم  
 يومئذ الحق الرحمن ومن عرف انه رحيم لم يرضب لان منسا االفض طلب الكواكب والكواكب لا ترحم  
 واما الفاعلة فلذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بما يحصل فقلت شهرته ومن عرف انه  
 رب العالمين في الحرصه في الرعيه ونجده فينا وجد ومن عرف ان الله يوم الدين بعد ان  
 انه الرحمن الرحيم غضبه ومن قال انك غضب وانك تستعير كمال كبره بالاول وعنه الملك  
 واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اذ نع عند شيطان الهوى واذا قال صراط الذي انعت  
 عليهم زال عنك هره واذا قال غير المعصوب عليهم ولا الضالين اذ فعت بدعتهم ولذا زالت  
 عنه الاطلاق التسميه التي هي مجامع الشر وكلها زال عنه حجابا وبعدده من حجاب القدام

ولد في عظم

فويل وصح هذا الكتاب من نسخة  
 الذي بخط المصنف طاب ثراه من  
 آخ بقدر الوسخ واخطاه  
 وكتبه الفقير الى الله الفقيه  
 محمد علي بن ابي القاسم  
 المسير في عظم

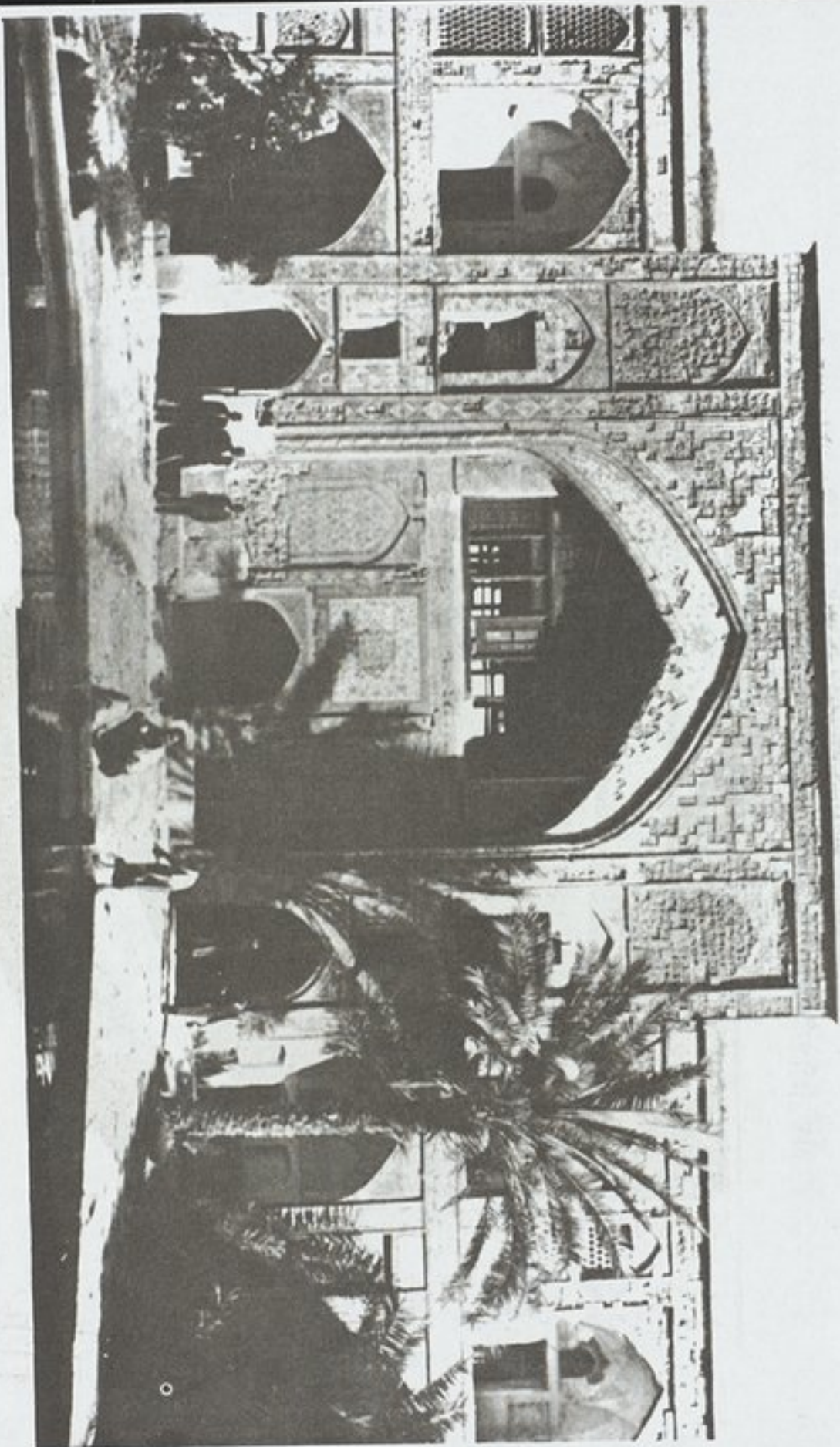
سورة الفاتحة هي آية منها وهي قوله واصفوا يومنا ترجمون في الاية فانه انزلت  
 بفتح في حجة الوداع عدد آياتها ثمان وست وعشرون الحمد لله مبدع الوجود وفيه خير الوجود  
 الذي ابدع العالم الاعلى بالقول والكلام واقتضا كتاب الصنع والابحار على غاية النظام  
 هنيئة التمام فاذا الكلمات الثمانيات وبسببها الموجودات والحروف الثمانيات قبل كتابتها  
 بجهد المواق على الواج مقادير الاستعدادات الذي جعل العرش المحيط اول ما نشأ من  
 هذا العالم كالفلس الذي هو اول ما يتكون ويحرك لغزما يسكن من عالم الانسان فاستوى  
 عليه باسم الرحمن استواج الروح على القلب المتكون من الاركان وما نية كرسية الذي يوح  
 السموات والارض فاجرى فيهما مجرى سب القلم الاعلى في الفوج الكريم جريا الى يوم القيمة  
 على حسب كلام المستبه وصوره الارادة وقول الحق ووعده الصدق وكلماته الثمانيات  
 اسماء العظام فرتب عليها وجود الكائنات كالانسان والحيوان والنبات ووجودها  
 ثم عالية الكواكب وهو خليفة الله في ارضه وعالمه السفلى ثم في العالم العلوي لان الله

الصفحة الأخيرة من تفسير سورة الفاتحة ، من نسخة مكتبة  
 آية العظمى المرعشى دام ظله

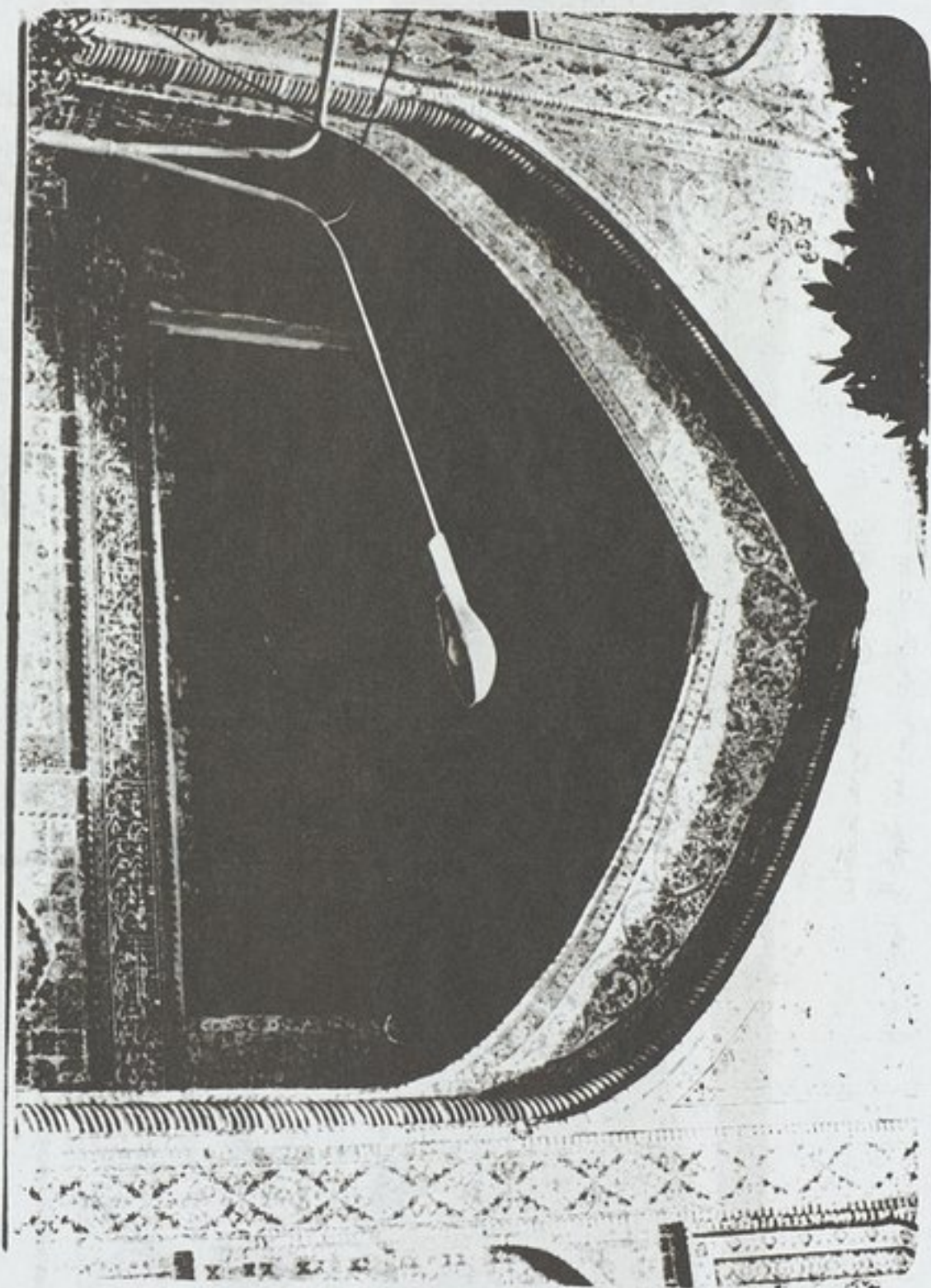








ساحة مدرسة خان في شیراز  
وتبند و فيها واجهة المدرس قبل تجديد بناؤها



الراجبة الأمامية للموضع تدريس صد والمت الهين قدس سره  
في مد رسة خان بشيراز - بعد تجد يد بناؤها



## مأخذ المقدمة

الكتاب	المؤلف	الناشر
احياء علوم الدين	الغزالي	دارالمعرفة، بيروت.
أسرار الآيات	صدرالمتألهين	أنجمن حكمت، طهران ١٣٤٠ ش.
الأسفار الاربعه	صدرالمتألهين	دارالمعارف الاسلاميه، قم.
اعجازالبيان	صدرالدين القونوي	دارالكتب الحديثه، قاهره ١٣٨٩ ق
التعليقات على شرح حكمة الاشراق صدرالمتألهين	صدرالمتألهين	طهران ١٣١٣.
التعليقات على الشفاء	صدرالمتألهين	بيدار، قم.
تفسيرالقرآن الكريم	صدرالمتألهين	بيدار، قم.
الحكمة العرشية	صدرالمتألهين	كلية الآداب، اصفهان ١٣٤١ ش.
ديوان الميرالداماد	صدرالمتألهين	ميثم التمار، اصفهان ١٣٤٣ ش.
الذريعة الى تصانيف الشيعة	آغا بزرك الطهراني	دارالاضواء، بيروت.
رسائل اخوان الصفا	صدرالمتألهين	دارصادر، بيروت ١٣٧٤ ق.
رسائل صدرالمتألهين	صدرالمتألهين	طهران ١٣٠٢ ق.
رسائل فلسفية	صدرالمتألهين	كلية الالهيات، مشهد ١٣٩٢ ق.
رسائل القيصرى	القيصرى	انجمن حكمت: طهران
راهنماى كتاب	لجنة التحرير	طهران
ريحانة الادب	محمد على المدرس	خيّام، طهران
سلافة العصر	السيد على خان	خانجى، القاهرة ١٣٢٤ ق.
سه اصل	صدرالمتألهين	كلية الالهيات، طهران ١٣٤٠ ق.

الكتاب	المؤلف	الناشر
شرح الاشارات	نصيرالدين الطوسي	مؤسسة النصر، طهران ١٣٧٩ق.
شرح الاصول من الكافي	صدر المتألهين	المحمودى، طهران.
شرح حال وآراء صدر المتألهين	جلال الدين الآشتياني زوار،	مشهد ١٣٤٠ش.
شرح الصدر	الفيض الكاشاني	مخطوط.
شرح فصوص الحكم	القيصري	طهران ١٢٩٩ق.
شرح الهداية الأثرية	صدر المتألهين	طهران ١٣١٣ق.
الشواهد الربوبية	صدر المتألهين	جامعة مشهد، ١٣٤٦ش.
عين اليقين	الفيض الكاشاني	طهران ١٣٠٣ق.
فهرست كتب مشايخ الشيخية	ابوالقاسم بن زين العابدين	مطبعة سعادت، كرمان.
فرهنگ ايران زمين	لجنة التحرير	طهران
القبسات	السيد الداماد	مؤسسة مطالعات اسلامي، طهران ١٣٥٦.
لؤلؤة البحرين	الشيخ يوسف البحراني	مطبعة النعمان: النجف ١٩٦٩م.
كسر أصنام الجاهلية	صدر المتألهين	كلية المعقول والمنقول، طهران ١٣٤٠.
المشاعر	صدر المتألهين	طهران ١٣١٥ق.
المظاهر الالهية	صدر المتألهين	كلية الالهييات، مشهد ١٣٨٠ق.
مصنفات الشيخ الاشراقي	الشيخ الاشراقي	انجمن فلسفه، طهران ١٩٧٧م.
مفاتيح الغيب	صدر المتألهين	انجمن فلسفه، طهران ١٣٤٣ش.
منتخب المثنوى	صدر المتألهين	منظمة الي رساله سه اصل.
نامه آستان قدس	لجنة التحرير	مشهد
نصوص فلسفية		
ياد نامه ملاصدرا	كلية المعقول والمنقول،	طهران ١٣٤٠ش.

تَفْسِيرُ

# الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تالیف

صَدِّقُ الْمُتَّقِينَ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ صَدِّقُ الدِّينِ الشَّيْخِ الرَّافِعِيِّ

تصحیح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فاتحة الكتاب المسمى أمّ القرآن لاحتوائها على مجامع المعاني التي في القرآن وسورة الكنز ، والواقية، وسورة الحمد ، والمثاني لأنها تنشئ في كلّ صلوة ، أو لأنها نزلت مرتين لما قيل : « إنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى ، وسورة الشافية .

وهي سبع آيات بالاتفاق وإن وقع الاختلاف في أن ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية برأسها دون البسمة أو بالعكس .

استعين بالله القيوم الذي باسمه نقوم، وبقوته التي قامت بها السماء فوق الأرض وصلت و ركعت وسجدت نصلي ونصوم، وإياه نقصد ونروم وإليه نتحرك ونسكن ونبقي و ندوم و بنبيّه وآله عليهم السلام نفتدي ونفتني في الأعمال والعلوم .

\* \* \*

اخواني - وفرّ الله حظكم من فهم غرائب القرآن والتماس عجائبه - هذا أوان الشروع في الولوج الى مشاهد آيات القرآن بعد تمهيد مفاتيح أبواب الجنان وتبيين مصابيح أنوار الهداية والعرفان ، وتشبيد قواعد الحكمة والايمان .

فاعلموا إن الإنسان وهو أشرف الأكوان لما كان في أول تكوّنه في حدود السفالة والنقصان لكونه حاصلًا من طبائع العناصر والأركان كسائر أنواع الحيوان وهي في مراتب التسفّل بالنسبة إلى سائر الجواهر والأعيان إلا أن في ذاته قوّة الترقّي إلى حدّ الكمال والإرتقاء إلى أنوار المبدء المتعال والمهيمن الفعال متخلصاً من الشر والوبال صائر أحدس مكان عالم النور متنعمًا بنعيم الآخرة والسرور، فلم يجز في العناية الإلهية إهماله في مراتع الشهوات كالديدان والحشرات من غير هدى، وتعطيله عمّا خلق لأجله وأن يُترك سدى. وقد علم إن لكلّ شيء كما لأبخصه لأجله خلق، وفعلاً يتممه إذاله وفق. وكمال الإنسان بإدراك المقامات الإلهية ونيل المعارف الكلية العقلية مع التجرد عن المحسوسات المادية والزهد عن الدنيا الدنيوية والخلاص عن أسر الدواعي النفسانية والانطلاق عن القيود الشهوتية والغضبية. وهذه مما لا يتيسر إلا بالهداية والتعليم والتهديب والتقويم؛ فبعث الله عز وجل رسولاً هادياً معلماً، وأنزل إلينا كتاباً إلهياً محكماً فيه جوامع العلوم الإلهية والأسرار الربانية والسنن والآداب العملية والأحكام السياسية، ونزله منجماً على حسب المصالح والأوقات. فجعله سوراً وآيات، كلّ سورة من سورته بحرٌ مملوءٌ من جواهر المعاني والبيان، بل فلك محشوءٌ من كواكب الحقائق والأعيان. وكلّ آية من آياته صدفة مكنونة فيها درر ثمينة قيمة كلّ منها روح الإنسان بل دري يتلأ لأفي سماه النبوة والولاية والعرفان. فينبعث من لمعانه نور الهدى وحيوة الايمان. سيّما هذه السورة المشتملة مع وجازتها على مجامع آيات القران وجمال أسرار المبدء والمعاد وأحوال الخلائق يوم الآخرة عند الرحمن. فاسمعوا بأسماع قلوبكم قراءة آيات الله ولينفذ في بواطنكم أنوار معجزة رسول الله فاتقوا الله وأطيعوا كلمته بقلوب صافية وبصائر مجلوة ومرائي نقيّة عن الرين والغشاة، واسمعوا حكمته واقبلوا قوله بنفوس سليمة عن الأمراض النفسانية وأسماع واعية خالية عن أقاويل المبتدعة الضلالة المضلّة الحائلة كالسحاب بين صفحة الباطن ونور شمس الحقيقة فمن لم يتصل أنوار كلام الحق بطباعه أو لم يتحرك بخواطره نحوه

فلفساد فطرته الأصلية أولغشاوة الظلمة وتراكم الحجب الحائلة بينه وبين نور الحق  
 الحاصلة له من قبول أقاويل المبتدعة المضلّة أو تقليد أهل التعطيل والبطالة كما قال  
 ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [٥٤/٣٤] وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ  
 مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٩/٣٦].

فلا بد لمن أراد أن يسلك سبيل أهل الحق واليقين بعد أن يطهر نفسه عن رذائل  
 الأخلاق أو لا أن يجتنب صحبة المعطلين الضالين لأنهم المختوم على قلوبهم وسمعهم  
 وأبصارهم فهم لا يفقهون ، وكذا صحبة المبتدعين المضللين لأنهم الذين إذا جاءتهم  
 رسالهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا يستهزؤن. وقانا الله وإياكم  
 شرهاتين الطائفتين ولا جمع الله بيننا وبينهم طرفه عين. لأن كلهم من أولياء الشيطان  
 الرجيم وأبناء الظلمات وأهل الطاغوت. فنستعبد منهم بالله كما نستعبد من  
 الشيطان الرجيم ونطرد آثارهم بنور الفطرة من القلب السليم ثم نخوض في معاني  
 الكتاب الكريم والذكر الحكيم قائلين على حسب ما أمر به الله العلي العظيم:

## أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قد مرّ في المفاتيح<sup>(١)</sup> تحقيق مهية الشيطان وجنوده وآثاره ومهية الملك واتباعه وأنواره وأما الذي نذكره الآن فهو تفسير هذا القول وحلّ ألفاظه وشرح معانيه العقلية. فالكلام فيه إما متعلق بترجمة ألفاظ هذا القول أو متعلق بمعانيه العقلية. أما الأول: فاعلم إن قولنا أعوذ، مشتقّ من العوذ وله معنيان: أحدهما الالتجاء والاستجارة. وثانيهما الالتصاق. يقال: أطيّب اللحم أعوذّه. وهو الملتصق منه بالعظم. فعلى الأول معنى أعوذ بالله: ألتجى إلى رحمته وعصمته. وعلى الثاني معناه: ألصق نفسي بفضل الله ورحمته.

وأما الشيطان: ففيه قولان: أحدهما إنه مأخوذ من البعد. يقال: شيطان دارك أي بعد فلا جرم سمّي كلّ متمرّد من جنّ أو إنس أو دابة شيطانياً، لبعدّه عن الرشاد والسداد. ذكروا: إن بعض الخلفاء ركب برذوفاً فطلق يتبختر به. فجعل يضربه فلا يزيد إلا تبخترأ فنزل فقال: ما حملتموني إلا على شيطان.

الثاني إنه مشتقّ من شاط يشيط: إذا بطل. ولما كان كلّ متمرّد كالباطل في نفسه لكونه مبطلاً لمصالح نفسه سمّي شيطانياً.

وأما الرجيم فمعناه المرجوم. فهو فعيل بمعنى مفعول. حكى الله عن والد إبراهيم عليه السلام إنه قال: ﴿لَيْتَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ﴾ [٤٦/١٩] قيل: عني به الرجم بالقول. وحكى تعالى عن قوم نوح عليه السلام إنهم قالوا: ﴿لَيْتَ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوْحُ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَرْجُوْمِيْنَ﴾ [١٦/٢٦] وفي سورة يس ﴿لَيْتَ لَمْ تَنْتَهَوْا لَتَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [١٨/٣٦]

(١) راجع المفتاح الرابع، سيما المشهد العاشر منه.

(٢) البرذون: دابة الحمل الثقيل والتركي من الخيل.



الوجه الثاني إن الشيطان إنما وُصف بكونه مرجوماً لأنه تعالى أمر الملائكة برمي الشياطين بالشهب الثواقب طرداً لهم من عالم السماوات، ثم وُصف بذلك كل شرير متمرد.



وأما ما يتعلق بالمقاصد العقلية في هذا المقام من الكلام فالبحث عنه يعتمد على خمسة أركان: الإستعانة، والمستعبد، والمستعاض به، والمستعاض منه وما يستعاض لأجله.

### فالركن الأول

في البحث عن مهية الإستعانة وما يلتصق بها . وفيه اشارات :

#### إحدٍ بها

إن الإستعانة لا تتم إلا بعلم وحال وعمل. أما العلم فهو علم العبد بنفسه وبكونه عاجزاً عن جلب المنافع ودفع المضار الدينية والدينيوية، وبكون الله قادراً عليهما لا يقدر أحد سواه على ذلك. وإذا حصل هذا الإعتقاد في القلب تولد فيه حالة وهي انكسار وتواضع له، ويعبر عن تلك الحالة بالتضرع إلى الله والخضوع له، وإذا حصل ذلك حصلت صفة أخرى في القلب وصفة في اللسان. فالتي في القلب أن يصير العبد ملتجئاً إلى الله، يريد أن يصونه عن الآفات، ويخصه بإفاضة الخيرات والحسنات. وأما التي في اللسان وهي أن يصير طالباً لذلك بلسانه، معبراً به عما في جنانه. وذلك هو الإستعانة وهي قوله: أعوذ بالله .

إذا عرفت هذا ظهر لك أن العمدة في الاستعانة بالله هو علم العبد بنفسه وبربه. فما لم يعرف أحد عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه الإستعانة بالله والذي يوضح ذلك إن الصادر عن العبد إما العمل وإما العلم وهو في كلا البابين في غاية العجز. أما العلم فما أشد

حاجة العبد إلى الاستعاذة بالله في إزالة الشبهات ودفع الأغالبط والوساوس والشكوك ولا يكفي في ذلك أصل الفطرة، ولا استعمال القوانين الميزانية فكم من الأكياس والمحققين والعلماء المشهورين بالفضل والبراعة رأيناهم قد بقوا في شبهة واحدة طول عمرهم ولم يعرفوا الجواب عنها وظنوا علماء يقينياً وبرهاناً جليلاً ثم المبين بنور الكشف وشواهد الربوبية خلاف ما زعموه ومضاد ما تصوّروه. وإذا جاز ذلك على البعض، جاز على الكل. كيف ولولا هذا السبب لما وقع بين أهل الأديان اختلاف في الملل والمذاهب، ولما افرقت أمة رسول الله صلى الله عليه وآله على ثلاثة وسبعين فرقة والناجية منها واحدة. ولما زعم كل واحدة منهم إنهم هم الناجية، وإن غيرهم في النار. وذلك لأن كل أحد إنما يقصد لنفسه أن يحصل له الدين الحق والإعتقاد الصحيح وأن أحداً لا يرضى لنفسه بالجهل والكفر. فلو كان الأمر بحسب سعيه وإرادته لوجب كون الكل محققين صادقين سيما المواظبين على استعمال الفكر والروية الهاربين عن الخلل والقصور، ولو على الشذوذ والندور.

وحيث لم يكن الأمر كذلك — ونجد المحققين على جنب المبطلين كالشجرة البيضاء في جلد بقرة سوداء علمنا إنه لا خلاص من هذه الظلمات إلا بإعانة إله الأرض والسماوات فما أشد احتياج الإنسان بالإستعاذة إلى واهب الحكمة والعرفان وخالق الإنس والجان. ولهذا إنه تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بالإستعاذة بربّه في قوله ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ [٩٧/٢] فهذه الإستعاذة مطلقة غير مقيدة بحالة مخصوصة. وأما قوله ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [٩٨/١٤] فهي استعاذة منه.

و تحقيق هذا المقام يحتاج إلى بسط في الكلام لنكشف إن لكل أحد وفي كل حالة ومقام شيطاناً مخصوصاً يجب الاستعاذة منه

وكَلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَفْضَلَ وَأَجَلَ، وَمَقَامَهُ أَعْلَى وَأَكْمَلَ، كَانَ شَيْطَانُهُ أَقْوَى وَأَعْوَى وَأَضَلَّ،  
 وَهِيَ لَطَائِفُ الْحَيْلِ وَجَوْهُ أَدَقِّ وَأَخْفَى، وَعَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِعَاذَةِ أَعْوَجٌ، وَعَنْ سَنَنِ الْإِهْتِدَاءِ  
 أَمِيلٌ، وَعَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ أَحْوَلٌ. وَلَمَّا كَانَ مَقَامَ قِرَاءَةِ الْوَحْيِ وَسَمَاعِ الْآيَاتِ أَجَلَ الْمَقَامَاتِ  
 وَقَعَ الْأَمْرُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ فِيهِ عَنْ شَيْطَانٍ مَعْرُوفٍ بِالْبَعْدِ وَالطَّرْدِ عَنْ جَنَابِ الْأَحَدِيَّةِ فَلِهَذَا  
 صَارَ مَنَعُونَ تَابِئَةً بِصِيغَةِ الْمَبَالِغَةِ فِي الْمَرْجُومِيَّةِ .

### إشارة كشميه

[ يجب الإستعاذه دائماً ]

فَدَانَ كَشَفَ لِأَرْبَابِ الْبَصَائِرِ النُّورِيَّةِ إِنَّ هَذَا الْبَدْنَ بِحَسَبِ مَشَاعِرِهِ وَرَوَازِينِهِ يَشْبَهُ  
 الْجَحِيمَ وَأَبْوَابَهُ، وَانْكَشَفَ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى أَبْوَابِ هَذَا الْجَحِيمِ تِسْعَةَ عَشَرَ نَوْعاً مِنْ  
 الزَّبَانِيَةِ وَهِيَ الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ الظَّاهِرَةُ، وَالْخَمْسُ الْبَاطِنَةُ وَقُوَّتَا الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ وَالْقُوَى  
 السَّبْعَ الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلٌّ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ التَّسْعَةِ عَشْرٍ وَإِنْ كَانَ وَاحِداً بِالْجِنْسِ، إِلَّا إِنَّهُ يَدْخُلُ  
 تَحْتَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَفْرَادٌ لِانْهَائِيَّةِ لَهَا بِحَسَبِ الشَّخْصِ وَالْعَدَدِ. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْقُوَّةِ  
 الْبَاصِرَةِ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَقْوَى الْبَاصِرَةُ عَلَى إِدْرَاكِهَا أَمْوَرٌ غَيْرٌ مَتْنَاهِيَّةٌ، وَيَحْصُلُ مِنْ إِبْصَارِ  
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَثَرٌ خَاصٌّ فِي الْقَلْبِ، وَذَلِكَ الْأَثَرُ يُجَرِّدُ الْقَلْبَ عَنْ أَوْجِ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ  
 إِلَى حَضِيضِ عَالَمِ الْجِسْمَانِيَّاتِ . وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ مَعَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْعِلَاقِ  
 وَالْعَوَاقِقِ كَيْفَ يَتَبَسَّرُ لِلْقَلْبِ خِلَاصٌ عَنْ هَذِهِ الظُّلْمَاتِ الشَّاعِلَةِ لَهُ عَنْ عَالَمِ الْأَنْوَارِ  
 الْإِلَهِيَّاتِ إِلَّا بِإِعَاذَةِ اللَّهِ وَإِعَانَتِهِ وَجَذْبِهِ. وَلِهَذَا قِيلَ: جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُؤَازِي عَمَلَ  
 الثَّقَلَيْنِ .

وَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّهُ لِانْهَائِيَّةِ لَجِهَاتِ نَقْصَانَاتِ الْعَبْدِ وَدَرَجَاتِ فِقْرِهِ وَفِتْوَرِهِ وَقُصُورِهِ، كَمَا لِانْهَائِيَّةِ  
 لِكَمَالِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَبَالِغِ عَنَانِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ، ثَبَتَ أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ  
 عَقْلاً، كَمَا يَجِبُ سَمْعاً، فَيَجِبُ عَلَيْنَا فِي أَوَّلِ كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَمَبْدَأِ كُلِّ لَفْظَةٍ وَلِحِظَةٍ أَنْ نَقُولَ  
 ضَمِيرًا أَوْ لِسَانًا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

## إشارة أخرى حكمية

[ لزوم الاستعاذة ]

قد ثبت في العلوم العقلية أنه مامن موجود في الممكنات إلوله كمال من جهة وفقر من جهة أوجهات ولكل منها عشق لما حصل فيه من الكمال، وشوق إلى ما هو فاقد له. ولهذا حكموا بسرّيان العشق والشوق في كلّ الموجودات. ثمّ الإنسان مختص من بين الموجودات بخاصية هي تطوره في الأطوار وتبدله في الأحوال، فما من منزلة ومقام يصل إليه سواء كان بحسب ميل الجبلة والطبع، أو بحسب الطلب والإرادة، ولا يشتاق إلى ما وراءه ولا يقنع به سواء كان من اللذات الدنياوية، كالجاه والمال، أو من السعادات الآخروية، كالعلم والحال. وقد ورد في الحديث عن النبي عليه وآله سلام الله: «منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال» والحاصل إن الإنسان كلما كان أكثر فوزاً بالمقاصد التي يشتاقه ويطلبه كان أعظم حرصاً وأشدّ رغبة في تحصيل الزائد عليه، ولما لم يكن لمراتب الكمالات نهاية، فكذلك لانهاية لدرجات الحرص والشوق. وهما لا يخلوان من ألم وزجر وكل ما هو في عالم الإمكان فقد علمت أنه لا يخلو من نقص وقصور وآفة وفتور، وإنما يتحقّق الكمال الأتمّ والغاية القصوى والجلال الأرفع والنور الأعظم في الحضرة الإلهية التي هي منبع السرور ومعدن الخير والنور. فمادام الإنسان بعيداً عن جناب القدس غير راجع إلى ربه فهو بعد في ألم الجحمان، محترقاً بنار الفرقة والفقدان، ممنوّاً بمرض الحرص وآفة الهجران. فثبت إن هذا داءً عظيم لا قدرة للعبد على علاجه إلاّ برجوعه إلى خالق كل شيء، ومبدع كل حي، ومفيض كل وجود وكمال كل موجود. بل هو مطلوب كل طالب وإليه أوبة كل آئب. فمن أراد أن يسكن عن

(١) في الجامع الصغير (١٨٤/٢): «طالب علم وطالب دنيا». وجاء في الخصال

للصدوق (ره) عن الصادق (ع): «... منهوم علم ومنهوم مال» (باب الاثنتين ١/٥٣).

هذا الاضطراب ويتخلص عن ألم الشوق إلى بحر الحقيقة في هذا المنزل الذي يتمثل فيه السراب ماء، والداء دواء، والشبح أصلاً، والفرقة وصلاً، فيجب عليه أن يرجع فيه إلى الرب الرحيم، ويطمئن قلبه بذكره ويسكن إليه ويعود به ويلوذ إلى جنبه، فيقول: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**. لأن الشيطان مبدء كل بعد ونقصان، ومنشاء كل شرٍّ وحرمان وخسران .

وفي بعض الكتب الإلهية: إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل عن غيري باليأس، ولأبسنه ثوب المذلة عند الناس، ولأجتنبه من قربي، ولأبعدنه من وصلتي، ولأجعلنه متفكراً حيران، يؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي. وأنا الحي القيوم. ويرجو غيري ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني .

### الركن الثاني في المستعاذ به

هذا مما ورد في الكتاب<sup>٢</sup> والحديث<sup>٣</sup> على وجهين: أحدهما أن يقال: **أَعُوذُ بِاللَّهِ**. والثاني أن يقال: **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ** .

فاعلم إن المراد بكلمة الله هي مفاد قوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٤٠/١٦] فقوله وكلمته ليس من جنس الأصوات والحروف، كما إن ذاته وصفاته ليست من جنس الأجسام والكميات بل وليستا من جنس الجواهر والأعراض. بل قوله وكلامه وأمره - كما مر في المفاتيح<sup>٤</sup> - وجودٌ صرفٌ مفارقٌ عقلي. فكلماته هي

(١) راجع الحديث مفصلاً في الكافي: باب التفويض إلى الله والتوكل عليه: ٤٦/٢.

(٢) فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم: ٩٨/١٦ .

(٣) الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نزل منزلاً: ٤٩٦/٥ .

(٤) راجع الفاتحة الثالثة والرابعة من مفاتيح الغيب .

موجودات مقدسة روحانية أمرية هي وسائط بين الله وبين الأكوان الخلقية وبها نفاذ علمه وقدرته وسريان مشيته وإرادته في الكائنات بحيث يستحيل أن يعرض له مانع أو عائق. وقد مر في المفاتيح إن كلامه الأمري واجب الامتثال، وأمره التكويني حتمي القبول لازم السمع والطاعة، ولا شك إنه لا يحسن الاستعاذة بالله إلا لكونه حكيماً متقناً في الأفعال، نافذ المشية قاهراً في الأقوال. وإنما وقع الاستعاذة بكلمات الله التي هي من عالم الأمر والنور من الشرور، لأنها برينة من كل شر وقصور وآفة ودثور بخلاف ما في عالم الخلق فإن الأجسام وما يتعلق بها ممنوعة بالآفات والشرور. فوجب الاستعاذة من شر ما خلق بما في عالم الأمر. فقول له عليه السلام، أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق. استعانة من الأرواح البشرية بالأرواح العالية المقدسة في دفع شرور الأرواح الخبيثة الظلمانية الكبدية .

والدليل على أن المراد بكلمات الله هي الوجودات العقلية المحضة الإلهية إنها قد وصفت بالتامات فإن الموجود إما ناقص أو مستكف أو تامّ أو فوق التمام. فالأول هو كالأجسام وما يحلّها. والمستكفي كالنفوس الفلكية ونفوس الأنبياء عليهم السلام ماداموا في هذه العالم حيث أنّها لم يفتقر في كمالها إلى سبب خارج عن مقوم ذاتها. والتام هو كالعقول المفارقة، حيث لم يكن لها كمال مرتقب وتمام منتظر، وإنما تمام كل معها وغايتها لا يفارقه وهو مبدها ومنشئها والمتكلم بها. فالله جلّت وعظمت كلمته فوق التمام وغاية الغاية إذ به تمام كل شيء وحيوة كل حيّ ونور كل ذي ضوء وفيه ودواء كل مرض وعي .

وهي هنا دقيقة وهي إن الجسمانيات جواهرها وأعراضها القارة وغيرها وطبائعها وآثارها الطبيعية لا تكون حدودها إلا تدرجياً شيئاً فشيئاً. كالحركة التي هي الخروج من القوة إلى الفعل يسيراً يسيراً فأما الإبداعات فإنما يحصل تكونها وخروجها إلى الفعل دفعة كما قال ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٤/٥٠] ومتى كان الأمر كذلك

كان حدوثها عن الله شبيهاً بحدوث الحرف الذي لا يوجد إلا دفعة ، أي في الآن الذي لا ينقسم. فلهذه المشابهة كانت تمامها عين بدءها ، فسميت نفاذ قدرته تعالى الحاصلة بها بالكلمة ووصفت بالنامة .

ثم هي هنا سر آخر :

وهو إن الكلام ليس أمر أخرجاً عن ذات المتكلم بما هو متكلم وإن أمكن اعتباره غير أفكنا كلمات الله، وهي جملة عالم الأمر. فليست هي من حيث هي كلمات الله إلا سراق عظمته وكبريائه وحجب صمديته. فليست هي من جملة العالم وما سوى الله إذ بهذا الاعتبار لا يعتر بها الدثور والحدثان. ولا التعدد والإمكان. فلا قديم إلا الله وحضرته العلمية. فيحسن الاستعاذة بها. وأما باعتبار ما يترتب عليها ويظهر منها من الآثار المختلفة والأجرام والنفوس المتكثرة والصور النوعية للأشياء الجرمانية فهي أمور متكثرة حسب تكثر الأنواع الطبيعية التي للفلكيات والعنصریات. وهي بهذه الاعتبار من جملة عالم الجسمانيات الحادثة المتغيرة، وتكون حادثة متغيرة حسب حدوثها وتغيرها. وتحقيق هذا المطلب مما يفتقر إلى علوم جمّة عقلية ومقدمات كثيرة برهانية وكشفية. قد ذكرنا طرفاً منها في الشرح الاربوبية وفي رسالة عملتها في حدوث ما سوى الله حدوثاً تجديداً زمانياً .

فإذا تقرر هذا فقد انكشف ان الاستعاذة بكلمات الله إنما يحسن ويليق لأن الاستعاذة بها من حيث هي كلمات الله وأوامره استعاذة به تعالى لا بغيره وبما سواه وأما الاستعاذة بها من حيث هي موجودات ممكنة بذواتها موجودة بوجود جوهرية إمكاني افتقاري فلا يحسن ولا يليق لأنها حينئذ يكون الاستعاذة بها استعاذة بغير الحق ومن استعان بغير الله ذل .

(١) ن : وبهذا ...

(٢) طبع مع ثمانية من رسائله (ره) القيمة طبعاً حجرياً .

## تنبيه

## [ إنتهاء مقام الإستعاذة ]

ثم لا يخفى<sup>١)</sup> عن فطانتك إن قول العبد «أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ حَيْثُ هِيَ» موجودات متغايرات غيريات إنما يلائم له ويليق به إذا كان بعد غير واصل إلى صفو العبودية ومقام الرجوع التام ويكون قد بقي في نظره النفقات إلى غير الله. فهو بعد مريد نفسه وقاصد حفظه. وأما إذا تغلغل في بحر التوحيد وتوغل في بحر الحقائق وصار بحيث لا يرى في الوجود إلا الله الواحد لم يستعد إلا بالله ولم يلتجئ إلا إليه ولم يعول إلا عليه فلا جرم يقول: أعوذ بالله. وأعوذ من الله [بالله]. كما قال النبي<sup>٢)</sup> صلى الله عليه وآله: أعوذُ بِكَ مِنْكَ.

ثم أعلم إن في هذا المقام أيضا يكون العبد مما قد بقي في قلبه اشتغال بغير الله ومقام الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم السلام أعلى وأجل من هذا المقام وإنما يجري منهم الاستعاذة والدعاء والمناجاة وما يجري مجراه إما تعليماً للامة. وإما عند نزولهم أحياناً إلى مقام البشرية ومباشرة الخلق ماداموا في هذه الحيوّة الدنياوية. وذلك لأن مرتبتهم أعلى من أن يشتغلوا بالمناجاة وأن يستعيدوا بالله من الشدائد. لأن من كان في هذه المرتبة كانت قبلته في دعائه واستعاذته طلب راحة لنفسه أودفع أذى عنه. فهو بعد أسير الهوى معتكف على طلب ما هو الأولى لنفسه. تارة يعتريه الخوف وتارة يسلبه الرجا. وهذه كلها اشتغال بغير الله. فإذا ترقى العبد عن هذا المقام وفنى عن نفسه وفنى أيضاً عن فئاته عن نفسه فتهيئنا يترقى عن مقام الاستعاذة وبصير مستغرقاً في نور البسمة. ألا ترى إن رسول الله - صلى الله عليه وآله لما قال في سجوده: أعوذ بك منك. ترقى عن هذا المقام فقال: أنت كما أثنت على نفسك.

(١) ن: ثم لا يخفى.

(٢) ابوداود: كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود: ٢٣٢/١.



## الركن الثالث في المستعبد

واعلم إن القرآن والأخبار يدلّ على أن كل إنسان يجب عليه أن يستعبد بالله فقوله «أعوذ بالله» أمر منه لعباده أن يقولوا ذلك. فيدلّ على أنه يجب عليهم ذلك. ولأنه تعالى أمر نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة مرّة بعد أخرى فقال ﴿قُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [٩٧/٢٣-٩٨] وقال: ﴿قُلْ اعْوِذْ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [١/١١٣] وقال: ﴿وَقُلْ اعْوِذْ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [١/١١٤] وقال في سورة الأعراف ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢٠٠/٧] وقال في سورة حم السجدة مثل ذلك [٣٦/٤١].

فهذه الآيات دالة على أنه صلى الله عليه وآله أمور بالاستعاذة بالله سبحانه والأمر بها له أمرٌ بها للأمة إذ لا خصوصية للاستعاذة به صلى الله عليه وآله دون الأمة. ولأنه تعالى حكى عن نوح عليه السلام إنه قال ﴿اعْوِذْ بِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِكَ مَآبِئُ السَّمَوَاتِ لِيُؤْمِنَ بِرَبِّهِمْ أَنَّهُمُ اعْوِذُ بِاللَّهِ أَنَّهُ رَبُّنَا أَحْسَنُ مَوَازِيءَ﴾ [٢٣/١٢] وقوله لما قيل له بخذ أحدنا مكانه ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ جَدُنَا مَنَاعِنًا عِنْدَهُ﴾ [٧٩/١٢] وحكى عن موسى عليه السلام إنه قال ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ إِنْ نَأْخُذُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ﴾ [٦٧/٢] وإنه لما خوفه القوم بالقتل قال ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [٢٠/٤٤] وقال في آية أخرى ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [٢٧/٤٠] وحكى إن أمّ مريم عليها السلام امرأة عمران قالت: ﴿وَإِنِّي أُعْبِدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [٣٦/٣] وإن مريم عليها السلام لمارأت جبرئيل عليه السلام في صورة بشر يقصدها في الخلوة ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [١٨/١٩] جميع ذلك على وجه المدح والاستحسان. فهذه الآيات دالة على أن

الانبياء عليهم السلام ومن يحذو حذوهم من الأولياء كانوا أبدأ في الاستعاذة بالله من شر  
شياطين الانس والجن .

وأما الأخبار في ذلك فأكثر من أن يحصى وأظهر من أن يخفى .

\* \* \*

واعلم إن المستعبد هو النفس الجزئية للانسان الجزئي من الشرور العارضة  
لهافي هذا العالم من جهة اقترانها بهذه الأشياء الجسمانية ذوات التقدير الواقعة في صقع  
القدر. وأما عالم القضاء الإلهي وعالم الأمر الرباني وكلمات الله التامات فهي بريئة  
من كل الوجود عن الشرور والآفات. وأما النفس الناطقة العاقلة للمعقولات، الراجعة  
إلى ذاتها، المرتبطة إلى ربها فهي متبرئة الذات عن لحوق الشرية بها، فلا حاجة لها إلى  
العوذ والإعاذة. فإن كل راجع إلى ذاته أمر روحاني عقلي. وكل أمر عقلي فهو موجود  
في عالم الأمر والقضاء، مجرد عن عالم الخلق والمساحة والتقدير. وكل ما هو كذلك فلا  
يزاحمه شيء مزاحم ولا يصادمه ضد مصادم. فيكون على كماله الأتم الملائم لذاته من  
غير عائق ودافع ومن هيهنا علم إن الشيطان ليس من المجردات، وإلا لم يكن مزاحماً لأحد  
ولامصاد مألشيء. ولم يكن شراً لشيء ولا هو بنفسه أيضاً ذا شر وآفة وطرده.

### الركن الرابع في المستعاذ منه

لما علمت إن المستعاذ منه من الأمور القدرية الواقعة تحت القضاء في عالم الخلق  
والتقدير من ذوات الشرور اللازمة أو العارضة سواء كانت من الأشياء الضارة الداخلة  
في باطن الإنسان وإهابه كقواه المدركة والمحركة التي رئيسها القوة الوهمية المطبوعة  
لإغواء الشيطان ووساوسها الباطلة المدعنة له في قضاياها الكاذبة الاعتقادية وغيرها المغترية بما  
يورد عليها من باب الوعد بالشر والايعاد بالخير والأمر بالمنكرات والنهي عن المعروفات  
وغير ذلك من الأمناني والآمال أو كانت من الأشياء الضارة الخارجة عنه سواء كانت

إنسانية كالأعداء والخصوم الدينية والدينيّة، أو حيوانية كالوحوش والسباع والموديات مثل العقارب والحيات، أو نباتية كالسموم المهلكة والأدوية الضارة، أو جمادية كالسيف والسهم والسكين وغيرها، أو كانت من الأجسام البسيطة فلكية كانت كالشمس والقمر في تأثيراتهما الضارة من التسخين المفرط والترطيب المفرط وكالكواكب في نحوسها ووبالها وأنظارها واتصالاتها النحسية في أوقاتها الخاصة التي تنشأ منها الآثار المضرة بالإنسان أو عنصرية كحرق النار وطفوفان البحار وسقوط الجبال وعصف الرياح الشديدة وكثرة الأمطار المخربة للديار وخسف الأرض بالزلازل والصواعق وما يجري مجريها .

وهذه الموجودات كلها مما يتضمن خيرات كثيرة ويتضمن شروراً في بعض الأوقات. فلهذا يجب للإنسان أن يستعين بها جميعاً بدل عليه ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول هذه الكلمات التي علمه جبريل لما أسرى به ليلة المعراج وهي قوله: «أعوذُ بوجهِ اللهِ الكريمِ وبكلماتِ اللهِ التي لا يجاوزهنَّ برُّ ولا فاجرٌ من شرِّ ما ينزلُ من السماءِ وما يعرجُ فيها وشرِّ ما ينزلُ من الأرضِ وما يخرجُ منها ومن شرِّ فتنِ الليلِ والنهارِ ومن شرِّ طَوارقِ الليلِ والنهارِ الآطارِقِ يطرقُ بخيرٍ».

وروي إن كعب الأخبار كان يقول: أعوذُ بوجهِ اللهِ العظيمِ وبكلماتِهِ التاماتِ التي لا يجاوزهنَّ برُّ ولا فاجرٌ وبأسمائه كلها ما قد علمت وما لم أعلم من شرِّ ما خلق وذرعاً وبرءاً ومما يدلُّ على أنه يجب على الإنسان أن يستعين بالله من جميع هذه الشرور الواقعة في عالم الخلق، المنتفية عن عالم الأمر إنه قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله في سورتي المعوذتين بالاستعاذة من كلها وأشار إلى مجامع أقسام هذه الشرور مجملاً ومبيناً فقال: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ إِلَى آخِرِ الْمَعُودَتَيْنِ أَيِ فَالِقِ ظِلْمَةِ الْعَدَمِ بِنُورِ الْوُجُودِ هُوَ اللهُ فَاسْتَعِذْ بِهِ وَذَلِكَ مِنْ

(١) الموطأ: كتاب الجامع، باب ما يؤمر به من التعوذ: ١٢٦/٢ وفيه فروق.

لوازم خيريته المطلقة الصادرة منه بالقصد الأول. وأول الموجودات الصادرة منه هو عالم أمره وقضائه. وليس فيه شرّاً أصلاً كما مرّ اللهم إلاما صار مخفياً تحت سطوع النور الأول. وهي الكدورة اللازمة لمهيّات الممكنات، الناشئة من قصور هويّاتها الوجودية عن الهوية الإلهية ثم بعد ذلك تتأدى الأسباب بمصادماتها إلى شروط لازمة عنها بحسب نفوذ قضائه الأول في قدره اللاحق. فلذلك قال: مَنْ شَرَّمَا خَلَقَ. فجعل الشرفي ناحية الخلق والتقدير جملة. لأنّ عالم الأمر خيرٌ كلّ كما مرّ فأمر نبيّه بالاستعاذة من موجودات عالم الأجسام على الجملة .

ثمّ عمداً إلى ما هو أخصّ منها في الشرية، وأمر نبيّه بالاستعاذة منه وقال ﴿مَنْ شَرَّمَا خَلَقَ إِذَا وَقَبَ﴾ والمراد به مبادي الشرور الداخلة في بدن الإنسان من الغواسق الجسمانية والقوى الظلمانية فإن النفس الإنسانية النطقية خلقت في جوهرها نقيّة صافية قابلة لأنوار الحقائق وصورها الحقة، منزّهة عن الكدورات المادية كما علمت وتلك اللطافة والأنوار لا تنزل عنها إلا بهيات ترتسم في جوهرها من مقارنة هذه القوى الداخلة في مادة بدنها، فيكون تلك الظلمة متجددة عليها من هذه الغواسق الظلمانية. ثم لما ذكر ذلك أو لاعتقّب ذكرها بما هو أخصّ منها في الشرية وهي القوى النباتية بخصوصها فقال: مَنْ شَرَّمَا خَلَقَ فِي الْعُقَدِ. فإن هذه القوى وهي من سدنة ميكائيل موكّلة لتدبير البدن ونشوه ونموّه وارتزاقه واغتذائه. والبدن عقدة حصلت من انعقاد بين العناصر المختلفة المتداعية إلى الانفكاك. والنفائات فيها الموجبة لازدياد مقدارها هي القوى النباتية. لأنّ النفث سبب لأن يصير جوهر الشيء عزائداً في المقدار في جميع جهاته ثم أشار إلى القوى الحيوانية بقوله: وَمِنْ شَرَّمَا خَلَقَ إِذَا حَسَدَ. فإن أصل الحسد إنما ينبعث من النزاع الحاصل بين القوى الحيوانية البدنية الموجبة للغلبة والرياسة والشهوة وبين النفس الناطقة المدركة لعواقب الأمور.

وهذا النزاع ينشأ أو لأبين آدم وإبليس، وهو الداء العضال. أمر الله بالاستعاذة منه.  
 وقوله: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. أراد بالوسواس ما يوقع الوسوسة كالقوة  
 المتخيلة في الداخل والشخص الموسوس في الخارج فإنهما مستعملتان للنفس الحيوانية  
 ويحرر كانها حركة على خلاف ما يقتضيها توجه النفس الناطقة المنازعة المتوجهة  
 إلى المبادئ العالية. والموسوس الخارجي إنما يصل أثر وسوسته إلى النفس بواسطة  
 الموسوس الداخلي أي المتخيلة. والمراد من الصدر هو مسكن النفس الحيوانية وكرسيها  
 كما إن القلب عرش النفس الناطقة وتأثير الوسوسة لا يصل إلى القلب بل إلى الصدر  
 ولذا قال: الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. ولم يقل: في قلوب الناس. فإن أصحاب  
 القلوب لا يؤثر فيهم الوسوسة. ثم قال: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ. تنبيهاً على القسمين وإشارة إلى  
 القبيلتين.

### تفميته

اعلم أيها المستعبد بنور معرفة الله من شرور عالم الأكوان إن هذه الشرور متفاوتة  
 المراتب في الشرية. وكلما كانت شريته أعظم يجب الاستعاذة منه أكثر ومعلوم إن شرور  
 الآخرة أشد من شرور الدنيا بل لانسبة بينهما كما لانسبة بين خيرات الآخرة وخيرات الدنيا  
 لأن البقاء الأخروي غير متناه وخيراتنا ولذاتها عقلية أو مثالية باطنية. وعالم العقل عظيم  
 الفسحة وكذا طبقات الجنان ولذاتها <sup>إلى</sup> لذات المقربين والأبرار ولانسبة لما يناله أهل  
 الجبروت والملكوت من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والأولياء الكاملين  
 سلام الله عليهم أجمعين ومن يتلوهم من السعداء الصالحين من ملاحظة جمال الله  
 وجلاله وحضرة رب العالمين إلى ما يناله أهل الحواس الخمس من البهائم والسباع  
 والدواب والأنعام ومن يحدو حدوها من لذات البطن والفرج والرياسة في هذه الحياة

الفانية المشوبة بالكدورات الممزوجة بالآفات فالاستعاذة بالله مما يضرّ في الآخرة  
ويضادّ للسعادة الآجلة يجب أن يكون أشدّ من الاستعاذة به مما يضرّ في الدنيا ويضادّ  
للسعادة العاجلة على النسبة التي بين خيرات النشاطين وشروها. ثم إن أعظم تلك الأمور  
تأثيراً في الإضرار بجوهر النفس الإنسانية بحسب النشأة الأخروية هي الأشياء الداخلة  
في إهابها، الجارية مجرى الدم في عروقها وهي القوى الحيوانية المدركة والمحركة  
المشار إليهما في قوله: بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَهَا إِن لَمْ يَرْضَ بِالرِّيَاضَاتِ الدِّينِيَّةِ وَلَمْ  
يَتَأَدَّبْ بِالْآدَابِ الْعَقْلِيَّةِ كَانَتْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَاءِ الطَّاغُوتِ وَجُنُودِ الشَّيْطَانِ. لِأَنَّهَا  
وَاقِعَةٌ فِي عَالَمِ البُعْدِ وَمَهْوَى الشَّيَاطِينِ وَهِيَ مَفْطُورَةٌ مَطْبُوعَةٌ عَلَى أَعْمَالٍ وَأَعْمَالٍ مَهْوِيَّةٍ  
مُبَعَّدَةٌ لِلنَّاسِ عَنْ دَارِ الْكِرَامَةِ وَمَحَلُّ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ وَمَنْبَعُ الْخَيْرِ وَالنُّورِ فَلا جرم تجيب  
دعوة الشيطان الذي هو رئيس الظلمة وولي أهل الظلمات فيجب على كل أحد أن  
يستعيد أشدّ الاستعاذة من شرور هذه الأمور الداخلة في هيكل الإنسان وهي التي يكون  
آله ومعبنة إياه في سفره إلى الحقّ من وجهه. ووبالآعليه من وجهه. فمن وجهه كلها له ومن  
وجهه كلها عليه .

وكذلك حكم الشيطان ولأجل ان مبدء شرّية هذه القوى النفسانية و الحيوانية  
وأصلها هو الشيطان وهي من توابعه وجنوده عند تعصّبها عن طاعة العقل المنور بنور  
الشرع فيكون شريرة مثله وأنزل منه فوق الاستعاذه تارة منه كما في قوله: أَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وتارة من هذه القوى كما في قوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ  
شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ إِلَى قَوْلِهِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ . ويقرب من  
هذا قوله تعالى ﴿ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾

### الركن الخامس فيما يستعاذله

وهي العلة الغائية للاستعاذة أي المطالب التي لأجلها يستعبد الإنسان بالله وكلماته مما هو شرٌّ وبإسأل له واعلم إن الإنسان ممّا فطره الله بحيث يكون فيه استعداد كل صفة وحال وأهلية كل فضيلة وكمال. وما من شرف وفضيلة وكمال إلا وفي الإنسان قوة ذلك وأصله وفيه بذره واستعداده في أول أمره ومبدء تكوّنه.

وذلك لسرّ إلهي وفطرة ربّانية مودّع في مهيته ومبدّع في فطرته الأصلية. وأما إذا مرّت عليه أحوال ودهور ومضت عليه سنون وشهور، فإما أن يخرج بعض هذه الكمالات أو كلّها من القوة إلى الفعل أو يخرج مقابلاتها واضدادها كلّاً أو بعضاً من القوة إلى الفعل إذ له قوّة على كل شيء وقوّة أيضاً على مقابله وضده.

هذا مادام في هذا الكون الدنياوي. وأما إذا خرج من الدنيا فقد بطلت قوته وزال استعداده. فهو إمّا سعيدٌ بالفعل أو شقيٌّ بالفعل.

فإذا تفرّر هذا علم إن مطالب الإنسان غير متناهية ومقابلاتها غير متناهية. يجب عليه أن يستعبد لأجل كل مطلوب مما يعوقه عنه ويمنعه سواء كان وجودياً أو عدمياً. فلا خير من الخيرات إلا وهو يحتاج إلى تحصيله. ولا شرّ من الشرور إلا وهو يحتاج إلى دفعه منه وإبطاله. وذلك في أوائل نشوه ومباني كونه. وأما عند رسوخ بعض الصفات والأخلاق وتأكد ضرب من الملكات فليس كذلك. ولهذا لا ينفع التعويد والتحذير لبعض الناس كما لا ينجع لهم الدعوة والتأديب والارشاد والتهذيب لبطلان قوتهم وزوال استعدادهم لجانب الفضيلة والكمال لتكرّر أعمال قبيحة صدرت منهم تعدّد لنفوسهم هيئة مضادة لها من باب الرذيلة والوبال. كما قال مخاطباً لمن هو مبعوث لهداية الخلق وتهذيبهم وارشادهم عليه وآله الصلوة والسلام: ﴿إِنَّكَ لَأَنْهَيْتَ مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٥٦/٢٨] و

﴿ مَا أَنْتَ بِسَهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ [٨١/٢٧] وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦/٢] وقوله ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٧١/٣٩] وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان الاستعدادات ومسوخ البواطن .

فعلم إن الإنسان بحسب مبادي خلقته مختص من بين ساير الموجودات في احتياجه إلى تحصيل جميع الخيرات والاستعاذة من جميع الشرور. وأما غيره فليس كذلك. أما المفارقات الصرفة والكمّل المقربون من أهل الآخرة فكما لانهم كلّها حاصلة لها بالفعل ولا حاجة لهم إلى الاستعاذة من شرّ وآفة إذ لا يتصور فيها إمكان لحوق شيء منها. وأما النفوس الفلكية ونفوس السعداء في الآخرة ، فهي وإن كان لهم نوع من القوة والتقصان إلا أنّ نقصاناتها منجبرة على التدرّج بما يرد عليها من مبادي كما لانها الذاتية لأنّها مستكفية بذاتها ومبادئها الذاتية لا يعترها آفة وشر من خارج .

وأما النفوس الشقية الأخرية فهي إما شريرة بالفعل كالكفرة والشياطين وإما منحلة عن أن يكون لها قوة الإرتقاء إلى درجة الكاملين في الخيرات وأما النفوس الحيوانية والنباتية وما هو أسفل منها من الصور الطبيعية للأجرام البسيطة والمركبة فبين أنّها ليس ولا يكون في شيء منها قوة الإرتقاء إلى خيرات العالم الأعلى أصلاً . وبالجمله لكل من سكّن عالم الخلق والأمر <sup>معلوم</sup> مقام وليس لأحد منها خاصية استعداد الترقّي إلى كل كمال والتطور بكل طور وحال إلا بعض أفراد البشر. فقوله أعوذ بالله ينبغي أن يكون متناولاً لدفع جميع الشرور والآفات الروحانية والجسمانية وكلّها أمور غير متناهية .

### تنبيه

ومما ينبّه ذلك إن الشرور المقابلة للخيرات إما أن يكون من الاعتقادات الحاصلة



في النفوس أو من باب الأعمال الصادرة من قوى النفوس والأبدان أو الانفعالات الواردة على الإنسان من خارج .

أما القسم الأول فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة رهي غير متناهية. لأن المعلومات غير متناهية، كل منها يمكن أن يعتقد اعتقاداً حقاً صحيحاً، ويمكن أن يعتقد اعتقاداً باطلاً خطأً ويدخل فيها جميع الآراء والمذاهب الباطلة لفرق الضلال كلها في العالم ومنها اثنان وسبعون في هذه الأمة وما سواها خارج عنها. فقوله «أَعُوذُ بِاللَّهِ» يتناول الاستعاذة من كل واحد منها .

وأما القسم الثاني المتعلق بالأعمال النفسية والبدنية فمنها ما يضر في الآخرة ومنها ما يضر في الدنيا .

أما الأول فكل ما نهى الله عنه بحسب نص الكتاب والسنة والاجماع وضرب من القياس وبحسب ما يستنبط من هذه الأصول بالاجتهاد وهي خارجة عن الحصر والضببط وأما الثاني فهو جميع الآلام والأسقام والآفات والمتاعب والمشاق مما هي خارجة عن العدد. كما يدل عليه الاحاطة بمسائل الطب وغيرها. ويظهر منها إن في كل واحد من الأعضاء بل في كل جزء صغير منها أنواعاً من الآلام والأسقام والأوجاع .

وأما القسم الثالث فجميع المكروهات الواصلة إليه من الحرق والغرق والفقر والقتل والنهب والشتم وآثار الجور والظلم والبهتان والافتراء عليه وشهادة الزور في حقه والسرقة والاتلاف والايلام والعداوة والبغضاء وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى فقوله «أَعُوذُ بِاللَّهِ» يجب أن يتناول كلها ويجب على كل عاقل أن يستعيذ منها وإذا أراد أن يقول أعوذ بالله يستحضر هذه الأقسام من الأجناس الثلاثة وأنواعها وأنواع أعدادها التي لا حد لها ولا عدد في خياله. ثم يعرف أن قدرة جميع الخلائق غير وافية بدفع شرور هذه الأقسام فحينئذ يلجئ إلى العليم القدير الذي قدرته شاملة لجميع المقدورات وعلمه محيط بها فيقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ .

## فصل

### في أن الاستعاذة كيف تصح على مذهب الجبر ومذهب القدر

وأما على مذهب الجبر، فللقدرى أن يقول: أعوذ بالله يبطل القول بالجبر من وجوه:  
الأول إنه اعتراف بكون العبد فاعلاً لئلك الاستعاذة ولو كان خالق الأفعال  
هو الله دون العبد فيكون قوله كذباً. وإيضاً إذا خلق الله فعلاً في العبد امتنع لأحيد دفعه  
وإذا لم يخلقه امتنع تحصيله فالفائدة في الاستعاذة فثبت أن قوله «أعوذ» اعتراف بكون  
العبد موجداً لفعله.

الثاني: إن الاستعاذة بالله إنما يحسن إذا لم يكن خالقاً للأمور التي يستعاذ منها.  
وأما إذا كان هو فاعلها فيمنع الاستعاذة به منها وإلا لكانت الاستعاذة بالله من الله.  
الثالث إن الاستعاذة بالله من المعاصي وهي من قضاء الله تستلزم أن لا يرضى  
العبد بالقضاء والرضاء بالقضاء واجب.

الرابع: إن الاستعاذة بالله من الشيطان إنما يحسن لو كانت الوسوسة فعلاً  
وأما إذا كانت فعلاً لله ولم يكن فعلاً للشيطان ولا له أثر فيها فكيف يستعاذ من شره بل يجب  
أن يستعاذ من شر الله لا من شره إذ لا شر إلا من قبله.

الخامس: إن للشيطان أن يقول: يا إلهي إذا كنت ما فعلت شيئاً أصلاً وأنت يا إله  
الخلق قضيت صدور الوسوسة عني ولا قدرة لي على مخالفة قضاءك وحكمتك ثم قلت:  
﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢٨٦/٢] وقلت: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ  
بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [١٨٥/٢] وقلت: ﴿مَاجَعَلَّ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [٧٨/٢٢]  
فمع هذه الأعداد الظاهرة والأسباب القوية كيف يجوز في عنيتك ورحمتك أن

تذمني وتلعنني!؟

السادس : جعلتني ياإلهي مرجوماً ملعوناً بسبب جُرمِ صدرمَنِّي، أو لسبب جُرمِ صدرمَنِّي؟ فإن كان الأول فقد بطل الجبر وإن كان الثاني فهو محض الظلم وقد قلت: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ. فكيف يليق هذا بك؟!

### وأما على مذهب القدر

فالجبري أن يقول: أما الاشكالات التي ألزمتونا فهي بأسرها واردةٌ عليكم من وجهين: الأول إن قدرة العبد إيمانٌ يكون متعينةً لأحد الطرفين فالجبر لازمٌ. وإما أن يكون حاملاً لهما فرجحان أحد الطرفين على الآخر إن كان لمرجح؛ ففاعسل المرجح إن كان هو العبد عاد التقسيم فيه ويتسلسل. وإن كان هو الله فعندما يفعل ذلك المرجح بصير الفعل واجب الوقوع. وعندما لا يفعله بصير ممتنع الوقوع. وحينئذ يلزمكم كل ما ذكرتموه. وإن كان الرجحان لالمرجح فهو باطل من وجهين:

الأول إنه يسدّ به باب اثبات الصانع للعالم إذ مداره على أن رجحان إحدى طرفي الممكن على الآخر يستحيل من غير مرجح.

والثاني : إنه على هذا التقدير يكون وجود ذلك الرجحان واقعاً على سبيل الاتفاق ولم يكن صادراً عن العبد وإذا كان الأمر كما ذكرنا فقد عاد الجبر المحض.

الوجه الثاني : في السؤال إنكم سلّمتم كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات ووقوع الشيء على خلاف علمه يقتضى انقلاب علمه جهلاً وذلك محالٌ والمؤدّي إلى المحال محالٌ فكل ما أوردتموه علينا في القضاء والقدر لازمٌ عليكم في العلم لزوماً لا محيص عنه.



واعلم يا وليي أعانك الله وأعاذك إن هيهنا قد تلا طمت أمواج بحري الجبر والقدر

وغرقت في تيارهما عقول أصحاب الفكر وأرباب البحث والنظر ولانجاة لأحد من الباحثين والمتكلمين من تيارهما إلا من عصمه الله وآمنه من الهلاك وعلمه طريق السباحة والمشى في الماء ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء وذلك بأن أيده بروحه وهداه إلى معرفة توحيد الأفعال ، ثم إلى الصفات ، ثم إلى الذات فيقول عند ذلك كما قال نبيه في دعائه واستعاذته : « اللهم إني أعوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لِأُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » .

### نكتة

ومن اللطائف المستنبطة في هذا المقام إن الله جل اسمه لما أنبأنا إنه خلق السموات سبع طباقٍ علمنا بمقائيس الأذواق إن الوجود الإنساني الذي هو عالمٌ صغير متدرج في سبع مراتب متفاوتة في اللطافة والكثافة متعلقة بتلك الأفلاك السبعة مع ما فيها من الأنوار المتحركة بأعصاب وعروق معنوية وأوتار ورباطات غيبية متى قبضت انقبضت و متى بسطت انبسطت يتنزل الأمر بينهن كما يتنزل هنالك .

ثم إنه قد ورد في الأخبار المستفيضة إن إبليس لعنه الله كان له فيما مضى الولوج في طباق السموات كلها فلما ولد المسيح روح الله على نبينا وعليه السلام والصلوات حجب عن أربع سموات وبقي له ثلاث طبقات يلج فيها ويقعد منها مقاعد للسمع .

و نظائر هذه الثلاث في العالم الإنساني المراتب التي دون الروح أعني القلب وبعده النفس وبعده الطبيعة . وأما ما حجب عنها فالروح وفوقه السر وفوقه الخفي وفوقه الأخرى فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الحقيقة التمامية حجب إبليس وجنوده من السموات كلها فلم يبق له ولوجٌ وعروج في شيء منها وقد بقي له الأرض الجسمانية يسبح فيها مفتحة له مجاريها فيجري من الإنسان مجرى الدم

وقد أمر صلى الله عليه وآله أمته ان يضيقوا عليه تلك المجاري بالجوع والعطش في قوله صلى الله عليه وآله: <sup>١)</sup> ضيقوا مجاري الشيطان بالجوع. فقد اعد له كل مرصد واخذه كل ما أخذ حتى كاد أن يجلبه من الارض أيضاً. وذلك ما أشار إليه صلى الله عليه وآله في بعض دعواته: <sup>٢)</sup> وَنُوراً فِي شَعْرِي وَنُوراً فِي دَمِي وَنُوراً فِي لَحْمِي. فلما كان للشيطان فيما مضى الولوج في طبقات السموات كان يهتف من الداخل و من داخل الداخل كما يهتف من الخارج فكانت الاستعاذة من هواتفه وهو اجسه و مغاليطه و وساوسه عسيراً شديداً جداً. وأما اليوم بحمد الله وبإشراق النور المحمدي صلى الله عليه وآله فهو طريد رجيم. فلا يأتيك هاتفه وهاجسه إلا من خارج أبواب القلب والنفس والطبع فليس عليك إلا سد مجاريه بترك الشهوة والغضب وحب الجاه والرياسة. وهذه منبعثة من أبواب خارجة عن مواطن الإنسان لأنها حاصلة من الافراط في الأكل والشرب وطلب الهوى وينقطع مواد هذه الأمور بالجوع والصوم كما مر في الحديث المذكور و كما يعلم من قوله الصوم جنة من النار. <sup>٣)</sup>

وكذلك سهل على السالك اليوم التمييز بين الهواتف واللمسات. والفرق بين لمة الملك و لمة الشيطان. فليس عليك إلا التمييز واحد وذلك أن تميز وتفرق إذا أتاك الهاتف هل أتاك من خارج أو داخل. فإن تبينت إنه أتاك من داخل فثق به واعتمد عليه. فإن كل هاتف يأتيك اليوم من داخلك فهو من ملائكة رب العالمين وهذا القدر من التمييز يسير على من يسر الله له فهذا مما دل على أن الاستعاذة من شر الشيطان يسر لهذه الأمة المرحومة دون سائر الأمم لأنه مطرود ومرجوم عن سماء باطنهم. ولهذا يحسن لهم أن يقولوا: نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(١) رواه الغزالي في الاحياء (٢٣٢/١) وما وجدته فيما بيدي من الجوامع الروائية.

(٢) الجامع الصغير : ٥٧/١ .

(٣) الفقيه : باب فضل الصيام : ٧٤/٢ . الكافي : باب ما جاء في فضل الصوم : ٦٣/٤ .

## نكته اخرى

إن الله تعالى يقول: يا عبدي قلبك بستانني وجنتي بستانك. فلما لم تبخل عليّ بستانك بل أنزلت معرفتي فيه فكيف أبخل بستانني عليك أو كيف أمنعك منه ، وقد حكى الله تعالى كيفية نزول العبد في بستان الجنة فقال: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ. ولم يقل: عند الملك. كأنه قال: أنا في ذلك اليوم أكون مليكاً مقتدراً و عبيدي يكونون ملوكاً. إلا إنهم تحت قدرتي.

إذا عرفت هذا فكأنه تعالى يقول: يا عبدي إني جعلت جنتي لك وأنت جعلت جنتك لي لكنك ما أنصفتني. فهل رأيت جنتي الآن وهل دخلتها؟ فيقول العبد: لا يا رب. فيقول تعالى: وهل دخلت جنتك؟ فلا بد أن يقول العبد: نعم يا رب. فيقول تعالى: إنك ما دخلت جنتي ولكنه لما قرب دخولك أخرجت الشيطان من جنتي لأجل نزولك وقلت له أخرج منها مذموماً مدحوراً. فأخرجت عدوك قبل نزولك. وأما أنت فبعد نزولي في بستانك بسبعين سنة كيف يليق بك أن لا تخرج عدوي ولا تطرده. فعند هذا يجيب العبد ويقول: إلهي أنت قادر على إخراجي من جنتك وأما أنا فعاجز ضعيف ولا أقدر على إخراجي. فيقول الله تعالى: العاجز إذا دخل في حماية الملك القاهر صار قوياً. فادخل في حمايتي حتى تقدر على إخراج العدو من جنة القلب. فقل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

فإن قيل: فإذا كان القلب بستان الله فلماذا لا يخرج الشيطان عن بستانه؟ قلنا: قال أهل الإشارة كأنه تعالى يقول للعبد أنت الذي أنزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن أراد أن ينزل سلطاناً في حجرة نفسه وجب عليه أن يكنس تلك الحجرة وإن عليه أن ينظفها ولا يجب على السلطان تلك الأعمال فنظف حجرة قلبك عن لوث الوسوسة وقل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

## نكتة اخرى

كأنه تعالى يقول: يا عبدي ما أنصفتني أتدري لأي شيء تكدر ما بيني وبين الشيطان؟ إنه كان يعبدني شبه عبادة الملائكة وكان في الظاهر مقراً بالهيتي وإنما تكدر بيني وبينه لأنني أمرته بالسجود لايك آدم فامتنع ، فلما تكبر نفيتته عن خدمتي ، وهو بالحقيقة ما عاداني ، بل عادى أباك ، إنما امتنع عن خدمته . ثم إنه يعاديك منذ سبعين سنة وأنت تحبه وهو يخالفك في كل الخيرات وأنت توافقه في كل المرادات . فاترك هذه الطريقة المذمومة واطهر عداوته وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

## نكتة اخرى

أما نظرت إلى قصة أبيك؟ فإنه أقسم له أنه له ﴿لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [٢١/٧] ثم كان عاقبة ذلك الأمر أنه سعى في إخراجه من الجنة . وأما في حقه فإنه أقسم أنه بضلك ويغويك فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢/٣٨] فإذا كانت هذه معاملته مع من أقسم أنه ناصحه فكيف تكون معاملته مع من أقسم أنه يضله ويغويه؟! !

(١) قال العارف المحقق صاحب الفتوحات المكية في الباب الخامس وأربعمأة من كتابه : « من جعل قلبه بيتي وأخلاه من غيري ما يدري أحد ما أعطيته ، فلا تشبهوه بالبيت المعمور ، فإنه بيت ملائكتي ، لا بيتي ؛ ولهذا لم أسكن فيه خليلي . بل بيتي قلب عبدي الذي وسعني حين ضاق عني أرضي وسمائي » انتهى كلامه (منه - ره - من حاشية النسخة المخطوطة)

قوله جل اسمه :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

اعلموا أيها المعتنون بفهم معاني الكتاب هذا كم الله طريق الصواب إن هبنا أبحاثاً لفظية بعضها متعلقة بنقوش الحروف وهياتها الكتبية وصُور الألفاظ وصفاتها السمعية قد نصب الله لها أقواماً من الكتاب والقراء والحفاظ وجعل غاية سعيهم معرفة تجويد قرائتها وتحسين كتابتها. وبعضها متعلقة بمعرفة أحوال الأبنية والاشتقاقات وأحوال الإعراب والبناء للكلمات. وبعضها متعلقة بمعرفة أوائل مفهومات اللغات المفردة والمركبة .

وهذه كلها دون ما هو المقصد الأقصى والمنزل الأسنى. وقد بلغت في كل منها طائفة حد المنتهى وعرجت فيها غاية المدى، قد نصبهم الله لكسب هذه العلوم الجزئية المتوقف عليها فهم حقائق القرآن ليكون درجتهم درجة الخوادم والآلات لما هو بالحقيقة الثمرة والتمام وما به كمال نوع الإنسان .

فاعلموا إن الكلام مشتمل على عبارة وإشارة كما أن الإنسان متألف الوجود من غيب وشهادة. فالعبارة لأهل الرعاية والإشارة لأهل العناية. فالعبارة كالميت المستتر في طبي الأكفان، والإشارة كاللطيفة الذاكرة العارفة التي هي حقيقة الإنسان. والعبارة من عالم الشهادة والإشارة من عالم الغيب. والشهادة ظل الغيب كما إن تشخص الإنسان ظل حقيقته.



أما أهل العبارة والكتابة فقد صرفوا أعمارهم في تحصيل الألفاظ والمباني وغرقت عقولهم في إدراك البيان والمعاني. وأما أهل القرآن والكلام وأهل الله خاصة بالمحبة الإلهية والجذبة الربانية و القرابة النبوية فقد يسر الله لهم السبيل وقيل منهم قليل العمل للرحيل وذلك لخلوص نيتهم و صفاء سريرتهم فهم لا يحتاجون في فهم حقائق القرآن وغرائب معانيه إلى أن يخوضوا في البحث عن ظواهر ألفاظ الكلام وضبط هيئاته ومبانيه وبصرف العمر في معرفة الاشتقاق والإعراب ليصيروا فرساناً في علم الإعراب مقدمين في جملة الكتاب ويفرغوا غاية جهدهم في الأوقات والأزمان في تحصيل ما يسمونه علم المعاني والبيان وما يجري هذا المجرى في الرتبة والشأن بل كفاهم طرف يسير من كل فن منها وجرعة قليلة من كل دن من دنها أخذ اللزاد وتعجلاً لسفر المعاد.

فمن أراد أن يقف على أنه لم يطوّلت الباء في «بسم الله» ومدّت السين؛ أو لم حذفت الألف في الخط هبنا واثبت في قوله «باسم ربك» أو لم اسقطت الألف بعد اللام في الله أو هل تغخم لام الجلالة أم لا فليرجع إلى أهل الخط والقراءة.

ومن أراد أن يقف على أن البسمة ماشانها في أوائل السور الكريمة هل هي هناك جزء من كل واحدة أو إنها جزء من الفاتحة وحدها لا غير أو إنها ليست جزء من شيء منها، بل هي آية فذة من القرآن أو أنزلت للفصل بها بين السور أو إنها لم ينزل إلا بعض آية في سورة النمل وليست جزء من غيرها وإنما يأتي بها التالي وال كاتب في أوائلهن تبرّكاً باسمه تعالى. أو إنها آيات من القرآن أنزلت بعدد السور المصدرة بها من دون الجزئية لهن. فليرجع إلى أصحاب النقل وأهل الرواية.

ومن أراد أن يعرف بم تعلق الباء وبأي محذوف ارتبطت ولم قدر المحذوف متأخراً من قال إن المراد بسم الله أقر أو أتلو وقد قدمه تعالى في قوله إقرأ باسم ربك وما معنى تعلق اسم الله بالقراءة. أو كيف يقدر كذلك والقائل هو الله. أو كيف بُنيت الباء على الكسرة ومن حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تُبنى على الفتحة

التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الإبتداء و واو العطف وفائه وغير ذلك  
 وإن كلمة الجلالة إسمٌ هي أو صفة مشتقة أم جامدة فليرجع إلى مطالعة التفاسير المشهورة  
 سيما الكشاف فإنه كامل في بابه فائق على آثرابه. وإن لكل طائفة فيما يعدونه تقرباً إلى الله  
 وعبودية له رأياً ومذهباً والكل باختلاف مشاربهم ومذاهبهم إياه يطلبون ونحوه يقصدون  
 وبما لديهم فرحون وبما جاء به غيرهم وإن كان على بينة من ربه يستهزؤن» وللناس فيما  
 يعشقون مذاهب» إلا أن مذهب أهل الله شيء آخر ودينهم دينٌ خالص بل لا مذهب لهم إلا الله  
 ولادين لهم سواه ﴿أَلَيْتَ الَّذِينَ خَالِصُوا﴾ [٣٠/٣٩].

مذاهب شتى للمحبين في الهوى \* ولي مذهب فردٌ أعيش به وحدي  
 وهم عبادُ الرحمنِ بالحقيقة وغيرهم عبدة المذاهب والآراء وطلّاب النفس  
 والهوى لأن عبادة الرب وطاعته فرعٌ معرفته وطلب قربته إذ طلب المجهول محالٌ فمن لم  
 يكن عارفاً بالله ولا عارفاً بملكوته فكيف يحبه ويطلبه ويقصد التقرب إليه ويتربّاه  
 ولكن الحق لكمال رأفته ورحمته لعباده وشمول عاطفته وانبساط نور وجوده على  
 الممكنات وتجلّى وجه ذاته لسائر الموجودات، جعل لكل منهم مثلاً يحتذونه ومثابة  
 يقصدونها ومنها جآيسلكونها ووجهة يتولّونها وقبله يرضونها وشرعية يعملون بها فقال: ﴿وَلِكُلِّ  
 وَجْهَةٌ مَوْجِبَةٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ [٢٨/١٢٨] وقال:  
 ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [٤٨/٥] الآية وقال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
 فَرِحُونَ﴾ [٣٢/٣٠].

وهكذا حكم اختلاف المشتغلين بعلم القرآن وتفاوت مراتبهم في بطونه  
 وظهوره ولبابه وقشوره لأن كلام الله لمعة من لمعات ذاته فكما وقع الاختلاف والتفاوت  
 في مذاهب الخلق واعتقاداتهم لله بين مجسم ومنزّه ومتفلسف ومعطل ومشارك  
 وموحد، فكذا وقع الاختلاف والتفاوت بينهم في الفهوم فهذا مادل على كمال  
 القرآن لأنه بحر عميق غرق في تياره الأكترون وما نجامنه إلا الأفلون ولا يعلم تأويله إلا الله

والراسخون سواً وقع الوقف على اللهام لإذالراسخون إذا علموا تسأويله لم يعلموا  
إلا بالله ولم يحيطوا به علماً إلا بعد فناء ذواتهم عن ذاتهم ، واندكك جبل هو بآتهم  
ولا يحيطون بعلمه إلا بما شاء



والغرض من هذا الكلام إن علم القرآن مختلف والأذواق فيه متفاوتة حسب  
اختلاف أهل الإسلام في المذاهب والأديان. وكل حزب بما لديهم فرحون إلا أن سائر  
المشتغلين به منهم في واد أهل القرآن وهم أهل الله وحزبه في وإد لأنهم من أهل القول  
والعبارة وهؤلاء من أهل الكشف والإشارة. ومن أراد أن يتقحم لجة هذا البحر العميق  
ويخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور، كان يجب عليه أولاً أن يطلع  
على سائر النفاسير ويتفحص عن عقيدة كسل فرقة من فرق اثنين وسبعين. ويستكشف  
أسرار مذهب كل طائفة من طوائف المسلمين. ليميز بين محق ومبطل ومتدين ومبتدع  
ويكون كما حكى الشيخ أبو حامد<sup>١</sup> عن نفسه: لا يغادر باطنياً إلا ويريد أن يطلع على بطانته  
ولا ظاهرياً إلا يقصد أن يعلم حاصل ظهارته. ولا فيلسوفاً إلا ويتحرى الوقوف على  
كنه فلسفته. ولا متكلماً إلا ويجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته. ولا صوفياً إلا  
ويحرص على العثور على سر صفوته. ولا زنديقاً أو معطلاً إلا ويتجسس للتنبه لأسباب جرأته  
في زندقته أو تعطيله وكان لم يزل التعطش إلى درك حقائق الأمور دأ به وديدنه وغريزياً له  
فطرة من الله في جبلته لا باختباره وحيلته حتى انحلت عن قلبه رابطة التقليد وانكسرت  
عليه سفينة العقائد الموروثة على قرب الصبي من الآباء والأساتيد. إذ قدر رأى صبيان  
النصارى لا يكون لهم نشو<sup>٢</sup> إلا على التنصر وصبان اليهود لانشولهم إلا على التهود و  
صبان المسلمين لانشولهم إلا على الإسلام كما دل عليه الحديث المروي عن رسول الله<sup>٢</sup>  
صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على فطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإذا

(١) المنقذ من الضلال: المقدمة، ٢٤، ٢) البخارى: كتاب التفسير، سورة الروم: ١٤٣/٦.

والانكسار  
بلغ إلى هذا المقام من التحير والانصجار والتهب نار نفسه الكامنة فيه لغاية الاضطرار  
واشتعل كبريت قلبه ناراً من حدة غضبه على نفسه لمارآها بعين النقص والاحتقار وكان  
زيت نور الايمان في قلبه يكاد يضيء ولولم تمسه نار فوق عليه نور الأنوار وانكشف  
له سر من عالم الأسرار رأى بذلك النور الجلي أصل كل نظر دقيق. وشاهد بذلك السر  
الخفي غاية كل شك وتحقيق و نهاية كل مبحث عميق. وبه يحصل له الاقتدار على  
معرفة أسرار القرآن العظيم واستيضاح لطائف كتاب الله العليم ومعجزة رسوله الكريم  
عليه وآله الصلوة والتسليم.

فعد ذلك يخوض فيه ويغوص في بحار معانيه ويستخرج درر أو يواقيت ينعكس  
لمعانيها على أعين الناظرين في سواحله وأسماع الواقفين على حوالبه وما ينكشف  
منها للآدميين فهو قدر يسير بالاضافة إلى ما لم ينكشف. لأنه مما استأثره الله بعلمه فربما  
تجد أيها الناظر بعين المروءة والاشفاق من هذا الجنس في هذه الأوراق إن كنت  
من أهله. وإلّا فنص بصرك عن ملاحظة أسرار معرفة الله ولا تنظر إليها ولا تنسرح في ميدان  
معرفة معاني الوحي والقرآن، واشتغل بأشعار شعراء العرب وغرائب النحو و علوم  
الأدب والفروع، ونوادير الطلاق والعتاق و حيل المجادلة في البحث والمرادفة في الكلام  
وسائر الحكايات والمواعظ التي فيها مصيدة العوام ومجلبة الجاه والحطام والغلبة في  
الخصام فذلك أليق بك. فإن قيمتك على مقدار هممتك وقصدك على سمّت ربتك ولا ينفعمكم  
نصحي إن اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم من يشاء الله ويضلله ومن يشاء يجعله على  
صراط مستقيم.

## فصل

[ الاسم ]

إسم الإسم موضوع في اللغة للفظ دال على معنى مستقل. لأنه مشتق من السمة وهو  
العلامة فكأنه كان منقولاً لغويّاً نقل من مطلق العلامة للشيء إلى علامة خاصة. وهو اللفظ

الدالّ عليه بالاستقلال. ولما كان نظراً العرفاء إلى أصل كل شيء وملاك أمره من غير احتجابهم بالخصوصيات ومواد الأوضاع كان الاسم عندهم أعمّ وأشمل من أن يكون لفظاً مسموعاً أو صورة معلومة أو عيناً موجوداً .

ويشبه أن يكون عرفهم يطابق عرف القرآن والحديث فإنّ الاسم في قوله تعالى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١/٨٧] وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٧٨/٥٥] مستبعد أن يكون المراد به الحرف والصوت وما يلتزم منهما لانهما من عوارض الأجسام وما هو كذلك يكون أحسن الأشياء فكيف يكون مسبّحاً مقدساً والقول بكونه من قبيل مجاز الحذف أو المجاز في التشبيه بعيد من غير ضرورة داعية مع وجود معنى حقيقي. فاسم الله عندهم معنى مقدّس عن وصمة الحدوث والتجدد، منزّه عن نقيصة التكوّن والتغيّر فلهذا وقعت الاستعانة والتبرّك باسمه تعالى في مثل قولك: بِاسْمِ اللَّهِ أَقْرَأَ وَبِسْمِ اللَّهِ أَكْتُبُ وجرت العادة بالتوسّل إلى اسم الله لطلب الحوائج وكفاية المهمّات في مثل بِسْمِ اللَّهِ الشّافي بِسْمِ اللَّهِ الكافي. وفي الأدعية النبوية: بِاسْمِ اللَّهِ الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء!<sup>١</sup>

وقد ثبت عند محققي العلماء ان المؤثر في جواهر الأكوان ليس إلاّ البارئ جلّ اسمه أو ملك مقرب من ملائكته بإذنه فلا تأثير للعوارض الجسمانية في الأشياء الجوهرية ايجاداً وإعداداً نعم الأذكار والأدعية إنّما تؤثر من جهة معانيها واتصال النفس عند التذكّر بمبادئها الفعّالة. فعالم الذكر الحكيم منبع انجاح المهمّات ومبدأ استيجاب الدعوات. لامقارعة الحروف والأصوات وتحرك الشفتين بالالفاظ والعبارات. وقد مرّ في المفاتيح<sup>٢</sup> ما يكشف عن بعض الأسرار المتعلقة بأسماء الله.

(١) ابن ماجة: باب ما جاء في الدعاء اذا أصبح او أمسى: ٤٦٣/٥ .

(٢) راجع المشهد الثالث من المفاتيح السابع .

## فصل

[ اسم الله تعالى ]

فاسم الله عند أكبر العرفاء عبارة عن مرتبة الألوهية الجامعة لجميع الشئون و الاعتبارات والنعوت والكمالات، المندرجة فيها جميع الأسماء والصفات التي ليست بالأمعات نوره وشئون ذاته. وهي أول كثرة وقعت في الوجود برزخ بين الحضرة - الأحدية وبين المظاهر الأمرية والخلقية. وهذا الاسم بعينه جامع بين كل صفتين متقابلتين أو اسمين مقابلين ، لما عُلِمَت سابقاً إن الذات مع كل صفة اسم ، وهذه الأسماء الملفوظة أسماء الأسماء والتكثرت فيها بحسب تكثرت النعوت والصفات وذلك التكثر إنما يكون باعتبار مراتبه الغيبية وشئونه الإلهية التي مفاتيح الغيب. ويقع عكوسها وأظلالها على الأشياء الكونية .

فكل ما في عالم الإمكان صورة اسم من أسماء الله ومظهر شأن من شئونه. فاسماء الله معان معقولة في غيب الوجود الحق بمعنى أن الذات الأحدية التي لا سبيل للعقل إلى إدراكها بحيث لو وجدت في العقل أو أمكن له أن يلحظها لكان ينتزع منها هذه المعاني ويصفها بها فالذات الأحدية مع أحديتها وبساطتها مصداق لحمل هذه المعاني عليها من غير وجود صفة زائدة كما مر .

وهذه المعاني - كسائر المفهومات - الكلية ليست من حيث هي هي موجودة ولا معدومة ، ولا عامة ولا خاصة ، ولا كلية ولا جزئية ، وليست هي كالهويات الوجودية التي هي موجودات بذواتها، متشخصات بهويتها. لأنها بمنزلة الأشعة والروابط لوجود الحق متى عقلت عقلت مرتبطة بذاته تعالى. موجودة بوجوده واجبة بوجوده. بخلاف المعاني الكلية لأنها قد تصير كلية في الذهن جزئية في الخارج وقد تكون موجودة في العقل معدومة في العين. ولها الحكم والأثر فيماله الوجود العيني بل ينسحب عليها أحكام الوجود بالعرض، ويتنور بنوره، وينصبغ بصبغه من الوجوب

والوحدة والأزلية.

قال بعض أهل الله: الوجود الحق هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا من حيث أسمائه لأن الأسماء لها مدلولان: أحدهما عينه وهو عين المسمى والآخر ما يدل عليه مما ينفصل الاسم به عن اسم آخر ويتميز في العقل. فقد بان لك بما هو كل اسم عين الآخر وبما هو غيره. فبما هو عينه هو الحق وبما هو غيره هو الحق المتخيل الذي كنا بصدده فسبحان من لم يكن عليه دليل سوى نفسه ولا يثبت كونه إلا بعينه - انتهى كلامه.

نقول مراده من الحق المتخيل ما لو حناه إليك من أن كلاً من مفهومات الأسماء الإلهية وإن كان بحسب نفس معناه معرّى عن صفة الوجود الحقيقي من الوجوب والقدم والأزلية إلا أنه مما يجري عليه في نفس الأمر تلك الأحكام وينصبغ بنور الوجود الأحدي بالعرض لأن صفاته عين ذاته. وهذا النحو من العينية والاتحاد بالعرض غير ما ألفه الجمهور وجرى عليه اصطلاحهم في الكتب العقلية فيما حكموا عليه بالاتحاد بالعرض لأن ذلك عندهم جارٍ في اتحاد العرضيات والمشتقات المحمولة على موضوعاتها كاتحاد مثل الأبيض والأعمى مع زيد مما يشترط فيه قيام معنى المشتق منه ووجود حقيقة أو إنزاعاً.

ومعنى هذا الاتحاد إن الوجود المنسوب أولاً وبالذات إلى زيد مثلاً هو بعينه منسوب إلى العرضي المشتق ثانياً وبالعرض. أي على سبيل المجاز مع تجويز أن يكون لهذا العرضي نحو آخر من الوجود يوجد به بالذات غير هذا الوجود الذي قد وجد به بالعرض فإن مفهوم الأبيض وإن كان متحداً مع زيد، موجوداً بوجوده إلا أن له نحواً آخر من الوجود الخاص به في نفسه. فإنه جوهرٌ موجودٌ بالعرض. وعرضٌ موجودٌ بالذات لِمَا قد حقق في مقامه إن العرضي عين العرض الذي هو مبدء اشتقاقه بالذات. فيكون موجوداً بوجوده بالذات وهو بما هو عرضيٌ محمول على جوهر محله يكون موجوداً بوجوده الجوهرى بالعرض.

وليس من هذا القبيل اتحاد المعاني والأعيان الكلية بحقيقة الوجود إذ لا يمكن لها ضربٌ آخر من الوجود معرّى عن الوجود أو منحازاً عنه لافي نفس الأمر ولا عند العقل .

فالمعية بين ذات الله وأسمائه الحسنى ليست كالمعية بين العرضي والذاتي ، فضلاً عما هو بين العرض والجوهر ولا كمعية الذاتيات في المهيئات الامكانية . لأن الحق ليس ذامية كلية . بل حقيقته ليست إلا وجوداً مقدساً بسيطاً صرفاً لا اسم له ولا رسم ولا إشارة إليه إلا بصريح العرفان . ولا حد له ولا برهان عليه إلا بنور العيان . وهو البرهان على كلّ شيء والشاهد في كل عين . فمعنى كون أسمائه وصفاته عين ذاته كما مرّ إن الذات الأحديّة بحسب نفس هويته الغيبية ومرتبة إتيته الوجودية مع قطع النظر عن انضمام أي معنى أو اعتبار أي أمر كان بحيث يصدق في حقه هذه الأوصاف الكمالية والنعوت الجمالية ويظهر من نور ذاته في حد ذاته هذه المحامد القدسية ويتراهى في شمس وجهه هذه الجلايا النورية والاخلاق الكريمة العلية . وهي في حدود أنفسها مع قطع النظر عن نور وجهه وشعاع ذاته لا ثبوت لها ولا شيئية أصلاً . فهي بمنزلة ظلال وعكوس تتمثل في الأوهام والحواس من شيء وكذلك حكم الأعيان الثابتة وحكم المعاني الذاتية لكلّ موجود .

فجميع الأعيان المعقولة والطبائع الكلية ماهي عند التحقيق إلا نقوش وعلامات دالة على أنحاء الوجودات الإمكانية التي هي من رشحات بحر الحقيقة الواجبية وأشعة شمس الوجود المطلق ومظاهر أسمائه وصفاته ومجالي جماله وجلاله ، وأمانفس تلك الأعيان والمهيئات منحازة عن الوجودات الخاصة فلا وجود لها أصلاً لا عيناً ولا عقلاً . بل أسماء فقط كما في قوله : ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [٢٣/٥٣] .

ولعلّ الكلام انجرّ إلى ما لا يطبق سماعه أسمع الأنام ويضيق عن فهمه نطاق

الأفهام .



## فصل

[ اسم الجلالة ]

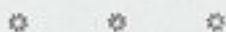
فإن قلت: هل لمعنى اسم الجلالة حدّ أم لا؟ قلت: الحدّ عند الحكماء قول دالٌّ على تصور أجزاء الشيء ومقوماته. فمما لاجزاء له ولا مقوم لذاته فلا حدّ له. ومما لا حدّ له لبرهان عليه لأنّ الحدّ والبرهان متشاركان في الحدود كما بيّن في علم الميزان. وإذا تقرّر هذا فلا شبهة في أن ذات الباري لتقدّسه عن شوائب التركيب أصلاً سواء كان من الأجزاء الوجودية أو الحملية أو غير ذلك. على ما اقتضاه برهان التوحيد والأحادية - فلا حدّ له كما لا يراهان عليه. وأما مفهوم لفظ الله هل له حدّ أم لا؟ فالحق هو الأول. لأن معناه الموضوع له معنى مجمل متضمن لمعاني جميع الصفات الكمالية فكل معنى من معاني أسماء الله يكون جزءاً لمعنى هذا الاسم عند التفصيل. وقد تقرّر أن الفرق بين الحدّ والمحدود ليس إلا بالإجمال والتفصيل. وإن التفاوت بين المعنى الإجمالي والمعنى التفصيلي له ليس إلا بحسب الإدراك ومن جهة الملاحظة دون المدرك والملحوظ فإن الألفاظ المذكورة في حد الشيء يدل على ما دلّ عليه لفظ المحدود بعينه بدلالة تفصيلية.

وليس من شرط الحدّ أن يكون مؤلّفاً من جنس وفصل بل من أجزاء الشيء سواء كان بعضها أعم من بعض مطلقاً أو من وجه أو كانت متساوية. وسواء كانت أجزاء محمولة أو متباينة. إلا أن المشهور إن الحد لا يكون إلا من جنس وفصل لما رأوا أنّ الطبائع النوعية الواقعة تحت إحدى المقولات العشر المشهور حدودها لا يكون إلا كذلك.

والحق إن كلّ اسم وُضع لمعنى واحد جمليّ متألّف من معاني متعددة عند التفصيل بالفعل أو بحسب التحليل يدلّ عليها ألفاظ متعددة يكون الأول محدوداً والثاني حدّاً وهكذا معنى اسم الله بالقياس إلى معاني جميع الأسماء الحسنى. فإن نسبتها إليه نسبة الحدّ إلى المحدود. إذ التفاوت ليس إلا بنحو الملاحظة مرّة إجمالاً ومرّة

تفصيلاً وهذا مما لا يخلّ ببساطة الذات المقدسة وأحدية الوجود القيومي تعالى عن  
التصور والتمثّل والتخيّل والتعقّل لغيره. فإنّ كل ما يدركه العقل من معاني الأسماء  
بحسب مفهوماتها اللغوية أو الإصطلاحية فهي خارجة عن ساحة جناب العزّ والكبرياء  
وإنما يجد الذهن سبيلاً إليها من ملاحظة مظاهرها و مجاليتها ومن مشاهدة مربوباتها  
ومحاكيها.

قال في الفصّ النوحى: <sup>(١)</sup> إنّ للحقّ في كلّ خلق ظهوراً خاصاً. فهو الظاهر في كلّ  
مفهوم وهو الباطن عن كلّ فهم، إلاّ عن فهم من قال إنّ العالم صورة هويته. وهو الاسم  
الظاهر كما إنّه بالمعنى روح ما ظهر فهو الاسم الباطن. فنسبته لما ظهر من صورة العالم  
نسبة الروح المدبّر للصورة. فيؤخذ في حدّ الإنسان باطنه وظاهره وكذلك كلّ محدود  
فالحقّ محدودٌ بكلّ حتّى صور العالم لا تنضب ولا يحاط بها ولا يعلم حدود كلّ صورة  
منها إلاّ على حدّ ما حصل لكلّ عالم من صورته. فلذلك يجهل حدّ الحقّ فإنه لا يعلم إلا  
من يعلم حدّ كل صورة وهذا محالٌ فحدّ الحقّ محالٌ .  
ثم قال: فحدّ الألوهية له بالحقيقة لا بالمجاز - انتهت ألفاظه.



ويتلخّص من كلماته: إنّ مسمّى لفظ الله <sup>(٥)</sup> هو المنعوت بجميع الأوصاف  
الكمالية والنعوت الإلهية لما تفرّز عندهم إنّه ما من نعتٍ إلاّ وله ظلٌّ ومظهرٌ في العالم وثبت

(١) فصول الحكم : ٦٨ .

(٢) المصدر : صورته وهويته .

(٣) المصدر : الانسان مثلاً

(٤) المصدر : الا يعلم .

(٥) ومن ههنا تشبّث بما نقل عن كعب الاحبار انه قال: لفظ الله عبادة عن وجوده ولو ازمه

أيضاً إن الإشتراك بين معنى كل اسم ومظهره ليس بمجرد اللفظ فقط. حتى يكون ألفاظ العلم والقدرة وغيرهما موضوعاً في الخالق لمعنى وفي المخلوق لمعنى آخر وإلا لم تكن هذه المعاني فينادلائل وشواهد على تحققها في الباري على وجه أعلى وأشرف والمتحقق خلافه. فبطل كون الإشتراك لفظياً فقط. بل يكون معنوياً. إلا إن هذه المعاني يكون هيئتها في غاية القصور والنقص وهناك في غاية العظمة والجلالة.

فيكون الأسماء الإلهية مع مظاهرها ومجاليها الكونية متحدة المعنى سواء كانت المظاهر من الصور الحسية الموجودة في عالم الشهادة، الواقعة أسماؤها تحت حیطة الإسم "الظاهر" كالسميع والبصير والمتكلم ومظاهرها المختلفة المدركة بإدراك الحواس. الظاهرة. أو كانت من الصور العقلية الموجودة في عالم الغيب العقلي الواقعة أسماؤها تحت حیطة الإسم "الباطن" كالسبوح والقدوس ومظاهرها المتنوعة المندرجة في عالم الأمر المدركة بالمدارك الباطنية العقلية.

وقد عرفت إن حد الشيء عبارة عن صور عقلية تفصيلية يدل عليها بألفاظ متعددة دالة على ما يدل عليه لفظ واحد. بأن يكون لحقيقة واحدة كالإنسان مثلاً صورتان إدراكيّتان إحداهما موجودة بوجود واحد إجمالي والأخرى موجودة بوجودات متعددة تفصيلية فيقال للمفصلة إنها حد. وللجمل إنه محدود فعلى هذا يلزم أن يكون مفهومات جميع الأسماء الإلهية ومظاهرها الكونية التي هي أجزاء العالم ظاهراً وباطناً على كثرتها حداً حقيقياً لمفهوم اسم الله. فيلزم أن يكون جميع معاني حقائق العالم حداً لاسم الله كما أن جميع معاني الأسماء الإلهية حد له. إلا أن سائر الحدود للأشياء المحدودة يمكن إحاطة العقل البشري لأجزائها بخلاف معاني أجزاء هذا الحد لأنها غير محصورة والمراد من لفظ الحق في قوله فالحق محدود بكلّ حد هو مفاد لفظ الله باعتبار معناه الكلي ومفهومه العقلي لا باعتبار حقيقة معناه التي هي الذات الأحادية وغيب الغيوب، إذ لا نعت له ولا حد ولا اسم ولا رسم ولا سبيل إليه للإدراك العقلي ولا ينال أهل الكشف والشهود لمعة من نوره

إلّا بعد فناء هويّتهم وانذالك جبل إبتهم .  
 ويؤيد هذا ما ذكره في الفصّ الإسمعيلى<sup>١)</sup> : اعلم إنّ مسمى لفظة الله أحديّ بالذات  
 كلُّ بالأسماء و كلّ موجود فماله من الله إلآرته خاصّة يستحيل أن يكون له الكلّ .  
 وأما الأحديّة الإلهيّة فما لو احد فيها قدم لانه ينال الواحد منها شيئاً والآخر منها شيئاً<sup>٢)</sup>  
 لأنّها لا تقبل التبعض فأحديته مجموع كلّ بالقوّة انتهى .

### فصل

#### [الانسان الكامل هو العبد الحقيقي]

اعلم يا وليي نور الله قلبك بالايمان- إن أكثر الناس لا يعبدون الله من حيث هو الله  
 وإنّما يعبدون معتقداتهم في ما يتصوّرونه معبود آلهم فآلهتهم في الحقيقة أصنام وهمية  
 يتصوّرونها وينحتونها بقوة اعتقاداتهم العقلية أو الوهمية. وهذا هو الذي أشار إليه عالم  
 من أهل البيت عليهم السلام وهو محمد بن علي الباقر عليه السلام: كلّمّا ميّزتموه بأوهامكم  
 في أدقّ معانيه فهو مصنوعٌ مثلكم مردودٌ إليكم الحديث .  
 أي فلا يعتقد معتقد من المحجوبين الذين جعلوا الإله في صور معتقدتهم فقط إلهاً  
 إلّابما جعل في نفسه وتصوّره بوهمه، فالله بالحقيقة مجعولٌ لنفسه، منحوتٌ بيدقوته  
 المتصرّفة، فلا فرق بين الأصنام التي اتّخذت إلهاً وبينه في أنه مصنوعٌ لنفوسهم سواء  
 كانت في خارجها أو في داخلها. بل الأصنام الخارجيّة أيضاً إنّما عبادت من جهة اعتقاد  
 الألوهية من عابدها في حقها فالصور الذهنية معبودة لهم حينئذ بالذات والصورة الخارجيّة  
 معبودة لهم بالعرض. فمعبود عبدة الأصنام كلّهم ليست إلآصور معتقداتهم وأهواء  
 أنفسهم. كما أشير إليه في قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [٢٣/٤٥].

(١) فصوص الحكم : ٩٠ .

(٢) المصدر : لانه لا يقال لو احد منها شيء ولاخر منها شيء .

فكما إن أصحاب الأصنام الجسميّة يعبدون ما عملتها أيديهم. فكذلك أصحاب الإعتقادات الجزئية في حقّ الحقّ يعبدون ما كسبتها أيدي عقولهم فحقّ عليهم وعلى معبودهم قوله ﴿أَفَلَا لَكُمْ وَلِيمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [٦٧/٢١] وكذا قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [٩٨/٢١]

وابن الزبيري<sup>١</sup> لقصوره عن إدراك هذا المعنى، اعترض على رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّه قد عبدت الملائكة والمسيح ولم يعلم هو ومن في مرتبته إن معبود عبدة الملائكة والمسيح هو من عمل الشيطان. وأمّا الكمل من العرفاء فهم الذين يعبدون الحقّ المطلق المسمى باسم الله من غير تقييد باسم خاصّ وصفة مخصوصة. فيتجلى لهم الحقّ المنعوت بجميع الأسماء وهم لا ينكرونه في جميع التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية بخلاف المجحوب المقيد الذي يعبد الله على حرفٍ فإنّ أصابه خيرٌ اطمأنّ به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه.

وذلك لغلبة أحكام بعض المواطن واحتجاب بعض المجالي عن بعض في نظره ومن هذا الاحتجاب ينشأ الاختلاف بين الناس في العقائد. فينكر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً. وكلّ أحدثت للحقّ ما ينفيه الآخر ويظنّ ما يراه ويعتقد غاية الإجلال والتعظيم له تعالى وينكر غير ذلك. وقد أخطأ وأساء الأدب في حقّ الحقّ وهو عند نفسه أنّه قد بلغ الغاية في المعرفة والتأدّب. وكذلك كثير من أهل التنزيه لغلبة أحكام التجردّ عليهم فهم محتجبون ببعض الملائكة بنور التقديس. وهم في مقابلة المشبهة المحتجبة بظلمّ التجسيم كالحيوانات.

وأما الإنسان الكامل فهو الذي يعرف الحقّ بجميع المشاهد والمشاعر ويعبده في جميع المواطن والمظاهر فهو عبد الله يعبده بجميع أسمائه وصفاته ولهذا سمي بهذا

(١) هو عبدالله بن الزبيري السهمي من الشعراء المعاصرين للنبي (ص). راجع ذكر

شبهته وجواب النبي (ص) عنها في سيرة ابن هشام : ٣٥٩/١ .

الاسم أكمل أفراد الإنسان محمد صلى الله عليه وآله فإن الاسم الإلهي كما هو جامع لجميع الأسماء وهي تتحد بأحديته الجمعية كذلك طريقه جامع طرق الأسماء كلها وإن كان كل واحد من تلك الطرق مختصاً باسم يربّ مظهره ويعبد ذلك المظهر من ذلك الوجه ويسلك سبيله المستقيم الخاص به وليس الطريق الجامع لطرق سائر المظاهر إلا ما سلكه المظهر الجامع النبوي الخنمي على الشارح فيه وآله أفضل صلوات الله وتسليماته وسلكه خواصّ أمته الذينهم خير الأمم وهو طريق التوحيد الذي عليه جميع الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم أجمعين.

ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لما أراد أن يبين ذلك للناس خطاً خطأ مستقيماً، ثم خطاً من جانبه خطوطاً خارجة من ذلك الخط وجعل الأصل الصراط المستقيم الجامع وجعل الخطوط الخارجة منها سبل الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [١٥٣/٦] يعني السبيل التي لكم فيها السعادة والنجاة وإلا فالسبل كلها إليه لأن الله منتهى كل قصد وغاية كل مقصود. ولكن ما كل من رجع إليه وآب سعد ونجى عن التفرقة والعذاب فسيبيل السعادة واحدة ، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [١٠٨/١٢] وأما سائر السبل فغايتها كلها إلى الله أو لآئمه يتولاه الرحمن آخر أو يبقى حكم الرحمن فيها إلى الأبد الذي لانهاية لبقائه وهذه مسألة عجيبة لم أجدها في وجه الأرض من عرفها حق المعرفة.

## فصل

[الله و هو]

اعلم إن نسبة اسم «هو» إلى اسم «الله» كنسبة الوجود إلى المهيبة في الممكن إلا أن الواجب تعالى لا مهيبة له سوى الإنيّة وقدمران مفهوم اسم الله ممّسالة حدّ حقيقي إلا

(١) الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ...» ٥٦/٢ .

إنّ العقول قاصرة عن الإحاطة بجميع المعاني الداخلة في حدّه لأنه إنّما عرفت صورة حدّه إذا عرفت صور حدود جميع الموجودات وإذ ليس فليس وأما اسم هو فلا حدّه ولا إشارة إليه فيكون أجلّ مقاماً وأعلى مرتبة ولهذا يختص بمداومة هذا الذكر الشريف الكمل الواصلون.

والنكته فيه إنّ العبد متى ذكر الله بشيء من صفاته لم يكن مستغرفاً في معرفة الله لأنه إذا قال «يا رحمن» في حينئذ يتذكر رحمة فيميل طبعه إلى طلبها فيكون طالباً لحظّه وكذا إذا قال: يا كريم يا محسن يا غفار يا وهّاب يا منتقم إذا قال: يا مالك في حينئذ يتذكر ملكه وملكوته ومافيه من أقسام النعم ولطائف القسّم فيميل طبعه إليها ويطلب شيئاً منها وقس عليه سائر الأسماء.

وأما إذا قال يا هو وإنّ يعرف أنّه تعالى هوية صرفه لا يشوبه عموم ولا خصوص ولا تكثّر وتعدد ولا تناء وحدّ فهذا الذكر لا يدل على شيء ألبتة إلا محض الإنية التامة التي لا يشوبه معنى يغيّره في حينئذ يحصل في قلبه نور ذكره ولا يتكدر ذلك النور بالظلمة المتولّدة عن ذكر غير الله وهناك النور التام والكشف الكامل.

### نكته أخرى

#### [ الاسم « هو » ]

إنّ جميع صفات الله المعلومة عند الخلق إما صفات الجلال وإما صفات الإكرام أما الأولى فكقولنا أنّه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا في مكان وهذا فيه وقية كمن خاطب السلطان بأنك لست أعمى ولا أصم ولا كذا وكذا وصار يعدّ أنواع المعائب والنقائص فإنّه ينسب إلى إسائة الأدب ويستوجب الزجر والتأديب.

وأما صفات الإكرام فككونه خالقاً للخلائق رازقاً للعباد وهذا أيضاً فيه وقية

من وجهين:

الأول: إنّ كمال الصانع أجلّ وأعلى من أن يوصف بصنعه وخصوصاً الفيض

الذي ليس فعله إلا على سبيل الرشح والفيض.

والثاني: إن الرجل إذا أخذ يمدح سلطاناً قاهراً يملك وجه الأرض برّاً وبحراً بأنه أعطى الفقير الفلاني كسرة خبز وقطرة ماء فإنه يستوجب المقت والزجر والحجر ومعلوم أن نسبة جميع المخلوقات من الفرش إلى العرش إلى ما في خزائن الله لكونها نسبة متناه إلى غير متناه أقل من نسبة كسر الخبز وقطرة الماء إلى جميع خزائن الدنيا فإذا كان ذلك سوء أدب فهذا بالطريق الأولى إلا أن هيهنا سبباً يرتخص في ذكر هذه المدائح وهو أن النفس صارت مستغرقة في عالم الحس والخيال وإذا أريد جذبها إلى عتبة عالم القدس احتيج إلى أن يتنبه على كمال الحضرة المقدسة ولا سبيل إلى معرفة كمال الله وجلاله إلا بهذين الطريقين أعني ذكر صفات الجلال وصفات الاكرام.

ثم إذا واظب الإنسان على هذين النوعين من الأذكار حتى يعرض عن عالم الحس ويستانس الوقوف على عتبة القدس فبعد ذلك تنبه لما في هذين النوعين من الاعتراضات المذكورة والحجب الظلمانية فعند ذلك بترك الأذكار ويقول: يَا هُوَ يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ .

كأنه يقول حضرتك أجل من أن أمدحك بشيء غيرك فلا تنى عليك إلا بهويتك من حيث هي ولا اخاطبك بلفظ أنت لأنه يفيد الفخر والكبر حيث تقول الروح إنّي قد بلغت مبلغاً صرت كالحاضر في حضرة واجب الوجود ولكنّي لا أزيد على قولي هو ليكون إقراراً بأنه هو الممدوح لذاته في ذاته وإقراراً بأن حضرته أعلى وأجل من أن يناسبه حضور المخلوقات ولو فرض عند حضرته حضور عبد أو ملك مقرب أو نبي مرسل فحيث يمتنع له الإحاطة والإكتناء به تعالى إذ بقدر قوّة وجوده يشاهد ذاته تعالى، وذاته في شدة النورية فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى فما غاب عنه من ذاته أكثر بما لا يتناهى مما هو مشهود له فهو سبحانه غائب بحقيقته التامة البسيطة عن الكل مع فرض شهودها إياه فلماذا يكون هذا الذكر أشرف الأذكار لاحتوائه على هذه الأسرار لكن بشرط التنبيه لها.



## نكتة اخرى

[يا من لاهو الا هو]

إن المواظبة على هذا الذكر يفيد العبد شوقاً إلى الله تعالى والشوق إليه تعالى أجل الأحوال لذّة وأعظمها سبباً للبهجة والسعادة. فإن الشوق إكسير الانجذاب والوصول فالأشد شوقاً أشد انجذاباً وذلك لأن كلمة «هو» ضمير الغائبين فالعقل إذا ذكر هذه الكلمة عليم إنه غائب عن الحق سبحانه. ثم يعلم إن هذه الغيبة ليست من قبل الله تعالى بسبب المكان والزمان وإنما كانت بسبب أنه موصوفٌ بصفات النقصان ومثالب الحدوثان فإذا تنبّه لهذه الدقيقة عليم إن هذه الصفة حاصلة في جميع الممكنات والمحدثات على حسب تضاعف امكاناتها وترادف فقائصها وأعدامها الحاصلة لها بحسب مراتب بعدها عن عالم الوحدة الخالصة ونزولها عن ساحة الحق المحض. وعلم إن ما هو أقرب إلى الحضرة الواجبة كان النقائص والأعدام فيه أقل فأخذ في طلب القرب إليه تعالى.

وكلما وصل العبد إلى مقام أعلى كان شوقه إلى الترقى عن تلك الدرجة أقوى وأكمل كما يحكم به كل فطرة سليمة. وإذ لانهاية لتلك المراتب والدرجات كما سبق فكذا لانهاية لمراتب هذا الشوق فثبت إن المواظبة على ذكر كلمة «هو» تورث شوقاً إلى الله وإن الشوق إليه تعالى أجل الأحوال والمقامات بهجة وسعادة لأنه ملزوم الوصول إليه تعالى.

ومما يدل على أن الشوق يستلزم الوصول، إن الشوق عبارة عن الحركة إلى تتميم الكمال وما من موجود إلا وله ضرب من الخيرية والكمال إذله حظ من الوجود، والوجود قد ثبت أنه خير ومؤثر ففي كل موجود عشق إلى ذاته. وما من موجود في عالم الإمكان إلا لوجوده غاية كمالية وشوق إلى تحصيل تلك الغاية كما بين في مباحث الغايات في العلم الإلهي.

وقد ثبت أيضاً هناك إن الله لا يودع في غريزة موجود من الموجودات وجبته

شيئاً فيكون عبثاً معطلاً فكلّ موجود وجدله شوق إلى كمالٍ بالقياس إليه فلا بدّ من أن يكون ممكناً الحصول له وكلّ ممكناً الحصول لشيءٍ بالإمكان العامّ يجب حصوله له ووصوله إليه عند عدم الموانع ورفع العوائق والقواسر.

وثبت أيضاً في مقامه ان وجود الموانع والقواسر للأشياء الجبليّة غير دائم ولا أكثرّيّ في هذا العالم الذي يوجد فيه بعض الشرور وأما في العالم الأعلى وما فوق الكون فالأشياء كلّها على مقتضى دواعيها و أشواقها الأصلية فكلّ مشتاق إلى شيءٍ شوقاً غريزيّاً سواء كان في فطرته الأولى أو في فطرته الثانية التي قد صار متجوهر آبه متصوّراً بصورته الجوهرية كالنبات إذا صار حيواناً أو الحيوان إذا صار إنساناً فهو واصل أو سيوصل إليه وقتاً ما .

فثبت أن من أحبّ الله واشتاق إليه فهو مما يصل إلى حضرته يوماً كما دلّ عليه قوله عليه السلام: "من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ."

## نكتة أخرى

[ في أن الذكر أشرف المقامات للسالك ]

قال صلى الله عليه وآله [حكايقة عن الله تعالى:] « إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خبير من ملاءه . » فإذا ثبت هذا فأفضل الأذكار ذكر الله الخالي عن ملاحظة الأغيار .

ثم إن العبد فقيرٌ كثير الحاجة و المحتاج إذا نادى مخدومه المنعم بنداٍ يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولاً على الطلب مُشعراً بالسؤال فإذا قال: « يا كريم » كان معناه: أكرم وإذا قال: « يا رحيم » كان معناه: ارحم وإذا قال: « يا غفور » كان معناه: اغفر و اعفُ .

(١) معاني الاخبار : ٣٢٦ . البخاري : ١٢٩/٦ .

(٢) المحاسن للبرقي (ره) : ٣٩/١ . وفيه فرق يسير .

فكانت هذه الأذكار جارية مجرى السؤال، فيجول في خاطره غير الله ويتمثل له صور حاجاته فيكون مشغول السرّ بغير الله ولم يكن في خلا، بل في ملاء، إذا الشاغل له عن ذكر الله عند المعاشرة مع الخلق أيضا الصور الحاضرة في نفسه، وهي الحاضرة بالذات دون الصور الخارجية إلا بالعرض.

فمن حصرته عنده صور الأشياء والتفت إليها فهو في صحبة الأغيار. سواء كان في بيته الخالي أو في محتشد من الخلق. وقد بين أن الذكر إنما يعظم شرفه إذا كان خاليا من السؤال ومن تصور الصور والأمثال وذلك يتحقق عندما قال هو.

\* \* \*

ومن نوادر الأذكار الشريفة الممدوحة في كتب أصحاب القلوب: يا هو  
يا من لا هو إلا هو. يا من لإله إلا هو. يا أزل يا أبد. يا دهر يا ديار. يا دهور. يا من هو الحي  
الذي لا يموت.

قال النيسابوري في تفسيره: ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر: يا هو، يا من هو، يا من لا هو إلا هو، يا من لا هو بلا هو إلا هو. وقال:

فالأول فناء عما سوى الله<sup>١</sup>!

والثاني فناء في الله.

والثالث عما سوى الذات.

والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات.

وقال صاحب التفسير الكبير<sup>٢</sup>: ومن لطائف هذا أن الشيخ الغزالي رحمه الله كان

(١) الفرق بين الفناء عما سوى الله، والفناء عما سوى الذات مما لا يخفى بعد الاطلاع على ما سبق من الكلام - منه (ره) - (حاشية المخطوطة).

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١١٧/١ ويوجد اختلافات بين ما نقله المصنف وما في المطبوع عندي من التفسير.

يقول: «لا إله إلا الله» توحيد العوام. ولا إله إلا هو» توحيد الخواص «لا هو إلا هو» توحيد  
أخصّ الخواص. ولقد استحسنّت هذا الكلام وقرّرتّه بالقرآن والبرهان. أمّا القرآن فإنه  
تعالى قال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٨٨/٢٨] ثم قال بعد ذلك ﴿كُلُّ شَيْءٍ  
هَالِكٌ﴾ معناه «لا هو» وقوله ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ «الاهو» فقد ذكر «لا هو إلا هو» بعد قوله  
لا إله إلا هو يدلّ على أنّ غاية التوحيد هي هذه الكلمة.

وأما البرهان فهو إنّ من الناس من قال: تأثير الفاعل ليس في تحقيق المهية و  
تكوينها، بل لا تأثير له إلا في إعطاء صفة الوجود لها. فقلت: فالوجود أيضاً مهية فوجب  
أن لا يكون الوجود واقعاً بتأثيره. فإن التزموا ذلك وقالوا: الواقع بتأثير الفاعل هو  
موصوفة المهية بالوجود فنقول تلك الموصوفة إن لم تكن مفهوماً مغايراً للمهية والوجود  
امتنع إسنادها إلى الفاعل. وإن كان مفهوماً مغايراً فذلك المفهوم لا بدّ وأن يكون له مهية  
وحيث يعمد الكلام فنبت أنّ المؤثر مؤثر في الماهية وكل ما بالغير فإنه يرتفع بارتفاع  
الغير فلولا المؤثر لم يكن تلك المهية مهية ولا حقيقة. فقدرته صارت المهيات مهيات  
وصارت الحقائق حقائق وقبل تأثير قدرته فلامهية ولا وجود ولا حقيقة ولا ثبوت وعند هذا  
يظهر صدق قولنا: لا هو إلا هو. أي لا تقرر لشيء من الحقائق إلا بتقريره وتحقيقه. فثبت إنّه  
لا هو إلا هو.

### أقول وبالله التوفيق:

اعلم إنّ مقام التوحيد الخاصّ الذي عليه الأولياء الكاملون والعرفاء المحققون  
أعلى درجة وأشمخ شهوقاً من أن يناله أرباب الأنظار الجزئية بقوة أنظارهم وأصحاب  
المباحث الكلامية بدقّة أفكارهم ومن زعم إنّه بقوة مهارته في تحرير المقالات وتقرير  
الاشكالات والأجوبة عن بعض الإيرادات وبيان بعض المسائل والشبهات يمكنه الوصول  
إلى فهم مسائل هذا التوحيد ومكاشفات إخوان التجريد فقد استسمّن ذاوَرَم. ومثله  
كالزمن إذا أراد أن يطير في الجو ومثل من أراد أن يثبت هذا المقصد الغالي ويصل

إلى هذا المصعد العالي بمثل هذا القياس المرتب في زاوية قلبه من هذه المقدمات الواهية الواهنة الأساس كمثل العنكبوت إذا أراد أن يصيد العنقاء بشبكة ينسجها في زوايا البيوت .

ولولا مخافة التطويل و الاطناب لاستقصينا الكلام في هذا الباب فأخذنا أولاً في إقامة البراهين القطعية على أن شيئاً من المهيئات لا يمكن أن يكون أثر اللجاءل ومجمولة له على إثبات أن أثر اللجاءل وما يترتب عليه في الخارج هو نحو من أنحاء الوجودات الخاصة. ثم على أن ما ذكره هذا القائل يناقض ويخالف عقلاً ولفظاً لما هو بصدده من إثبات هذا التوحيد وأن كلمة «لا هو إلا هو» تدل عليه. ثم بعد ذلك نشير إلى لمعة من لوازم مسألة التوحيد الخاصي وإلى كيفية استنباطها من هذه الكلمة. ولكن جاء في المثل «ما لا يدرك كله لا يترك كله» فلنذكر هذه المقاصد ههنا على طريقة الاختصار وطبي بعض مبادئها ومقدماتها البعيدة ليكون الناظر في هذا المقام على بصيرة في طلب ما ادعينا من غير تعب و كلال. ويكون الاستقصاء البالغ مرجوعاً إلى مواضع أخرى من مسفوراتنا المطولة وهي مشتملة على فصول خمسة .

## فصل

في أن الوجود هو المجموع بالذات

اعلم إن للوجود صورة في الخارج وليس مجرد معنى مصدرى انتزاعي - كما يقوله الظالمون - إذ لا شك في أن للأشياء حقائق . و حقيقة كل شيء هي خصوص وجوده الذي يترتب عليه أحكامه المخصوصة وآثاره المطلوبة منه .

و كون الشيء ذا حقيقة معناه أنه ذا وجود. فحينئذ لا بد أن يكون في الأعيان ما يصدق عليه هذا المعنى. أي معنى الحقيقة وليس مصداقه نفس المهية من حيث هي

سواء كان بعد الصدور أو قبل الصدور. بل مصداقها إما نفس الوجود للشيء أو المهية الموجودة بما هي موجودة لابماهي مهية. فالوجود أولى بأن يكون حقيقة أو ذا حقيقة من غيره. إذ غيره به يكون ذا حقيقة. لست أريد من هذا ان مفهوم الحقيقة يجب أن يصدق عليه هذا العنوان بل إن هبنا شيئاً يصدق عليه بحسب الخارج مفهوم الحقيقة وليس هو نفس المهية الموجودة بل وجودها .

فالوجود يجب أن يكون بنفسه موجوداً في الواقع لأنه يصدق عليه هذا المفهوم فله لا محالة صورة عينية مع قطع النظر عن اعتبار العقل. وهو المعنى بكون الوجود موجوداً لأن له وجوداً أزائداً كما يوهمه العبارة. حتى يلزم منه المحذورات المشهورة. فإذا كان الوجود موجوداً فهو إما واجب. إن كان غير متعلق بغيره أو ممكن إن كان متعلقاً بغيره، وهو المعنى بكون الوجود مجعولاً أو صادراً. هذا هو المطلوب.

### حجة اخرى

لولم يكن الوجود للأشياء موجوداً أي واقعا في الأعيان لم يوجد شيء من الأشياء. والنالي باطل فكذا المقدم.

بيان الشرطية: إن المهية قبل انضمام الوجود إليها أو اعتباره معها أو ما شئت فسمه غير موجودة. وهو ظاهر وكذلك أيضاً إذا اعتبرت المهية من حيث هي لامع اعتبار الوجود فهي غير موجودة ولا معدومة. فإذا لم يكن الوجود موجوداً لم يمكن ثبوت مفهوم أحدهما للآخر فإن ثبوت شيء لشيء أو انضمامه إليه أو اعتباره معه أو انتزاعه منه فرع لثبوت المثبت له أو مستلزم له لأقل للمغايرة بينهما في الثبوت. وليس للمهية من حيث هي مع قطع النظر عن الوجود وجود وثبوت أصلاً. فكيف يتحقق هناك اتصاف بالوجود وليست المهية في نفسها موجودة ولا الوجود في نفسه موجوداً إلا تكون المهية معروضة للوجود كما اشتهر وذهب إليه جمهور الحكماء ولا عارضة له

كما ذهب إليه طائفة من العرفاء إذ كل من راجع وجدانه وأنصف من نفسه أدرك أن انضمام معدوم لمعدوم في الخارج أو انضمام مفهوم لمفهوم من غير وجود أحدهما للآخر أو قيامه به أو قيامهما بموجود آخر، غير صحيح ولا مما يجوزُه العقل بل يقضي بامتناعه ولهذا قال بعض العلماء: إن الفطرة شاهدة بأن المهية إذا كانت موجودة بنفس وجودها قبله كان الموجود بالذات هيئتها نفس الوجود لا المهية كما أن المضاف بالحقيقة نفس الإضافة لا ما هو المضاف المشهور فيعلم أن المجمعول الصادر من الفاعل هو الوجود وما قيل إن المهية موجوديتها باعتبار انتسابها إلى الجاعل التام فهو هو من محض فإن غير المنتسب إلى شيء إذا انتسب فهو لا محالة بشيء يلحقه انتسب فلا محالة يتغير عما كان ويستحيل إلى حالة وصفية لم تكن حاصله له من قبل فهو بذلك الشيء صار منتسباً فيكون المنتسب بالحقيقة ذلك الشيء دونه. فعلى هذا يلزم أن يكون المنتسب إلى الجاعل التام هو وجود المهية دونها.

### برهان آخر

إن موجودية الأشياء إما بانضمام الوجود إلى المهية أو بصيرورتها موجودة أو باتصافها به أو ما يجرى هذا المجرى كما هو المشهور من الحكماء المشائين وإمام جعولية نفس المهيئات جعلاً بسيطاً كما عليه أتباع الرواقين وتبعهم هذا القائل والشيخ المقتول وجماعة من المتأخرين، وإما بنفس الموجودات الخاصة الفائضة عن الباري الحي القيوم كما ذهب هذه الفقراء، والأول مقدوح مردودٌ بوجوه مذكورة في موضعها والثاني أيضاً، وإلزام أن لا يتحقق وجود ما في الخارج واللازم ظاهر البطلان فكذا الملزوم فبقي المذهب الثالث حقاً.

وأما بيان الملازمة في هذه الشرطية فبان الوجود على هذا الرأي إن كان نفس المهية من غير اعتبار قيد زائد وشرط فيكون كل من تصوّر الإنسان مثلاً تصوّر أنه موجود

ولم يكن فرق بين كون الإنسان إنساناً وبين كونه موجوداً ولأن قولنا الإنسان معدوم تناقضاً والتالي باطل فالمقدم مثله. وإن كان الوجود عبارة عن انتساب المهية إلى الجاعل والنسبة لا تتحقق إلا بعد تحقق الطرفين فننقل الكلام في وجود معروضه فيعود المحذور جذعاً.

فإن قيل موجودية المهية ليست بانتسابها إلى الجاعل بل بكونها بحيث ينتسب إليه ويرتبط به؛ قلنا: فيكون المجمعول وما هو أثر الجاعل هو كونها على هذه الحيثية لأنفس المهية بما هي هي وهو خلاف المفروض على أن المجمعول هي هنا هو الكون المذكور. ونحن لانعني بالوجود إلا هذا الكون. فثبت المطلوب بالخلف والاستقامة معاً.

## الفصل الثاني

في أن المهية يستحيل أن تكون أثر الجاعل ومجمولة له وعليه براهين:

الأول: إن أثر الفاعل لو كان مهية شيء كمهية الإنسان من حيث هي دون وجودها لما أمكن لأحد أن يتصور تلك المهية قبل صدورها عن الفاعل. لما تقرر أن العلم بذوي السبب لا يحصل إلا من جهة العلم بسببه. والمقدر خلافه إذ كثيراً ما نتصور المهيئات ولا يخطر ببالنا جاعلها أصلاً. بل للعقل أن يتصور مهية كل شيء من حيث هي هي. أو مجردة عن ماعداها. حتى عن هذه الملاحظة. فليست هي من هذه الحيثية أي بما هي هي موجودة ولا مجمولة ولا لا موجودة ولا لا مجمولة.

وأيضاً فلو كانت هي بما هي هي مجمولة لكان مفهوم المجمعولية ذاتياً لها وكانت المهيئات كلها من مقولة المضاف. والتوالي بأسرها ظاهرة البطلان. فالمقدم مثله والملازمة تظهر بالتأمل الصادق.

فإن قلت: هذه يلزمك على القول بمجمعولية الوجود.

قلت: إن وجود كل شيء نفس هويته العينية وحقيقته الخارجية فلا يمكن العلم بها.



إلا بالمشاهدة الحضورية والانكشاف النوري إذ كل ما حصلت صورته في الذهن فهو أمرٌ كلي وإن تخصّصت بمخصّصات كثيرة والوجود هويةً عينيةً متشخصّةً بذاته صادرةً عن هويةً جاعله إياه جعلاً بسيطاً. فلا يمكن انكشافه وحضوره إلا من جهة حضور هويةً جاعله. وهذا المفهوم العام المشترك الانتزاعي الإثباتي وجهٌ من وجوهه وهو بمعزل عن الهوية الخارجية وهذه الهويات الوجودية مجموعات بأنفسها ومنتسبات بذواتها إلى مفيضها التام. ومع ذلك ليست واقعة تحت مقولة المضاف. لأن مقولة المضاف قسمٌ من أقسام المهيئات التي هي زائدة على الوجود، أو لا ترى إن الهوية الإلهية مع كونه مبدء جميع الأشياء ليست واقعةً تحت مقولة المضاف؟ فكذا ساير الهويات الوجودية.

### برهان آخر

لو كانت الجاعلية والمجولية متحققتين بين المهيئات لابن الوجودات يلزم التشكيك بالأقدمية وعدمها بين أفراد مقولة الجوهر عند سببية جوهر لجوهر آخر وهذا باطلٌ عند محصلي الحكماء حيث يتوأن لأولوية ولا تقدّم لما هيّة جوهر على ماهية جوهر آخر لافي تجوهره ولا في جوهريته أي في كونه محمولاً عليه معنى الجوهر الجنسي فلا يتقدّم الإنسان الذي هو الأب على الإنسان الابن في حدّه ومعناه ولا في صدق الإنسانية عليه بل تقدّمه عليه إما بالوجود أو بالزمان.

### برهان آخر عرشي

إن الصادر الأول مثلاًه مهيةً نوعيةً محتملة الصدق على كثيرين وليس الصادر من الباري عندهم إلا شخصاً واحداً من أعداد نوعه المشتركة فيه فكون الصادر هذا الشخص الواحد دون غيره لو كان بمجرد صدور مهية النوعية، يوجب الترجيح من غير

مرجح؛ إذ الجاعل واحد والمهيبة واحدة والغسبة بينها وأشخاصها متماثلة. فكونها هذا الفرد دون غيره مما يتساوى نسبه غير صحيحة. وكذا موجودية هذا الشخص دون سائر الأشخاص بمجرد ابداع الباري نفس المهية النوعية المتواطئة مع اشتراكها بين الجميع غير صحيح.

فالحق الحرى بالتحقيق والتصديق إن أول الصوادر هو هوية الصادر الأول المتشخصة بذاته المتميزة بنفسه عن ماعداها دون مهيته فهذه الهوية الوجودية هي المجعولة بالذات والمهية تابعة لها أتباع الظل للشخص.



وهنا استبصارات كثيرة ذكرناها في كتبنا وجمعناها في رسالة مفردة :  
 منها كون الوجود هو الخير بالذات، والعدم هو الشر والصادر عن الخير الأول هو الخيرات وهي وجودات الأشياء دون ماهياتها الكلية. إذ لاخيرية ولاكمال في مفهوم العلم والقدرة والصحة والجمال والذائد والشهوات الدنيوية والأخروية. بل في حقائقها الوجودية وليس كل من تصور مهية السعادة سعيداً ولا كل من تصور مهية البهجة مبتهجاً. بل من نال وجود السعادة ووجود البهجة .

ومنها إن الجاعلية والمجعولية لو كانتا بين المهيات لكان جميع الموجودات ماسوى المعلول الأول من لوازم المهيات وهي أمور اعتبارية كما حقق في مقامه والتالي باطل بديهياً واتفاقاً. فإن أحداً لم يقل بأن السماء والأرض وما بينهما أموراً اعتبارية ونسبة هذا الأمر الشنيع إلى العرفاء افتراءً محضاً يتحاشى عنه أسرارهم .

ومنها إنه قد تقرر في علم الميزان أن مطلب «ما» الشارحة غير مطلب «ما» الحقيقة وليست المغايرة بينهما في مفهوم الجواب لأنه الحدّ التام عند المحققين بل باعتبار الوجود في أحدهما وعدمه في الآخر. فلو لم يكن للوجود صورة في الخارج لم يكن بين المطلبين والجوابين فرق يعتد به كما لا يخفى .

## أوهام وتنبهات

ثم إن للقائلين باعتبارية الوجود ومجمولية المهيئات شُبهاً قويّةً فككنا عقدها بحمد الله وطردها ظلمات هذه الأوهام بنور الهداية والإلهام. فلنشر إلى أجوبة بعض منها وهي هذه .

**الأول :** إن الوجود لو كان موجوداً ألكان له وجودٌ ولو لوجوده وجودٌ. وهكذا إلى غير نهاية .

**والجواب :** إن المهية لما لم تكن في نفسها موجودة فموجوديتها لا بد وأن تكون بأمر زائد عليها وأما الوجود فهو بنفسه موجودٌ لا بأمر زائد عليها إلا بحسب الاعتبار العقلي رعاية لمفهوم الاشتقاق والتسلسل في الاعتباريات منقطعاً بانقطاع الاعتبار منها. ولهذا المعنى نظائر كثيرة كالإضافة. فإنها بنفسها مضافةٌ وغيرها بها مضافٌ. كالنور فإنه منيرٌ بذاته وكأجزاء الزمان فإنها بذواتها متقدمة ومتأخرة.

\* \* \*

**والثاني :** إن الوجود لو كان موجوداً بذاته لكان واجب الوجود بذاته إذ لا معنى للواجب بالذات إلا ما يكون وجوده ضرورياً لذاته وأيّ ضرورة أشد من كون الشيء عين نفسه ؟

**والجواب :** إن الوجود الإمكانى بحسب هويته متقومٌ بغيره. واجبٌ به وإذا قطع النظر عن موطنه يكون باطلاً محضاً. ومعنى كونه ضرورياً الوجوداته بعد ماصدر ذاته عن العلة لا يفتقر إلى وجود زائد عليه في كونه موجوداً. بخلاف المهية فإنها في حد ذاتها غير موجودة ولو في وقت صدورها عن الفاعل، ومعنى الإمكان في الوجودات أنها بأنفسها متعلقة الذوات بغيرها وليست المهيئات متعلقة الذوات بغيرها. فإمكانها عبارة عن تساوي نسبتها إلى الوجود والعدم. وبالجملة هذه الشبهة إنمّا نشأت من الخلط بين معنى الضرورة الأزلية والضرورة الذاتية .

الثالث : إنه إن كان الوجود في الأعيان صفة للمهية وهي قابلة فهي إما أن تكون موجودة بعد الوجود فحصل الوجود مستقلاً دونها فلاقابلية ولاصفتية. أو قبله، فهي قبل الوجود موجودة، أو معه فالمهية موجودة مع الوجود لا بالوجود. ولها وجود آخر وأقسام التالي باطلة كلها فالمقدم كذلك .

والجواب : إننا نختار أن المهية موجودة معه في الأعيان ومابه المعية نفس الوجود الذي هي به موجودة. فلا يلزم الإحتياج إلى وجود آخر. كما أن المعية الزمانية حاصلة بين الحركة والزمان الذي حصلت فيه بنفس ذلك الزمان بلا زمان آخر حتى يكون للزمان زمان آخر على أن الحق أن اتصاف المهية بالوجود أمر عقلي كاتصاف الموضوع بما يقوم به فلاقابلية في الحقيقة ولا اتصاف بل ما في الواقع أمر واحد بل تقدم بينهما ولا معية بالمعنى المذكور وتفصيل هذا الكلام مما يطلب في مقامه.



الرابع : إن الوجود لو كان في الأعيان لكان قائماً بالمهية فقيامه إما بالمهية الموجودة فيلزم وجودها قبل وجودها. أو بالمعدومة فيلزم اجتماع النقيضين. أو بالمهية المجردة عن الوجود والعدم فيلزم ارتفاع النقيضين.

والجواب : إنه إن أريد بالمهية الموجودة ماهي موجودة بحسب نفس الأمر وبالمعدومة ما يقابلها، فنختار أن الوجود قائم بالمهية الموجودة بهذا الوجود لا بوجود سابق عليه. كما أن البياض قائم بالجسم الأبيض بهذا البياض القائم به لا ببياض آخر، وإن أريد بالموجودة ما يكون الوجود ما هو ذاتي مرتبة المهية من حيث هي فنختار أنه قائم بالمهية من حيث هي بلا اعتبار شيء من الوجود والعدم. وهذا ليس بارتفاع النقيضين عن الواقع بل عن تلك المرتبة. إذ الواقع أوسع من تلك المرتبة .

ولهذا الكلام زيادة تحقيق مذكور في حواشي التجريد إذ الإشكال مشترك الوجود سواء كان الوجود حقيقياً أو انتزاعياً ولهذا حكموا بأن لا اتصاف للمهية بالوجود ولا قيام

له بها لافي الخارج ولا في العقل. إذ لا بد في اتصاف شيء بشيء من المغايرة بينهما في ظرف الاتصاف. وإن لم يكن ثبوت الثابت فرع ثبوت المثبت له وليس بين المهية والوجود مغايرة إلا أن للعقل أن يأخذ المهية ويعتبرها وحدها مجردة عن جميع أنحاء الوجود حتى عن هذا التجريد الذي هو أيضاً نحو من أنحاء الوجود. فيصفها بالوجود في هذا الظرف العقلي هي موصوفة بالوجود ومخلوطة به أيضاً رعاية لجانبي الخلط والتعريف على أننا نحن في متسع من هذا البحث إذا الموجد عندنا في الأعيان هو الوجود والمهية إلا بالعرض وهي أمر انتزاعي متحدة بالوجود وليست متصفة به.

\* \* \*

**والخامس:** إن الوجود لو كان حاصلًا في الأعيان وليس بجوهر فيكون هيئة قائمة بجوهر. فيكون كيفاً. لأنه هيئة قارة لا يوجب قسمة ولا نسبة إلى أمر خارج. وقد حكموا أن المحل متقدم على العرض فيتقدم الموجد على الوجود. فيلزم تقدم الوجود وأيضاً يلزم أن لا يكون الوجود أعم الأشياء مطلقاً بل الكيفية والعرضية أعم منه من وجه وأيضاً إذا كان عرضاً فهو قائم بالمحل ومعنى أنه قائم بالمحل أنه موجود فيه، مفتقر في تحققه إليه ولا شك أن المحل موجود بالوجود. فدار القيام وهو محال.

**والجواب:** أنهم حيث أخذوا في عنوانات المقولات كونها مهيات كلية حق وجودها العيني كذا وكذا فسقط كون الوجود في ذاته جوهرًا أو كيفاً أو غيرها لعدم كونه كلياً، بل الوجودات كما سبق هي ذات عينية متشخصة بأنفسها غير مندرجة تحت مفهوم ذاتي فليس الوجود جوهرًا في ذاته ولا عرضاً بمعنى كونه قائماً بالمهية وعلى تقدير كونه عرضاً لا يلزم كونه كيفية لعدم كونه وعمومه وما هو من الأعراض العامة والمفهومات الشاملة للموجودات إنما هو الوجود الانتزاعي العقلي ولمخالفته أيضاً سائر الأعراض بأن وجودها في نفسها عين وجودها لموضوعاتها ووجود الوجود عين وجود المهية الموضوع لها لا وجود غيرها ظهر عدم افتقاره في تحققه إلى الموضوع

فلا يلزم الدور المذكور على أن المختار عندنا أن وجود الجوهر جوهرٌ بجوهرية ذلك الجوهر. لاجوهرية أخرى. وكذا وجود العرض عرضٌ بعرضية ذلك العرض لابعرضية أخرى .

### الفصل الثالث

في أن ما ذكره هذا القائل ينافي

مذهب العارفين القائلين بهذا التوحيد عقلاً ولفظاً

أما الأول فلأن من ذهب إلى أن المهيئات مجعولة وحاصلةً بالجعل ولاشبهة في أن المهيئات أمورٌ متخالفة المعاني فيكون الموجودات عنده أموراً متكررة متخالفة بالحقائق متميزة بالدوات إذ موجودية المهية على هذا المذهب عبارة عن صدورها عن الفاعل أو انتسابها إليه. فيكون الوجود معنى مصدريةً والموجود أمراً حقيقياً متعدد أحسب تعدد أفراد المهيئات الصادرة عن الفاعل. فأين هذا المذهب من مذهب التوحيد الذي عليه العرفاء. وقريب من هذا ما ذهب إليه بعض المغترين بلامع السراب الوهمي عن مشرب التوحيد الأتمي أن الوجود الحقيقي شخصٌ واحدٌ وهو ذات الباري والموجود كلي له أفرادٌ متعددة هي الموجودات. ونسب هذا المذهب إلى أذواق المتألهين وزعم إن هذا هو مقصودهم في وحدة الوجود وهو فاسدٌ من وجوه :

الأول : إن أفراد الموجودات قد تكون متكررة متقدمة بعضها على بعض في الوجود مع اتحادها في المهية النوعية فإذا كانت المهية واحدة والوجود واحداً شخصياً فكيف يتعدد الموجود ويتقدم بعضه على بعض .

والثاني : إنه يلزم على هذا القول أن يكون قولنا وجود زيد ووجود عمرو بمنزلة قولنا إله زيد وإله عمرو ، وهذا لا يتفوه به عاقل .

والثالث : إن نسبة المهيئات إلى الباري جلّ ذكره إن كانت اتحادية يلزم كون

الواجب تعالى ذمهيّة غير الوجود بل ذا مهيات متعدّدة وقد ثبت إنّه صرّف الإتيّة. وإن كانت نسبتها إليه تعالى تعلقية ارتباطية وتعلق الشيء بالشيء فرغ على وجودهما وتحققهما فيلزم أن يكون لكل من المهيات وجود خاص متقدّم على انتسابها إليه تعالى وتعلقها به إذ لا شبهة في أن معانيها غير معنى التعلق بغيرها. فإنّا كثيراً ما نتصوّر المهيات ونغفل عن ارتباطها إلى الحق وهذا الكلام لا يجري في الوجودات إذ يمكن لأحد أن يدعى انهوياتها تعلقية كما سنكشف على من هو أهله .

الرابع : قوله : الوجود واحد والموجود كثير هوس محض لأنّ إذا كان معنى الوجود أمراً نسبياً عنده فلا فرق بين مذهبه ومذهب من يرى أنّ الوجود أمر عام مصدرى انتزاعى لإبانه سمى المعنى الانتزاعي بالانتساب إلى الجاعل فالقول بأنّ الوجود على هذه الطريقة واحد شخصي وللوجود كليّ متعدد دون الطريقة الأخرى تحكّم محض .



وأما أنّ كلمة «لاهو إلهو» لا يدل على ما قرره في مسألة التوحيد فذلك بوجهين. أحدهما : إن غاية ما ذكره إن شيئاً من المهيات لم يكن مهية قبل الجعل والتأثير فيقدرته تعالى صارت المهيات مهيات ولا تفرّق لشيء منها إلا بتقريره كما ذكره. وابن هذا المعنى من معنى لاهو إلهو إلا أن يرتكب حذف وإضمار وقيل معناه لاهو بلا جعل وتأثير إلهو وهذا أمر لا يحتاج إلى مزيد تقرير. إذ لا شبهة لأحد من العقلاء المعتبرين إلا المعتزلة القائلة بنبوت المهيات بلا جعل. فإن الحكماء سواء ذهبوا إلى أن أثر الفاعل هو المهية أو ذهبوا إلى أنه الموجودية، متفقون على أن المهية قبل الجعل غير حاصلة إلا أن إحدى الطائفتين قالت: إنّ المهية مجعولة أولاً والوجود تابع لها في الجعل، والأخرى قالت: إن صيرورة المهية موجودة أثر الجاعل والمهية تابعة له كما هو المشهور من توابع المشائين .

وما أورده هذا القائل عليهم من أن الوجود أيضاً مهية فيجب أن لا يكون مجعولاً

واقعا بتأثير الفاعل مما علمت حاله من تضاعيف أحوال الوجود. وكذا قوله فإن التزموا ذلك وقالوا<sup>(١)</sup> الواقع بتأثير الفاعل هو موصوفة المهية بالوجود فهي إن لم تكن مفهوما مغاير ألها امتنع استنادها إلى الفاعل وإن كان مغاير أفلا بدان يكون له مهية فيعود الكلام. انتهى .

وذلك لأن مذهب هؤلاء هو إن مفساد الجعل و أثر الجاعل هو صيرورة المهية مرجودة أي هذه الهيئة التركيبية لا أن شيئا من المهيئات ولا الوجود أثره ولا مهية هذه الصيرورة أيضاً أثره، لأنها مستغنية عن الجعل وهذا مثل أن يقال: إن التصديق عبارة عن نحو إذعان أن زيدا قائم مثلاً فكما إن التصديق ليس بتصوّر المحكوم عليه ولا تصوّر المحكوم به ولا تصوّر النسبة بل الهيئة الإذعائية على الوجه الذي يكون الموضوع متلبساً بالمحمول، فمفاد التصديق اعتقاد أن زيدا قائم. لا تصوّر هذا الإذعان ولا تصوّر قيام زيداً لهما من باب التصوّر. ولا تصور زيد قائم لماذا ذكرنا بل إدراك النسبة على أنها نسبة وعلى أنها معنى حرفي لا على أنها معنى اسمي منسوب أو منسوب إليه .

فهكذا قولهم في كون أثر الجاعل اتّصاف المهية بالوجود فمفاد الجعل في الخارج عندهم كمفاد التصديق في الذهن فاندفع النقض الذي أوردوه عليهم عنهم سواء كان مذهبهم صحيحاً أو فاسداً.

**الوجه الثاني :** إن ضمير هو وسائر الضمائر كانا وأنت وغيرها ليس معانيها إلا أنحاء الوجودات و الدليل عليه إن كلمة هو مثلاً الذي كلامنا فيه لو كانت موضوعاً لغير الوجود الخاص<sup>فيها</sup> إنما موضوعاً لمهية مخصوصة فيجب أن لا يطلق على غيرها ويتبادر هي إلى الفهم عند الاطلاق بعد العلم بوضعها إياها والواقع بخلافه ، وإما موضوعاً لجميع المهيئات بوضع واحد فهو ظاهر البطلان والإفنبغي أن يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق

(١) يشير إلى ماضى في ص : ٤٨ .



وليس كذلك، وإمام موضوعه لمهيات متعددة غير متناهية بأوضاع متعددة غير متناهية وهو ظاهر البطلان أيضاً ولانها موضوعه لمهية مآمن حيث هي وإلآلم يفهم منها مهية مخصصة إذا العام لادلالة له على الخاص والواقع خلافه. ولأيضاً يصح أن يقال إننا موضوعه لمهية مآبشرط كونها غائبة وإلآلم أن لا يفهم من كلمة هو الأهذا المفهوم بل الحق أن الضمائر كلها كهو وأنت وغيرهما وكذا أسماء الإشارات كلها كهذا وذلك وغيرهما موضوعه لأنحاء الهويات الوجودية. إذ الوجود حقيقة واحدة وله أفراد وأعداد متميزة للأشخاص؛ يصح أن يتصورها الواضع من جهة وحدة حقيقتها المشتركة ويضع الإسم لأفرادها الخاصة بحسب أوصافها الوجودية التي حكمها حكم أصل الوجود في وحدتها وتعددتها .

وهذا معنى قولهم في أسماء الإشارة: إن الوضع فيها عام والموضوع له هي الخصوصية؛ فعلى هذا لا هو لا يدل على نفي المهية. بل على نفي الهوية. لا يقال المهية مشتقة من الهوية لأنها مأخوذة من ما هو وهو السؤال عما به الشيء هو هو. فيكون كلاهما مشير إلى شيء واحد، فلا فرق بينهما بحسب جوهر اللفظ ومادته اللغوية. قلنا الفرق بأن هو، عبارة عن الوجود الشخصي وما هو، سؤال عن طلب ذاتياته. وهي المعاني الكلية المتحدة به في مرتبة وجوده الذاتي. الصادقة عليه بحسب تلك المرتبة فيما له مهية غير الهوية. فمدلول هو غير ما وقع في جواب ما هو، لأنه من المطالب الكلية فهما متغايران معنى ولهذا افتقرت الهوية عن المهية في الواجب تعالى، وكذا في الهويات الوجودية بما هي هويات في العلم الحضوري الشهودي. فافهم واغتنم .

## الفصل الرابع

### في الإشارة الى لمعة من لوازم علم التوحيد الخاصي

إنّ لنا بإعلام الله وإلهامه برهاناً شريفاً على هذا المطلب الشريف الذي هو الوجهة الكبرى لأهل السلوك العلمي محكماً في سماء وثاقته التي ملئت حرصاً شديداً أو شهباً لا يصل إليه لمس شياطين الأوهام ولا يمسّه القاعدون منه مقاعد للسمع إلا المطهّرون من أريجاس الجاهليّة المكتسبة من ظلمات الأجسام .

بيانه إن الواجب تعالى لَمَّا كان منتهى سلسلة الحاجات والتعلّقات ، فليس وجوده متعلّقاً بشيء متوقفاً على شيء فيكون بسيط الحقيقة لا ينقسم في وجود ولا في عقل ولا في فهم ، فذاته واجب الوجود من جميع الجهات كما إنّه واجب الوجود بحسب الذات فليس فيه جهة إمكانيّة ولا امتناعيّة وإلّا لزم التركيب بوجه من الوجوه المستدعي للإمكان فإذا تقرّرت هذه المقدّمة التي مفادها إنّ كلّ وجود وكلّ كمال وجود يجب أن يكون حاصلًا لذاته فأيضاً عنه مترشحا على غيره كما قال ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ وهما عين ذاته فلو كان في الوجود إلهٌ غيره فيكون لامحالة منفصل الذات عنه لاستحالة أن يكون بين الواجبين علاقة وجوديّة وإلّا لزم معلوليّة أحدهما . وهر خرقُ الفرض فلكلّ منهما على الفرض المذكور مرتبة من الكمال الوجودي ليس للآخر ولا منبثاً منه فأيضاً من لدنه فيكون كلّ منهما عادماً الكمال وجودي فذاته حينئذ لا يكون محض حيثيّة الفعلية والوجوب بل يكون ذاته بذاته مصداقاً لحصول شيء وفقد شيء آخر فلا يكون بسيط الحقيقة خالصاً بل مزدوجاً والأزدواج ينافي الوجود الذاتي كما مرّ .

ومن ههنا ظهر أنّ كلّ بسيط الحقيقة يجب أن يكون كلّ الوجود وكلّه الوجود

كما يعلمه الراسخون في العرفان .

وبالجملة فواجب الوجود يجب أن يكون من فرط التحصيل وكمال الفعلية جامعاً لجميع النشآت الوجودية فلا مكافيء له في الوجود ولا ثاني له في الكون ولا شبه له ولا ندبيل ذاته من تمام الفضيلة يجب أن يكون مستند جميع الكمالات ومنبع كل الخيرات فيكون بهذا المعنى تاماً وفوق التمام فهذا هو بيان التوحيد الخاصي. أي نفى المشارك في الوجود وقد انجر إلى التوحيد الأخصي وهو نفى المشارك في الوجود .

## الفصل الخامس

في أن الباري هو الحق وكل ما سواه باطل دون وجهه الكريم

بيانه: إن العلية والمعلولة كما ثبت وتقرر لا يكونان إلا في نفس الوجود لما علمت أن المهيئات لا تأصل لها في الكون ولا في الجعل وعلمت أيضاً إن هوية الشيء وذاته هي عين نحو وجوده الخاص به فالجاعل جاعل بنفس وجوده والمجمول مجعول بنفس وجوده جعلاً بسيطاً لا بصفة زائدة على نفس هويته الوجودية .

فإذا تقرر هذا فنقول: لما كان كل موجود معلول فهو في حد ذاته متعلق بغيره ومرتبطة به ، فيجب أن يكون ذاته الوجودية ذاتاً تعلقة ووجوده وجوداً تعلقياً .

لا بمعنى أنه شيء وذلك الشيء موصوف بالتعلق بل هو بما هو هو عين معنى التعلق بشيء والانتساب إليه وإلا فلو كانت له هوية غير التعلق والافتقار إلى الجاعل ويكون التعلق والافتقار زائدين على ذاته فلم يكن ذاته متعلقاً بفاعله مجعولاً له فيكون المجعول بالذات شيئاً آخر وهو بخلاف المقدر ويكون هذا المفروض مجعولاً مستقلاً الحقيقة غير متعلق الهوية بفاعله. فإذا ثبت أن كل علّة بذاتها وكل معلول معلول بذاته وثبت أن ذات الشيء هي وجوده وأن المهيئات أمور كلية اعتبارية منتزعة

من أنحاء الوجودات بحسب هويتها فيكشف أنّ المسمّى بالمعلول ليست هويته أمر آباينا لهويته علته المفيضة ولا يمكن للعقل أن يشير في المعلول إلى هوية منفصلة عن هويته موجدته حتى يكون هناك هويتان مستقلتان في الإشارة العقلية إحداهما مفيضة والأخرى مفاضة وإلّا لم يكن ذاته بذاته مفاضة.

نعم للعقل أن يشير إلى المهيئات والأعيان الثابتة ، لعدم تعلقها بذواتها إلى علة فاعلة فإنّ المجمعول بالجعل البسيط لذاته له مباينة لذاته مبدّعه، فإذا ثبت تناهي سلسلة الموجودات إلى حقيقة واحدة، بسيطة ظهر أنّ لجميع الموجودات حقيقة واحدة بذاته وجوده وموجد. وهو بحقيقته محقق الحقائق وبسطوع نوره منور مهيئات السموات والأرض فهو الحقيقة والباقي شؤنه وهو الذات وغيره أسماؤه وهو الأصل وماسواه أطواره وفروعه وحيثياته .

فعلى هذا يتبين وينكشف معنى ما ورد في الأذكار الشريفة الإلهية يا هو يا من هو يا من لا هو إذ قد ثبت إنّ الهويات الوجودية التي بعد مرتبة الهوية الإلهية كما لا يمكن حصولها في الخارج من حازة عن الذات الأحادية بل هي مقومة قوامها ومقررة حقائقها كذلك لا يمكن للعقل أن يشير إليها إشارة عقلية أو حسية بحيث ينالها الإشارة من حازة عن الإشارة إلى قيوّمها الأحدي ، بل هو المشار إليه في كل إشارة ، ولا إشارة إليه فيكون محدود أو هو المشهود في كل شهود ولا شهادة ، وهو المنظور بكل عين ولا نظر إليه فيكون محاطاً به وهو المسموع بكل سمع ولا جهة له وهو المعقول بكل عقل ولا اكتناه به ﴿ إِنَّمَا تَوَلَّوْا فُجْهَ اللَّهِ ﴾ [٢/١٥١] فهو في كل مكان بلا مكان. وهو في كل زمان بلا زمان فلا كيف لذاته ولا علم بصفاته ولا حين لزمانه ولا كنه لشأنه، ولا حيث حيث هو ولا أين أين هو ولا متى حين هو. فهو هو، ولا هو إلا هو، ولا هو بلا هو إلا هو ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو.

وصلّى الله على سيّد الورى محمد المصطفى وآله مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى.

## فصل

## [ الرحمن والرحيم ]

الرَّحْمَانُ فَعْلَانٌ مِنْ رَجِمَ كغَضِبَانٌ وَسَكَّرَانٌ مِنْ غَضِبَ وَسَكَّرَ وَالرَّحِيمُ فَعِيلٌ مِنْهُ أَيْضاً كَمَرِيضٍ وَسَقِيمٍ مِنْ مَرَضَ وَسَقِمَ. فَهِيَ اسْمَانِ بُنِيَ عَلَى صِيغَتَيْنِ مِنْ صَيَغِ الْمَبَالِغَةِ. وَفِي الْفَعْلَانِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ مَا لَيْسَ فِي الْفَعِيلِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ زِيَادَتُهُ فِي الْبِنَاءِ كَمَا فِي كَبَارٍ وَكَبَّارٍ وَشُقْدُفٌ وَشِقْدَانٌ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ تَارَةً يَارَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَرَحِيمَ الدُّنْيَا. هَذَا بِحَسَبِ الْكَيْفِيَّةِ وَيُقَالُ تَارَةً يَارَحْمَنَ الدُّنْيَا وَرَحِيمَ الْآخِرَةِ. هَذَا بِحَسَبِ الْكَمِّيَّةِ لِأَنَّ رَحْمَةَ الدُّنْيَا تَعْمُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَرَحْمَةُ الْآخِرَةِ تَخْصُ الْمُؤْمِنَ. وَالرَّحْمَنُ مِنَ الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ كَالدَّبْرَانِ وَالْعَبُوقِ وَالصَّعِقِ وَلِهَذَا لَمْ يَسْتَعْمَلْ فِي غَيْرِ اللَّهِ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْغَالِبَةِ وَإِطْلَاقُ بَنِي حَنِيْفَةَ رَحْمَنَ الْإِمَامَةَ عَلَى مُسَيْلَمَةَ، وَقَعَ مِنْ بَابِ التَّعَنُّتِ فِي كُفْرِهِمْ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ إِنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ الْأَصْلِيُّ: الْبَالِغُ فِي الرَّحْمَةِ غَايَتِهَا. وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَكُونُ صَادِقاً فِي حَقِّ غَيْرِ اللَّهِ. لِأَنَّ مَا سِوَاهُ وَإِنْ فُرِضَ كَوْنُهُ رَاحِماً فَلَيْسَتْ رَحْمَتُهُ بِالْغَةِ حَدَّ الْغَايَةِ وَهُوَ ظَاهِرٌ لِأَنَّ مِنْ عَدَائِهِ نَاقِصٌ اسْتِفَاضَ الرَّحْمَةَ مِنْهُ أَوْلَى ثُمَّ أُعْطِيَ شَيْئاً مِمَّا اسْتِفَاضَهُ. وَالْحَقُّ الْحَقِيقِيُّ بِالْإِذْعَانِ إِنْ أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ مَجَازٌ رَأْساً بُوْجُوهٌ :

الأول : إن الجود إفادة ما ينبغي للعوض وكل أحد غير الله لا يعطي شيئاً إلا يأخذ عوضاً. لأن الأعواض والأغراض بعضها جسمانية وبعضها حسية وبعضها خيالية وبعضها عقلية.

فالأول: كمن أعطى ديناراً ليأخذ ثوباً.

والثاني : كمن يعطي المال لطلب الخدمة أو الإعانة.

(١) الشقذف - كقنفذ - : مركب معروف بالحجاز ، وهو أوسع من العمارى وأما

« الشقنداف » - بالكسر - فليس من كلامهم ، بل هي لغة سوادية (تاج العروس) .

والثالث : كمن يعطيه لطلب الثناء الجميل .

والرابع : كمن يعطيه لطلب الثواب الجزيل أو لإزالة حُبّ الدنيا أو رقة الجنسية عن قلبه . وهذه الأقسام كلّها أعراضُ فيكون ذلك الإعطاء بالحقيقة معاملةً ومعاوضةً ولا يكون جوداً ولا إهبةً وإعطاءً . وأما الحقّ تعالى فهو لما كان كاملاً في ذاته و صفاته فيستحيل أن يعطى شيئاً ليستفيد به كما لأفهم الجواد المطلق والراحم الحقّ .

واعلم : إن هذا إنما يتمّ على مذهب أهل الحقّ ، القائلين بأنّه تعالى تامّ الفاعلية بحسب ذاته و صفاته ، لا يعتبر به قصدُ زائدٍ ولا فعله غاية سوى ذاته وكان صدور الأشياء منه على سبيل العناية والفيض ، دون القصد والروية كما زعمه الأكثرون تعالى عنه علواً كبيراً .

الثاني : إن كلّ ما سواه ممكن الوجود بحسب مهيتته والممكن مفترقٌ في وجوده إلى إيجاد الواجب إياه ابتداءً إذ إمكان الشيء علّة احتياجه إلى المؤثر الواجب كما برهن عليه في مقامه ، وكلّ رحمة تصدر من غير الله فهي إنمّا دخلت في الوجود بإيجاد الله لا بإيجاد غير الله ، إذ ليس لغيره صفة الإيجاد ، بل إنمّا شأن غيره الإعداد والنخبة في الاستناد فيكون الراحم في الحقيقة هو الله .

الثالث : إن فلاناً يعطى الحنطة مثلاً ولكن لا يقع الانتفاع بها ما لم يحصل المعدة الهاضمة للطعام والشهوة الراغبة إلى أكله والقوى الناهضة لذلك ، والآلات المعدة لنقله وطحنه وعجنه وطبخه وغير ذلك ، وما يتوقّف عليها من الخشب والحديد والنجار والحدّاد والأرض التي يقومون عليها والهواء الذي يتنفّسون به والفلّك الذي يحدّد جهات أمكنتهم وأزمنتهم ، والكواكب التي تنور في الليل والنهار بحر كانتها أكنافهم وتسخّن أطرافهم وتنضج حبوبهم وأثمارهم التي يتغذّون بها والملائكة الذين يدبّرون السموات ويحرّكون الكواكب كالشمس والقمر وغيرهما على سبيل المباشرة والملائكة العلوية الذين يدبّرون هذه الملائكة على سبيل التشويق بالوحي والإعلام ، فما دام

لم يخلق الله هذه الأشياء لم يحصل الانتفاع بتلك الحنطة. فخالق تلك الحنطة والممكن  
لنامن الانتفاع بحفظ هذه الأسباب حتى يحصل الانتفاع هو الراحم .

## فصل

### [تقديم الرحمن على الرحيم]

١١ قيل في تقديم "الرحمن" على "الرحيم" والقياس يقتضي في ذكر النعوت الترقّي من  
الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالمٌ بحريٌّ. وفلانٌ شجاعٌ باسلٌ. إته لما صار كالعلم  
كما مرّ يكون أولى بالتقديم. أولان الرحمن لمّا دلّ على عظام النعم وجلالها وأصولها  
ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كاللثمة والرديف. وإنما وقع التسمية بهذه الأسماء  
دون غيرها ليدلّ على أن الحريّ بالاستعانة به في مجامع المهمّات هو المعبود الحقيقي  
الذي هو مولى النعم ومبدء الخيرات كلّها عاجلها وآجلها وجليها ودقيقها ليتوجّه العارف  
بجميع قواه ومشاعره إلى جناب القدس وينقطع نظره عن ما سواه ويشغل سرّه بذكر  
مولاه والاستمداد به في مقاصد أولاه وأخراه .

واعلم : إن الأشياء أربعة أقسام: الضروري النافع والنافع الغير الضروري وعكسه.  
والذي لا ضرورة فيه ولا نفع .

أما الأول: فهو إيماناً في الدنيا فكالتنفس فإنه لو انقطع منك لحظة واحدة مات القلب  
وإيماناً يكون في الآخرة فهو معرفة الله فإنها إن زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب  
واستوجب العذاب الدائم .

وأما الثاني: فهو كالمال في الدنيا وسائر العلوم في الآخرة .

وأما الثالث: فهو كالمضارّ التي لا بد منها كالموت و المرض و الهرم و الفقر  
ولانظير لهذه القسم في الآخرة. فإن منافع الآخرة لا يلزمها شيء من المضارّ.

واما الرابع : فهو كالفقر في الدنيا والجهل والعذاب في الآخرة .  
 إذ عرفت هذا فنقول : قد ذكرنا إن النفس في الدنيا ضروري نافع وبانقطاعه  
 حصل الموت وكذا المعرفة في الآخرة فلوزالت عن القلب لحظة لهلك لكن الموت الأول  
 أسهل من الثاني لأنه لا يتألم فيه إلا ساعة واحدة . و أما الموت الثاني فإنه يبقى عذابه  
 أبد الأبادو كما أن النفس له أثران : ادخال النسيم الطيب على القلب وإبقاء اعتداله  
 وسلامته وإخراج الهواء الفاسد المحترق عن القلب ، كذلك الفكر له أثران أحدهما  
 إيصال نسيم البرهان إلى القلب الحقيقي وإبقاء اعتدال الايمان والمعرفة عليه والثاني  
 إخراج الأهوية الفاسدة المتوآدة من الشبهات عنه . وما ذلك إلا بأن يعرف ان هذه  
 المحسوسات متناهية في مقاديرها تنتهي بالآخرة إلى الفناء بعد وجودها وأن وراء  
 هذا العالم عالم إليه مرجع نفوسنا المطهرة عن شوائب الأدناس والأرجاس ليس في  
 ذلك العالم دثور ولا فناء بل كلة حياة وبقاء . ومن وقف على هذه الأحوال بقى آمناً  
 من الآفات وإصلاً إلى الخيرات والمبررات وبكمال معرفة هذا الأمر ينكشف لعقلك ان  
 كل ما وجدته و وصلت إليه فهو قطرة من بحار رحمة الله وذرة من أنوار إحسانه فعند  
 ذلك يفتح على قلبك معرفة كون الله تعالى رحماناً رحيماً وانه مبدء الخيرات كلها ومعطى  
 جلائل النعم ودقائقها وسوابق المنافع ولو احققها .

## فصل

### [ اتصافه تعالى بالرحمة ]

قد ذكر<sup>١)</sup> في توجيه وصفه تعالى بالرحمة ومعناها التعطف والحنو ومنها الرحم  
 لانعطفها على ما فيها انه مجاز عن إنعامه على عباده . وقيل : إن أسماء الله تعالى إنما اخذت  
 باعتبار الغايات التي هي الأفعال والآثار لبااعتبار مبادئها التي تكون انفعالات هذا

(١) الكشاف : في تفسير البسملة : ٣٦/١ .



غاية ما حصل لأصحاب الأنظار من العلم بمثل هذه الأسماء والصفات .  
واعلم ان هذا العلم أيضاً مما خصّه الله به أهل الإشارة دون العبارة ، إذ ما ذكره  
يؤدّي إلى فتح باب التأويل في أكثر ما ورد في أحوال المبدء وقدمر في مفاتيح الغيب شيء  
هما يتعلق بهذه المسئلة .

واعلم إن جمهور أهل اللسان لما صادفوا بالاستقراء جزئيات ما يطلق عليه اسم  
النار في هذه الدار حارة حكموا بأن كل نار حارة ولكن من انفتح على قلبه باب إلى  
الملكوت فربما شاهد نيرانات كامنة في بواطن الأمور تسخن الأشياء تسخيناً أشد من  
تسخين هذه النار المحسوسة ومع ذلك ليست متسخنة ذات حرارة وهي كقوة الغضب  
وما فوقها كالنفس وما فوقها كقهر الله فالحكم بأن كل نار حارة على عمومه غير  
صحيح عنده ، وكذلك لما شاهدوا في هذا العالم كل محرك لشيء متحركاً وكل فاعل  
لشيء متغيراً في فاعليته حكموا بأن كل محرك متحرك وكل فاعل لشيء فاعل بعدما لم  
يكن ، وعند التحقيق والعرفان ظهر ان ما زعموه مخالف للبرهان وكذلك أشياء كثيرة من  
هذا القبيل .



والسر في الجميع ان موجودات هذا العالم كلّها لتقصانها في درجة الوجودية  
ونزولها في أقصى مرتبة النزول والخسة يصحبها أعدام وقوى وانفعالات من جهة المادة  
الجسميّة فمبادي أفاعيلها لاتنفك عن انفعالات وليس ههنا فاعل غير منفعل ولا مؤثر  
غير متأثر ولا معط غير آخذ ولا راحم غير مرحوم وهذا انما هو بحسب الاتفاق لان هذه  
الأفاعيل داخلية في مفهوماتها تلك الانفعالات. فقول أهل الحجاب وأصحاب الارتباب:  
كل كاتب متحرك الأصابع وكل فلك متحرك، ليس عند أهل المشاهدة صحيحاً بل  
كلية هذه القضايا عندهم ممنوعة بل ممتنعة إذ مفهوم الكاتب هو المصور للمعاني والمنقش  
للحقائق وليست حركة الأصابع داخلية في مفهومه ولا من شرطه تحريك الأنامل فرب

كاتب عندهم كالكرام الكاتبين لم يتحرك أصابعه عند الكتابة بل ثمَّ كاتبٌ لم يتغيَّر ذاته ولا صفاته ولا كتابته وفعله وهو الذي كتبَ على نفسه الرحمة تعالى ذاته وصفاته وقضاءه عن التبديل والتحويل كما قال ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ وكذا في الوجود أفلاكٌ نوريةٌ عقليةٌ يعرفها أهل الله غير متحركة ولا ذات وضع هي السموات العلى ، وكذا في الوجود أرض بيضاء نيرة ليست كهذه الأرض كدرة ثقيلة يابسة ذات لون غبراء يعرفها الربانيون من الحكماء كما ورد في الحديث : «إنَّ الله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً هي مثل أيام الدنيا ثلاثون مرة مشحونة خلقاً لا يعلمون إنَّ الله يعصى في الأرض ولا يعلمون إنَّ الله خلق آدم وإبليس .» وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ فكذلك حكم الراحم حيث يصحبه هبه نارقة القلب لخصوصية المادة للضرورة المعنى الموضوع له ، ألا ترى أنَّ أفاعيل الإنسان سيما النفسانية صادرة من النفس وإطلاق الأسماء المشتقة منها عليها على سبيل الحقيقة دون المجاز؟ فإذا نسبت الرحمة إلى النفس وحكم عليها بأنَّها رحمة لم يكن عند أهل اللغة مجازاً مع أنَّها جوهر غير جسماني فاستقم في هذا المقام فإنَّه من مزال الأقدام وكن متنبئاً على صراط التحصيل غير منحرف إلى جانبي التشبيه والتعطيل والله الهادي إلى سواء السبيل.

### مكاشفة

اعلم إن رحمة الله وسِعَتْ كل شيء وجوداً ومهيبةً فوجود الغضب أيضاً من رحمة الله على عين الغضب فعلى هذا سبقت رحمته غضبه، لأنَّ الوجود عين الرحمة الشاملة للجميع كما قال سبحانه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ومن جملة الأعيان

والمهيات التي نالتها كلها الرحمة الوجودية هو عين الغضب و الانتقام . فبالرحمة  
أوجد الله عين الغضب فيكون أصله خيراً أو كذا ما يترتب عليه من الآلام والأسقام والبلايا  
والمحن وأمثالها مما لا يلائم بعض الطبائع، وإليه أشار عليه وآله السلام بقوله: **إِنَّ الْخَيْرَ**  
**كَلَّهُ بِيَدِكَ وَالشَّرَّ لَيْسَ إِلَيْكَ**. ومن أمعن النظر في لوازم الغضب من الأمراض والآلام  
والفقر والجهل والموت وغير ذلك، يجدها كلها بما هي أعداماً أو أموراً عدمية  
معدودة من الشرور. وأما بما هي موجودات فهي كلها خيرات فائضة من منبع  
الرحمة الواسعة والوجود الشامل لكل شيء فعلى هذا يجزم العقل بأن صفة الرحمة  
ذاتية لله تعالى و صفة الغضب عارضية ناشية من أسباب عدمية. إماماً لقصور الوجودات  
الإمكانية عن الكمال بحسب درجات بعدها عن الحق القيوم أولعجز المسادة عن قبول  
الوجود على الوجه الأتم فيكشف عند ذلك أن مآل الكسل إلى الرحمة كما ورد في  
الحديث فيقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم  
الراحمين <sup>(٢)</sup>

قال الشيخ العربي في الفتوحات المكية: واعلم إن الله يشفع من حيث  
أسمائه فيشفع اسمه أرحم الراحمين عند اسمه القهار وشديد العقاب ليرفع عقوبته عن  
هؤلاء الطوائف . فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط ، وقد نبه الله تعالى على  
هذا المقام فقال: **﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾** فالمتقى إنما هو جليس الاسم  
الإلهي الذي يرفع منه الخوف في قلوب العباد. فسمى جليسه متقياً منه فيحشره الله من  
هذا الاسم إلى الاسم الذي يعطيه الأمان مما كان خائفاً منه ، ولهذا يقول صلى الله عليه وآله

(١) في جامع الاصول: كتاب الدعاء (٥/٤٠) : الخير كله في يدك ...

(٢) المسند : ٩٤/٣ .

في باب الشفاعة: وبقي أرحم الراحمين. فهذه النسبة ينسب الشفاعة إلى الحق من الحق من حيث أسماءه. انتهى كلامه .

حكى الشيخ العراقي في رسالته المسماة باللمعات انه: سمع أبو يزيد البسطامي هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا﴾ [٨٥/١٩] فشهو شهقة وقال: من يكون عنده كيف يحشره إليه. وجاء آخر فقال من اسم الجبار إلى اسم الرحمن و من القهار إلى الرحيم. انتهى .  
أقول إنما أشار العراقي بقوله، وجاء آخر إلى الشيخ المذكور الذي نقلنا كلامه المشار إليه سابقاً<sup>(١)</sup>.

واعلم إن معرفة أسماء الله تعالى علم شريف ذوقى ومشرب عظيم دقيق قل من الحكماء من تفتن بعلم حقائق الأسماء إلا من كوشف بكون وجوده تعالى بأحديته الجمعية كل الموجودات قبل حصولها وإن عالم أسمائه عالم عظيم الفسحة فيه صور جميع الأعيان والمهيات وسنذكر نبذاً من هذا المقام في مستانف الكلام عند بيان قوله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا فَانظُرْهُ مَوْفَقاً انشاء الله .

(١) راجع الفتوحات المكية، الباب الثالث والثلاثون: ٢١٠/١ .

قوله جل اسمه :

## الْحَمْدُ لِلَّهِ

قيل : الحمد والمدح والشكر ألقاظ متقاربة المعنى . كما ان مقابلاتها وهي الذم والهجاء والكفر ان كذلك . وقيل : الأولان متراد فان وقيل : بل الحمد أخص منه لأنه مختص بالإختياري وقيل : الأخير ان متراد فان . فيقال : الحمد لله شكرأ . فنصبه على المصدرية يقتضى وضع أحدهما موضع الثاني فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم . والحق ان بين الحمد والشكر تعا كسافي العموم والخصوص بحسب المورد والمتعلق فان مورد الحمد هو اللسان سواء كان بازاء النعمة الواصلة أم لا . وأما الشكر فهو على النعمة خاصة ومورده يعم الجنان واللسان والأركان كما قال :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة \* يدي ولساني والضمير المحجبا

فالحمد إحدى شعب الشكر بوجه ، وإنما جعل رأس الشكر والعمدة فيه كما في قوله صلى الله عليه وآله : الحمد رأس الشكر . وقوله عليه السلام : ما شكر الله من لم يحمده - لكونه أشيع للنعمة وأدل على مكانها وأنطق للإفصاح عن بعض خفياتها في عالم الحس لخفاء عمل القلب وعقائده ولما في آداب الجوارح من الإحتمال .

ولما كان الحمد من المصادر التي ينصب بأفعال مضمرة لا يكاد يستعمل معها فأصله النصب والجملة فعلية وإنما عدل به إلى الرفع بالابتدائية . والظرف خبره . والجملة إسمية للدلالة

على ثبات الحمد ودوامه دون تجدده وحدوثه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [١٦٩/١] للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم تحية أحسن من تحيتهم لكون الإسمية دالة على معنى الثبات دون الفعلية .

وقرأ الحسن: الحمد لله باتباع الدال اللام وابن عيلة بالعكس والباعث لهما تنزيل الكلمتين المستعملتين معاً منزلة كلمة واحدة.

## فصل

### [حقيقة الحمد]

مامرّ من تخصيص الحمد باللسان وكون الثناء باللسان عمدة أفراد الشكر إنّما هو في نظر الحسن كما أو مانسا إليه وبحسب ما هو المتعارف عند المحجوبين، وأمافي عرف المكاشفين فالحمد نوع من الكلام وقدمران الكلام غير مختص الوقوع باللسان ولهذا حمد الله واثنى على ذاته بما هو أهله ومستحقّه كما قال النبي عليه وآله السلام: «لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» .

وكذا يحمده ويسبّحه كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [١٧/٤٤] فحقيقة الحمد عند العارفين المحققين اظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون بالقول كما هو المشهور عند الجمهور وقد يكون بالفعل وهو كحمد الله ذاته وحمد جميع الأشياء له وهذا القسم أقوى لأن دلالة اللفظ من حيث هو لفظ دلالة وضعية قد يتخلف عنها مدلولها ودلالة الفعل كدلالة آثار الشجاعة على الشجاعة وآثار السخاوة على السخاوة عقلية قطعية لا يتصور فيها تخلف فحمد الله ذاته وهو أجل مراتب الحمد هو ايجاده كل موجود من الموجودات فالله جل ثناؤه حيث بسط بساط الوجود على إمكانات لا تعدو ولا تحصى

ووضع عليه موائد كرمه التي لا تنتهي فقد كشف عن صفات كماله ونعوت جلاله وأظهرها بدلالات عقلية تفصيلية غير متناهية. فإن كل ذرة من ذرات الوجود يدل عليها ولا يتصور في العبارة مثل هذه الدلالات كما وقع التنبيه عليه في الحديث المنقول سابقاً

\* \* \*

فأجاده تعالى كل موجود هو الحمد بالمعنى المصدري بمنزلة التكلم بالكلام الدال على الجميل ونفس ذلك الموجود هو الحمد بالمعنى الحاصل بالمصدر؛ فإطلاق الحمد على كل موجود صحيح بهذا المعنى، وكما أن كل موجود حمد فهو حامد أيضاً لاشتماله على مقوم عقلي وجوهر نطقي كأرباب الأنواع وملائكة الطباع وغيرهم كما تقرر في موضعه ولذلك عبر في القرآن عن تلك الدلالة العقلية منه بالنطق في قوله تعالى: ﴿انطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ [٢٢/٤١].

وكذلك جميع الموجودات من حيث نظامه الجملي حمدٌ واحدٌ وحامدٌ واحدٌ لما قد ثبت أن الجميع بمنزلة إنسان واحد كبير له حقيقة واحدة وصورته واحدة وعقل واحد وهو العقل الأول الذي هو صورة العالم وحقيقته وهو الحقيقة التمامية المحمدية فأجل مراتب الحمد وأعظمها هي المرتبة الختمية المحمدية القائمة بوجود الخاتم (ص) من حيث وصوله إلى المقام المحمود الموعود في قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ فذاته المقدسة أقصى مراتب الحمد التي حمد الله بها ذاته. ولذلك خص بلواء الحمد وسمى بالحمد والأحمد والمحمود من مشتقات الحمد كما قيل.

ولا يخفى عليك إن القول بأن حقيقته صلى الله عليه وآله أقصى مراتب الحمد لا ينافي كونه بحسب وجوده العنصري أحد أجزاء العالم الكبير من حيث أن دلالة جميع الموجودات على جميل صفات الله (على جميع صفات الله - ن) تعالى أقوى من دلالة موجود واحد هو جزء العالم عليه وذلك لأن الإنسان الكامل له أطوار متفاوتة ونشآت متنوعة فله صلى الله عليه وآله جميع المقامات والنشآت في وقت ومقام له

أن يقول: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [١٨ / ١١٠] وفي وقت ومقام لأن يقول: لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ. وقوله: من أطاعني فقد أطاع الله ومن أبغضني فقد أبغض الله.

وكونه أقصى مراتب الحمد إنما يتحقق في مقامه الجمعي الأخرى الذي هو المقام المحمود ولهذا قال كما روي عنه صلى الله عليه وآله: فيلهمني الله محامداً أحمده به لا يحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد.

### مكاشفة

لما تقرر أن جميع مراتب الموجودات روحاً وجسماً عقلاً وحساً بجميع الألسنة قولاً وفِعْلاً وحالاً يحمدونه تعالى ويسبحونه ويمجدونه في الدنيا والآخرة بحسب الفطرة الأصلية ومقتضى الداعية الذاتية ولا شك أن لكل فعلٍ غريزي غاية ذاتية وباعثاً أصلياً وقد تقرر أن ذاته تعالى غاية الغايات ونهاية الرغبات ، فعلى هذا قوله: الحمد لله يمكن أن يكون إشارة إلى مبدء الوجود وغايته سواء كانت اللام في «الله» للغاية أو للاختصاص فمعناه على الأول إن حقيقة الوجود و جنسه إذا كان التعريف في الحمد للجنس أو الوجود كله إذا كان للاستغراق كما قيل لأجل استكمالها بمعرفته تعالى ووصولها إليه.

ومعناه على الثاني إن حقيقة الوجود أو جميع أفراده لله تعالى وإذا كانت هي له تعالى كان هو تعالى لها أيضاً بقوله صلى الله عليه وآله: من كان لله كان الله له. فذاته تعالى

(١) في البخارى (كتاب الاحكام : ٧٧/٩) : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله .

(٢) جاء ما يقرب منه في البخارى : ١٤٩/٩ ، ١٧٩٥ ، والمسند ٣/٢٢٤٨ و ٢٠٢٤٦/٢٣٦٤ .



علة تمامية كل شيء وغاية كمال كل موجود إما بلا واسطة كما للحقيقة المحمدية التي هي صورة نظام العالم وأصله ومنشأه، وإما بواسطة فيضه الأقدس ووجوده المقدس كمال سائر الموجودات وفيه سر الشفاعة ولواء الحمد.

قوله جل اسمه :

## رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾

الربُّ إمَّا صِنْفٌ وإمَّا مصدرٌ ووصف به مبالغةٌ كالعدل. سمي به السيّد المطاع كقول  
 لبيد: وَأَهْلَكَنَّ يَوْمًا رَبَّ كِنْدَةَ وابنه. <sup>١</sup> أي سيّد كِنْدَةَ. والمالك كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
 لرجل: أَرَبُّ غَنَمٍ أَنْتَ أَمْ رَبِّ إِبِلٍ؟ فقال: من كل ما آتاني الله فأكثر وأطيب. والصاحب  
 كقول أبي ذؤيب:

قَدْ نَالَ رَبُّ الْكَلَابِ بِكَفِّهِ \* بيض رهاب ريشهن مقزع

أي صاحب الكلاب وغير ذلك. واشتقاقه من «التربية» وهي تبليغ الشيء إلى  
 كماله تدريجاً. ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيداً كقولهم: رَبُّ الدار وربّ الناقة. وقول  
 الإسراقيين للصورة المفارقة للطبائع الجسمانية رَبِّ النواع وقوله تعالى: ﴿إِذْ رَجَعُ  
 إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [٥٠/١٢] ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [٢٣/١٢] .

وقرء زيد بن علي عليه السلام بالنصب على المدح أو النداء أو بفعل مضمّر

دلّ عليه الحمّد .

والعالمون جمع عالم. وهو جمع لا واحد له من جنسه كالنفر والرهط .  
 واشتقاقه: أمّا من العلامة فهو اسم لما يعلم به كالمخاتم لما يختم به  
 والقالب لما يُقَلَّب به. غلب فيما يعلم به صانعُه. وإمّا من العلم لأنه يقع على ما يعلم وهو في  
 عرف اللغة عبارةٌ عن جماعة من العلماء من الملائكة والثقلين. وإنّما جُمع ليشمل كلّ

(١) تمام البيت: ورب معدّين خبت وعرعر .

(٢) جاء في مجمع البيان: ٢١/١ .

جنس من مسمّاه. وغلب العقلاء فيهم فجمع لمعنى وصفهم فيه بالواو والنون وقيل  
العالم لنوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والإنس وقيل هم العقلاء (الثقلان-ن)  
خاصة لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١/٢٥] وقيل: هم الإنس لقوله:  
﴿آتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٥/٢٦].

وفي المتعارف بين الناس، هو عبارة عن جميع المخلوقات من الجواهر و  
الأعراض وقد دلت عليه الآية ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [٢٣/٢٦-٢٤].

وفي تفسير البيضاوي وقيل عنى به الناس هيهنا فإن كل واحد منهم عالم من حيث  
أنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع،  
كما يعلم بما أبدعه في العالم الكبير، ولذلك سوى بين النظر فيهما، وقال  
تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٢١/٥] - انتهى.

أقول كون كل واحد من أفراد الناس أو أكثرهم مشتملاً على نظائر ما في العالم  
الكبير كلاً أو جلاً محل نظر. فرب إنسان لم يتجاوز عن حدود البهيمية إلى درجة  
العقل واشتماله على بعض نظائره غير مختص بالإنسان. ويمكن أن يراد بالعالَمين  
هيهنا العلماء من الإنسان أما على عرف أصل اللغة فظاهر، وأما على المتعارف بين  
الناس، فلأن كل عالم بالكسر عالم بالفتح أما باعتبار أن فيه من كل ما في العالم الكبير  
شيء لأن نشاته الكاملة مظهر جميع الأسماء والصفات الإلهية ومجمع كل الحقائق  
الكونية كما يعرفه متبوعوا آيات الآفاق والأنفس فيكون أنموذجاً لجميع ما في العالم  
فهو بهذه الاعتبار عالم صغير ولذلك سمى بالعالم الصغير فكأنه كتاب مختصر منتخب  
من جميع العالم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كما أن القرآن مع وجازته  
مشتمل على جميع ما في الكتب السماوية، وإما باعتبار أنه إذا برز باطنه إلى عالم

الآخرة وحشر إلى ربه يصير علمه عيناً وغيبه شهادة فكل ما يخطر بباله من الأفلاك والناصر والجنات والأنهار والحدود والقصور وغير ذلك يكون موجوداً في الخارج من غير مضايقة ومزاحمة فله من كل ما يريد ويستهيبه، ولو كان أعظم من هذا العالم بكثير فهو بهذه الاعتبار عالم كبير برأسه ليس جزءاً من أجزاء هذا العالم ولهذا سمي بالعالم الكبير، بل بالعالم الأكبر أيضاً نظراً إلى هذا.

وتسميته بالعالم الصغير إنما وقع نظراً إلى الاعتبار الأول فعلى ما بيننا زال الإشكال الذي ورد ههنا من أن الإنسان جزء من العالم فكيف يزيد على الكل.



وقد تكلف بعض أهل النظر ممن يريد أن يطير مع الطيور السماوية بأجنحة عملية صنعها بيديه وأصقفتها بجنيبه في دفع هذا الإشكال بهذا المقال وهو: إن أهل الذوق يجعلونه من حيث الوجود الخارجي وما يشتمل عليه من الأجزاء والأحوال جزءاً من العالم حتى يكون العالم الصغير الذي يكون الإنسان كبيراً بالنسبة إليه هو الموجودات الخارجية والعالم الكبير هو الإنسان بجمبع ما يشتمل عليه من الموجودات الخارجية والذهنية فيزيد على العالم بالموجودات الذهنية. ثم اعترض على نفسه اعتراضاً وارداً لمدفع له بقوله:

فإن قلت: العالم الكبير أيضاً يشتمل على الموجودات الذهنية. إذ العقول والنفوس الفلكية ناطقة مدركة للأشياء كما هو المشهور بين الفلاسفة، فأجاب عنه بقوله: قلت أما العقول فلا احساس لها مطلقاً. وأما النفوس الفلكية فلا احساس لها بالحواس الظاهرة انتهى.

أقول: ولا يخفى مسافيه من الركافة. فإنّه على تقدير صحته لا يثبت إلا كونه كبيراً بالنسبة إلى العقول والنفوس، لا بالنسبة إلى مجموع العالم المشتمل على العقول والنفوس الكلية المدركة للكليات وعلى النفوس الجزئية الحيوانية المدركة للجزئيات

فالحقّ ما ذكرنا من أنّ الإنسان الكامل عند خروج روحه عن مشيمة هذه العالم ونشر صحيفة ذاته يكون كما أشار إليه أبو يزيد البسطامي بقوله : لو أنّ العرشَ ومساواه ألف مرّة وقع في زاوية قلب العارف لما ملأه ، وقد أشار بعض أكابر العارفين في نظمه إلى هذا المعنى حيث قال :

ياخالقَ الأشياءِ في نفسه      أنتَ لِمَا تخلّقه جامعُ  
تخلّقُ ما لا ينتهى كونه      فيكَ فأنتَ الضيقُ الواسعُ  
من وسعَ الحقّ فما ضاقَ عن      خلقَ فكيفَ الأمرُ يا سامعُ  
فقوله من وسع الحقّ إشارةً إلى الحديث القدسيّ المشهور أعنى قوله سبحانه ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن .

### تنبيه

#### [ في ان العالم دائم الحدوث ]

ذكر البيضاوي<sup>(١)</sup> إنّ فيه دليلاً على أنّ الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقاءها بناءً على ما ذكر سابقاً معنى التربية تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً .

وأقول : ليس فيه دليلٌ على ذلك إذ الشيء التدريجيّ لما كان حصوله على هذه الوجه فجميع زمان وجوده هو بعينه زمان حدوثه فالنامي مثلاً زمان نموّه من أول نشوئه إلى منتهى كماله المقداري هو زمان حدوث مقداره الحاصل له شيئاً فشيئاً، وكفعل الصلوة فإن زمانه من لدن أول تكبيرة الافتتاح إلى آخر تسليمه الاختتام كلّ وقت الحدوث لا وقت البقاء . نعم فيه دليلٌ على أنّ العالم تدريجيّ الحصول متدرج في التكوّن

(١) البيضاوي : تفسير سورة الحمد : ٤ .

ونحن قد أثبتنا في العلوم البرهانية حدوث العالم بإقامة البراهين القطعية على أن جواهر هذا العالم والصور الطبيعية للأجرام السماوية والأسطقسية كلها تدريجية الكون سيالة الحصول غير قارة الوجود كالحركة المتصلة ومقدارها من الزمان وهذا التحقيق من المطالب الشريفة اختص بدر كها القلوب المنورة بنور الإيمان والتابعة دون النفوس المقتصرة على الأنظار الكلامية والآراء الفلسفية ، وبه يظهر السر وينكشف الأمر في أن خلق السموات والأرض وما بينهما لماذا كان في ستة أيام كما سيجيء بيانه في موضعه .

قوله جل اسمه :

### الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آية قدمضى تفسيرها وإنما وقع ذكرها ثانياً للمبالغة والتأكيد. أولان في الأول ذكر الإلهية فوصل بذكر النعم التي بها يستحق العبادة وهي هنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما يستحق به الحمد والشكر على النعم فليس فيه تكرار.

## مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾

قرء عاصم والكسائي وخلف ويعقوب بالألف ، والباقون بغيره . وقرء بتسكين اللام . وقرء بلفظ الفعل ونصب اليوم . وقرء مَالِكٌ - بالفتح - ومَلِكٌ - كذلك - على المدح أو الحالية ، ومالك - بالرفع منوئاً ومضافاً - على أنه خبر مبتدء محذوف . ومَلِكٌ كذلك .

قيل : المختار بغير الألف لأنه أمدح ، ولأنه قراءة أهل الحرمين ، وقوله : ﴿لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ [١٦/٤٠] ولقوله : ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [٢/١١٤] . ولأن المَلِكُ بعمّ والمَلِكُ بخصّ . ولأنه لا يكون إلا مع القدرة الكثيرة والاحتواء على الجمع الكثير بالسياسة والتدبير .

ولمن قرء بالألف أن يقول : إن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون مالكا للشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه . وقد يدخل في المَلِكُ ما لا يصحّ دخوله في المَلِكُ يقال : فلان مَالِكُ البهائم . ولا يقال : مَلِكُ البهائم .

ومن هذا ظهر أن الوصف بالمَلِكُ أعمّ من الوصف بالمَلِكُ ولأنه تعالى مالك كل شيء ووصف نفسه بأنه ﴿مَالِكُ الْمَلِكِ﴾ [٢٦/٣] .  
والحق إن لكل من الوصفين شيء من الفضيلة بحسب المفهوم على الآخر والله متّصف بكمال كل من المَلِكُ والمَلِكُ .

\* \* \*

ويوم الدين بمعنى يوم الجزاء ومنه كما تدبّر تدان<sup>(١)</sup> وأضافة ملك إلى الزمان كما يقال : ملوك الزمان وملوك الدهر وملك زمانه وسيّد عصره فهو في المدح أبلغ<sup>(٢)</sup> ومعناه

(١-١) كذا . والظاهر ان مكان هذه الفقرة بعد قوله .. « بالسياسة والتدبير » من ٨ .

ملك الأمور يوم الدين إجراء للظرف مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم: ياسارق الليلة أهل الدار. ومن هذا القبيل ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [٢٤/٧].  
 اعلم إن إضافة اسم الفاعل إذا أريد به معنى الحال أو الاستقبال لا يكون حقيقية معطية للتعريف، فلم يجر وقوعه صفة للمعرفة، فكان في تقدير الانفصال. وأما إذا أريد به معنى المضى أو الاستمرار كانت حقيقية فالأوليان كقولك: مالك الساعة. ومالك غد. والأخيرتان كقولك: زيد مالك عبده أمس. وهو مالك العبيد. وهذا هو المراد في مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ .

### مكاشفة

إيجاد الأشياء إمام على سبيل التكوين كخلق الأبدان وما في حكمها بحسب النشأة الأولى، وإمام على سبيل الإبداع كانشاء الأرواح وما في حكمها بحسب النشأة الثانية. والله تعالى خالق الخلق والأمم جميعاً، مالك الملك والملوك ملك الدنيا والآخرة فلما أشار إليهما بذكر صفتي الرحمانية والرحيمية بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق لاستجماعه جميع الصفات الكمالية، بين كيفية الخلق في الدنيا بقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ لما مرّت الإشارة إليه من أنّ هذا العالم الدنيوي وجوده وإنما يكون على سبيل التدرج والحدوث شيئاً فشيئاً. وبين كيفية إنشاء النشأة الأخرى بقوله: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إذا الملك الحق من له ذات كل شيء ولا يغيب عنه شيء أصلاً. فيكون وجود الأشياء عنه وله دفعة من غير تراخ وهذا معنى الإبداع والأول معنى التكوين. وإنما سمي يوم الآخرة يوم الدين لأن فيه وصول الأشياء إلى غاياتها الذاتية وثمراتها التي هي بمنزلة الجزاء والأجرة على الأعمال لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [١٧/٤٠] ولهذا قيل: الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء كما



في قوله ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا سَلَفَتْ وَرَدُّ وَاللَّيُّ اللَّهُ مَوْلِيَهُمْ الْحَقُّ ﴾ [٣٠ / ١] لأن الأولى عالم الحركات والانتقالات في الأطوار والأخرى هي الوطن والمأوى وهي دار القرار ومنزل الأبرار والأشرار .  
ولهذا قال أبو علي الجبائي: أراد بيوم الدين يوم الجزاء على الدين . وقال محمد ابن كعب: أراد يوم لا ينفع إلا الدين .

### نكتة اخرى

فيه الإشارة الى اختصاص يوم القيامة بذكر الملك فيه

يستدعى بيانه تمهيد مقدمة هي إنَّ

بعض الموجودات ممَّا لا يتوقَّف وجوده إلا على فاعله وغايته لكون امكانه الذاتي كافيًا في فيضانه عن الفاعل الأول جلَّ ذكره . ومنها ما هي متوقِّفة الوجود على قابلٍ مستعدٍّ واستعداد خاص قريب أو بعيد مرهونة بأوقانها المعينة . ولها عللٌ معدَّة مقربة لموادها إلى فاعلها الحقيقي المتساوي نسبة جوده إلى الجميع في قبول الوجود منه . وكثيرٌ من الناس حتَّى طوائف من المترسِّمين بالعلم والدراية يزعمون إنَّ الأسباب المعدَّة للأفاعيل المباشرة للتحرركات والنسكينات إياها هي الفاعلة الموجودة لها ويظنون لقصور النظر وكثرة الحجب وأغلاط الحواسِّ إنَّ القدرة ثابتة لغير الله لما يترائي لهم من جريان الأفاعيل على أيدي الأسباب ، وظهور الأمور من الضرب والإحسان والجود والإمتنان والايلام والإنعام والقتل والتجاوز والرق والعنق وغيرها على أيدي ذوي الشوكة من الملوك والسلاطين والظلمة . ولم يعلم أحدهم إلا العرفاء بالله خاصَّة إنَّ هذه الأسباب بمنزلة أعيان منصوبة مقرونة بما يجري عليها من صدور هذه الآثار بل تأثير من قبلها وإنَّ زمام هذه الأمور كلها بيد مالك الملوك .

وإذا تفرّرت هذه المقدمة فنقول: لمّا كان هذا الاشتباه والاعتراض بظواهر الآثار إنّما اختصّ مدار الدنيا ونشأ للناس من جهة غشاوة هذا الأدنى وفي الآخرة يكشف الغطاء ويرتفع الغشاوة عن وجوه البصائر والامتراء ويظهر أنّ الكل لله ومن الله وإلى الله قال: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وعلى طبق قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾ [٤٤/١٤] لا بمعنى أنّه يصير كذلك في ذلك اليوم بعد ما لم يكن، بل الأمر كذلك أبداً بحسب نفس الأمر، لكن لمّا لم يصبر منكشفاً على الخلاق إلا بعد بروزهم عن مكامن هذه الظلمات والغشاوات ووصولهم إلى عالم الآخرة فإذا برزوا من الدنيا وحشروا إلى الآخرة شاهدوا بعين العيان ما سمعه بعضهم بسمع الإيمان، فالتفاوت إنّما هو في الشعور لا في الأمر نفسه كما توهمه العبارة ولذلك قال قائلهم:

توهّمت قدماً أنّ ليلى تبرّقت  
وانّ لنسافي البين ما يمنع اللّثما  
فلاح ولا والله إنّما حاجب  
سوى أنّ عيني كان عن حسنها أعمى

<sup>(١)</sup> ولأنّ الأسباب هناك منحصرة في السبب الفاعلي والغائي - كما مرّ - ولا وجود للقوى والاستعدادات في الآخرة إذ كلّ ما بالقوّة يصير هناك بالفعل فالفاعل لازم للفاعل بلاقابل والله مسبّب كل سبب موجود وموجد كلّ فاعل لوجوده؛ فقوّته تعالى يقهر القوى كلّها وعند نوره ينكشف كلّ نور وضياء فهو مالك جميع الأشياء يوم يطوى فيه بساط الأرض والسماء وهبها يكون الأمور مرهونة بأوقانها متعلّقة الوجود بالقوابل واستعداداتها - كما قال ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦/٤٠].<sup>(١)</sup>

(١-١) هذه الفقرة جاءت في حاشية المخطوطة بعلامة تشير إلى أن موقعها من المتن بعد قوله (س ٤) قال: مالك يوم الدين.

قوله جل اسمه :

## إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١٥٠﴾

إِيَّا ضَمِيرٌ مَنْفَعِلٌ لِلْمَنْصُوبِ وَالرَّوَادِفُ الَّتِي بَعْدَهُ مِنَ الْحُرُوفِ لِبَيَانِ الْخُطَابِ وَالغَيْبِيَّةِ وَالتَّكَلُّمِ وَلَيْسَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ إِذْ لَيْسَتْ هِيَ بِأَسْمَاءٍ مَضْمُورَةٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ . وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ : «إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ فَيَأْتِيهِ وَإِيَّا الشَّوَابَ» فَشَاذٌ ، وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ . فَقَوْلُكَ لِلرَّجُلِ : إِيَّاكَ أُعْنِي . مَعْنَاهُ لَا أُعْنِي غَيْرَكَ : وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ : أُعْنِيكَ . كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ أَغْبِرُ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا﴾ وَالْمَعْنَى : نَخَصَّكَ بِالْعِبَادَةِ وَنَخَصَّكَ بِالِاسْتِعَانَةِ . وَقَرَأَ إِسَّاكَ بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَأَيَّاكَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّشْدِيدِ وَهِيَ بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ هَاءٌ . وَقَرَأَ بِكَسْرِ النُّونِ فِيهِمَا وَهِيَ لُغَةٌ بَنِي تَمِيمٍ فَإِنَّهُمْ يَكْسِرُونَ حُرُوفَ الْمُضَارَعَةِ غَيْرَ الْيَاءِ إِذَا لَمْ يَنْضَمْ مَا بَعْدَهَا . وَالْعِبَادَةُ ضَرْبٌ مِنَ الشُّكْرِ وَغَايَةٌ فِيهِ لِأَنَّهَا الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ يَدُلُّ عَلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّعْظِيمِ وَلا يَسْتَحِقُّهَا أَحَدٌ إِلَّا بِإِعْطَاءِ أَصُولِ النِّعَمِ الَّذِي هُوَ خَلْقُ الْحَيَاةِ وَالتَّقْدِيرُ وَالحَسَنُ وَالشَّهْوَةُ . وَلا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ فَلِذَلِكَ اخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِأَنْ يُعْبَدَ ، وَلا يَجُوزُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ بِخِلَافِ الطَّاعَةِ فَإِنَّهَا قَدْ تَحَسَّنَ لِغَيْرِهِ كَطَّاعَةِ الْأَبِّ وَالمَوْلَى وَالسُّلْطَانِ وَالرَّوْجِ . فَمَنْ قَالَ : إِنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الطَّاعَةُ فَقَدْ أَخْطَأَ لِأَنَّهَا غَايَةُ التَّذَلُّلِ دُونَ الطَّاعَةِ فَإِنَّهَا مَجْرَدُ مَوَافَقَةِ الْأَمْرِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَبْدَ يَطِيعُ مَوْلَاهُ وَلا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ؟ وَالكُفَّارُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلا يَكُونُونَ مَطِيعِينَ لَهُمْ؟ إِذْ لا يَتَصَوَّرُونَ مِنْ جِهَتِهِمُ الْأَمْرَ .

## فائدة

إنّ في تقديم إياك على نعبدُ جوهاً :  
 منها : إنّ في هذا التقديم تنبيهاً منه للعابد على أنّ المنظور إليه في العبادة هو المعبود  
 نفسه لاشيء آخر من طلب ثواب أو دفع عقاب .  
 ومنها : إنّ قدم نفسه لتنبيه العابد من أول الأمر على أنّ المعبود هو الله الحقّ فلا يلتفت  
 يميناً وشمالاً ولا يتكاسل في الطاعات ولا ينقل عليه تحمّل العبادات من الركوع والسجود  
 فإنّه إذا ذكر قوله : إياك ، يحضر في قلبه معرفة الربّ تعالى فبعده سهلت عليه تلك  
 الطاعات وهانت عليه مشقّة العبادات ، ومثاله من أراد حمل جسم ثقيل يتناول قبل  
 ذلك ما يزيد قوةً وشدّةً فالعبدُ لمّا أراد حمل التكليف الشاقّة يتناول أولاً معجون  
 معرفة الربوبية من قوله إياك حتّى يقوى على حمل ثقل العبودية .  
 ومنها : إنّك إذا قلت : نعبدك بتقديم ذكر العبادة منك ، فقبل أن تذكر إنّها لمن هي  
 فيحتمل أنّ الشيطان يقول : إنّها للاصنام أو للأجسام كالشمس والقمر : أما إذا غيرت  
 هذا الترتيب وقلت أولاً : إياك ثمّ قلت : ثانياً : نعبدُ فلم يبق مجال لهذا الاحتمال وكان  
 أبلغ في التوحيد وأبعد عن احتمال الإشراك .  
 ومنها : إنّ المعبود متقدّم في الوجود والشرف على الممكن وكان ينبغي أن يكون  
 ذكره متقدّماً على ذكر غيره .

## فائدة اخرى

[سر الالتفات من الغيبة الى الخطاب]

اعلم إنّ الدنيا لما كانت دار التعب والكلال والسامة والملال فمن عادة فصحاء  
 العرب الفنن في الكلام والعدول من طرز إلى طرز تنشيطاً للسامع وتنبيهاً لذهنه عند

العدول من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى التكلم وبالعكس. وهذا أحسن من الجري على نسق واحد واللزوم لمسلك متكرر. ومع ذلك قد تختصّ مواقع الالتفات بزوائد فوائد من النكات، لا تحصل بدونها. وهي هنا من هذا القبيل. إذ قد تقرّر في العلوم الإلهية انشدة الإدراك وتؤكد الصورة العلمية في الوضوح والإنارة وقوة الشوق إلى المدرك ورسوخه بوجود حضور المعلوم، ولهذا قيل: المعرفة بذر المشاهدة والرؤية ثمرة اليقين.

فلما ذكر الله تعالى وأجريت عليه صفات كمالية ونعوت إلهية من كونه حقيقاً بالحمد رب العالمين موجداً لكلّ منعماً عليهم بالنعمة كلها، جليلها ودقيقها، دنوبها وأخروبيها، محسوسها ومعقولها، مالمالكاً لامورهم يوم الجزاء واللقاء، تميّزها ذاته عن سائر الذوات و تنور القلب بأنوار معرفة هذه الصفات وفتحت البصيرة بكشف هذه الآيات وتعلّق العلم بمعلوم معين حاضر حضوراً إشراقياً فخطب بالكلام: يا من هو بالحمد حقيق وبهذه الصفات الكمالية يليق نخصّك بالعبادة والاستعانة. ليكون الخطاب أدلّ على هذا الاختصاص ولاستجلاب مزيد قرب بعد قرب في هذا التذلل والانكسار وطلب معونة من قربه على قربه لأن ذاته غير متناه في شدة الوجود وقوة البهاء والعظمة لا يمكن الاكتماله بنور وجوده، فكلمنا كوشف للسالك كان المستور منه بستر الجلال و سراق الكبرياء أعظم بما لا نسبة بينهما. إذا المنال والمشهود هناك بقدر قوة نظر الطالب ونور بصيرته، لا بحسب المطلوب نفسه. وكلما ازداد في القرب ازداد في الاشتياق ويكون أحوج إلى طلب المعونة لزيادة المشاهدة وكسب الإشراق، فكان أول الكلام مبنياً على ما هو بداية أمر السالك من الأذكار والأفكار والتأمل في الأسماء والنظر في الآلاء والنعماء طلباً للاستبصار وتقرباً إلى مشاهدة نور الأنوار واستدلالاً من صنائعه على أسمائه وصفاته ومن أسمائه وصفاته أنوار جماله وأسرار جلاله ثم صار مؤدياً إلى منتهى سيره وغاية سفره إلى الحق وهو كونه ممّن يخوض لجة الوصول وبصير من أهل

المشاهدة فإراه عياناً ويشاهده كفاحاً ويشافهه شفاهاً كما أشار إليه صاحب الإشارات<sup>١</sup> المرتقى بصفاء ضميره عن درجة أهل العبادات الواصل إلى مقامات العارفين ودرجات المكاشفين كما يفصح عنه قوله: «وهناك أي عند الخوض في لجة الوصول والسفر في بحر الحقيقة بعد العبور على منازل العقول» درجات ليست أقل مما قبلها بحسب كثرة العجائب وفنون الغرائب وتمادى الأسفار ووتباعد المراحل وتفاوت المنازل لأن كل حقيقة من الحقائق الكونية وكل صورة من الصور الكمالية الوجودية التي هي ثابتة للموجود بما هو موجود في شيء من العوالم فهي هناك بالفعل على وجه أعلى وأشرف وأتم من غير لزوم تكثر وتطرق تغيير في الحضرة الأحدية، فالذات الأحدية أرض كل الحقائق وسماء أنوار الهويات يقع فيه سير المسافرين ويدور عليه أنوار السائرين من الله مشرقها وإلى الله مغربها إزماشانه أن يعاين بحق اليقين وعينه فكيف يمكن أن يدرك بعلم اليقين أودونه؟

إلا انّ البيان قاصر عن وصفه واللسان بكل عن نعتة، ولهذا قال صاحب المقامات - اعتذاراً عن بيان أحوال هذا المشهد<sup>٢</sup> - : «آثرنا فيها الاختصار فإنها لا يفهمها الحديث ولا يشرحها العبارة ولا يكشف عنها المقال غير الخيال، من أحب أن يتعرفها فليتدرج إلى أن يبصر من أهل المشاهدة دون المشافهة ومن الواصلين إلى العين دون السامعين للآثر انتهى كلامه .

ونحن أيضاً قد آثرنا الاختصار في مقام خرس في السن الفصحاء واتبنا قول

سيدنا ونبينا عليه وآله الصلوة والدعاء : إذ ابلغ الكلام إلى الله فامسكوا!

(١) الإشارات والتنبيهات : النمط التاسع ، الإشارة السادسة عشرة .

(٢) جاء مثله عن الصادق (ع) : باب النهي عن الكلام في الكيفية : ٩٢/١ .

## بصيرة

[ سر تقدم اياك نعبد على اياك نستعين ]

اعلم إن الانسان مركب من جسد كالمركب وروح كالراكب وهو منذ خلقه الله في سفر الآخرة وغاية سفره لقاء الله لهذا خلق وعليه فطرو وجبل وهو المقصود من الروح، والمقصود من الجسد اكتساب المنافع واقتناء الخيرات والتخلص عن الشرور والافات . وهو المعني بالعبادة والخدمة .

فلا جرم كان أفضل أحوال الجسد أن يكون آتياً بالأعمال المقرّبة للروح إلى الله تعظيماً للمعبود وخدمة له، وهو أول درجات السعادة للإنسان وهو المراد بقوله تعالى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ.**

وأفضل أحوال الروح أن يكون مرتبطاً بالحق متعلقاً به منقطعاً عن غيره متجرداً عن الدنيا وما فيها، فإذا واظب على تحصيل هذه المرتبة وداوم على تجريد ذاته وتخليصها عن العلائق المادية والغواشي الدنيوية فعند ذلك يظهر له شيء من أنوار القدس ولو امع الغيب فإذا تنور ذاته بنور المعرفة والعبادة يعلم إن مبدء شوقه إلى عالم الملكوت ومحرك ذاته لطلب التقرب إليه تعالى لم يكن ولا يكون إلا الله مقلب القلوب ومحرك النفوس وإنه بنفسه لا يستقل بالإتيان بهذه العبادات والتدرج على هذه الدرجات ولا يمكنه الإتيان بتحصيل شيء من الكمالات العلمية والعملية إلا بتوفيق الله وعنايته وعصمته وهو المراد من قوله تعالى: **وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.**

وفيه أيضاً حجة<sup>لاهل</sup> التوحيد الأعالي، قال بعض العرفاء الموحدين: ولو لأن العباد دعى الاستطاعة في الأفعال والاستقلال بها لما أنزل الله عليه تكليفاً قطّ ولا شريعة لهذا جعل حظّ المؤمن من هذه الدعوى أن يقول **إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** وحظّ العرفاء المكشفين ممن وقع عنهم التبرّي من الأفعال الظاهرة وجودها منهم أن يقولوا: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ** فهذا

القول لا يصدر على وجه الصدق إلا عن أولئك الكاملين العارفين بهذا التوحيد الأفعالي  
فهولهم خاصة دون غيرهم، فكم بين الحالين من التبرّي والدعوى. فالمدعي مطالب  
بالبرهان على دعواه، والمتبري غير مطالب بذلك. ولانقل إن التبري أيضاً دعوى، فإن  
التبري لا يبقى شيئاً وعلى ذلك ينطلق إسم المتبري - انتهى كلامه.  
وبالجملة فالمراد من قوله: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، طلبُ الهداية لأقرب المناهج  
وأقوم الطرق إلى الله وفيه كما وقع الإفصاح عنه بعد هذه الآية بما يتلوها.

### بصيرة اخرى

#### [الإشارة إلى السفر الثالث من الأسفار الأربعة]

الضمير ان المستكثان في هذين الفعلين إمام النبي صلى الله عليه وآله وأمه أو للإمام  
وحاضري صلوة الجماعة معه. أوللقاري ومن معه من الحفظة. أوله ولسائر الموحدين.  
أدرج عبادته في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببر كاتها وتجاب  
إليها؛ كادراج البائع غير الرائج في جملة الرائج في بيع الصفقة، ومن ههنا يعلم سرّ  
شرعية الجماعات.

ولتقديم ضمير المعبود والمستعان به وجوه أخرى غير ما ذكر، كالتعظيم وتقديم  
ما هو مقدم في الوجود وللإشارة إلى أن نظر العابد والتفاته ينبغي أن يكون مقصوداً  
على ذات المعبود أو لا وبالذات ثم إلى العبودية لأنها وسيلة ووصلة بينه وبين الحق،  
فمن كان غرضه من المعرفة والعبادة نفسه أو نفس شيءٍ منهما فهو ليس من الموحدين  
ولامن العابدين لأنه يعبد غير الله وهذه حال المتبجح بزينة ذاته وإن كان بمعرفة الحق،  
وأما من عبد الله وغاب عن ذاته وعن عبادته فهو مستغرق في العبودية لله بما هي عبودية  
له وانتساب إليه نسبة الفقر والحاجة التي هي من أشرف النسب. فإن قصارى مجهود  
العبادين تصحيح هذه النسبة. ومن كان هذه حاله في العبادة فهو من الواصلين لامحالة.



اذملاحظة النسبة بماسهي نسبة عين ملاحظة المنسوب إليه. فهو بالحقيقة مستغرق في ملاحظة جناب القدس وغائب عن ماسواه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من أحوال نفسه إلا من حيث انها ملاحظة له ومفتقرة إليه. ولهذا رجح قول حبيب الله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [٤٠/٩] على قول كليمة: ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [٢٦/٢٦].

وبالجمله أشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية. والسبب العقلي فيه ان جميع الموجودات قابلة للرحمة الإلهية، والكمال الوجودي بحسب فطرتها الإمكانية وإنما المانع منها عن قبول الفيض الأتم والوجود الأشمل هو تقيده بقيد خاص وتصوره بصورة وجودية مخصوصة تضاد قيدا آخر وصورة وجودية أخرى بقدر تخلصه عن قيده الجزئي وانخلاءه عن صورته المخصوصة يستحق لكمال أتم وأعم وصورة وجودية أشمل وأكمل فإذا تجرد عن كل ماسوى الله وغاب عن كل اسم ورسم وحلية وصفة وحول وقوة كان الله له بدلاً عن جميع ذلك. فصار الحق حوله وقوته وسمعته وبصره ويده ورجله وجميع قواه وجوارحه كما ورد في الحديث القدسي<sup>(١)</sup> من غير تغيير وتكثير في ذاته وصفاته. تعالى عن ذلك علواً كبيراً

ولهذا أمثلة كثيرة:

منها: إن الهيولى الأولى للجسام لما كانت في ذاتها عارية عن كل صورة حسية وصفة جسمانية قبلتها كلها بخلاف المواد الثانوية لها فإنها من حيث استعدادها الخاص لا تقبل إلا الصورة واحدة. فكذلك النفس الإنسانية التي هي هيولى العقليات من شأنها أن تقبل سائر الصور العقلية والكمالات الملكوتية والأخلاق الحسنة كلها إلا أن تقيدها ببعض الصفات واحتجابها بحجب بعض الملكات يمنعها عن الاتصال بما فوقها.

ومنها: إن العناصر إذا امتزجت وتفاعلت وانفعل كل منها عن صاحبه انكسرت كيميائياً وكادت تخلع عنها صورها المتضادة الجزئية فعند انكسارها وشدة افتقارها

(١) الحديث المعروف: لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبته ...

إلى ما يحفظها عن الفساد فاض عليها المبدء الجواد بصورة كمالية جامعة لكمالات تلك الصور المتعددة بوحدها الجمعية، وقس عليها حال النفوس المتعددة عند اجتماعها في بيوت العبادة ومجالس العلم والذكور وتركها شواغلها الدنيوية كيف تُفاض عليها بركة الهيئة الجمعية وتتكشف عليها صورة المسئلة العلمية التي هي أشرف من تلك الشواغل.

ومنها: إن الجسم الملوّن الكثيف إذا زال بالتصقيل لون سطحه وضوئه، قبل بعد ذلك لون كل ما يقابله وضوئه وما ذلك إلا لأن الجسم الصقيل لالون له ولا ضوء له بالفعل مع أنه من شأنه أن يكون ذا لون وضوء لكونه كثيفاً.

ومنها: إن الجسم المشف من شأنه قبول الألوان كلّها وإذا اتصف بلون خاصّ يمتنع عليه قبول غيره بمائله أبيضاً أو بفساداً وأما أن الملوّن بغير السواد يقبل لون السواد فلأن غير السواد من الألوان بالقياس إلى السواد كاللالون بالقياس إلى اللون وهي هنا موضع تأمل.

ومنها: إن كلاً من مواضع الشعور الخمسة خالية عن الكيفيات المحسوسة بتلك الآلة فإن آلة البصر وهي الجليدية شفاقة وآلة الطعم وهي الرطوبة اللعابية عديمة الطعم وآلة الشم عديمة الرائحة وآلة السمع عديمة الصوت وكذلك حكم آلة اللمس فإنها وإن لم تكن خالية عن أوائل الكيفيات إلا أنها متوسطة بينها وقد تقرر إن التوسط بين الأضداد بمنزلة الخلوة عنها أو لا ترى أنك تقول للماء الفاتر: لا حار ولا بارد؟

ولأجل خلوة مادة كل من هذه القوى الحساسة عن جميع أفراد الصور التي هي واقعة تحت جنس محسوساتها صارت قابلة للجميع من غير تأبٍ وتعصٍ عن قبول شيء منها ما لم يعرض لها فساد أو مرض.

ثم إن مادة كلّ منها وإن لم تكن مقيّدة بصورة الكيفية التي يقع الإحساس بها من تلك الحاسة ولكنها مقيّدة بصور و كيفيات أخر من أجناس سائر المحسوسات

ولهذا اقتصر إدراكها على ما يخصها ولا يتجاوز عنه إلى المحسوسات الأربع الباقية ولخلوص القوة المتخيّلة عن هذه الكيفيات المحسوسة كلّها أدركت الجميع وأحضرتها لأنّ جوهر النفس الخيالية غير مبصرة ولا مسموعة ولا مضمومة ولا مذوقة ولا ملموسة ولها قوّة قبول هذه الأشياء كلّها فلا جرم تقبلها كلّها.

ومنها: إنّ ملكة العدالة النفسانية التي هي عبارة عن توسّط النفس الإنسانيّة في الشهوة بين الفجور والخمود وفي الغضب بين الجبن والتهور وفي القوّة الإدراكية بين الجريزة والبلاهة لما كانت بمنزلة كون النفس خالية عن الإتصاف بهذه الصفات الستة التي كلّ منها هيئة نفسانية شاغلة إياها إذا كانت راسخة عن طلب الحقّ وسلوك الأخرّة صارت بسببها مستعدّة للكمال العلمي، لأنّها عند انكسار هذه القوّة وانقهارها عن طلب مشتبهاتها ومقتضياتها تخلص عن انقيادها وطاعتها فيقع لها بقوّة عقلها الهيوي-لاني هيئة استعلائية عليها وقوّة نورية استعدادية لطاعة الحقّ وانقياده وقبول أنوار المعارف الإلهية وأسرار المقاصد الربوبية. فيصير عقله المنفعل علامةً بالحق مطيعاً لله تعالى.



فإذا علمت حال هذه الأمثلة فقس عليها حال السالك العارف بالله عند عدم التفاته بما سواه وعند كونه غير مشغول السرب غير الله وغير متبجح بزينة ذاته من حيث هي ذاته وإن كانت بصورة المعرفة وهيئة العبودية بل مع غيبته عن ذاته وغيبته عن غيبة ذاته وفنائه عن فنائه وحينئذ يكون باقياً ببقاء الله فوق ما كان باقياً ببقاء الله كما كان قبل الوصول وهذا هو مقام الفناء في التوحيد والمحو وإليه الإشارة بقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ.

فإذا بقى في هذا المحو ولم يرجع إلى الصحو كان مستغرقاً في الحقّ محجوباً بالحقّ عن الخلق كما كان قبل ذلك محجوباً بالخلق عن الحقّ لضيق وعائه الوجودي وامتناع قبوله التجلّي الذاتى الشهودي فكذلك الوجود في مقام هذا التجلّي والشهود احتجب

التفصيل عن شهوده واضمحلت الكثرة في وجوده مازاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات نور جلاله لاستغراقه في بحر التوحيد فلا ينظر إلى ماسواه ولا يستعين إلا بإياه فيقول عند ذلك : إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. أي في مشاهدة آلائك بمشاهدة ذاتك وصفاتك فحينئذ يرجع من الحق بالحق إلى الخلق وهذا هو السفر الثالث من الأسفار الأربعة الواقعة من الكاملين بالمكملين .

فإذا رجع بالوجود الحقاني الموهوب إلى حالة الصحو بعد المحو وانشرح صدره ووسع الحق والخلق صار منتصباً في مقام الاستقامة كما أمر الله به الرسول - صلى الله عليه وآله في قوله : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ ﴾ [ ١١٢ / ٨١ ] متوسطاً في صراط الحق بين التشبيه والتعطيل ، ناظراً بعين الجمع إلى التفصيل ، وإليه الإشارة بقوله : إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

وذلك هو الفوز العظيم والمن الجسيم فقوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ إشارة إلى مقام السلوك إلى الله والتقرب إليه بالعبودية التامة له وهي مرتبة الولاية المشار إليها في قوله : لا يزال يتقرب العبد إليّ بالنوافل حتى أحببته . وقوله : وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ إشارة إلى مقام الصحو بعد المحو وهي مرتبة النبوة ، المشار إليها في قوله تعالى : فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ الحديث .

### بصيرة

#### [ سر تقديم العبادة على الاستعانة ]

قيل : قدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي . وقيل : إن العبادة وسيلة لطلب الحاجة وتقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة وأسرع للقبول .

(١) راجع التوحيد للصدوق (ره) : ٤٠٠ . والبخاري : ١٣١ / ٨ .

وأقول : لَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ أَشْرَفَ مَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ وَأَجْلُ مَقَامَاتِهِ  
تَحْصِيلُ نِسْبَةِ الْإِمْكَانِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ وَلِهَذَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْعِبُودِيَّةِ  
عَلَى ذِكْرِ الرِّسَالَةِ فِي قَوْلِكَ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُولَى عِبَارَةٌ  
عَنْ نِسْبَةِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَالثَّانِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَتِهِ إِلَى الْخَلْقِ. فَالْأُولَى يَكُونُ أَقْدَمُ مِنَ  
الثَّانِيَّةِ بِالْأَشْرَفِ وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ أَفْضَلَ مِنَ الْوَلِيِّ لِكَوْنِهِ جَامِعًا لِلْمَنْزِلَتَيْنِ جَمِيعًا فَكَذَلِكَ  
الْكَلَامُ هِيَهُنَا فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لِكُونِهَا وَسِيلَةً إِلَى الْحَقِّ أَشْرَفُ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ لِكُونِهَا وَسِيلَةً  
إِلَى الْخَلْقِ .

وَاعْلَمْ إِنَّ فِي تَقْدِيمِ الْعِبُودِيَّةِ عَلَى الرِّسَالَةِ فِي التَّشْهَدِ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ إِنَّ لِكُلِّ  
مِنَ الْوِلَايَةِ وَالنَّبُوَّةِ حُدُودًا وَبِقَاءً. فَالْوِلَايَةُ أَقْدَمُ حُدُودًا وَأَدْوَمُ بِقَاءً مِنَ الرِّسَالَةِ. فَنَاسِبُ التَّقْدِيمِ  
الْوَضْعِيِّ لِلتَّقْدِيمِ الزَّمَانِيِّ .

### وجه آخر

قِيلَ لِمَا نَسَبَ الْمُتَكَلِّمُ الْعِبَادَةَ إِلَى نَفْسِهِ كَأَنَّهُ أَوْهَمَ ذَلِكَ تَبْجِيحًا بِزِينَةِ ذَاتِهِ مِنْ جِهَةِ  
نِسْبَةِ الْعِبَادَةِ وَاعْتِدَادِ أَمْنِهِ بِمَا يَصْدُرُ عَنْهُ. فَعَقِبَهُ بِقَوْلِهِ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ أَيْضًا  
مِمَّا لَا يَتَمَّ وَلَا يَسْتَتَبُّ إِلَّا بِمَعُونَةٍ مِنْهُ وَتَوْفِيقِهِ. وَقِيلَ الْوَاوُ لِلْحَالِ .

قوله جل اسمه :

## أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾

الهداية لغة الإرشاد بلطف ولهذا يستعمل في الخير لافي الشر وقوله تعالى :

﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴾ [٢٣/٣٧] يحتمل أن يكون على سبيل التحكم

ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى

وقيل: معناه الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب ونقض بقوله ﴿ إِنَّكَ لَأَنْهَدِي

مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٥٦/٢٨]

وقيل: بل الدلالة الموصلة إلى المطلوب. وهو أيضاً منقوض بقوله ﴿ وَأَمَّا مَوْدُ

فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحَبُّوْا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [١٧/٤١]

والحمل على المجاز في كل منهما والحقيقة في الأخرى متصور .

وقيل: إنه تارة يتعدى بنفسها وتارة باللام أو بالي كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا

الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [٩/١٧] وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَنْهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[٥٢/٤٢] ومعناه على الأول الإيصال وعلى الأخيرين إراءة الطريق .

وفي الكشاف<sup>١</sup> : إن أصله أن يعدي باللام أو إلى فعومل معاملة اختار. في قوله تعالى :

﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ [١٥٥/٧] .

والصراط: الطريق الواضح المتسع. وأصله السين. لأنه من سراط الطعام إذا ابتلعه

فكانه يسراط السابلة ولهذا سمى لقمأ<sup>٢</sup> لأنه يلتقمهم فمن قرء بالسين كابن كثير برواية قبل

ورويس عن يعقوب راعى الأصل، ومن قرء بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة في

(٢) السابلة : المارة .

(١) الكشاف : في تفسير الآية : ٥٣/١ .

الاطباق والاستعلاء كقولهم مُصَيِّطِرٌ فِي مُسَيِّطِرٍ .

وقرء حمزة باشمام الصاد الزاي ليكون أقرب إلى المبدل عنه إذ قد يشتم الصاد صوت الزاي وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش ويجمع على «فَعْلٌ» ككِتَابٍ عَلَى كِتَبٍ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤْنُثُ كَالطَّرِيقِ وَالسَّبِيلِ .

\* \* \*

واعلم إن الأمر والدعاء يتشاركان صيغة ومعنى لأن كلا منهما طلبٌ وإنما يتفاوتان بالاستعلاء والتسفل أو بالرتبة . وأما معنى هذا الدعاء ففيه وجوه :

منها : إن معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله قد هدى الخلق كلهم إلى الصراط . أي طريق الحق من الإسلام إلا أن الإنسان قد تزلّ قدمه عن جادته وترد عليه الخواطر الرديّة فيحسن منه أن يسأل الله التثبيت على دينه و الزيادة على هذا كما قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَازْدَادَهُمْ هُدًى ﴾ [١٧/٤٧] وهذا كقولك لمن يأكل الطعام عندك :

كُلْ أَيُّ دُمٍّ عَلَى أَكْلِهِ .

ومنها : إن المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر، كما دللنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلًا كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ ﴾ [١١٢/٢١] وليس فيه تحصيل للحاصل .

ومنها : إن نفس الدعاء عبادة شريفة من جملة العبادات. وفيه اظهار للانقطاع إليه تعالى ، ويجوز أن يكون لنا فيه مصلحة من الخضوع والخشوع والتذلل وسائر ما يوجب تليين القلوب والتبتل إليه فتحسن المسئلة .

\* \* \*

وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه :

أحدها : إنه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام

١)

وابن مسعود .

وثانيها: إنه الإسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس .

وثالثها: إنه دين الله الذي لا يقبل غيره عن محمد بن الحنفية .

والرابع: إنه النبي والأئمة القائمون مقامه وهو المروي<sup>٢</sup> في أخبار أصحابنا والمأثور

من أئمتنا وأنوارنا عليهم السلام .

والأولى حمل الآية على العموم ليكون أجمع وأشبه منه بكلام من له الأحدية

الجمعية .

\* \* \*

قال بعض المحققين: هداية الله بتنوع أنواعها لا يحصيها عدّ لكنها في أجناس مرتبة.

الأول: إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الإهنداء إلى مصالحه كالقوة

العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة كما في قوله: ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [ ٥٠ / ٢٠ ]

و الثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل في الاعتقادات والصلاح

والفساد في الأعمال حيث قال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [ ١٠ / ٩٠ ] وقال ﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ

فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [ ١٧ / ٤١ ] .

والثالث: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإياها عنى بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ

أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [ ٧٣ / ٢١ ] وقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

والرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويربهم الأشياء كما هي بالوحي أو

الإلهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَتَقْدِهِ ﴾ [ ٩٠ / ٦ ] وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

(١) الدر المنثور : ١٥ / ١ .

(٢) نور الثقلين : ٢١ / ١ .



لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾ [٤٩/٦٩]

فالمطلوب ههنا إما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه، فإذا قال العارف الواصل: إهدنا. عنى أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشي أبداننا لنستضيء بنور قدسيك فنراك بنورك.

### مكاشفة

#### [الصراط ومرور الانسان عليه]

اعلم إن معرفة حقيقة الصراط واستقامتها والمرور عليه والضلال عنه من المعارف القرآنية التي يختص بدر كها أهل المكاشفة والمشاهدة وليس لغيرهم من سائر المسلمين إلا مجرد التصديق والإذعان به تسليماً وإيماناً بالغيب لا ببصيرة حاصلة من نور اليقين ونعم ما قبل من لا كشف له لا علم له .

واللمعة اليسيرة من هذا العلم :

هي إن الموجودات الممكنة منقسمة إلى قائمة ومتحركة . والعبارة من الأولى عالم الأمر والقضاء والإرادة ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ [٥٤/٥٠] ومنه نشأ الملائكة المقربون القائلون بأمره تعالى في منازلهم ومراتبهم المفطورون على كمالهم الأصلي، لا يتعدونه كل له مقام معلوم منهم سجود لايركعون ومنهم ركوع لا يسجدون. والعبارة من الثانية عالم الخلق والفعل والتقدير . قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٢١/١٠٤] وعالم الخلق دائم الحركة والانتقال والحدوث والزوال ونحن قد أقمنا البرهان على تجدد الطبائع الجسمية وسيلان الجواهر المادية برهاناً قطعياً. وبيناً إن غاية جميع هذه الحركات والانقلابات الإرادية والطبيعية هو الله تعالى وأن جميع الموجودات العالية والسافلة يتوجهون نحوه ويولون شطره بما يسرى إليهم من نور عشقه وفيض رحمته. وهذا المعنى مما

يمكن إدراكه بالحدس والتجربة لمانشاهد من كل موجود نراه شوقاً إلى ما هو أعلى منه وحركة إلى ما يشاقه ويتمناه ومعاد كل موجود إلى ما هو مبدؤه ومرجعه إلى ما هو منشأه وكل ما هو أعلى مبدؤه يكون أرفع غاية وأشرف مآباً ومرجعاً فمرجع العنصر إلى العنصر كماء المطر انفصل من البحر أولاً واتصل به ثانياً كان بحراً، ثم بخاراً، ثم انعقد سحاباً، ثم تقاطر أمطاراً، ثم جرى عيوناً وأنهاراً، ثم اتصل بالبحر فصار بحراً كما كان بعد أن تطور أطواراً. وكذا مرجع النبات مع زيادة منزلة وبركة كحال الحبة في تقاليب الأطوار إلى أن يبلغ مرتبة الثمار فيبتدي أولها وهو لب يدفن في الأرض وكأن يفسد ويغيب عن ذاته في الأماكن الغربية، ثم أفادها الله قوة محرّكة يستحيل بها من حال إلى حال حتى ينتهي إلى كمالها الأصلي فيبلغ إلى درجة اللب الذي كانت عليها في بدو أمره مع أعداد كثيرة من أفراد نوعه وفوائد زائدة من القشور والأنوار والأوراق والأزهار. وكذلك حال الحيوان فهو أعظم قوساً في العروج إلى الله وأبعد نزولاً وصعوداً من النبات وصورة الأركان ﴿مِمَّنْ ذَابَ إِلَهُهُ أَخَذَ بِنِصَابَتِهَا إِنَّ رَبِّي

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [٥٦/١١]

وأما الإنسان أي الحقيقي لا الصوري فهو الغاية والمقصود الأصلي من جميع الخلائق والأكوان ولأجله خلقت المكونات وترتبت الموجودات ونشأت المواليذ والآباء والأمهات فمنازل سيره وصعوده إلى الله واقعة على النصف الصعودي لدائرة الإمكان على عكس مراتب نزوله من عند الله الواقعة على النصف النزولي لهذه الدائرة، وذلك لأن الله مبدؤه ومعاده، وهو المهتدي المنعم عليه المعنى به من أول الأمر إلى آخر العهد فلم يزل الإنسان الذي سبقت له المشية الأزلية أن يستعمله الله لسبابة حكمته إلى غايتها منظوراً إليه في سائر مراتب الاستيداع من حيث أفراد الإرادة المنبثقة عن العلم الأزلي في مقام العلم الأعلى العقلي، ثم في مقام اللوح النفسي ثم في مرتبة الطبيعة باعتبار

ظهور حكمها في الأجسام، ثم في العرش المحدد للزمان والمكان مستوى الاسم الرحمن، ثم في الكرسي الكريم مستوى الاسم الرحيم، ثم في السموات السبع ثم في العناصر، ثم في المواليذ، وهلم إلى حين استقراره بصفة صورة الجمع بعد استيفاء مراتب الاستيداع، مخصوصاً بمزيد الاعتناء، موسوماً بسمّة التوفيق والهداية، مهتماً بامتثالاً تاماً مراعى في كل عالم و حضرة يمرّ عليهما بحسن الرعاية، مخدوماً بخدمة أهل ذلك العالم والمرتبة، ليرتّب به وبخدمته وإمداده وحسن تلقّيه أو لأومشايته ثانياً ذواتهم وصورهم بحسب ما يدر كونه فيه من سمة العناية وأثر الإختصاص . وما من عالم من العوالم العلوية مرّ عليه إلا وهو بصدد التعويق في الإنحراف المعنوي إن لم يتداركه العناية الإلهية لغلبة أحكام بعض النشآت أو صفة بعض الأرواح الذي يتصل به حكمه عليه ، وكذلك بعض الأفلاك بالنسبة إلى البواقي فيتعوق أو ينحرف عما يقتضيه حكم الاعتدال الجمعي وصورة الصراط الوسطى الرباني الذي هو شأن من سبق له العناية في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمة الكون إلى غايتها ثم الأمثل فالأمثل .

وإذا دخل عالم المواليذ وسيما من حين تعدى مرتبة المعدن إلى مرتبة النبات وعالمه، ثم منه إلى عالم الحيوان إن لم تصحبه العناية الأزلية ولم يصحبه الحقّ بحسن المعونة والحراسة والرعاية، والآحيف عليه فانه بصدد آفات كثيرة. لأنه عند دخوله عالم النبات إن لم يكن محروساً معتنى به وإلا فينجذب ببعض المناسبات التي يشتمل عليها جمعيتها إلى مزاج ردي، ينحرف به عن صراط الحقّ فيخرج منه تارة أخرى إلى باب العناصر ويبقى فيه حائراً عاجزاً حتى يعان ويؤذنه في الدخول مرة أخرى. فربما عرضت له آفة من العناصر كبريد مسدّد أو حرّ مفرط أو رطوبة زائدة أو بيس غالب فيتلف ويخرج ليستأنف دخوله آخراً وهكذا مراراً شتى حسب ما شاء الله وقضاه وقدره. ثم على تقدير سلامته أيضاً في ما ذكرناه بنعمة الحراسة والرعاية وسائر النعم التي يستدعيها فقره فإنه

قد يخرج على غير الوجه الذي يقتضى تكوين النشأة الحيوانية منه. فإذا دخل في باب الحيوانية تضاعفت حاجته إلى الحفظ والتربية والصيانة والحراسة من الآفات والمضادات لواحدٍ واحدٍ من أعضائه وقواه الحيوانية بعد قواه النباتية فهو مفتقر إلى الهداية والتوفيق ونعمة السلامة والحراسة والرعاية في كل مرتبة مرتبة وصوره وصورته ونشأته ونشأته إلى حال مسقط النطفة وحال الولادة، فهو مفتقر إلى أن يخرج الله مخرجا صادقا ويدخله مدخلا كريما من حيث ظاهره وباطنه.

فالمختصان بمسقط النطفة حال التوليد من أحكام الزمان والمكان شاهدان طلي كثير من أحواله الباطنة، والمختصان بمسقط الرأس حال الولادة شاهدان على معظم أحواله الظاهرة وسرّ الابتداء في السلوك إلى جانب الحق. فالعادة الإلهية جارية بأن من اختص بمزيد العناية ونعمة الحراسة وأثر الإختصاص من بداية أمره وشروعه من منبع المشية الإلهية إلى هذا المقام هو مقام العقل والتكليف والدعوة أن يهديه إلى صراطه ويسوقه إلى تمام النعمة وغاية الحكمة وغاية الإيجاد وزينة المعاد وصوره الكمال الوجودي. فأين من يكون أحدي السير من حين صدوره من غيب الحق إلى عرصة الوجود العيني والنزول الكوني لم يتعوق من حيث حقيقته وروحانيته في عالم من العوالم ونشأة من النشآت وحضرة من الحضرات ممن يتعوق ويتردد لتصادم الموانع والآفات، ويتكرر ولوجه وخرجه المقتضيان لكثافة حجبه وكثرة تقلبه في المحن والعوائق - نعوذ بالله منها.

فقوله تعالى: **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**، بيان للمعونة المطلوبة في الآية السابقة فكانه قال: كيف أعينكم؟ فقالوا: **إِهْدِنَا**. فهذه الآية وما يتلوها كالأجوبة لاسئلة ربانية كما قال بعض العرفاء: **فَكَانَ لِسَانَ الرَّبِوبِيَّةِ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ الْعَبْدِ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ: أَيُّ صِرَاطٍ تَعْنِي؟** فالصرافات كثيرة وكلهالي لما تقرر واشتهر أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس

الخلائق . فيقول لسان العبودية: اريد منها المستقيم .  
 فيقول لسان الربوبية: كلها مستقيمة من حيث اتجه إليّ غايتها كلها وإليّ مصير  
 من يمشى عليها جميعاً. فأيّ استقامة تقصد في سؤالك يا عبدي؟

فيقول لسان العبودية: اريد من بين الجميع صراط الذين أنعمت عليهم .  
 فيقول لسان الربوبية: ومن الذي لم أنعم عليه؟ وهل في الوجود شيء لم تسعه  
 رحمتي ولم تشمله نعمتي؟ فيقول لسان العبودية: إن رحمتك واسعة ونعمك سابعة  
 شاملة. لكنني لست أبني بالأصراط الذين انعمت عليهم النعم الظاهرة والباطنة الصافية  
 من كدر الغضب ومحنته وشائبة الضلال ونكبته. فإن السلامة من قوارع الغضب لاتقنعني  
 إذالم تكن النعم المسدلة إليّ مطرزة بعلم الهداية المخلصة من محنة الحيرة والضلالة  
 وبيداء التيه وورطات الشبهة والشك والتمويه وإلآفاية فائدة في تنعم ظاهريّ بأنواع  
 السنع مع تالم باطني بهواجم التلييسات المانعة من الاطمينان والسكون ورواجم  
 الريب والظنون .

هذا في الوقت الحاضر — فدع ماتتوقعه من اليوم الاخر فتذكر عند  
 هذا قوله صلى الله عليه وآله حكاية عن ربه: إنه قال: قسمتُ الصلوة بيني وبين عبدي  
 نصفين. فإذا قال العبد: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يقولُ الله: ذَكَرَنِي عَبْدِي . وإذا قال:  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يقولُ الله: حَمَدَنِي عَبْدِي. وإذا قال: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، يقولُ الله:  
 عَظَّمَنِي عَبْدِي. وإذا قال: مَا لِكْ يَوْمَ الدِّينِ، يقولُ الله: مَجَّدَنِي عَبْدِي. وفي رواية فوَضَّ  
 إِلَيَّ عَبْدِي. وإذا قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، يقولُ الله: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي. وإذا قال:  
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، يقولُ الله: هَذَا عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ .

فاعرف كيف تسأل، تنل من فضل الله ما تؤمل.

(١) الدر المنثور: ٦/١ . وجاء ما يقرب منه في نور الثقلين: ٥/١ .

## فصل

## [الانسان أشرف الخلائق]

واعلم إن الإنسان المهتدي بنور الله أشرف الخلائق كلها ، وأبدع ما في الإمكان لأن الله اصطفاه لقربه وأضافه إلى نفسه. من الله مبدأه وإلى الله منتهاه قد باشر الحق إيجاده بنفخه فيه من روحه وتخمير جسده بيديه واختار لعبده الأسماء كما لنفسه وآثر الخيرة له من لدن نزوله من عنده إلى حين صعوده إليه في كل صورة يتلبس بها أو مقام يمر عليه أو نشأة يظهر بها نفسه وموطن يتعين فيه النشأة وزمان يحويه من حيث تقيده به وتغييره معه ومكان يستقر فيه من حيث هو متحيز به وحاصل في دائرته. وأول كل ذلك ومبدأه هو من حال تعلق الإرادة الإلهية به عند تعيينه بعينه الثابت في علمه الأزلي ثم اتصال حكم القدرة به لإبرازه في أطوار الوجود ومروره على المراتب الإلهية والكونية، وله في كل عالم وحضرة يمر عليه صورة تناسبه من حيث ذلك العالم أو الحضرة وودعة يأخذها من جملة النعم من التعديل والتسوية وتمامية الخلق وحسن الصورة والاعتدال وحسن الخلق والعدالة.

فكم بين من باشر الحق تسويته وتعديله وجمع له بين يديه المقدستين ثم نفخ بنفسه فيه من روحه نفخاً استلزم معرفة الأسماء كلها وسجود الملائكة له أجمعين وإجلاله مرتبة الخلافة عنه في التكوين وبين من خلقه بيده الواحدة أو بواسطة ما شاء من خلقه ولم يقبل من حكمي التسوية والتعديل ما قبله هذا النائب الرباني وكون الملك ينفخ فيه الروح بالاذن .

كما ورد في الشريعة عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: يجمع أحدكم في بطن

(١) راجع صحيح مسلم: كتاب القدر: ١٨٩/١٦ . وجاء ما يقرب منه عن الباقر (ع)

راجع الكافي: كتاب العقيدة، باب بدء خلق الإنسان ١٣/٦ .

أمه أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوماً علقه، ثم أربعين يوماً مضغه، ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح. فيقول: يا رب أذكر أم أثنى؟ أشقي أم سعيد؟ ما وزقه ما أجله ما عمله؟ فالحق يملئ والملك يكتب.

فأين هذا من قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُوْا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [١٥/٢٩] شتان بينهما. ههنا أضاف المباشرة إلى نفسه بضمير الإفراد الرفع للاحتتمال ولهذا قرع بذلك المتكبر اللعين المتأبّي عن السجود له ولعنه وأخزاه بقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [٣٨/٧٥]

وقد وقع التأكيد في هذا المعنى منه صلى الله عليه وآله بأمر كثير منها قوله: <sup>١)</sup> إن الله خلق آدم على صورته وبرواية على صورة الرحمن. ولقوله في التأكيد الرفع للاحتتمال الذي ركن إليه أرباب العقول السخيفة الجاهلون بأسرار الشريعة والحقيقة في وصيته بعض أصحابه في الغزو: <sup>٢)</sup> إذا ذبحت فاحسن الذبحة وإذا قتلت فاحسن القتلة واجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته.

وقال أيضاً صلوات الله عليه وآله في هذا المعنى: <sup>٣)</sup> إذا خلق خلقاً للخلافة مسح بيمينه على ناصيته، فنبه على مزيد الاهتمام والخصوصية. وأشار أيضاً في حديث آخر ثابت إن الذي باشر الحق سبحانه إيجاده أربعة

(١) البخار: ١٢/٤. البخاري: ٦٢/٨. المسند: ٢٤٤/٢.

(٢) ما وجدت الرواية على ما نقلها المؤلف، ولكن جاء في السنن: «ان الله كتب الاحسان على كل شيء، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليزح ذبيحته» (ترمذي، باب ما جاء في النهي عن المثلة: ٢٣/٤). وجاء في رواية اخرى «اذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته» (مسند: ٢٤٤/٢) وفي لفظ: «اذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه» (مسند: ٤٦٣/٢).

(٣) في الجامع الصغير (٦٧/١): ان الله تعالى اذا اراد أن يخلق خلقاً للخلافة مسح

يده على ناصيته ...

أشياء ثم سردها فقال<sup>(١)</sup>: خلق جنة الخلد بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق آدم بيده .

وقال أيضا صلى الله عليه وآله: الإنسان أعجب موجود خلق .

وكما إن هذه الخصائص والكرامات من كونه مخلوقاً على صورة الرحمن، منفوخاً فيه من روحه تعالى، مكرماً بكرامة تعليم الأسماء، محمولاً في برّ الأجساد وبحر الأرواح، مخمراً طينته العقلية والنفسية باليدين، مخصوصاً بخلافة الله تعالى في العالمين الكبير والصغير، مسجوداً لملائكة الله في النشاطين الجسمانية والروحانية إنما هي للإنسان المعنوي الحقيقي لالهذه الأشباه والأمثال من الأعداد الصورية فكذلك الوصول إليه بالعروج الروحي والسفر المعنوي على صراط الله المستقيم يختص به دون غيره. وإلّا فكل ما شئ من الحيوان وغيره ما رُقى على صراطه الذي يخصه متوجّهاً شطر الحقّ.

وكما إن لكل جسم مكاناً مخصوصاً وفيه معنى طبيعياً يحرّكه إلى حيزه ويجرّه إلى مطلوبه ولا يقف به دونه، فكذلك كل نفس خرجت من معدن مخصوص من معادن الأرواح فبها معنى يحرّكها إلى معدنه الأصلي ولا يقف بهادونه، واختلاف أحوال هذه النفوس البشرية من اختلاف مبادئها المعبر عنها بالمعادن في قوله صلى الله عليه وآله: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .

وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في هذا الكتاب المجيد بقوله تعالى ﴿ قَدْ عَلِمَ

كُلَّ أَنَاثٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ [٢٠/٤٠] .

وحركات الجوارح آثار تلك المعاني التي أودعتها القدرة الأزلية في النفوس

الآدمية إتماماً للحكمة وتوسيعاً للرحمة في سائر الأمة واهتماماً بهذا المعنى المجذب

(١) جاء ما يقرب منه في الدر المنثور: ٣٢١/٤ .

(٢) المسند: ٥٣٩/٢ .



المحجوب ؛ فالنفوس التي لا يكون بينها وبين الحق واسطة ينجذب إلى جنبه طبعاً كأنجذاب إبرة من حديد إلى مقناطيس لا يتناهى قوته وهذه النفوس هي العرفاء بالله حقاً وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤/٥] كناية عن أهل الله العارفين به .  
 وإنما عرفه هؤلاء معرفة حقيقية وإيماناً كشافياً وإحساناً لأنهم الذين وقّع لهم التجلي في الأزل بالذات ولغيرهم بالعرض ، فاستغرقوا بكلّيتهم في معرفته عند قوله: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [١٧٢/٧] وأجابوا بقولهم ﴿بلى﴾ إيماناً وإيقاناً لا تكلفاً وتقليداً أو مجازفة ونفاقاً .

ولقد أفصح عن هذا المعنى شيخ الطائفة عبد الله الأنصاري حيث قال :«إلهي تلطّفت لأوليائك فرّفوك ولولا تلطّفت لأعدائك لما جحدوك» فهذه حكم النفوس التي لم تكن بينها وبين الحق واسطة في البداية. فلا جرم هم المجذوبون إليه تعالى الواصلون إليه في النهاية. وغيرهم إما سالكون أو واقفون بالعوائق البدنية أو مردودون إلى أسفل سافلين بالعقائد المهلكة الشيطانية .

فقد قرّن الحق سبحانه بين السالك والمجذوب في العطاء والنصيب فقال عزّ من قائل: ﴿اللَّهُ يُجْتَبَىٰ إِلَيْهِ مِنْ بَشَاءٍ وَيَهْدَىٰ إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [١٣/٤٢] وقد وقع التنبيه منه صلى الله عليه وآله على هذا المعنى فقال في جنازة واحد من أصحابه : اهتزّ عرش الرحمن لموته<sup>(١)</sup>. وقال في حقّ طائفة أخرى لما ذكر: «إن الموت ينتقي خيار الناس، الأمثل فالأمثل حتى لا يبقى إلاّ كخالة الثمر أو الشعير لا يبالي الله بهم<sup>(٢)</sup>» .  
 فأين من يهتزّ بموته عرش الرحمن ممّن لا يبالي الله به أصلاً فكما هو الأمر آخرأ فكذا هو الأمر أولاً. بل الخاتمة عين الرجوع إلى السابقة فافهم واغتنم .

(١) روى انه (ص) قاله في موت سعد بن معاذ ، راجع البخارى : باب مناقب

الانصار : ٤٤/٥ .

(٢) جاء ما يقرب منه في البخارى : كتاب الرقاق : ١١٤/٨ .

فلنرجع متممين لما وقع الشروع فيه مستعينين بالله وهدايته .

### تأييد استبصاري

ومما يؤيد ما أصلناه ويؤكد ما قررناه من الحركة الجوهرية والسلوك الباطني المستمر للانسان وغيره من الأكوان، قول الشيخ الإلهي والعارف الرباني في الفتوحات المكية في باب تغلب باطن الإنسان :

إن الحق لم يزل في الدنيا متجلياً للمقلوب دائماً فيتنوع الخواطر فيها لتجليه وإن تنوع الخواطر في الإنسان عين التجلي الإلهي من حيث لا يشعر بذلك إلا أهل الله كما إنهم يعلمون أن الصور الظاهرة في الدنيا والآخرة في جميع الموجودات كلها لبس غير تنوع التجلي فهو الظاهر إذ هو عين كل شيء وفي الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتاً فإنه عين ظاهر صورته في الدنيا والتبدل فيه حقي وهو خلقه الجديد في كل زمان الذي هو في لبس منه وفي الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا ويكون التجلي الإلهي له دائماً بالفعل فيتنوع ظاهره في الآخرة كما يتنوع باطنه في الدنيا في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي بنصبغ بها انصبغاً فذلك هو التضاهي الإلهي الخيالي غير إنه في الآخرة ظاهره وفي الدنيا باطنه فحكم الخيال مستصحب للانسان في الآخرة وللحق .

وذلك هو المعبر بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله : ﴿ كَلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [٢٩/٥٥] .

ثم قال أيضاً : فكل ظاهر في العالم صورة ممثلة كتابية مضاهية لصورة إلهية لأنه تعالى لا يتجلى للعالم إلا بما يناسب العالم في عين جوهر ثابت كما إن الإنسان من حيث أصل جوهره ثابت أيضاً. فترى الثابت بالثابت منك وهو الغيب منك ومنه. وترى الظاهر بالظاهر وهو الشاهد والمشهود والشهادة منك ومنه وكذا تدركه وكذا تدرك ذاتك غير

إنك معروف في كل صورة إنك انت لاغيرك كما أنك تعلم انزیداً في تنوعه في كیفیاته من خجل ووجل ومرض وعافية ورضی وغضب وكل مايتقلب فيه من الاحوال انهزید لاغير وكذلك الامر في كل احد .

## فصل

### [ في تحقيق الصراط واستقامته ]

اعلم إن الصراط لا يكون صراطاً إلا بمرور المارّة عليه وقد مرّت الإشارة إلى أنّ الخلائق كلّها متوجّهة شطر الحقّ توجّهاً غريزياً وحرّكة جبليّة نحو مسبّب الأسباب وفي هذه الحرّكة الجبليّة لا يتصوّر في حقّهم الضلال والانحراف عمّا عين الله لكلّ منهم والله آخذ بناصيته كما قال الله ﴿مَأْمَنُ دَابَّةٍ الْأَوْهُ آخِذُنَا صَبِيَّتَهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦/١١] .

وما من موجود في عالم الخلق إلا وهو حيوانٌ ماشٍ فيكون دابةً . وكل دابة فالربّ آخذ بناصيتها وعليه رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كما قال تعالى : ﴿مَأْمَنُ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ فتكون مفطورة على المشي على نهج الاستقامة من غير ضلال وأما المسمّى إنساناً فوجود الاختيار المخالف للطبع فيه ومزاحمة قوّة الوهم السذي يعتريه يتصور في حقّه الضلال والغواية والنكال والغباوة من جهة حرّكاته الإختياريّة المورثيّة له قرباً أو بعداً من الله المثيرة له سعادة أو شقاوة في الدار الآخرة فيحتاج إلى من يهديه ويذكر له العهد القديم ويثبتته على الصراط المستقيم .

فالمهادي هو الله بالحقيقة بواسطة الكتاب والرسول صلى الله عليه وآله ومن يقوم مقامه من الأئمة الهداة عليهم السلام فيختصّ الإنسان من بين سائر المخلوقات بأن هداه الله بالهدايتين الكونيّة والوضعيّة من جهة حرّكته الاضطرابيّة والاختياريّة وجمع لأجله بين الدعوتين

العامة والخاصة وشرع له الشريعتين وساسه بالسياستين المطبوعة والمجمولة وأوجب عليه طاعة الحكامين: التكويني والندويني وذلك لاشتماله على مبدأ الحركتين: الذاتية والإرادية.

أما الحركة الذاتية له فهي حركة جوهرية، لها كسائر الحركات فاعلٌ وقابلٌ ومسافةٌ وبدايةٌ ونهايةٌ إلا أن الحركة في الجوهر تخالف غيرها في أمر وهو إن مسافة هذه الحركة هي عين المتحرك حقيقة. ووجوداً وغيره كمالاً ونقصاً بخلاف الحركة في سائر المقولات فإن المسافة فيها تبين ذات المتحرك كما هو المقرر عند العقلاء ونحن قد بينا صحة الحركة في مقولة الجوهر في أسفارنا ببيانات برهانية يضطر أهل النظر على الاعتراف بها. والآيات القرآنية الدالة على هذه الحركة وخصوصاً ما للانسان كثيرة:

منها في باب حركة الجواهر الأرضية في ذاتها كقوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [٢٢ / ٨٨] وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [١٤ / ٤٨]

ومنها في باب حركة الجواهر السماوية في ذاتها كقوله ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٣٩ / ٦٧] وقوله ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ [٢١ / ١٠٤] ومنها في قلب الانسان، في أطوار الوجود بقوله ﴿بِأَيِّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [٨٤ / ٦] وقوله: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِيهَا لَاتَعْلَمُونَ﴾ [٥٦ / ٦] وقوله ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [٤٣ / ١٤]

ومنها في انقلاب الكل إليه كقوله ﴿اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٣٠ / ١١] وقوله: ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [٢١ / ٩٣] وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنَّا﴾

خَلَقَ جَدِيدًا ﴿ [ ١٥/٥٠ ] ففاعل هذه الحركة الذاتية الانسانية أي محرّكها هو الله .  
وقابلها أي موضوعها هو النفس الإنسانية باعتبار قوّتها الاستعدادية النفسانية وعقلها  
المنفعل الهيو لاني، وابتداءها من حين كونها ساذجة عن جميع الصّور الإدراكية  
الجزئية والكلية، وإليه الإشارة في قوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ  
شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [ ١٧/٦ ] . وانتهاءها حالته التي يكون عليها في القيمة . ومسافتها  
منازل الإنسان بحسب أكوانه الجوهرية التدريجية ودرجاته الوجودية بحسب قربه  
وبُعدّه من الله فله تكوّن بعد تكوّن على نعت الاتصال التدريجي من الأكتف فالأكتف  
إلى الألف فالألف، فينتقل من كلّ ظاهر إلى باطنه ومن كلّ صورة إلى معناها فيدخل  
من الجمادية إلى النباتية ومن الحيوانية إلى البشرية ومن التجسّم إلى التروّح وينقلب من  
الدنيا إلى الآخرة . وبالجملة من نشأة إلى نشأة إلى أن ينتهي إلى موطنه الذي تعين له  
عند الله .

وبهذا المعنى يكون الموت طبيعياً للإنسان لا كما زعمه الأطباء وغيرهم من أ  
بواسطة نفاذ الحرارة الغريزية أو غلبة الرطوبة عليها أو لاجل تنامي القوى البدنية لكون  
جسمانية. إلى غير ذلك من آرائهم القاصرة .

وذلك لأن النفس الإنسانية كما علمت متقلّبة في أكوانها الجوهرية وكلّما انطوت  
له نشأة دخلت في نشأة تتلوها. ففي هذه النشأة الدنياوية تطوّرت بجميع الأطوار الداخلة  
في عالم الشهادة من الجسميّة والجمادية والنباتية على درجاتها والحيوانية على مراتبها  
فإذا تمّ لها آخر هذه المراتب الواقعة في هذه النشأة ، أخذت في الإنقطاع والولوج  
في النشأة الآخرة وأطوارها الداخلة في عالم الغيب بحسب الطباع الأصلي لها من غير  
قسر قاسر وسباق سائق خارجي بل يسوقه سائق داخلي جبلي من جانب الله تعالى  
كما قال جلّ ذكره ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ ٢١/٥٠ ] وقوله :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [ ٢٢/٣٩ ]

ومما يؤيد هذا ما ذكره الشيخ المحقق في الساب الرابع والثمانين ومأتين من الفتوحات حيث قال<sup>١</sup> : اعلم إن الروح الإنساني أوجده الله منذاً وجده مدبراً لصورة طبيعية حسية له سواء كان في الدنيا أوفي البرزخ أوفي الدار الآخرة أوحيت كان . فأول صورة لبسها الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار برؤية الحق عليه ، ثم إنه حُشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية وحُبس بها في رابع شهر من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته ، فإذا مات حُشر إلى صورة أخرى من حين موته إلى <sup>وقت</sup> سؤاله ، فإذا جاء وقت سؤاله حُشر من تلك الصورة إلى صورة جسده الموصوف بالموت ، فيحیی به ويؤخذ بأسماع الناس وأبصارهم عن حيوته بذلك الروح إلا من خصه الله بالكشف على ذلك من نبي أو ولي من الثقلين .

وأما سائر الحيوان فإنهم يشاهدون حيوته وما هو فيه عيناً ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ بمسك فيها بل تلك الصورة <sup>هي</sup> العين البرزخ والنوم والموت في ذلك على السواء إلى نفخة البعث فينبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي فارقتها في الدنيا إن كان بقي عليه سؤال . فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حُشر في الصورة التي يدخل بها الجنة .

والمستول يوم القيمة أيضاً إذا فرغ من سؤاله حُشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار .

وأهل النار كلهم مسئولون فإذا دخلوا الجنة واستقرّوا فيها ثم دعوا إلى الرؤية ونودوا ، حُشروا في صورة لانصلح إلا للرؤية فإذا عادوا وحُشروا في صورة تصلح للجنة وفي كل صورة يحشر بنسب الصورة السابقة التي كان عليها ويرجع حكمه إلى حكم

(١) الفتوحات المكية : ٢٢٩/٢ .

(٢) المصدر : بادروا .

الصورة التي انتقل إليها وحُشر فيها ، كما أن الصورة التي انتقل إليها وحُشر فيها ، فإذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فأية صورة رآها واستحسنها حُشر فيها فلا يزال في الجنة دائماً يُحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي ، فكما لا يتكرر عليه صورة التجلي ، كذلك يحتاج هذا المتجلي له أن يقابل كل صورة تنجلي له بصورة أخرى ينظر إليه في تجليه فلا يزال يُحشر في الصور دائماً يأخذها من سوق الجنة ، ولا يقبل من تلك الصور التي في السوق ولا يستحسن منها إلا ما يناسب صورة التجلي الذي يكون في المستقبل ، لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي - فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية .

ولو تفتنت لعلمت إنك الآن كذلك تُحشر في كل نفس في صورة الحال التي أنت عليها ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة وإن كنت تحسّ بساقتك في أحوالك التي عنها تنصرف في ظاهرك وباطنك ولكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كل آن وتحشر فيها ويبصرها العارفون صوراً صحيحة [ثابتة] ظاهرة العين انتهى كلامه الشريف النوري ، وفيه من الفوائد الكشفية مما لا يمكن وصفه فضلاً وشرفاً . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين .

### وأما الحركة الإرادية

للإنسان إلى الله فهي حركة في الكيف النفساني معدة له في سرعة اللحقوق له إلى الله من جهة استكمال كلاً جزئيه العلمي والعملية بواسطة الأفكار والأذكار المطلقة له والأعمال والأفعال المقربة إياه إلى الله ، وجنس هذه الحركة مما يتطرق فيه الصواب والخطأ والاستقامة على الصراط والضلال بخلاف الحركة الأولى لكونها جوهرية ذاتية متوجهة شطر كعبة الحق لا يتصور فيها الخطأ والانحراف والانتكاس ولا يكون الأعلى وجه الصواب والاستقامة كما في قوله ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبُهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾

فقوله «وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مِنْهُ مَوْلَىٰ» إشارة إلى الحركة الغريزية الشوقية المفطورة عليها جميع المكوّنات ، وقوله ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [٢/ ١٢٨] إشارة إلى هذه الحركة الإرادية للإنسان التي يقع الاستباق للخيرات ، وسرعة الانسياق إلى الدار الآخرة والالتحاق بملكوت ربنا الأعلى .

\* \* \*

ولقائل أن يقول : إذا كان الكلّ متوجّهة إلى الله تعالى توجّهاً غريزياً نحو الفطرة الأخروية والكمال الوجودي و الفعلية فأين الشقاوة للكفار وأهل المعاصي إذا كان الجميع من أحبّاء الله المفطورة على طاعة الحقّ والتقرّب منه فيلزم كون الناس كلّهم سعداء مقربين ؟

فنقول : اعلم إن هذا التوجّه الغريزي للأشياء كلّها نحو مسبب الأسباب ، لاينافي شقاوة الأشقياء وعذاب الكفار والمنافقين والعاصين فإن السعادة شيء ، والتقرّب من الله برفع الوسائط شيء آخر ، وكذا يجب أن يعلم إن الفعلية الوجودية وقوة التجوهر الحاصلة للنفوس الإنسانية من جهة انسلاخها من هذا البدن وخروجها من القوة إلى الفعل وحدّة بصرها بسبب رفع الغواشي المادية ، لاتنافي الشقاوة الأخروية بل يؤكدها فإن غمور النفس بهذا البدن الكثيف يوجب لها حالة كالخدر والسكر لها لأجل تلك الحالة لايمكنها إدراك الأمور الأخروية من المثوبات واللذات التي تكون للسعداء والعقوبات والآلام التي تكون للأشقياء .

فإذا خرجت من غشاوة الدنيا وزال عنها سكر الطبيعة وتخدّيرها وحان وقت أن يقع بصرها إلى ذاتها، فإن كانت من جملة الأشقياء المرذوقين واطّلمت على ما اكتسبتها من النقائص والآفات تتألّم بها أشدّ الآلام وخروجها من القوة إلى الفعل ووجود القوة الداركة فيها وزوال مانع الإدراك عنها ، يوجب أن تطلّع على صحيفه ذاتها وما كسبتها من السعادة أو الشقاوة فتلتذّ غايه التلذذ أو تتألّم غايه التألم .



فقد ظهر أنّ فعلية الوجود و تأكّده في الجملة لا ينافيان الشقاوة بإدراك الآلام  
الحاصلة من الكفر والمعاصي و كذا الرجوع الإضطراري إلى الحضرة الإلهية لا ينافي  
الشقاوة والعذاب. فإنّ أنوار النفوس الإنسانية إنّما هبطت كالكوكب إلى هذا القالب  
الفاني مدّة هذه الكون الجسماني و غربت فيه، و ستطلع عند خراب القالب و انقطاع  
عمره و بوار نشأته من مغربها إلى مشرقها الأصلي و خالقها و بارئها. إمّا مظلمة منكسفة  
و إمّا زاهرة مشرقة .

و الزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الإلهية و المظلمة أيضاً راجعة إلى  
الحضرة إذا المرجع و المصير للكلّ إليه كما مرّ لإلّاهانا كسّة الرأس عن جهة أعلى عليين  
إلى جهة أسفل سافلين. منقلبة الوجود إلى الدنيا ولدانها و طبيّانها التي هي بعينها منشاء آلام  
الآخرة و خبياتها .

أولاً ترى النبات في نموّه و نشوّه يتقارب إلى عالم السماء و الضياء إلّا أنّه منكوس  
الرأس متوجّه نحو السفّل و لذلك قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذًا الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسَهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فبين أنّ نفوس الأشقياء أيضاً عند ربّهم إلّا أنّهم منكوسون منحوسون قد  
انقلبت و جوههم إلى أفقيتهم و انتكست رؤسهم عن جهة فوق إلى جهة تحت و ذلك حكم الله  
و قضاؤه فيمن حرّمه توفيقه و لم يهدله سلوك صراط المستقيم. نعوذ بالله من الضلال و العدول  
عن منهج أهل الكمال .



فإن قلت: إذا كان الكلّ مفطورةً على حبّه تعالى و طلبه و التشوّق إليه فما سبب  
تفاوت هذه النفوس الإنسانية في الهداية و الضلال و الطاعة و المعصية؟  
قلنا: لتفاوتها في الصفاء و الكدورة و القوّة و الضعف و الشرافة و الخسة و بحسب  
ما يتفق لها من الأسباب البدنية و الأحوال الدنيوية من الاستعدادات الماديّة و العوارض  
الإنفاقية المتسلسلة المنتهية إلى الأمور العلوية و القضاء السابق الأزلي .

فالأرواح الإنسانية متفاوتةٌ بحسب أصل الفطرة الأولى مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة مترتبة في درجات القرب والبعد من الله تعالى والمواد السفلية الواقعة بإزائها متباينة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها، متفاوتةٌ في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقابليتها لما يتعلق بهامن الأرواح متفاوتةٌ وقد قدر الله تعالى في القضاء السابق بإزاء كل روح ما يناسبه من المواد وبإزاء كل معنى ما يحاذيه من الصورة فألطف المواد والصور لأشرف الأرواح وأنوار النفوس .

وقد علمت سابقاً إن تفاوت النفوس البشرية - المتخالفة الحقائق - لتفاوت أصولها ومعادنها العقلية ومفاتيح أبوابها الإلهية ومن أجلها ومن أجل تفاوتها في الإدراكات والإرادات والأشواق وقَعَ الاختلاف بينها في الهداية والضلال، والطاعة والعصيان، والتوفيق والخذلان، والسعادة والشقاوة، وحسن العاقبة وسوء هاو الثواب والعقاب، والجنة والنار.

فإن قلت : ما الفائدة في التكليف بالطاعات والدعوة بالآيات والأمر والنهي والترغيب والترهيب إذا كان الجميع منتهية إلى قضاء الله وتقديره وماتأثير السعي والجهد والطاعة والعبادة؟

قلنا: هذه الأمور من جملة الأشياء الواقعة بقضاء الله وقدره والأسباب المقدّرة التي جعلها الله تعالى مهتجات للأشواق والإرادات ومحركات ودواعي إلى طلب الخيرات واكتساب الدرجات ومحرضات على أعمال حسنة مورثة لعادات محمودة وأخلاق جميلة وملكات فاضلة مزكية للنفوس، منوّرة للقلوب، مقربة إياها إلى الله نافعة في معاشنا ومعادنا يحسن بها حالنا في دنيانا ويحصل بهما سعادة عقبانا، أو محذرات من الشرور والقباتح والذنوب والردائل المكدّرة للنفوس المسوّدة للقلوب مما يضرّنا في العاجل ونشقي بها في الآجل.

وكذلك السعي والجد والتدبير والحذر مهيتة لمطالبنا موصلة إيانا إلى مقاصدنا  
مخرجة لكمالاتنا من القوة إلى الفعل كما قال صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup> لمن سأله: هل يغني الدواء  
والرقية من قدر الله؟ فقال: «الدواء والرقية أيضاً من قدر الله».  
ولما قال صلى الله عليه وآله: «جفَّ القلم بما هو كائن<sup>(٢)</sup>». قيل: فقيم العمل؟ فقال:  
«اعملوا فكل ميسر لما خلق له».  
ولما سئل: أنحن في أمر فرغ منه أو أمر مستأنف؟ فقال: «وفي أمر مفروغ منه وفي  
أمر مستأنف».

\* \* \*

فإن قلت: لماذا وقع هذا التفاضل والتخالف في أصل الفطر والغرائز ولم يتساو  
في الشرف والخسة؟ فما بالناس مختلفين في الجواهر بحسب الصفاء والكدورة  
ولم تتساكل في السعادة ولان تعادل فصار السعيد مبروراً والشقي محروماً؟ وما سبب التفاوت  
في هذه القسمة من خزانة الغيب والزيادة والنقصان في النصيب من الرحمة الإلهية؟  
وما هذا الحيف والجور لنا؛ وأين عدل الله فينا وكُلنا عبيده والمحتاجون إلى قسمته ورزقه  
وقد قال الله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [٢٩/٥٠].  
فنجيبك: يا أخا الطريقة بعدما زالت عنك الدهشة وآب إليك القرار، ورجعت  
السكينة والوقار فلست أول من زل في هذا المقام واستنفر من هذا الكلام ثم رجع وتاب  
وآمن وأتاب بمثل ما قال الشاعر:

هون على بصري ما شق منظره \* فإني ما يقظات العين كالحلم  
أما كون الشريف شريفاً والخسيس خسيساً فليس بجعل جاعل وتأثير مؤثر

(١) ابن ماجه: كتاب الطب: ١١٣٧/٢. الترمذي: كتاب القدر: باب ١٢.

(٢) جاء ما يقرب منه في المسند: ٢٩٣/١. وابن ماجه: المقدمة، باب ١٠.

(٣) روى بالفاظ مختلفة (راجع المعجم المفهرس: ١٢٢/٥) ولكن ما وجدت جملة

« وفي أمر مستأنف ».

وأما السؤال بأنه لِمَ خلق الله الشيء الخسيس في العالم ولم يجعل الإيجاد مقصوراً على الأشرف؟ فجوابك بأنه لو اقتصر على الممكن الأشرف في الإيجاد لبقيت كل الموجودات طبقة واحدة بل انحصرت في العقل الأول ولبقيت المراتب الباقية في كتم العدم مع إمكان وجودها. فكان حيفاً عليها وجوراً، لا عدلاً وقسطاً.

[ن: ما]

فالعناية الإلهية تقتضي نظام الوجود على أحسن ما يمكن. فلو أمكن أحسن ما هو عليه الآن لو وجد من جود الواهب المنان ولو تساوت الموجودات في الشرف والكمال والنقص والتماس، لفات الحسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح، ولو لم يوجد النفوس الشقية والطبايع الغليظة لكان لا يتمشى أمورهم ولا يتهبأ مصالحهم وبقي الاحتياج إليها في العالم مع فقدها. كما لو كان البصل زعفراناً والدفلى أقحواناً أو لم يوجد البصل والدفلى أصلاً لحرمت الناس من منافعها وتضرر وافي فقدها مع إمكان وجودها.

وكما لا يختلج في صدرك إن البصل لم يكن زعفراناً والقبصوم<sup>٢</sup> ضيمراناً<sup>٣</sup> والكلب أسداً والوهم عقلاً؛ فيجب أن لن يتقدح في بالك إن الباقل الماذالم يكن سحباناً<sup>٤</sup> والفقير سلطاناً والشقي سعيداً والجاهل الشرير عالماً خيراً؟ إذ لو كان كذلك لاضطر السلطان إلى صنعة الكنس والحكيم المتأله إلى مباشرة الرجس. فمابقي التناسل على تقدير التماثل وبطل النظام ووقع الهرج والمرج فلم يكن ذلك عدلاً بل كان ظلماً وجوراً.

١- الدفلى (بضم الاول وسكون الثاني) شجرٌ زهره كالورد الأحمر، والاقحوان والقحوان

(بضم الاول وسكون الثاني) نبات، أوراق زهره مفلجة صغيرة، من أجمل ازهار الحدائق وواقحوان الحدائق زهر من المركبات لونه اسفرذهبي، من اشد النباتات ضرراً بالمزروعات

٢- القيصوم نبت بالبادية معروفة والضيمران من الرياحين.

٣- باقل كصاحب اسم رجل من قيس بن ثعلبة، كان يضرب به المثل في المعجز عن

البيان وعدم الفصاحة.

وسحبان (بفتح الاول وسكون الثاني) اسم رجل من وائل. كان لسيناً بليفاً، يضرب به

المثل في البيان والفصاحة. فيقال: أفصح من سحبان وائل.

ثم إنَّ الدنيَّ لا يتألم من دنائته والخسيس لا يتضرر من حسنه والجاهل جهلاً بسيطاً لا يتعذب بجهله والعامي الأعمى البصيرة لا يشقى بعماه الأصلي لكون كلِّ منهما لم يغيّر ما هو عليه ليتألم بفقد كماله ويتعذب بضدِّ حاله بل كلُّ أحدٍ يعشق ذاته ويحبُّ نفسه وإن كان خسيساً دنيّاً.

وفي المثل السائر: غنَّك خيرٌ من سمين غيرك. فمن أساء عمله وأخطأ في اعتقاده، فإنَّما ظلَّم نفسه بظلمة جوهره وسوء استعداده. وكان أهلاً للشقاوة ينادي على لسان الحال: مهلاً فيداك أو كئنا وفوك نفخ<sup>١</sup>، وإنما قُصُر استعداده وأظلم جوهره لعدم إمكان كونه أحسن مما وجد. كما لا يمكن أن يحصل من أعمى القلب البصيرة وأن يلد القرد إنساناً في أحسن صورة وأكمل سيرة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِنْ أَمَنَ رَجِمَ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١٨/١١] وبالجملة تفاوت الخلق في الكمال والنقص والسعادة والشقاوة إمَّا بأمر ذاتية جوهرية وإمَّا بأمر عارضة كسبية بواسطة الأعمال والأفعال. فالاختلاف بحسب الأمور الذاتية بمحض العناية الإلهية المقنضية لحسن الترتيب وفضيلة النظام وليس منشأ الإشكال أصلاً كما علمت .

وإمَّا بحسب العوارض اللاحقة فهي من اللوازم والتوابع الحاصلة بمصادمات الأسباب وكل آفة وشر يلحق الشيء بسبب أمر خارج إتفاقي فليس مما يدوم عليه بل يزول بزوال سببه وسيعود الشيء إلى ما كان عليه أولاً من طبيعته الأصلية والأسباب الإتفاقية غير دائمة ولا أكثرية الوجود. اللهم أن ينقلب طبيعة الشيء إلى طبيعة أخرى

(١) مثل يضرب لمن يجنى على نفسه. قال الميداني (مجمع الامثال ٢/٤١٤): «أصله ان رجلاً كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق نفخ فيه، فلم يحسن إحكامه، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ففرق، فلما غشيه الموت استغاث برجل، فقال له: يدالك أو كئنا، وفوك نفخ.»

فيكون هذه الثانية طبيعة أصلية. والكلام فيها عائدٌ من أن ما يكون عارضاً غريباً لها يزول عنها بسرعة، فعلم من هذا أن أكثر أحوال الشيء الخير والسلامة والآفة والشر من النواذر الأنفاقية.

وأما حديث الانتقام الإلهي بالغضب والعقوبات الدائمة للكفار فسياتي الكلام فيه في تحقيق قوله تعالى: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**. ولنرجع إلى ما كتبنا بصدده إنشاء الله.

### مشاهدة إشراقية

اعلم إن الصراط الذي إذا سلكت عليه وثبت الله عليك أقدامك حتى أوصلك إلى الجنة صورة الهدى الذي أنشأته لنفسك في الدار الدنيا بما هدك الله من الأعمال القلبية والبدنية فهو في هذه الدار لا يشاهده صورة حسية. وأما في القيامة وعلى منظر أصحاب البصيرة الغالب عليهم شهود النشأة الآخرة، فقد مدلك جسر أمحسوساً على متن جهنم أوله في الموقف وآخره على باب الجنة. كل من يشاهده يعرف إنه صنعك وبنائك ويعلم إنه قد كان في الدنيا جسراً ممدوداً على متن جهنمك من نار طبيعتك التي فيها ظل حقيقتك ظل ذو ثلاث شعب غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذي يقودها إلى لهب الشهوات ويضرم فيها نار النفس الحيوانية.

فالإنسان الكامل السالك إلى الله، المهتدي بنوره، يعجل بقيامته بإطفاء نار جحيمه بنور إيمانه ونار توبته في الموطن الذي ينفعه لقيامته ويقبل منه توبته وهو موطن الدنيا فإن بعد قيامة الدار الأخرى، لا ينفع فيها عمل إذ لا تكليف فيها بعمل. لأنهما موطن الجزاء. والصراط قد علمت إنه صراطان: صراط الوجود، وصراط الإيمان والتوحيد. فالمشرك لأقدم له على صراط التوحيد وله قدم على صراط الوجود. والمعطل لأقدم له على صراط الوجود أيضاً.

ومن أشرك بالله فهو من الموقف إلى النار المعطلة ومن أهل النار الذين هم أهلها إلا المنافقين فلا بد لهم أن ينظروا إلى الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون على حسب داعيتهم وشوقهم إلى الكمال. فذلك نصيبهم من نعيم أهل الجنان ثم يصرفون إلى النار. وهذا من عدل الله فيهم فقبلوا بأعمالهم.

وأما الموحّد فلا يخلد في النار إن ما يمسك ويسأل ويعذب على الصراط والصراط على متن جهنم كما مرّ غائب فيها الكلايب التي فيها يمسكهم الله عليه.

ولما كان الصراط في النار ومائمه طريق إلى الجنة الأعلى قال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ ومن عرف معنى هذا القول عرف إن مكان النار ما هو.

### تصوير ايماني

قد ورد في صفة الصراط: إنه أدق من الشعروأحد من السيف. وكذا علم حقيقة الايمان والتوحيد والعمل بالأركان والتجريد. ولا تزال في كل ركعة من الصلوة تقول: إهدنا الصراط المستقيم. فلأمر ما أوجب الله عليك ذلك فأعظم الأمور وأجلها منفعة لك تحقيق هذا الصراط وعرفانه فإنه أدق من الشعروأحد من السيف فظهوره في الدنيا ظهور عقلي وفي الآخرة ظهور حسي أبين وأوضح من ظهوره في الدنيا إلا لمن دعى إلى الله على بصيرة كما قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وقد جاء في الخبر أيضاً: إن الصراط يظهر يوم القيمة منه للأبصار على قدر نور المارين عليه فيكون دقيقاً في حق بعض وعريضاً في حق آخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى: نورهم بين أيديهم وبأيمنهم والسعي مشي. ومائمه طريق إلى الله إلا الصراط. وإنما قال: بأيمنهم، لأن المؤمن في الآخرة لاشمال له ، كما أن الكافر لا يمين له. هذا بعض أحوال الك.

قوله جل اسمه :

## صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

صفة للأول أو ببدلٍ عنه بدل الكسَل

والفرق بين الصفة والبدل إنَّ البديل في حكم تكرير العامل من حيث أنَّه المقصود بالنسبة كتكرير الجار في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَتَذْبُنْ أَسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ [٧٥/٧] بخلاف الصفة فكانه قال : إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم . وفائدته التوكيد المنفهم من التثنية والتصبيص على أن طريق المؤمنين هو المشهود عليه بالاستقامة المفضي لسالكه إلى المطلوب على أبلغ وجه وآكده . فإنك إذا قلت مثلاً : «هل أدلك على أعلم الناس وأفضلهم فلان» فكانت قد تبييت ذكره أولاً إجمالاً وثانياً تفصيلاً وجعلت اسمه كالتفسير والبيان لنعته المذكور أولاً إشعاراً بأنه من البين الذي لا يخفاء فيه، فجعلته علماً في العلم والفضيلة. فيكون ذلك أبلغ من قولك : هل أدلك على فلان الأعلم الأفضل .

فهي هنا قد وقع الإشعار بأن الطريق المنعوت بالاستقامة هو طريق المؤمنين المنعم عليهم على أبلغ الوجوه وآكده .

والذين، موصول وأنعمت عليهم، صلته. وقد تم بها اسماً مفرداً يكون في موضع الجرّ باضافة صراطٍ إليه. ولا يقال في موضع الرفع «اللدون» لأنه اسم غير متمكن .

وقد حكى ذلك شاذاً كما حكى الشياطون في حال الرفع وقرء عمر بن الخطاب وعمر بن الزبير<sup>٢)</sup> : صراط من أنعمت عليهم . و هو المروي من أهل بيت النبي<sup>١)</sup> عليه وعليهم السلام .

(١) تفسير القمي : سورة الفاتحة : ٢٦ . ٢) مجمع البيان : عمرو بن عبد الله الزبيري .



وقيل: المراد بالمنعم عليهم هم الأنبياء. وقيل: النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. وعن ابن عباس: هم أصحاب موسى عليه السلام. وقيل: أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ .

وقرأ ابن مسعود: صراط من أنعمت عليهم .



وأصل النعمة هي الحالة التي يستلذها الإنسان. فاطلقت لما يستلذّه من النعمة وهي اللين .

وفي مجمع البيان<sup>١</sup>: أصلها المبالغة و الزيادة. يقال دقت الدواء فأنعمت دقه . وأما ما يراد في العرف من النعمة ويسمى به فكلّ خير ولذّة وسعادة بل كلّ مطلوب ومؤثر يسمّى نعمةً عند الناس وهذه تختلف بالإضافة فربّ نعيم لأحد يكون أليماً لآخر . وأما النعمة الحقيقية فهي السعادة الأخروية وأصلها المعرفة بالله وملكوته ولها صورةٌ وروحٌ وسرٌّ، فصورتها الإسلام والإذعان، وروحها الإيمان والإحسان ، وسرّها التوحيد والإيقان .

فحكم الإسلام متعلّقٌ بظاهر الدنيا، والإيمان بباطنها وباطن النشأة الظاهرة و الإحسان للحكم البرزخي ونشأته وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله<sup>٢</sup> : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. هذا هو المشهود في الاستحضار البرزخي وسرّ التوحيد وعين اليقين مختصّ بالآخرة فافهم ما أدرجت لك من أسرار الشريعة في طيّ هذه الكلمات الوجيزة تعلم إن كلّ شيء فيه كلّ شيء، والله المرشد .

وقديكون اسم النعمة لغيرها صدقاً ولكن من حيث يفضي إلى النعمة الحقيقية من الأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة مما نوضحها ونشرحها بهذه التقاسيم.

(١) مجمع البيان: في تفسير الآية: ٣٠/١ .

(٢) البخاري: كتاب التفسير، سورة لقمان: ١٤٤/٦ .

القسم الأولي: إن الأشياء كلها بالاضافة إلينا على أربعة أقسام الضروري النافع والنافع الغير ضروري وعكسه والذي لاضرورة فيه ولا نفع . أما الأول فهو إمامي الدنيا وهو كالنفس فإنه لو انقطع منك لحظة واحدة مات القلب وإمامي الآخرة وهو معرفة الله فإنها إن زالت عن القلب المعنوي لحظة مات القلب واستوجب العذاب الابدي .

وأما الثاني: فهو كالمال في الدنيا وسائر العلوم والمعارف في الآخرة .  
 وأما الثالث: فهو كالمضار التي لابد منها كالموت والهزم والمرض ولا نظير لهذا القسم في الآخرة فإن منافع تلك الدار لا يلزمها شيء من المضار .  
 وأما الرابع: فهو كالفقر في الدنيا والجهل والعذاب في الآخرة .  
 إذ عرفت هذا التقسيم فنقول: أعظم نعم الله علينا الهداية بالمعرفة فإننا قد ذكرنا إنه كما أن النفس في الدنيا ضرورية نافع وبانقطاعه يموت القلب فكذا المعرفة في الآخرة فلوزالت عن القلب لحظة لهلك لكن الموت الأول أسهل من الثاني لأنه لا يتألم فيه إلا ساعة واحدة وأما الموت الثاني فإنه يبقى أبداً فأبداً فأي نعمة أعظم وأشرف من نعمة الايمان .  
 ثم هي نعمة لا يخفى عليك أنه كما أن التنفس له أثران: إدخال النسيم الطيب على القلب وإبقاء اعتداله وسلامته وإخراج الهواء الفاسد الردي الحار المحترق عن القلب؛ كذلك الفكر له أثران أحدهما إيصال نسيم الحجّة وروح البرهان وبرّد اليقين إلى القلب الحقيقي وإبقاء اعتدال الايمان والمعرفة عليه، والثاني إخراج الأهوية الفاسدة والاعتقادات المولمة المتولدة من نيران الشبهات عنه ، وما ذلك إلا بأن يعرف أن هذه المحسوسات الدنيوية فانية منتهية إلى الفناء بعد وجودها فمن وقف على هذا علم إن أجل ما أنعمه الله على عبده تجريدته عن المحسوسات وتنوير قلبه بالمعارف الإلهيات .

الثانية : إنَّ الأمور كُلَّها بالنسبة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضارٌّ فيهما كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال ويضرُّ في المال كالتلذذ باتِّباع الشهوات وإلى ما هو عكس ذلك كقمع الشهوات ومخالفة النفس .

\* \* \*

الثالثة : إعلم إنَّ النعم والخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ماهي مؤثِّرة لذاتها وإلى ماهي مؤثِّرة لغيرها . وإلى ماهي مؤثِّرة لذاتها ولغيرها .

فالأول : كلِّدَّة النظر إلى وجه الله وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا يطلب ليتوصَّل بها إلى غاية أخرى مقصودة ورائها بل تطلب لذاتها .  
والثاني : كالدرهم والدنا نير إذ لفائدة فيها إلا كونها وسيلة لأمر آخر .

الثالث : كالصحَّة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على التفكير والتذكُّر الموصلين إلى لقاء الله ولتوصَّل بها إلى لذات الدنيا وتقصد أيضاً لذاتها فإنَّ الإنسان وإن استغنى عن المشي السذي يراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضاً سلامة الرجل من حيث إنَّها سلامة لأنها أمر وجودي بلا ضرر فيكون مطلوباً . إذ الوجود الذي لا ضرر فيه خيرٌ محض مؤثِّر لذاته . فإذن المؤثِّر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثِّر لذاته ولغيره فهو نعمة أيضاً ولكن دون الأول إذ المؤثِّر لأجل أمر آخر لا يخلو من نقص لأن ما لا نقص له أصلاً لو أريد لشيء آخر - ولو بوجه - كان ذلك الشيء خيراً منه من ذلك الوجه فلم يكن بريئاً من كل نقص بكلِّ وجه وقد فرضنا كذلك هذا خلف . وأما ما لا يؤثِّر إلا لغيره كالنقددين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنَّهما جوهران بأنَّهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان وربما لا يكون وسيلة في حق بعض بل بلاء وآفة فلا يكون نعمة وكذلك أمور هذا العالم .

\* \* \*

الرابعة : إن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال .

والشر أيضاً قد ينقسم إلى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمعت فيه الأوصاف الثلاثة. أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة . وأما في الشر فكالجهل المركب فإنه ضار وقبيح ومولم، وإنما لا يحس الجاهل بألم جهله لشواغل الدنيا وغطاء الطبيعة والمقيد هو الذي فيه بعض هذه الأوصاف دون بعض .

فرب نافع مولم كقطع الإصبع المتآكلة ورب نافع قبيح كالحمق فإنه يوجب استراحة الأحق في الحال إلى أن يجيء وقت هلاكه في المآل. ولذلك قيل: استراح من لاعقل له .



الخامسة : وهي الحاوية لمجامع النعم اعلم إن النعم تنقسم إلى ماهي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ماهي مطلوبة لغيرها. أما الغاية فهي السعادة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور: بقاء لأفئادنا، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر معه؛ وهي النعمة الحقيقية وغيرها يراد لأجلها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: لا عيش إلا عيش الآخرة .

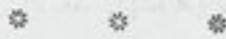
وأما الوسائل فتتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن . وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيعة بالبدن من المال والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة لها كالتوفيق والهداية. فهي إذن من أربعة أنواع .

(١) الآكلة : داء في العضو .

(٢) البخارى : كتاب الرقاق : ١٠٩/٨

أما النوع الأول . فيرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان والعدالة أما الإيمان فهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وأما العدالة وهي حسن صورة الباطن فعبارة عن تهذيب الأخلاق وتصفية القلب عن الرذائل وصرْف القوى الشهوية والغضبية والوهمية فيما خلقت لأجله حتى يكون شجاعاً لمتهوراً ولا جباناً ويكون عفيفاً لا فاجراً ولا خاملاً ويكون حكيماً لا مكاراً ولا أبله . فالفضائل المختصة بالنفس المقربة إلى الله علمٌ مكاشفةٌ وعلمٌ معاملةٌ وحسنٌ خلقٌ وحسنٌ سياسةٌ . ولا يتم هذه النعمة في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهي الفضائل البدنية . وهي أربعة : الصحة ، والقوة ، والجمال وطول العمر ولا يتهياً هذه الأمور البدنية إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة : المال والأهل والجاه وكرم العشرة . ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة البدنية إلا بالنوع الرابع من النعم وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسديده وتأييده .

فمجموع مجامع النعم ستة عشر وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى الآخر إما حاجة ضرورية أو نافعة ولو أخذنا في بيان الحاجة لطريق الآخرة إلى كل واحد واحد من الأقسام التي ذكرناها من النعم النفسية والبدنية والخارجة عنها كالمال والجاه والأهل والنسب ، لطال الكلام . لكن أخفى النعم البدنية في كونها محتاجاً إليها هو الجمال وأخفى النعم الخارجة في ذلك هو النسب فلتبين وجه الحاجة إليهما .



أما الجمال فلا يخفى نفعه في الدنيا فإن الطبائع من القبيح مستنفرة وحاجات الجميل أقرب إلى الإجابة وجاهه أوسع في الصدور وكل معين في الدنيا معين في الآخرة . ولأن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم اشراقه تأدى إلى البدن فالمنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان ولذلك عوّل أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن . وقيل : الروح إن أشرق على الظاهر فصباحة وإن أشرق على الباطن ففصاحة .

ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اطلبوا الخيرَ عند حسان الوجوه. وقال الفقهاء إذا تساوت درجاتُ المصلين فأحسنهم وجهها أو لاهم بالامامة. وقال سبحانه ممتناً بذلك ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [٢٤٧/٢] وليس المعنى ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثية بل تناسب الأعضاء واعتدال الخلقة.

وأما النسب فكرم العشيرة نعمةً جليلةً ولذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الأنمة من فريش»<sup>١</sup>، ولذلك كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من أكرم أرومة في نسب آدم. ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تخيّر والنطفكم. وقال: وإياكم وخضراءُ الدمن فقيل: وما خضراءُ الدمن؟ قال: المرءة الحسناء في المنبت السوء.



فإن قلت فمامعنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسد يد فنقول: التوفيق عبارة عن التأليف بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره. ويستعمل في الخير والسعادة ولاخفاء في الحاجة إليه ولذلك قيل:

إذالم يكن عونٌ من الله للفتى \* فأكثر مايجنى عليه اجتهاده  
وأما الهداية فلاسبيل لأحد إلى سعادة الآخرة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا كان جاهلاً به فيمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة وسائر الأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٥٠/٢٠] وقال ﴿لَوْ أَفْضَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [٢٤/٢٤].

(١) الجامع الصغير: ٤٤/١ .

(٢) المسند: ١٢٩/٣ و١٨٣ . الجامع الصغير: ١٢٤/١ .

(٣) الجامع الصغير: ١٣٠/١ .

(٤) معاني الاخبار: باب معنى خضراء الدمن: ٣١٦ . الكافي: ٣٣٢/٥ .

وللهدى ثلاث مراتب :

الأولى معرفة طريق الخير والشرّ المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٠/٩٠] وقد أنعم الله به على كافة الخلق بعضه بالعقل وبعضه على لسان الكتب والرسل. ولذلك قال: ﴿وَأَمَّا مَوْدُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [١٧/٤١] فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة للجميع ولهذا كلّفوا بتكليف واحدٍ وتساووا في أسباب سلوك طريق النجاة بهذه الهداية العامة .  
المرتبة الثانية هي التي يمدّ الله بها العبد حالاً بعد حالٍ وهي ثمرة المجاهدة حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٩٩/٢٩] وهو المراد بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمُ هُدًى﴾ [١٧/٤٢] .

والمرتبة الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم الولاية بعد كمال المجاهدة فيهدى بها إلى ما لا يهدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلّم العلوم، وهو الهدى المطلق وما عداه حجابٌ له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكلّ من جهته فقال: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [١٢٠/٢] وهو المسمّى حيوة في قوله ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَغَا فَآخِئِنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [١٢٢/٦] وبقوله: ﴿أَقْمِنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [٢٢/٣٩] .

ووجه انحصار مراتب الهدى في الثلث أن كلّ مقامٍ من مقامات الإيمان ومنزلٍ من منازل السالكين ينتظم من أمورٍ ثلاثة: أعمال وأحوال وأنوار هي معارف. ولا بدّ لكلّ منها من هداية يخصّ به .

وأما الرشد فيعنى به العناية الإلهية التي يعين الإنسان عند توجّهه إلى مقاصده فيقويه على ما فيه صلاحه ويفترّه عمّا فيه فسادُه ويكون ذلك من جانب الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [١١/٢١] فالرشد عبارة

عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محرّكة للعبد إياها فهو بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال. وكم من مهتدٍ غير رشيدٍ. فهي نعمة عظيمة .

وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب و تيسيرها عليه ليشتدّ في صوب الصواب في أسرع وقت. فكما إن أصل الهداية لا يكفي بل لابدّ من هداية محرّكة للداعية، وهي الرشد. فكذا الرشد لا يكفي بل لابدّ من تيسير الحركات بمساعدة الآلات حتّى يتّصل بما انبعثت الداعية إليه. فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد. وأما التأييد فكأنه جامع للكلّ وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المعنى بقوله تعالى ﴿إِذْ أَيْدَتَكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾ [١١٠/٥] .

وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن جوهر إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشرّ حتّى بصير كمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِرُوحِهِمْ يَهَالُوا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [٢٢/١٢] .

فهذه هي مجامع النعم ولن يستتبّ إلا بما يخوّله الله من الفهم الثاقب والذهن الصافي والسمع الواعي والقلب البصير والطبع المتواضع والمعلّم الناصح والمال الزائد على ما يقصر من المهمات بقلته القاصر عمّا يشغل عن الدين بكثرته والعزّ الذي يصونه عن سفه السفهاء وتسلّط الأعداء ويستدعى كلّ واحد من هذه النعم الستة عشر أسباباً ويستدعى تلك الأسباب أسباباً وهكذا إلى أن ينتهي بالأخرة إلى مسبب الأسباب وربّ الأرباب دليل المتحيّرين ملجأ المضطّرين .



وإذا كانت تلك الأسباب متسلسلة طويلة لا يمكن الاستقصاء فيها فلنصرف عنان القلم عن ذكرها لخروجها عن الحصر والإحصاء ، فإنّ صحّة البدن من جملتها



نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة ولو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بهاتمت هذه النعمة لم نقدّر عليها لأن الأكل مثلاً أحد أسباب الصحة وهو متوقف على أسباب غير محصورة بهاتمت نعمة الأكل. إذ لا يخفى أن الأكل فعلٌ وكل فعل من هذا العالم حركة إرادية وكل حركة إرادية لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد لها من إرادة والإرادة متوقفة على العلم بالمراد والعلم صورة نفسانية ونقش باطني لا بد لها من قابل ومنقوش به وهو لوح النفس ومن فاعل ناقش وهو ملك روحاني مستفيد من ملك فوقه وهكذا إلى مالك الملكوت.

ثم لا بد للأكل من مأكول وهو جسم مركب من أصول متخالفة الطبائع والأمكنة والأحوال ولا بد لها من أسباب يجمعها ويجبرها على الالتيام ويحفظها على مزاج يتهيأ صورة التمام ولا بد لتلك الأصول من أمكنة يتكوّن فيها وجهات يتوجه إليها عند خروجها وأزمنة يتحرك فيها ولا بد للأمكنة والأزمنة الموجودة للأجسام المستقيمة الحركة من محدّد مطبف بهاتمتين به جهات أمكنتها وحدود أزمنتها فيكون المحدد من جنس جملة الأجرام الأكرية الدائمة الحركة إلى أن يشاء الله.

ولا بد لها من أسباب محرّكة على سبيل المباشرة والمزاولة ولأسبابها أسباب أخرى على سبيل التشويق والامداد والعناية إذ ليست حركتها شهوية أو غضبية ليكون حيوانية محضة ولا مجازفة أو وهمية محضة طلباً لثناء أو حسن ذكر أو صيت أو نفعاً للأسافل بل حركة شوقية علوية وخدمة إلهية وطاعة ربانية فلها ملائكة يديرها وفوقها ملائكة أخرى يديرها ويشوقها طلباً لباري الكل وتشوقاً إليه وطاعة له على وجه يلزمها رشح الخبير الدائم على الأدنى والأسافل.

ثم لا بد للمأكول من صانع يصلحها ولا بد من أسباب لإصلاحها، من أرض ينبت فيها وهواء يصلح لها وحرارة تنضجها وماء يسقيها، والماء لا يتحرك بنفسه من مكانه كالبحر فلا بد لحركته من أسباب بعضها طبيعية عنصرية وبعضها نفسانية فلكية وبعضها

قَدْرِيَةِ إِلَهِيَّةٍ كَمَا يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ الْإِلَهِيُّونَ وَلِذَلِكَ قَالَ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا  
الْمَاءَ صَبًّا﴾ [٢٥/٨٠] .

ثم لا يكفى وجود الماء والتراب و الهواء إذ لو تركت الحبة في أرض ندية  
صلبة لم ينبت، لفقذ نفوذ الهواء في باطنها. فلا بد من أرض متخلخلة مشقوقة لدخول  
الماء فيها وخروج النبات منها، لا يتم شيء منها إلا بأسباب علوية وراء أسباب سفلية  
منتبهة إلى الله كما قال ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ الآية .

ولابد أيضاً لحركة الهواء في باطن الأرض من محرك شديد يحركه ويضربه  
بعنف على الأرض حتى ينفذ فيها. فيحتاج بمثل ما ذكرنا إلى أسباب منتبهة إلى الله تعالى  
كما أشار إليه بقوله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ [٢٢/١٥] .

فانظر في نعم الله في خلق البحار والأمطار وتحريك السحب إلى أرض الزراعة،  
ثم الأرض ربما كانت مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها فانظر كيف خلق الله الغيوم فسلب  
الرياح عليها ليسوقها بإذنه إلى أقطار العالم وهي سحب يقال بالماء . ثم انظر كيف يرسله  
مدراراً على الأرض . ثم انظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون والأنهار  
تدريجاً فلو خرجت دفعة، لخربت البلاد وهلكت الزروع والمواشي .

وأما الحرارة فإنها لا تنزل من الأثير بطبيعتها ولا يحصل من المساء والأرض  
وهما باردان ؛ فانظر كيف سحر الشمس وكيف أسكنها الله في موضع لائق لا يتضرر  
أهل الأرض بقربها المفرط للتحويل والتسخين ولا يبعدها المفرط للتجميد والتبريد  
وجعلها دائرة على حول الأرض شمالاً في فصل وجنوباً في فصل ومتوسطاً فيما بينهما  
في فصلين آخرين من الفصول الأربعة لينتفع بها جميع النواحي ويتسخن بها في وقت دون  
وقت فيحصل البرد عند الحاجة إليه والحرارة عند الحاجة إليها فهذه إحدى حكيم الشمس  
والحكم فيها أكثر من أن يحصى .

وكذا في القمر الذي هو كالخليفة لها وكذا سائر الكواكب مع أنها في أنفسها

موجودات شريفة مطبوعة الله تعالى خلقت للخدمة والطاعة لله والتقرب إليه في صلواتها الدائمة وسجودها وركوعها. ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [٣٨/٤٤] وقوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١٩١/٣] .

ولهذا لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء، قرأ هذه الآية ثم قال: « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته<sup>١</sup> . » معناه أن يقرأها ويترك التأمل في أحوال ملكوت السماء ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون الفلك وضوء الكواكب وذلك مما يشترك في معرفتها الدواب أيضاً .

فلهذا في ملكوت السموات والأرض والآفاق والأنفس عجائب عظيمة يطلب معرفتها المحبون لله المشتاقون إلى لقائه . فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ودقائق معانيها .

فكذلك الأمر في عجائب صنع الله وملكوت بدائه . فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنّفه بواسطة قلوب عباده فلا يتعجب من المصنف بل من الذي سخره لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتعليمه وإرشاده وتسديده . فالمقصود إن غذاء النبات الذي يتوقف عليه غذاء الإنسان لا يتم إلا بالانسان الأربعة والشمس والقمر والكواكب ولا يتم تلك إلا بالأفلاك التي مركزها فيها . ولا يتم الأفلاك إلا بحر كانتها . ولا يتم حر كانتها إلا بملائكة سماوية يحرّكونها وكذلك يتمادى إلى أسباب بعيدة تر كناد كرها تنبئها بما ذكر على ما هممل .

روى الشيخ الجليل محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله في عيون أخبار الرضا<sup>٢</sup> مسنداً عن الإمام محمد بن علي بن موسى بن الرضا عن أبيه موسى بن موسى بن

(١) في البرهان (٣٣١/١) ... مسح بها شبكته .

(٢) عيون الاخبار : الباب ٣١ ، الحديث ٢٠٣ : ٥٢/٢ وفيه فروق يسيرة .

جعفر بن محمد، عن جده عليهم السلام . قال: دعا سلمانُ أباذرَ رحمة الله عليهما إلى منزله فقدم إليه رغيفين فأخذ أبوذرَ الرغيفين يقلبهما فقال سلمان: يا أباذرَ لأيّ شيء تقلبهما؟ قال: خفتُ ألا يكونا نضيجين . فغضبَ سلمانُ من ذلك غضباً شديداً ثم قال: ما أجراك حيث تقلب هذين الرغيفين . فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض وعمل فيه الرعدُ والملائكة حتى وضعوه مواضعه وعملت فيه الأرضُ والخشبُ والحديدُ والبهائمُ والنارُ والحطبُ والملحُ ومالا أحصيه أكثر فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر ؟ فقال أبوذرُ : إلى الله أتوبُ وأستغفر الله مما أحدثتُ وإليك اعتذر مما كرهت .



فهذا من نعم الله في خلق الأسباب لأجل غذاء النبات ولا يخفى إن ما ذكرناه بعض من أسباب غذائه الجليلة منها إذ قد طويلاً ذكر تفصيل القوى النباتية الباطنة عن الأبصار، كالغاذية مع فروعها من الجاذبة والماسكة و الهاضمة والدافعة والنامية مع خدمها والمولدة مع جنودها ولو احققها. ولكل منها مواضع وأسباب وملائكة يسخره ويحرّكه لأجل فعله المخصوص. لو أردنا ذكرها لأدّى إلى التطويل قبل حصول الاستقصاء فيها فلننصرف عن ذكرها ولنذكر شيئاً من نعمه تعالى في خلق الأسباب الموصلة للأطعمة إلى جوف الإنسان .

فمنها الإدراك والحركة. فمن نعم الله عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء. فانظر إلى ترتيب حكمته في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس التي هي تعم الحيوانات لكونها واقعة في عالم الأضداد فيقع بها الاحتراز عن الحر الشديد والبرد الشديد مثلاً وخصوصاً في الأكل وهذه لا يكفي لاقتصار إدراكها على القريب ولا تقدر بها على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك.

فافتقرت إلى حسّ تدرك به ما بعد عنك فخلق الله فيك حسّ الشمّ لإلّا أنك تدرك بها الرائحة ولا تدري أنّها جاءت من أيّ ناحية، فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجوانب، فخلق لك البصر لتدرك ما بعد عنك وجهته معاً فتقصده ولا تدرك بها ما وراء الجدران والحجب، فخلق لك السمع حتى تدرك بها الأصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات ولأنك لا تدرك بالبصر إلا موجوداً حاضراً أو أمّا الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بالكلام المنتظم من حروف وأصوات، فأنعم الله عليك بهذه الحاسة وميّزك بفهم الكلام عن سائر الحيوانات .

وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حسّ الذوق لتدرك أنّ غذائك موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك. ثم هذه كلّها لا يكفيك لو لم يخلق في مقدّم دماغك حسّ آخر يجتمع عنده مدركات هذه الخمس فتحتاج إلى هذا الحسّ وإلى الحافظة ليحفظ عندك صورة ما ذخرت من الغذاء إلى وقت الحاجة وإلى مدرك للمعاني المتعلقة بأفراد نوعك وجنسك التي تحتاج إلى صداقتها ودفع عداوتها في تحصيل الغذاء الذي يحصل لك بالصناعة وبالطبيعة، وإلى حافظ لها وإلى متصرف فيها وفي الصور المخزونة بالتفصيل والترتيب والاستحضار وهذه كلّها تشارك فيها الحيوانات.

فلو لم يكن لك إلهي لكنك ناقصاً لعدم ادراكك عواقب الأمور فميّزك الله وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكلّ وهو العقل فتدرك مضرّة الأطعمة ومنفعتيها الجليلة والخفية بحسب الحال والمآل جميعاً.

وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وإصلاحها وذلك أحسن فوائد العقل وأقلّ الحكمة في انشائه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه. وعند ذلك ينقلب فوائد الحواسّ في حقك إلى ما ينفعك في طلب الخير الأقصى فيكون الحواسّ الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار والموكّلين بنواحي المملكة لاقتناص الأخبار المختلفة من الأقطار وتسليمها إلى الحسّ المشترك القاعد في سرير

مقدم الدماغ كصاحب القصص والكتب للملك فيأخذها وهي مختومة إذ ليس له إلا أخذها وحفظها وأما حقائق ما فيها فلا. ولكن الملك يسلم إليه هذه لأنها آت مختومة فيسفتحها ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له يحرك الجنود .

فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات ولا يمكن استيفاؤها وما يتوقف عليها من الأسباب فإن الحواس الظاهرة بعض المدارك والبصر واحد من جملتها والعين آلة واحدة لها وقد ركبت على عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض تلك الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كبيض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل منها صفة وصوره وهبته وشكل وتدوير ، ولكل منها أمساح وأجزاء وقوى وكيفيات لكل منها أحكام من الصحة والمرض والسلامة والآفة لا يعلمها إلا الله .

ولو اختلت طبقة واحدة بل شيء من أسبابها لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحّالون .

وقد صنّف في تشريح العين مجلدات كثيرة مع أنّ حجمها لا يزيد على جوزة صغيرة وأعجب من هذا دخول الأفلاك وطبقاتها وما تحويه من جملة العناصر في هذه الجوزة الصغيرة من غير أن يتضابق ولا يتصاغر ذلك الكبير ويتعاطم هذا الصغير . وقس بما ذكر حاسة السمع وسائر الحواس الظاهرة ولانسبة لها في الصنع والحكمة إلى الحواس الباطنة كما لانسبة للباطنة إلى العقل الذي هو وراء كلّها .

فهذه نعم الله في أسباب الإدراك فقس عليها حال نعم الله في خلق أسباب التحريك الذي هو قرين الإدراك في كل نفس كما قال تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فالسائق هو مبدء مبادي الإدراك والشهيد هو مبدء مبادي التحريك . فسألك بعد خلق

الإدراكات فيك لا يكفيك مشاهدة الطعام، بل تفتقر إلى شهوة الأكل والميل إليه تستحثك على الحركة والطلب. فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك كالمتناهي. ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة منك أهلكت نفسك. فخلق فيك الكراهة عند الشبع ثم خلق فيك شهوة المجامعة لبقاء نوعك ودوام نسلك. وفي خلق أسباب التوليد من الأنثيين والرجم ودم الحيض والمني والمجاري والعروق والأوعية وكيفية توليد النطفة وتشكلها وكيفية إدارتها في أطوار الخلقة إلى تمام الأعضاء، من العجائب ما لا يحصى.

ثم الشهوة والغضب لا يدعوان إلى ما ينفع ويصرفي الحال. وهما لا يكفياك، فميزك الله من الحيوانات بقوة أخرى هي الإرادة العقلية كرامالك وإفراد أعين البهائم كما أفردك بمعرفة العواقب.

ثم هذه القوى لا تكفيك. فكم من زمن مدرك مشتاق إلى شيء بعيد منه لا يقدر على المشي إليه. فخلق لك قدرة على المشي والطلب لمشتهايك، وآلات معينة عليهما وعلى الدفع والهرب لما يمنعك وما يضادك، وتلك الآلات بعضها طبيعية كالأعضاء وبعضها خارجية كالأسلحة والمراكب والدواب والفن وآلات الزرع ومباديها وأسبابها وفواعلها من الصناع والمصلحين وغير ذلك.

وفي كل ذلك من نعم الله وحكمته ما لا يعد ولا يحصى فلتعتبر رغيفاً واحداً ولتنظر ما تحتاج إليه حتى يصلح للأكل من بعد إلقاء البذر إلى الأرض.

فانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والأحجار والمعادن فإن فتشت علمت أن رغيفاً واحداً لا يستدير مالم يعمل عليها أكثر من ألف صانع ابتداءها من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة، حتى تنتهي النوبة إلى الإنسان، فإذا استدير

طلبه قريب من سبعة آلاف صانع ، كلّ صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل في كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات .  
حتى أن الإبرة الصغيرة التي فائدتها خيط اللباس الذي يمنع عنك البرد لا يكمل صورتها إلا بعد أن يمرّ على يد الإبري خمسة وعشرين مرّة .

ثم اعلم إن هؤلاء الصناع لو تفرقت آراؤهم وتنافروا تنافر طباع الوحش وتبدّدها بحيث لا يحويهم مكانٌ واحد ولا يجمعهم غرضٌ واحد ، فانظر كيف أَلَّفَ اللهُ بين قلوبهم ، فلأجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا واثقفوا وبنوا البلدان والمدن وربّوا المساكن والدور والأسواق والخانات وما أشبهها مما يطول شرحه .

ثم هذه المحبة تزول بأغراض يزاحمون عليها ويتنافسون فيها حتى ينجرّ إلى الحسد والغيبظ، وذلك يؤدى إلى التقابل والتفاسد ، فانظر كيف سلّط الله عليهم السلاطين وأيدهم بالقوة والشوكة والعدة والأسباب وألقى رُعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لها طوعاً وكرهاً ، وكيف هدَى اللهُ السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربّوا أجزاء المدينة كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون تلك الأجزاء على غرض واحد يتبع البعض منها البعض وربّوا الرؤساء والقضاة والحكّام وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل والزموهم للتساعدوا والتعاون بذلك القانون .

فانظر كيف بعث الأنبياء حتى أصلحو السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والإمارة وأحكام الفقه والقضاهما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلاً ما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين .

فانظر كيف أصلح الله الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله فينتهي إلى حضرة الربوبية



التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل كمال واعتدال.  
 وكل ذلك الذي عدّناه قطرةً من بحار كرمه ونعمه ولولا فضله ورحمته إذ قال:  
 ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/٦٩] لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة  
 اليسيرة . ولولا عزله إيانا لكمال رأفته عن أن نطمح بعين الطمع إلى الاحاطة بكنهه نعمه  
 لتشوقنا إلى طلب الاحاطة والاستقصاء، لكنه عزلنا عن ذلك إذ قال ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
 لَأَنحُصُّوهَا﴾ [١٤/٣٤]

فياذنه انبسطنا وبمنعه انقبضنا لأنه القابض والباسط لأزمة أفكارنا وهو الممسك  
 والمرسل لأعنة عقولنا واختيارنا.



فهذا ما أردنا ابراده من بيان حقيقة النعمة وتقسيمها و ذكر أقسامها ودرجاتها و  
 مجامعها وأصنافها والإشعار بأفها متسلسلة وأن الإحاطة بها ليس مقدور البشر وإنما هو شأن  
 من خلق القوى والقدر.

وليعذرني إخوان الحقيقة في اطناب الكلام في هذا المقام ، و ايراد نكات  
 لخصتها وجرّدتها من صحف الكرام تكثيراً لفوائد هذا الباب وتشبهاً بالبررة الكتاب  
 ومنه البداية وإليه المآب.<sup>١)</sup>

(١) نقل المصنف هذا الباب ملخصاً من كتاب احياء علوم الدين، كتاب الكفر، الركن

الثاني : ٩٩/٤ الى ١٢٠ .

قوله جل اسمه :

## غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

قرىء غير بالنصب في الشواذ ورويت عن ابن كثير وهي قراءة رسول الله (ص) وقرىء غير الضالين وروى ذلك عن علي عليه السلام .  
وأما النصب فعلى الحالية عن الضمير المجرور والعامل فيه أنعمت أو بإضمار «أعني»  
أوبالإستثناء إن فسر النعم بما يشمل القبيلين ويعم .

وفي الجر ثلاثة وجوه : كونه بدلاً من ضمير «عليهم» وكونه بدلاً من الموصول  
وكونه صفة له موضحة أو مخصصة على معنى كونهم جامعين بين أسباب النعمة والكمال  
وبين أسباب السلامة من مظاهر الغضب والضلال وإن كان الأصل في «غير» أن يكون صفة للنكرة  
فذلك إنما يستصح بأحد وجهين :

جعل الموصوف مجرى النكرة بأن لم يقصد بهذا الموصول موقت معهود كالمحلي  
في قوله : ولقد أمرّ على اللثيم بسبني<sup>(١)</sup> .

أوجعل الصفة مجرى المعرفة لكون غير مضافاً إلى ماله ضد واحد، فإنّ للمغضوب  
عليه ضدّاً واحداً هو المنعم عليه . فيكون متعبئاً معروفاً عندك تعريف الحركة بغير  
السكون . فإذا قلت : عليك بالحركة غير السكون . فوصفت المعرفة بالمعرفة بل  
وصفت الشيء بنفسه لأنها عينه، فكانت كررت الحركة تأكيداً .

وعليهم الأول في محلّ النصب على المفعولية ، والثاني في محلّ الرفع على

(١) تمام البيت : « فمضيت نمة قلت : لا يعنيني » . والبيت لرجل من بني سلول وكان  
يتمثل به على (ع) كثيراً (جامع الشواهد) .

## الفاعلية بالنيابة.

ولازائدة تأكيد الما في غير من معنى النفي الحرفي، ولهذا تقول: أنا زيد أغبر ضارب.  
كما تقول: أنا زيد لأضارب. ولا تقول: أنا زيد أمثل ضارب.

والغضب هبنا بمعنى إرادة إنزال العقوبة على من يستحقها في صورة الانتقام  
حكمة من الله لا بمعنى كيفية نفسانية توجب ثوران الدم للانتقام تشفياً عن حالة الغيظ  
كما في الحيوان. فإطلاق الغضب ونحوه على الله تعالى باعتبار غاياتها الفعلية لا باعتبار  
مبادئها الإنفعالية كما مر في معنى الرحمة. هذا ما أدى إليه النظر العقلي، وتحقيق ذلك  
ونحوه مما يحوج إلى نور المكاشفة كما وقعت الإشارة إليه.

والضلال هو العدول والذهاب عن طريق التوحيد ومنهج الحق وأصله الهلاك  
ومنه قوله تعالى ﴿إِذْ أَضَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [١٠/٣٢] أي هلكننا ومنه قوله تعالى:  
﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٨/٤٧] أي أهلكتها.

وللعدول جهاتٌ وشعبٌ كثيرةٌ ولكل منها عرض عريض وبازاء كل ضرب من  
العدول ضربٌ من الغضب.

وعند المفسرين المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى ﴿فِيهِمْ﴾ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ  
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿[٥/٦٠] والضالون النصارى لقوله تعالى: ﴿وَلَا  
تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٥/٧٧]  
وقال الحسن البصري: إن الله لم يبرئ اليهود عن الضلالة بإضافتها إلى النصارى  
ولم يبرئ النصارى عن الغضب بإضافته إلى اليهود بل كل من الطائفتين مغضوبٌ  
عليهم وهم ضالون إلا أنه تعالى قد خص كل فريق بسمه تعرف بهامع كونهم مشتركين  
في صفات كثيرة.

وقال عبد القاهر: حق اللفظ فيه خروجه مخرج الجنس وإن لا يقصد به قوم  
بأعيانهم كما تقول: اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم.  
فإنك لا تريد أن هبنا قوماً بأعيانهم هذه صفتهم.

وفيه موضع تأمل كما لا يخفى على من عرف العرف .

ويتجه لأحدان يقول : إن المغضوب عليهم هم العصاة والفسقة والضالين هم الجهال والكفرة لأن المهتدي بنور الحق إلى الصراط المستقيم والفائز بكرامة الوصول إلى النعيم ، من جمع الله له بين تكميل عقله النظري بنور الايمان و تكميل عقله العملي بتوفيق العمل بالأركان فكان المقابل له في الجملة من اختل إحدى كيرمته وقوته العاقلة والعاملة. فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القائل عمداً : ﴿ وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [ ٩٣ / ٤ ] ، والمخل بالعلم والإدراك للحق جاهل كافر لقوله تعالى ﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [ ٣٢ / ١٠ ] .

وإنما لم يقل: غير الذين غضبت عليهم، على وفاق: الذين أنعمت عليهم؛ ترجيحاً لجانب النعمة على جانب النعمة بنسبة الفعل إليه تعالى في الأولى صريحاً وفي الثانية بخلاف ذلك كما هو دأب كرمه وجري عاداته في سوق كلامه المجيد مثل قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [ ٧ / ١٤ ] حيث لم يقل: لأعذبنكم في مقابلة « لأزيدنكم » ومراعاة للادب في الخطاب واختياراً لحسن اللفظ المستطاب.

### مكاشفة

#### [استعارة الالفاظ للايصال الى المعاني العرفانية]

اعلم إن تمام التحقيق في هذه الآية يحتاج إلى الاستمداد من بحر عظيم من بحار علوم المكاشفة، فنقول على طبق ما حققه صاحب البصيرة المكحلة بنور الهداية: إن الله في جلاله وكبريائه صفةً بها يفيض على الخلق نور حكيمته وجوده تكوينا واختراعاً

(١) يشير المصنف إلى الشيخ ابن العربي وما يورده ملتقطات من بعض ابواب الفتوحات

يعبر عنها بلفظ جلت عظمة تلك الصفة أن تكون في عالم الألفاظ عبارة تدل على كنه حقيقتها لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات أن يمتدّ طرفهم إلى مبادي إشراقاتها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم انخفاض أبصار الخفافيش عن ذروة الشمس، فاضطرّ الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعبروا من حضيض عالم الظلمات عبارة توهم من مبادي أنوار حقيقتها شيئاً ضعيفاً جداً. فاستعاروا لها اللفظ «القدرة» فتجاسرنا بتوقيف من جانب الشرع أن الله صفة يصدر عنها الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود تقسيماً عقلياً إلى أقسام لتنوّعات فصول ومبادي انقسام فاستعير لمصدر هذه الأقسام ومبدء هذه التخصيصات بمثل تلك الضرورة الواقعة في عالم الألفاظ والأصوات عبارة «المشيّة» ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة المنبعثة عن المشيّة الناشئة عن الحكمة التي هي علمه بالنظام الأكمل وهو عين ذاته، إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها إلى ما يوقف به دون الغاية وكان لكلّ منهما نسبة إلى صفة المشيّة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها يتم الاختلاف والقسم فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب وهو المنعم عليه. ولنسبة الواقف دون غايته عبارة المكروه وهو المغضوب عليه.

وقيل: إنهما جميعاً داخلان تحت المشيّة إلا أن لكلّ منهما خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً مجملاً عند طلاب اكتساب العلوم من اطلاقات الألفاظ واللغات.

ثم نقول: لما كان لكلّ منهما خاصية لازمة تكون مقتضى ذاته من غير تخلل جعل مستأنف بينه وبينها وهي مستدعية لأن ينزل إليه من سلطان الأزل لباساً يناسبه ويردّ عليه من المشيّة السابقة كسوة ملائمة فانقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له في المشيّة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم، وإلى من سبقت لهم في الأزل

أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور ويكون ذلك لطفاً في حقهم.  
فكان لكل من الفريقين نسبة خاصة إلى المشية فاستعير لإحديهما عبارة «الرضا»  
وللأخرى عبارة «الغضب».

وظهر على من غضب عليه في الأزل فعلٌ وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير  
له «الكفران» وورد ذلك بنقمة اللعن زيادة في النكال.

وظهر على من ارتضاه في الأزل فعلٌ انسقت به الحكمة إلى غايتها فاستعير له  
الشكر ووردت بخلعة الثناء زيادة في الرضاء والقبول.

فكان الحاصل أنه أعطى الجمال ثم أثنى عليه، وأعطى النكال ثم قبح وأردى،  
فيكون بالحقيقة هو المجمل والمثنى على الجمال والمثنى عليه بكل حال.

وكانه لم يثن إلا على نفسه وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر، فهكذا كانت الأمور في  
أزل الأزال وهكذا تسلسلت الأسباب بتقدير رب الأرباب، ولم يكن شيء من ذلك عن  
اتفاق وبخت كما زعمه أصحاب ديمقراطيس. ولا عن إرادة بحت من دون غاية وحكمة  
كما عليه أصحاب الأشعري، بل عن إرادة وحكمة وحكم جزم وأمر حتم استعير له  
لفظ «القضاء».

[المبرم - ن]

وقيل: إنه كلمح بالبصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء المجزم بما  
سبق به التقدير. فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض، لفظ «القدر» فكان  
لفظ القضاء بإزاء ذلك الأمر العقلي الكلّي، ولفظ القدر بإزاء ذلك الأمر التفصيلي  
القدرّي المتماذي إلى غير النهاية.

وقيل: ليس شيء من ذلك بخارج عن قانون القضاء والقدر فخطر لبعض العباد إن  
القسمه لماذا اقتضت هذا التفصيل؟ وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت في الإيجاد  
والتكميل؟

وكان بعضهم لفصورهم لم يطبقوا ملاحظة كنه الأمر والإحتواء على مجامعه  
فألجموا عمالهم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع. وقيل لهم: اسكتوا فما لهذا خلقتم «لا يسأل  
عما يفعل وهم يسألون» عليكم بدين العجائز والزمنى عن سلوك عالم السماء وقصارى  
ايمانكم أن تؤمنوا بالغيب ايمان الأكمه بالألوان. اسكتوا وأنى للعميان والسؤال عن  
حقائق الألوان.

وأما من امتلأت مشكوة عقلهم المنفعل من نور الله النافذ في السموات والأرض  
وكان زيتهم أولأصافيا يكاد يضيء ولولم تمسه نار، فمستة نار العقل الفعّال فاشتعل  
نوراً على نور فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فآدر كوا الأمور كما هي عليه  
فقيل لهم : تأدّبوا بأدب الله واسكتوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا<sup>(١)</sup> فإن للحيطان آذان ،  
وحواليكم ضعفاء الأبصار فسير واسبيراً ضعفكم، ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار  
الخفافيش، فيكون ذلك سبب هلاكهم. فتخلّقوا بأخلاق الله و انزلوا إلى السماء  
الدينا من منتهى علوّكم ليسانس بكم الضعفاء ويقتسبوا من بقايا أنواركم المشرقة  
من وراء حجابكم كما يقتبس الخفّاش من بقاء نور الشمس والكواكب في جنح الليل،  
فيحيى به حيوة يحتمله شخصه وحاله لحيوة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا  
كما قيل:

شربنا وأهرقنا على الأرضِ فضلةً      وللأرضِ من كأسِ الكرامِ نصيبٌ

### تمثيل نوري

[بيان أن لامؤثر في الوجود إلابه ، والحكمة في أفعاله]

وقد ضرب الله مثلاً لهذا المرام تقريباً إلى أفهام الأنام، وقد عرف إنه ما خلق الجن  
والإنس إلا ليعبدون، وكانت عبادتهم ومعرفتهم غاية الحكمة في حقهم فأخبر الله عبدين

(١) الجامع الصغير : ٢٦/١ .

يُحِبُّ أَحَدَهُمَا واسمه جبرئيل وروح القدس وروح الأمين. وهو عنده محبوب  
 مطاع مكين ويُبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين .  
 ثم أحال الإرشاد والتعليم إلى جبرئيل فقال ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ  
 بِالْحَقِّ ﴾ [ ١٠٢/١٦ ] وقال : ﴿ يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾  
 [ ١٥/٤٠ ] وقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ [ ٥٣/٥-٦ ]  
 وأحال الإغواء والإضلال على إبليس فقال : لِيُضِلَّهُمْ عَنْ سَبِيلِهِ<sup>١)</sup>  
 والهداية: تبليغ العباد وسياقتهم إلى غاية الحكمة. فانظر كيف نسبها إلى العبد  
 الذي أحبه .

والإغواء: استيقافهم دون بلوغ غاية الحكمة. فانظر كيف نسبها إلى العبد الذي  
 غضب عليه مع أنه لفاعل ولا حاكم إلا هو كما قال : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْتَهَا فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَ  
 تَقْوَاهَا ﴾ [ ١٠١/٧-٨ ] وهذا محض العدل وحسن الترتيب في النظام.

ولهذا الأمر يوجدك في الشاهد مثال. فالملك إذا كان له عبدان ويريد أن يسقيه  
 أحدهما ويكنس الآخر فناء منزله عن الغازورات، لا يفوض سقي الشراب الطيب إلا إلى  
 أحسنهما وأطيبهما منظراً وأحبهما إليه ، ولا يعين للكنس إلا أقبحهما صورة وأخسهما  
 ولا ينبغي لك أن تقول: هذا فعلي، فلم يكن فعله على مذاق فعلي. فإنك أخطأت إذا أضفت  
 ذلك إلى نفسك. بل هو الذي صرفك وداعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص  
 المكروه. والفعل الحسن بالشخص المحبوب إتماماً للعدل، فإن عدله تارة يتم بما لا مدخل  
 لك فيها. وتارة يتم فيك أو بما لك فيه مدخل. فإنك أيضاً من أفعاله .

فداعيتك وعلمك وقدرتك وسائر أسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبته  
 بالعدل والحكمة ترتيباً يصدر منه الأفعال المعتدلة. إلا أنك لا ترى إلا نفسك، فتظن إن  
 ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه  
 إلى نفسك .

(١) ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً [ ٤/٦٠ ] .



وإنّما أنتَ مثلُ الصَّبِيِّ الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعيذ الذي يخرج صوراً من وراء حجاب يرقص ويزعق ويقوم ويقعد فيتعجب لظنّه إن هذه الأفعال إنّما يصدر من تلك الصور. ولم يعلم إنّها لا تتحرّك بأنفسها وإنّما يتحرّكها خيوطٌ شعريّة دقيقة لا يظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعيذ وهو محتجب عن الصبيان فيفرحون ويتعجبون .  
وأما العقلاء فإنّهم يعلمون إنّ ذلك يُحرّك وليس يتحرّك ولكنّهم ربما لم يعلموا تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلم المشعيذ الذي الأمرُ إليه والجادبة يديه . فكذلك صبيان الدنيا، والخلق كلّهم صبيانٌ إلاّ العلماء إلاّ إنّهم لا يعرفون كيفية التحريك. وهم الأكثرون إلاّ الراسخون في العلم، فإنّهم أدركوا بحدّة أبصارهم خيوطاً ورباطاتٍ دقيقة معلقة من السماء متشبّثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأنظار الظاهرة، ثمّ شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطق لها هي معلقة منها ولها أيضاً مقابضٌ وعرى هي في أيدي الملائكة المحرّكين للسموات، وشاهدوا أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل إليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون [ما يؤمرون] .

وعبر عن هذه المكاشفات في القرآن : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ ﴾ [٢٢/٥١] وعبر عن انتظار الملائكة لما نزل إليهم من الأمر والقدرّة بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدَّاحٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢/٦٥]

### مكاشفة اخرى

#### [مظاهر الرحمة والغضب]

إنّ لله مع تقدّس ذاته وتنزّه صفاته عن الأجزاء والأعضاء، يدين مقدّستين كلتاها يمين الله. وهما في الأفعال العالية بإزاء الصفتين المتقابلتين كالرحمة والغضب والرضاء

والسخط في الصفات.

ولهما قبضتان كما يدل عليه قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٦٧/٣٩]

وورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يطوي الله السموات يوم  
القيمة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؛ أين المتكبرون؛ ثم  
يطوى الأرضين بشماله.

وفي رواية<sup>١</sup> يأخذهن بيده الأخرى ثم يقول: أين الجبارون، أين المتكبرون؟  
وله أيضاً عند إستوائه على العرش قدمان متدلّيتان إلى الكرسي إحداهما ما يعبر  
عنه بقدم الصدق يعطى ثبوت أهل الجنّات في جنّاتهم، والأخرى ما يعبر عنه بقدم الجبروت  
يعطى ثبوت أهل جهنّم في جهنّم.

فهذه الأمور من المراتب الإلهية ولو ازمها من الأمور العامّة وهي التي تعرض  
للموجودات الإمكانية لقصور درجتها عن درك المراتب الإلهية.

فاعلم أنّ حكم النصب الإلهي تكميل مرتبة قبضة الشمال، فإنّه وإن كانت كلتا  
يديه المقدّستين يمينا مباركة لكن حكم كلّ واحدة منهما يخالف للأخرى والشمالية  
واليمينية، باعتبار أصحابهما فلينذا قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٦٧/٣٩] فجعل الأرض مقبوضة والسماء مطوية فافهم.

فليد الواحد المضاف إليها عموم السعداء الرحمة والجنان، وللأخرى العذاب  
والنيران.

ولكلّ منهما دولة وسلطنة يظهر حكمها في السعداء القائمين بشروط العبودية  
وحقوق الربوبية حسب المقدور، وفي الأشقياء المعتدين الجابرين المنحرفين عن

(١) الدر المنثور ٥/٣٣٥ .

(٢) ابي داود: كتاب السنة . باب في الرد على الجهمية : ٢٣٤/٤ .

سنن الاستقامة ومسلك الاعتدال، المفرطين في الحقوق الإلهية والمضيفين إلى أنفسهم ما لا يستحقونه.

وغاية حظهم من تلك الأحكام ما اتصل لهم بشفاعه ظاهر الصورة الإنسانية المحاكية لصورة الإنسان الحقيقي وشفاعة نسبة الجمعية والقدر المشترك الظاهر بعموم الرحمة الظاهرة الحكم في هذه الدار، فلما جهلوا كنه الأمر فلهغرتوا وادعوا وأشركوا وأخطأوا في الإضافة فلا جرم استعدوا بذلك الأحكام الغضب والانتقام فالحق يطالبهم بحقه في القيمة.

ولولا سبق الرحمة الغضب ما تأخرت عقوبة من شأنه ما ذكرناه مع انه ماثم من سلم من الجور بالكلية، ولولم يكن إلا جورنا في ضمن أبينا آدم حين مخالفته فلكل منا نصيب من ذلك يجنى ثمرته عاجلاً بالمحن وآجلاً بحكم ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ الْوَارِدُهَا﴾ [٧١/١٩].

وإلى عموم الجور وقعت الإشارة في قوله ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾ ولكن الرحمة العامة أخرت سلطنة الحكم العدل إلى يوم القيمة الذي هو يوم الكشف ويوم الفصل والقضاء فهناك يظهر الأمر تماماً ولهذا قال: مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ، لأنه يوم المجازات بالعدل الحقيقي والسرفيه إنه لو ظهر الحكم العدل ههنا ماجار أحد على أحد ولا تجاسر على ظلمه ولا افتري على الله وعلى غيره وكان الناس أمة واحدة، ولم يكمل مرتبة القبضتين وحكم القدمين ولا مظاهر الأسماء المتقابلة فأين إذا ﴿كَلَّا نَمِدُّ هُوَ لَاءً وَهُوَ لَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠/١٢]. أي ممنوعاً. فالرحمة العامة تستلزم العطاء الشامل لكل شيء لا جرم وقع الأمر هكذا فحقت الكلمة وعمت النعمة وظهر حكم الغضب ثم غلبت الرحمة فلا يخلوا منها شيء [حلت النعمة - ظ] من الممكنات كل منها على حسب حاله وقدر منزلته.

فكما أن رحمته تعالى شاملة واسعة لكل شيء فكذلك غضبه، إلا أن جانب الرحمة

ارجح لكونها ذاتية والغضب عارض لقصور الممكن لإمكانه عن قبول النور الأنتم.  
 وإليه الإشارة في قول أمير المؤمنين عليه السلام: سبحان من اتسعت رحمته لأولياته  
 في شدة نعمته. واشتدت نعمته لأعدائه في سعة رحمته.  
 وكذا الوعد والايعاد شاملٌ للكل إذ وعده في الحقيقة عبارة عن ايصال كل  
 واحد منها إلى غايته وكمال المعين له أزلاً، فكما إن الجنة موعودٌ بها كذلك النار.  
 ووعيده هو العذاب الذي يتعلّق بالإسم المنتقم. فأهل الجنة إنما يدخلونها بالايعاد والابتلاء  
 بأنواع المصائب والمحن. كما ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وآله: أشد الناس بلاءً  
 في الدنيا الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل. وقال أيضاً: ما أودى نبيٌّ  
 مثل ما أوديت.

ثم فوق هذا سرٌّ عزيزٌ جداً قلماً يوحدله ذائقاً وهو أن الكمال من أهل الله كالانبياء  
 والأولياء ومن شاركهم في بعض صفات الكمال إنما امتازوا عن من سواهم أو لأبسة  
 الدائرة الوجودية وصفاء جوهر الروح والاستيعاب الذي هو من لوازم الجمعية كما  
 نبّهت عليه في حقيقة الإنسان الكامل الذي هو برزخ الحضرتين ومرآتهما، وحضرة  
 الحق مشتملة على جميع الأسماء والصفات بل هي منبع لسائر النسب والإضافات والغضب  
 من أمهاتها والمحاذاة الشريفة الصفاتية إنما قامت بين الغضب والرحمة.

فمن ظهر بصورة الحضرة الجمعية بتمامها وكانت ذاته مرآة كاملة لا بد وأن  
 يظهر فيها كل ما شتمت الحضرة، وما شتمت عليه الإمكان على الوجه الأنتم الأشرف  
 فلا جرم وقع الأمر كما مرّ من سرّ قوله: ما أودى نبيٌّ مثل ما أوديت. وما يجري مجرى ذلك.

(١) في نهج البلاغة (الخطبة ٨٨) : هو الذي اشتدت نعمته على أعدائه في سعة رحمته ،  
 واتسعت رحمته لأولياته في شدة نعمته .

(٢) الجامع الصغير : ٢٢ / ١ .

(٣) في الجامع الصغير (٢ / ١٤٢) : ما أودى احد ما أوديت .

ولولا سبق الرحمة الغضب كان الأمر أشدّ فكما ان حظهم من النعيم أشدّ فكذا في الطرف الآخر، لكن في الدنيا لأن هذه النشأة هي الظاهرة بأحكام حضرة الإيمان المقتضية للنقائص والآلام ولذا قال: <sup>(١)</sup> نحن معاشر الأنبياء أشدّ الناس بلاءً في الدنيا .  
ومن بعث رحمة للعالمين فذلك بنفسه في الأوقات الشديدة كالغزوات المقتضية عموم العقوبة لسلطنة الغضب . ضعفاء الخلق .

وكذا نبّه على هذا السرّ صلى الله عليه وآله أهل الذوق الأتمّ لما رأى جهنّم وهو في صلوة الكسوف يتقى حرّها عن وجهه وثوبه ويتأخّر عن مكانه ويتضرّع ويقول: ألم تعدني ياربّ إنك لاتعذبهم وأنا فيهم؟ ألم ألم جنتي حجبت عنه فأفهم واغتنم .

وأهل النار إنّما يدخلونها بالجابذ والسائق والجابذ إلى النار المناسبة الواقعة بينها وبين أهلها . والسائق لهم هو الشيطان، كما إنّ الجاذب لأهل الجنة إلى الجنة المناسبة بينهما والسائق لهم الملك . فالوعد والوعيد كلاهما شاملان لكلّ العبيد وفيه سرّ قوله صلى الله عليه وآله: <sup>(٢)</sup> حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات . بل الجنة نفس المكاره عند من كره لقاء الله وكره الله لقاءهم . والنار مبدأ الشهوات وصورتها الأخرى لمن يستحقّها وهي نعيمهم . كما إنّ الجنة نعيم أهلها . ويملاء الله جهنّم بغضبه المشوب وقضائه ويملاء الجنة برحمته المشوبة ورضاه . فيعمّ رحمة الوجود ويسيطر النعمة فيكون الخلق كما هم في الدنيا كلّ حزب بما لديهم فرحون . لأنهم أفعاله الصادرة منه .

وقد ورد في الخبر <sup>(٣)</sup> إنّ الله جميل يحبّ الجمال وهو صانع العالم وأوجده على

(١) مضي ما يقرب منه آنفاً .

(٢) راجع جامع الاصول : باب صلوة الكسوف : ١١٩/٧ .

(٣) مسلم : كتاب الجنة ١٧ / ١٦٥ . ورواه البخاري بلفظ : « حجبت . . . » كتاب

الرقاق ١٢٧/٨ .

(٤) المسند : ١٣٣/٤ .

شاكلته كما قال: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِ كَلِمَتِهِ﴾ [١٧/٨٤] فَرُبُّكُمْ أَلْفُفُورٌ ذُو الرَّحْمَةِ  
فالعالم كله على غاية الجمال لأنه مرآة الحق. ولهذا هام فيه العارفون وتحقق بمحبته  
المتحققون لأنه المنظور إليه في كل عين والمحبوب بكل محبة والمعبود بكل عبادة  
والمقصود في الغيب والشهود وجميع العالم له مصلّ وحامد ومسبح .

فيتحوّلون لتحوّله في الأحكام والآثار وأخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في  
عباده صورة الرضا. فيتحوّل الحق في صورة النعيم فإن الرحيم والمعافي أول من رحم  
ويعفو وينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج والكرب والغضب على من أغضبه،  
ثم سرى ذلك في المغضوب عليه فمن فهم هذا آمن من غضبه ولم يأمن من مكر الله. ومن لم  
يفهم فسيعلم ويفهم فإن المآل إليه.

هذا نظر البالغين من الرجال بنور الرياضة والمجاهدة إلى مقام الولاية والمحبة  
والأحوال، وأما الذي وردت به الأخبار وأعطاه الإيمان والعلم إتمامي أحوال تظهر  
ومقامات تتشخص ومعان تتجسد ليعلم الله عباده معنى الإسم الإلهي الظاهر وهو ما بدمان  
هذا كله والإسم الإلهي الباطن وهو هويته وقد تسمى لنا بهما.  
وأما قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَأَآرِدُهُا﴾ [١٩/٧] فإن الطريق إلى الجنة  
عليها، فلا بد من الورد.

ولما تفرّرت هذه المكاشفات فنقول: لما خلق الله العرش وجعله محل استواء  
الرحمة الوجودية وأحدية كلمة الإيجادية التي هي قول «كن» وخلق الكرسي وانقسمت  
فيه الكلمة إلى أمرين: أمر وخلق ليعلم من كل شيء زوجين. وظهرت الشفعية من الكرسي  
بالفعل وكانت قبله بالقوة، وبحسب الوهم إذ كل ممكن زوج كيببي كما قالته الحكماء  
وهما جهنا الإمكان والوجوب أو المهية والوجود أو الفقر والمحبة باختلاف العبارات،  
ليعلم إن الحق مستأثر بالأحدية وإن الموجد الأول وإن كان واحد العين فله حكم نسبة

إلى ما ظهر عنه فهذا أصل شفعية العالم فتدلت إلى الكرسي القدمان حتى انقسمت فيه الكلمة الروحانية لأنه الثاني بعد العرش في الصورة والشكل فيه حصل شكلان في جسم العالم الطبيعي فتدلت إليه القدمان فاستقرت كل قدم في مكان فسمي المكان الواحد جنة والآخر جهنماً. وليس بعدهما مكان ينتقل إليه هاتان القدمان وهما لا يستمدان إلا من الأصل الذي ظهر تامنه وهو الرحمن فلا يعطيان إلا الرحمة، فإن النهاية يرجع إلى البداية بالحكمة غير أن بين البداية والنهاية طريقاً وإلا لم يكن بدؤاً وانهائية والسفر مظنة التعب والشقاء واللغوب. فهذا سبب ظهور ما ظهر في العالم دنيماً وآخرة وبرزخاً من الشقاء. وعند انتهاء الاستقرار يلقي عصي التسيار ويقع الراحة في دار القرار والبولار.

ولاحد أن يقول: فكان ينبغي عند الحلول في الدار الواحدة المسماة ناراً أن يوجد الراحة وليس الأمر كذلك .

فيقال له : صدقت ولكن فاتك النظر التمام ، وذلك أن المسافرين على نوعين مسافر يكون سفره مما هو فيه مترفها من كونه محبوباً مخدوماً حاصله جميع أغراضه في محفة محمولة على أعناق الرجال محفوظاً عن تغير الأهواء فهذا مثله في الوصول إلى المنزل مثل أهل الجنة في الجنة .

ومسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف المؤنة، إذا وصل إلى المنزل بقيت معه بقية التعب والمشقة زماناً حتى يذهب عنه ثم يجد الراحة، فهذا مثل من يتعذب ويشقى في النار التي منزله ثم تعمه الراحة التي وسعت كل شيء .

ومسافر بينهما ليست له رفاهية صاحب الجنة ولا عذاب صاحب النار التي منزله فهو بين راحة وتعب، فهي الطائفة التي يخرج من النار بشقاعة الشافعين وبإخراج أرحم الراحمين .

وهم على طبقات بقدر ما يبقى عنهم من التعب فيزول في النار شيئاً فشيئاً فإذا انتهت مدته خرجت إلى الجنة وهو محلّ الراحة .

وآخر من بقي هم الذين ما عملوا خيراً أقطلا من جهة الايمان ولا بائنان مكارم الأخلاق  
غير ان العناية سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار وهم من أهل الدار الذين هم  
أهلها. فغلقت الأبواب<sup>١</sup> واطبقت النار وقع اليأس من الخروج فحينئذ تعم الراحة لأهلها  
لأنهم قد يشسوا من الخروج منها كما يشس الكفار من أصحاب القبور .  
(الرحمة - المصدر)

وقد جعلهم على مزاج يصلح ساكن تلك الدار فلما يشسوا فرحوا فنعيمهم هذا  
القدر وهو أول نعيم يجدونه وحالهم فيها كما قدمنا بعد فراغ مدة الشقاء ، انهم  
يستعذبون العذاب فيزول الآلام ويصير العذاب عذاباً كما يستحلى صاحب الجرب  
من يحكه ، هذا ما أدى إليه نظر صاحب المشرب الختمي والمقام الجمعي حيث ذكر  
بعد ما نقلناه من مكاشفاته. فافهم نعيم كل دار تستعذبه بإنشاء الله .

الآن ترى صدق ما قلناه النار لانزال متألمة لما فيها من النقص وعدم الإمتلاء حتى  
يضع الجبار قدمه فيها كما ورد في الحديث<sup>٢</sup> وهي إحدى تينك القدمين المذكورتين  
في الكرسي .

والاخرى التي مستقرها الجنة قوله ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾  
والاسم «الرب» مع هؤلاء والجبار مع هؤلاء الآخرين. لأنها دار جلال وجبروت وهيبة  
والجنة دار جمال وانس ومنزل إلهي لطيف وهما بازاء القبضتان المذكورتان في  
الحديث القدسي<sup>٣</sup> الواحدة لأهل النار ولايبالي والآخرة لأهل الجنة ولايبالي لأن ما لهما  
إلى الرحمة الواسعة.

ولو كان الأمر كما يتوهّمه من لا علم له من عدم المبالاة ما وقع الأمر بالجرائم والحدود

(١-١) كذا في المخطوطة وفي المصدر : « وبقي أهل هذه الدار الاخرى فيها فغلقت

أبواب الدار . . . » وما نقله المصنف هنا و كتابه الاسفار الاربعة ( ج ٩ ص ٣٥٨ )

ملخص مما جاء في الباب الرابع والسبعون وثلاثمائة من الفتوحات المكية ( ج ٣ ص ٤٦٢ )

ولم نتعرض للفروق ، فراجع ان شئت فانه اوضح مما في هنا .



ولا وَصَفَ نَفْسَهُ بِغَضَبٍ وَلَا بِالْبَطْشِ الشَّدِيدِ فَهَذَا كَلَّمَهُ مِنَ الْمَبَالَاةِ وَالْهَمِّ بِالْمَأْخُودِ الْمَحْدُودِ إِذْ لَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ قَدْرٌ مَا عَتَبَ وَلَا اسْتَعَذَبَ وَقَدْقِيلٌ فِي أَهْلِ النِّفْوَى: إِنَّ الْجَنَّةَ أَعَدَّتْ لِلْمَتَّقِينَ .  
 وقال في أهل الشَّقَاءِ ﴿أَعَدَّلَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣١/٧٦] فلولو المبالاة ما ظهر هذا الحكم .  
 فللأمور والأحكام مواطن عرفها أهلها ولم يتعدَّ بكلِّ حكم موطنه والعالم لا يزال يتادَّب مع الله وبِعالَمه في كلِّ موطنٍ بما يريد الحقَّ ومن لا يعلم ليس كذلك فبالقدمين أغنى وأفقر وبهما أمات وأحْيى وبهما خلق الزوجين الذكر والأنثى وبهما أعزَّو أذلَّ وأعطى ومنع وأضرَّو نفع، ولولاهما ما وقَّع في العالم شركٌ فانهما اشتركتا في الحكم والعالم فلكلِّ منهما دارٌ يحكم فيها، وأهلُ يحكم فيهم بما شاء الله من الحكم .

### مكاشفة أخرى

#### [درجات غضبة تعالى]

اعلم إنَّ النعيم والعذاب ثمرة الرضا والغضب. ولكلِّ منهما ثلاث مراتب كما في باقي الصفات. فأول درجات الغضب يقضى بالحرمان وقطع الإمداد العلمي المستلزم لتسلُّط الجهل والهوى والنفس والشيطان. لكن كلَّ ذلك مؤقتاً إلى أجل معلوم عند الله في الدنيا إلى النفس التي قبل آخر الانفاس في حق من يختم له بالسعادة الأخرى كما ثبت في الحديث<sup>(١)</sup> سواء كانت سلطنة ما ذكر ظاهراً أو باطناً أوهما معاً. ولا شك في أن كلاً من الأمور المذكورة مبادئ، كمسالات دنيوية ولذات عاجلية لمن في حزبيها. والرتبة الثانية تقضى بانسحاب الحكم المذكور باطناً هيئنا وظاهراً في الآخرة برهة من الزمان الأخرى أو يتصل الحكم إلى حين دخول جهنم وفتح باب الشفاعة وآخر مدة الحكم حال

(١) في الكافي كتاب التوحيد ، باب السعادة والشقاء : (١٥٤/١) عن الصادق (ع) :  
 يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس ما أشبهه بهم ، بل هو منهم ، ثم يتداركه  
 السعادة ... ان من كتبه الله سعيداً وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة .  
 وروى ما في هذا المعنى عن النبي (ص) ايضاً راجع الترمذى : كتاب القدر ، باب  
 ان الاعمال بالخواتيم : ٤٤٦/٤ .

ظهور حكم أرحم الراحمين بعد انتفاء حكم شفاعة الشافعين<sup>١)</sup>.  
 والرتبة الثالثة تقتضي التابيد ودوام حكم التباعد كما في قوله صلى الله عليه وآله: <sup>٢)</sup> ان الله لم ينظر إلى الأجسام مذخلقها . وكمال حكم هذا الغضب يظهر يوم القيمة كما أخبر الرسل عن ذلك قاطبة بقولهم الذي حكاه نبينا صلى الله عليه وآله وعليهم: <sup>٣)</sup> إن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله. فشهدت بكماله شهادة يستلزم بشاره لو عرفت لم تياس من رحمة الله ولو جازاً فشاء ذلك، وكذا سرّ تردّد الناس إلى الأنبياء عليهم السلام ، وابتها لهم إلى نبينا عليه وعليهم السلام ، وسرّ فتح الله باب الشفاعة وسرّ وضع الجبار قدمه فيها. يعني في جهنم. فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قطّ قطّ أي حسبي حسبي<sup>٤)</sup> . وسرّ السجدة الأربعة وما يخرج من النار كلّ دفعة وماتلك المعاودة، وسرّ قول مالك خازن جهنم لنبينا صلى الله عليه وآله في آخر مرة يأتيه لخراج آخر من يخرج بشفاعته : يا محمد ما تركت لغضب ربك شيئاً ، وسرّ قوله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين<sup>١)</sup> ، وسرّ قوله سبحانه لنبيه عند شفاعته في أهل لاله إلا الله: ليس ذلك لك. الذي يقول في أثره شفعت الملائكة الحديث وغير ذلك من الأسرار التي رمزت واجمل ذكرها مما يبهر العقول ويحير الأبواب كما قيل :

وما كلّ معلوم يُباح مصونة  
 وما كلّ ما املت عيون الطبايروى

(١) مضي في ص ٧١ .

(٢) الجامع الصغير: ٧٢/١ .

(٣) البخاري : ١٦٤/٤ .

(٤) الدر المنثور في تفسير : (يوم نقول لجهنم ...) ١٠٧/٦ .

(٥) رواه الغزالي في الاحياء ، وقال العراقي في تخريجه : أخرجه الطبراني في

الايوسط (باب الشفاعة ٥٢٧/٤) .

## مكاشفة اخرى

## [باطن الغضب]

وكلّ صفة الهيّة واسم ربّاني كما ان لها مظاهر ولوازم ايجادية فلها أيضاً غايات وحكم مترتبة عليها وثمرات أخروية تنبعث عنها. فنقول: حكمة الغضب وباطنه الذي ينسحب عليه حكم الرحمة العامّة ويظهر منه الغاية الوجودية في المغضوب عليهم كما قال ﴿بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ أمور ثلاثة: وقاية وتطهير وتكميل. اما النوع الأول وهو الوقاية فكصاحب الأكلة إذا ظهرت في عضو وقدّر أن يكون الطيب والده أو صديقه فإنه مع فرط محبته يبادر لقطع العضو المعتلّ لما لم يكن فيه قابلية الصلاح والمعالجة. فستراه يباشر الإيداء الظاهر وهو شريك المتأذى ولا مندوحة لتعذر الجمع بين العافية وترك القطع لما لم يساعد استعداد العضو على ذلك، وكذا في يدمن لسعته الحيّة، والمعاصي بمنزلة الآلام والآفات الحاصلة لباطن الإنسان من لدع حية الهوى وعقارب الشهوات الكامنة الذي سيظهر بصورها الخاصة في نشأة القبر والبرزخ وغيرها. فافهم ذلك وتذكّر: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددى في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له من ذلك» والوالد يظهر الغضب لولده رعاية لمصلحة وهو في ذاته غير غاضب وإنما يظن الولد والده مغضباً لما يشاهد من الآثار الدالة على الغضب عادة والأمر بخلافه في نفس الأمر وإنما ذلك لقصور نظر الولد قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٣/٣١] ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [٢٤/٢].

ألا ترى إن النار قد يتخذ دواء لبعض الأمراض في الدنيا فهي وقاية وهو الداء الذي لا يشفي إلا بالكّي من النار.

فكما جعل الله النار وقاية في هذا الموطن من داء هو أشدّ منها في حقّ المبتلى به

(١) التوحيد للصدوق (ره) : باب ان الله لا يفعل بعباده الا الاصلح : ٣٩٨ .

فكذلك جعل في الآخرة النار دواء كالكي من داء وأي داء أكبر من الكبائر فدفع بدخولهم يوم القيمة داء عظيماً أعظم من النار وهو البعد عن حضرته كما في الحدود الدنيا وقيته وقاية من عذاب الآخرة .

\* \* \*

وأما النوع الثاني وهو التطهير فمثاله لو أن ذهباً مزج برصاص ونحاس لمصلحة لا يمكن حصولها إلا بالمجموع ثم إذا انقضى الوقت المراد لأجله هذا الجمع والتركيب وحصل المطلوب وقصد تميز الذهب مما مزجه من غير جنسه ، لا بد وأن يجعل في النار الشديدة لينفرد الذهب عن غير جنسه، ويظهر كماله الذاتي ويذهب ما جاوره مما لم يطلب لنفسه وإنما يريد للمعنى فيه يتصل بالذهب، وقد اتصل كمااء الورد كان أصله ماء فعاد إلى أصله لكن بمزيد عطرية وكميات مطلوبة .

وهكذا الأمر في الغذاء توصله الغازية ويضمه إلى الإنسان فإذا استخلصت الطبيعة منه المراد رمت بالثقل إذ لا غرض فيه وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٣٧/٨] .

وقال أيضاً في هذا المعنى ببيان أوضح وأتم تفصيلاً ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>١)</sup> الآيات، فتدبر .

ففيها تنبيهات شريفة على أحوال أهل قبضة الغضب وأهل قبضة الرحمة .

(١) لتعلم ان الوجه في ذلك ان مياه النفوس خلقت من منبع واحد كما قال: «خلقكم»

\* \* \*

وأما النوع الثالث: وهو التكميل وهو الأصل في الغاية وماسبق من التوقّي والتطهير كان لأجله فمشاراً إليه في تبديل السيئات حسنات: وأنت إذا تدبّرت وفتّشت حال الموجودات عند شدائدّها وآلامها وانقلاباتها الطبيعية والذاتية التي بحسب الأسباب الباطنة، لتجد منها أحداً إلا وقد ولّاه الله إلى ما هو خير له مما كان أو لأوجهه إلى أصله وكماله.

\* \* \*

هذا ما أقيم عليه البرهان كما أشرنا من قبل. وحكم به الاستقراء والتجربة والوجدان وفيه سرّ الربوبية وأحدية الفعل من حيث الأصل والفاعل والغاية مع أنّه لا مكره ولا مضيق ولا مزاحم ولا رادّه تعالى من خارج.

وكان أصل ايجاده للعالم على أكمل وجه اقتضته حكمته ومشيئته فليس في الوجود جهة من الجهات ولا وجه من الوجوه الوجودية إلا وهو أصله ومبدأه ومنشأه فافهم وارق، فإنّك إن علوت من هذه النمط استحلّيت بسرّ القدر المتحكّم في العلم والعالم والمعلوم ومن رقا فوق ذلك غلّط الإضافات الشائعة في الأفعال والأسماء والصفات والأحوال. وإن رقا فوق ذلك رأى الجمال المطلق الذي لا قبّح عنده ولا شرفيه ولا غلّط ولا نقص ولا تخويف.

---

من نفس واحدة [١/٤] و قال بعد استيفاء خلقه الجسد من دم الطمث : « ونفخت فيه من روحي » [٢٩/١٥] فمن روح واحد سرى السر المنفوخ فيه وهو النفس. فلما كان أصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث ذاتها ولم يظهر لها عين الوجود هذا الجسد - الطبيعي ، فكانت ممتزجة به فلم يظهر منها اشراق النور الخالص المجرد عن المواد لصحبة هذه الظلمات ولعلل وأمراض طرأت عليها ، وهي امور عرضية . فيحتاج السى ازالها ليتظهر ذاتها ويظهر صحتها ويشرق نورها الاصلى (منه - ره) .

وإن رفاقك ذلك رأى الجور والعدل والظلم والحلم والتعظيم والإهانة والكتمان  
والإبانة والوعد والوعيد، كلها محترقة بنور السباحات الوجهية مستهلكة في عرصة الحضرة  
الذاتية الأحدية. فإن رفاقك عن ذلك سكت فلم يفصح، وعمى فلم ينظر، وذهب فلم يظهر، فإن أعيد  
ظهر بكل وصف وكان المعنى المحيط بكل حرف!!

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

## فصل

### في بيان نبد من فضائل سورة الفاتحة

اعلم إن المقصد الأقصى واللباب الأصفى من إنزال القرآن وتنزيله على أشرف خلق الله صلى الله عليه وآله وأولاً وعلى أمته الذين هم خير الأمم ثانياً، هو هداية الخلق وإرشادهم وتكميلهم بسياقتهم إلى الله ودار كرامته على أتم وجه وأشرفه. وذلك إنما يحصل بتزيين نفوسهم بأنوار الحكمة والمعرفة وتجريدها عن رِقِّ الطبيعة، وأسرقواها الشهوية والغضبوية والوهمية التي هي مداخل الشيطان في باطن الإنسان وتطهيرها عن أرجاس العنصريّات وقاذوراتها وتخليصها عن مكائد الشياطين وجنودها الداخليّة والخارجيّة .

فالقرآن مشتملٌ من الحكمة والمعرفة على عظامها وأصولها التي عمزت عن دركها أفهام السابقين واللاحقين، ومن الشريعة والطريقة على لطائفها ولبابها التي خلت عنها زُبُر المتقدّمين والمتأخّرين .

ولعمري إنه كصورة جمعيّة العالم المخلوق على صورة الرحمن. الدالّ بهيئته ونظامه واشتماله على مظاهر الصفات الجماليّة من الملائكة وأنوارها ومن ضاههاها، والصفات الجلالية من الأجسام وقواها وما شابهها على وجود من له الخلق والأمر . ونسبة سورة الفاتحة إلى القرآن كلّه كنسبة الإنسان وهو العالم الصغير، إلى العالم هو الإنسان الكبير .

وكما إنّ الإنسان الكامل كتابٌ وجيزٌ ونسخةٌ منتخبةٌ يوجد فيه كلّ ما في

الكتاب الكبير الجامع الذي لارطب ولا يابس إلا ويوجد فيه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. كما قيل :

من كل أمرٍ لهُ ولطيفُهُ \* مستودعٌ في هذه المجموعة

فكذلك فاتحة الكتاب مع قصرها ووجازتها يوجد فيها مجامع مقاصد القرآن وأسرارها وأنوارها وليس لغيرها من سائر السور القرآنية هذه الجامعة كما ليس لواحد من صور أجزاء العالم للإنسان من صورة الجمعية الإلهية على ما قيل :

ليس من الله بمستنكر \* أن يجمع العالم في واحد

والعارف المحقق يفهم من هذه السورة الواحدة جميع المعارف والعلوم الكلية المنتشرة في آيات القرآن وسوره كما وقع التنبيه عليه. ومن لم يفهم هذه السورة على وجه يستنبط منها عمدة أسرار العلوم الإلهية والمعالم الربانية من أحوال المبدع والمعاد وعلم النفس وما بعدها وما فوقها الذي هو مفتاح سائر العلوم كلها، فليس هو بعالم رباني ولا مهتد بتفسيرها على وجهه .

ولو لم يكن هذه السورة مشتملة كما قلنا على أسرار المبدع والمعاد وعلم سلوك الإنسان إلى ربه لما وردت الأخبار على فضلها وأنها تعادل كل القرآن. إذ لا مرتبة ولا فضيلة لشيء بالحقيقة إلا بسبب اشتماله على الأمور الإلهية وأحوالها كما مر مراراً. ولو أن إنساناً أراد أن يعلم أن أي الأشياء هو أفضل ما به يتقرب العبد إلى الله تعالى، وأنها أكسير السعادة الأخروية التي يجعل حديد قلب الإنسان ذهباً خالصاً وإبريزاً صافياً يليق أن يتختم به يد الملك ويختم به خزائنه الشريفة، فليتأمل وليذعن أن ذلك يجب أن يكون من الأمور التي أنزلها الله على قلب بشري ويجب أن يكون ذلك الشيء من قبيل ما يوجد في كتب الأنبياء سلام الله عليهم وخزائن أسرارهم، والذي أفاض على قلوبهم من العلوم والمعارف .

ولا بد أن يكون النبي الذي أوحى الله إليه بهذا الأمر الذي هو أشرف ما يستكمل



به جوهر الإنسان ، هو أشرف الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم عليه وآله أفضل التحيات وأنور التحييدات .

ولابد أن يكون المكان والزمان الذي وقع الإيحاء والتكليم والهداية له صلى الله عليه وآله بهذا أعلى الأمكنة وأسعد الأزمنة فلا بد أن يكون ذلك الإنعام عليه عند عروجه إليه تعالى ليلة المعراج والذي نزل ليلة المعراج على النبي صلى الله عليه وآله من السور والآيات ، كل هذه السورة وخواتيم سورة البقرة .

فهذا مما دلّ على أن أفضل السور سورة الفاتحة ، وأفضل الآيات خواتيم سورة البقرة ، ولهذا لابد وأن يكون كلاهما مشتملا على غاية الكمال الإنساني . وسبب ذلك إن سعادة الدارين إنما يتم بدعوة الخلق من قبله تعالى بواسطة متوسط مؤيد شريف مطاع أمين كما قال تعالى ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [ ٢١ / ٨١ ] ولكل مؤيد مطاع في الروحانيات مطاع في الجسمانيات بل المطاع في الروحانيات ثمرة المطاع في الجسمانيات ، فإن الدنيا بحذايرها مظاهر وفروع لما في الروحانيات لأن نسبة عالم الغيب إلى عالم الشهادة نسبة الأصل إلى الفرع ، ونسبة النور إلى الظل بكل شاهد فله في الغائب أصل وإللكان كسر ابزابل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال وإللكان الشاهد كشجرة بلا ثمرة ودليل بلا مدلول فالمطاع هي هنا صورة المطاع هناك والمطاع في عالم الأرواح هو المصدر والمطاع في عالم الأجسام هو المظهر وبينهما ملاقة واتصال وبهما يتم سعادة الدارين لأنهما يدعوان إلى الله بالرسالة .

وحاصل الدعوة والرسالة أمور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة . منها أربعة متعلقة بأسرار المبدء وهي معرفة الربوبية وعلم المفارقات من الحكمة الإلهية أعني معرفة الله وملائكته وكتبه ورسوله ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَأَنْفَرِقَ بَيْنَ الَّذِينَ رُسِلَهُ ﴾ [ ٢٨٥ / ٢ ] .

ومنها ما بتعلق بالوسط و هو إثنان : أحدهما معرفة العبودية : ﴿ وَقَالُوا  
 سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ والثاني كمال العبودية وهو الإلتجاء إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه :  
 ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ و واحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب إلى الملك الجواد ﴿ وَإِلَيْكَ  
 الْمَصِيرُ ﴾ فكذاك تشتمل هذه السورة على هذه الأمور السبعة :

فقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ مشتمل على توحيد الذات والصفات .  
 وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه توحيد الأفعال وهي قسمان : عالم الأمر و  
 فيه الملائكة المقربون وعالم الخلق وأصله وصفوته الأنبياء والمرسلون ومن يتلوهم .  
 وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إشارة إلى عالم التحميد و التقديس والتسبيح وفيه  
 الملائكة المسبحون بحمده تعالى .

وقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إشارة إلى كُمل أهل العلم والعرفان وهم الأنبياء  
 و الأولياء ومن يتلوهم .

وقوله : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ أي رحمن الدنيا و رحيم الآخرة فيه إشارة  
 إلى أهل الرحمة الإلهية في كلا العالمين وهم الملائكة والرسل .

وقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ إشارة إلى حقيقة المعاد و رجوع الكل  
 إليه تعالى لأنه غاية الغايات .

وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إشارة إلى كيفية العبودية بتهذيب الأخلاق  
 وتصفية الباطن وإلى طلب اللتجاء إلى الله وهي حالة الإنسان فيما بين البداية والنهاية .

وقوله : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إشارة إلى العلم بكلمات الله وآياته .

وقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخر السورة - إشارة إلى القرآن  
 المجيد الذي هو أشرف الكتب السماوية وهي الألواح النفسية النازلة على الأنبياء السابقين  
 لأن الجوهر النفسي العقلي من النبي ﷺ الذي هو جوهر النبوة كلمة إلهية بوجه و  
 كتاب مبين فيه آيات الحكمة والمعرفة بوجه هو بعينه صراط الله العزيز الحميد إذ

لا يمكن وصول العبد إلى الله إلا بعد الوصول إلى معرفة ذاته و كذا من ينوب عنه عليه السلام كما دل عليه الحروف المقطعات القرآنية<sup>(١)</sup> : «على صراط حق نمسكه» .

\* \* \*

وتنبعث من هذه المراتب سبع مقامات في المكاملة الحقيقية مع الله بالدعاء :  
 أولها الذِّكْر ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فصد النسيان وهو الذِّكْر  
 ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [٢٤/١٨] وهذا الذِّكْر إنما يحصل بقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ  
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

وثانيها : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ و  
 رفع الإصر والمشقة في الحمل بوجب الحمد ﴿ الْجَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وثالثها : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ وذلك إشارة إلى كمال رحمته :  
 ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

ورابعها : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ لأنك أنت المالك للقضاء والحكومة يوم الآخرة  
 ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

وخامسها : ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ لأننا التجاننا بكليتنا إليك وتوكلنا في جميع الأمور  
 عليك : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وسادسها : ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ لأننا طلبنا الهداية منك ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾  
 وسابعها : ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

\* \* \*

فهذه المراتب ذكرها محمد عليه السلام في عالم الأرواح عند صعوده إلى  
 المعراج، فلما نزل من المعراج الجسماني السماوي فاض أثر المصدر على المظهر  
 فوق التعبير عنها بالمكاملة الصورية في عالم السماء الدنيا بينهما بسورة الفاتحة فمن

(١) مؤلفة من مجموع الحروف المقطعة باسقاط مكرراتها .

قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر إلى المصدر كما نزلت في عهد محمد عليه وآله السلام من المصدر إلى المظهر ولهذا السبب قال صلوات الله عليه وآله: الصلوة معراج المؤمن.

وأما الاخبار الدالة على فضلها فكثيرة منها ما روي مسنداً إلى أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مسلم قرء فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرء ثلثي القرآن. وفي رواية: كأنما قرء القرآن.

وروي عنه بسند آخر قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب، فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة والإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلاً. هي أم الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل.

وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي باسناده عن النبي عليه وآله السلام قال لجابر بن عبد الله: يا جابر ألا أعلمك بفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها. قال: فعلمه الحمد أم الكتاب ثم قال: يا جابر ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني. فقال: هي شفاء من كل داء إلا السام والسم الموت.

وعن جعفر الصادق عليه السلام قال: من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء.<sup>(١)</sup> وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل قال: يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم. فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها يازاء القرآن وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش وإن الله خصّ محمداً وشرّفه بها ولم يشرك فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان

(١) الكافي: كتاب فضل القرآن: ٢/٦٢٤.

(٢) عيون الاخبار: الباب ٢٨ وفيه فروق يسيرة: ١/٣٠٢.

عليه السلام فإنه أعطاه منها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأثرى يحكى عن بلقيس حين قالت اني ألقى إلى كتّاب كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْفَمَنْ قرأها معتقد الموالاة محمد وآله، منقاداً لأمرها مؤناً بظواهرها وباطناتها، أعطاه الله بكل حرفٍ منها حسنةً كلّ واحدٍ منها أفضل له من الدنيا بما فيها ومن استمع إلى قارئها يقرأها كان له قدرٌ ثلث ما للقاري<sup>(١)</sup>، فليست أكثر أحدكم من هذا الخير المعرض له فإنه غنيمة لا يذهب أوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة.

وعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن القوم ليبعث الله عليهم العذابَ حتماً مقضياً فيقرأ صبيهم في الكتاب: الحمد لله رب العالمين. فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم العذابَ أربعين سنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أتاه ملك فقال: ابشر بنورين أو نيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن يقرأ [أحد] حرفاً منها إلا أعطيته (ما يتضمنه - ن).

أقول، وفي طي هذه الأخبار، سيما هذا الأخير، إشاراتٌ علميةٌ وتعريفات سرية ورموز معنوية وتنبهات عرفانية على جوامع الكمالات العقلية والمعارج الإلهية المندرجة في هذه السورة لا يعرف قدرها ولا يفهم غورها إلا الراسخون في العلم والدين والسالكون طرق الكشف واليقين. لا المتشبثون بذيل العبارات والمترددون كالخفافيش في ظلمات هذه الاستعارات.

(١) عيون الأخبار: كان له بقدر ما للقاري.

## تقمة استبصارية

## [جامعية السورة لأهم المعارف]

ومن فضائل هذه السورة إنها جامعة لكل ما يفتقر إليه الإنسان في معرفة المبدء والوسط والمعاد :

الحمد لله إشارة إلى إثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والتعظيم .

ربّ العالمين يدلّ أنّ ذلك الإله واحدٌ وأنّ كل العالمين ملكه وليس في العالم إله سواه. ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بخلق الخلائق كثيراً .

﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [٢٥٨/٢] ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِ ﴾ [٢٦/٢٨] ﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [٥٠/٢٠] ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ [٢٦/٢٦] ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [٢١/٢] ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [١/٩٦] .

وهذه الحالة كما أنها في نفسها دليلٌ على وجود الربّ فكذلك هي في نفسها إنعامٌ عظيمٌ، وذلك تولّد الأعضاء المختلفة الطبائع والصور من النطفة المتشابهة الأجزاء لا يمكن إلا إذا قصد الخالق إيجاد تلك الأجزاء على تلك الصور والطبائع وكلّ منها مطابقٌ للمطلوب موافقٌ للغرض كما يشهده علم تشريح الأبدان، فلا حقّ بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل إحسانه وعمّ امتنانه قبل الموت وبعد الموت.

مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لُوَازِمَ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنْ يَقْدِرَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ يَوْمًا آخَرَ يَظْهَرُ فِيهِ تَمْيِيزُ الْمُحْسِنِ مِنَ الْمُسِيءِ وَانْتِقَامُ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَهِيَئَا تَمَّتْ

معرفة الربوبية.

ثم من قوله: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**، إشارة إلى الأمور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان: الأعمال والآثار المتفرعة على الأعمال كالأحوال، ثم الأعمال لهازكتان أحدهما الإتيان بالعبادة وهو قوله: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**، والثاني علمه بأنه لا يمكنه ذلك إلا بإعانة الله وهو قوله: **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**.

وأما الآثار والأحوال المتفرعة على الأعمال فهي حصول الهداية والتحلّي بالأخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** إلى آخره.

وفي قوله **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** دليل على أن الاستضاءة بأنوار أرباب الكمال وأهل الحق خلة محمودة وشيمة مرضية؛ هم القوم لا يشقى جليسهم.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣١/٣]

وفي قوله: **غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** إشارة إلى أن التجنب عن مرافقة أصحاب البدع والأهواء أمر واجب شعر:

الجمربوضع في الرماد فيخدمه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

## فصل

## في نظم هذه السورة وترتيبها

إنّ العاقل الفهم المميّز لما نظّر في وجود هذا العالم وعلم بالمشاهدة والقياس  
افتقار بعضها إلى بعض، تحقّق وتيقّن إنّها في سلسلة الحاجة منتهية إلى موجود قديم  
قادري فعل الخيرات كلّها ويرحم على خلقه في الآخرة والأولى فابتداءً بآية التسمية تبرّكاً  
واستفتنا حأ باسمه واعترافاً بإلهيته واسترواحاً إلى ذكر فضله ورحمته وكرمه ورأفته.  
ولمّا كان الاعتراف بالحقّ والعلم بالله الفرد الأحد الذي هو مبدء الخيرات كلّها  
وفاتح المهمات جلّها نعمة جليّة، اشتغل بالشكر له والحمد فقال: الحمد لله ولما رأى  
سراية نور التوحيد ونفوذ رحمة الوجود على غيره واضحة بنور الحجّة والبرهان كما  
شاهد آثارها على نفسه لائحة بقوة الكشف والعيان؛ عرف أنّه ربّ الخلائق أجمعين  
فقال: ربّ العالمين.

ثمّ لما رأى شمول فضله للمربوبين ثابتاً بعد إفاضة أصل الوجود عليهم ،  
وعموم رزقه للمرزوقين حاصلًا بعد إكمال الصورة في أطوار الخلقة لهم قال: الرّحمن.  
فلما رأى تفريطهم في حقّه وواجب شكره ، وتقصيرهم في عبادته والانزجار عند  
زجره واجتناب نهيه وامتنال أمره وإنّه تعالى يتجاوز بالغفران ، ولا يؤاخذهم عاجلاً  
بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران ، قال: الرّحيم.  
ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم وأن ليس بعضهم  
من شرّ بعضهم بسالمٍ عليهم إنّ وراءهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال: مالك  
يوم الدين.

وإذا عرف هذه الجمئة فقد علم إنّ له خالقاً راقياً رحيماً يحيي ويميت ويبدئ



ويعيد وهو الحي الذي لا يموت والإله الذي لا يستحق للعبادة سواه والمستعان الذي لا يستعين  
بغيره من عرفه ووالاه، وعلم إن الموصوف بهذه الأوصاف كالمدرِك بالعيان والمشهود  
بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ.

ولما رأى اعتراض الأهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفة ولم يجد معيناً  
غير الله، سأله الإعانة على الطاعات بجمع الأسباب لها والوصلات فقال: إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
ولما عرف هذه الجملة وتبين أنه بلغ في معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى  
ولا يامن العثرة لارتفاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة  
من الزلات فقال: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وهذا لفظ جامع كما علمت مشتمل على  
مجامع أسباب التوفيق والتسديد ولطائف نعم الله في حق من يختاره للنهاية ويريد، و  
أوجب الله طاعتهم بعد طاعته من الأئمة الهادين والأولياء المرضيين .

وإذا علم ذلك علم إن الله عبداً خصهم بنعمته واصطفاهم على بريته  
وجعلهم حُججاً على عباده ومناراً في بلاده، فسأله أن يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم فقال:  
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.

وسأله أيضاً أن يعصمه عن مثل أحوال الذين زلت أقدامهم فضلوا وعدلت أفهامهم  
فأضلوا ممن عاند الحق وعمى عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد، فغضب الله عليه  
ولعنه وأعدله عذاباً أليماً وخزياً مقيماً. إذ قد شك في واضح الدليل فضل عن سوا السبيل  
فقال: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

## منهج اخرى في نظم فاتحة الكتاب

وهو ان للإنسان أياماً ثلثة:

الأمس والبحث عنه يسمى بمعرفة المبدء واليوم الحاضر والبحث عنه يسمى بالوسيط والغد والبحث عنه يسمى بعلم المعاد . والقرآن مشتمل على رعاية هذه المراتب وتعليم هذه المعارف الثلاثة التي كمال النفس الإنسانية منوط بمعرفتها ، ونفس الأعمال البدنية إنما يراد لأجلها لأن غايتها تصفية مرآة القلب عن الغواشي البدنية والظلمات الدنيوية لأن يستعدّ لحصول هذه الأنوار العقلية، وإلّا فنفس هذه الأعمال الحسنة ليس إلا من باب الحركات والمناعب ونفس التصفية المترتبة عليها ليس إلا أمر أعدمياً لو لم يكن معها استنارة صفحة القلب بأنوار الهداية وتصورها بصور المطالب الحق الإلهية والقرآن متضمن لها وهي العمدة الوثقى فيه لما ذكرنا .

ولما كانت هذه السورة مع وجازتها متضمنة لمعظم ما في الكتب الإلهية من المسائل الحقّة والمقاصد اليقينية المتعلقة بتكميل الإنسان وسياقته إلى جوار الرحمن، فلا بد أن يتحقّق فيها جميع ما يحتاج إليه الإنسان منها، فنقول هي هكذا.

أما اشتغالها على علم المبدء ، فقوله تعالى : **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** إشارة إلى العلم بوجود الحق الأول وأنه مبدأ سلسلة الموجودات وموجد كلّ العوالم والمخلوقات.

وقوله: **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** إشارة إلى العلم بصفاته الجلالية وأسمائه الحسنى.

وقوله : **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** هو إثبات كونه سبباً غائباً للمخلوقات كلّها كما أنه سبب فاعلي لها جميعاً ليدلّ على أنّ فاعليته على غاية الحكمة والتمام ورعاية المصلحة للأنام .

وأما اشتغالها على علم الوسط فلأن قوله : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**، إشارة إلى الأعمال والأحوال التي يجب أن يكون الإنسان عاملاً بها ومديماً عليها مادام كونه في هذه الحياة الدنيا. وهي قسمان: بدنية وقلبية. فالبدني تهذيب الظاهر عن النجاسة وتزيينه بالعبادة كالصلوة والصيام وغيرها .

والقلبي تهذيب الباطن عن الغشاوات وخبائث الملكات بإعانة الله وتوفيقه لتستعد نفسه بذلك لأن تنور بأنوار المعارف الإلهية وتستكمل بالحقائق الربانية لينتقرب بذلك إلى الله ويحشر إلى دار كرامته كما دل عليه قوله تعالى : **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**، أي علمنا طريق الوصول إليك .

وأما اشتغالها على علم المعاد وهو العلم بأحوال النفس الإنسانية الكاملة في العلم والعمل المبرأة عن آفة الجهل ونقص العصيان فقوله : **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** إلى آخرها ؛ إشارة إلى علم النفس وهي صراط الله العزيز الحميد و باب الله المؤتى منه إلى الحق ، فبالنفس الإنسانية العاملة العاملة المهتدية بنور الله ، يساق الخلق إلى الحق ويدخل الخلائق كلها في طريق العود من هذا الباب إلى الخالق، فإن الوجود في صورة دائرة انعطف آخرها على أولها فكما إن الوجود في الابتداء كان أولاً العقل ثم النفس الكلية ثم الطبيعة الكلية ثم الأبعاد والأجرام كلها ففي الإنتهاء كان أولاً جمادات ثم نباتات ثم حيوانات ثم إنسانا وله مراتب باطنية كان أولاً في مقام الطبيعة والنفس ثم في مقام القلب والعقل ثم في مقام الروح والسر، وإذا بلغ إلى هذا المقام اتصل بغايه الكمال والتمام .

## تذييل

ثم إن لهذه الكريمة نكبات ووجوهاً أخرى من التأويل كثيرة، مذكور بعضها في التفاسير المعتمدة لأهل العلم والتحصيل، كالكبير والنيسابوري وغيرهما اخترت منها وجوهاً ثلاثة فأردت إيرادها ههنا تكمياً للكتاب وتكثيراً للفوائد في هذا الباب.

### الوجه الأول<sup>١</sup>

إن آيات الفاتحة سبعٌ وأعمال الصلوة المحسوسة الواجبة بالإتفاق سبعةٌ، إذ النية فعل القلب وليس بمحسوس. ومراتب خلقة الإنسان وأطوارها سبع كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٢/٢٣-١٤]

وكذلك مراتب جوهر باطنه وأطواره سبعٌ وهي الطبعُ والنفْسُ والقلبُ والروحُ والسرُّ والخفيُّ والأخفى. فنور آيات الفاتحة يسري من ألفاظها المسموعة إلى الأعمال السبعة المحسوسة ومنها إلى هذه المراتب الخلقية ومن معانيها إلى النيات المتعلقة بتلك الأعمال، ومنها إلى هذه المراتب الباطنية الأمرية فيحصل للقلب أنوارٌ روحانيةٌ ثم ينعكس منه إلى ظاهر المؤمن: من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار<sup>٢</sup>.

(١) تفسير الفخر الرازي : ٢١٤/١ .

(٢) ابن ماجه : كتاب اقامة الصلاة ، ماجا . في قيام الليل : ٤٢٢/١ .

الوجه الثاني<sup>١</sup>

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله معراجان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم من المسجد الأقصى إلى ملكوت السماء. هذا في عالم الحسّ، وأمّا في عالم الروح فمن الشهادة إلى الغيب ثم من الغيب إلى غيب الغيب هذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما حمداً صلى الله عليه وآله فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ وقوله: أو أدنى إشارة إلى فنائه في نفسه .

والمراد بعالم الشهادة كلّ ما يتعلق بالجسم والجسمانيات .

وبعالم الأرواح ما فوق ذلك من الأرواح السفليّة ، ثمّ المتعلقة بسماويّ سماويّ إلى الملائكة الحاقين من حول العرش ، ثمّ إلى حملة العرش من عند الله الذين طعامهم وشرابهم محبته تعالى وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون بسبحون الليل والنهار لا يفترون .

وهكذا يتصاعد إلى نور الأنوار وروح الأرواح ولا يعلم تفاصيلها إلا الله أو من ارتضاه .

والمقصود إنّ نبينا صلى الله عليه وآله، لما عرج وأراد أن يرجع قال ربّ العزة: المسافر إذا عاد إلى وطنه أتخف أصحابه. وإنّ تحفة أمتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسمانيّ بالأفعال والروحانيّ بالأذكار والنيّات .

فليكن المصلّي ثوبه طاهراً وبدنه طاهراً لأنه بالواد المقدس طوى ، و يصفى النفس عن الكدورات الشيطانية والهواجس البشريّة لأنه بين يدي الله .

والصلوة هي التعبّد للمعبود الأعظم والتعبّد هو عرفان الحقّ الأول بالسرا الصافي والقلب النقيّ .

وأيضاً عنده ملكٌ و شيطانٌ ودينٌ ودينياً و عقلٌ و هوئٌ و خيرٌ و شرٌ و صدقٌ و كذبٌ

(١) تفسير الفخر الرازي : ٢١٤/١ .

وحق وباطل وقناعة وحرص وحلم وطيش وسائر الأخلاق المتضادة والصفات المتنافية  
 فليُنظر أيها يختار فإنه إذا استحكَم المرافقة تعذرت المفارقة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [١١٩/٩].  
 ثم إذا تطهر وتجرد فليرفع يديه إشارة إلى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه  
 وروحه وسره إلى الله تعالى ثم ليقل: الله أكبر أي من كل الموجودات بل هو أكبر من أن  
 يقاس إليه غيره .

وقل : وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ، فَقَوْلِكَ : وَجْهَتْ  
 وجهي ، هو معراج الخليل على نبيينا وعليه الصلوة والسلام . كما أن قولك : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ  
 وَيُحْمَدُكَ ، معراج الملائكة حيث قالوا : نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، وقولك :  
 إِنَّ صَلَوَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ معراج الحبيب محمد صلى الله  
 عليه وآله .

فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الأنبياء المرسلين .

ثم إذا فرغت من هذه الحالة فقل : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، حذرًا عن مكره  
 وإغوائه ودفعًا لإعجابك عن نفسك . وفي هذا المقام يفتح لك أحد أبواب الجنة وهو  
 باب المعرفة .

وبقولك : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يفتح باب الذكر .

وبقولك : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يفتح باب الشكر .

وبقولك : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يفتح باب الرجاء .

وبقولك : مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ، يفتح باب الخوف .

وبقولك : أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، يفتح باب الإخلاص المتولد من معرفة العبودية .

وبقولك : إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، يفتح باب الدعاء والتضرع ، ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

وبقولك : صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ إِلَى آخِرِهِ يَفْتَحُ بَابُ الْإِقْتِدَاءِ بِالْأَرْوَاحِ  
الطَّيِّبَةِ وَالْإِهْتِدَاءِ بِأَنْوَارِهِمْ . . . . .  
فجَنَّتِ المعارفُ الرُّبَانِيَّةُ انْفَتَحَتْ لَكَ أَبْوَابُهَا الثَّمَانِيَّةُ بِهَذِهِ الْمَقَالِيدِ الرُّوحَانِيَّةِ  
فَهَذَا بَيَانُ الْمِعْرَاجِ الرُّوحَانِيِّ فِي الصَّلَاةِ . . . . .  
وَأَمَّا الْجِسْمَانِيُّ فَأَوْلَى الْمَرَاتِبِ أَنْ يَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، كَقِيَامِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ  
إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . بَلْ قِيَامُ أَهْلِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ . . . . .  
ثُمَّ اقْرَأْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ . ثُمَّ وَّجَّهْتُ وَجْهِي بِمُ الْفَاتِحَةِ وَبَعْدَهَا مَا تيسَّرَ لَكَ  
مِنَ الْقُرْآنِ وَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تَنْظُرَ مِنَ اللَّهِ إِلَى عِبَادَتِكَ حَتَّى تَسْتَحْقِرَها وَأَيَّاكَ وَأَنْ تَنْظُرَ مِنْ عِبَادَتِكَ  
إِلَى اللَّهِ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ صَرْتَ مِنَ الْهَالِكِينَ . وَهَذَا سِرُّ قَوْلِهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ  
كَمَا ذَكَرَ .

واعلم إنَّ نَفْسَكَ إِلَى الْآنَ جَارِيَةٌ مَجْرَى خَشْبَةٍ عَرْضَتَهَا عَلَى نَارِ خَوْفِ الْجَلَالِ  
فَلَانَتْ فَاجْعَلْهَا مَنْحِنِيَّةً بِالرُّكُوعِ ثُمَّ اتْرُكْهَا لِتَسْتَقِيمَ مَرَّةً أُخْرَى فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ  
فِيهِ بِالرَّفْقِ فَلَا تَبْغِضْ طَاعَةَ اللَّهِ إِلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لِأَرْضٍ أَقْطَعَ وَلَا يَطْهَرُ أَبْقَى .<sup>(١)</sup>  
فَإِذَا عَادَتْ إِلَى اسْتِقَامَتِهَا فَانْحَدِرْ إِلَى الْأَرْضِ بِغَايَةِ التَّوَاضُعِ وَادْكُرْ رَبَّكَ بِغَايَةِ الْعُلُوقِ  
وَقُلْ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَإِذَا سَجَدْتَ ثَانِيَةً فَقَدْ حَصَلَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ مِنَ الطَّاعَةِ رُكُوعٌ وَوَاحِدٌ  
وَسَجْدَتَانِ فَبِالرُّكُوعِ تَنْجُو مِنْ عَقْبَةِ الشَّهَوَاتِ .

وبالسجود الأول من عقبة الغضب الذي هو رئيس الموزونات . . . . .  
وبالسجود الثاني تنجو من عقبة الهوى الداعي إلى كل المضلات ، فإذا تجاوزت  
عن هذه الدرجات وصلت إلى الدرجات العاليات وملكك الباقيات الصالحات وانتهيت  
إلى عتبة باب الجلال والإكرام مدبر عالمي النور والظلام ، فقل : أشهد أن لا إله إلا الله

(١) الجامع الصغير ١/١٠٠ . . . . . أبت بعيره : قطعه بالسير . . . . .

وحده لا شريك له ليتم لك بهذه الشهادة معرفة المبدأ. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ليتم لك معرفة المعاد وليصعد إليه نور روحك وينزل إليك روح محمد صلى الله عليه وآله فيتلقى الروحان ويحصل هناك الروح والريحان فقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وآله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم إذا ذكرت الله في صلواتك بهذه الأئمة والمحامد، ذكر الله إياك في محافل الملائكة كما قال: <sup>١)</sup> مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَأِيهِ.

وإذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا إلى العبد فقال الله: إن الملائكة اشتاقوا إلى زيارتك وقد جاؤك زائرين، فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين، فقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كلام أهل الجنة الذين تحببتهم فيها سلاماً فلا جرم إذا دخل المصلون الجنة يدخلون عليهم من كل باب سلاماً عليكم بما صبرتم فنعيم عقبي الدار.

### الوجه الثالث<sup>٢)</sup>

إن آيات الفاتحة سبع والأعمال المحسوسة في الصلوة غير القراءة والأذكار سبعة: القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الأول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة.

فهذه الأعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح، وإنما يحصل الكمال والحيوة عند اتصال الروح بالجسد. فقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بإزاء القيام، ألا ترى أن الباء في بِسْمِ اللَّهِ لما اتصل باسم الله حصل قائماً مرتفعاً:

(١) المحاسن للبرقي: ١ / ٣٩. وجاء ما يقرب منه في الكافي: ٢ / ٤٩٨ و ٥٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ١ / ٢١٣.



وأيضاً التسمية لبداية الأمور، كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر<sup>(١)</sup> والقيام أيضاً أول الأعمال.

وقوله: الحمد لله رب العالمين بإزاء الركوع لأن الحمد في مقام التوحيد نظر إلى الحق وإلى الخلق والمنعم والنعمة. لأنه الثناء على الله بسبب الإنعام الصادر منه إلى العبد. فهو حالة متوسطة بين الإعراض والإستغراق. كما أن الركوع حالة متوسطة بين القيام والسجود، وأيضاً ذكر النعمة الكثيرة مما ينقل الظاهر فينحني.

وقوله: الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لأن العبد لما تضرع إلى الله بالركوع فاللائق برحمته أن يردّه إلى الانتصاب، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: إذا قال العبد «سبح الله لمن حمده» نظر إليه بالرحمة.

وقوله: مالك يوم الدين مناسب للسجدة الأولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع.

وقوله: إياك نعبد وإياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدين لأن إياك نعبد إخبار عن السجدة التي تقدمت وإياك نستعين إستعانة بالله في أن يوفقه للسجدة الثانية.

وقوله: إهدنا الصراط المستقيم، سؤال لأهم الأشياء، فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخضوع.

وقوله: صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخره، مناسب للقعود لأن العبد لما أتى بغاية التواضع قابله الله بالإكرام والقعود بين يديه، وحينئذ يقرأ ما قرأها محمد صلى الله عليه وآله في معراج، فالصلوة معراج المؤمن.

(١) جاء ما يقرب منه في البحار: كتاب الآداب والسنن، باب الافتتاح بالتسمية:

٣٠٥/٧٦ . المسند : ٣٥٩/٢ .

(٢) في تفسير الرازي: لان العبد في مقام التوحيد ناظر الى .

وجه رابع<sup>١</sup>

إِنَّ الْمَدَاخِلَ الَّتِي يَأْتِي الشَّيْطَانُ مِنْ قِبَلِهَا ثَلَاثَةٌ: الشَّهْوَةُ وَالغَضَبُ وَالهُوَى. وَ الشَّهْوَةُ بَهِيمَةٌ وَالغَضَبُ سَبْعٌ وَالهُوَى شَيْطَانُ الشَّهْوَةِ آفَةٌ عَظِيمَةٌ لَكِنَّ الغَضَبَ أَعْظَمَ مِنْهَا. وَالغَضَبُ آفَةٌ عَظِيمَةٌ لَكِنَّ الهَوَى أَعْظَمَ مِنْهُ. قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَيَنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [٩٠/١٦].

الفحشاء: الشهوة والمنكر: الغضب والبغي: الهوى. وبهذه الثلاثة وقع المسخ في أمة موسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ [٦٠/٥].

فبالشهوة يصير الإنسان ظالماً لنفسه. وبالغضب ظالماً لغيره. وبالهوى لربه. ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الظلمُ ثلاثةٌ ظلم لا يُغْفَرُ وَظلم لا يُتْرَكُ وَظلم عسى اللهُ أَنْ يتركه. فالظلم الذي لا يُغْفَرُ هو الشرك بالله ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٢/٣١] والظلم الذي لا يُتْرَكُ هو ظلم العباد بعضهم بعضاً. والظلم الذي عسى اللهُ أَنْ يتركه هو ظلم الإنسان نفسه.

ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العُجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة، ويحصل من اجتماع هذه الستة في بني آدم خصلةٌ سابعة هي العُدوان المستلزم للبعد عن رحمة الله أي الاحتجاب عنه، وهي نهاية الأخلاق الذميمة، كما أن الشيطان هو النهاية في الأشخاص المذمومة.

فإذا تقرر هذا نقول: الأسماء الثلاثة في التسمية دافعةٌ للأخلاق الثلاثة الأصلية،

(١) العنوان غير موجود في المطبوعتين: والوجه منقول من تفسير الفخر ١/٢٠٧.

(٢) جاء ما يقرب منه في الجامع الصغير: ٥٧/٢.

والآيات السبع التي هي الفاتحة دافعة للأخلاق السبعة.

بيان ذلك ان من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [٢٣/٢٥] يا موسى خالف هو الكفاني ما خلقت خلقانا زعني في ملكي لإهواك. ومن عرف انه رحمن لم يغضب. لأن منشاء الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [٢٦/٢٥].

ومن عرف انه رحيم صحح نسبه إليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالأفعال البهيمة .  
وأما الفاتحة فإذا قال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته  
ومن عرف انه ﴿ رب العالمين ﴾ زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد، ومن عرف انه ﴿ مالك يوم الدين ﴾ بعد أن عرف انه ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ زال غضبه.

ومن قال : ﴿ أَيَاكَ نَعْبُدُ وَأَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ زال كبره بالأول وعجبه بالثاني .

وإذا قال : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ اندفع عنه شيطان الهوى، وإذا

قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ زال عنه كفره وإذا

قال : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ اندفعت

بدعته، وإذا زالت عنه الأخلاق الستة

التي هي مجامع الشرور كلها ،

زال عنه حجابُه وبعده عن

جناب القدس .

۱- ...  
 ۲- ...  
 ۳- ...  
 ۴- ...  
 ۵- ...  
 ۶- ...  
 ۷- ...  
 ۸- ...  
 ۹- ...  
 ۱۰- ...  
 ۱۱- ...  
 ۱۲- ...  
 ۱۳- ...  
 ۱۴- ...  
 ۱۵- ...  
 ۱۶- ...  
 ۱۷- ...  
 ۱۸- ...  
 ۱۹- ...  
 ۲۰- ...  
 ۲۱- ...  
 ۲۲- ...  
 ۲۳- ...  
 ۲۴- ...  
 ۲۵- ...  
 ۲۶- ...  
 ۲۷- ...  
 ۲۸- ...  
 ۲۹- ...  
 ۳۰- ...  
 ۳۱- ...  
 ۳۲- ...  
 ۳۳- ...  
 ۳۴- ...  
 ۳۵- ...  
 ۳۶- ...  
 ۳۷- ...  
 ۳۸- ...  
 ۳۹- ...  
 ۴۰- ...  
 ۴۱- ...  
 ۴۲- ...  
 ۴۳- ...  
 ۴۴- ...  
 ۴۵- ...  
 ۴۶- ...  
 ۴۷- ...  
 ۴۸- ...  
 ۴۹- ...  
 ۵۰- ...  
 ۵۱- ...  
 ۵۲- ...  
 ۵۳- ...  
 ۵۴- ...  
 ۵۵- ...  
 ۵۶- ...  
 ۵۷- ...  
 ۵۸- ...  
 ۵۹- ...  
 ۶۰- ...  
 ۶۱- ...  
 ۶۲- ...  
 ۶۳- ...  
 ۶۴- ...  
 ۶۵- ...  
 ۶۶- ...  
 ۶۷- ...  
 ۶۸- ...  
 ۶۹- ...  
 ۷۰- ...  
 ۷۱- ...  
 ۷۲- ...  
 ۷۳- ...  
 ۷۴- ...  
 ۷۵- ...  
 ۷۶- ...  
 ۷۷- ...  
 ۷۸- ...  
 ۷۹- ...  
 ۸۰- ...  
 ۸۱- ...  
 ۸۲- ...  
 ۸۳- ...  
 ۸۴- ...  
 ۸۵- ...  
 ۸۶- ...  
 ۸۷- ...  
 ۸۸- ...  
 ۸۹- ...  
 ۹۰- ...  
 ۹۱- ...  
 ۹۲- ...  
 ۹۳- ...  
 ۹۴- ...  
 ۹۵- ...  
 ۹۶- ...  
 ۹۷- ...  
 ۹۸- ...  
 ۹۹- ...  
 ۱۰۰- ...



(۲) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَكِّيَّةٌ  
وَأَنبَأْنَا نَهَا مَكِّيَّةٌ وَثَمَانُونَ وَمِائَتَانِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة البقرة مدنيّة إلا آية منها ، وهي قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ﴾ إلى آخر الآية - [ ٢٨١ / ٢ ] فإنها نزلت بمنى في حجّة الوداع .  
عدد آياتها مأتان وست وثمانون .

الحمد لله مبدع الوجود وفائض الخير والجلود الذي أبدع العالم الأعلى بالقول والكلام ، وأنشأ كتاب الصنع والايجاد على غاية النظام وهيئة التمام . فأفاد الكلمات التامات وبسائط الموجودات والحروف العاليات قبل كتابة المركبات بمداد المواد على ألواح مقادير الاستعدادات ، الذي جعل العرش المحيط أول مانشأ من هذا العالم كالقلب الذي هو أول ما يتكوّن ويتحرك ، وآخر ما يسكن من عالم الإنسان . فاستوى عليه باسمه الرحمن استواء الروح على القلب المتكوّن من الأركان .

وثانيه كرسية الذي وسع السموات والأرض فأجرى فيها ما جرى به القلم الأعلى في اللوح الكريم جرّياً إلى يوم القيمة على حسب كلام المشية وحروف الإرادة وقول

الحقّ ووعد الصدق وكلماته التامات وأسمائه العظام. فترتب عليها وجود الكائنات كالإنسان والحيوان والنبات، وبوجود الإنسان تمّ غاية الأكوان. وهو خليفة الله في أرضه وعالمه السفلى. ثمّ في العالم العلوي. لأنّ الله خلقه بيديه ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ وعلمه الأسماء وفضّله على ملائكة الأرض والسماء.

وبعد : اعلم أيّها الخائض في بحار معارف القرآن، إنّ الإنسان أعدلّ شاهد على آيات الربوبية وأسرار الإلهية، وأدلّ دليل على صفات ربّه الجليل، فاسئل به خبيراً إن أردت أن تسلك سبيل الحقّ شاهداً بصيراً.

إذ هو على بينة من ربّه لأنّه ممّا خلقه على صورة الهدى، كما ثبت في الحديث المتفق عليه : « إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن »<sup>١</sup> هذا من حيث الدلالة السمعية إذ كان لا يصدق كل أحد فيما يدعى فيه الكشف والشهود بالبصيرة الباطنة أو الإلهام والتعريف الإلهي ما لم يدخل فيه الأوضاع الحسية كالرؤية بهذه الآلة أو الشهادة أو الرواية أو الإجماع أو القياس المنتهى إلى النصّ.

وهذه كلّها من أضعف الدلائل في الإعتقادات التي لا يعرف إلاّ بنور الهداية الربانية والعلوم الدنيوية.

وأما من انفتحت بصيرته وانكشفت له طريقته، يعلم ويتيقن إنّ الإنسان ممّا أوجده الله شاهداً على ذاته وصفاته وأفعاله مخبراً عن كيفية إلهيته وصنعه وخلقها وأمره للمضاهاة الواقعة بينه وبين الربّ تعالى ظاهر أو باطناً، والمحاذاة الثابتة ذاتاً وصفاتاً وأسماء وأفعالاً كما فضّله العلماء الشامخون والفضلاء المتألّهون.

فهو عيبة علم الله وخزانة معرفته ومعدن حكمته علماً وعيناً ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ

(١) مضي في : ١٠٧.

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢٦٩﴾ [٢٦٩/٢] وهو ﴿النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [٢/٢٨] ويعلم إن الإنسان الكامل هو الكتاب الجامع لجميع آيات الحكمة المشتمل على حقائق الكون كله حديثه وقديمه .

فمن جملة المضاهاة الواقعة بين النفس والرب؛ إن النفس الإنساني الخارج من القلب المارّ على منازل الحروف والكلمات التي هي أخصّ خواص الإنسان من بين الكائنات، هو بإزاء النفس الرحماني وانسباط الفيض الوجودي المارّ على مراتب أعيان الممكنات الذي هو من خواصّ الإلهية وآيات الرحمانية .

ومن هذا المجلى يتبين وينكشف على من اهتدى بآيات ربه الأعلى إن الموجودات الواقعة في عالم الابداج والتكوين ، هي بعينها على صورة الموجودات الواقعة في عالم التسطير والتدوين ، سواء كان قبلها في عالم البداية والقضاء السابق والقلم الأعلى واللوح الأعظم، أو بعدها في عالم النهاية وفي القدر اللاحق كما في صور أفاضل هذا الجوهر الناطق وأرقام قلمه ولوحه المكتوب بيده .

فهذا النفس الضروري من الإنسان الخارج من باطنه وجوفه ، يتعين بحسب مروره على المخارج الصوتية والمنازل الحرفية على ثمان وعشرين صورة على حسب مراتب الموجودات الصادرة عن الحق تعالى ، فكل حرف بإزاء موجود من الموجودات الأصلية الإبداعية الإنشائية .

ثم لما كان التعيين له أولاً بالحرف الهاوي خاصة، وهو يهوى على ثلاث مراتب هو بادائياً، أولها ما يعبر عنه بالألف وهو المسمى عند القراء بالحرف الهاوي، فإذا مر في هويّه بالارواح العلوية حدث له منها واول العلة وهو امتداد الهوى من التنفس عن ضمّ الحروف، وهو إشباع حركة الضمّ.

وإذا مرّ بالأجسام الطبيعية السفلية في هويّه حدث له من ذلك ياء العلة وهو امتداد الهوى من التنفس عن خفض الصوت ، وهو اشباع حركة الخفض ، لأنّ الخفض من



العالم الأسفل وما لهذه النفس في هويته أكثر من هذه الثلاث المراتب فاعلم ذلك .  
 فحدثت رسالة الملك بالواو المضمومة ما قبلها وحدثت رسالة البشر بالياء المكسورة  
 ما قبلها، وكان الألف على الأصل عن الله وهو مستبب الأسباب .  
 ومن ههنا ظهر إن اقرب شبه بالنفس بل هو عين النفس - حروف العلة، وهو الألف  
 والواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها، وليست هذه الثلاثة من الحروف الصحاح  
 المحققة في الحرفية، بل هي أجل من ذلك لأنها علة الحروف وليست حروفاً وإطلاق الحرف  
 عليها على طريق المجاز .

وما يدل عليها إلا الحروف إذا انفتح فأشبع الفتحة أو ضمّ فأشبع الضمة أو كسر  
 فأشبع الكسرة ، فذلك الدليل على إبراز هذه الثلاثة ، كما كان العالم من أجل حدوثه  
 الذي هو بمنزلة اشباع الحركات في الحروف دليلاً على وجود الحق الأول وملكوته فافهم .

\* \* \*

ثم إن الحروف التي هي بمنزلة الوجودات الخاصة الصادرة عن المصدر الأول  
 بواسطة الوجود الإنبساطي ، لها خواصّ و تعيّنات نوعيّة هي بمنزلة المهيئات ذوات  
 فصول نوعيّة أعطتها لها المخارج والمقاطع الصوتيّة والمنازل الحرفيّة التي بإزاء  
 المراتب الوجوديّة .

فأعيان الحروف في النفس الإنساني مجتمعة مجتمعة كما أنّ الأعيان الوجوديّة في  
 الفيض الوجودي الرحماني مجتمعة مجتمعة .

فإذا جرى النفس من أول الحروف إلى غايتها وإنه يفعل كلّ حرف متأخر  
 وجوده لتأخر مخرجه عند انقطاع النفس ما يفعل كلّ حرف في مخرج تقدّمه ، فهو  
 يجري على قوّة كلّ حرف في مخرج تقدّمه، لأنّ النفس مرّ في خروجه على تلك المخارج  
 إلى أن ينقطع عند هذا المخرج ، فنقل معه مرتبة كلّ حرف فظهرت في قوّة الحرف  
 المتأخر . وآخر الحروف «الواو» ففي الواو قوّة جميع الحروف ، كما إنّ الهاء أقلّ

في العمل من جميع الحروف فإن لها البدؤ ، وكلمة هو جمعت جميع قوى الحروف في عالم الكلمات ، فهذا كانت الهوية أعظم الأشياء .  
وكذلك الإنسان آخر غاية النفس في الكلمات الإلهية ، وهي المفارقات وطبائع الأجناس والأنواع .

ففي الإنسان قوة كل موجود في العالم ؛ وله جميع المراتب .  
ولهذا اختصّ وحده بالخلافة الإلهية وبكونه مخلوقاً على الصورة فجمع بين الحقائق الإلهية ، وهي الأسماء وبين المراتب الكونية وهي الأجزاء . فيظهر به ما لا يظهر بجزء من العالم ولا بكل اسم اسم من الحقائق الإلهية .  
فكان الإنسان أكمل الموجودات ، وبه انتهى النفس الرحماني ، والواو أكمل الحروف وبه انتهى النفس الإنساني ، وكل ما سوى الإنسان خلقٌ إلا الإنسان (للإنسان - ن) فإنه خلقٌ وحق .

فالإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به ، أي المخلوق بسببه العالم ، وذلك لأنه الغاية المطلوبة بالابجاد المتقدم عليها ولولاه ما ظهر ما تقدم عليه .

فكل غاية هو الأمر المخلوق بسببه ما تقدم من أسباب ظهوره ، وهو الإنسان الكامل .  
وإنما قلنا الكامل ؛ لأن اسم الإنسان قد يطلق على مثاله في عالم الشكل والصورة الشبيهة به ، كما تقول في زيد : إنه إنسان ، وفي عمرو إنه إنسان . وإن كان في أحدهما قد ظهرت الحقائق الإلهية وما ظهرت في الآخر ، فالآخر على الحقيقة حيوان في شكل إنسان ، كما أشبهت الكرة بالفلك في الاستدارة . وأين كمال الفلك من كمال الكرة وأين مرتبة الإنسان الكامل المتحقق بالحقائق الإلهية من المشكل بصورته من جملة الحيوان ؟  
ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [١٧/٨]

## فتوح إستفاضية

## [تشابه النفس الانساني والنفس الرحماني]

اعلم إن مادة صور الممكنات التي تسمى بالنفس الرحماني عند العرفاء، غير مادة صور الكائنات عند الفلاسفة، واطلاق المادة على القبيلين من باب التشبيه أو الإشتراك. لأن المادة عند الفلاسفة شيء وجوده في ذاته بالقوة أبدأ، وإتمام تجوهره ويتحصّل موجوداً بالفعل بالصور الطبيعية أو المقدارية الحالة فيها.

وأما المسمّى بالمادة للممكنات فهو عبارة عن أول فيض وجودي ينبعث من ذاته تعالى ويقال له: الحقّ المخلوق به. وهو وجود خاصّ منبسط على مهيّات الأشياء لا يكون فيه جهة قوة واستعداد، بل به فعلية الموجودات وإتيانها وهويتها. إلاّ أنه ذو شئون ومراتب متفاضلة ودرجات متفاوتة بعضها فوق بعض كما أشير إليه في قوله تعالى ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [١٥/٤٠].

وهو المعروف عندهم بالنفس الرحماني، والذي ظهر عنه حروف هويات الممكنات و كلمات وجودات المكونات على مراتبها الوجودية ودرجاتها الكونية التي هي على مثال مخارج الحروف والكلمات المنشآت من نفس المتنفس الإنساني الذي هو أكمل النشآت كلّها وخليفة الله في عالم الكون. من الله مبدأه وإلى الله مرجعه وهو على بينة من ربه مخلوق على صورته.

ولهذا هو مثال الله الأكبر وظهر منه أمثال ما ظهر من الله من المراتب والصور.

وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ثمانية وعشرين حرفاً، فأولها «ها» وآخرها «الواو» ويحصل منها «هو» الجامع للأول والآخر وفيه سرّ قوله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [٣/٥٢].

وكما يكون لحرف واحد ألقاب متعددة لصفات مختلفة وأحوال مسوّعة لأجل

درجة ومقام له من درجات النفس ومقاماته عند التكوين منه في مقاطع الحروف، يمتاز عن الذي يقاربه في المخرج، كحرف الصاد غير المعجمة فإنه من الحروف المهموسة فيشارك الكاف في الهمس وهو من حروف الصفيير فيشارك الزاي فيه وهو من الحروف المطبقة، فيشارك الطاء في الاطباق ومن الرخوة فيشارك السين فيها ومن المستعلية فيشارك القاف في الاستعلاء .

فهذا حرفٌ واحدٌ مبسوطٌ اختلفت عليه ألقاب كثيرة لظهوره في مراتب ومظاهر متعددة قابل بذاته كلاً منها، فاختلقت الاعترافات فاختلقت الأسماء كذلك. تقول في العقل الأول عقلاً باعتبار، وروحاً باعتبار، ونوراً باعتبار، وقوة باعتبار وقلماً باعتبار وملكاً باعتبار .

فالعين واحدة والأحكام مختلفة، بل كلما كان الموجود أقوى وجوداً وأعلى مرتبة كان أوسع شمولاً للنعوت والأوصاف . ولهذا ذهب أكابر الحكماء إلى أن العقل البسيط كل الموجودات كما أن الألف كل الحروف .

أولاً ترى أن كل ما هو حيوان فهو ناميٌ ومتغذٍ ومولدٌ دون العكس . وكل ما هو إنسان فهو حيوانٌ دون العكس؟ وكذلك نفس الإنسان الكامل، فيها كل الموجودات على وجه بسيط كما يعرفه العارفون بعلم النفس .

وكذلك الحق الأول أصل الوجود الواحد الأحد الذي لا يقبل التعدد . وإن كان واحد العين فهو المسمى بالحيي القيوم العزيز المتكبر الجبار إلى تسعة وتسعين اسماً. فالعين واحدة والمعاني والأحكام مختلفة، فما المفهوم من الاسم «الحيي» هو المفهوم من الاسم «المريد» ولا العالم «هو القادر» كما قلنا في حرف الصاد، وكذلك سائر البسائط كسائر الحروف .

فخرجت الحروف من النفس الإنساني بل من النفس الإنسانية التي هي أكمل النشآت ، وبها وبنفسها ظهرت جميع الحروف لأنها كانت على الصورة الإلهية بالنفس الرحماني لظهور حروف الكائنات وكلمات العالم التامات سواء بسواء ، والكلمات التامات للنفس الإلهي ثمان وعشرون كلمة وهي أجناس الموجودات ، فكان أجناس العالم منحصره وهي لا تبديل ولا تنقضي أبداً وأشخاصها لا تنتهي مدة وعدة لأنهم معلومات الله ، ومعلوماته لا تنقضي ولا تنتهي ولأنها تحدث مادام السبب موجوداً والسبب لا ينقضي فابجاد أعداد النوع لا ينقضي ، كما يفصح عنه ، عن دوام الكلمات وحدث أعدادها وتجدها قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [١٠٩/١٨] .

ثم اعلم إن نفس المتنفس ليس غير باطن شخصه وجسمه وظاهر روحه وغيبه غيوبه ، فصار النفس الإنسانية ظاهرة بالنفس المنبعث عن الباطن إلى الظاهر فتعين بأعيان الحروف والكلمات .

فلم يكن الظاهر بأمرزائد على الباطن في عينه ، فاجعل هذا منهاجاً ومقياً سالك في معرفة نسبة أعيان الموجودات والكلمات التامات ؛ والحروف العاليات إلى النفس الرحماني والفيض الوجودي ؛ المنبعث عن باطن الحق وغيبه غيوبه إلى ظاهر عالم الغيب والشهادة ، واستعداد المخارج لتعين هذه الحروف السافلات والكمالات الناقصات في النفس الانساني البشري على قياس استعداد الأعيان الثابتة ومهيات الأشياء للتعينات الوجودية للحروف العاليات والكلمات التامات في النفس الرحماني



فظهر لك من هذا المقياس إن الإنسان الكامل على صورة ربه وبقية الله في أرضه وحنة الله على خلقه فلماذا قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [١٧/٨]

وقال نبيّه صلى الله عليه وآله : من أطاعني فقد أطاع الله. وقال: من رآني فقد رأى الحق<sup>١</sup>.

## فصل

### في نبذ من أسرار الحروف

لماذا كر الله عن نفسه إته الظاهر وإته الباطن وإته المتكلم، وإن له كلاماً وكلمات وكتباً وذكر نبيّه صلى الله عليه وآله<sup>٢</sup> : إن له نفساً من الإسم الرحمن الذي به استوى على العرش وهو بمنزلة قلب الإنسان كما قال : قلب المؤمن عرش الله. صح لنا الايمان بهذه الأمور.

فلما علمنا إن له نفساً لا كأنفاسنا بل على وجه يليق بذاته وصفاته وإته الباطن والظاهر لا كبطوننا وظهورنا وإن له كلاماً على وجه يناسب عظمته وجلاله، علمنا إن كلماته هي الموجودات الصادرة عنه الناشئة عن ذاته بذاته من غير توسط مادة أو محل أو استعداد على مثال الحروف والكلمات الناشئة من الإنسان التي يتشكّل بها الهواء الخارج من باطنه؛ لا كمثل أفعال الإنسان التي يتوسط فيها الآلات الجسمانية الخارجة عنه.

ولما علمت إن قلب الإنسان لمكان الروح الحيواني الذي هو سبب حيوة البدن، بمنزلة عرش الرحمن ومحل الرحمة، وان صدره الواسع لمكان الروح الطبيعي الساري في جميع البدن أعلاه وأسفله بمنزلة كرسيه الذي وسع السموات والأرض؛

(١) البخارى : كتاب الاحكام ، الحديث الاول . راجع ايضاً المعجم المفهرس (اطاع)

(٢) البخارى : باب التعبير : ٢٣/٩ . \* ن: لمكان الكبد والروح...

(٣) انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن . وفي المسند (٥٤١/٢) أجد نفس ربكم ...

فاعلم إنَّ الله جعل للهواء الخارج من الصدر بعد نزوله إليه من القلب ثمانية وعشرين مقطّعاً للنفس يظهر في كل مقطّع حرفاً معيّناً ما هو عين الآخر، ميّزه القطع مع كونه ليس غير النفس .

فالعين واحدة من حيث إنّها نفسٌ وكثيرة من حيث المقاطع، وهي أمورٌ عدّميّة كما أنّ امتياز الوجودات الخاصّة ليست بأمرزائد على حقيقة الوجود الإنساطي الفائض من الحق تعالى . بل امتيازها عنها وامتياز بعضها عن بعض ، ليس إلا من جهة مراتب النقصات والتنزّلات اللازمة للمعلوليّة ، فليس التفاوت بينها إلا من جهة الكمال والنقص والتقدّم والتأخّر والقرب والبعد من العلة الأولى .

فكذلك حال الحروف الصوتيّة الإنسانيّة المنقسمة إلى ثمانية وعشرين حرفاً لأن الكرسيّ وهو فلّك المنازل ومثاله الصنّرفينا منقسمٌ باعتبار المنازل والامكنة للسيّارات الفلكيّة من الكواكب وأرواحها ونفوسها المتحرّكة بأمر الله المتردّدة على حسب ما حملها الله من أحكام الوحي والرسالة إلى خلقه إلى ثمانية وعشرين منزلاً .

\* \* \*

ولك أن تستشكل هذا بما قد ورد في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله :  
 إنّ المُنزّل عليه تسعة وعشرون حرفاً، وما أنزل الله على آدم إلّا تسعة وعشرين حرفاً،  
 وإنّ لام ألف حرفٌ واحدٌ قد أنزله الله عزّ وجل على آدم في صحيفة واحدة ومعها ألف ملك، ومن كذب ولم يؤمن به فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله ومن لم يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون فلا يخرج من النار أبداً .

فاعلم إنّ هذا غير مناقض لما ذكرنا من كون الحروف ثمانية وعشرين فإنّ الألف اللبنة ليس كسائر الحروف متعيّنة بتعيّن خاصّ وحيّزٍ مخصوص ومخرّجٍ مشخص، بل هي بحقيقتها الهوائية سارية في جميع التعيّنات الحرفيّة، فكانت ظلّ للوحدة الإلهيّة السارية في وحدات الأكوان الوجوديّة .

وقد مرّت الإشارة إلى أنّها عين النفس الإنساني كالعقل الأول الذي مرتبه عين مرتبة الوجود الإنبساطي المنبسط على هياكل المهيات المتعيّنة وهو الحقّ المخلوق به.

فلألف اعتباران: اعتبار اللاتعّين لكونها عين النفس الهوائي، واعتبار التعّين الذي هو أول التعيّينات كالهزمة. فإنّها من أقصى الحلق. إلّا أنّ مخرَجَ الهزمة كالهاء أول المخارج. ومخرَجَ الألف الساكنة من الجوف هو الفضاء الواقع في جهة العلو وتغاير الحروف بتغاير المَخارج.

ومن هذا الاعتبار يجب عدّ الألف المتحرّكة والساكنة حرفين، ولما كان أسماء الحروف مصدرّة بمسمّيّاتها التي هي الزُبُر، وهذه القاعدة مطّردة بالقياس إلى الألف لِمَا فيه من سرّ الوحدة الإلهية التي لا اسم لها بخصوصيّة ذاتها لاستحالة الإبتداء بالساكن الحقيقي، فلم يكن بدّ من ارتدادها بحرف ينوب عن ذاتها ساداً مسدّاً لتصديرها.

وكانت «اللام» بحسب عددها - الذي هو بمنزلة روح الحرف - يساوي عدد الحروف كلّها مع واحد. وكان فيها سرّ الجمعيّة الألفيّة، وأيضاً كان عدد الحروف أعني التسعة والعشرين مقومّ عدد لام والالف الساكنة أيضاً هي التسعة والعشرون، كان ضمّ الألف إلى اللام هو الأحق بالاعتبار، فاعتبره لافي منزلة الألف اللينة فجعل لام ألف اسماً لها، والالف اسماً للهزمة، فلامحالة صارت الحروف تسعة وعشرين.

ومن اعتبر الحروف ثمانية وعشرين وهي عدد منازل القمر - كان نظره إلى الحروف الصرّفة المتعيّنة بالمخارج المتحرّكة بالأمكنة من جهة قبولها للحركة والسكون، وهما من صفات الحدّثان وسمات النقصان، والألف ليست متحرّكة ولا ساكنة إلا بالمعنى السلبي التحصيلي، يقابل الحركة تقابل السلب والإيجاب، لاتقابل العدم والملكية، فلا جرم جعل أمراً خارجاً عن سلسلة الأكوان الحرفيّة، لأنها في الحقيقة فاعلها ورأسها ومقومها.



وفيهما سرّ الإلهية وظلّ الربوبية، ونسبتها إلى سائر الحروف نسبة الحقّ المخلوق به إلى صور الموجودات العالمية.  
ومما يؤيدّ هذا ما رواه <sup>أبو</sup> إسحاق الثعلبي في تفسيره مسنداً إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، قال: سئل جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: الم؛ فقال: في الألف ستّ صفات من صفات الله عز وجل:

«الابتداء.» فإن الله تعالى ابتدأ جميع الخلق والألف ابتداء الحروف «والاستواء» فهو عادلٌ غير جائر، والألف مستوفٍ في ذاته «والانفراد» فالله فردٌ والألف فردٌ «اتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلّهم يحتاجون إليه والله غنيّ عنهم» وكذلك الألف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطعٌ من غيره، والله عز وجل بائنٌ بجميع صفاته من خلقه. ومعناه من الألف كما ان الله عز وجل سببُ ألفة الخلق فكذلك الألف علة تألف الحروف وهو سبب ألفتها.

### بحث و تنبيه

#### [ الالف و أسرارها ]

إن ماورد في الكشاف وغيره من التفاسير سيّما الكبير من «أن هذه الألفاظ لما كانت أسماء لمسمياتها التي هي حروف يتركب منها الكلم، وكانت هذه الأسماء مؤلفاتٍ ومسمياتها حروفاً وحدانا صدرت بتلك الحروف لتكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع، واستعبرت الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها» فيه نظرٌ.

لأن المراد من الألف المذكورة ههنا إن كان هي الهمزة فقد وقع التصدير بالمسمى في اسمها، فإن أول حروف لفظ الألف هي الهمزة المفتوحة.

وإن كان المراد منه الألف اللينة التي هي من حروف العلة، ففيه حزازتان: تصدير الهمزة بغير مسمّاها وهو خرّق القاعدة المذكورة. والترجيح من غير مرجح، فإن الهمزة أولى

من الألف بأن يصدر اسمها بمسمّى الهمزة.  
 بل الأولى أن يجعل القاعدة مطّردة في الحروف الصحيحة الثمانية عشر كلّها،  
 ويجعل لفظ «الألف» اسماً لما هو من جنس الحروف الصحيحة أعني الهمزة على الحقيقة  
 كما هو الرسم في سائر الحروف، ويجعل «اللام أَلِف» اسماً للألف اللينة بناء على  
 ما ذكرنا سابقاً.

ومن تأمل في أحوال الألف وأسرارها حقّ التأمل انكشف عليه أسرار شريفة من  
 أحوال المبدأ وخصائصه الإلهية.

منها: إنه لا اسم لها من جهة ذاتها الأحادية ولا رسم.  
 ومنها: إنها الأول في تعداد الحروف من حيث تعينها بالهمزة.  
 ومنها: إنها بإزاء الواحد في الأرقام الحسابية.  
 ومنها: إنها ليست في ذاتها متحرّكة ولا ساكنة كما مرّ، بل سكونها على وجه  
 آخر أعلى من سكون الهمزة وسائر الحروف.

ومنها: إنها لا مخرّج لها على التعيين من جملة المخارج؛ كما لا حيز للباري جلّ اسمه.  
 ومنها: إنها تقع أول الكلمات باعتبار تعينها الهمزي وتقع غاية الكمات لا آخر  
 بعدها، كما أنّ الباري أول الأشياء لأول لمو غاية الأشياء لا غاية له.

ومنها: إنها أبسط من كل حرف في الوجود الهوائي السمعي وشكلها أبسط أشكال  
 الحروف في الوجود الكتبي البصري.

ومنها: ما مر ذكره في الوجود الستّة من الصفات المذكورة في الحديث المروي  
 عن جعفر الصادق عليه السلام وعلى آبائه التحية والإكرام.

## كشف غطاء

## [ الروح البخاري مثال العماء ]

ثم اعلم هداك الله طريق المعرفة والشهود، إن النفس الناطقة هي المدبّرة بإذن الله تدبيراً طبيعياً أو نفسانياً لهذا البدن الجسماني الذي هو بجميع ما فيه من القوى والحواس والأعضاء والآلات، عالم صغير بمنزلة العالم الكبير بما فيه من الأفلاك والعناصر والبسائط والمركبات الذي دبره الله تدبيراً إلهياً وتصرف فيه برحمته وعنايته.

ثم إن النفس لم تدبر لهذا البدن ولم تتصرف في قواه وأعضائه إلا بعد أن نزلت من علوّ تجرّدها وسماء تقدّسها وبرزت من مكنن ذاتها الروحانية وباطن كينونتها العقلانية إلى عالم الحسّ والتجسّم.

فتوسّطت بين غيب هويتها ومظهر شهادتها في أطف ما يوجد من حدود عالم البدن من البخار اللطيف النفساني المتعلق بالقلب الصنوبري الشكل المستدير الهيكل المحدد لجهاات البدن من أعلاه وأسفله.

فالنفس قبل تعلقها بالبدن وتصرفها فيه وتدبيرها لقواه وحواسه التي هي كالسّموات وأعضائه التي هي كالأرضيات، نزلت وتجسّمت بخاراً لطيفاً يتكوّن منه جميع لطائف البدن، وبسببه تقع الأفاعيل الإنسانية سيما التكلّم بالحروف والكلمات التي هي أخص أفاعيل النفس الناطقة في هذه العالم.

وهذه اللطيفة البخارية التي ينزل فيها النفس قبل تصرفها وفعلها في عالم البدن مثال للعماء الذي جاء في الخبر ووصفه بقوله: <sup>(١)</sup> إنه كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق في عماء ما فوفه هواء وماتحته هواء.

(١) ترمذى: المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية: ٦٥/١.

فذكر أنّ له الفوق وهو كون الحقّ فيه والتحت وهو كون العالم فيه .  
والعماء يحدث عن بخار رطوبات الأركان الأربعة والفلك أيضاً دخانٌ لطيفٌ  
الطف من هذه الأبخرة الحاصلة من لطائف هذه العناصر، بل عناصره كائنة على وجه يناسب  
عالم السماء وهي التي ينقسم بها الفلك أرباعاً، ممّا يطول شرحه .  
فالحاصل ، إنّ العماء الذي ورد في الحديث ، إنّ الله قبل أن يخلق الخلق كان  
فيه مثاله اللطيفة الجسمانية الموجودة في خلقه الإنسان التي تعلقت بها اللطيفة القدسيّة  
النازلة فيها من نفخ الحق من روحه ، وهي كلمة من كلمات الله وينبعث منها النفس  
الهوائية المتصوّر بصور الحروف والكلمات الإنسانية المطابقة للحروف والكلمات  
الكائنة في النفس الرحماني والوجود الإنبساطي، ليتحقّق ويتنوّر على البصير المحديق  
بنور هذه المكاشفة البرهانية أنّ من عرف نفسه فقد عرف ربه .

## فصل

في الإشارة إلى سر هذه الصفوة من المفاتيح

الحرفية الواقعة في فواتيح السور

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام،<sup>١١</sup> إنّ لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذه الكتاب  
حروف التهجي .

وعن الشعبي قال: لله تعالى في كلّ كتاب سرٌّ وسرّه في القرآن سائر حروف الهجاء

المذكورة في أوائل السور .

اعلم إنّ الذين اقتصر على ما يتعلق بعالم الشهادة وانحصرت عندهم

معاني الموضوعات اللفظية فيما يوجد في عالم المحسوسات، قالوا: «إن الألفاظ التي تنهجي بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة. فإن الضاد مثلاً لفظة مفردة دالة بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه، من غير دلالة على الزمان المعين، وذلك المعنى هو الحرف الأول من ضرب، فثبت إنها أسماء، لأنها مما يصدق عليها حد الاسم ولأنها أيضاً يوجد فيها خواص الاسم من كونها متصرفاً فيها بالتعريف والتكبير والجمع والتصغير والإسناد والإضافة فكانت لامحالة أسماء. وبصرح الخليل وأبو علي.

وأما ما رواه أبو عيسى الترمذي<sup>٢</sup> عن ابن مسعود إنه قال صلى الله عليه وآله: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لأقول الم حرف، بل الألف حرف واللام حرف والميم حرف الحديث. فقيل: إن المراد به غير المعنى الذي اصطُح عليه فإن تخصيصه به عرف جديد. بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله.

وأقول: يمكن أن يراد بهذه الأسماء الثلاثة المذكورة في الحديث مسمياتها من الحروف الوجدان.

قالوا: إن حكم هذه الألفاظ مع كونها معربة: أن يكون ساكنة الأعجاز مالم تلتها العوامل كأسماء الأعداد، فيقال: ألف لأم ميم، كما نقول: واحد إثنان ثلاثة. فهي معربة وإنما سكنت سكون الوقف لاسكون البناء إذ لم تناسب مبنياً الأصل. ولذلك لم يحد بحدي ككيف وأين وهؤلاء ومنذ، بل جمع فيها بين ساكنين فقيل: صرق فسكونها سكون المعربات حيث لا يمتها إعراب لفقد موجب وعامله، مع كونها قابلة للعمل معرضة للإعراب.

ثم قالوا: إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبساطه التي منها تركبت، افتتح

(١) الاقوال مما ذكر في تفسير الرازي والكشاف والبيضاوي.

(٢) ترمذي: فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرء حرفاً من القرآن ١٧٥/٥.

وجاء ما يقرب منه في البحار: ١٩ / ٩٢.

الكلام في السور بطائفة منها ايقاظاً لمن تحدى بالقرآن وتنبهها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه .

وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز ، فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرّس . فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة ، سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنّه . وهو إنّه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسماً هي نصف أسامي حروف المعجم ان لم يعد الألف فيها حرفاً برأسها في تسع وعشرين سورة بعدها إذا عدّ فيها الألف مشتملة على أنصاف أنواعها .

فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها «فحثة شخص سكت» نصفها: الحاء والهاء والصاد والسين والكاف . ومن البواقي المجهورة نصفها «لن يقطع امر» .

ومن الشديدة الثمانية المجموعة يجمعها «اجد قطبكت» أربعة يجمعها «اقتك» . والبواقي الرخوة عشرة يجمعها «حمس على نصره» .

ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والظاء نصفها . ومن البواقي المنفتحة نصفها . ومن القلقة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها «قطب جد» نصفها الأقل لقلتها . ومن اللينين الباء ، لأنها أقل ثقلًا ، ومن المستعليق وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الأعلى وهي سبعة يجمعها «خص ظنط قض» نصفها الأقل .

ومن البواقي المنخفضة نصفها .

ومن حروف البدل وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها «اجد طويت» منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها «اهطمين» ومما يدغم في مثله ولا يدغم

(١) الظاهر وقوع سقط هنا : اذا الحروف المذكورة سبعة ويزاد عليها الالف والميم والهاء والنون

في المقارب، وهي خمسة عشرة : الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو، نصفها الأقل.  
ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية ، نصفها الأكثر ، الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون ، لما في الإدغام من الخفة والفضاحة ومن الأربعة التي لاتدغم فيما يقاربها وتدغم فيما يتقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها. ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان ، وهي ستة يجمعها «رب منقل» والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها .

ولما كانت أبنية المزيد لانتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها «اليوم تنسأ» سبعة أحرف منها تنبيهاً على ذلك .

ولو استقرت الكلم وتراكيبها ، وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة . ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعداً إلى الخمسة .

وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور «ص ن ق» لأنها توجد في الأقسام الثلاثة : الاسم والفعل والحرف .

وأربع ثنائيات «حم يس طس طه» لأنها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل . وفي الاسم بغير حذف كمن . وبه كدم ، في تسع صور لوقوعه في كل واحد من الأقسام الثلاثة على ثلثة أوجه . ففي الأسماء : من و إذ و ذو وفي الأفعال : قل و يبع وخف ، وفي الحروف : إن و مين و مذ على لغة من جربها !<sup>١</sup>

(١) وبه، اي بالحذف.

(٢) راجع معنى الليب . الباب الاول : مذ .

وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الأقسام الثلاثة في ثلاثة عشر سورة ، تنبيهاً على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر، عشرة منها للأسماء ، وثلاثة للأفعال .  
ورباعيتين وخماسيتين، تنبيهاً على أن لكل منهما أصلاً كجعفر وسفرجل، وملحقاً كفردد وجحنفل.

ولعلها فرقت على السور ولم تعدباً جمعها في أول القرآن لهذه الفائدة، مع ما فيه من إعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه. والمعنى: هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف ، والمؤلف منها كذي .

\* \* \*

هذا ما ذكره علماء اللسان في هذا الباب<sup>١</sup>، وأما الذين ارتفعت درجاتهم عن هؤلاء ، فاختلّفوا في معاني هذه الأسماء على قولين :  
القول الأول<sup>٢</sup> : إن هذا علم مستورٌ وسرٌّ محجوبٌ وغيب مبطنٌ وودرٌّ مكنونٌ استأثر الله بعلمه ، وعليه يحمل الخبران المذكوران سابقاً<sup>٣</sup>.

وقال بعض العارفين : العلم بمنزلة البحر، فأجري منه وادب ثم أجري من الوادي نهرٌ ثم أجري من النهر جدولٌ ثم أجري من الجدول ساقيةٌ . فلو أجري إلى الجدول ذلك الوادي لغرقه وافسده. ولو سال البحرُ إلى الوادي لأفسده وهو المراد من قوله تعالى :  
﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [١٣/١٧] .

فبحور العلم عند الله وأعطى الرسل منها أودية ، ثم أجرى الرسل من أوديتهم أنهاراً [إلى العلماء] ، ثم أعطت العلماء للعامّة جداول صغار على قدر طاقتهم، ثم أجرت العامّة سواقي إلى أهلهم بقدر طاقتهم .

(١) راجع تفسير الكشاف والبيضاوي .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ١٢٦/١ .

(٣) ص ٢٠٠ .



ومن هذا روي في الخبر: للعلماء سرٌّ، وللخلفاء سرٌّ، وللأنبياء سرٌّ، وللملائكة سرٌّ، والله تعالى بعد ذلك كلُّه سرٌّ، ولو اطلع الجهال على سرِّ العلماء لأبادوهم، ولو اطلع العلماء على سرِّ الخلفاء لنا بَدُوهم، ولو اطلع الخلفاء على سرِّ الأنبياء لخالفوهم، ولو اطلع الأنبياء على سرِّ الملائكة لاتهموهم، ولو اطلع الملائكة على سرِّ الله، لطاحوا حائرين وبادوا مائرين .

والسبب في ذلك إنَّ العقولَ الضعيفة لا تحتل الأسرارَ القويَّةَ ، كما لا يحتمل نورَ الشمس أبصارُ الخفافيش ، ولما زيدت الأنبياء في عقولهم قدروا على احتمال أسرار النبوة، ولما زيدت العلماء في عقولهم قدروا على احتمال ما عجزت عنه العامة. وكذلك علماء الباطن\_ وهم الحكماء\_ زيدت في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر .

وسئل الشعبي عن هذه الحروف، فقال: سرُّ الله لا تطلبوه .

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس، قال: عجزت العلماء عن إدراكها، وقال الحسين بن الفضل: هو من المتشابهات .

### تنبيه

[ رد على القائلين بعدم امكان فهم تفسير الحروف المقطعة ]

واعلم إنَّ هذا القول ليس بسديد ، لأنَّه لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوماً للخلق، إذ هو مما أنزله الله لهداية الخلق و إرشادهم وتكميلهم وإخراج عقولهم عن القوَّة إلى الفعل وسياقة نفوسهم عن ظلمات الحيرة والجهل والعمى إلى نور المعرفة والعلم والبصيرة ، ليتنور ذواتهم بأنوار معارف القرآن ويستعدَّ واللقاء الله في دار المثوبه والرضوان ويتخلصوا عن آفات الجهالة الموجبة لكثير من الأمراض القلبية والآلام النفسانية المؤدية إلى الهلاك المستلزمة لعذاب البعد والاحتجاب ، كما

للمطرودين عن بساب الرحمة الإلهية ، المحترقين بنيران الجهالات المتراكمة ،  
المتألمين بآلام الاعتقادات الرديئة الفاسدة فلا بد أن يوجد في عباد الله من كان عنده علم  
الكتاب والآلان إنزاله عبثاً .

نعم درجات الناس بحسب العقول متفاوتة كما مرّ فيما ذكر من الخبر . فلا جرم  
حظوظهم من آيات كتاب الله مختلفة كتنافوت أغذية الناس والأنعام ممّا تنبت في الارض  
من سائر الطعام .

فلطائفة منها القشور، كالنبن والنخالة. ولطائفة اللبوب والأدهان كالحبّ من الحنطة  
والدهن من الزيتون ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [ ٣٣/٧٩ ] .

\* \* \*

والحجّة لنا في هذا المقصد من الآيات والأخبار كثيرة: أما الآيات :

فمنها قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [ ٢٤/٤٧ ] أمرهم  
بالتدبّر في معاني القران، ولو كانت غير مفهوم لما أمرهم بالتدبّر فيه .

ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ  
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [ ١٩٥-١٩٢/٢٦ ] فلولم يكن مفهوماً  
بطل كونه صلى الله عليه وآله منذراً به .

وأيضاً فقوله بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ يدل على أنه نازل بلغة العرب، وإذا كان كذلك وجب  
أن يكون مفهوماً .

ومنها قوله: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [ ٨٣/٤ ] والاستنباط منه  
لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه .

ومنها قوله: ﴿ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [ ٨٩/١٦ ] وقوله: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ ﴾ [ ٣٨/٦ ] وقوله: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [ ١٨٥/٢ ] ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [ ٢/٢ ]

وغير المعلوم لا يكون هدى .

ومنها قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ﴾ [٥/٥٤] وقوله: ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٥٧/١٠] وكل هذه الصفات لا يحصل في غير المعلوم .  
ومنها قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [١٥/٥] وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [١٧٢/٤] فكيف يكون برهاناً وكتاباً مبيناً ونوراً مبيناً مع أنه غير مفهوم .

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٩/١٧] فكيف يكون هادياً مع أنه غير معلوم .

إلى غير ذلك من الآيات المشيرة إلى كون الغرض من إنزال القرآن تعليم العباد .

\* \* \*

وأما الأخبار ، فمنها قوله صلى الله عليه وآله: إنني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي<sup>١)</sup>

وروى العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>٢)</sup>

قال: «عليكم بكتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن أتبع الهدى في غيره أضله، وهو جبل الله المتين ، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيب به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقص عجائبه ، من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فليح ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .»

وأما ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، فليس فيه ما يدل على أن معاني هذه الحروف غير مفهومة، وكذا ما روي عن

(١) نواتر الرواية من العامة والخاصة ، راجع البحار: ١٠٤/٤-١٦٦ .

(٢) دارمي : باب فضل من قرأ القرآن : ٢/٢٣٥ بزرق يسيرة .

الشعبي لا يزيد دلالة على أن هذه الحروف من أسرار الله الخفية التي لا يعلمها كل أحد، ولا يدل على أن الراسخين في العلم لا سبيل لهم إلى إدراكها .  
وكذا ما ذكره بعض العارفين ليس فيه دلالة على عدم اطلاع الناس على سر هذه الحروف، بل فيه ما يدل على ضد ذلك كما لا يخفى.

\* \* \*

واحتج المخالفون بوجوه من العقل والنقل كلها ضعيفة مدخوله :  
منها أنه من المتشابه من القرآن وأنه غير معلوم لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ والوقف ههنا لازم، إذ لو عطف عليه قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ لبقِيَ قوله ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ منقطعاً عنه وهو غير جائز.

وهو مجابٌ لبأن « يَقُولُونَ » حالٌ وإلّا كان حالاً للمعطوف عليه كما للمعطوف فيلزم أن يكون الله قائلاً : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ وهو كفرٌ بل بأنه خبر مبتدأ محذوف بقرينة سابقة.

ومنها: إنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ أَنْكَرَهُ أَهْلُ الْعِزَّةِ بِاللَّهِ. ودلالة هذا الخبر على ثبوت هذا الجانب أكثر من دلالة على ثبوت طرف المخالف.

ومنها: إن القول بأن هذه الفواتح غير معلومة، مروى من أكابر الصحابة فوجب أن يكون حقاً.

والجواب - بعد التسليم - إن دلالة ما روي عنهم على كونها غير معلومة لأحد من الناس مطلقاً وإن كان من الراسخين، غير مسلم، وعلى كونها غير معلومة لجمهور

(١) رواه الفزالي في الاحياء (٢٠/١) واللفظ : « . . . فاذا نطقوا لم ينكره الا أهل الاغترار بالله » وقال العراقي في تخريجه : رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى الاربعين له فى التصوف من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف .

الناس، لانضرتنا ونحن نقول به.

ومنها: إن الأفعال التي كلفنا به قسمان، منها ما يُعرف وجه الحكمة فيها كالصلوة والصيام والزكوة.

ومنها ما لا يُعرف وجه الحكمة فيها كأفعال الحج، فكما يحسن من الله الأمر بالنوع الأول، فكذا يحسن منه الأمر بالنوع الثاني، لأن الطاعة فيه تدلّ على كمال الانقياد ونهاية التسليم، لأنه لما لم يعرف فيه وجه مصلحة لم يكن إتيانه إلاّ لمحض الانقياد والتسليم، وإذا كان الأمر كذلك في الأفعال فلم لا يجوز أيضاً أن يكون الأمر كذلك في الأقوال، وهو إن الله يأمرنا تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه، وتارة بما لا نقف على معناه، ويكون المقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم من المأمور للأمر.

أقول: وهذا أيضاً ساقط، لأنّ كون الغاية في التكليف بالأعمال، التسليم والانقياد وإن كان مسلماً، لكن كون الغاية في العلوم كذلك، غير مسلّم كما حقق في مقامه. وبالجملة المقصود من العلوم والمعارف تنوير القلب بأنوار الحقائق الإلهية، ومن الأعمال والأفعال تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة لثلايزاحمها القوى الشهوية والغضبية وغيرها في السلوك إلى الله.

وأعجب من ذلك قولهم: بل فيه فائدة أخرى، وهو إن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به، سقط وقعه عن القلب وإذالم يقف على المقصود مع القطع بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين، فإنه يبقى ملتفتاً إليه أبداً ومتفكراً فيه دائماً، ولباب التكليف اشتغال السرّ بذكر الله والتفكير في كلامه.

أقول ما أشبه هذا بكلام العوام والجهّال، فإنّ نفس التفكير ليس من الغايات المتأصلة ليكون بقاء الإنسان في التردد الفكريّ أبداً سرمداً سعادةً، على أن فيه تعباً ومشقة في الحصال وإنّما الفائده فيه انتقال الذهن إلى ما هو المطلوب الأصلي وهو الابتهاج بإدراك الحضرة الإلهية والاستعداد بالأنوار الملكوتية.



القول الثاني<sup>(١)</sup>: قول من زعم إن المراد من هذه الفواتح معلومٌ وهم اختلفوا وفسروها على وجوه متخالفة.

أحدها: إنها أسماء السور عن الحسن وزيد بن أسلم وهو قول أكثر المتكلمين.  
الثاني: إنها أسماء الله. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يقول يا كهيعص يا حمسق.

الثالث: إنها أسماء القرآن.

الرابع: إنها أبعاض أسماء الله. قال سعيد بن جبيرة قوله: «الر، حم، ن» مجموعها هو اسم الرحمن: ولكننا لا نقدر على كيفية التركيب في البواقي.

الخامس: أن يكون إشارة إلى النبي كانت هي منها، اقتضت عليها اقتصار الشاعر في قوله: «قلت لها: قفي». فقالت: قاف.

فيكون فيها دلالة على أسماء الله وأسماء صفاته، كما قال ابن عباس في ألم: «أنا الله أعلم» وفي المر: «أنا الله أعلم وأرى» و المص معناه: «أنا الله أعلم وأفضل».

وكما قال: «ألف»: آلاء الله. و «اللام»: لطفه. و «الميم»: ملكه. وهذا رواية أبي صالح وسعيد بن جبيرة عنه.

السادس: إن بعضها يدل على أسماء الله وبعضها يدل على أسماء غيره فقال الضحاك: الألف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد أي انزل الله الكتاب على

(١) راجع مجمع البيان: ١ / ٣٢ وتفسير الرازي: ١ / ٢٣٠.

(٢) في اللسان - وقف - (٣٥٩/٩) «قلت لها: قفي لنا. قالت: قاف» إنما أراد: قد وقت. فاكفى بذكر «القاف».

وتمام البيت كما في مجمع البيان (٣٤/١): لاتحسى انا نسينا الايجاف.

لسان جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلوات الله عليه وآله. وهو المروي عن ابن عباس: السابع: قول أبي زيد وقطرب: إن الكفار لما قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، وتواصوا بالإعراض عنه. فأنزل الله تعالى عليهم هذه الأحرف. فكانوا إذا سمعوا قالوا: كالمتعجبين: استمعوا إلى ما يجيء به محمدٌ فإذا أصغوا هجم عليهم القرآن فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

والثامن: قول أبي العالبة إن كل حرف منها مئة أقوام وآجال آخرين بحساب الجمل. متمسكاً بما روي<sup>(١)</sup> إنه صلى الله عليه وآله أتاه أبو يسا سربن أخطب وهو ينلو سورة البقرة ثم جاء أخوه حبيبي وكعب بن الأشرف فسألوه من الم. وقالوا: نشدك الله الذي لا إله إلا هو، أحق إنها أتتك من السماء، فقال صلى الله عليه وآله: نعم، كذلك نزل، فقال حبيبي: إن كنت صادقاً إني لأعلم أجل هذه الأمة من السنين. ثم قال: كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل أن ينتهي مدته إحدى وسبعون سنة؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال حبيبي: هل غير ذلك؟ فقال: نعم «المص» فقال: هذا أكثر من الأول، فهل غير هذا؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم. الرب فقال: حبيبي هذا أكثر من الأول والثانية. فنحن نشهد إن كنت صادقاً ملكت إمامتين وإحدى وثلاثين سنة، فهل غير هذا؟ فقال: نعم «المر» قال نحن نشهد أن من الذين لا يؤمنون ولا ندرى بأي أقوالك نأخذ.

التاسع: مقاله الأخفش إن الله أقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبها المنزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الحسنی وأصول كلام الأمم، بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحّدونه.

واقصر على هذا البعض كما تقول: قرأت الحمد وتريد السورة كلها فكانه

(١) راجع تفصيل الخبر في السيرة النبوية لابن هشام: ٥٤٧/١. والدر المنثور: ٢٣/١. وكان اسم الرجل في النسختين «يحيى» بدل «حبيبي» صححناه على ما في المصادر.

تعالى أقسم بهذه الحروف أنّ هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المنبّت في اللوح المحفوظ  
 العاشر: قال أبو بكر الزهري إنّ الله تعالى علم إنّ طائفة من هذه الأمة تقول بقدم  
 القرآن، فذكر هذه الحروف تنبيهاً على أنّ كلامه مؤلّف من هذه الحروف؛ فيجب أن لا  
 يكون قديماً.



فهذه عشرة من الأقوال المذكورة في معنى هذه الفواتح وهي كثيرة اكتفينا بذكر  
 هذه عن غيرها لأنها الأقرب إلى التصديق به، ومختار الأكثر هو كونها أسماء السور  
 وعليه إطباق كثير من المفسرين منهم الإمام الرازي<sup>(١)</sup> واستدلّ عليه بأنّها إن لم تكن  
 مفهومة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمّل والتكلم بالزنجي مع العربي، ولم يكن القرآن  
 بأسره بياناً وهدى، ولما أمكن التحدّي به.

وإن كانت مفهومة فإمّا أن يراد بها الأعلام أو المعاني والثاني باطلٌ لأنه إمّا أن يكون  
 المراد ما وضعت له في لغة العرب، وظاهره أنّه ليس كذلك. أو غيره وهو باطلٌ لأنّ القرآن  
 نزل على لغتهم لقوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ فلا يحمل على ما ليس في لغتهم.  
 فثبت الأول وهو كونها أعلاماً للسور التي هي مستهلّتها، سميت بها إشعاراً  
 بأنّها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحياً من الله لم يتساقط معذرتهم دون معارضتها.



والاعتراض عليه من وجوه: أحدها: لم لا يجوز أن يكون مزبذبة للتنبية والدلالة  
 على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قُطْرُب؟ أو يكون اختصار الكلام كما في  
 القول الرابع والخامس؟ أو يكون إشارة إلى عدد آجال كما قاله أبو العالية؟ وهذه  
 الدلالة وإن لم تكن عربيّة لكن لاشتهارها فيما بين الناس حتّى العرب، كانت كالمعربات

(١) تفسير الرازي: ٢٣٢/١.



كالمشكوة والسجيل والقسطاس والإستبرق. أو يكون قسماً كما قاله الأخفش. أو يكون غير ذلك من الأقوال المذكورة؟

وثانيها: إن القول بأنها أسماء السور يُخرجها إلى ما ليس في لغة العرب. لأن التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستنكرةٌ عندهم.

وثالثها: إنها داخلَةٌ في السور وجزءٌ منها وجزءٌ الشيء مقدّمٌ على الشيء بالرتبة، واسم الشيء متأخّرٌ عنه كذلك. فيلزم من تسمية الشيء بجزئه تقدّم الشيء على نفسه، والمعارضة بتسمية الحروف بأساميها. كتسمية الجزء الأول من الجيم بالجيم ساقطةٌ، لأن المركب متأخّرٌ عن جزئه والاسم متأخّرٌ أيضاً عن مسماه فلا يلزم إلا تأخر المركب عن جزئه بوجهين ولا فساد فيه.

ورابعها: إنها لو كانت أعلاماً للسور، لوجب أن يُعلم ذلك بالتواتر، لأن التسمية على هذا التحوليس من دأب العرب، فيتوفر الدواعي على نقلها فوجب اشتهارها بها لإبساثر الأسماء والواقع خلاف ذلك.

وخامسها: إن السور الكثيرة اتفقت في المّ وحمّ فالاشتباه حاصلٌ والمقصود من العلم بإزالة الاشتباه. والمعارضة بتسمية كثيرين باسم محمد مدفوعةٌ بالفرق بين القبيلين، فإنّ المّ لا يفيد معنى آخر على ما فرضتم، فلو جعل علماً لم يكن فيه فائدة، بخلاف الأعلام المشتركة فإنّ التسمية بها قد تتضمن فوائد أخرى غير الامتياز كال تبرك ونحوه. وسادسها: إنه لو كان كذلك لوجب أن لا تخلو سورة من القرآن من اسم على هذا الوجه وليس كذلك.

\* \* \*

وقد يقال في الجواب<sup>(١)</sup> أما عن الأول؛ فبأن هذه الألفاظ لم تُعهد مزيدةً للتنبيه، والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر أمر لازم لها ولغيرها من حيث إنها فواتح

(١) تفسير الفيضاني: ٧.

السور، ولا يقتضى ذلك أن لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات معينة. أما الشعر فشاذاً وأما قول ابن عباس فننبه على أن الحروف منبع الأسماء ومبادئ الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة، ألا ترى إنه عدّ كل حرف من كلمات متباينة لتفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها إذ لا مخصص لفظاً ومعنى، ولا بحساب الجمل فيلحق بالمعربات.

والحديث الذي نقله أبو العالية لادلالة فيه لجواز أن تبسم رسول الله صلى الله عليه وآله تعجباً من جهلهم.

وجعلها مقسماً به، وإن كان غير ممتنع ولكنه يحوج إلى إضمار أشياء لادليل عليها. وأما الحمل على شيء مما ذكره المفسرون، فغير لازم لأنهم ذكروا وجوهاً مختلفة وليست دلالة هذه الألفاظ على بعض ما ذكره أولى من دلالتها على غيره، فأما أن يحمل على الكل وهو معتذر للاجماع المركب. أو لا يحمل على شيء منها وهو الباقي. وأما عن الثاني: فبان التسمية بثلاثة أسماء إنما يمتنع إذا ركبت وجعلت اسماً واحداً على طريق «بعلبك» فأما إذا نثرت نثر أسماء العدد، فذلك جازم، فإن سبويه قد نصّ على جواز التسمية بالجملة، والبيت من الشعر وطائفة من أسماء حروف المعجم. وأما عن الثالث: فبان الاسم لفظاً دالاً على أمر مستقل بنفسه، غير مقترن بالدلالة بهيئته على زمان، ولفظ الاسم كلفظ زيد مثلاً كذلك، فيكون الاسم إسماً لنفسه وإذ اجاز ذلك فلم لا يجوز أن يكون جزء الشيء إسماً له.

أقول: وهذا الجواب مما ذكره صاحب التفسير الكبير وهو كما ترى، فإن الكلام في الإسم الدال على معنى بالوضع، ودلالة الإسم على نفسه ليس بالوضع، وإن كان هو في نفسه موضوعاً.

وقد يجاب كما ذكر البيضاوي بأن الجزء مقدم من حيث ذاته، ومؤخر باعتبار كونه إسماً فلا دور.

أقول: هذا أيضاً فاسدٌ. فإنّ الكلام في أنّ هذه الألفاظ التي أجزاء السور، وهي من الموضوعات اللغوية لا معنى لها إلا كونها أسماء للسور، فإذا كان تقدمها على السور من حيث ذاتها لا من حيث كونها أسماء، لكانت قبل تمام السورة غير موضوعة لمعنى أصلاً فتكون مهملة. سيما وهذا التقدم زمني، لأنّ السور والآيات وسائر أقسام الكلام إنما هي تدريجية الوجود زمانية الحدوث.

وأما عن الرابع: بأنه لا بعد في أن يصير اللقب أكثر شهرة من أصل الاسم فكذا هي هنا. وأما عن الخامس: فإنه لا يبعد أن يكون في تسمية السور الكثيرة باسم واحد ثمّ تمييز كل واحد منها بعلامة أخرى حكمة خفية.

وأما عن السادس: فإنّ وضع الإسم إنّما يكون بحسب الحكمة، ولا يبعد أن يقتضى الحكمة وضع الإسم لبعض السور دون بعض.

أقول: إذا كان الغرض من هذه الألفاظ مجرد التسمية للتمييز والتعيين، ولم يكن لها معنى آخر، يلزم الترجيح من غير مرجح في تسمية بعض السور ببعض هذه الحروف دون بعض.

ثمّ أقول: ويرد على أصل الدليل بحث آخر لم يكن مذكوراً في التفاسير، وهو إنّ قول المستدل: لو لم يكن هذه الألفاظ أعلاماً لكانت موضوعة للمعاني وظاهر إنّها ليست كذلك، ممنوعٌ، والسند ما سنذكره عن قريب إنشاء الله.

### حكمة قرآنية

[ تفسير الحروف المقطعة حسبما قاله ابن سينا ]

اعلم هداك الله تعالى إلى فهم آياته. إنّ شيخ فلاسفة الإسلام ذهب في رسالة

سمّاها بالفيروزية، إلى أنّ هذه الحروف أسماءً للحقائق الذاتية بعضها لذات الله تعالى مطلقاً، وبعضها لذاته مضافة إلى ما أبدعه ، وبعضها لمبدعاته مطلقاً، وبعضها لها مضافة على الوجه الذي سنذكرها ، وأقسم الله بهذه الأشياء العظيمة تكريماً وتعظيماً. ونحن اخترنا مذهبه وتبعنا إثر كلامه في هذا المرام .

فنقول : لاشبهة إنّ الله قد أوجد الموجودات المتأصلة على ترتيب ونظام، الأول و الثاني والثالث على ترتيب مراتب العدد. لأنّه ليس في قوة الكثرة أن يظهر عنه تعالى أولاً كما ليس في قوة الزمان أن يوجد عنه في آنٍ دفعةً ولا في استطاعة الجسم أن يتكوّن عنه مبدعاً فالترتيب يرتقي بالكثير إلى الواحد الحقيقي بحيث لا ينتم به وحدته.

وكما أنّ الواحد مبدأ الأعداد والكثرات كلها على الترتيب الأبسط فالأبسط، فكذلك الباري جلّ كبرياؤه مُبدع الأشياء كلها على ترتيب الأبسط فالأبسط. وهو فاعل الإنبيات المتأصلة والأنواع الكاملة قبل شخصياتها الزمانية على الترتيب الإلهي الإبداعي والنظم الرباني الأحدي أو لآوثنائياً وثالثاً. وكلما كان الوجود فيه أشرف، كانت الوحدة فيه أتمّ وكان في درجة الاستفادة للوجود أقدم، وهكذا إلى أن ينتهي الترتيب النزولي إلى الموجودات الزمانية و المكانية من الجزئيات المتكثرة في الشخص، المتحددة في المعنى والحقيقة وهي بمنزلة ظلال وأشباح لما في العالَم الأعلى الإلهي من الحقائق المتأصلة التامة، التي لا ينفك تماماً عن بدوها.

وإذا سئلت عن شيء منها بما هو وليم هو، كان الجواب عنهما واحداً، لأنّه تامّ الوجود لا يعوزه شيءٌ من وجوده ومن كمال وجوده عنه .

فلكلّ منها مرتبةٌ خاصّة من الوجود لا يمكن أن يتعداه سابقاً أو لاحقاً، إذ كون كلّ منهما في مرتبته كالمقوم لذاته ، وكما إنّ الأولى عين ذات المبدأ تعالى ، فكذا الثانوية للموجود الذي بعده بعدية ذاتية والثالثة للموجود الذي بعده بوسط واحد، بعدية

بالذات، وهكذا الرابع والخامس إلى أقصى الوجود .

ثم إن أشرف الموجودات الواقعة بعدمرتبة الواحد الحق الأول، هو عالم العقل والملائكة المقربين .

وهذا العالم جملة مشتملة على موجودات قائمة بلاموادٍ خالية عن القوة والاستعداد عقولٍ قادية طاهرة وصورٍ مجردة باهرة ليس في طباعها أن تتغير أو تتكثر أو تتحيز كلها كشخص واحد متصل اتصالاً روحانياً .

وكلها عشاق إلهيون، مشتاقون إلى الأول والإقضاء به والإظهار لأمره والإبتهاج به والقرب العقلي منه .

وهم مبتهجون بذات الأول لابذواتهم، شاعرون به ذاهلون عن ذواتهم لاضمحلال ظلال إمكاناتهم تحت سطوع النور الأحدي وكبرياء جلاله .

ثم الواقع في ثالث المراتب العددية الذاتية، وجود العالم النفسي من لدن نفس الفلك الأعظم إلى النفوس المتعلقة بالأبدان البشرية، والقوالب الإنسية .

فعالها مشتمل على جملة كثيرة من ذوات معقولة، ليست مفارقة للمواد كلّ المفارقة، ولا مواصلة لها كلّ المواصلة، بل هي ملابتها ضرباً من الملاعبة، ومواد الصنف المتعلق منها بالسماويات مواداً دائمة الحركة الدورية بإذن الله وتسخيره للملائكة المدبرة إياها، الحافظة لصورها المحرّكة لها تشوقاً إلى الله وتقرباً منه وطاعة إياه .

ولها في طباعها نوع من التغير ونوع من التكثر لا مطلقاً كالأجرام الاسطقسية .

ثم الواقع في رابع المراتب عالم الطبيعة، ويشتمل على قوى سارية في الأجرام ملاعبة للمادة على التماس وهي دائمة التجدد والزوال، سيالة الذوات متجددة الهويات، تفعل الحركات الذاتية والسكنات في إحدى المقولات من الأين والوضع والكم والكيف .

أما الحركة فإذا الحقها ضرباً من التغير من جهة عارض غريب، وأما السكون، فعندما

لم يلحقها عارضٌ غريبٌ .

وبعد مرتبتها وجودُ العالمِ الجسماني المنقسم إلى أثيري وعنصري ، وخاصةً الأثيري استدارة الشكل والحركة واستغراق الصور للمواد وخلقُ الجوهر عن التضاد . وخاصةً العنصري ، التهيؤ للأشكال المختلفة والأحوال المتغيرة وانقسام بين صورتين متضادتين أيهما كانت بالفعل كانت الأخرى بالقوة .

وليس وجود إحديهما لها دائماً بل وجوداً زمانياً ومباديه الفعالة فيه من القوى السماوية بتوسط الحركات وبسبق كماله الأخير أبدأً بالقوة .

ويكون ما هو أولٌ فيه بالطبع ، آخر أفي الشرف والفضل ، ولكل واحدة من القوى المذكورة اعتبارٌ بذاته وإعتبارٌ بالإضافة إلى تاليه الكائن عنه ، ونسبة الثواني كلها إلى الأول بحسب الشركة نسبة الإبداع .

وأما على التفصيل فيخصّ العقل نسبة الإبداع ، ثم إذا قام متوسطاً بينه وبين الثوالت صار له نسبة الأمر ، واندرج فيه معه النفس ، ثم كان بعده نسبة الخلق . وللأمور العنصرية بما هي كائنة فاسدة نسبة التكوين والإبداع يختصّ بالعقل والأمر يفيض منه إلى النفس والخلق يختصّ بالموجودات الطبيعية . ويعمّ جميعها والتكوين يختصّ بالكائنة الفاسدة منها .

وإذا كانت الموجودات بالقسمة الكلية إما روحانية وإما جسمانية ، فالنسبة الكلية للمبدء الحق إليها ، أنه الذي له الخلق والأمر ، فالأمر متعلق بكل ذي إدراك والخلق بكل ذي تسخير وهذا هو الغرض في هذا الفصل .

## فصل آخر (١)

في الدلالة على كيفية دلالة الحروف على

هذه المراتب الوجودية

[من الحروف - ن]

إن من الضرورة أنه إذا أريد الدلالة على هذه المراتب بالحروف أن يكون الأول منها في الترتيب القديم - وهو ترتيب «أبجد هوّز» إلى آخره - بالأعلى الأول وما يتلوّه، وأن يكون الدالّ على ذوات هذه المعاني من الحروف متقدّماً على الدالّ عليها من جهة ماهي مضافة، وأن يكون المعنى المرسم من إضافة بين اثنين منها مدلولاً عليه بالحرف الذي يرسم من ضرب الحرفين الأولين أحدهما في الآخر - اعنى ما يكون من ضرب الحرفين أحدهما في الآخر<sup>عددي</sup>، وأن يكون ما يحصل من العدد الضربي مدلولاً عليه بحرف واحد مستعملاً في هذه الدلالة مثل (ك) الذي هو من ضرب (ي) في (ب). وما يصير مدلولاً بحرفين مثل (به) من ضرب (ج) في (هـ) ومثل (كه) الذي هو من ضرب (هـ) في (هـ) مطروحاً لأنه مشكك توهم دلالة كل واحد من (ي) و(هـ) ويقع هذا الاشتباه في كل حرفين مجتمعين لكل واحد منهما خاصّ دلالة في حد نفسه، وأن يكون الحرف الدالّ على مرتبة من جهة إنّها بواسطة مرتبة قبلها من جميع حروف المراتبتين.

فإذا تقرّر هذا فإنه ينبغي ضرورة أن يُبدل بالألف على الباري، وبالباء على العقل، وبالجيم على النفس، وبالذال على الطبيعة؛ هذا إذا أخذت بماهي ذوات، وبالهاء على الباري، وبالواو على العقل، وبالزاي على النفس، وبالحاء على الطبيعة، هذا إذا أخذت

(١) هذا الفصل والذي يليه وعمدة ما جاء في الفصل السابق منقول بتصرفات يسيرة من المؤلف - ره - عن الرسالة النيروزية - كما صرح به. وقد نقل المؤلف - ره - جل هذه المطالب في تفسير سورة يس، والم سجدة، وأسرار الآيات.

بماهي مضافة إلى مادونها .

وبقي الطاء للهيمولي وعالمه، وليس له وجوداً بالإضافة إلى شيء تحته. وينفد رتبة الأحاد ويكون الابداع وهو من إضافة الأول إلى العقل ذات لامضاف إلى مابعده مدلولاً عليه بالياء لأنه من ضرب (هـ) في (ب) ولا يحصل من إضافة الباري أو العقل إلى النفس عددٌ يدلّ عليه بحرف واحد لأنه (هـ) في (ج) به، و (و) في (ج) يح ، ويكون الأمر وهو من إضافة الأول إلى العقل مضافاً مدلولاً عليه باللام، وهو من ضرب (هـ) في (و). ويكون الخلق وهو من إضافة الأول إلى الطبيعة بماهي مضافة ، مدلولاً عليه بالميم وهو من ضرب (هـ) في (ح) لأنّ الحاء دلالة الطبيعة مضافة .

ويكون التكوين وهو من إضافة الباري إلى الطبيعة وهو ذات، مدلولاً عليه بالكاف ويكون جميع نسبي الأمر والخلق أعني ترتيب الخلق بواسطة الأمر أعني اللام والميم مدلولاً عليه بحرف (ع) ، وجميع نسبي الخلق والتكوين أعني الميم والكاف مدلولاً عليه بالسين ، ويكون مجموع نسبي طرفي الوجود أعني اللام والكاف مدلولاً عليه بالنون ، ويكون جميع نسبة الأمر والخلق والتكوين أعني كاف ولام وميم مدلولاً عليه بصاد .

ويكون اشتغال الجملة في الابداع أعني (ي) في نفسه (ق) وهو أيضاً من جمع (صاد) و (ي) .

ويكون ردّها إلى الأول الذي هو مبدء الكل ومنتهاه على أنه أول وآخر أعني فاعلاً وغاية كما بين في الإلهيات ؛ مدلولاً عليه بالراء ضعّف (ق) وذلك الغرض في هذا الفصل .



## فصل آخر في الغرض

فإذا تفرّر ذلك فنقول : إنّ المدلول عليه ( بالّم ) هو القسّم بالأول ذي الأمر والخلق . و(بالمر) القسّم بالأول ذي الأمر والخلق وهو الأول والآخر والأمر والخلق والمبدء الفاعلي والمبدء الغائي جميعاً ، و(بالمص) القسّم بالأول ذي الأمر والخلق والمنشئ للكل .

و(بص) القسّم بالعناية الكلية و(بق) القسّم بالابداع المشتمل على الكل بواسطة الابداع المساوي للعقل .

و(بكهيعص) القسّم بالنسبة التي للكاف أعنى عالم التكوين إلى المبدء الأول وبنسبة الإبداع الذي هو (ي) ثم الخلق بواسطة الأمر وهو (ع) ثم التكوين بواسطة الخلق والأمر وهو (ص) فبين (ك) و(ه) ضرورة نسبة الإبداع ثم نسبة الخلق والأمر ثم نسبة التكوين والخلق والأمر .

و(يس) قسّم بأول الفيض والابداع وآخره وهو الخلق والتكوين .

و(حم) قسّم بالعالم الطبيعي الواقع في الخلق .

و(حمعسق) قسّم بمدلول وساطة الخلق في وجود العالم الطبيعي وما يخلق بينه

وبين الأمر بنسبة الخلق إلى الأمر ونسبة الخلق إلى التكوين وبأن يأخذ من هذا ويردّه إلى ذلك فيتمّ به الإبداع الكلي المشتمل على العوالم كلها فإنها إذا أخذت على الإجمال لم يكن لها نسبة إلى الأول غير الابداع الكلي الذي يدل عليه (بق) .

و(طس) يمين بعالم الهيولى الواقع في الخلق والتكوين .

و(ن) قسّم بعالم التكوين وعالم الأمر أعنى للمجموع الكل .

ولا يمكن أن يكون للحروف دلالة غير هذا ألينة ثم بعد هذا أسرار يحتاج إلى

المشاهدة فهذا غاية الكلام الواقع في هذا المرام والله أعلم بأسرار كتابه وهو علام الغيوب .

## فصل

## في أحوال أو آخرها من حيث الاعراب

قد مرّ أن أسماء الحروف ما لم تلها العوامل موقوفةٌ خاليةٌ عن الإعراب لفقد موجهه  
لأنّها ليست قابلة له، بل هي معرّبة معرّضة للإعراب غير مبنية.  
وأما هل لهذه الفواتح محلٌّ للإعراب أم لا فنقول: إن جعلت أسماء لذات الله وآياته  
كما اخترناه أو للسور، كان لها حظٌّ من الإعراب المحليّ ويجري فيه الوجوه الثلاثة:  
أما الرفع فعلى الإبتداء والخبر، وأما النصب فبتقدير فعل القسم على طريقة الله  
لأفعلن كذا بالنصب أو بتقدير فعل آخر كذا ذكر ونحوه.

وأما الجرّ فعلى إضمار حرف القسم وهي في ذلك على ضربين: أحدهما ما يتأتّى  
فيه الإعراب لفظاً وهو إما أن يكون إسماً فرداً كصاد وقاف ونون، أو موازناً لمفرد وإن  
كان أسماء متعدّدة كحاميم وطاسين وياسين فانها على زنة قابيل وكذلك طسم تنأتى  
فيها أن يفتح نونها ويصير ميم مضمومة إلى طاسين فيجعل إسماً واحداً كداراب جرد.  
والثاني ما لا يتأتّى فيه الإعراب نحو (كهيعص) و(المر).

أما النوع الأول فيسوغ فيه الأمران: الإعراب والحكاية قال الشاعر:

يذكرني حاميم والرمح شاجر      فهلا تلا حاميم قبل التقدّم<sup>١</sup>

فاعرب حاميم، ومنعها من الصرف لاجتماع السببين فيها: العلميّة والثانيّة وهكذا  
كل ما عرب من أخواتها.

وأما النوع الثاني فهو محكيٌّ لا غير وإن أبقيتها على معانيها الحرفيّة، فإن قدرت  
بالمؤلّف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالإبتداء والخبر.

(١) من أبيات قالها شريح بن اوفى العنسي بعد قتله محمد بن طاحه يوم جمل، وكان  
محمد هذا اليوم كلما حمل عليه رجل قال: « نشدتك بحاميم ».

وإن جعلتها مقسماً بها، يكون كل كلمة منهما منصوباً أو مجروراً أعلى اللغتين المذكورتين في (الله لأفعلن كذا) ويكون جملة قسَمِيَّة بالفعل المقدّر له .

وإن جعلتها أبعاض كلمات أو أصواتاً نازلة منزلة حروف التنبيه، لم يكن لها محلٌّ من الإعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام إذا قدرت بحيث لا يحتاج إلى ما بعدها .

ولقائل أن يقول: فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات.

قلنا: الأولى كون ذلك نصباً لافتحاً وإنما يصحبها التنوين لامتناعها عن الصرف

على ما مرّ وانتصابها بتقدير فعل القسم، كما هو المختار، أو بنحو ما ذكر.

وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حمّ وطسّ ويسّ لو قرئ به .

وحكى السيرافني إن بعضهم قرء ياسين بالفتح ويجوز أن يقال: حرّكت لالتقاء

الساكنين كما قرئ ع ولا الضالين .

### تنبيهات:

الأول: ما وجه ان هذه الأسمي مكتوبة في المصحف على صور الحروف

المسميات، مع أنّ الملفوظ والمكتوب من حقائق الأشياء، أسماؤها لا مسمياتها .

قلنا: لأن العادة جارية في أنهما تهيّجت أن تلفظ بالأسماء ومتي كتبت أن تكتب

بالحروف أنفسها، وقد اتفقت في خطّ المصحف أشياء خارجة عن مقائيس علم الخطّ

الهجاء ولا ضمير في ذلك ولا نقص لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ .

وكان اتباع خطّ المصحف سنة معمولاً بها، على أن شهرة أمرها وإقامة الألسن

لها وأن التلفظ بها الأعلى نهج التهجي، غير مفيد لمعنى، وإن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير

ما هو عليه من مورده، امنّت وقوع اللبس فيها .

الثاني: ليس شيء من هذه الفواتح آية عند من عدا الكوفيين، وأما عندهم

فبعضها آية واحدة كآلم في مواقعها وهي سته والمص وكهيمص وطه وطسم وحم  
ويس وبعضها وهو حم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات ، وهذا علم توقيفي لامجال  
للقياس فيه .

الثالث: هل يجوز إرادة القسم في المحكيّة كما جاز في المعربة ؟ نعم ولك أن  
تقدّر حرف القسم مضمراً في نحو قوله تعالى: ﴿ حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [٢/٤٣]  
كأنه قيل: أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين، إِنَّا جَعَلْنَاهُ ...

وأما قوله صلى الله عليه وآله: ﴿ حَمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾. فيصلح أن يكون منصوباً ومجروراً  
جميعها على حذف الجار وإضماره .

(١) المسند (٢٨٩/٤) : عن البراء بن عازب ، قال لنا رسول الله (ص) : انكم  
ستلقون العدو غداً ، وان شعاركم : « حم لا ينصرون » .

قوله جل اسمه :

## ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

«ذلك اسم مبهم يُشار به إلى البعيد ، فإن كان إشارة إلى ما في اللوح المحفوظ أو إلى القرآن باعتبار كونه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدِينًا﴾ [٤/٤٣] سواء كان الـم اسماً للقرآن أو السورة أو مقسمابه، كما اخترناه فيكون إشارة إلى البعيد كما هو الرسم .  
وأما إذا جعل إشارة إلى الـم وأول المؤلف من هذه الحروف، أو فُسر بالسورة أو القرآن الموجود بين أظهرنا ففي الإشارة إلى القريب الحاضر بما يُشار إلى البعيد الغائب لا بد من وجه .

وقد ذكروا فيه وجوهاً :

أحدها: إنه وقعت الإشارة إلى الـم بعدما سبق التكلم به وتفضى والمتفضى في حكم المتباعد .

وثانيها: إنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع في حد البُعد عنه .

وثالثها: إن القرآن وإن كان حاضراً نظراً إلى ظاهره وصورته، لكنه غائب نظراً إلى أسراره ومعانيه لاشتماله على علوم عظيمة وحكم كثيرة يتعسر إطلاع القوة البشرية عليها ، بل يتعذر في هذه النشأة فيجوز أن يُشار إليه كما يُشار إلى البعيد الغائب .

ورابعها : إن الله تعالى وعد رسوله صلى الله عليه وآله عند مبعثه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، وهو صلى الله عليه وآله أخبر أمته بذلك. ويؤيده قوله: **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ**

قَوْلًا تَقِيلاً فِي سُورَةِ الْمَزْمَلِ وَهِيَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي ابْتِدَاءِ الْمَبْعُوثِ.

وخامسها: إنه تعالى خاطب بنى اسرائيل؛ لأن سورة البقرة مدنية وأكثرها احتجاج على اليهود وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما السلام أن الله يرسل محمداً صلى الله عليه وآله وينزل عليه كتاباً فقال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ، أي الذي أخبر به الأنبياء المتقدمون إن الله سينزله على النبي المبعوث من ولد إسماعيل.

وسادسها: مقاله الأصم. إن الله تعالى أنزل الكتاب بعضه بعد بعض، فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة. وهي كل ما نزل بمكة مما فيه الدلالة على التوحيد وعلم المعاد وعلم النفس وإثبات النبوة وأحوال الملائكة والجن وعلم السماء والعالم وغير ذلك. فقوله ذلك إشارة إلى تلك السور والآيات التي نزلت قبل هذه السورة، وقد يسمي بعض القرآن قرآناً كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [٢٠٤/٧] وقال تعالى: حاكياً عن الجن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [٣٠/٤٦] وهم ماسمعوا إلا البعض.



واعلم إن أصل ذلك وهذا ذؤوهي كلمة إشارة زيدت الكاف عليها للخطاب واللام للتوكيد والهاء للتنبيه، فأصلهما واحد، فإذا قرُب الشيء أشير إليه فقيل: هذا أي تنبئة أيها المخاطب. فيشبه أن يكون دلالة ذلك على البعيد عرفاً طارياً على أصل الوضع للقرينة التي ذكرناها.

والكتساب أصله الكتب وهو الجمع ومنه «الكتيبة» للجنود لانضمام بعضهم إلى بعض، وهو مصدر بمعنى المكتوب كالحساب، وقيل: سمي به المفعول مبالغة ثم عبر عن المنظوم لفظاً قبل أن يكتب لأنه مما يكتب كما يقال للمكتوب كلام باعتبار أنه ما كان قبل الكتابة.

١)

- وقد مر في المفاتيح إنهما واحد بالذات مختلف بالإضافة. وهو اسم للقرآن، وله أسماء كثيرة: الكتاب والقرآن والفرقان والذكر ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [٤٣/٤٤].
- والتذكرة ﴿وَأَنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٤٨/٤٩].
- والذكرى: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٥/٥١].
- والتنزيل: ﴿وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلٌ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٢/٢٦].
- والحديث: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [٢٣/٣٩].
- والموعظة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٥٧/١٠].
- والشفاء: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [٥٧/١٠].
- والحكم: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [٣٧/١٣].
- والحكمة: ﴿حِكْمَةً بَالِغَةً﴾ [٥/٥٤].
- والحكيم: ﴿يُسِّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [١/٣٦].
- والجبل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [١٠٣/٣].
- والروح: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [٥٢/٤٢].
- والبرهان: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [١٧٤/٤].
- والكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [٧٨/٥٦].
- والعظيم: ﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [٨٧/١٥].
- والفصل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [١٣/٨٦].
- والهدى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٢/٢].
- والمهيمن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [٤٨/٥].

وغير ذلك كثير كما يظهر بالمراجعة إلى القرآن.

## فصل

في اتصال قوله: الَمْ بقوله: ذَلِكَ الْكِتَابُ، قال صاحب الكشاف: إن جعلت الَمْ اسماً للسورة ففي التأليف وجوه: أن يكون الَمْ مبتدأ أو ذلك مبتدأ ثانياً؛ والكتاب خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. ومعناه: إن ذلك هو الكتابُ الكامل، كأنَّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وانه الذي يستاهل أن يسمَّى كتاباً كما تقول: هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال .

وأن يكون الكتاب صفة ومعناه: « هو ذلك الكتاب الموعود » وأن يكون « الَمْ » خبر مبتدأ محذوف، أي: « هذه الَمْ » ويكون « ذلك » خبراً ثانياً أو بدلاً على أن يكون الكتاب صفة .

وأن يكون هذه الَمْ جملة وذلك الكتاب جملة أخرى. وإن جعلت الَمْ بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره، الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل، أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف، أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب .

وقرأ عبدالله: الَمْ تنزيل الكتاب لاريب فيه. وتأليف هذا ظاهر، انتهى كلامه.  
وعلى ما اخترناه من كون الَمْ جملة قسمية إما أن يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره، أو عطف بيسان، أو صفة له أو بدل منه، ولاريب فيه جملة في موضع الخبر . والمعنى أقسم بالله ذي الخلق والأمر أن ذلك الكتاب هو الكتاب الذي لاريب فيه . لأن علومه برهانيات لا يعترىها تبديل وتغيير ولانسح وتحريف، ومقدماتها يقينيات لا يشوبها شك وشبهة ولا يشوشها وهم ورَبِّ .

(١) الكشاف: ١ / ٨٥ .

(١) هو عبدالله بن مسعود .



وأما جعل «لاريب» فيه في موضع الحال وعاملها إسم الإشارة وجعل «هدى» يجرأ عن ذلك الكتاب، فلا يخلو عن بُعد .

## فصل

الرَّيْبُ: قَرِيبٌ مِنَ الشَّكِّ وَفِيهِ زِيَادَةٌ، كَأَنَّهُ ظَنَّ بِشَيْءٍ تَقُولُ: رَأَيْتُ أَمْرًا فَلَانَ إِذَا ظَنَنْتَ بِهِ .

ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: دَعُ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ .

وأما قولهم: رَيْبُ الْأَمْرِ، وَرَيْبُ الزَّمَانِ لِحَوَادِثِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: فَتَرَبَّصْ بِهِ رَيْبَ الْمُتَمَوِّنِ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:<sup>٢)</sup>

قَضِينَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ \* وَخَيْرٌ نَمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا

في معنى ما يختلج في القلب من أسباب الغيظ وقلق النفس واضطرابها فهم ما يرجعان أيضاً إلى معنى الشك لأن الشك ريبة والعلم طمأنينة وما يخاف به من ريب المنون أمرٌ محتمل فهو كالمشكوك فيه . وكذلك ما اختلج في القلب وتعلق به النفس فهو غير مستيقن .

أقول: اعلم إنَّ الإيمان والشكَّ يجريان مجرى واحد كما أنَّ الوجود والعلم اليقيني يجريان مجرى واحداً لأنَّ الأولين<sup>٣)</sup> حال الوجود العيني والأخيرين حال الوجود العلمي، وإذا كان الوجود عين المعلوم، فقد كان الوجود عين العلم كما في علم الباري بذاته وبالأموال الصادرة عن ذاته من جهة علمه بذاته.

و كذلك قد يكون الإيمان عين الشكِّ كما في إدراكنا الأشياء المحسوسة والمتغيرة،

(١) الجامع الصغير: ٢ / ١٥ .

(٢) المقاتل كعب بن مالك الانصاري، كما في اللسان (ريب) .

(٣) المراد من الاولين: الامكان والوجود . ومن الاخيرين: الشك والعلم .

فقوله: لَأَرَبِّ فِيهِ الْمَرَادُ مِنْهُ نَفِي كونه مظنة الرب بوجه من الوجود لكونه من العقليات الدائمة الموجودة في علم الله وفي اللوح المحفوظ من التغيير والنسخ، وسائر الكتب ليست كذلك، لأنها ككتاب المحو والإثبات قابلة للنسخ والتبديل.

وإنما قلنا «لأرب» فيه يراد منه نفي الرب بالكلية، لأن «لا» نفي لمهية الرب وجنسها، ونفي المهية يقتضي نفي كل فرد من أفرادها، لأنه لو ثبت فرد من أفرادها، لثبت المهية معه، وذلك يناقض نفيها بالكلية.

ولهذا السركان قولنا: لأله إلا الله، نفياً لجميع الآلهة سوى الله.

وأما قراءة لأرب فيه بالرفع، نقيض قولنا: رب فيه، كما قرأها أبو الشعثاء، فذلك النفي لا يوجب انتفاء جميع الأفراد، لأنه ليس لنفي المهية، بل لنفي فرد من الأفراد وهو لا ينافي ثبوت فرد آخر.

واعلم إنه إذا جعل «ذلك الكتاب» إشارة إلى القرآن الحاضر عندنا، فيكون معنى لأرب فيه: إنه لو وضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد إمعان النظر الصحيح والفكر السليم في كونه وحيأ من عند الله بالغأحد الإعجاز لان أحد لأيرتاب فيه، فليس المراد نفي الرب على سبيل الاستغراق فيه، إذ كم من مراتب فيه. بل المراد نفي كونه مظنة للرب ومتعلقاً به.

ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ الآية، فإنه ما أبعد وجود الرب عنهم، بل بين لهم الطريق إلى إزاحة ذلك عن أذهانهم، وهو أن يجتهدوا ويجربوا نفوس أمثالهم في معارضة نجم من نجومه، وهم أمراء الكلام وزعماء المحاوراة، ويبدلو اغاية جهدهم في مقابلة سورة من سورته، وهم فرسان اللسان والمتهالكون على الافتنان في القصائد والرجز، حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن

(١) هو جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء . قال في خلاصة تهذيب الكمال (٥٩) :

« قال احمد : مات سنة ثلاث وتسعين ، وقال ابن سعد : سنة ثلاث ومائة . »

ليس في كونه بالغاً من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل فاطق وشقت غبار كل سابق، مجالاً للشبهة ولا مدخل للريبة.

ليعلموا إنّه لم يتجاوز الحدّ الخارج من قرى الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح عيون البصراء إلاّ لأنّه ليس بكلام البشر وإنّه كلام خالق القوى والقدر.

وقيل: معناه لاريب فيه للمتقين، وهدى «حال من الضمير المجرور، والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى.

أقول: وهذا كقولك لمن يباحثك في مقدّمة علمية: ماقلته لك أمرٌ بديهي عند من يهتدى به من العقول الصحيحة والقلوب السليمة.

وأما النكتة في تقديم «الريب» ههنا على الظرف وتأخير «الغول» عنه في قوله: لأفبها غولٌ، فهي إنّ الأهم ههنا نفي الريب بالكلية عن الكتاب، ولو قلت: لافيه ريب، لأوهم إنّ هناك كتاباً آخر حصل فيه الريب، كما قصد في قوله لأفبها غولٌ، تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنّها لا تغتال العقول كما يغتال خمر الدنيا.

### تنبيه

الوقف على «فيه» هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفّا على «لاريب» ولا بدّ لهما أن ينويا خبراً، ونظيره قولك: لا ضمير ولا باس. فالتقدير: لاريب فيه؛ فيه هدى.

قبل إنّ القراءة المشهورة أولى، لأنّ كون الكتاب نفسه هدىً أولى من أن يكون فيه هدى وأوفق لما تكرر في تسمية القرآن من أنّه نورٌ وهدى.

قوله جل اسمه :

## هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

اعلم إنه من جملة الأوصاف التي امتاز بها القرآن عن سائر الكتب النازلة على الأنبياء السابقين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين. إن القرآن نفسه هدى ونور لأن المراد منهما، الحاصل بالمصدر، وسائر الكتب فيها هدى ونور كما في قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [٤٤/٥] وقال في حق القرآن: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ ﴾ [١٥/٥] وقال ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ [٥٢/٤٢] وأما قوله: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [٣/٣] فليس فيه نصوصية على كونها هدى، لاحتمال أن يكون هدى حالاً من ضمير أنزل.

وكذا قوله ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [٩١/٦] لاحتمال كونه حالاً من فاعل أنزل أو جاء.

والفرق الآخر إن القرآن هدى للمتقين لم يكشف بأسراره عند تجلي أنواره إلا الخواص والمقربون من عباده وهم المحبوبون وأهل المشيئة الإلهية كما قال ﴿ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [٥٢/٤٢]

وأما سائر الكتب فيشارك في هديها الجمهور من الناس لقوله ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [٣/٣] والقرآن أيضاً لاشتماله على الكتاب لما قدمرته كلام وكتاب جميعاً يشارك في هديها الناس وكذا قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ ﴾ [١٨٥/٢] وقدمر في المفاتيح نظير هذا المرام.

والهْدَى في الأصل مصدرٌ على وزن فَعَلَ كالسْرِى والبِكَاءِ، ومعناه الدلالة. وقيل: بل الدلالة الموصِلة إلى المطلوب . والكلام من الجانبين مذكور والانتقاص بالآيتين<sup>١</sup> مشهور.

قال صاحب الكشاف<sup>٢</sup>: هو الدلالة الموصِلة إلى البُغية واستدلَّ عليه بوجوه ثلثة: بوقوع الضلالة في مقابله قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ [١٦/٢] وقال: ﴿لَعَلِّي هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢٤/٣٤] وبأنه يقال «مهدي» في موضع المدح كمهتدي . ولولم يكن من شرطه الايصال لم يكن الوصف بالهْدَى مدحاً لأحد، لاحتمال انه هُدِيَ فلم يهتد، وبأن اهتدى مطاوع هدى، ولن يكون المطاوع على خلاف معنى أصله، كما يقال: كَسَرْتُهُ فَانكَسَرَ وَغَمَمْتُهُ فَاعْتَمَّ.

والجواب عن الاول: إن الفرق بين الهُدَى والإِهْتِدَاء معلومٌ، فمقابل الهُدَى الإِضْلال، لا الضلال.

وعن الثاني: إن المنتفع بالهْدَى يسمّى مهدياً لأن الوسيلة إذالم يفض إلى المقصود كانت نازلة منزلة المعدوم.

وعن الثالث: بالنقض، فإنّ الايتمار مطاوع للأمر، يقال: أمرته فأتمروا وليس من شرط الأمر حصول الايتمار. وبالمعارضة بقولك: هَدَيْتُهُ فلم يهتد.

### تحقيق فيه إشارة

#### [ الهداية وكون القرآن هدى ]

واعلم إن أفعال المبادي الذاتية والعوالي الفعالة وإن كانت من قبلها عامة تامّة الآثار لازمة

(١) المراد بالآيتين، قوله سبحانه: انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء،

وقوله تعالى: واما تمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى.

(٢) الكشاف : ٨٩/١ . والاجوبة عن الفخر الرازي : ٣٤٣/١ .

والنتائج ليست فيها شائبة قوة ونقص وفتور، إلا أنها قد يتخلف عنها الأثر والنتيجة لاقصور من جانب الفاعل وعدم تمامية وكمالية، بل لضعف القابل أو لسوء استعداده أو انحرافه عن جهة القبول.

ومنها الهداية، كإنزال القرآن ونحوه من الله. والقران عين الهدى بمعنى الحاصل بالمصدر كما مرّ والله هو الهادي للعباد كلهم دائماً بالذات، لأنّ شأنه الرحمة والوجود، ودأبه إفاضة الخير والوجود على الجميع من غير فتور من قبله، إلا أنّ القوابل متفاوتة، ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا أَوْ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [٢٦/٢]

إذ المراد من الهداية أو الهدى، ليس مجرد المعنى الإضافي العقلي الذي تحقّقه فرع تحقّق الطرفين بل المراد ما به يقع الاهتداء كالقران والنبى صلّى الله عليه وآله وكذا الكلام في نظائره كالنور والعلم والقدرة وأشباهاها.

فالهداية بهذا المعنى ذاتية للقران، والإضلال عارض، وهذا كالشمس شأنها التنوير والإضاءة ومع هذا قد يحصل من إضاءتها وتنويرها في بعض الموادّ ضدّ ذلك كالظلمة والسواد.

فمن قال: «إنّ الهدى معناه الدلالة الموصلة إلى البغية» أراد به فعل ما يوجب الوصول إلى المطلوب لمن هو أهله ومستحقّه، ومن تعلقت المشيئة الإلهية بحصول السعادة الأخروية له، فقوله تعالى مخاطباً للنبي صلّى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَهِدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [٥٦/٢٨] بمنزلة قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ سَمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [٥٢/٣٠] وبمنزلة قولك: إنّ الشمس لا تنور أبصار الخفافيش.<sup>١</sup>

(١) ويحتمل أن يكون قوله تعالى: «إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» من قبيل قوله تعالى: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» إشارة إلى استغراق إنيته (ص) في هوية الحق، وضمحلل وجوده في نور الأحذية. - منه طاب ثراه (من حاشية النسخة المخطوطة).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [١٧/٤١] بمنزلة قولك: شوّقناهم فلم تشاقوا وعلمناهم فلم تعلموا، ليس بمناف لكون الهداية بمعنى الدلالة الموصلة على ما حققناه.

فقوله: هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ، معناه إنهم المهتدون بأنوار الكتاب والمنتفعون بآياته دون غيرهم، وإن كانت دلالة عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وصالح وفاجر. وبهذا الاعتبار قال: هُدَىٰ لِلنَّاسِ، أولاً لأنه لا ينتفع بالتأمل فيه والتدبر في آياته إلا من صفى صفحة بواطنه وتطهر وجه سره عن كدورات الأوهام الفاسدة والآثام المظلمة، واستعمله في مطالعة الآيات الإلهية والأنوار الربانية والنظر في المعجزات النبوية والعلوم الوهية، لأنه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة البدنية، فاذا تناوله البدن الذي ليس بالنقي لا يزيد إلا شراً وبالأسقاماً ونكلاً كما قاله بعض الأطباء. وإليه أشار بقوله ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [٨٢/١٧].

## فصل

### في التقوى

أصله وَقَوَى قَلْبَتِ الوَاوْتَاءِ كالتراث أصله وراث، فالأصل في المتقين: الموتقين مفتعلين من الوقاية.

والإتقاء في أصل اللغة، الحجز بين الشيئين، يقال اتقاه بالتُرْس أي جعله حاجزاً بينه وبينه.

والوقاية فرط الصيانة سواء كان في أمر ديني أو أخروي لكن لما وقع المتقي في عرف الشرع في معرض المدح فلن يكون متقياً إلا من اتقى عما يضره في الآخرة وله مراتب ثلاث:

إحديها التوقي عن العذاب المخلد بالتبرء عن الشرك والجحود للحق والدين  
والإنكار للعلم والحكمة واليقين وعليه يحمل قوله تعالى ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ .  
والثانية الإجتناب عن المآثم والمعاصي من فعل أو ترك حتى الصغائر عند القوم،  
فروي عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع  
ملا باس به حذراً مما به بأس»، وهو المعنى بقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا  
وَأَتَّقُوا- الآية﴾ [٩٦/٧] .

والثالثة: أن ينزه عما يشغل سره عن الحق ويجرد عما سواه ويبتل إليه بشرائه،  
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [١٠٢/٣] .

\* \* \*

واعلم إن التقوى جاءت في القرآن بمعان كثيرة كلها ترجع إلى هذه المراتب.  
فمنها الايمان كقوله تعالى ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾  
[٢٦/٤٨] أي كلمة التوحيد وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾  
[٣/٤٩] وفي الشعراء ﴿قَوْمٌ فَرَعُونَ الْآيَتُونَ﴾ [١١/٢٦] أي الايمانون .  
ومنها الخشية كقوله في أول النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [١/٤]  
ومثله في أول الحج [١/٢٢] و[في] الشعراء، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾  
[١٢٤/٢٦] أي الاخشون، وكذلك قول هود وصالح [١٤٢/٢٦] ولوط [٢٦/٢٦]  
[١٦١/١٦] وشعيب [١٧٧/٢٦] لقومهم . وفي العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ  
لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ [١٦/٢٩] يعني: اخشوه .

ومنها التوبة كقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [٩٦/٧] أي تابوا .  
ومنها الطاعة كقوله تعالى في النحل: ﴿أَنْ أَنْذَرُوا أَنَّهُ لِلَّهِ الْآنَاتَاتُونَ﴾

(١) الجامع الصغير: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين . . . ٢٠٤/٢» .



[٢/١٦] وفيه ايضاً ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [٥٢/١٦] وفي المؤمنين : ﴿ أَنَارَبُكُمْ فَاتَّقُونَ ﴾ [٥٢/٢٣] .

ومنها ترك المعصية كقوله ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [١٨٩/٢] أي ولا تعصوه .

ومنها الإخلاص كقوله في سورة الحج : ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [٢٢/٢٢] أي من إخلاص القلوب .

### تنبيهه

### [ التقوى في الكتاب والسنة ]

اعلم إن التقوى كنزٌ عزيزٌ فلتن ظفرتَ به فكم تجد فيه من جوهرٍ شريف، وعلق نفيس، وخيرٍ كثير، ورزقٍ كريم، وفوزٍ كبير، وغنمٍ جسيم، وملكٍ عظيم.

وكانت خيرات الدنيا والآخرة جُمعت فجُعلت تحتَ هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى، وكم في القرآن من ذكرها وكم علقَ بها من خيرٍ وكم وعدَ عليها من أجرٍ وثوابٍ وكم أضافَ إليها من السعادة، وسندَ كرعةً من جملها .

أولها: المدحة والثناء، قوله: ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [١٨٦/٣] .

وثانيها: الحفظ والحراسة من الأعداء، قوله ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّرُكُمْ كَيْدَهُمْ شَيْئاً ﴾ [١٢٠/٣] .

وثالثها: التأيد والنصرة، قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [١٢٨/١٦] وقوله: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [١٩/٤٥] .

ورابعها: النجاة من الشدائد والرزق من الحلال، قوله ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً

وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٢٠٦﴾ [٢/٦٥].

وخامسها: اصلاح العمل، قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [٧٠/٣٣].

وسادسها: غفران الذنوب قوله تعالى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [٣٧/٣].

وسابعها: المحبة، قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٧/٩].

وثامنها: القبول قوله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [٢٧/٥].

وتاسعها: الإكرام والإعزاز، قوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [١٣/٢٩].

وعاشرها: البشارة عند الموت، قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [١٠/٦٣-٦٤].

وحادي عشرها: النجاة من النار، قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [٧٢/١٩] وقوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [١٧/٩٢].

وثاني عشرها: الخلود في الجنة، قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣/٣].

فهذه كل خير وسعادة يتعلق بالتقوى، لكونه من شرائف المقامات القلبية .  
وعن ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وآله: من أحب أن يكون أكرم الناس، فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده .

وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال. التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة .

وقال الحسن: التقوى أن لا تختار على الله سوى الله، وتعلم إن الأمور كلها بيد الله.

وقال ابراهيم بن أدهم: التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيباً ولا الملائكة في أعمالك عيباً، ولا ملك العرش في سرّك عيباً .

وقال الواقدي: التقوى أن تُزَيَّنَ سرّاً للحقِّ كما زَيَّنَتْ ظاهراً للخلق.  
ويقال: التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك .  
ويقال: المتقى من سلك طريق المصطفى ونبذ الدنيا وراء الفقا، وكلف نفسه  
الإخلاص والوفاء، واجتنب الحرام والجفاء .

### تكملة:

لولم يكن للمتقين فضل إلا ما في قوله تعالى: هُدَى لِلْمُتَّقِينَ، لكفاهم، لأنه تعالى  
قد بين أن القرآن هدى للناس في قوله ﴿أَنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ [٢/١٨٥]  
ثم قال هيهنا في القرآن: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس فمن  
لا يكون متقياً كأنه ليس بناس .

### و هيهنا سؤالات:

احدها: إن كون الشيء هدىً ودليلاً لا يختلف لشيء، دون شيء؛ فلماذا جعل القرآن  
هدىً للمتقين؟ وقد سبق تحقيق الجواب!

وثانيها: إن المتقى مهتد؛ والمهتدي لا يهتدي ثانياً. فالقرآن لا يكون هدىً للمتقين.  
والجواب: إن المتقى مهتد بنفس ذلك الهدى، لا يهتدي ثانٍ كما أن الموجود  
موجود بنفس الوجود القائم به حين كونه موجوداً و تحصيل الحاصل بنفس ذلك  
التحصيل غير مستحيل، إنما المستحيل تحصيل الحاصل بتحصيل آخر، وإيجاد الموجود  
بوجود آخر .

وثالثها: كيف وصف القرآن كله بأنه هدى، وفيه مجمل ومتشابه كثير، ولولا  
دلالة العقل لما تميّز المحكم من المتشابه، والمبين من المجمل، فيكون الهدى في  
الحقيقة هو العقل لا القرآن، وعن هذا نقل عن علي عليه السلام، إنه قال لابن عباس حين

بعثه رسولا إلى الخوارج: لا تحتج عليهم بالقرآن فإنه حمال ذو وجهين، ولو كان هدى لما قال عليه السلام ذلك. ولأننا نرى جميع فرق الإسلام يحتجون به ونرى القرآن مملوًا ببعض آياته صريح في الجبر، وبعضها صريح في القدر، ولا يمكن التوفيق بينهما إلا بالتعسف الشديد، فكيف يكون هدى؟

والجواب: إن ذلك المجمل والمتشابه لما لم ينفك عما هو المراد على التعيين، وهو إما دلالة العقل المنور بنور القرآن وإما دلالة المبين والمحكم من الآيات، صار كله هدى.

وأما قوله: «لا يمكن التوفيق بين آيات الجبر وآيات القدر إلا بالتعسف الشديد» فليس كذلك عند من هو من أهل القرآن، وهم المتقون الراسخون في العلم والعرفان. ورابعها: كلما يتوقف صحة كون القرآن حجة عليه، لم يكن القرآن هدى فيه فاستحال كون القرآن هدى في معرفة الله وصفاته ومعرفة النبوة والمعاد، ولا شك إن هذه أصول المطالب وهي أشرف العلوم فإذا لم يكن القرآن فيه هدى فكيف جعله الله هدى على الإطلاق؟

والجواب: إن كمال المعرفة بالله ورسله وملكوته والنشأة الآخرة لا يحصل إلا بالقرآن، وكذا العلم بالشرائع الإلهية وسائر الحقائق النبوية لا يستفاد إلا به والمتوقف عليه صحة كون القرآن حجة هو أصل الاعتقاد بالله واليوم الآخر على وجه يشترك فيه أكثر الناس ويدعون به أوائل العقول من غير حاجة إلى ممارسة القرآن ومطالعة الآيات. والایمان بالله واليوم الآخر مرتبة عظيمة ومنزلة شريفة، لا يوجد إلا في من عرف القرآن وعلم آياته ومعانيه على وجه يتنور به قلوب أهل الحق، وهو غير الاعتقاد الذي قد يحصل بمجرد التقليد أو الرواية من غير بصيرة واهتداء ويشترك أوائل الفطر ومبادئ

(١) في نهج البلاغة (الرسائل: ٧٧) لا تخصمهم بالقرآن، فان القرآن

العقول وأما الإيمان الحقيقي، فالمؤمن به يحتاج إلى فطرة ثانية ونور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

وخامسها إن الهدى هو السذي بلغ في البيان والوضوح إلى حيث يثن غيره، والقران ليس كذلك، فإن المفسرين لا يذكرون آية إلا وذكروا فيها أقوالاً كثيرة متعارضة وما يكون كذلك لا يكون مبيّناً في نفسه، فضلاً عن أن يكون مبيّناً لغيره فكيف يكون هدى؟ والجواب : من تكلم في التفسير وشأنه نقل الأقاويل المتعارضة من غير بصيرة يقتدر بها على ترجيح واحد منها على الباقي أو الإطلاع على فهم جديد أعطاه الله من لدنه، فهذا السؤال متوجهٌ عليه لا على أهل القران من أرباب التأويلات والعلوم الربوبية والنبوات.

### تتمة في الإعراب :

حكّم صاحب الكشاف<sup>١</sup> أو لأن محال هدى للمتقين «الرفع» لأنه خبر مبتداء محذوف. أو خبرٌ مع لاريب فيه، لذلك. أو مبتداء إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه. أو إنه منصوب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف كما مرّ.

ثم أضربَ عن هذه المحالّ صفحاً وجعل الهمّ جملةً برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، وذلك الكتاب جملةً ثانية، ولاريب فيه ثالثة، وهدى للمتقين رابعة، قائلاً: إنه أرسخُ عرقاً في البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بأربع جمل متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متأخيةً آخذاً بعضها بعنق بعض تعزّز اللاحقة منها السابقة .

بيانه: إنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدّى [به] ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، ثم نصّ على كماله بنفي الريب عنه، إذ لا كمال أعلى مما للحقّ

(١) الى آخر هذا الفصل منقول من الكشاف (٩٢/١) مع اضافات وتوضيحات من

واليقين، ولا نقصُ أنقص ممّا للباطل والشبهة. ثم أكدّ كونه يقيناً لا يحوم الشكّ حوله، وحقّاً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه بأنّه هدى للمتقين، وبعد أن رتبّت هذا الترتيب الاثني، ونظمت هذا النظم السويّ، حيث تستتبع كلّ واحدة منهما ما يليها استتباع الدليل للمدلول، لم يخلُ كلّ واحدة من الأربع من نكتة جزيلة:

ففي الأولى: الحذف والرمز إلى الغرض بالطفٍ وجه.

وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة.

وفي الثالثة: تقديم الريب على الظرف حذراً عن إيهام خلاف المقصود.

وفي الرابعة: الحذف والتوصيف للمبالغة بالمصدر، وإيراده منكرًا للتعظيم وتخصيصه بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف بالتقوى متقياً إيجازاً.

قوله جل اسمه :

## الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

في الكشاف<sup>(١)</sup> الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير: أعني الذين يؤمنون. أو هم الذين يؤمنون. وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى . فإذا كان موصولاً كان الوقف على المتقين حسناً غير تام ، وإذا كان منقطعاً كان وقفاً تاماً. انتهى .

واعلم إنه على تقدير كون «الذين» مع «إليه متصلاً بالمتقين وصيغة له فإن كان المراد بالتقوى ترك ما لا ينبغي فهو يكون صفة مقيدة له مترتبة عليه ترتب الفعل على التقوى وتوقف التحلية على التخلية والتصوير على التطهير . فإن النفس الإنسانية كاللوح القابل لنقوش العلوم الحقة ؛ وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق الفاضلة التي هي مبادئ الأفعال الحسنة، كالصلاة والزكاة . فيجب تطهيره أولاً بالتقوى عن النقوش الفاسدة حتى يمكن إثبات النقوش الجيدة فيه، ويستقر حصول الأوصاف الحسنة عليه . فلهذا السبب قدم ذكر التقوى وهو ترك ما لا ينبغي، ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي وهو الإيمان والطاعة .

وإن فسّر التقوى بما يعتم فعل الطاعات وترك المعاصي ، فيكون صفة موضحة للمتقين ، وذلك لاشتماله على ما هو أصل الأعمال الصالحة، كالإيمان بالله وملكوته، فإنه من أمهات الأعمال القلبية ؛ وعلى ما هو أساس الحسنات كالصلاة والزكاة فإنهما من

(١) الكشاف : ٩٤/١ .

أمّات العبادات البدنية والمالية المستتعبة لسائر الطاعات والتجنّب عن المعاصي غالباً  
 ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [٢٩/٤٥].  
 وقوله عليه وآله السلام: الصلوة عماد الدين<sup>١</sup>، والزكوة فنطرة الإسلام<sup>٢</sup>.

### تنبيه

### [ التقوى والمتقين ]

غاية التقوى، الإتصال بحضرة الإلهية بترك الإلتفات بغير الله وقطع النظر عما  
 سواه، وهذا هو غاية النشأة الأدمية ونهاية الكمال الأخروي للروح الإنساني، ولا يمكن  
 تحصيله إلا بتكميل القوة العاقلة من النفس بالعلوم الحقة وبتعديل القوة العاملة منها بالأعمال  
 الحسنة، ليتحلّى بالفضائل ويتخلّى عن الرذائل.

فالمتكفل لتكميل الأولى، هو الايمان بالغيب وهو العلم بأحوال المبدأ وملائكته  
 وكتبه ورسله، وأحوال المعاد ومراتبه وطبقات نفوس الإنسان بحسب درجات الجنان  
 ودركات النيران .

والمتكفل لتكميل الثانية، هو العمل الصالح. وأصل الأعمال الصالحة الصلوة  
 والزكوة، أما الأولى فلا شتمالها على الأذكار والنيات الحسنة، وهيئات الخضوع  
 والخشوع .

وأما الثانية، فلاستلزامها ترك التعلق باللذات النفسانية، والمحجوبات الدنيوية  
 لأن المال وسيلة لأكثرها. وقد قال سبحانه: ﴿ لَنْ نُنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾  
 فإذا تقرّر هذا فقوله: «الذين» مع ما يملوه بمنزلة تفسير كاشف للمتقين وحدي  
 مبيّن له .

(١) كنز العمال : باب فضل الصلوة : ٢٨٤/٧ . جامع الاخبار : باب ٣٣ .

(٢) كنز العمال : باب فضل الزكوة : ٢٩٣/٦ .



## [ الاقوال في ماهية الايمان ]

ثم الايمان بحسب اللغة - كما ذكره صاحب الكشاف<sup>(١)</sup> - مأخوذ من الأمن؛ ثم يقال: آمنه إذا صدقه، كأن المصدق آمن من التكذيب والمخالفة.

وتعديته بالباء، لتضمينه معنى الإعراف، وقد يطلق بمعنى الوثوق كما حكى أبو يزيد: ما امتنت أن أجد صحابة، أي ما وثقت بهو من حيث أن الواثق صار ذا أمن، وكلا الوجهين حسن في: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ.

\* \* \*

وأما بحسب الشرع فقد اختلف أهل القبلة في معنى الايمان في عرف الشرع إلى أربع مذاهب .

أحدها إنه إسم لأفعال القلوب والجوارح والإقرار باللسان. وهو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية وأهل الحديث، فهو إسم لمجموع أمور ثلاثة: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه. فمن أخل بالإعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر على رأي. ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقد، وكافر عند الخوارج بخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة.

وروى الخاص والعام عن مولينا علي بن موسى الرضا عليه السلام: <sup>(٢)</sup> «إن الايمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالاركان» وقد روي ذلك عنه أيضاً على لفظ آخر: «الايان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان بالعقول، واتباع الرسول» .

ثم إن الخوارج اتفقت على أن الايمان بالله متناول للمعرفة به، وبكل ما وضع الله عليه دليلاً عقلياً أو نقلياً، ويتناول طاعته في جميع ما أمر به من الأفعال والتروك حتى الصغائر

(١) تفسير الكشاف: ٩٦/١ .

(٢) جاء ما يقرب منه في عيون أخبار الرضا (ع) ٢٢٦/١ .

فالإخلالُ بشيءٍ من هذه الأمور كفرٌ.

وأما المعتزلة فقد اختلفوا فيه على وجوه :

أحدها: إنَّ الإيمان عبارةٌ عن الإتيان بكلِّ الطاعات سواء كانت من الأقوال أو الأفعال أو الإعتقادات، وسواء كانت واجبةً أو مندوبةً وهو قول واصل بن عطاء<sup>(١)</sup> وأبي هذيل<sup>(٢)</sup> والقاضي عبد الجبار<sup>(٣)</sup>.

وثانيها : إنَّه عبارةٌ عن فعل الواجبات فقط دون النوافل. وهو قول أبي هاشم<sup>(٤)</sup> وأبي علي<sup>(٥)</sup>.

وثالثها: إنَّه عبارة عن اجتناب كلِّ ما جاء به الوعيد .

وأما أهل الحديث، فذكروا وجهين :

الأول: إنَّ المعرفة إيمانٌ كاملٌ وهو الأصل ثمَّ بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدةٍ وهذه الطاعات لا يكون شيءٌ منها إيماناً إلا إذا كانت مرتبةً على الأصل الذي هو المعرفة، وكذا القياس في جانب مقابله: أعنى الكفر. وهو قول عبد الله بن سعيد الكلابي<sup>(٦)</sup>.  
الثاني: زعموا إنَّ الإيمان اسم للطاعات كلها وهو إيمانٌ واحدٌ، وجعلوا الفرائض والنوافل كلها من جملة الإيمان. ومنهم من قال: الإيمان اسمٌ للفرائض دون النوافل.

(١) واصل بن عطاء الغزال من مؤسسى مذهب الاعتزال ، وإليه تنسب الواصلية ؛  
توفى ١٣١ هـ .

(٢) أبو الهذيل محمد العلاف ، من كبار المعتزلة ، توفى ٢٣٥ هـ .

(٣) القاضي عبد الجبار كان شيخ المعتزلة فى عصره ، ولى قضاء الرى . ٤١٥ هـ .

(٤) عبد السلام بن محمد أبو هاشم الجبائى ، من كبار المعتزلة توفى ٣٢١ هـ .

(٥) محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائى ، من رؤساء المعتزلة ، توفى فى البصرة  
٣٠٣ هـ .

(٦) عبد الله بن سعيد الكلابى - كرمان - من المتكلمين ، وهو رأس الطائفة الكلابية من  
أهل السنة ، وفاته بعد الأربعين ومائتين ( تاج العروس - كلب ) .

\* \* \*

وثانيها: إنَّ الايمان بالقلب واللسان معا وقد اختلف أهل هذا المذهب على أقوال: الأول إنّه إقرار باللسان ومعرفة بالقلب، وهو قول أبي حنيفة وعامة الفقهاء. ثم هؤلاء اختلفوا في موضعين.

أحدهما: في حقيقة هذه المعرفة، فمنهم من فسرها بالإعتقاد الجازم سواء كان إعتقاداً تقليدياً أو علماً صادراً عن الدليل. وهم الاكثرون الذين يحكمون إنَّ المقلد مسلم. ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال. والثاني في متعلق هذا العلم. فقال بعض المتكلمين: هو العلم بالله وصفاته على سبيل الكمال والتمام.

ثم لما كثرت الاختلاف بينهم في الصفات، وأقدم كل طائفة على تكفير من عداها، قال أهل الإنصاف: المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله. القول الثاني: إنّه التصديق بالقلب واللسان معا وهو قول أبي الحسن الأشعري<sup>(١)</sup> وبشر بن غياث المريسي<sup>(٢)</sup>. والمراد بالتصديق بالقلب الكلام القائم بالنفس.

القول الثالث قول جماعة من الصوفية: إنّه إقرار باللسان وإخلاص بالقلب.

\* \* \*

وثالثها إنّه عبارة عن عمل القلب. وأصحاب هذا المذهب اختلفوا على قولين: أحدهما إنّه معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل التوبة، فهو مؤمن كامل الايمان، وهو قول جهنم بن صفوان<sup>(٤)</sup>. أما معرفة الكتاب والرسول واليوم

(١) اى الثانى من المذاهب الاربعه المشيرة اليهم فى الصفحة السابقة.

(٢) ابو الحسن الاشعري مؤسس مذهب الاشاعرة، توفى ٣٦٤ هـ.

(٣) بشر بن غياث المريسي، متكلم فى عداد المعتزلة، اليه تنسب الطائفة المريسية،

توفى ٢١٨ هـ.

(٤) جهنم بن صفوان، رأس الفرقة الجهمية القائلين بالجبر، توفى ١٢٨ هـ.

الأخر فقد زعم إنها غير داخلية في حدّ الإيمان.

وحكى الكعبي عنه: إن الإيمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة إنه من دين محمد صلى الله عليه وآله.

وثانيهما: إنه مجرد التصديق بالقلب. وهو قول الحسين بن الفضل البجلي<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ورابعها: إنه إقرار باللسان فقط. وأصحابه فريقان: الأولي قالوا: إن الإقرار باللسان هو الإيمان فقط، لكن شرط كونه إيماناً حصول المعرفة. فالمعرفة شرط لكون الإقرار باللسان إيماناً لأنها داخلية في معنى الإيمان. وهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي<sup>(٢)</sup> والفضل الرقاشي، وإن كان الكعبي قد أنكر كونه قولاً لغيلان.

الفرقة الثانية قالوا: إن الإيمان مجرد الإقرار باللسان وهو قول الكرامية وزعموا<sup>(٣)</sup> إن المنافق مؤمنٌ بالظاهر، كافرٌ بالسريرة، فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة. فهذا مجموع أقوال الناس في معنى الإيمان في الشرع حسب ما وجد في كتب الكلام وغيره<sup>(٤)</sup>.

(١) حسين بن فضل بن عميد البجلي نزيل نيسابور توفي ٢٨٢ هـ.

(٢) غيلان بن مسلم أبو مروان الدمشقي من المتكلمين، قال بالقدرية مع معبد الجهني. صلب بأمر هشام بن عبد الملك حوالي ١٠٥ هـ.

(٣) من الفرق المبتدعة القائلة بالتجسيم، تنسب إلى محمد بن كرام، توفي ٨٩٦ هـ.

(٤) عمدة ما نقله المصنف - ده - في تعدد الأقوال منقولة عن تفسير الفخر الرازي

## اشارة فيها انارة

## [ ماهية الايمان وانه مجرد العلم والتصديق ]

اعلم ان الايمان وسائر مقامات الدين ومعالم شريعة سيد المرسلين عليه وآله السلام، إنما ينتظم من ثلاثة أمور: معارفٌ وأحوالٌ وأعمالٌ. فالمعارفُ هي الأصول، وهي ثورث الأحوال، والأحوالُ ثورث الأعمال. أما المعارفُ فهي العلم بالله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر. وأما الأحوالُ فكالانقطاع عن الأغراض الطبيعية والشوائب النفسانية والوساوس العادية، كالشهوة والغضب والكبر والعجب ومحبة الجاه والشهرة وغير ذلك. وأما الأعمالُ فكالصلوة والزكاة والصوم والطواف والجهاد وفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

فهذه الثلاثة إذا قيس بعضها إلى بعض، لآح للناظرين إلى الأشياء بالنظر الظاهر المقتصرين على إدراك النشأة الحسية، إن العلوم تُراد للأحوال، والأحوال تُراد للأعمال، فالأعمالُ هي الأصل عندهم والأفضل في نظرهم.

وأما أرباب البصائر، المقتبسين أنوار المعرفة من مشكاة النبوة لامن أفواه الرجال، المستفيضين أسرار الحكمة الحقة من معدن الوحي والرسالة، لامن مقارعة الأسماع بالقليل والقال، فالأمر عندهم بالعكس من ذلك. فإن الأعمال تُراد للأحوال، والأحوالُ للعلوم. فالأفضل للعلوم، ثم الأحوال، ثم الأعمال. فإن لوح النفس كالمرآة، والأعمالُ تصقلها وتطهيرها، والأحوالُ صقلتها وطهارتها، والعلومُ صورها المرئسة فيها.

فنفس الأعمال لكونها من جنس الحركات والانفعالات تتبعها المشقة والتعب، فلا خير فيها إذا نظر إليها لذواتها. ونفس الأحوال لكونها من قبيل الأعدام والقوى فلا وجود لها، وما لا وجود له فلا فضيلة فيه، وإنما للخير والفضيلة لِماله الوجود الأتم والشرف الأنور، وهي الموجودات المقدسة والمعقولات الصورية المجردة عن التغير والزوال

والشرّ والوبال. كالباري وملائكته العلويّة، والأرواح المطهّرة الإنسيّة والحضرة الإلهيّة والحظيرة القدسيّة.

فائدة إصلاح العمل لإصلاح القلب. وفائدة إصلاح القلب أن ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وأفعاله.

فأرفع علوم المكاشفة هي المعارف الايمانيّة. ومعظمها معرفة الله. ثمّ معرفة صفاته وأسمائه. ثمّ معرفة أفعاله. فهي الغاية الأخيرة التي يراد لأجلها تهذيب الظواهر بالأعمال، وتهذيب البواطن بالأحوال. فإنّ السعادة بها تنال، بل هي عين الخير والسعادة واللذة القصوى.

ومقابلها وهي الجهل بها، محض الشرّ والشقاوة والألم الشديد، ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنّها عين السعادة، ولا قلب من اتّصف بالجهل بحقائق الايمان بأنّه محض الشرّ والألم، وأنّما يقع الشعور بتلك السعادة وهذه الشقاوة في الدار الآخرة التي فيها أعلنت السرائر، وأبطنت الظواهر، ونشرت الصحائف وبعثت ما في القبور وحصل ما في الصدور.

فالعلم بالإلهيات هي الأصل في الايمان بالله ورسوله، وهي المعرفة الحرّة التي لا قيد عليها ولا تعلق لها بغيرها، وكلّ ما عداه عبيد وخدم بالاضافة فإنما يراد لأجلها، وهي أيضاً معطى أصولها ومثبت موضوعات مسائلها ومحقق مبادئ براهينها وغايات مطالبها. ولما كانت سائر العلوم مرادة لأجلها، كان تفاوتها في الفضيلة بحسب تفاوت نفعها بالإضافة إلى معرفة الله، فإنّ بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط حتى يتوسل بها إلى معرفة الله. كما أنّ الأعمال والأخلاق يفضي بعضها إلى بعض حتى ينجرّ إلى تصفية الباطن بالكلية.

فمن العلوم كلّما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله أقل، كان أفضل، كما أنّ الأعمال كلّما كانت الوسائط بينه وبين تصفية القلب أقل، كان أزكى.

وأما الأحوال الداعية صفاء القلب وطهارته من شوائب الدنيا وشواغل الخلق -  
 فيعنى بها استحقاقه لحصول نور المعرفة واستعداده لانكشاف حقيقة الحق وصورة  
 الحضرة الإلهية. حتى إذا تمت طهارته وصقلت صفحة وجهه واجهته أنوار الكبرياء،  
 وحضرت عنده وانكشفت لديه حقائق الأشياء .

فقد ثبت ان وجوب الأعمال الصالحة وترك القبائح ، لأجل إصلاح القلب  
 وجلب الأحوال ، وتفاوتها في الفضيلة إتياناً وتركاً، بقدر تأثيرها في تطهير القلب  
 وتهذيبه وإعداده لأن يحصل له المعرفة الإلهية والعلوم الكشفية.

\* \* \*

وكما ان تصفيل المرآة يحتاج إلى أعمال تتقدم على تمام أحوال المرآة في  
 صفائها وصلاحها وتلك الأعمال بعضها أقرب إلى الصقالة التامة من بعض، فذلك  
 الأعمال المورثة لأحوال القلب يترتب في الفضيلة ترتب الأحوال . فالحالة القريبة  
 أو المقربة من صفاء القلب ، هي أفضل مما دونها لامحالة بحسب قربها من المقصود  
 الأصلي.

فكل عمل إيمان يجلب إلى القلب حالة مانعة من المكاشفة، موجبة لظلمة القلب،  
 جاذبة إلى زخارف الدنيا. وأما أن يجلب إليه حالة مهيتة للمكاشفة، موجبة لصفاء القلب  
 وقطع علاقته عن الدنيا. واسم الأول في عرف الشرع المعصية سواء كان فعلاً أو تركاً،  
 واسم الثاني الطاعة. فعلاً كان أو تركاً.

والمعاصي من حيث تأثيرها في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات  
 في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها. وذلك يختلف باختلاف  
 الأزمان والأشخاص. فربما كان قيام الليل لأحد أفضل من إتيان الصدقات المتبرعة وربما  
 كان الأمر بالعكس من ذلك . وربما كان صوم ستين يوماً أفضل في باب الكفارة من  
 عتق رقبة كما للسلطين والأمراء من أهل الدنيا.

فإذا تفرّرت هذه المقدمات ، فقد علم أنّ الأصل في الايمان هو المعرفة بالجنان. وأما العملُ بالأركان فإنّما يعتبر لتوقف المعرفة على إصلاح القلب و تهذيب الباطن وتلطيف السرّ وتوقفها على فعل الحسنات وترك السيئات.

ومما يدلّ على أنّ الايمان مجرد العلم والتصديق وحده أمور:

الأول: إنّ تعالى أضاف الايمان إلى القلب فقال في حق المؤمنين ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [٢٢/٥٨] وفي حق المنافقين ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنُ قُلُوبُهُمْ﴾ [٤١/٥] ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [١٤/٤٩] وقوله: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [١٠٦/١٦].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الايمان سرّ وأشار إلى صدره -والإسلام علانية. الثاني: إنّ تعالى كثيراً ما ذكر الايمان وقرن به العمل الصالح ولو كان داخلاً فيه لكان ذكره تكراراً.

الثالث: إنّ كثيراً ما ذكر الايمان وقرنه بالمعاصي قال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [٨٢/٦] وقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتِ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ [٩/٤٩].

واحتجّ ابن عباس على هذا المطلب بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [١٧٨/٢] من ثلاثة أوجه: أحدها: إنّما يجب القصاص على القاتل المتعمّد، ثمّ إنّّه خاطبه بالايان فدلّ على أنّه مؤمن.

وثانيها: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [١٧٨/٢] وهذه الأخوة ليست إلا أخوة الايمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [١٠/٤٩].

وثالثها: قوله: ﴿وَذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [١٧٨/٢] وهذا لا يليق إلا بالمؤمن، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ جعلهم



مؤمنين مع عظيم الوعيد في ترك الهجرة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [٩٧/٢] إلى قوله: ﴿مَالِكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا﴾ [٧٢/٨].

ومنه أيضاً قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [٢٧/٨] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [٨/٦٦] إلى غير ذلك من الآيات التي يجرى هذا المجرى.

الرابع: إنه تعالى قال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [٢٥٦/٢] يدل على أنه من الأمور الإعتقادية التي لا يمكن تحصيلها بالجبر والإكراه. وكذا قوله صلى الله عليه وآله: «ليس الدين بالتمنى»<sup>(١)</sup> يعلم إنه ليس أمراً إختيارياً ولو كان من باب الأعمال البدنية كالصلوة والصيام، لأمكن تحصيله في شخص آخر بالجبر وفي الشخص نفسه بالتمنى.

الخامس: إن العلم والتصديق اليقيني غير قابل للزوال والتغيير، فهو المتعين بأن يكون أصلاً في الايمان.

السادس: إن الايمان في أصل اللغة بمعنى التصديق والإذعان، فلوصار في عرف الشرع لغير هذا المعنى لزم أن لا يكون عربياً، وذلك ينسافي وصف القران بكونه عربياً.

وأيضاً لو صار منقولاً عن معناه ومسماه الأصلي، لتوفرت الدواعي على معرفة ذلك المسمى، ولاشتهر وبلغ إلى حد التواتر، وليس كذلك، فعلم إنه باق على أصل الوضع. وأيضاً لاخلاف لأحد في أن لفظ الايمان إذا عدي بحرف الباء، كان معناه التصديق كما هو في اللغة، فوجب أن يكون المعنى كذلك، لا يقال هذا إثبات اللغة بالقياس وهو غير جائز كما ثبت في علم الاصول، لأننا نقول ليس كذلك بل هذا استنباط

(١) الجامع الصغير (١٣٤/٢): « ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى... ».

المعنى الأصلي من موارد الإستعمال إذا التعدية بالحرف لا يغيّر أصل المعنى المصدرى بل يزيده كما لأوقوة.

وأما المعتزلة فقد اعترفوا أنّ الايمان إذا عدّي بالباء . كان المراد به التصديق كما في أصل اللغة، ولذلك إذا قيل: «فلان آمن بالله وبرسوله» يكون المراد عندهم أيضاً مجرد التصديق، إذا الايمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية، فلا يقال: «فلان آمن بكذا» إذا صام أو صلى، وأما إذا ذكر مطلقاً بلا تعدية، فقد زعموا إنه منقول من المسمّى اللغوي إلى معنى آخر وهذا تحكّم محض كما لا يخفى.

## فصل

### [ درجات الايمان ومراتبه ]

فالمذهب المنصور المعتضد بالبرهان إنّ الايمان في عرف الشرع هو التصديق بكل ما علم بالضرورة من دين نبينا صلى الله عليه وآله. لكن قد يسمّى الإقرار ايماناً كما يسمّى تصديقاً، إلا أنه متى صدر عن شك أو جهل كان ايماناً لفظياً لا حقيقياً . ومن هذا القبيل تقسيم المنطقيين القضية وهي الحكم بثبوت أمرٍ لآخر - إلى قضية معقولة وإلى قضية ملفوظة.

وقد يسمّى أعمال الجوارح ايماناً إستعارة وتلويحاً كما يسمّى تصديقاً لذلك، كما يقال: «فلان يصدق أفعاله مقالته» والفعل ليس بتصديق بانفاس أهل اللغة، فالإيمان من الألفاظ المشككة التي يتفاوت معناها في الشدة والضعف، والكمال والنقص، فهو منقسم إلى حقيقي ومجازي، باطني وظاهري، بل ينقسم كما أشار إليه بعض العرفاء، إلى لبّ ولبّ لبّ، وقشور وقشور قشور، وهذا بعينه كانقسام الإنسان إلى هذه المراتب، فإن الايمان من مقامات الإنسان في إنسانيته.

وقديمثل هذا تقريباً للأفهام الضعيفة بالجوز، فإن له قشورين الأعلى والأسفل، و

لهلبُّ ولللبِّ دهنٌ، وهو لبُّ لبة .

\* \* \*

فالمرتبة الأولى من الايمان أن يقول الإنسان كلمة الشهادة ويعترف باللسان و قلبه غافلٌ عنه ، أو جاحد له ، كما للمنافقين .

والثانية : أن يصدّق بمعنى هذه الكلمة وبكلّ ما هو معلوم بالضرورة من الدين ، كتصديق عامة المسلمين ، وهذا اعتقاد ليس بيقين .

والثالثة أن يعرف هذه المعارف الايمانية ويصدّق بها عرفاناً كشفاً أو تصديقاً برهانياً وعلماً يقينياً بواسطة نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده ، وهو المشار إليه في قوله : ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [ ١٢ / ٥٧ ] وهذا هو الايمان الحقيقي الذي سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله حارثة الأنصاري<sup>١</sup> عن بيان حقيقته لما قال : إنّي أصبحت مؤمناً حقاً فقال صلّى الله عليه وآله : لكلّ حقّ حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟

فأجاب بقوله : عزفت نفسى عن الدنيا بما فيها فاستوى عندي حجرها وذهبها . فكأنني أرى أهل الجنة في الجنة يتزاورون ، وأهل النار في النار يتعاونون . وكأنّي أرى عرش ربّي بارزاً .

فصدّقه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقال : أصبت فالزّم .

والرابعة أن يستغرق الإنسان في نور الحضرة الأحديّة بحيث لا يرى في الوجود إلا الواحد القهار فيقول بلسان حاله و ايمانه : لِمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ؟ ثمّ يجيب عنه بلغة توحيده و عرفانه : لله الواحد القهار . وهذا المقام لا يحصل لأحد مادام كونه في هذه - الحيوّة الدنيا إلا للكمّل من العرفاء والأولياء بواسطة غلبة سلطان الآخرة على مواطنهم . فصاحب المقام الأوّل مؤمنٌ بمجرد اللسان في عالم الأجسام ونشأة الحواسّ ،

(١) روى الحديث بألفاظ مختلفة ، راجع الكافي : ٥٤ / ٢ . ومعاني الاخبار : ١٨٧ .

وفائدة ايمانه يرجع إليه في هذه النشأة ، إذ يحقن دمه من السيف والسنان و يعصم ماله  
ووزاريه من النهب والسبي .

وصاحب المقام الثاني مؤمنٌ بمعنى إنه معتقدٌ بقلبه مفهومَ هذا اللفظ ، وقلبه  
خالٍ عن التكذيب ، وهو عقد على القلب وليس فيه انشراح القلب لنور المعرفة، ولا  
انفتاح روزنته لعالم الملكوت الغيبي المقابل لهذا العالم، عالم الملك والشهادة.  
و فائدته أنه يصير منشأ بعض الأعمال الصالحة ومبدأ بعض الخيرات و أداء  
الأمانات وفعل الحسنات ، التي ينجر تارة أخرى إلى اصلاح القلب وتصفيته وليستعد  
لحصول المعرفة على وجه أكمل ؛ حتى ينتهي إلى الايمان الحقيقي .

فعلى هذا صح القول بأن الايمان هو المبدء والغاية، فإن الايمان والعمل الصالح  
كلٌّ منهما يدور على صاحبه ، فكل ايمان موجبٌ لصالح من العمل وكل صالح من -  
العمل ينجر إلى حصول ضرب من الايمان ، فيدور كلٌّ منهما على نفسه دوراً غير  
مستحيل ، لتغايره بالعدد .

لكن الايمان أول الأوائل في الحدوث ، وهو أيضاً آخر الأواخر في البقاء .  
ثم لهذا العقد الايماني الذي كلامنا فيه ، شبهٌ وحيلٌ يقصد بها تحليله وتوحيته  
تسمى «بدعة» وله أيضاً حيلٌ يقصد بها دفع حيلة التحليل والتوهين ، ويقصد بها إحكام  
هذه العقدة وشدّها على قلوب المسلمين ويسمى كلاماً والعالم بهامتكلاماً. وهو في مقابلة  
المبتدع ، ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام .  
وصاحب المقام الثالث مؤمنٌ ، بمعنى إنه بصيرٌ بحقائق الأمور الايمانية  
بصيرة قلبية ومشاهدة عقلية . إذ قد انكشفت له أسرار الملكوت وخفايا عالم الغيب  
والجبروت . لانه مكلف بعقد قلبه على مفهوم هذه الألفاظ، فإن ذلك رتبة العوام و  
المتكلمين، إذ لا يفارق المتكلم العامي في أصل الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي  
يدفع به حيل المبتدعة في تحليل هذه العقدة

وصاحب المقام الرابع مؤمن بمعنى إنّه لم يحضر في شهوده غير الواحد القهار مبدء الأشياء و غايتها وأولها وآخرها وظاهرها وباطنها ، الذي إليه يرجع عواقب الأمور، وبه ينقطع سير السائرين وسفر المسافرين، وهذه المرتبة في الايمان هي الغاية القصوى التي لاحد لها ولا منتهى.

والتمثيل لمراتب الايمان والتوحيد بقشري الجوز ولبيّه على هذا الوجه ذكره صاحب كتاب إحياء العلوم بأدنى تغيير ثم قال: <sup>١)</sup>  
فالأول كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى، والثالث كاللبّ والرابع كالدهن المستخرج من اللبّ.

و كما إنّ القشرة العليا لا خير فيها، بل إن أكل فهو مرّ المذاق ، وإن نُظر إلى باطنه فهو كربه المنظر، وإن أُتخذ حطباً أطفأ النار وأكثر الدخان، وإن ترك في البيت ضيق المكان ، فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى، فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى، كثير الضرر، مذموم الظاهر و الباطن. لكنّه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت. والقشرة السفلى هي القلب <sup>٢)</sup> والبدن، وتوحيد المناق يصبون بدنه عن سيف الغزاة، فإنهم لم يؤمر وإشقّ القلوب، والسيف إنما يسلب الجسم وهو القشر، <sup>٣)</sup> وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لايمانه فائدة بعده.

و كما أنّ القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللبّ وتحرسه عن الفساد، وعند الأذخار فإذا فصل أمكن أن ينتفع بها حطباً لكنها ناقص القدر بالإضافة إلى اللبّ فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف، والمشاهدة التي تحصل بانسراح الصدر

(١) إحياء علوم الدين : كتاب التوحيد (٢٤٦/٤) بأدنى تغيير .

(٢) المصدر : القلب .

(٣) المصدر : والسيف إنما يصيب جسم البدن، وهو القشرة .

و انفتاحه و إشراق نور القلب فيه ، إذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [١٢٥/٦] وبقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [٢٢/٣٩] .

و كما ان اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر فكأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه . فكذلك إيمان الثالث مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة غير الله ، والالتفات إلى ماسواه بالإضافة إلى حال من لا يشاهد سوى الواحد الحق .

### تكميل فيه دفع

إذا تحققت مهية الإيمان على هذا الوجه من كونه ذات مراتب متفاوتة متدرجة في الشرف والخسة فقد علم فائدة قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾ [١٣٦/٤] فإن الأول إيمانٌ صوريٌّ دنيويٌّ ، والآخر معنويٌّ أخرويٌّ .

ولما ثبت مما قررناه ان مراتب الإيمان متعلقة بمراتب العمل و متعكسة كل منهما على الأخرى ، فإن استشكل أحد على ما هو المختار عندنا من أن الإيمان هو عبارة عن نفس التصديق والعرفان ، وأن الأعمال خارجة عنه بأننا لو فرضنا إن أحداً عرف الله بالدليل والبرهان ، ولما تم له العرفان مات ولم يجد من الوقت ما يتلفظ فيه بكلمة الشهادة أو وجد من الوقت شيئاً لكنه لم يتلفظ فيه بها ، ففي هذين الصورتين إن حكمتكم بأنه مؤمن ، فقد حكمتكم بأن الإقرار اللساني غير معتبر في تحقيق الإيمان ، وهو خرق الإجماع . وإن حكمتكم بأنه غير مؤمن ، فهو باطل لما بين ، ولقوله صلى الله عليه وآله : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف لا يكون مؤمناً ؟

فالجواب بمنع ثبوت هذا الإجماع و الحكم بإيمانه كما فعله حجة الاسلام الغزالي ، فإنه منع من هذا الإجماع في صورتين وحكم بكونه مؤمناً وأن الامتناع عن النطق بجري مجرى الأعمال التي يؤتى بها مع الايمان .

أقول : لا يخفى عليك بعدما تقدم من الكلام ، إن الايمان القلبي لكونه كما أعقبنا وصورة باطنية ، لا يحصل إلا عقب الأعمال الشرعية والأفعال الدينية والرياضات السمعية ، من القيام والصيام والعبادات والقربات ، وهذه الأمور منوطة بالتسليم والانقياد لمن عنده الحجج والبيّنات ، والإذعان والإعتراف بما أتى به القادة والرؤساء ، من أولى الشرائع والآيات .

فالصورة المفروضة مما لا يمكن وقوعها عقلاً وعادة فلا يقدح في الإجماع . بل نقول : الإجماع إنما انعقدت على كفر من كلف بالايمان وإظهاره فلم يقبل ولم يظهر الكلمة . وهذا مما لا شبهة فيه ، فإنه إما بصدد الجحود والفتنة في الدين وإفساد قاعدة المسلمين ، وإما بصدد الإباحة والتعطيل والخروج عن التكليف الدينية ، فعلى أي الوجهين يكون كافراً ظاهراً أو باطناً .

### تنوير عقلي

اعلم إن الحقيقي من الايمان ، هو الذي به يصير الإنسان إنساناً حقيقياً عقلياً بعدما كان إنساناً حيوانياً ، وبه يخرج من القوة إلى الفعل في الوجود البقائي الأخرى ويتخلص عن ألم الجحيم والتعذب بالنار ، ويتجرد عن الرق والحدثان ، وتبدل الجلود والذوبان كما قال تعالى في صفة أهل النار ﴿ كَلَّمَا نَفْسَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَى لِيَذُقُوا عَذَابًا ﴾ [٥٦/٤] .

وهذه الحقيقة الايمانية يعبر عنها بعبارات مختلفة ويسمى بأسامي متعددة في لسان الشرع والعقل .

فتارة يعبر عنه بالنور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [٢٤/٤٠]  
 وقوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [٥٢/١٢].  
 وتارة بالحكمة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [٢٦٩/٢].  
 فكل إنسان حكيم مؤمنٌ وكل مؤمنٌ حقيقي فهو حكيم. إذ الحكمة بالحقيقة هو معرفة  
 الأشياء الموجودة كما هي بحسب الطاقة البشرية، وأصل الموجودات هو الباري و  
 ملائكته ورسله وكتبه.

وتارة بالفقه قال تعالى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وليس المراد منه  
 معرفة الفروع الغريبة في الفتاوى الأحكامية، والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام  
 فيها، وحفظ الأقوال المتعلقة بها كما هو عرف أهل هذه الأزمنة والأعصار اللاحقة بزمان  
 النبي صلى الله عليه وآله، وزمان الأئمة عليهم السلام.

قال صاحب الإحياء: "اسم الفقه كان في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة  
 ودقائق آفات النفس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع  
 على السعادة الأخروية، واستيلاء الخوف على الشقاوة التي بازائها. والذي يوجب  
 التشوق إلى الدار الآخرة وسعادتها، ويقضي الخوف والخشية في القلب عن الحرمان  
 الأخروي والشقاوة الأبدية، ويوجب إنذار القوم وتخويفهم - كما أشير إليه في الآية  
 المذكورة - هو هذا العلم وهذا الفقه، دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والإجارة.  
 فذلك لا يحصل به شيء من الرغبة والرغبة الأخرويتين ولا الإنذار  
 والتخويف، بل التجرد فيه على الدوام مما يقسي القلب وينزع الخشية منه كما يشاهد  
 من المتجردين له.

وقال تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وأراد به معاني الآيات دون الفتاوى  
 والأقضية.



وقال صلى الله عليه وآله: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»<sup>١)</sup>  
وروى أيضاً مرفوعاً عن أبي الدرداء مع قوله: ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً.

وسأل فرقد السبخي الحسن البصري عن شيء فأجاب فقال: ان الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن: ثكلتك أمك وهل رايت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه، الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف عن أعراض الناس، العفيف عن أموالهم الناصح لجماعته، ولم يقل في جميع ذلك: الحافظ لفروع الفتاوى.

وتارة يسمى الايمان بعلم الكتاب والسنة قال تعالى ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٢/٦٢].

ولفظ العلم أيضاً مما وقع التصريف فيه على ما كان بإزائه ، فإنه كان مطلقاً على معنى العلم بالله وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه ، فكان مراداً للإيمان والحكمة. وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى اشتهر في الأكثر بصناعة المناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية والكلامية، فيقال: هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل: لمن مارس هذا الفن. ومن لا يشتغل به يعدونه من الضعفاء العقول. ولا يعدونه في زمرة العلماء. ولم يعلموا إن ماورد في فضائل العلم والعالم أكثره في العلماء بالله وصفاته وبأحكامه في أفعاله.

فاطلقوا العالم على من لا يحيط من علوم الدين بشيء سوى رسوم جدلية ومسائل خلقية، فيعد من فحول العلماء مع جهله بحقائق التفسير وغيرها وبار ذلك فتنة عظيمة

(١) احياء علوم الدين : ٣٢/١ . وفي كنز العمال (١٨٢/١٠) آخر الباب الاول من كتاب العلم : « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ، وحتى لا يكون أحد أمقت من نفسه » .

في الدين، مهلكاً لخلقٍ عظيم من الطلبة والمستعدين.  
ومن أسمائه التوحيد، وهو في اصطلاح الصوفية إسمٌ لحقيقة الايمان، وفي  
المشهور وعند الجمهور عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة المجادلة والإحاطة بمناقضات  
الخصوم والقُدرة على تكثير الأسئلة وتقرير الإلزامات، وإيراد الشبهات، وتأليف  
المناقضات والمدافعات.

ومن هذا المعنى لقبّت طائفة من المتكلمين: أصحاب العدل والتوحيد، وسُمّي  
المتكلمون: العلماء بالتوحيد، ولعبت بهم الشكوك وطعن كلّ لاحق منهم لسابقه مع أنّه  
أيضاً لم يات بشيء يزيد به على السابق.

على أنّ جميع ما هو خاصية هذه الصناعة، لم يكن يعرف شيءٌ منها في العصر  
الأول. بل كان يشتد النكير من السلفِ على من يفتح أبواب الجدل والمماراة، كما يستفاد  
من أحاديث أئمتنا سلام الله عليهم أجمعين، حيث وقّع منهم المنعُ من علم الكلام  
وصنعة المناظرة إلا على سبيل الضرورة عند مكافحة المبتدعين.

وأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها  
في أول السماع، فلقد كان ذلك معلوماً للكلّ وكان علم التوحيد عندهم عبارة عن أمرٍ آخر  
يستفاد من القرآن بنحو آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين.

وهذا مقامٌ شريفٌ إحدى ثمراته هي أنّ يرى الأمور كلّها من الله رؤية يقطع  
التفاته عن الأسباب والوسائط، ويترتب عليه التوكّل والرضا والتسليم لحكم الله  
وترك شكايه الخلق وترك الغضب عليهم.

ومن أسمائه العقل المستفاد وهذا اصطلاح الفلاسفة الموحّدين والحكماء  
الإلهيين دون الطبيعيين والرياضيين والأطباء والمنجمين فإنهم بمعزل عن هذا المقام ومعرفة.

\* \* \*

واسم العقل من الأسماء المشتركة التي يطلق على معانٍ أخرى، إلّا أنّ الذي

استعملته الحكماء في علم النفس ويعدّمن أسامي مراتب النفس في استكمالها من حدّ القوّة الاولى إلى حدّ الكمال الأخيرة ، هو العقل بالمعنى المرادف فيه معه لفظ «الايان» في عرف شريعتنا. وذلك حيث ذكروا أنّ للنفس درجات في القوّة والكمال: أحدها درجة استعدادها الأول عند خلوّها عن العلوم كلّها، كما للطفل بالنسبة إلى الكتابة، وهي المسمى بالعقل الهولاني تشبيهاً لها بالهولوى الأولى، الخالية عن الصوّر كلّها بحسب ذاتها.

والثاني درجة استعدادها الثاني من جهة اطلاعها على البديهيّات، وأوائل العقليّات، فيتهدأ لإدراك الثواني إمّا بالفكر أو الحدس ويسمى عندهم بالعقل بالملكة. ثمّ يحصل للنفس بعدها قوّة وكمالاً، أمّا القوّة فهي أن يكون بحيث أن يطالع المعقولات المفروغ عنها متى شاءت من غير تعمّل وطلب، وهذه هي القوّة القريبة من الفعل، ويسمى عقلاً بالفعل ، وأمّا الكمال فهو أن يكون المعقولات حاصلة بالفعل مشاهدة ، ويسمى العقل المستفاد، وهذان العقلان متعاكسان في التقدّم والتأخّر من جهة الحدوث والإستمرار وبقاء الأخير لا يكون إلا في الدار الآخرة، اللهم إلا لبعض الكاملين من إخوان التجريد.

وأما إنّه كم ينبغي أن يحصل للنفس الإنسانيّة من تصوّر المعقولات حتّى يقع عليه هذا الإسم، أي العقل بالفعل المساوق للعقل المستفاد من جهة الإستمرار الأخرى ويرجو السعادة العقلية ويتخلّص من الشقاوة التي بإزائها لمن يتّصف بالجهل المضادّ العلم اليقيني الايماني، فقد قال صاحب الشفاء: إنّه ليس يمكنني أن انصّ عليه نصّاً إلا بالتقريب ، وأظنّ إنّ ذلك أن تصوّر نفس الإنسان المبادي المفارقة تصوّراً حقيقياً وتصدّق بها تصديقاً يقينياً لوجودها عندها بالبرهان، وتعرف العلل الغائية للأمر الواقعة في الحركات الكلبيّة دون الجزئية التي لا يتناهى، ويتفرع عندها هيئة الكلّ ونسب أجزائه بعضها إلى بعض والنظام الآخذ من المبدء الأول إلى أقصى الوجودات في

ترتيبه، وتنصوّر العناية وكيفيةها وتحقق أنّ الذات المفيدة للكلّ أيّ وجود يخصّها وأيّة وحدة تخصّها، وإنّها كيف تعرف حتى لا يلحقها تكثّر وتغيّر بوجه من الوجوه، وكيف تترتب نسبة الموجودات إليها.

ثمّ كلما ازداد الناظر استبصاراً، ازداد للسعادة استعداداً وكأنّه ليس يتبرأ الإنسان عن هذا العالم وعلائقه إلاّ أن يكون أكّد العلاقة مع ذلك العالم، فصار له شوق إلى ما هناك وعشق لما هناك، فصده عن الإلتفات إلى ما خلفه جملةً، ونقول أيضاً: إنّ هذه السعادة لا تتمّ إلاّ بإصلاح الجزء العملي من النفس. انتهى كلامه.

وهذه التي ذكرها من المعارف التي لا بدّ للإنسان الكامل الايمان أن يعرفها هي بعينها من المقاصد التي يستفاد وجوب معرفتها عقلاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، على تغاير في الاصطلاح، لافي أصول المقاصد.

وكذا قوله: إنّ هذه السعادة لا تتمّ إلاّ بإصلاح الجزء العملي. يدلّ على أنّ الايمان لا يتمّ إلاّ بأن يكون مشفوعاً بالأعمال الصالحة، من الطاعات والعبادات. كالقيام والإمساك عن الطعام وبذل المال للفقراء، والمجاهدة مع أعداء الدين، وزيارة بيت الله وحضور مناسك المسلمين، وغير ذلك مما ورد في الشريعة الحقّة. فإنّ إصلاح الجزء العملي الذي غايتها قطع علائق الدنيا والأغراض النفسانية لا يمكن إلاّ بالعمل الصالح.

فالعمل الصالح وإن لم يكن داخل في ما هو المقصود من الايمان كما توهم، إلاّ أنّه لا بدّ منه في حصول حقيقة الايمان، أي النور القلبي الذي إذا حصل للإنسان يصير بصيراً بالأمور الغيبية والحقائق الملكوتية الغائبة عن مشاهدة الحواس.

## فصل

## [ الاقوال في المراد من الغيب ]

فقوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، إشارة إلى ما ذكر، أي إنهم يصدقون تصديقاً بالأشياء المرتفعة عن هذا العالم والخارجة عن مدركات الحس الظاهر، كوجود البارئ والملائكة واللوح والقلم والأمور الأخروية من الجنة والنار والصراف والحساب والميزان، وتطائر الكتب ونشر الصحف، وأحوال القبر والبعث، وأهوال المحشر وغير ذلك مما لا يستقل باثباته عقول الخلائق بأنظارهم الفكرية، ودلائلهم النظرية. وإنما ينكشف بنور متابعة الشريعة والافتباس من مشكوة الوحي والنبوة.

\* \* \*

والغيب في اللغة مصدر أقيم مقام اسم الفاعل، كالصوم بمعنى الصائم، والمفسرون ذكروا في قوله: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وجهين: ١)

الأول: وهو اختيار أبي مسلم الإصفهاني - أن يكون صفة للمؤمنين، معناه أنهم يؤمنون بالله حال الغيبة كما يؤمنون حال الحضور لا كالمنافقين الذين ﴿ إِذْ قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ ﴾ .

ونظيره قوله: ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [٥٢/١٢] ويقول الرجل لغيره: نعم الصديق لك فلان بظهر الغيب، فكل ذلك مدح للمؤمنين بأنظواهرهم توافق بواطنهم، ومباينتهم لحال المنافقين الذين ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أقول:

هذا القول لا يخلوا من ضعف وركاكة فإن سوق الكلام في هذا المقام من الناكيد في بيان عظمة القرآن بكونه كتاباً من عند الله وعلماً إلهياً لا يحويه الشك وحقاً لا يأتبه

الباطل، ونوراً يهتدى به المتقون، في طريق الآخرة وسبيل النجاة، مما يدل دلالته واضحة على أنّ الخطب فيه أعظم من أن يوصف أهله، والحاملون لأسراره والمستبصرون بأنواره في عالم الملكوت، بأنهم ليسوا عند الاهتداء به والايان بحقائقه منافقين ولا مستهزئين، بل هم أجلّ قدراً وأعظم شأناً من أن يقال في مدحهم: إنهم ليسوا من حزب المنافقين والشياطين.

والقول الثاني وعليه جمهور المفسرين: إنّ الغيب هو أن يكون غائباً عن الحاسة. والحق هو القول الثاني كما لا يخفى. لكن أصحاب هذا القول ذكروا أنّ الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما ليس عليه دليل، فالمراد من هذه الآية هو الثاني. ويدخل فيه العلم بالله وبصفاته والعلم بالآخرة وبالنبوة وبالشرائع والأحكام. وسبب كون العلم به مدحاً للمؤمنين، إنّ في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مشقة فيصلح أن يكون سبباً للثناء والتعظيم.

أقول وفيه ما لا يخفى من التعسف لما علمت من أنّ أصل الايمان الحقيقي نور من أنوار الله الفائضة على باطن الإنسان، وهو كمال حقيقي وسعادة حقيقية يوجب الثناء، لأنّ في تحصيل العلوم المتعلقة بها مشقة، بل لأنّه الغاية التي لأجلها خلق الإنسان بل بني العالم والأكوان وما يترتب عليه من الأجر والثواب مما لا يسع في الميزان ولا يحويه الحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين بخلاف ثواب الأعمال وميراث الأفعال، فإنّها حدّاً معدوداً وثواباً معلوماً وقدراً موزوناً يشاهده كلّ أحد في ذلك اليوم.

## ظلمات وهمية تزاح بأنوار عقلية

إِنَّ الْقَائِلِينَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ احْتَجَّوْا بِوَجْهِهِ: ﴿١﴾  
 الأول إن قوله ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ  
 يُوقِنُونَ﴾ فيه إيمان بالأشياء الغائبة. فلو كان المراد من قوله: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، هو الإيمان  
 بالأشياء الغائبة لكان المعطوف عين المعطوف عليه وإنه غير جائز.

الثاني إن تلوه حملناه على الإيمان بالغيب، يلزم القول بأن الإنسان يعلم الغيب وهو  
 خلاف قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [٥٩/٦] وكذا الآيات النافية  
 لكون الإنسان عالماً بالغيب، أما لو فسّرناه بما قلنا فلا يلزم هذا المحذور.

الثالث: إن إطلاق الغيب إنما يجوز على ما يجوز عليه الحضور، فعلى هذا لا يجوز  
 إطلاق الغيب على ذات الله وصفاته، فلو كان المراد من الآية الإيمان بالغيب بهذا  
 المعنى لمدخل فيه الإيمان بالله وبصفاته، ولا يبقى فيه إلا الإيمان باليوم الآخر وذلك باطل.  
 لأن الركن العظيم في الإيمان، هو الإيمان بذات الله وصفاته. فحمل اللفظ على هذا  
 المعنى فاسدٌ.

\* \* \*

والجواب أما عن الأول: فبأن قوله: يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، يتناول الإيمان بالغائبات  
 إجمالاً وقوله: الَّذِينَ، مع ما يتلوه يتناول تفصيل بعضها؛ وهذا من باب عطف التفصيل  
 على الجملة كما في قوله: ﴿وَمَلَايِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [٩٨/٢].  
 وأما عن الثاني: فبأنه لا نزاع في أننا نؤمن بالأشياء الغائبة عتاًو كان ذلك التخصيص  
 لازماً في الآيات الدالة على نفي العلم بالغيب عن الإنسان على أي وجه كان، فنقول:  
 الغيب على ضربين: منها ما يتطرق إليه الدليل والبرهان ومنها ما لا يكون كذلك،

فلإنسان أن يعلم من الغيوب ما عليه برهانٌ بأن يهديه الله إليه بإقامة البراهين، أو يلهمه عليه بنور الحدس الشديد. كيف! وقد شاع عند العلماء أن الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة.

وأما عن الثالث: فبمنع أن لفظ «الغيب» لا يستعمل إلا فيما يجوز عليه الحضور، أو لا ترى أن المتكلمين يقولون هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد، ويريدون بالغايب ذات الله وصفاته؟

وعنه جواب آخر لأنسمح به لأنه مما يشمّر عنه قلوب جماعة كاشمئزاز المزكوم من رائحة الورد فإن لاستشمام روائح رياحين العالم القدسي لا بد من أدمة صافية عن مضار الأهوية الرديئة، خالية عن عفونات أخلاط أهل الدنيا الدنية.

### توجيهات نقلية<sup>١)</sup>

[ المراد من الغيب ]

قال بعض المفسرين: معنى «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» يصدّقون بجميع ما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه. وقال الحسن: معناه: يصدّقون بالقيامة والجنة والنار وعن ابن عباس: بما جاء من عند الله. وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة: ما غاب عن العباد علمه وهذا أولى لعمومه. ويدخل ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه، وأكد كونه منتظراً بالقرآن والخبر:

أما القرآن ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ - الْآيَةُ ﴾ [ ٥٥/٢٤ ] وأما الخبر فقوله: <sup>٢)</sup> لَوْلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ واحداً لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يُخْرِجَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَافِقُ اسْمَهُ اسْمِي وَكُنْيَتَهُ

(١) الاقوال منقولة من مجمع البيان (١/٣٨) مع اضافات.

(٢) راجع تخريج الحديث في ملحقات احقاق الحق: ١٧٢/١٣.



كنيتي، به يملاء الله الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وقيل: الغيب هو القرآن. وهو قول زيد بن حبيش<sup>(١)</sup>، وكأنه أراد به أسرار القرآن وتأويلات الآيات.

وقيل: المراد بالغيب، هو القلب. والمعنى: يؤمنون بقلوبهم، لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. ويمكن حمل ما روى عن ابن مسعود<sup>(٢)</sup> من أنه قال: والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمانٍ بغيب. ثم قرأ هذه الآية. على هذا المعنى. كما أمكن حملهُ على كلٍّ من الوجهين السابقين. أعني قول من جعل قوله «بالغيب» صفة للمؤمنين، وحالاً عن ضمير يؤمنون كما مرّ. أو عن المؤمن به، وقول من جعله صلة للإيمان وأوقعه موقع المفعول به، فالباء إمّا للتعدية أو للمصاحبة أو للآلية .

## قوله جل اسمه : و يقيمون الصلوة

أما معنى الإقامة للصلوة، فذكر واله وجوهاً<sup>١)</sup>، أحدها تعديل أركانها وحفظها من أن يقع في فرائضها خللٌ وفي آدابها زيبغٌ من أقام العود: إذا قومه. وثانيها: إدامتها والمواظبة عليها كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [٢٣/٧] من: قامت السوق: إذا نفقت<sup>٢)</sup>، وأقامتها: إذا جعلتها نافقة. قال الشاعر:

أقامت غزاله سوق الضراب لأهل العراقين حولاً قميطاً<sup>٣)</sup>

لأنها إذا ديمت وحفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يرغب فيه، وإذا أضيفت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه.

وثالثها: التجلّد لأدائها من غيرتها وبنو لا فتور. من قولهم: قام الأمر وقامت الحرب على ساقها. بل من قولهم: قام بالأمر وأقامه إذا جدّ فيه وتشمّر له. وفي ضده: قعد عن الأمر وتقاعد عنه.

ورابعها: إقامتها عبارة عن أدائها. عبّر عن أدائها بالإقامة لاشتمالها على القيام، وهو بعض أركانها. عبّر عنها به كما عبّر عنها بالفنوت والركوع والسجود والتسبيح. قالوا: سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها. قال تعالى ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [٤٣/٣٧] وإذا نظرت في هذه المعاني، وجدتها مشتركة في معنى الوجود والإيجاد مع تفاوت في مراتب الكمال والضعف.

(١) الكشاف: ٩٩/١.

(٢) نفقت السوق: قامت وراجت تجارتها.

(٣) «غزالة» اسم امرأة شيب من الخوارج، قتلها الحجاج، وحاربته سنة. حول ميط: عام تام.

فالأول إكمالها ، والثاني إدامته ، والثالث تأكيده ، والرابع تحصيل شيء منه ، فالأولى حمل الكلام على ما هو أكمل في الثناء وأشهر وأقرب إلى الحقيقة ، وأقيدلما هو المقصود بالذات . وهو الحمل على إدامتها من غير خلل في أركانها وشرائطها ، ولهذا يوصف الباري بأنه قائمٌ وقيومٌ لأنه يجب دوام وجوده للأشياء وإدامته للأرزاق .

فمن أدام فعلها وراعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من التوجه إلى الله والعروج بقلبه إلى حضرة القدس والخشوع بين يديه ، لا كحال ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [٥/١٠٧] فهو حرى بالمدح والثناء العظيم والأجر الجسيم ، ولذلك ذكر الله تعالى في سياق المدح: ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ [٤/١٦٢] وفي معرض الذم ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ [٤/١٠٧] .

\* \* \*

وأما معنى الصلوة في أصل اللغة فقيل: إنها الدعاء. ومنه الحديث: إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليجِبْ، فإن كان صائماً فليصل. أي فليدع له بالبركة والخير. وقيل: مشتق من الصلّى وهي النار من قولهم: صليت العصا إذا قومتها بالصلّى ، فالمصلّي يسعى في تعديل ظاهره وباطنه مثل من يحاول تقويم الخشبة وإصلاحها بعرضها على النار.

أقول: وهي هنا سرٌ لطيف لا يمكنني ضبط عنان القلم عن كشفه، وهو إن الإنسان في بداية الأمر في غاية الجمود والقساوة كالحجارة أو أشد قسوة منها، لعدم المناسبة له إلى حضرة نور القدس، وإنما يلبس جلدُه وقلبه لذكر الله على التدريج بواسطة تَلَطُّف سرّه بالرياضات والتلطيفات، وذوبان لحمه وشحمه بإذابة التكليف الدينية والعقلية، حتى يبلغ إلى مقام يتسخن كبده بحرارة الشوق والمحبة ثم يشتعل زيت قلبه بنار التوبة

(١) ترمذى: كتاب الصوم، باب ماجاء في اجابة الصائم الدعوة: ١٥/٣ .

والندامة، ثم يتنور مصباح رُوحه بنور الإيمان والمعرفة.  
وأصل الكلام وبنسأؤه على أن الموجودات متفاوتة في الوجود وكماليته ،  
وللإنسان أن يسلك في سبيل الله ويتدرج في الدرجات ويسير من أدنى منازل الوجود  
إلى اعلاها فيترقى من أول منازل الموجودات الأرضية و المائية إلى آخر منازل  
الموجودات الهوائية والنارية كالجن والشياطين، ومنها يأخذ في سيره إلى منازل  
الموجودات النورية، وهي مراتب الملكوت الأعلى فلا بد من وروده في سيره الباطني  
أولاً إلى نشأة من نشأت النيران، سواء كان في الدنيا أو في العقبى، كما قال تعالى: ﴿وَ  
إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٧١/١٩].

فإن ورد عليها في الدنيا، فيقع الخلاص منها. والآن سوف يعذب بها في العقبى،  
ووروده على النار في الدنيا عبارة عن احتراق قلبه أو لأبنار التوبة والندم ثم ذوبان  
جسمه بنار الرياضات والتكاليف الشاقة، ثم اشتعال ذهنه بنار الحركات الفكرية والانتقالات  
الفسائية، وهكذا حتى يتجاوز من هذه المقامات بقوة البرهان ونور الإيمان، إلى عالم  
الأنوار الملكوتية ويتخلص عن عذاب النيران ويحل في منازل الجنان ومجاورة الرحمن  
كما قال تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [٧١/١٩].  
فإذا تقرر هذا فلعمري إن الصلوة أشد العبادات تأثيراً في تسخين الباطن وتلين  
الجلود والقلوب لذكر الله وتذويب ذهب الخلاص في كورة الإمتحان. لاشتمالها على  
نار الإيمان والمعرفة ونار الخوف والخشية للقرب، ونار التوبة والندامة ونار الفكر  
والرياضة النفسية والبدنية.

وفي الحديث كان يصلي رسول الله وفي صدره ازيز، كازيز الرجل .  
وقيل: إن الصلوة عبارة عن الملازمة من قوله تعالى: ﴿ تَصَلُّي نَارًا حَامِيَةً﴾  
[٤/٨٨] ﴿ سَبَّصَلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [٣/١١١] وسمي الفرس الثاني من أفراس  
(١) مسند: ٢٥/٤ و ٢٦ . والازيز، صوت الرعد وصوت غليان القدر أيضا .

المسابقة مصلياً .

وقال صاحب الكشاف<sup>(١)</sup>: الصلوة فعلةٌ من صلى كالزكوة من زكى. وكتابتها بالواو على لفظ المفخّم، وحقيقة «صلى» حرك الصلويين<sup>(٢)</sup> لأن المصلى يفعل ذلك في ركوعه وسجوده، وقيل للداعي: مصلياً، تشبيهاً له في تخشّعه بالراكع والساجد.

واعترض عليه صاحب التفسير الكبير بأن هذا يفضي إلى طعنٍ عظيمٍ في كون القرآن حجة، لأن لفظ الصلوة من أشدّ الألفاظ شهرةً وأكثرها دوراً على السّنة المسلمين واشتقاقه من تحريك الصلويين من أبعاد الأشياء اشتهاً في ما بين أهل النقل، ولو جوّزنا أنّها في الأصل ما ذكرتم خفى واندرس حتى صار بحيث لا يعرفه الآن إلاّ الأحاد لكان مثله جائزاً في سائر الألفاظ، ولو جوّزنا ذلك لما قطعنا بأن مراد الله من هذه الألفاظ يتبادر إلى أفهامنا لاحتمال أنّها كانت موضوعة لمعانٍ آخر في زمان الرسول صلى الله عليه وآله، وكان مراد الله تلك المعاني لكنها خفيت واندرست هي في زماننا كما وقع مثله في هذه اللفظة. ولما كان هذا باطلاً بالاجماع، علمنا أنّ هذا الاشتقاق الذي ذكره مردودٌ باطلٌ انتهى كلامه.

وفيه ما لا يخفى من التعسف، فإنّ اشتهاً اللفظ في المعنى الإصطلاحي المنقول إليه دون اللغوي المنقول منه، لا يقدح في الحكم بكونه منقولاً بحسب الرواية والضبط من أهل اللغة. ولا يوجب ذلك عدم الإطلاع على معاني الألفاظ القرآنية في سابق الزمان، كزمان نزول القرآن، إذ بواسطة ضمّ القرآن المعلومة لمن تتبّع موارد الاستعمالات اللغوية، وتتبع معاني ألفاظ المفسّرين وغيرهم الذين كانت أزمّتهم قريبة من زمان الوحي يحصل إطلاع تامٌّ على معاني هذه اللغات في ذلك الزمان بلا شك .

(١) الكشاف : ١٠٠/١ .

(٢) الصلوان : العظمان في أعلى الفخذين .

والصلوة في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة على وجوه وشرائط مخصوصة. وهذا يدل على أن هذا اللفظ منقول من اللغة إلى الشرع. وقيل: إن هذا ليس بنقل، بل تخصيص. لأنه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة.

### إشارة

#### [الصلوة]

إن الصلوة المعهودة من أعظم العبادات الدينية والأوضاع الشرعية جلالة وقدراً وأشدّها قرباناً إلى الباري، وأوفرها تشبهاً بفعل المبادي المطبوعة لله على الدوام، لاشتمالها على الأعمال العقلية والبدنية، واحتوائها على هيئات الخضوع والتذلل لله؛ ولهذا كانت واجبة في جميع الشرائع المعظمة والملل القديمة. قال أفلاطن الرباني في المقالة الثانية من كتابه في النواميس: إن الصلوة تجمع الإقرار بالربوبية وطاعة العقل في توجه النفس إليه، وتركها استعمال الحواس، ونهيها بذلك عن مقتضاها طلباً للروحانيات، وترك الاشتغال بطاعة الجسد والتخلي عن المعاصي والإقرار بالذنب والمسئلة في الصبح.

ألا ترى إلى الرجل كيف يرفع يديه بالتكبير. وإنما ذلك استعاذة في شيء يخاف إيقاعه عليه فطلب الاستعانة منه.

وكان ملك اليونانيين إذا دخلوا الأسرى إلى بلدانهم، تقدموا إليهم أن يبسطوا أيديهم بسط التضرع لترى العامة إنهم على الخوف والذعر من مسيرهم في المدينة. فأما الركوع فكنتمكين الرجل من نفسه من حاول ضرب عنقه، فإنك لا تجد له حالة أمكن من الركوع.

وأما السجود ووضع الوجوه في مراتب الأقدام، فمن تعمد ذلك يمحق غضبه

فلهذا كانت فصول الصلوة أغصن الأشياء من الغضب المؤدى كما إن الصوم من أغصن الأشياء لدفع آفة الشهوة. انتهى كلامه .

### مكاشفات عقلية متعلقة بأسرار الصلوة

الأولى في حكمة وجوب الطاعات وسر التكليف بها :  
اعلم إنه لما اقتضت الأسماء الحسنى الإلهية ظهور آثارها جميعاً في المظاهر الكونية لثلا يتعطل طرف من الأكوية، ظهرت في نوع الإنسان الذي هو أشرف الأكوان وقد أوجده الله للعبادة كما قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥١/٥٦] وطبايع أكثر الناس مجبولة على العدول عن منهج الحق والانحراف عن سنن العدل كما أشار إليه بقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [١٣/٣٤] .  
وقوله: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٢/١٠٣] وقوله ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [٢٣/٧٠] .

وقد تفرّر بنيان هذا البيان في كثير من الأحاديث القدسيّة والنبويّة، مثل قوله تعالى : كَلِّمُوا ضَالِّ الْأَمْنِ هَدِيَّتَهُ فَاسْتَلُونِي الْهُدَىٰ أَهْدِكُمْ ، وَكَلِّمُوا فَقِيرَ الْأَمْنِ أَعْنِيَّتَهُ فَاسْتَلُونِي أَرْزُقْكُمْ ، وَكَلِّمُوا مَذْنَبَ الْأَمْنِ غَفَرْتَهُ فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ مِنِّي أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفِرْ غَفْرَتَهُ وَلَا أَبَالِي .

فلو إن الناس أهملوا وطبايعهم وتروكوا سدى وتخلّى بينهم وبين طبائعهم لتوغلوا في الدنيا وانهمكوا في اللذات الجسمانيّة وطلبوا دواعي القوى الظلمانيّة لضررتهم واعتيادهم بهامن الطفوليّة والصبي، حتى زالت استعداداتهم وانسلخوا عن رتبة الإنسانيّة فمسخوا ومثلوا بالبهائم والسباع كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾

(١) جاء في الترمذى؛ ٤/٦٥٦ . ابن ماجة : ٢/١٤٢ . المسند : ٥/١٥٤ مع

وإن حوفظوا ودُعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب النبوية ترقوا وتنورت  
بواطنهم بنور الملكية كما قال الشاعر:

هي النفس إن تهمل تلازم خساسة وإن تنبعث نحو الفضائل تلهج

فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها في الأوقات المعينة ليزول بها  
دَرَن الطباع المتراكمة في أوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في أزمنا اتخاذ  
الذات وارتكاب الشهوات ويتنور بواطنهم بنور الحضور وينبعث قلوبهم بالتوجه  
إلى الحق عن السقوط في هاوية النفس والعثور، وينشرح صدورهم وتستريح بروح  
الروح وحب الوحدة عن وحشة الهوى وتفرق الكثرة كما قال صلى الله عليه وآله الصلوة  
إلى الصلوة كفارة ما بينهما من الصغائر ما اجتنبت الكبائر.

الآن ترى كيف أمرهم عند الحدث الأكبر ومباشرة الشهوة بتطهير البدن بالغسل،  
وعند الحدث الأصغر بالوضوء، وعند الاشتغال بالأشغال الدنيوية في ساعات الليل  
و النهار بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات مدركات الحواس الخمس الحاصلة  
للنفس منها كل بما يناسبه .

وكذلك وضعوا بإزاء تفرقة الأسبوع وظلمة انفرادهم بدؤب الأشغال والمكاسب  
والملايس البدنية والملاذ الجسمانية اجتماع قوم على العبادة والتوجه لتزول وحشة  
التفرقة بأنس الاجتماع والحضور، ويحصل بدل ظلمة النفرة نور المحبة اليمانية،  
ويرفع عنهم ظلمة الاشتغال بالأمور الجزئية والإعراض عن الحق من جهة الأغراض  
المختصة الشخصية .

وهكذا الحال في أكثر التكاليف، إذ مرجع الغرض في أكثرها إلى تصفية القلب  
عن ظلمة الدنيا وتجريد الباطن عن كدورة الطبيعة ودَرَن الذات الجسمانية، وتخليص

(١) جامع أحاديث الشيعة : كتاب الصلوة : الباب الاول ، الحديث ٥٣ .



العقل عن طاعة الهوى والشيطان بنور طاعة الحقّ بالإيمان .

## مكاشفة اخرى

في لمية وجوب الصلوة مطلقاً من بين العبادات

على عامة الناس بوجه عقلي

لماعلم الشارع ان جميع أفراد الإنسان لا يرتفعون عن حضيض البشريّة ولا يرتقون في مدارج العقل إلى درجة الملكيّة بحسب المعرفة والإخلاص، فلاجرم سوى لهم رياضة بدنيّة وساسهم سياسة تكليفية تخالف أهوائهم الطبيعيّة، وحافظ لهم الصورة الإنسانيّة وراعى فيهم حكاية النسك العقليّة، وهيكّل العبادات الملكيّة.

فمهدّ لهم قاعدة في الأذكار والأوراد، وألزمهم ترك النسيان بتكرير الأعداد وهي في الوجوب أعمّ وفي الحسن أعظم، ليرتبط بظواهر أشخاص الإنسان، ويمنعهم عن التشبه بسائر أفراد الحيوان. وأقرّ بهذا الهيكل الظاهر على كلّ بالغ عاقل فقال صلى الله عليه وآله: صلّوا كما رايتُموني. ولو قال: صلّوا كصلّوتني. فمن الذي صلّى مثل صلّوته؟ لأنّه كان يصلّى وبصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وكان في صلّوته يرى من خلفه. فقد ظهر إن في صلوة القالب مصلحة كثيرة لا تخفى على اللبيب العاقل، ولا يقربه لسان الجاهل العاذل. وهذا المعنى من الصلوة قد كانت واجبة على الأمم السابقة على أعداد أكثر من أعداد صلوتنا العموم جدّواها، وكانوا مكلفين بأعمال جسمانيّة كثيرة المشقّة لغلبة الفسوة والجسمانيّة عليهم، وقلّة ظهور آثار الملكوتيين منهم .

وشريعتنا المحمديّة على الصادع بها وآله خير الصلوة والتحيّة - أقلّ تكليفاً وأكثر منفعة لصفاء القوابل ولطافة القلوب ورقّة الحجاب في أمته بحمد الله، ولذلك قال: بعثت<sup>٢</sup> بالشرية السهلة السمحاء .

(١) البخارى: باب ما جاء في اجازة الخبر الواحد: ١٠٧/٩ .

(٢) في المسند (٢٦٦/٥): بعثت بالحنيفية السمحة .

## مكاشفة اخرى

في لمية وجوب الصلوتين القلبية والقالية

إن الله قد بعث النبيين معلمين بالكتاب والحكمة، واضعين من قبل الله للشيعة والملة مقيمين للعدل والقسط لقوله: ﴿وَآنزَلْ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>١</sup> فوضعوا للناس النواميس الإلهية ليُخْرِجُوهم عن حضيض البرزخ الظلماني ويبلِّغُوهم إلى أوج العالم النوراني لينخرطوا في سلك الملائكة المقربين، وينغمسوا في جوار القدس مع الأنبياء والصدّيقين رحمة من الله وفضلاً ونعمة منه. فشرع كلّ منهم بإذن الله لأُمَّته حسب ما أعطته العناية الإلهية، واقتضته الرحمة الأزلية في ذلك الوقت والزمان من الأعمال القلبية والبدنية، ما يكمل به قوتهم العلمية والعملية بحسب طاقتهم.

ولما كانت الحكمة المحمدية على مقيمتها وآله أفضل المحامد العلية - حكمة فردة لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني بل هو أكمل الممكنات علويها وسفليها روحانيها وجسمانيها، وكان تأثير قوة نبوته في تكميل أرواح أُمَّته أبلغ وأتمّ كمالاً وأقوم وحكمته أحكم وكتابه وشريعته أبلغ وأعمّ، كانت أُمَّته خير الأمم وأعدلها وأشرف الفرق وأكملها كما قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [٣/١١٠].

وإليه أشار صلى الله عليه وآله: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وبقوله: علماء امتي كأنياء بني إسرائيل<sup>٢</sup>.

(١) روى الحديث بألفاظ مختلفة، راجع المسند ٣٨١/٢ . الموطأ : باب ما جاء في حسن الخلق : ٩٧/٣ .

(٢) في جامع الاخبار (باب العلم) : علماء امتي كسائر الانبياء قبلي .

فخصّ المحمّديون بوجوب حقيقة الصلوة والذكر القلبي والمعرفة الإلهية التي هي روح الصلوة كما وجبت عليهم صورة الصلوات الخمس المكتوبة وأمرها بالمواطبة عليها والمحافظة لها وتكريرها في كل يوم بهيئة مشتملة على سرّ إلهي في أوقات معينة له؛ وهي ذكره تعالى وقربة إلى جناب الحقّ ومناجاة معه كما قال صلّى الله عليه وآله: المصلّي مناجربه .

وروح الصلوة وهي معرفة الحقّ وتعظيمه وتنزيهه عن نقائص الإمكان أشدّ وجوباً على مواطن العقلاء الكاملين من صورتها وهي القيام والقعود والقراءة والركوع وسائر الهيئات والأوضاع على ظواهر سائر الناس، وقال سبحانه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤/٢٠] .

### مكاشفة اخرى

في تحقيق القول من سبيل آخر

قد بان لك أنّ في الإنسان شيئاً من العالم الأسفل وشيئاً من العالم الأعلى ، وأعني بالعالم الأسفل الدنيا وما فيها، وبالعالم الأعلى الآخرة وما فيها . وكذلك في كلّ عمل من الأعمال الدينية قشرٌ ظاهرٌ ولبٌّ باطنٌ ، فالقشر متعلّق بالدنيا واللبّ متعلّق بالآخرة . وكما أنّ مقصود الشارع من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ومن طهارة البدن وهو القشر القريب - إنّما هو طهارة القلب وهو اللبّ الباطن ، وطهارة عن نجاسات الأخلاق كالكفر والحسد والنفاق والبخل والاسراف وغيرها -

فكذلك مقصود الشارع من صورة كلّ عبادة هو الأثر الحاصل منه في القلب . ولا يبعد أن يكون لأعمال الجوارح آثارٌ في تنوير القلب وإصلاحه ، كما لا يبعد أن يكون

(١) المسند (٣٤٤/٤) : ان المصلّي يناجى ربه .

لطهارة الظاهر أيضاً تسائبرُ في إشراق نورها على القلب. فإناك إذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك، صادفتَ في القلب انشراحاً وشفاءً لاتصادفه قبله. كيف وإدراك النظافة يوجب حصول صورتها في القلب، وهذا ضربٌ من الوجود، وفعلُ الطهارة أوجب حصولها في القلب ولو بوجهٍ ضعيف.

وذلك لسرّالعلاقة الواقعة بين عالم الشهادة وعالم الغيب، فإنّ ظاهر البدن من عالم الشهادة والملك، والقلب من عالم الغيب والملكوت بأصل فطرته، وإنّما يكون هبوطه إلى هذا القالب كالغريب عن موطنه الأصلي، ونزوله إلى أرض عالم الشهادة عن الجنة التي هي موطنه وموطن أبيه المقدس، لجناية صدرت أولاً عن أبيه. وكما ينحدرُ من معارف القلب آثراً إلى البدن، فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنواراً إلى القلب ولذلك أمر بالصلوة مع أنّها حركات للجوارح وهي من عالم الشهادة.

وبهذا الوجه جعلها رسول الله صلّى الله عليه وآله من الدنيا فقال: أحببتُ من دنياكم ثلاثاً- الحديث. وعدّ الصلوة من جملتها.

ومن ههنا قد شملت شيئاً يسيراً من أسرار الطهارة والصلوة وسائر العبادات. وإذا تقرّر هذا عندك وعلمت بمثل هذا التقسيم في جميع العبادات واتضح لك وتأكّد عندك حسب ما قدمنا إليك إنّ الصلوة منقسمة إلى رياضيّ جسمانيّ وإلى حقيقيّ روحانيّ، فاعلم إنّ نفوس الإنسان متفاوتةٌ بحسب آثار القوى والأرواح والدواعي المتركبة فيها، فمن غلب عليه الروح الطبيعي والحيواني، فإنّه عاشقٌ يحبّ نظامه وتزيينه وتعظيمه وأكله وشربه ولبسه وطالبٌ جذب منفعته ودفع مضرّته، فهذا الطالب من عداد الحيوانات وزمرة البهائم. فأيامه مستغرقة باهتمام بدنه، وأوقات عمره

(١) جاء في الخصال (باب الثلاث : ١٦٥) والمسند (٣/١٨٢ و ١٩٩) : بلفظ :

مصروفة إلى مصالح جثته وشخصيته.

فهو غافلٌ عن الحق جاهلٌ بأمره ، فلا يجوز له التهاون بهذا الأمر الشرعي اللازم الواجب، وإن قعد عنه فبالسياسات والزواج يكره عليه ويجبر حتى لا يفوت عنه حق التصرع والاشتياق إلى الله تعالى ليفيض عليه بجوده وينجيه من عذاب وجوده ويخلصه من آمال بدنه ويوصله إلى منتهى أمله.

فإنه لو انقطع عنه قليلٌ خير، لتسارع إليه كثير شر، وكان أدنى درجة من البهائم وأضل سبيلًا من الأنعام.

ومن غلب عليه قواه الروحانية وتسلط على هواه قوته الناطقة، وتجرّد عن محبة الدنيا وعلائق العالم الأدنى، فهذا الأمر الحقيقي والتعبّد الروحاني وذكر الله بالقلب ومناجاته وقرباته واجبٌ عليه أشد وجوباً وأقوى إلزاماً، كما قيل: الحكمة أشد تحكماً على باطن العاقل من السيف على ظاهر الأحق. لأنه استعدّ بطهارة نفسه وشرافة عقله ليفيض عليه ربه، فهو أقبل بمشقة واجتهد في تعبده لتسارع إليه جميع الخيرات العلوية والسعادات الأخروية، حتى إذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا، يدخل عليه الملكة من كل باب ويشاهد مفيضه وموجدّه ومكمله ربّ الأرباب، ويجاور حضرةً ويلتذّب بمناديه حينئذ ومجاوريه، وهم سكان ملك الملكوت وقطان عالم الجبروت.

## مكاشفة اخرى

في سرّ الصلوة وروحها

من جهة اشتمالها على ظاهر جسماني وباطن نوراني

اعلم إنّ الصلوة عبارة عن تشبّه بالنفس الإنسانية بالأشخاص الكريمة الإلهية في تحريكها للأجرام الفلكية. فما أشدّ شباهاة الإنسان حين التشغل بالصلوة الكاملة

بتلك الأشخاص الكريمة بأرواحها الملكية في تعبدها الدائم وركوعها وسجودها  
وقيامها وقعودها طلباً للثواب السرمدي وتقرّباً إلى المعبود الأحدي.  
ولذلك قال صلى الله عليه وآله: الصلوة معراج المؤمن<sup>(١)</sup>، وقال: الصلوة عماد الدين.  
وأصل الدين تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية والهواجس النفسانية،  
والصلوة الحقيقية هي التعبّد للمبدأ الأعلى والمعبود الأعظم، والخير الأشرف، والتعبّد  
في الحقيقة عرفان الحقّ جلّ مجده والعلم بآياته بالسرا الصافي والقلب النقيّ والنفس  
الفارغة.

فسرّ الصلوة التي هي عماد الدين؛ هو العلم بوحداية الله، ووجوب وجوده،  
وتنزه ذاته. وتقدس صفاته، وأحكام أفعاله، ونفاذ أمره في خلقه، وجريان قضائه في قدره،  
وقلمه في لوحه، وتعلّق عنايته ورحمته بعباده، وإنزال كتبه على رسله، ورجوع العباد  
في معادهم إليه، يوم مثول الأرواح والنفوس بين يديه، وقيام صفوف الملائكة  
والروح لديه. مع الإخلاص له بالعبودية. وأعنى بالإخلاص أن يعبد الله بلا مشاركة  
أحد، وأن يعلم ذاته وصفاته وأفعاله بحيث لا يبقى للكثرة فيه مشرعاً، وللاضافة  
إليه مترعاً.

ومن فعل هذا فقد أخلص وصلّى، وماضلاً وماغوى، ومن لم يفعل هكذا فقد  
افتري وعصى، والله أجلّ من ذلك وأعلى وأغنى.

### مكاشفة اخرى

في مبدء وجوب هذا التعبد الروحاني

إن هذه الصلوة قد وجبت على سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله في ليلة مباركة  
قد صعد إلى العالم العلوي وتجرّد عن بدنه وتنزه عن أهله، ولم يبق معه من آثار الحيوانية

(١) مضي في ص ١٦٨.

شهوة ولا من لوازم الطبيعة قوّة ولا من الدواهي النفسانيّة بقيّة.  
فناجى ربّه بقلبه وروحه عند طرح قلبه وبدنه في آخر منازل الجسميّة، فقال  
كما روّى عنه صلّى الله عليه وآله: إنّي وجدتُ لذّةً غريبةً في ليلتي هذه فاعطني يا ربّ  
هذى ويسرّ عليّ طريقاً يوصلني كلّ وقت إلى لذّتي، فأمره الله بالصلوة فقال: يا محمد  
المصلّي مناخ ربه.

ولا يخفى على العاقل المتأمل أنّ مناجات الله لا يكون بالأعضاء البدنيّة، ولا  
بالألسن الجسمانيّة لأنّ هذه المكالمة إنّما يصلح لمن يحويه مكان ويقترب به حركة وزمان،  
أما الواحد المقدّس الخارج عن عالم المحسوس والحسّ الذي لا يحيط به مكان ولا يحويه  
زمان ولا يعتره تجدد وتغيّر ولا يشار إليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة  
من الصفات، فكيف يعاينه الإنسان المشكّل المجسّم المحدود بجسمه، المقيد المحصور  
بحسب قوله وفعله وشعوره وحسّه؟

وكيف يناجي في هذا العالم المركّب الخروب من لا يعرف حدود جهاته ولا يرى  
جناب صفاته؟

فإنّ الوجود المطلق عن عالم المثل والمحسوسات، بل المرتفع عن إمكان  
الأرواح والعقليّات، غائبٌ عن الحواسّ، غير مشار إليه بالأخماس ولا يدرك بالإلماس،  
ومن عادة الجسم والجسمي أن لا يناجي ولا يجالس إلا من يراه بالبصر، وبحسّ بالحس  
ويدركه بإحدى الخمس. وإذا لم ينظر إليه ولم يشاهده يعدّه غائباً ويكون بفقده عن  
المشاعر خائباً.

فمن كان خارجاً عن هذا الباب مقدّساً عن طرفي هذا النفي والإثبات جميعاً،  
وعن المداخلة والمزايلة ربيعاً، فمناجاته بإحدى الظواهر والآلات أمحلّ المحالات  
وأفحش الخرافات الموهومات.

فأذن قوله: «المصلّي مناخ ربه»، محمولٌ على عرفان النفوس العرّافة العلامة

المجردة عن جهات الجسم والمكان، وحوادث الحركة والزمان.  
فهم يشاهدون الحقّ مشاهدةً عقليةً و يبصرون الإله و يبصرونه بصيرة نورية  
و يسمعون كلامه سماعاً قلبياً روحانياً.

### تفريع

فعلى هذا ظهر أنّ الصلوة الحقيقية هي التي تليق أن يمدح الله بها المؤمنين  
المتّقين المهتدين بأنوار معارف هذا القرآن، وهي التي تنهى عن فحشاء القوة الشهوية  
ومنكر القوة الغضبية وبغي القوة الوهمية، ويدفع آفات هذه الثلاث التي أوليها كالبهائم  
ووسطاها كالسباع وأخريها كالشياطين.

وذلك لأنها كما علمت، مكالمة عقلية مع الله عند مشاهدة قلبية له، وهي النضرع  
بالنفس الناطقة نحو الحقّ <sup>الله</sup> والموجود المطلق، وجعلها بمنزلة يدباسة إليه تعالى.  
ولأصحاب العلوم الظاهرة من هذا حظ ناقص وإن ارتفعوا من منزل الأنعام  
قليلاً وارتفعوا من درجة العوام يسيراً وللمحتقنين قسماً وافراً ونصيب كامل من هذا البحر  
الزاخر، ولهم قرّة عين في الصلوة أخفيت عن أعين الناس، ومن كان حظه أكمل،  
فتوابه أجزل.

فالعاقل الحكيم يتأمّل سلوك طريق التعبّد والمداومة على الصلوة، ويلتذّب بمناجاة  
ربه لا بشخصه وينطقه لا بنطقه ويبصره لا ببصره ويحسه لا بحسه.

وأما الجاهل اللئيم المغرور الممكور المشعوف بما عنده من القشور الطالب في  
مناجاةه للذات عالم الزور المتوجّه إلى تحصيل المنزلة والجاه عند أصحاب القبور،  
ومن آثر الهوى واتبّع الشيطان وانحرف عن الحقّ والهدى، حرّم الله عليه لذّة مناجاته  
كما ورد في أخبار داود على نبينا وعليه السلام: ياد داود إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر



شهوته على محبتي، أن احرم عليه لذيق مناجاتي. <sup>(١)</sup>

ومثل هذا الخبر ما ذكره مالك بن دينار من قوله: قرأت في بعض الكتب إن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحبب الدنيا أن اخرج مناجاتي من قلبه .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾

(١) جاء ما يقرب منه في الكافي : باب المتأكل بعلمه : ٤٦/١ .

قوله جل اسمه :

وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠٠﴾

الرِّزْقُ في كلام العرب، الحظُّ مطلقاً قال تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَدِّبُونَ﴾ [٨٢/٥٦] أي حظكم ونصيبكم .

والعرفُ خصَّصه بما يُنتفع به الحيوان يأكل أو يستعمل. وقيل: هو ما يملك، وهو باطلٌ. لأنَّ الإنسان قديقول : اللهم ارزقني ولداً صالحاً، وزوجةً سالحةً. وهما مما ليسا بمملوكين له وكذا يقول: اللهم ارزقني عقلاً أعيشُ به. والعقل ليس بمملوك. وأيضاً البهيمية لها رزقٌ ولا يكون لها ملك.

وقيل عبارةً عن تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء، وهذا مذهب أبي الحسين البصري<sup>(١)</sup> وسائر المعتزلة، ولهذا ذهبوا إلى أنَّ الحرام لا يكون رزقاً، وذلك لأنهم استحالوا من الله أن يمكن من الحرام بدليل أنه منع من الانتفاع بالحرام وأمر بالزجر عنه، وبما ذكره صاحب الكشاف في هذه الآية من قوله: «إسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقاً منه».

ويقوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً﴾ [٥٩/١٠] إذ قد بين أن من حرّم رزق الله فهو مفترٍ عليه فثبت أن الحرام لا يكون رزقاً. وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إن رجلاً قال له : « إن الله كتب عليّ الشقوة أفلا أراني أرزق إلا من دقيّ بكفيّ، فأذن لي في الغناء من غير فاحشة؟ فقال رسول الله

(١) أبو الحسين محمد بن عليّ، بصريّ الاصل بغدادى المسكن، طيب متكلم معتزلى

المذهب، توفى ٤٣٦ هـ .

(٢) الكشاف : ١٠١/١ .

صلى الله عليه وآله : لإذنك ولاكرامة ولانعمة ، كذبت ياعدو الله لقد رزقك الله طيباً  
فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، أما إنك لو قلت بعده  
النوبة ضربتكم ضرباً وجيعاً»<sup>١</sup>.

والجواب : أما عن الأول ، فبأن المنع الشرعي للكل عن الحرام ، لا يناقض  
السياق القدرى لبعض الأشخاص إليه، وتحقيق هذا المقام يحتاج إلى مسلك آخر غير  
علم الكلام .

وأما عن الثاني : فبأن إسناد الرزق إلى الله على سبيل التشريف و التحريض  
على الإنفاق وإن كان الحرام رزقاً أيضاً كما يقال: ياخالق العرش والكرسى . [ولا يقال  
ياخالق الكلاب والخنازير، وكقوله ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [٦/٢٦] فخص العباد  
بالمؤمنين وإن الكفار من العباد .

وأما عن الثالث : فبأن الذم للمشركين لأجل أنهم حرّموا ما أحل الله من الرزق.  
وأما عن الرابع : فبأن الخبر حجة عليكم لالكم لأن قوله صلى الله عليه وآله :  
«فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه» صريح في أن الرزق قد يكون حراماً .

واستدل بعض الأشاعرة بأن الحرام لو لم يكن رزقاً لم يكن المغتذي به طول عمره  
مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ رَزُقَهَا﴾ .

وأقول: هذا الإستدلال ضعيف، لمنع تحقق مادة النقص، إذ ما من حيوان إلا وله  
رزق من الحلال ولو في بعض الأوقات كما عند كونه في بطن أمه .

والحق إن النزاع في هذه المسئلة يرجع إلى محض اللغة وهو: إن الحرام هل يسمى  
رزقاً أم لا؟ ولا مجال للدليل العقلي في الألفاظ .

(١) اخرج ما يقرب منه ابن ماجة : كتاب الحدود، باب ما جاء في المخنثين :

وأصل الإنفاق إخراج المال من اليد، ومنه نفق المبيع نفاقاً إذا كثر المشترون له، ونفقت الدابة إذا خرج روحها ومنه نفاق الفأرة لأنها تخرج منها، ومنه النفق في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [٣٥/٦].

وفي الكشاف أن «أنفقه وأنفده» أخوان و«نفق ونفد» واحد، وكلما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فдал على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت<sup>١)</sup>.

### تنبيه

في قوله تعالى: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فوائد لطيفة: إدخال «من» التبعيضية صيانة لهم عن الإسراف وكفاً عن التبذير المنهية عنه، وتقديم المفعول للإهتمام به كأنه قال ويخصون بعض المال للتصدق به، والمحافظة على رؤس الآي، وإطلاق الإنفاق حتى يشمل الزكوة وغيرها.

ومن فسّر الإنفاق بالزكوة، فقد ذكر أفضل أنواعه وما هو الأصل فيه، وإنما وقع التخصيص بها لاقتراحه بما هو شقيقها.

ولا يخفى أن الإنفاق منه واجب ومنه مندوب. والإنفاق الواجب أقسام: أحدها: الزكوة وهي قوله تعالى في آية الكنز: وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وثانيها: الإنفاق على النفس والأهل ومن يجب عليه نفقته. وثالثها: الإنفاق في الجهاد.

وأما الإنفاق المندوب، فهو ما سوى ما ذكرناه لقوله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ وأراد به الصدقة بدليل قوله تعالى ﴿ فَأَصَّدَقَ وَأَكْنُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فجميع هذه الإنفاقات داخلة تحت الآية لأن كل ذلك سبب لاستحقاق المدح، فالأولى أن يراد به الإنفاق من جميع المعارف التي منحهم الله بها من النعم الظاهرة والباطنة والمالية والعلمية، يؤيده قوله صلى الله عليه وآله: إن علماً لا يقال به ككنز لا ينفق

(١) الكشاف: ١٠١/١.

منه<sup>١</sup> ولهذا المعنى ذكر بعض المحققين في تفسيره : ومما خصصناهم به من أنوار المعارف يفيضون .

\* \* \*

واعلم إن الرزق كله من قبل الله لا من قبل غيره، لأنه من ضروريات بقاء الإنسان والحيوان. فهو مقدر بتقدير الله، مضمون بضمانه. والبرهان عليه من طريق العقل : إنه تعالى يعلم ذاته وما يوجبه ذاته على الترتيب الأقدم فالأقدم. وهكذا إلى أدنى المراتب، فهو قد عقل جميع الموجودات من جهة عقله لذاته لأن عقله لذاته علة لعقل ما يقتضيه ذاته وإن كان بالقصد الثاني وكل ما يعقله لا بد وأن يوجد، لأن علمه علم فعلي لأجل كون علمه عين ذاته فقد ترتب وجود جميع الموجودات عن علمه بذاته، وبما يوجبه ذاته من المبدعات والكائنات، لأن الله تعالى وجود الكل من ذاته، فكما أن عقله لذاته لا يجوز أن يتغير فكذلك تعقله لكل ما يرتب عن ذاته.

فكل ما يعقل وجوده عن ذاته وعن عقله لذاته لا يجوز أن يتغير، بل يجب وجود كل ذلك على الوجه الذي عقله ووجود أنواع الحيوانات وبقاؤها متعلق له تعالى بلا شك فيه ولا خلاف من أحد من العقلاء وخصوصاً وجود النوع الإنساني وبقاؤه، فيجب وجود هذا النوع وبقاؤه، وكذا سائر الأنواع الحيوانية المتوالدة .

ولما كان وجود النوع إنما يبقى مستحفظاً إذا لم يمكن لسواحد من أعداده الديمومة الشخصية بتعاقب أشخاصه وبلوغ كل شخص منها إلى كماله الذي يمكن به أن يولد شخصاً آخر مثله، وبلوغه إلى ذلك الكمال لا يمكن إلا ببقائه مدة يصل فيها إليه وبقاؤه تلك المدة لا يمكن إلا بما به قوام حيوة البدن من الرطوبات الغريزية التي هي أبدأ في التحلل والذوبان والنقصان بواسطة استيلاء الحرارة الداخلية والخارجية عليها في تحللها وذوبانها ونقصانها كل لحظة إلى البذل وهو الرزق الصوري، فقوام

(١) سنن الدارمي : باب البلاغ عن رسول الله (ص) وتعليم السنن : ١٣٨/١ .

الحياة البدنية بالرزق.

ولما تفرّر إنّه تعالى يعقل وجود الكلّ من ذاته وينال أسبابها وعللها من ذاته ووجود ما يعقله من ذاته واجب ويعقل بقاء النوع الإنساني ببقاء الأشخاص وتناسلهم، ويعقل تناسلهم ببقاء كلّ شخص مدّة ويعقل بقاء كلّ شخص مدّة بما به قوام حيويّة وهو الرزق. والرزق إنّما يكون من النبات والحيوان كالخبز واللحم والفواكه والحلاوي، فوجب أن يكون الرزق مضموناً بتقدير الرؤف الرحيم، ولذلك قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [٢٣/٥١].

فقد علم إنّ الرزق سواء كان حلالاً بحسب الشرع أو حراماً أو غيرهما كرزق سائر الدوابّ واجب عن قبل الله وجوباً عقلياً كما قال: ﴿مِمَّنْ ذَابَتْ﴾ [في الأرض الأعلى الله رزقها] ﴿[٦/١١].

### حكاية في هذا الباب

ذكر في كتاب إخوان الصفا إنّ بعض الخلفاء العباسية رأى شيخاً سقاء في داره فقال له: كم تعدّ من الخلفاء؟ قال: كثير. فقال له شبه المتعجب: ما بالكم طوال الأعمار ونحن قصارها؟ قال له السقاء: لأنّ أرزاقكم يجيء مثل أفواه القرب وأرزاقنا يجيء مثل قطر الأجفان. فاستحسن الخليفة وأمر له بجائزة أغناه به عن صنعه.

ثمّ سئل عنه بعد حين فقيل: مات. فقال: صدق. لما جاءه الرزق مثل أفواه القرب قصر عمره. وهكذا الحكم والقياس قد جعل الله لكلّ إنسان نصيباً من السعادة وقسطاً من النعيم وجعل له قسطاً في الدنيا وقسطاً في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [٨/١٣] وقال: ﴿وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٢١/١٥].

فمقدار ما يأخذ الإنسان نصيباً وحظاً من النعيم والتلذّد في الدنيا، فبذلك المقدار ينقص حظه ونصيبه من نعيم الآخرة.

وهذا وإن كان إقناعياً فهو ممّا يحكم به صاحبُ الحدسِ الصحيح بضربٍ من الشواهد والآثار وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾ [٢٠/٤٦] و ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [٢٠/٤٢].

قال النبي<sup>١</sup> صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: نَفَثَ رُوحُ الْقُدْسِ فِي رُوعِي إِنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَقَالَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ لِلْعَبْدِ إِذْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، أَكْثَرَ مِمَّا سَمِيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ .

### تذكرة فيها تبصرة

#### [ الرزق و أقسامه ]

اعلم إن الرزق عند أهل الحق هو ما يتقوى به الشخص وينمو ويزيد في تجوهره سواء كان من الجواهر الجسمانية أو الروحانية فلأرواح أيضا أغذية كما للأبدان. وغذاء كل موجود من جنسه ومما يشابهه. فكما أن غذاء الأبدان من جنسها وهو نيل المطعومات المحسوسة ، فغذاء العقول الإنسانية إدراك العلوم العقلية. إذ بها حياة تلك العقول وبهاتكامل وتزيد وبفقدتها تموت وتهلك، وبحسب نقصانها تذبذب وتضعف وإلى الرزق المعنوي العلمي وقعت الإشارة في قوله تعالى ﴿وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى﴾ [١٣١/٢٠].

ولهذا المعنى أول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللَّيْنُ بِالْعِلْمِ. قال الفتح الموصلي: أليس الرجل إذا منع عنه الطعام والشراب يموت؟ قالوا: بلى. قال: كذلك القلوب

(١) ما يقرب منه في ابن ماجه: باب الاقتصاد في طلب المعيشة: ٧٢٥/٢.

(٢) الكافي: كتاب المعيشة، باب الاجمال في الطلب: ٨١/٥ وفيه فروق.

إذامنع عنها الحكمة والعلم ثلثة أيام تموت، وغذاء الملائكة التسييح والتقديس، وغذاء الفلكيات بما يرد عليها من الواردات والأنوار العلوية المتجددة على الإتصال بواسطة حر كانتها المتصلة المستمرة.

وكذا غذاء كل قوة من القوى الباطنة والظاهرة بنيل ما يشبهها وإدراك ما يناسبها، فغذاء الوهم الموهومات، وغذاء الخيال المتخيلات وغذاء قوة الباصرة إدراك الأنوار الحسية، وغذاء الجن بالنسيم والأرواح العبيقة وسماع الأصوات ، وعلى هذا القياس فمما من قوة الأولهارزق صوري أو معنوي من جنسها وبه يحصل لذتها وبما يصاده ألمها. وتحقيق هذا المقام من شمول رازقته تعالى لجميع الموجودات العلوية والسفلية والروحية والجسمية والأخروية والدينيوية مما يتوقف على الأصول التي وقع الاثبات لها في كتبنا الحكمية كالشواهد الربوبية وغيرها. فليراجع إليها من أراد الإطلاع على هذا المطلب .



قوله جل اسمه :

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ  
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٠١﴾

يُحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ بِهِؤْلَاءِ الْمُوصُوفِينَ بِالْإِيمَانِ بِمَا أُنزِلَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِالْيَوْمِ  
الْآخِرِ، أَعْيَانُ الْمَذْكُورِينَ سَابِقًا، كَلَّا أَوْ بَعْضًا وَتَوْسِيطِ الْعَاطِفِ هَيْهِنَا كَتَوْسِيطِهِ بَيْنَ الصِّفَاتِ  
فِي قَوْلِكَ : هُوَ الشَّجَاعُ وَالْجَوَادُ وَقَوْلِهِ :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ \* وَلَيْثِ الْكَيْبَةِ فِي الْمَزْدَحِمِ

عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ الْعِلْمِيِّ وَلِوَازِمِهِ - مِنَ التَّقْوَى عَنِ  
مَحَارِمِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ - وَبَيْنَ الْإِيمَانِ الْكَشْفِيِّ  
بِمَا لَا يَسْتَقِلُّ الْعَقْلُ بِإثْبَاتِهِ مِنْ كَيْفِيَّةِ أَنْزَالِ الْوَحْيِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ .  
أَوْ أَنَّهُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَسْمُوعِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ .  
وَكَرَّرَ الْمَوْصُولَ تَنْبِيهًا عَلَى تَبَايُنِ الْمَسْلُوكِينَ وَتَفَاوُتِ الْمُنْقَبَتِينَ . وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ  
بِهِمْ طَائِفَةٌ أُخْرَى وَهُمْ مُؤْمِنُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَتْرَابِهِ ، مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا  
بِاللَّهِ ، لِأَنَّ شَرِكَ . فَاشْتَمَلَ إِيْمَانَهُمْ عَلَى كُلِّ وَحْيٍ أُنزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَيَقِنُوا بِالْآخِرَةِ إِيْمَانًا  
زَالَ مَعَهُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، وَأَنَّ النَّارَ لَنْ  
تَمْسَهُمْ إِلَّا آيَاتًا مَعْدُودَاتٍ ، وَمِنْ اخْتِلَافِهِمْ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ كَالنَّذَذِ بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَنَاكِحِ ؛  
أَهُوَ عَلَى حَسَبِ مَجْرَاهَا فِي الدُّنْيَا أَمْ غَيْرِهِ ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الدَّوَامِ وَالانْقِطَاعِ .

فَعَلَى هَذَا إِيْمَانٌ يَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، فَيَكُونُ  
هُؤْلَاءِ دَاخِلِينَ مَعَ الْمَذْكُورِينَ أَوْلَافِي جُمْلَةِ الْمُتَّقِينَ ، دَخُولِ أَخْصِيْنَ مُتَقَابِلِينَ تَحْتَ أَعْمٍ .  
وَجِهَةُ التَّبَايُنِ أَنَّ الْمَرَادَ بِأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا عَقِيبَ شَرِكِ وَإِنْكَارُ بِهِؤْلَاءِ مُقَابِلُهُمْ مِمَّنْ

ليس كذلك، وكانت الآياتان تفصيلاً للمتقين.

وإما أن يكون معطوفة على المتقين فكأنه قال : هدى للمتقين عن الشرك وللذين آمنوا من أهل الملل والطائفتان هما أهل التزكية وأهل التحلية.  
 وربما قيل: <sup>١)</sup> إن قوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وإن كان شاملاً لأهل الكتاب وغيرهم، إلا أن دلالة العام على بعض ما دخل تحته ليس في القوة كدلالة لفظ مخصوص به، إذ العام مما يحتمل التخصيص بما سوى هذا البعض، والخاص لا يحتمل ذلك. ولما كانت السورة مدنية وقد شرف الله المسلمين بقوله: هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ذكر بعد ذلك مؤمني أهل الكتاب كعبدالله بن سلام ونظرائه في العلم واليقين بقوله: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَىٰ آخِرِهِ لَأَن فِي هَذَا التَّخْصِيسِ بِالذِّكْرِ مَزِيدٌ تَشْرِيفٌ لَهُمْ كَمَا فِي ذِكْرِ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ، وترغيب لأمثالهم في الدين القويم والصراط المستقيم. فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام.

### فصل

المراد بما أُنزِلَ إِلَيْكَ، صورة ألفاظ القرآن السمعية بأسرها نزولاً سمعياً في عالم الأشخاص والأجسام الغائبة عنا، وصورة معانيها العقلية عن آخرها نزولاً قلبياً في عالم الأرواح القدسية، وإنما عبر عن إنزالها بلفظ الماضي وإن كان بعضها مما تبرقّب إنزاله؛ لأن الأشياء المتجددة في موطن الدنيا، المتعاقبة في أزمنة كثيرة منها إنما هي مجتمعة ثابتة في المواطن العالية في زمان واحد دفعة واحدة. كما أشار إليه قوله تعالى ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [٢٢/٢٧] وقوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [٩٧/٤].

وقيل : لأنّ القرآن شيءٌ واحدٌ في الحكم ولأنّ المؤمن ببعضه مؤمنٌ بكلمه .  
وقيل هذا من باب التغليب للموجود على ما لم يوجد ، والتنزيل للمنتظر المتوقع وقوعه  
منزلة الواقع كما في قوله تعالى : إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ، إذ الجنُّ لم يسمعوا  
جميع القرآن ولم يكن الكتاب منزلاً حينئذٍ كلّه .

والمراد بمسا أنزل من قبلك : سائر الكتب السماوية السابقة ، والايمان بهما  
جميعاً على الجملة فرضٌ عين ، لعدم تحقق الفلاح بدونه كما يستفاد من قوله : أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

وأما الايمان التفصيلي بالمعارف الإلهية المذكورة فيهما التي لا يتبدل بتعاقب  
الزمان من علم التوحيد وعلم الملائكة وعلم المعاد وعلم النفس وعلم النبوة والولاية  
والآيات وغيرها ، فليس بواجب على كل أحد فرض عين ، وإلّا لزم الحرج وبطل النظام و  
تشوش أمر المعاش المتوقع عليه أمر المعاد . بل هو واجبٌ على الكفاية وعلى من هو مبشّر  
له ، وخلق لأجله وكذا العلم والايمان بأحكام الأول دون الثاني تفصيلاً من جهة كوننا متعبدين  
بتفاصيل أحكامه فرض على الكفاية لا غير لما ذكرنا .

## فصل

### في كيفية إنزال الوحي على الانبياء عليهم السلام

كما يجب علينا الايمان بالكتب الإلهية المنزلة على الانبياء عليهم السلام ،  
فكذلك يجب على المؤمن ايمانا حقيقياً بما أنزل إليهم من حيث كونه منزلاً إليهم ،  
أن يعلم كيفية الإنزال والايحاء وكيفية إرسال الانبياء عليهم السلام وفي ذمة العالم  
بتأويل القرآن ، أن يحاول هذا العلم ويتعاطاه . فمن الدائر على السنة جماعة من المفسرين  
وغيرهم من المتكلمين ، ان المراد من إنزال الوحي ان جبرئيل عليه السلام سمع في

السماء كلام الله تعالى فنزل به على الرسول صلى الله عليه وآله وهذا كما يقال: نزلت رسالة الأمير من القصر. والرسالة لا تنزل، ولكن المستمع سمع الرسالة في علو فينزل بها ويؤدّيها في سفلى. وقول الأمير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمعه ويؤدّي بلفظ نفسه .

وربما استشكل بعضهم هذا أي سماع جبرئيل كلام الله - سيّما القائل بأن كلامه ليس من جنس الاصوات والحروف فأجابوا عنه :

أما المعتزلة فبأنه يخلق الله أصواتاً وحروراً على لسان جبرئيل وهذا معنى الكلام عندهم .

وأما الأشاعرة فتارة بأنه يحتمل أن يخلق الله له سماعاً لكلامه ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام. وتارة بأنه يجوز أن يخلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرئه جبرئيل عليه السلام فحفظه. وتارة بتجويز أن يخلق أصواتاً مقطّعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فنلقفه جبرئيل ، ويخلق له علماً ضرورياً بأنه هو العبارة المؤدّية لمعنى ذلك الكلام القديم. هذا خلاصة ما ذكره في هذا المقام .<sup>١</sup>

وطائفة استدّلوا على كون الملائكة أجساماً متحيّزة بأنّ وصف القرآن بالنزول الذي لا يتّصف به إلا المتحيّز بالذات دون الأعراض وسيّما غير القارّ منها كالاصوات ، إنتماهو بتبعيّة محلّه سواء اخذ حروفاً ملفوظة أو معاني محفوظة ، وهو الملك الذي يتلقّف الكلام من جانب الملك العلام تلقّفاً سماعياً، أو يتلقّى القرآن تلقّياً قلبياً، أو يتحفّظه من اللوح المحفوظ ثم ينزل به على الرسول، ولا يتمشى ذلك إلا بالقول بتجسّم الملائكة. وهذا هو مسلك أرباب الجدّل والتخييل دون أصحاب البصيرة والتحصيل .

وأما على مسلك هؤلاء وممشاهم من القول بما هو صريح الحقّ وما عليه كافّة الحكماء الإلهيين والربّانيون من الإسلاميين وهو أنّ الملائكة - كما مرّت - تطلق على قبائل

(١) الفخر الرازي : ٢٥٤/١ .

علويات وسفليات سماويات وأرضيات، قدسيات وجسمانيات ، وفي القبائل شعوب بطبقات كالقوى المنطبعة والطبائع الجوهرية والنفوس المفارقة وأرباب الأنواع والصور المفارقة ، والعقول القادسة بطبقات أنواعها . ومنها روح القدس النازل بالوحي النافث في أرواح أولى القوى القدسية بإذن الله وغير ذلك مما لا يعلم أعدادها ولا أنواعها إلا الله كما قال ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [ ٣١ / ٧٤ ] .

وقال صلى الله عليه وآله: أطلت السماء وحق لها أن تئبط . ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع .

فالأمر غير مشتبه على الناهج منهجهم والماشي ممشاهم وقدمت القول بأن كلام الله ليس مقصوراً على ما هو من قبيل الأصوات أو الحروف، ولا على ما هو من قبيل الأعراض مطلقاً لفاظاً كانت أو معاني، بل كلامه وملكه يترجم إلى ضرب من قدرته وقادريته، وله في كل عالم من العوالم العلوية والسفلية صورة مخصوصة .

وطائفة أخرى اقتصروا على القول بالتلاقي الروحاني والظهور العقلاني بين النبي صلى الله عليه وآله والملك الحامل للوحي فسموا ظهوره العقلاني لنفوس الأنبياء عليهم السلام نزولاً ، تشبيهاً للهبوط العقلي بالنزول الحسي وللاعتلاق الروحاني بالاتصال المكاني، فيكون قولنا: نزل الملك استعارة تبعية، وقولنا: نزل الفرقان مجازاً بتبعية تلك الاستعارة التبعية . وهذا مما فيه إسراف في فحولة التنزيه، كما في القول الأول في انوثة التشبيه. وإن في كلال القولين زيغاً عن طريق الصواب ، وحيداً عما فيه هدى لاولى البصائر والألباب وشقاً لعصا الأمة لفرقها المتفرقة وأحاديثها النبوية المتواترة، وخرقاً للقوانين العقلية المنضبطة، فالأمة مطبقة على أن النبي صلى الله عليه وآله، كان يرى جبرئيل وملائكة الله المقربين عليهم السلام، يبصره الجسماني ويسمع كلام الله الكريم على لسانهم القدسي بسمعه الجسداني الشخصي .

والبرهان العقلي قائم بالقسط على أن مناط الرؤية والسمع الحسيين في الإنسان وجود الصورة البصرية كالألوان والأشكال وغيرهما، والصورة المسموعة كالأصوات والحروف والكلمات عند النفس بقوتها الباطنة المدركة للجزئيات الصورية، ومثلها بين يدي الحس الباطن لها الذي هو مجمع الحواس الظاهرة، وإنما المبصر بالحقيقة والمسموع بالحقيقة من الشيء المائل بين يدي الحس الظاهر؛ هو صورته الحاضر في ساحة النفس الناطقة وصُقع ملكوتها .

وأما وجود الصورة بهويته الخارجية ومادته الوضعية، فهو مدرك بالعرض وبالقياس الثاني ولبس المثل الخارجي للمبصر المادي بنسبته الوضعية المادية بالقياس إلى الآلة الجسمانية الدائرة وجليداتها اللتان هما مسلكا التأدية، وليستا لوجي الانطباع من الشرائط الضرورية للإبصار الذي هو قيام الصورة المبصرة في حضرة النفس، بل ذلك طريق واحد من طرق الحصول للصورة والمثل الإنكشافي النوري لها عند النفس، مادام كونها في هذه النشأة الدائرة وعظيمة التعلق بها. وتمكن حصولها بطريق آخر للنفس كما في النوم حيث لا يكون وجود الصورة في مادتها المخصوصة شرطاً لانكشافها وحضورها للنفس. وعلى هذا القياس شاكلة السمع أيضاً.

ومبدأ حضور الصورة مطلقاً، هو واهب الصور، والإفاضة من تلقائه. وللنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وشمّاً وذوقاً ولمساً وإن انسلخت عنها هذه الآلات العنصرية الدائرة البائدة وإنما الحاجة لها إلى هذه الدوائر مادام كونها الناقص الدنيوي وعدم خروج قواها وحواسها الباطنية من القوة إلى الفعل.

فعند خروجها من ظلمات هذه الحواس، وغبار هذا العالم الدائر وبروزها لله من زيارة هذه المقابر، تشاهد المحسوسات بقوتها المتخيّلة.

ونحن قد أقمنا البرهان العرشي على جوهرية القوة الخيالية وتجردتها عن المادة

البدنية في الشواهد الربوبية عند البحث عن تحقيق المعاد الجسماني ، فمن كانت نفسه واغلة الهمة في الجنبه السافله، طفيفه الانجذاب إلى الجنبه العاليه، قليلة التوجه إلى يمين الحق وعالم القدس ، لم يكن لجوهر قلبه سبيلٌ إلى مطالعة الصور الغيبية إلا من مسلك الحاسه الظاهره والاتصال بالآله البدنيه وحضور الماده الخارجيه.

فأما إذا كانت نفسه قوية العزيمة مجموعة الهمة قدسية الفطرة نقيه الجوهر بحسب جبلتها المفطورة أو بحسب ملكتها المكسوبة، وبالجملة شديدة الاستحقاق لعالم الحسن، قاهرة القوة على تسخير القوى وضبطها، ذات سلطنة على خلع البدن ورفض الحواس الظاهرة والانصراف عنها إلى صقع الملكوت بإذن ربها، فهو مستغن بقوة نفسها المتخيلة اللامنغمة في قوى البدن عن استعمال الحواس الظاهرة .

فله أن يتلقى الصورة الجزئية من معادنها الأصلية من غير استعانة بهذه الآلات ويقتدر على تصوير المعاني بصورها المقدارية في عالم الصور الخالصة عن هذه المواد متى شاء وحيث شاء .

فمهما وجدت نفسه فرصة عن هذه الشواغل العارضة في اليقظة تخلص بقوتها المتخيلة عن جانب الطبيعة راجعة إلى عالمها متصلة بأبيها المقدس وهوروح القدس وبمن شاء الله تعالى من الأرواح المقدسة، ويستفيد من هناك العلم والحكمة بالانتقاص على سبيل الرشح أو العكس كمرآة مجلوة حوذي بها شطر الشمس .

ولكن حيث ان النفس تكون بعد في دار غربتها بالطبع ولم تنسلخ ولم ترتفع أذبالها بالكلية عن علاقتها التدبيرية لقواها البدنية وجنودها الحسية ، أو انها لم تتجرد عن عالم التمثل بالكلية وإن تجردت عن عالم الماده بالكلية، فيكون منالها فيما تناله بحسب ذلك الشأن وتلك الدرجة تحوّل الملك الحامل للوحي على صورة متمثلة في

شبح شخص بشري ناطق بكلمات إلهية منظومة مسموعة كما قال تعالى : فَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا يعنى بذلك ارتسام الصورة عنده لافي لوح بنطاسياه- كما زعمه الظاهريون من الحكماء ممن لا تحقيق له في علم النبوات- ولامن سبيل الظاهر والأخذ عن مادة خارجية، بل بالانحدار إليه من العالم الأعلى والنزول إليه من جانب اليمين وصقع الإفاضة فإن الشأن في السماع والابصار المشهورتين أنه يرتفع صورة المسموع والمبصر من المواد الخارجية إلى لوح الانطباع، ثم منه إلى عالم الخيال والتمثيلية . ثم يصعد الأمر إلى النفس الناطقة كما هو المعروف عند الجمهور و المثبت منهم في الكتب .

وعندنا: النفس ترتفع من المحسوس إلى المتخيل ومنه إلى المعقول، والصور ثابتة في أحيائها وعوالمها .

وفي إبصار الملك وسماع الوحي- وهما الإبصار والسماع الصريحان- ينعكس الشأن، فينزل الفيض من عالم الأمر إلى النفس، فهي تطالع شيئاً من الملكوت مجردة غير مستصحبة لقوة حسية أو خيالية أو وهمية . ثم يفيض من النفس إلى القوة الخيالية فتمثل لها الصورة بما انضم إليها من الكلام في الخيال من معدن الإفاضة وصقع الرحمة، ثم تنحدر الصورة المتمثلة والعبارة المنظومة من الخيال والتمثيلية إلى الحسّ الشاهد، بل النفس تنزل من العالم الأعلى إلى الأوساط ثم إلى الأدنى فتشاهد في كل عالم ما يتعارف لها ويناسبها على عكس الحالة الأولى، لأن تلك الحركة عروجية وهذه نزولية فتسمع الكلام وتبصر الصورة في كل عالم من العوالم الثلاثة .

وهذا أفضل ضروب الوحي والايحاء، وله أنحاء مختلفة ومراتب متفاضلة بحسب

درجات النفس .

وقد يكون في بعض الدرجات لا يتخصّص المسموع والمبصر بجهة من جهات العالم بخصوصها ، بل الأمر يعمّ الجهات بأسرها في حالة واحدة ، وقد يكون



بخلاف ذلك .

وفي الحديث: <sup>١)</sup> إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي بالقول.

وربما يكون صفة النفس النبوية أتم وتجرداً في بعض الأحيان أقوى وسلطانها على قهر الصور الجسدانية والشواغل الهيولانية أعظم، فيكون عند الإنصراف عن عالم الحس والاتصال بروح القدس استيناسها بجوهر ذاته المجردة، أشد منه بالشبح المتمثل، فتشاهد ببصر ذاتها العاقلة الصائرة عقلاً بالفعل معلماً القدسي ومخرجها من حد القوة النفسانية الهيولانية إلى حد الكمال العلمي والعقل الصوري وتستفيد منه وهو في صورة القدسية، العلوم والأحوال كما قال تعالى ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [٥/٥٣] .

وربما وصل النبي صلى الله عليه وآله إلى مقام أعلى من أن يتوسط بينه وبين المبدأ الأول والمفيض على الكل واسطة، فسمع كلام الله بلا واسطة كما قال تعالى ﴿ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [١٧/٥٣] .

وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله إنما رأى جبرئيل عليه السلام بصورته الحقيقية مرتين. وكان بحيث طبق الخافقين. وإلى مثل هذه الرؤية له عليه السلام أشار تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [١٢/٥٣] .

\* \* \*

ثم دون هذا الضرب بسائر درجاته مما يتفق لمن له من القوة القدسية نصيب أن يرى ملائكة الله ويسمع كلام الله ولكن في النوم لافي اليقظة. وسبيل القول أيضاً أن الأمر

(١) البخاري: ٣/١ وفيه فروق يسيرة .

(٢) راجع دلائل النبوة للبيهقي: ١١٧/٢ .

هيهنا ينتهى إلى القوّة المتخيّلة ويقف عندها بمحاكاتها وتفصيلها وترتيبها لما قد طالعه النفس من عالم الملكوت من دون أن تتمثل الصورة بألفاظها المعبرة بين يديّ الحس وذلك لضعف القوّة الخياليّة أو لقوّة العائق وكثافة المادّة. فإنّ القوّة الخياليّة عندنا تفعل فعل الحواسّ الظاهرة كلّها عندما كانت قويّة والعائق البدنيّ ضعيفاً، فلها أن تعزل الحواسّ عن أفعالها .

وبهذا يتحقّق الفرق بين مطالعة الأنبياء عليهم السلام للصور الباطنة وبين مطالعة غيرهم إياها كأولياء والحكماء .

فالرؤيا الصالحة لنفوس العرفاء والصالحين إنّما هي واقعة في هذا الطريق غير واصلة إلى درجة النبوة وبلوغ الغاية. ولهذا ورد في الحديث أنّها جزءٌ من ستّة وأربعين جزءاً، أو من خمسة وأربعين، أو من سبعين جزءاً على اختلاف الروايات .

وقصارى مرتبة الرؤيا وأقصاها كما لأما وقع للمحدّثين بفتح الدال المشدّد وهم الذين يرفضون عالم الشهادة و يصعدون إلى عالم الغيب ، فربما يسمعون الصوت في اليقظة من سبيل الباطن ولكنهم لا يعاينون شخصاً متشبّحاً كما مرّ ذكره في المفاتيح الغيبية .

وفي كتاب الحجّة من كتب الكليني رحمه الله باب في الفرق بين الرسول والنبّيّ والمحدّث، والأئمة عليهم السلام كلّهم محدّثون مفهمون .

## فصل مشرقى

متعلق بقوله : « وبالآخرة هم يوقنون »

اعلم إنّ اليقين هو العلم بالشيء بعد أن يكون صاحبه شاكّ فيه ولذلك لا يقول القائل :

(١) راجع جامع الاصول : الكتاب الخامس من حرف التاء ، الفصل الاول : ٧١ / ٣

تبيّنت أنّ السماء فوق الأرض، وأنّ الكلّ أعظم من الجزء ، فيقال ذلك في العلم الحادث والمكتسب. وستعلم إنّ العلم بالآخرة وما فيها لا يحصل إلا من جهة العلم بما في الدنيا. ثم إنه تعالى مدحهم على كونهم متيقّنين بالآخرة، ومعلوم إن مجرد الايقان بها لأحدٍ لا يوجب استحسان التمدّح ، بل لا يستحقّ المدح إلا من تيقّن بوجود الآخرة مع ما فيها من الحشر والنشور والحساب والميزان والجنة والنار ، وما فيهما من نعيم السعداء وجحيم الأشقياء .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال : يا عجباً كل العجب من الشاكّ في الله وهو قدير خلقه. وعجباً ممن يعرف النشأة الأولى وينكر النشأة الآخرة. وعجباً ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم وليلة يموت ويحيى. يعنى النوم واليقظة. وعجباً ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ويسمى لدار الغرور. وعجباً للمتكبر الفخور وهو يعلم إنّ أوله نظفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة.

وإنّما قال صلى الله عليه وآله: عجباً ممن يعرف النشأة الأولى وينكر النشأة الآخرة لأنهما متضايقتان ، والمتضايقتان معانٍ في التعقّل. فمن أنكر الآخرة فكأنه لم يعرف الدنيا بحسب التعقّل بل بالحس فقط .

وتحقيق هذا المقام: إنّ الآخرة صفة للنشأة أو الدار وإنّما وُصفت بها لأنّها متأخّرة عن النشأة الأولى والدار الدنيا .

وإنّما سمّيت الدنيا بالدنيا، لأنها أدنى من الآخرة بالقياس إلينا لا بحسب الترتيب الوجودي ، فإنّ هذه الدار آخر العوالم والنشآت طبعاً وشرفاً لأنّ موجوداتها آخر الموجودات وأبعدها في سلسلة الاستناد إلى المبدء الأول وبارئ الكلّ، والإنسان في مبدأ كونه وحدوثه هو من جملة الموجودات الواقعة في هذه الدار ، لأنّه في أول الوجود من حزب الحيوانات، ونشأة الحيوان بما هو حيوان نشأة الحسّ والمحسوس ، ولهذا حدّ بأنّه جوهر فيبعد حسّاس والحساس تمام حقيقته ، وكمال أول لجنسه به يتمّ نوعه ويكمل جنسه .

فما من حيوان إلا وله قوة الحسّ أي حسّ كان، وإن كان مجرد قوة اللمس، وهذا أنزل مراتب الحيوانات كالذود والخراطين وآخر مراتب الحيوانية يتحقق فيباليه الحواسّ الظاهرة والباطنة جميعاً، فإن كان مع ذلك يستعدّ لإدراك المعقولات بالقوة الواقعة في آخر الدرجات الحيوانية وأول النشآت الإنسانية ومنازله، فأول منزل من منازل الإنسان الذي يشارك معه سائر الحيوان، هو نشأة الحسّ ويقال لها الدنيا وعالم الشهادة وتقبله الآخرة وعالم الغيب، وهذا العالم هو منزل الأبدان والقوالب الحسية والآخرة منزل النفوس وبعدها منزل الأرواح القدسية .

وللإنسان أن ينتقل من منزل إلى منزل، فالمحسوسات منزل الأول، والمتخيّلات منزل الثاني، والمعقولات منزل الثالث، وهذا الانتقال هو بعينه من قبيل انتقاله الفكرية الواقعة له من المحسوس إلى المتخيّل، ومنه إلى المعقول.

فالدنيا نشأة الحسّ وعالم الشهادة، والإنسان مادام كونه في هذه النشأة بحسب الطبع غير مرتقي إلى ماورائها، فهو بعد من جملة البهائم والدوابّ والأنعام، وإذا انتقل إلى نيل المتخيّلات والوهيئات مقتصرأ عليهما فهو من قبيل الجنّ، إذ الجنّ والشياطين إدراكها مقصورة على المتخيّلات والموهومات وليس يفتح لهم باب الملكوت الأعلى .

وبعد هذا المنزل يترقى الإنسان إلى إدراك الأمور التي لا يدخل في حسّ ولا تخيّل ولا وهم فيشاهد الأمور المستقبلية الدائمة، ويكشف الصور العقلية ويتهبأ لإدراك الحقائق الاخروية والسرور الأبدية، ويصل إلى السعادة القصوى التي ليس وراءها سعادة، وهذا هو آخر درجات الإنسان وبه يتم حقيقة الإنسانية، لأن تمام حقيقته هي الروح المنسوبة إلى الله تعالى في قوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [٢٩/١٥] .

وإذا علمت هذه المقدمات، فاعلم إن معنى الايقان بالآخرة الذي مدح الله به طائفة من العرفاء والمحقّقين من أهل الايمان، المهتدين بنور الله، هو مكاشفة أحوال

الآخرة ومشاهدة الأرواح المجردة عن غشاوة هذه القوالب بواسطة انفتاح باب الملكوت على روزنة القلوب، وأعني بهذه الأرواح الحقائق المحضة والصور المجردة عن كسوة التلبس وغشاوة الأشكال.

وهذا العالم لانهاية لها، بخلاف عوالم المحسوسات والمتخيلات، فإنها متناهية. وأكثر الناس إدراكهم مقصور على عالم الحس والتخيل من الطبيعيات والمقداريات، ولم يؤمنوا بما وراء المحسوس والتخيل، ولم يعلموا علم ما قبل الطبيعة ولم يدعوا بها كما قال تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [١٢/١٠٣].

وهذان المنزلان هما النتيجة الأخيرة من نتائج عالم الملكوت، سيما عالم المحسوس فإنه القشر الأقصى من اللباب الأصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة، فكأنه لم يشاهد من مراتب الجوز إلا قشرته، ومن عجائب الإنسان لأبشرته. ومقام كل أحد ومحله ومنزله ومعهده في العلو والسفل بقدر إدراكه وهو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «الناس أبناء ما يحسنون» أي يعلمون وبه يعملون.

فالإنسان بين أن يكون بهيمة أوجنياً أو ملكاً، وللملائكة درجات. فالسير في عالم الملكوت وفيه منبع الحياة الأبدية، مثاله المشي على الماء، ثم يترقى منه إلى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء، قال: لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء.

وأما التردد على المحسوسات، فهو كالمشي على الأرض؛ وبينها وبين الماء - أي عالم الملكوت - عالم يجري مجرى السفينة والمعبور من عالم الملك إلى عالم الملكوت الأعلى، وفيها يتولد درجات الجن والشياطين.

فمتى تجاوز الإنسان عالم البهائم ينتهي إلى عالم الجن والشياطين. ومنه يسافر إلى

(١) بحار الأنوار: الروضة، باب ما جمع من جوامع كلمة (ع): ٧٨ / ٤٦٠.

(٢) كنز العمال: اليقين: ٣ / ٤٣٩.

عالم الملائكة وقد ينزل فيها ويسمى وشرح ذلك يطول.

وهذه العوالم كلها منازل للهدى، ولكن الهدى المنسوب إلى الله يوجد في العالم الأخير وهو عالم الأرواح وهو قوله ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ اللَّهُ فِتْنَةً مَّنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ الْأَخِيرِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ رَبِّهِمْ أَصْنَاءُ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٣/٣].

ولهذا قد وصف تعالى أولئك الموقنين بالآخرة على طريقة المدح بقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ معنى هذا الاستعلاء بيان لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه تشبيهاً بحال من اعتلى الشيء وركبه، واستعارة لعلّى الموضوعه للثاني للاول، ونظيره فلان على الحق وفلان على الباطل.

وربما وقع التصريح به كما في قولهم: ركب على متن الجهل وجعل الغواية مركباً والجهل مطيةً وامتطى الباطل.

وتحقيق القول في كونهم على الهدى تكرر الإدراكات للأموال العقلية وتكثر الاشتغال بملاحظة الأشياء الملكوتية والمواظبة على الأفكار الصحيحة ودفع الشكوك والشبهات عن المقاصد الحقّة وطرد شياطين الأوهام والخيالات بنور المعرفة واليقين حتى يحصل للنفس ملكة الاتصال بعالم الملكوت متى شاءت من غير تجشّم وكثير تعمل. فكانه تعالى لمّا مدحهم بالإيمان بما أنزل على الأنبياء عليهم السلام والاطلاع على ما في الصحف النازلة من السماء، مدحهم بالإقامة على ذلك وإدامة النظر فيها والمواظبة على حراستها عن شبه الضالّين، وأوهام المعطلين. وذلك واجب على كلّ عاقل إذا كان متشدداً في الدين خائفاً وجلّاماً سباً نفسه في علمه وعمله بمقتضى البراهين، وإذا حرس نفسه عن الزيغ والضلال وداوم على العمل للآخرة من غير إخلال، كان ممدوحاً بكونه على هدى وعلى بصيرة.

وتنكير هدى، للدلالة على ضربٍ مبهم لا يبلغ كنهه ولا يعلم غوره ولا يعرف قدره. قال بعض الأكابر: الهدى من الله كثير لا يبصره إلا بصير ولا يعمل به إلا يسير. الأثرى أن نجوم السماء يبصره كلّ بصير ولا يهتدى بها إلا عالمٌ خبير.

واعلم إنَّ الوجه في انتظام هذه الآية وتعلقها بما قبلها، أنَّ الجملة في محلِّ الرفع بالخبرية إذا جعل أحد الموصولين مفضولاً عن المتقين، فوقع الابتداء إما بالذين يُؤمنون بالغيِّب، أو بالذين الثاني مع صلته. وذلك لأنه لما قيل: هُدَى للمتقين، فكانه سئل: ما بالهم خصوا بذلك؟ فوقع الجواب بقوله: الذين يُؤمنون، إلى أولئك هم المفلحون. معناه إنَّ الموصوفين بهذه الصفات أحقَّ بأن يكونوا مختصين بالهدى والفوز على الفلاح.

ويحتمل الاستيناف، فلا يكون لها محلٌّ من الإعراب. فكانه نتيجة للاوصاف والأحكام المتقدمة، أو جواب عن سؤال كأنه قيل: ما بال الموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى؟ فاجيب بأنَّ مثلهم حقيقٌ دون غيرهم بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً. وإيراد اسم الإشارة في هذا المقام أبلغ من أن يستأنف بإعادة الإسم وحده، لأنَّ ذلك بمنزلة إعادة الموصوف بجميع صفاته المذكورة، فكان فيه ذكر المقتضي للحكم بخلاف هذا. وفي تكريره تنبيهٌ على أنَّ اتصافهم بالصفات المذكورة يقتضي كل واحد من الأمرين: الهدى والفلاح، على سبيل الاستقلال، وأنَّ كلاً منهما كافٍ في تمييزهم عن غيرهم.

وتوسيط العاطفة ههنا وعدم توسيطها في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّهْمُ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ للاختلاف الحكمين ههنا واتحادهما هناك، فإنَّ التسجيل عليهم بالبهمية وبالغفلة شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل. وهم إما فصل، وله فائدتان: تمييز الخبر عن الصفة وتخصيص المسند بالمسند إليه.

أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك.

ومعنى التعريف في المفلحون، الدلالة على أنَّ المتقين الموصوفين بتلك الصفات، هم الذين بلغك أنهم من أهل الفلاح، والمفلح هو الظافر بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذا المفلح بالجيم وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين دالٌّ

على معنى الفتح والشقّ نحو فلتق وفلدو فلى ولهذا يسمى الزارعُ فلاحاً ومشقوقُ الشفة السفلى أفلح. وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح.

### مبحث كلامي

[الجواب عن احتجاج الوعيدية والمرجئة]

احتجّت كلّ واحدة من الفرقتين الوعيدية والمرجئة بهذه الآية على حقيقة مذهبها: أما الوعيدية فبأن الحصر المستفاد من أولئك هم المفلحون، وتعليق الحكم على الوصف السابق المشعر بكونه علة، كلّ منهما يدلّ على أن الإخلال بشيء من الإيمان والصلوة والزكوة يوجب عدم الفلاح، وهو بعينه وعيد مرتكب الكبيرة كتارك الصلوة والزكوة وإن تحقّق فيه أصل الإيمان.

وأما المرجئة، فبأنه بمقتضى الآية، وجب أن يكون الموصوف بهذه الصفات، مفلحاً وإن زنى وسرق، وإذا تحقّق الفلاح في هذا البعض تحقّق في غيرهم ضرورة إذ لا قائل بالفرق.

والجواب عنهما أولاً بالمعارضة على كل منهما بالأخر فينساقطان، ثم عن حجة الوعيدية بأن المراد من قوله تعالى: أولئك هم المفلحون، إنهم الكاملون في الفلاح، فيلزم أن يكون غيرهم - كصاحب الكبيرة - غير كامل في الفلاح ونحن قائلون بموجبه: إذ الفلاح التام ما لا يكون معه خوف العقاب الدائم وتجويز عدم الخلاص، وبأن نفي السبب الواحد لا يوجب نفي المعلول إذا كان له سبب آخر، وعندنا من أسباب الفلاح عفو الله.

وعن حجة المرجئة بأن وصفهم بالتقوى والإيمان الكامل يكفي سبباً للفلاح وحصول الثواب لتضمّنه انتفاء المعاصي وانتفاء ترك الواجبات.



## تحقيق عرشي

[هل توجب الكبيرة الخلود في النار؟]

اعلم إن سبب خلود أهل النار في النار وحرمانهم عن النجاة هو الملكة الراسخة للنفس بواسطة الأفاعيل الموجبة لحصول ما هو فيها بمنزلة الطبع والرّين في المرآة المقتضي لعدم قبولها للتصقيل والتصفية، سواء كان منشأها الكفر والجحود، أو المعاصي والسيئات.

فإنّ النفس الإنسانية في الفطرة الأولى قابلة لقبول آثار الملائكة و آثار الشيطانية و آثار البهائم والسباع قبولاً متساوياً، وإنما يقع المنع لها عن قبول تلك الآثار بواسطة حصول بعض آخر لها، ومتى اشتدّ حصول البعض فيها بحيث صار ملكة راسخة فيها، منع بالكلية عن قبول آثار الغير، فمتى رسخت للقلب صفات البهيمية أو السبعية أو الشيطانية بحيث أنها صارت ملكة كالطبع والرّين لمرآة القلب، فكدرتها وظلمتها صارت مانعة له عن قبول صورة الرحمة الرحموتية والهيئة الملكوتية منعاً كلياً أبدياً لكون المانع هناك صفة ذاتية جوهرية كما حقق في مجال أوسع من هذا المجال.

وقدمت الإشارة إلى أن الإنسان في أول أمره، بين أن يكون بهيمة أو سبعا أو شيطانا أو ملكا، وفي الآخرة لا يكون إلا أحد هذه الأمور لأجل غلبة بعض الصفات المختصه به على قلبه من جهة تكرّر أفاعيل تناسبها، وإلى نحو هذا المعنى أشير في قوله ﴿فَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وقوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

فإذا تفرّر هذا، فربّ كبيرة من المعاصي يوجب تكرّر فعلها عن النفس خلودها في النار لضعف الإيمان وقوة العائق عن الخلاص، وربّ كبيرة لا يكون كذلك لقوة الإيمان وضعف العائق فيحتمل العفو عنها، والله أعلم بأحوال قلوب العباد . فعلى هذا لا تناقض بين الآيات الدالة على ثبوت الوعيد من الله على صاحب الكبيرة والآيات الدالة على ثبوت العفو عمّن يشاء، وسنزيد لهذا وضوحاً في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

قوله جل اسمه :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

«إن» من الحروف ، والحروف بما هي حروف ، لأصل لها في العمل إلا أن إن وأخواتها لما شابهت الفعل في عدد بسائطها، وبنائها على الفتح، ولزوم الأسماء، وإعطاء معانيه وخصوصاً المتعدى في دخولها على اسمين عملت عمله الفرعي، وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني ابذاناً بأنه فرع في العمل دخيل فيه. ومعناها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويذكر في معرض الشك.

روى الأنباري: أن الكندي المتفلسف ركب إلى المبرد وقال: إنني أجد في كلام العرب حشواً؛ أجد العرب يقول: عبد الله قائمٌ، ثم يقول: إن عبد الله قائمٌ، ثم يقول: إن عبد الله قائمٌ، فقال المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ :

ففي الأول إخبارٌ عن قيامه ، وفي الثاني جوابٌ عن سؤال سائل، وفي الثالث جوابٌ عن إنكار منكر لقيامه .

وتعريف الموصول إمّا للعهد إذا كان إشارة إلى جماعة معينة كأبي جهل وأبي لهب والوليد بن مغيرة وأخبار اليهود ، أو للجنس إذا أريد به المتناول للمصمّين على الكفر وغيرهم ، فخصّ عنهم غير المصرّين بما أسند إليه .

والكُفر في اللغة: إخفاء حق النعمة. وهو منقول لغوي عن الكُفر بالفتح وهو الستر، ولهذا يقال للزارع: الكافرو كذا الليل. ولكمام الثمرة: كافور.

وفي عرف الشريعة: إنكار ما علم بالضرورة من دين نبينا صلى الله عليه وآله وذلك ان كل ما نقل عنه صلى الله عليه وآله انه ذهب إليه وقال به، فإما أن يعرف صحة ذلك النقل بالضرورة، أو بالاستدلال، أو بخبر الواحد.

أما القسم الأول وهو الذي علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وآله به فمن صدقه في جميع ذلك فهو مؤمن ومن لم يصدقه في كل ذلك، فإما بأن لا يصدقه في جميعها أو بان لا يصدقه في البعض دون البعض، فذلك هو الكافر. إذ الكفر عدم تصديق الرسول صلى الله عليه وآله في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به.

ومثاله من أنكر وجود الصانع أو كونه عالماً قادراً مختاراً أو كونه واحداً منزهاً عن النقائص والآفات أو أنكر صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله أو صحة القرآن أو الشرائع التي علم كونها من دين نبينا صلى الله عليه وآله كوجوب الصلوة والزكوة وحُرمة الزنا والخمر فهو كافر لإنكاره ضرورياً من هذا الدين.

فأما الذي يعرف بالدليل أنه من الدين، مثل عينية الصفات له تعالى أو زيادتها وكونه تعالى جائر الرؤية أم لا وكون كلام الله قديماً أو محدثاً وكونه خالق أفعال العباد أم لا مما لم ينقل بالتواتر القاطع أحد طرفيه فليس إنكاره ولا إقراره داخل في مهية الايمان، ولا موجبا للكفر.

والدليل عليه، أنه لو كان جزءاً لمهية الايمان، لوجب أن لا يحكم النبي صلى الله عليه وآله بابمان أحد إلا بعد أن يعرف أنه هل يعرف الحق في تلك المسئلة؛ ولو كان كذلك، لاشتهر قول النبي صلى الله عليه وآله في تلك المسئلة بين جميع الأمة ولكن منقولا بالتواتر وليس الأمر كذلك، ونفي التالي يوجب نفي المقدم، فوجب أن لا يكون معرفتها من أجزاء الايمان ولا إنكارها موجبا للكفر وأما المنقول بخبر الواحد،

فالامر فيه أظهر.<sup>(١)</sup>

\* \* \*

فهذا تحقيق مهية الكفر على قاعدة الاستدلالات الكلامية وظهر منه انه يرجع إلى الانكار الباطني أو عدم التصديق القلبي فيكون من أعمال القلب كالإيمان لكونهما متقابلان إما تقابل التضاد أو تقابل العدم والملكة كالعلم والجهل. فعلى هذا لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما إنما يسمي كفراً لأنها تدل على تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله. فإن آمن بالله وصدق الرسول، لا يجترىء عليها ظاهر الأنهما كفر في نفسها كما ان التزيى بشعار المسلمين دال على الايمان، لإنه ايمان.

وأما تحقيق حقيقة الكفر عند العرفاء الذين يعرفون الأمور بالبصيرة الباطنية لا بالاستدلال الكلامي، فهو انه عبارة عن الاحتجاب عن نور الايمان، لما علمت ان الايمان الحقيقي نور فائض من الله على القلب، به ينكشف أحوال المبدء وأسرار المعاد، ولهذا الايمان قشرو هو ايمان المتكلم. ولقشره قشرو هو ايمان العوام.

فالكفر الذي يقابله، هو الستر والاحتجاب عن ذلك النور بالكلية وهو على ضربين: لان هذا الاحتجاب إما بسأمر وجودي كالظلمة التي يصاد ذلك النور، وهو الجحود للحق والانكار له عدواناً وعناداً للجهل المركب الراسخ في النفس أو بأمر عدمي هو عبارة عن عدم الايمان للجهل البسيط المقابل للعلم تقابل العدم للملكة.

وقد وقع الفرق بين القسمين في كلام الله كثيراً كما في هذه الآية والآية التي يتلوها، ولهذا قيل: إن المراد ههنا بقوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا» مشركي مكة وصناديد قریش من الذين غلظت طبائعهم وغلبت الكثافة والجسمية على نفوسهم والختم على قلوبهم، فقلوبهم في أكنة ونفوسهم لم تخرج بعد من القوة إلى الفعل لعدم السمع الباطني والبصر الباطني لهم.

(١) الفخر الرازي: ٢٥٩/١.

ونظيره ما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية ﴿٩/٣٦﴾ .

وقوله ﴿فَاعْرَضْ أَكْثَرَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وقالوا ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ﴿٥/٤١﴾ .

والمراد بقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ رؤساء اليهود وأجبارهم الذين عاندوا الحق وأنكروا الآيات وجحدوها وكانوا يخادعون الله ورسوله، وهؤلاء أسوء حالاً وأردء مآلماً للمشركين، وسنزيدك ايضاحاً بإنشاء الله.

## فصل

### [ الاقوال في حدوث كلامه تعالى ]

احتجّت المعتزلة على حدوث كلامه تعالى - سواء كان ألفاظاً بهذه الحروف والأصوات أو شيئاً آخر بالإخبارات الواقعة في القرآن بصيغة الماضي الدالة على تقدم الواقعة المخبر عنها بهذه الصيغة عليه ، اذ القديم لا يكون مسبوقاً بغيره .

وأجابت الأشاعرة عنه بما هو المشهور عنهم بأن التجدد والمضي والانقضاء وغيرها كلها صفة تعلق الكلام، وحدث التعلق لا يوجب حدوث الشيء المتعلق. نظيره في صفة العلم إن الله تعالى كان في الأزل عالماً بأن العالم سيوجد، فلما أوجده انقلب العلم بأنه سيوجد في المستقبل عالماً بأنه قد وجد في الماضي. ولم يلزم حدوث علم الله، فكذا هي هنا بأن يقال: أن أخبر الله تعالى في الأزل بأنهم سيكفرون فلما وجد كفروهم صار ذلك خبراً عن أنهم قد كفروا ولم يلزم حدوث.

وكلمات الفريقين في هذه المسئلة كثيرة مما لا طائل تحتها ولا يزيد الخوض فيها إلا بعداً عن الحق وقساوة في القلب، والصواب الرجوع عنها إلى طريقة أهل الله والاعتباس عن مشكوة النبوة بحق المتابعة للرسول وآله عليهم السلام.

## فصل

قوله: سوا عليهم، هو اسم بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر ومنه قوله تعالى ﴿تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [٦٤/٣] وقوله ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ﴾ [١٠/٢١] بمعنى مستوية وهو مرفوع إما بأنه خبر لإِنَّ وَاَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فِي مَوْضِعِ الْمَرْتَفِعِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، كأنه قيل: إِنَّ الكافرين مستوي عليهم إنذارك وعدمه.

أوبأته خبر لأنذرتهم أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ، وَاَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ الْمَقْدَمِ عَلَيْهِ خَبْرُهُ، والجمله خبر لإِنَّ، بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم.

والثاني أولى، لأنَّ «سواء» اسم فتنزيلة منزلة الفعل ترك للظاهر بلا ضرورة . فأما ضرورة الفعل مبتداء مخبراً عنه ههنا مع أنهم اتفقوا على أَنَّ الفعل لا يكون مخبراً ولا مخبراً عنه فمن قال: ضرب خرج. لم يكن آتياً بكلام منظم. فالوجه في صحته أَنَّ الفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا كان على صرافة حاله وتام مفهومه الموضوع له من حيث اشتماله على المعنى النسبي الممتنع الحكم عليه وبه. وأما لو أطلق وأريد به اللفظ كما في قولك: «ضرب على وزن فعل» أو مطلق المعنى الحدتي الدال عليه الفعل ضمناً على سبيل الاتساع ، فهو كالاسم فيما يختص به من الإضافة والإسناد إليه كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ وقوله ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْ﴾ [٣٥/١٢] وقوله ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [١٩/٥] [وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

ولأننا إذا قلنا: الفعل لا يخبر عنه، فهذا خطأ إذ قد صار الفعل مخبراً عنه، ولأن المخبر عنه بأنه فعل لا بد وأن يكون فعلاً فالفعل قد أخبر عنه بأنه فعل.

فإن قيل: المخبر عنه تلك الكلمة، وتلك الكلمة اسم. قلنا: إذا كان اسماً كان

الإخبار عنه بأنه فعل، كذباً. والتحقيق انّ المخبر عنه بأنه فعل لا يخلو إيمان يكون اسماً أو فعلاً فإن كان اسماً فقد حكمت على الاسم بأنه فعل فيكون كاذباً، وإن كان فعلاً فقد وقع الإخبار عن الفعل وهو المطلوب.

\* \* \*

وهذا الوجه الأخير الذي قلته مما ذكره صاحب التفسير الكبير<sup>(١)</sup> وأقول هذه شبهة كسبهة المجهول المطلق ، لا يجوز التمسك بهافي هذا المقام ونظائره لأنها منحلّة العقدة بما حُقّق في الحكمة الميزانية، وهو إنّ الحمل-أي الحكم العقلي بالاتحاد بين شيئين بهو هو على ضربين:

أحدهما الحمل الشائع كما في قولك زيدٌ حيوان في الذاتيات وزيدٌ كاتب في العرَضيات، ومفاده ومصدقه كون الموضوع من أفراد المحمول، سواء كان فرده بالذات أو بالعرض وسواء كان الحكم على أفراد الموضوع كما في القضية المحصورة أو على نفس مفهومه كما في القضية الطبيعية.

وثانيهما الحمل الذاتي الأولي ومفاده كون أحد المفهومين عنواناً للآخر سواء كان نفسه كما في حمل المترادفين أحدهما على الآخر كقولك: الإنسانُ بشرٌ، أو كان بينهما تفاوتٌ بالإجمال والتفصيل كما في قولك: الإنسان حيوان ناطق ، إذا حكمت على نفس المفهوم في المثالين.

فإذا تقرّر هذا فنقول: كل شيء هو يصدق على نفسه بالحمل الأولي، لاستحالة سلب الشيء عن نفسه؛ وإنّ بعض الأشياء مما لا يصدق على نفسه بالحمل الشائع بل نقيضه يصدق عليه بهذا الحمل، وبعضها يصدق على نفسه بكلّ الحملين.

فالأول كالجزئي، فإنه ليس بجزئي لأنّ مفهومه كليٌّ كاللامفهوم، فإنه مفهومٌ. والثاني كالكلي والمفهوم ونظائرهما.

فقولك: الجزئيُّ جزئيٌّ والجزئيُّ ليس بجزئيٍّ، كلاهما صحيح صادق من غير تناقض عند اختلاف الحملين.

ولهذا اعتبر في شرائط التناقض بين القضيتين وحدة الحمل سوى الوحدات الثمان المشهورات.

ثم إنَّ من جملة الأشياء التي يصدق ويكذب على نفسها <sup>وعينها</sup> مفهوم الفعل ومفهوم الحرف، فإنَّ كلاً منهما يصدق على نفسه ويكذب عنها أيضاً من غير تناقض بمفهوم الحرف مفهوم الحرف بأحد الحملين، بمعنى أنَّه عين مفهوم ما دلَّ على معنى في غيره كعينية الحدِّ مع المحدود وغيره بالحمل الآخر إذ يصدق عليه حدُّ الإسم.

وكذا لفظ «الحرف» حرفٌ واسمٌ باعتبارين : باعتبار أنَّه بعينه لفظ الحرف ، وباعتبار أنَّه يصدق عليه حدُّ الإسم أي كلمةٌ دلَّت على معنى في نفسه. وعلى هذا فقس الفعل. فقد ثبت وتحقق بما ذكرنا إنَّ الفعل إذا أريد به المفهوم العنواني، يجوز الحكم عليه وبه بالاتفاق من أفراد الإسم. كقولك: الفعلُ ما دلَّ على معنى مقترن بالزمان وهذا غير مانحن فيه، إذ لا بحث عنه ههنا ولم ينقل خلافٌ لأحديه، إنَّما الكلام في أفراد هذا المعنى وهي التي يصدق عليها حدُّ الفعل ومفهومه كضربٍ وعلمٍ وأمثالهما هل يصح الإخبار عنها أم لا وهذا هو محلُّ البحث وموضع الخلاف.

وبما ذكره لم يثبت صحَّة الإخبار عن ما يصدق عليه الفعل، فالوجه كما ذكرنا أولاً من جواز ذلك عند الضرورة وعلى سبيل التجوُّز أو الحكاية. لكن بقي أن يقال: ما الفائدة في العدول ههنا عن الحقيقة؟ فنقول: قد عدل من المصدر إلى الفعل تنبيهاً على التجدد لأنَّ القوم كانوا قد بلغوا في الاصرار واللجاج والإنكار للحق والإعراض عن الآيات والنذر، إلى حالة ما بقي منهم رجاءُ القبول ألبتَّة، وقبل ذلك ما كانوا كذلك، ولو قال: «سواءٌ عليهم إنذارك وعدم إنذارك لم يفد تجدد هذه الحالة في هذا الوقت دون ما قبله.



واعلم إن الهمزة و أم هيهنا عاريتان عن معنى الاستفهام ، وإتماهما لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فقط. قال سيبويه: جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة . فإنها للمجرد الاختصاص<sup>(١)</sup> . ومعنى الإنذار هو التخويف عن عقاب الله وإتما اختصر عليه دون البشارة، لأن تأثيره أوقع في القلب وأشد من جهة أن دفع المضرة أهم من جلب المنفعة . وفي **ءَأَنْذَرْتَهُمْ سِتَّ قَرَأَتْ**: تحقيق الهمزتين بينهما ألف أولاً،<sup>(٢)</sup> وتخفيف الثانية بين بين وبينهما ألف أو لا وحذف الاستفهامية والقاء حر كنه على الساكن. وقرىء بتخفيف الأولى وإبدالها هاء وهو شاذ.

وقوله : **لَا يُؤْمِنُونَ** جملة مفسرة لما قبلها لاجماله في مافية الاستواء فلامحل لها من الإعراب، أو حال مؤكدة له أو بديل عنه، أو خبر إن وما قبلها. اعترض بما هو سبب الحكم.

## فصل

### [ احتجاجات الأشاعرة والمعتزلة بهذه الآية ونظائرها ]<sup>(٣)</sup>

ومما احتج به أهل السنة على صحة القول بالتكليف بما لا يطاق عليه هذه الآية ونظائرها . كقوله : **﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [٧/٣٦] وقوله : **﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾** وقوله : **﴿سَارِقَهُ صُعُودًا﴾** [١٧/٧٤] وقوله : **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾** [١/١١١] .

وبيانه من جهة الكلام إنه تعالى أخبر عن شخص معين أنه لا يؤمن قط، فلو صدر

(١) يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام - ولا استفهام ، كما ان ذلك جرى على صورة النداء - ولانداء ( الكشاف : ١١٧/١ ) .

(٢) اي : لالف بينهما .

(٣) المطالب المذكورة في هذا الفصل منقولة من تفسير الرازي ١/٢٦٥ .

منه الايمان يلزم الكذب على الله في كلامه ومن جهة العلم: إنه تعالى علم منه في الأزل إنه لا يؤمن. فلو آمن يلزم انقلاب علمه جهلاً. وذلك محال؛ فكذا ما يستلزمه. فصدور الايمان منه محالٌ وقد كلف به .  
 وأيضاً الايمان يُعتبر فيه التصديق بكل ما أخبر الله عنه، ومن جملة: إنهم لا يؤمنون. فقد صاروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون، وهذا تكليف بالجمع بين النفي والاثبات فهذه عمدة الوجوه التي تمسك بها السلف من الأشاعرة في دفع أصول المعتزلة وهدم قواينهم. وهم تفصّوا عن هذه الاحتجاجات إجمالاً وتفصيلاً.  
 أمّا المقام الأول فبيان أن علم الله تعالى وخبره عن عدم الايمان، لا يجوز أن يكون مانعاً من الايمان لوجوه:

الأول: إن القرآن مملو من الآيات الدالة على أن لا مانع لأحد من الايمان كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ﴾ [١٧/٩٤] والكلام إنكار بصورة الإستفهام، دال على أن المانع من أن يؤمنوا منتفٍ في الواقع. و كقوله لابليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [٣٨/٧٥] وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٠/٨٤] ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [٧٢/٢٩].

والثاني إن الله تعالى قال: ﴿رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [٤/١٦٥] وقال: ﴿وَ لَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ قَبْلَهُ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [٢٠/١٣٢] فقد تبين انه ما أبقى لهم عذراً إلا وقد أزاله عنهم. فلو كان علمه تعالى بكفرهم مانعاً لهم عن الايمان لكان ذلك من أعظم الأعذار وأقوى الوجوه الدافعة لاستحقاقهم للعقاب. والثاني باطلٌ، فكذا المقدم .

والثالث: انه ذكر في مقام الدم والزجر والتقييح قوله ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم﴾ الآية، فلو كانوا ممنوعين عن الايمان غير قادرين عليه، لما استحقوا التقييح البتة،

بل كانوا معذورين كالأعمى في أن لا يرى.

والرابع: إن القرآن إنما أنزل ليكون حجة لله ولرسوله عليهم، لأن يكون حجة لهم على الله وعلى رسوله، فلو كان العلم والخبر مانعين لكان لهم أن يقولوا: إنما كفرنا لسبق القضاء على كفرنا وترك المقضي مستحيل، فلم يطلب المحال منا ولم يأمرنا بالمحال؟! والخامس: إنه لو كان علمه السابق بعدم الإيمان مانعاً عن الإيمان، لوجب أن لا يكون الله قادراً على شيء أصلاً. والتالي باطل فكذا المقدم، بيان الملازمة إن الذي علم وقوعه واجب والذي علم عدم وقوعه ممتنع، وشيء من الواجب والممتنع لا يكون مقدوراً إذا المصحح للمقدورية هو الإمكان، ودون قسيميه .

والسادس: إن الأمر بالمحال سفة وعبث، فلو جاز ورود الشرع به. لجاز وروده بكل أنواع السفة، فما كان يمنع وروده باظهار المعجزة على يد الكاذب، فلا يبقى وثوق بصحة النبوات ولا بصحة القرآن وسائر الكتب. بل يجوز أن يكون الكل سفةً وباطلاً.

والسابع: لو جاز ورود الأمر بالمحال لجاز الأمر للأعمى برؤية النجوم في السماء، والزمن بالطيران في الهواء. ولو جاز ذلك لجاز بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الجمادات والعجموات، وإنزال الكتب والملائكة عليهما لتبليغ التكليف حالاً بعد حال، ومعلوم أن ذلك سخرية وتلاعب بالدين.

قال صاحب بن عباد في فصل له في هذا الباب: كيف يأمر بالآيمان وقد منعه منه؟ وينهاه عن الكفر وقد حمله عليه؟ وكيف يصرفهم عن الآيمان ثم يقول ﴿أَنْتَ يَا بُرْهَانَ﴾ [٦٩/٤٠] ويخلق فيهم الإفك ثم يقول: ﴿أَنْتَ يَا بُرْهَانَ﴾ [٧٥/٥] وأنشأ فيهم الكفر ثم يقول: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ [٩٨/٣] وخلق فيهم لبس الحق بالباطل، ثم يقول: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [٤٢/٢] وصدّهم عن السبيل ثم يقول: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٩٩/٣] وحال بينهم وبين الآيمان ثم قال ﴿وَمَا ذَاعَ لِيهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾ [٣٩/٤] وذهب بهم عن الرشدين ثم قال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [٢٦/٨١] وأضلّهم عن

الدين حتى أعرضوا ثم قال ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [٢٤ / ٤٩] .  
 والثامن من الايات الدالة على أنّ التكليف بما لا يطاق لم يقع قال سبحانه:  
 ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [٢ / ٢٨٦] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ  
 حَرَجٍ﴾ [٢٢ / ٢٨] وقال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾  
 [٧ / ١٥٢] وأي حرج ومشقة فوق التكليف بالمحال.

\* \* \*

أما المقام الثاني، فهو الجواب على سبيل التفصيل فللمعتزلة فيه طريقان:  
 أحدهما: طريقة أبي هاشم وأبي علي الجبائي والقاضي عبد الجبار قالوا المن قال:  
 «لو وقع خلاف علم الله لانقلب علمه جهلاً» إنه قد أخطأ من قال: «إنه لانقلب علمه جهلاً»  
 وأخطأ أيضاً من قال: «إن علمه لانقلب جهلاً» ولكن يجب الامسك عن القولين.  
 وثانيهما: طريق الكعبي واختيار أبي الحسين البصري والمتأخرين منهم، إن العلم  
 تبع للمعلوم، فإذا فرضت الواقع من العبد هو الايمان؛ عرفت أن الحاصل في الأزل لله تعالى  
 العلم بالايمان. ومتى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلائل الايمان؛ عرفت أن الحاصل في  
 الأزل هو العلم بالكفر بدلائل الايمان، فهذا فرض علم بدلائل علم آخر لانه انقلاب في  
 العلم وتغيير له .

### تبصرة مشرقية

#### [الجبر والتفويض]

إعلم إن مسألة الجبر والإختيار من المسائل العظيمة المهمة في الاسلام وهي مما لم يتفتح  
 بعد إلى الآن بين جمهور أهل الكلام مع أنهم صرفوا عمرهم في تحرير الدلائل والمناقضات  
 وتقرير المباحث والمناظرات وتطويل الكلام وكثرة الرد والإحكام والنقض والإبرام،  
 حتى صارت معارك للآراء ومصادم للأهواء ولم يبق لأحد من الجانبين منزعة في

كثان فكره إلأورماها إلى صاحبه في ميدان المجادلة والمناظرة، ومع ذلك لم يأت أحد منهما بحاصل في الدين، ولم يظفر بطائل في سلوك طريق اليقين. بل مازادتهم هذه إلأاستكبار أو وجوداً أو عناداً ولم يزدهم إلأنفرة عن الحق وبعاداً، وذلك لاشتغالهم بالفروع عن الأصول واهتمامهم عن الواجب المهم بالفضول واستغراقهم في المجادلة بالردّ والقبول. ولذلك حُرّموا عن الوصول ومُنعوا عن معاينة المعاني لابفكر ونظم قياسي، وبشوا عن مشاهدة الحقائق لباعتمال ونصب تعريف حدّي أو رسمي، بل بأنوار شارقة متفاوتة وإلهامات بارقة متتالية تزيد في العمر والبقاء وتطلق الروح عن المهوى وتسلب النفس عن هذه القوى وترغبها عن الدنيا وتسوقها إلى العقبى وتشوقها إلى لقاء الربّ تعالى.

واعلم إن أكثر أصحاب البحوث قد تركوا وصية ربّهم ونصيحة نبيّهم سلام الله عليه وآله فيما أمروا من تزكية نفوسهم وتصفية بواطنهم وإصلاح قلوبهم وتعديل قواهم وتهذيب أخلاقهم وتصقيل مرآة قلوبهم ليتجلّى فيها خبايا عالم الملكوت، وينكشف لديها خفايا أسرار الجبروت، وادر كوا الاشياء كما هي كما وقع دعاء نبيّهم صلى الله عليه وآله له ولائته: «اللهم أرنا الأشياء كما هي» .

فرفضوا طريق الهداية والسعي في بلوغ النهاية ولم يقرؤا صحيفة الملكوت من كتابها ولم يأتوا البيوت من أبوابها، فاغترّوا من حقائق الدين بلوامع سراياها، و قنعوا فيه من أنوار وجوه الحكمة واليقين بظلمات نقابها، فاشتغلوا بما قد نهوا عنه بذكر عيوب بعضهم بعضاً وشنعة بعضهم على بعض، فصاروا إفرقاً ومذاهب وشيعاً وأحزاباً، كلّ حزب بما لديهم فرحون، وهم في العذاب مشتركون، إلأمن آمن منهم بالله واليوم الآخر بصيرة صافية عن غشاوة الشكّ والامتراء، وقلب فارغ عن مرض العناد والمرءاء .

ولماتر كوا وصية ربّهم، ونصيحة رسولهم ونسوا يوم الآخرة ور كئوا إلى الدنيا،

توقد بينهم نيران العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة، فيلعن بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم  
ويطعن بعضهم على بعض بحرقه في قلوبهم وألم في نفوسهم، كما حكى الله عن أهل  
الجحيم بقوله: ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ [٣٨/٧] وقالوا ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ  
أَضَلُّونَا﴾ [٣٨/٧] يعني: من كان بينهم رئيساً ومقتداً في رأيهم في الضلال، وقيل لهم  
﴿ذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [٣٩/٧]

وبظهور هذه الآراء الفاسدة والبِدع الخبيثة والأهواء السردية انطمس أهل  
الحق وضاع السير الفاضلة وغابت العلوم الإلهية من بين الخلق، وصارت كأن لم يكن  
شيئاً مذكوراً.

وهذه الآراء والأهواء كثيرة كلها من هذا القبيل، وستعلم وجه بطلانها مع  
هذه الشهرة العظيمة للقائلين بها والرواج لها حيث ترى الكتب الكلامية وغيرها مشحونة  
بذكرها وذكر نظائرها ونسبة قائلها إلى الفضل والبراعة والخوض في تحقيق أصول  
الشريعة وفروعها بهذه الكلمات الواهية والآراء العاطلة.

فكانوا يتصدرون في المجالس ويتفاخرون على الأماثل ويعينون بالأنامل،  
وبضاعتهم في العلم والمعرفة ورأس مالهم في الفضيلة <sup>[أمور]</sup> بأمور لا تفيد علماً ولا تنتج فائدة.  
مثل كلامهم في الطفرة والتفكيك، وسكون المتحرك، والتداخل، وشيئة المعدوم  
وإعادته. ونفي الجزء وإثبات الخلاء، وإنكار الروح، ونفي التوحيد، وإثبات الكثرة  
على الله، وتجويز الرؤية له، وخلق الأعمال، ونفي القدرة عن العبد ونفي الوجود الذهني؛  
وانكار عالم الملكوت والنشأة الباقية، وجوهرية الطعوم والروائح بل رؤيتها إلى غير  
ذلك من المسائل المموّهة المزخرفة التي لاحقيقة لها ولا وجود إلا في الأوهام الكاذبة،  
لاتصحّ لمدع فيها حجةً ولالساثل عنها برهان.

وثلة من الأولين منهم قد بقوا في هذا الزمان، شاهدناهم يخوضون في الثواني  
والمعقولات، وهم لا يعرفون الأوائل والمحسوسات، ويتعاطون البراهين من غير ممارسة

علم المنطقيّات، ويتكلّمون في الإلهيّات وهم بجهلون الطبيعيات، وإذا سئلوا عن أشياء مقرون بها عند أكثر الناس، لا يُحسنون أن يجيبوا عنها. وإذا استقصى عليهم السؤال والبحث، فكلامهم فيها أوهن من بيوت العنكبوت ويأبون أن يقولوا : لاندري. الله ورسوله وأوليائه أعلم، بل يلجّون في خيالاتهم الواهية وفي طغيانهم بعمهون. فلنرجع إلى تحقيق القول في هذه المسئلة وتوهين مآقرّوه والجواب عما ذكره وكشف الفضيحة عما تصوّروه في فصلين نذكر فيهما فساد القولين وبطلان المذهبين: الجبر والاختيار .

### فصل

#### [رد احتجاجات المجرّة]

أما قول المجرّة بجواز تكليف المحال والجبر للعبد في الأفعال من جهة علم الله بحقيقة الأحوال أو إخباره عن كفر طائفة ونكالهم في الآخرة والمآل، ففي غاية السخافة والوهن . فإنّ العلم والخبر لا يسلبان عن العباد القوى والقدر، بل القدرة ثابتة للعبد والتمكّن من أفعاله وأقواله مبذول له والنصرف في قواه الإدراكية كالسمع والبصر وأعضائه التحريكية مثل اليد والرجل متى شاء وكيف شاء مفوض إليه ميسر له، و العلم بوجوده النفع والضرر، والخير والشر ممنون عليه من قبل الله، لأنّ هذه المبادي والقوى القريبة خلقت موجبة لأفاعيله وحركاته، مقتضية لآثاره وتبعاته، جعلها الله خادمة للقلب، مسخرة له، وهو المنصرف فيها بقوته المدبّرة، وهي مجبولة على طاعة القلب، لا يستطيع له خلافاً ولا عليه تمرّداً .

وفائدة التكليف له والإنذار كالابتلاء وغيره عائدة إليه ولو قليلاً وإلى غيره كثيراً ولا يلزم أن يكون فائدة التكليف لأحد بشيء في نفس ذلك الشيء؛ إذ ربما يترتب

على التكليف فائدة أخرى، غير ما كلف به، فليس لهم أن يقولوا بنفي الأعراض وبطلان الدواعي واثبات التعطيل والعبث في فعل العبد، ذلك ظنّ الذين كفروا من المجوس والثنوية، النافين لاختيار العبد، المثبتين لإجباره، ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القدرية مجوس هذه الأمة»<sup>(١)</sup>.

ومن الحكايات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، مارواه جماعة من علماء الإسلام إنّه قال صلى الله عليه وآله: «لُعنت القدرية على لسان سبعين نبياً، قيل: ومن القدرية يا رسول الله؟ قال: قوم يزعمون أنّ الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذبهم عليها».

ومنها أيضاً مارواه صاحب الفائق محمود الخوارزمي وغيره من العلماء، عن محمد بن علي المكيّ باسناده قال: إن رجلاً قدم على النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني بأعجب شيء رأته، قال: رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لم تفعلون؟ قال: قضى الله تعالى وقدره. فقال: سيكون في أمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهن، أولئك مجوس أمّتي.

ومنها أيضاً ما ذكره صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام، عن جابر بن عبد الله إنّه قال: يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: إن الله قد قدرها عليهم، الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله.

ومن الحكايات في هذا الباب ما يروى<sup>(٢)</sup> أنّ أبا حنيفة اجتاز على موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام فقال سائلاً: المعصية ممن؟ فقال له موسى الكاظم عليه السلام: اجلس حتى أخبرك. فجلس أبو حنيفة فقال عليه السلام: لا بدّ أن يكون المعصية من العبد

(١) أبي داود: كتاب السنة، باب في القدر: ٢٢٢/٤. وروى أيضاً عن الصادق (ع):

التوحيد: ٣٨٢.

(٢) جاء صدر الحديث في الجامع الصغير: ١٢٤/١.

(٣) جاء ما يقرب منه في التوحيد: باب معنى التوحيد والعدل: ٩٦.



أومن الله تعالى أو منهما جميعاً، فإن كانت من الله تعالى وهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده المضعيف، ويؤاخذه بسالم يفعله، وإن كانت المعصية منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده المضعيف، وإن كانت المعصية من العبد وحده؛ فعليه وقح الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب، ووجبت له الجنة والنار. فقال أبو حنيفة: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

وقد نظم هذا بعض شعرائهم :

إحدى ثلاث خصال حين نأتبها	لم تخلُ أفعالنا اللاتي نلام بها
فيسقط اللوم منا حين نبدبها	إمّا فردّ بارينا بصنعتها
ما سوف يلحقه من لائم فيها	أو كان يشر كنا فيها، فيلحقه
ذنبٌ، فما الذنب إلا ذنب جانبيها	أولم يكن لالهي في جنايتها

ومنها ما رواه جماعة من العلماء، إن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيدة وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي: أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر. فكتب إليه الحسن البصري: إن من أحسن ما انتهى إلينا ما سمعت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إنه قال: أتظن إن الذي نهاك دهاك؛ إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك.

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر، قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزر في القصاص مظلوماً.

وكتب إليه واصل بن عطاء: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أيدلّك، على الطريق وبأخذ عليك المضيق؟ وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كلما استغفرت الله منه فهو منك، وكلما حمدت الله تعالى

عليه فهو منه. فلما وصلت كتبهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها عن عين صافية. هذا ما كان عنده من الفضاضة والأمور الواهية.

ومما روي أيضاً إن رجلاً سأل جعفر بن محمد بن الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال: ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعله، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه، فهو فعل الله يقول الله للعبد: لِمَ عصيتَ لِمَ فسقتَ لِمَ شرّبتَ الخمرَ لِمَ زينتَ فهذا فعل العبد، ولا يقول: لِمَ مرضتَ لِمَ قصرتَ لِمَ ابيضتَ لِمَ اسوددتَ؛ لأنه من فعل الله في العبد.

ومن الحكايات أيضاً إن الفضل بن سهل سأل علي بن موسى الرضا عليهما السلام بين يدي المأمون؛ فقال: يا أبا الحسن، المخلوق مجبورون؟ فقال: الله تعالى أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم. قال: فمطلقون؟ قال: الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.

ومنها: إن رجلاً وقف على جماعة من المجبرة فقال لهم: أنا ما أعرف المجادلة والإطالة في الكلام؛ لكنني أسمع في القرآن قوله تعالى ﴿كَلِمًا أَوْ قَدُونًا سَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاهَا اللَّهُ﴾ [٤٤/٥] ومفهوم هذا الكلام عند كل عاقل أن الموقد للنار غير المظفي؛ فانقطعوا ولم يردّوا جواباً.

وقيل لجبري: نرى الله يقول ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [٩١/١]

١. [ من هذا الذي قد خاب؟ فلم يكن له من ذلك جواب.

وقال معتزلي لجبري: ممن الحق؟ فقال: من الله. قال له: فمن المحق؟ قال: هو الله.

قال له: فمن الباطل؟ قال: من الله. فقال له: فمن هو المبطل؟ فانقطع المجبر ولم يقدم على أن يقول: إن الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - هو المبطل. وكان يلزمه ذلك على مذهبه.

ومن عجائب ما يعتقده المجبرة ويلزمهم أيضاً، أنه يجوز من الله في عقولهم مع

عدله وحكمته ، أن يجمع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وعباده الصالحين فيخلدهم في الجحيم والعذاب الأليم أبداً الأبدن، ويجمع الكفار والملحدين والزنادقة والمنافقين وإبليس والشياطين ويخلدهم في الجنة والنعيم دهر الدهرين. وزعموا ذلك إنصافاً منه وعدلاً، وركبوا في ذلك مكابرةً وجهلاً ولعله قد كان لهم سلفٌ صدرت منهم كلماتٌ على سبيل الرمز والإشارة وما بلغت عقول هؤلاء على كنه أقوال أولئك الأوائل، أو كان في عقول طائفة من رؤسائهم جهلٌ وسفهٌ أوجب مثل هذا الاعتقاد، وجاء الخلف مقلداً للسلف محبباً للمنشأ وسنة الآباء، كما حكى الله عن أشباههم من الأخلاف الذين قلدوا آراء الأشياخ والأسلاف حيث ذكر ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [٢٢/٤٣] ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [١٧٠/٣].

وإن كان ذلك كذلك فأبي عذريقي للمتأخرين من الأحياء والأبناء في اتباع السلف والآباء على الضلال في أمر لا يخفى على أدنى العقلاء؟ فما أحسن ما يقرؤنه في كتابهم: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [١٩/٦] لا والله ما قدروا حق قدره، ولا هذا قدر جلالة وعظمته، ولا جزاء إحسانه ونعمته.

\* \* \*

والعجب أنهم زعموا إن هذا ما عليه أكبر العرفاء ومحققوا الصوفية من القول بالتوحيد الأفعالي وليس كذلك، كما يظهر من تتبع كلماتهم وتصفح مقالاتهم. قال الشيخ العظيم محبى الدين الأعرابي في الباب التاسع عشر من الفتوحات المكية: «إن رافع<sup>(١)</sup> الأسباب سيء الأدب مع الله، ومن عزل<sup>(٢)</sup> من وآله الله تعالى فقد أساء الأدب وكذب من عزل ذلك الوالي فانظر ما أجهل من كفر بالأسباب وقال بتركها، ومن ترك ما قرره الحق فهو منازع لأعبد، وجاهل لأعالم، أعظك<sup>(٣)</sup> أن تكون من الجاهلين، وأراك في مذهب

(١) الفتوحات المكية (٧٣/٣) مع اختلافات أشرنا إلى ما أهم منها.

(٢) المصدر: في عزل.

الجبر<sup>(١)</sup> تكذب نفسك في ترك الأسباب، فإنني أراك في وقت حديثك معي في تركها ورأيها ياخذك العطش، فتترك كلامي وتجري إلى الماء فتشرب منه لتدفع بذلك ألم العطش، وكذلك إذا جعت تناولت الخبز، وعانيتك<sup>(٢)</sup> أن لاتتناوله بيدك حتى تجعل في فيك، فما حصل في فيك مضغته وابتلعتة. فما اسرع ما كذبت به نفسك بين يدي.

وكذلك إذا أردت أن تنظر إلى شيء افتقرت إلى فتح عينك. فهل فتحها الأسباب<sup>(٣)</sup> فكيف تنفي الأسباب بالأسباب، أترضي لنفسك بهذه الجهالة؟ فالأديب الإلهي العالم من أثبت ما أثبتته الله في الموضع الذي أثبتته، وعلى الوجه الذي أثبتته<sup>(٤)</sup>، ثم تكذب نفسك في عبادة ربك. أليست عبادتك سبباً في سعادتك وأنت تقول بترك الأسباب؟ فلم لاتقطع العمل.

أرايت أحداً من رسول ولا نبي ولا ولي ولا مؤمن ولا كافر ولا شقي خرج قط عن رقب الأسباب مطلقاً أذناها التنفس؟ فيا تارك السبب لاتتنفس؛ فإن التنفس سبب لحيوتك فامسك نفسك حتى تموت فتكون قاتل نفسك فتحرم عليك الجنة. وإذا فعلت هذا فأنت تحت حكم السبب ...»

« فما اظنك عاقلاً إن كنت تزعم أن ترفع ما نصبه الله وأقامه علماً مشهوداً، ودع عنك ما سمع من كلام أهل الله فإنهم لم يريدوا بذلك ما توهمته. بل جهلت ما أرادوا بقطع الأسباب، كما جهلت ما أراد الحق بوضع الأسباب. ولقد أقيمت بك على مدرجة الحق واتيت لك الطريقة التي وضعها لعباده وأمرهم بالمشي عليها فاسلك<sup>(٥)</sup> وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهدىكم أجمعين<sup>(٦)</sup> ».

(٢) المصدر : غايتك .

(١) المصدر : وأراك في الحين

(٣) المصدر : فهل فتحها الا سبب .

(٤) اضيف في المصدر : ومن نفي ما نفاه الله في الموضع الذي نفاه الله وعلى الوجه

الذي نفاه الله .

وقال في باب السادس والتسعين ومأتين<sup>(١)</sup>: «ولقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين إسماعيل بن سودكين التوري على أمر كان عندي<sup>(٢)</sup> من غير الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد؛ وهو التجلي في الفعل، هل يصح أو لا يصح؛ فوقنا كنت أنفيه بوجه، ووقنا كنت أثبتة بوجه يقتضيه التكليف إذا كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم يقول: «اعمل وافعل لمن يعلم أنه لا يعمل ولا يفعل، إذ لا قدرة له عليه.

وقد ثبت الأمر الإلهي بالعمل للعبد مثل قوله تعالى ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [٤٣/٢] و﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [٢٠٠/٣] و﴿وَجَاهِدُوا﴾ [٩/٤١] فلا بد أن يكون له في المنفعل عنه تعلق من حيث الفعل فيه فيسمى به فاعلاً و عاملاً، وإذا كان هذا فهذا القدر من النسبة يقع التجلي فيه. فبهذا الطريق كنت أثبتة. وهو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل على أن القدرة الحادثة له نسبة تعلق بما كلفت عليه لابد من ذلك، ورايت حجة المخالف واهية في غاية من الضعف والاختلال.

ولما كان يوماً فإوصني في هذه المسئلة هذا الولد فقال لي: وأي دليل أقوى على نسبة الفعل إليه والتجلي فيه إذا كان من صفته من كون الحق خلق الإنسان على صورته، فلوجرد عنه الفعل لما صح أن يكون على صورته، ولما قيل التخلق بالأسماء، وقد صح عندكم وعند أهل الطريق بلا خلاف، أن الإنسان مخلوق على الصورة، وقد صح التخلق بالأسماء؟

فلا يقدر أحد أن يعرف ما يدخل علي من السرور بهذا التنبيه. فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ أشياء من مواهب الحق تعالى لم يقض الله للاستاذ أن ينالها إلا من التلميذ كما يعلم قطعاً أنه قد يفتح للإنسان الكبير في أمر يسأله عن بعض العامة فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق اللسان<sup>(٤)</sup> علم تلك المسئلة، ولم يكن عنده قبل ذلك عناية من الله بالسائل إن حصل للمسؤل

(٢) المصدر: كان عندي محققاً.

(١) الفتوحات المكية: ٦٨١/٢.

(٤) المصدر: السائل.

(٣) المصدر: عنه.

علماء لم يكن عنده. ومن راقب<sup>١</sup> يجد ما ذكرناه. فالحمد لله استفدنا من أولادنا مثل ما استفادنا  
من أشيوخنا أموراً كانت أشكلت عليهم» انتهى كلامه .

## فصل

### فيما يرد على المعتزلة

#### القائلين باستقلال العبد في أفعاله وحرركاته

فلمَّا يرد عليهم أنَّهم اشركو بالله في أفعاله، ولم يتفق لهم التوحيد الأفعالي كما  
لم يبق للأشاعرة المثبتين للصفات التوحيد الوصفي.

ويرد عليهم أيضاً أنَّهم منكرون لقضاء الله وقدره في كل شيء، ولم يدعوا أنَّ  
الخيرات والشُرور كلها بقضائه وقدره. أمَّا الخَيْرُ فهو مقضيٌّ بالذات وأما الشرُّ فهو مقضيٌّ  
بالعرض. ومذهبهم في صدور الأفاعيل من العباد قريبٌ من مذهب بعض الطبيعيين والأطباء  
الذين جعلوا مبدأ فعل الأدمي طبيعته ومزاجه، ولم يرتفع نظرهم إلى ما فوق الدهر  
والطبيعة من الملكوت الأعلى والأسباب القصوى، ولم يعلموا أنَّ كل ما يقع في هذا  
العالم من الحوادث والأكوان والأفعال والإرادات والحركات والسكنات، مقدرٌ بهيئته  
وزمانه في عالمٍ آخر قبل؛ كما دلَّت عليه البراهين العقلية والمشاهدات الذوقية والمنامات  
الصادقة والإلهامات والكلمات الإلهية والأحاديث النبوية منها قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ  
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [٥٢/٥٤]

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسُ الْآفِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٥٩/٦] ومنها قوله  
تعالى: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآتَاهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [١٢/٣٦] و  
كذا قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢٩/٤٥]  
وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾  
[٢٢/٥٢] إلى غير ذلك من الآيات.

(١) المصدر: راقب قلبه .

ومن الأحاديث النبوية قوله عليه وآله الصلوة والتحية: «جفَّ القلمُ بما هو كائن»<sup>(١)</sup>  
«اعملوا فالكلُّ ميسرٌ لما خُلِقَ»<sup>(٢)</sup>  
ومنها قوله: «إنَّ أحدَكم يجمعُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يوماً ثمَّ يكونُ علقَةً مثلَ ذلك،  
ثمَّ يكونُ مضغَةً مثلَ ذلك، ثمَّ يرسلُ اللهُ ملكاً فينفخُ فيه الروحَ فيؤمَّرُ بأربعِ كلماتٍ فيكتبُ  
رزقَهُ وأجلَهُ وعملَهُ وشقيَّ أمِّ سعيدٍ. فوالذي لا إلهَ غيره إنَّ أحدَكم ليعملُ عملَ أهلِ الجنةِ  
حتىَّ ما يكونُ بينه وبينَ الجنةِ إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ، فيختمُ اللهُ له بعملِ أهلِ النارِ  
فيدخلها. وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتىَّ يكونَ ما بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ  
عليه الكتابُ فيختمُ اللهُ له بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلها.»

وقريبٌ من هذا ما وردَ من طريقِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، رواه رئيسُ المحدثين  
محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله عن عدَّةٍ من أصحابه مسنداً إلى أبي عبد الله عليه  
السلام، إنَّه قال: «يُسلكُ بالسعيدِ في طريقِ الأشقياءِ حتىَّ يقولَ الناسُ ما أشبهه بهم بل هو  
منهم. ثمَّ يتداركه السعادة. وقد يُسلكُ بالشقيِّ طريقَ السعداءِ حتىَّ يقولَ الناسُ ما أشبهه  
بهم بل هو منهم. ثمَّ يتداركه الشقاء. إنَّ من كتبَهُ اللهُ سعيداً وإنَّ لم يبقِ من الدنيا إلا فوق  
ناقةٍ ختمَ له بالسعادة.»

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا - علماً يقيناً - إنَّ اللهَ لم يجعلِ للعبدِ وإن  
عظمتْ حيلتهُ وقويَّتْ مكيدتهُ واشتدَّتْ طلبتهُ، أكثرَ مما سمَّى له في الذكرِ الحكيمِ.»

(١) المسند: ٣٠٧/١ و ١٩٧/٢ وفي البخاري (١٥٢/٨): «جفَّ القلمُ بما أنت لاق.»

(٢) ابن ماجه: الباب ١٠ من المقدمة: ٣٥٩٣١/١.

(٣) راجع جامع الاصول: كتاب التوحيد: القدر، الفصل الثالث: ٥١٧/١.

(٤) الكافي: كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاوة: ١٥٤/١.

(٥) مضي في ص ٢٩١.

وفي طريقهم أيضاً رواه الكليني<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «إن مما أوحى إلى موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة: <sup>[فيها]</sup> إني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقته الخيرة وأجرته على يدي من أحب، فطوبى لمن أجرته على يدي، وأنا الله الذي لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقته الشرّاً وأجرته على يدي من أريده، فويل لمن أجرته على يدي» وعن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٢)</sup>: «ما من قبض وبسط إلا والله فيه [مشيئة وقضاء] وابتلاء».

وعنه عليه السلام: «إنه ليس شيء فيه [قبض أو بسط] مما أمر الله به أو نهى عنه، إلا وفيه لله جلّ وعلا ابتلاءً وقضاءً».

وعنه عليه السلام أيضاً في كتاب الكافي<sup>(٣)</sup>: إنه قال: «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل؛ فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر وعنه أيضاً عليه السلام مثله بسند آخر. وفيه أيضاً عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: «لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشيئة، وكتاب، وأجل، وإذن. فمن زعم غير هذا فقد كذب».

ومن طريقه فيه <sup>(٤)</sup> باسناده عن محمد بن عبد الرحمن <sup>[عن أبيه]</sup> رفعه إلى من قال: سمعت

(١) الكافي: كتاب التوحيد، باب الخير والشر: ١٥٤/١ وفيه فروق يسيرة.

(٢) كان المنقول فيما عندي من النسخ صدر وذيل لحديثين جاء في باب الابتلاء والاختبار من الكافي (١٥٢/١) أضفت ما كان ساقطاً بينهما من ذيل الأول وصدر الثاني.

(٣) الكافي: كتاب التوحيد، باب انه لا يكون شيء . . . . . : ١٤٩/١.

(٤) ما وجدت الرواية في الكافي، والظاهر ان المصنف نقلها من كتاب التوحيد للصدوق (ره) ووقع هناك سهو في التعبير بـ «فيه» بدل «في كتاب التوحيد» ويؤيد ذلك قوله - ره - عند نقل الحديث الاتي: «ومن طريقه رحمه الله في كتاب من لا يحضره الفقيه . . .» والرواية في التوحيد: باب القضاء والقدر: ٣٦٨.



رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: «قَدَّرَ اللهُ المقاديرَ قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين سنة»<sup>(١)</sup>.

ومن طريقه رحمه الله في كتاب من لا يحضره الفقيه مسنداً إلى إسماعيل بن مسلم أنه سئل جعفر الصادق عليه السلام عن الصلوة خلفَ رجلٍ يكذبُ بقدر الله عز وجل؟ قال: «ليعد كلَّ صلوةٍ صلّوها خلفه».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وفي يده كتابان، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتابٌ من ربِّ العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال للذي في شماله: «هذا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً». ثم مال بيديه فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد، فربق في الجنة وفريق في السعير».

ومن الحكايات التي نقلها أهل الإسلام<sup>(٢)</sup> في كتب الحديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، مناظرة آدم وموسى عليهما السلام، وهي أنه قال صَلَّى الله عليه وآله: «احتج آدم وموسى عند ربهما فحجَّ آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في الجنة ثم أهبطت [أشقيت] الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها نبيان كل شيء وقربتك نجياً، فيكم وجدت الله كتب التوراة

(١) في التوحيد: «خمسين ألف سنة» وجاء كذلك في الجامع الصغير: ٨٦/٢، والظاهر أن كلمة «ألف» ساقطة من النسخ: وجاء في البحار (٩٣/٥) والتوحيد (٣٨٦) في حديث آخر عن النبي (ص): «بألفي عام».

(٢) الترمذي كتاب القدر: ٤٤٩/٢. وفيه فروق وإضافات.

(٣) راجع جامع الاصول: كتاب القدر: الفصل الثامن: ٥٢٤/١٠. وجاء ما يقرب منه عن الصادق (ع) راجع البحار: ٨٩/٥.

قبل أن أُخْلَق؟ قال موسى : بأربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟ قال: نعم. قال: أفنلومني على أن عملتُ عملاً كتبه الله تعالى عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله فحجَّ آدمُ موسى عليه السلام .

والمعتزلة طعنوا في هذا الحديث من وجوه: أحدها: إن هذا الخبر يقتضى أن يكون موسى قد ذمَّ آدمَ على الصغيرة. وذلك يقتضى الجهلَ في حق موسى عليه السلام وذلك غير جائز.

وثانيها: إن الولد كيف يُشافه الوالد بالقول الغليظ؟

وثالثها: إنه قال: «أنت أشقيت وأهبطت الناس من الجنة» وقد علم موسى إن شقاء الناس وإخراجهم من الجنة لم يكن من جهة آدم، بل الله أخرجه منها.

ورابعها: إن آدم احتجَّ بما ليس حجَّةً. إذ لو كان حجَّةً، لكان لفرعونَ وهامانَ وسائر الكفار أن يحتجَّوا به، ولما بطل ذلك علمنا فساد هذه الحجَّة.

وخامسها: إن الرسول صوّبَ آدمَ في ذلك مع أنابينا، إنه ليس بصواب.

إذ ثبت هذا وجب حملُ الحديث على أحد ثلاثة أوجه:

أحدها: إنه صلى الله عليه وآله حكى ذلك عن اليهود لئلا يحكاه عن الله أو عن نفسه. واشتبه على الراوي.

وثانيها: إنه فحجَّ آدمَ من صوباً أي إن موسى جعله محجوجاً.

وثالثها: وهو المعتمد، إنه ليس المراد من المناظرة الذمُّ على المعصية ولا الاعتذار منه بعلم الله، بل موسى سأله عن السبب الذي حملَه على تلك الزلَّة حتى خرجَ بسببها من الجنة فقال آدم: إن خروجي منها لم يكن بسبب تلك الزلَّة، بل بسبب أن الله تعالى كان قد كتب عليّ أن أخرج إلى الأرض وأكون خليفة فيها، وهذا المعنى كان مكتوباً

في التورية فلاجرم كان حجة آدم قوية، وصار موسى في ذلك كالمغلوب.

\* \* \*

واعلم إن الكلام يؤدي إلى التطويل ، وإلا لأجبت عن تلك الوجوه الخمسة متفصلاً ولناقضت لهذه الوجوه الثلاثة مفصلاً عن فسادها، مفصلاً لقصور قائلها، كاشفاً عن اختلال أحواله وبطلان مقاله واعوجاج سبيله وانبتات سلوكه لفقدان دليله، حيث لاحجة ولابرهان ولاحديث ولاقرآن ولاعقل ولايمان.

قال بعض أكابر الحكماء<sup>(١)</sup> في وصفهم عندما نقل بعض من الآراء السخيفة عنهم في إثبات شيئية المعدوم وثبوت الأحوال وهوؤلاء قوم نبغوا في ملة الإسلام وما كانت لهم أفكار سليمة ولاحصل لهم ما حصل للصوفية من الأمور الذوقية، ووقع بأيديهم مما نقل جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم كانت أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة، فظن القوم إن كل اسم يوناني اسم فيلسوف، فوجدوا فيها كلمات استحسوها وذهبوا عليها وفرعوها رغبة في الفلسفة، وانتشرت في الأرض وهم فرحون بها، وتبعهم جماعة من المتأخرين وخالفوهم في بعض منها، إلا أن كلهم إنما غلطوا بسبب ما سمعوا أسامي يونانية لجماعة صنعوا كتباً يتوهم أن فيها فلسفة وما كان فيها شيئاً منها فقبلها متقدموهم وتبعهم فيها المتأخرون وما خرجت الحكمة<sup>(٢)</sup> عن يونان إلا بعد انتشار أقاويل عامة يونان وخطبائهم وقبول الناس لها .

\* \* \*

ولنرجع إلى طريق العقل في هدم قاعدة الاعتزال بعد أن ذكرنا من طريق السمع ما يليق بذلك من الأقوال.

(١) هو الشيخ الأشراقي : المطارحات ، المشرع الاول من العلم الثالث : ٢٠٥ .

(٢) المصدر : وما خرجت الفلسفة الا بعد انتشار ...

## تبصرة عقلية

## [ علمه تعالى وقضائه ]

قد علمت إن جميع الأشياء صادرة من الله تعالى وهو عالمٌ بصدورها عنه راضٍ بذلك غير كاره. وهذا معنى مختارته الخالي عن النقص والقصور. وقد ثبت في العلوم اليقينية أن العلم بالسبب التام يستلزم العلم بالمسبب. فإذا كان تعالى عالماً في الأزل بجميع الموجودات الروحانية والجسمانية والعلوية والسفلية على ما هو عليه دفعة واحدة من غير تجدد وانفعال في علمه وهو معنى قضائه. ويكون مخرجاً إياها من القوة إلى الفعل شيئاً بعد شيء على سبيل التجدد والانقضاء على التفصيل. وهو معنى قدره. وقد ثبت أن كلاً ما لم يجب. لم يوجد. فقضاؤه نافذ في قدره، حاكم على كل أحد من هذا العالم في نفعه وضرره وخيره وشره. فالإيمان بالقدر واجب من هذه الجهة، والرضا بالقضاء فرض متحتم من هذا البرهان كما ورد في الحديث الإلهي<sup>١)</sup>: من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد رباً سوائى وليخرج من أرضي وسماي.

ومن الأحاديث المستفيضه الشائعة بين طوائف العلماء المتفق عليها مارواه محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في باب الجبر والقدر والأمرين<sup>٢)</sup> من الأمرين منه على بن محمد عن سهل بن زياد وإسحق بن محمد وغيرهما رفعوه، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذا أقبل شيخ فجثا بين يديه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ ما علوتم تلعنة ولا هبطتم بطن وإدلاً بقضاء من الله

(١) في التوحيد (باب القضاء والقدر : ٣٧١) : من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدرى

فليتمس الهأ غيرى .

(٢) الكافي : ١٥٥/١ .

وقدر، فقال له الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين فقال له: مه يا شيخ فوالله لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون. ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال: أو تظن أنه كان قضاء حتماً وقدرًا لازماً إنه لو كان ذلك كذلك، لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد. فلم يكن لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن. وكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، وكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب. تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها. إن الله تبارك وتعالى كلّف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يعط مكرهاً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً. ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾ [٢٧/٣٨] فانشأ الشيخ:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا

أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً جزاك ربك بالإحسان إحساناً

ومما رواه أيضاً عن علي بن إبراهيم<sup>(١)</sup> عن إسماعيل بن مرار عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس؛ فإن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [٢٣/٧] وقال أهل

النار: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [٢٣/١٠٠] وقال إبليس ﴿ رَبِّ  
بِمَا آغْوَيْتَنِي ﴾ [١٥/٣٩] الحديث.

وروى أيضاً عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشا  
عن حماد بن عثمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زعم إن الله  
يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله. ومن زعم إن الخير والشر إليه فقد كذب على الله»  
-الظاهر أن الضمير في «إليه» راجع إلى الموصول- .

وعن الحسين بن معلى عن الحسن بن علي الوشا عن أبي الحسن الرضا عليه  
السلام قال: سألته فقلت: الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعز من ذلك. قلت:  
فجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل وأحكم من ذلك. ثم قال: قال الله: يا بن آدم  
أنا أولى بحسناتك منك. وأنت أولى بسيئاتك مني. عملت المعاصي بقوتك التي  
جعلت فيك.<sup>(٣)</sup>

وعن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زعم  
إن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله. ومن زعم إن الخير والشر بغير  
مشيئة الله. فقد أخرج الله من سلطانه. ومن زعم إن المعاصي بغير قوة الله. فقد كذب على الله.

وعن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٥)</sup> سئل عنه رجل قال: أجبر الله العباد على المعاصي؟  
قال: لا. قال: قلت: ففوض إليهم الأمر. قال: لا. قلت: فماذا؟ قال: لطف من ربك  
بين ذلك.

(١) الكافي: ١٥٦/١ .

(٢) الكافي: ١٥٧/١ .

(٣) في المصدر: بقوتي التي جعلتها فيك .

(٤) الكافي: ١٥٨/١ .

(٥) الكافي: ١٥٩/١ .

## عقدة وحل

## [اختيارنا في أفعالنا]

ولمّا ثبت وتحقّق ممّا ذكر من الكلام أنّ كلّ ما يقع في هذا العالم أو سيوقع ،  
مقدّر مكتوبٌ بهيئته وزمانه ووضعه ومكانه في عالم آخر ، فإن اشتبه عليك أيّها القدري  
حالُ الأفعال المنسوبة إلى الاختيار ، وتخيل لك إنّها على هذا التقدير واقعةٌ بالاضطرار  
والإجبار ؛ فما بالنسبة لتصرّف فيها بالتدبير والتغيير ونصرّفها بالتقديم والتأخير ونجد  
الفرق بين المجبور عليه والمخير والمختار ، والمضطرّ في جريان الأمر الإلهي في مجاري  
القضاء والقدر؟

وتفكّر في ترتيب سلسلة الأسباب والعلل ، واعلم إنّ قدرة العبد وإرادته وعلمه  
وشوقه من الأسباب القريبة لفعله وهي مستندةٌ بأسباب أخرى متوسطة ، وأخرى بعيدة  
حتى ينتهي إلى قدرة الله وعلمه وإرادته ومشئته وقضائه وقدره .

فالقضاء والقدر إنّما يوجبان ما يوجبان بتوسط أسباب وعلل بعضها مقدمات مدبّرات  
كالملائكة السماوية ، عقلية كانت أو نفسية ، قلمية كانت أولوحية وبعضها فاعلات  
محركات وموجبات مقتضيات كالمبادي العالية من الجواهر الفلكية والصور المنطبعة ،  
وبعضها قوابل واستعدادات ذاتية وعارضية .

والصور اللاحقة المادية والأوضاع الفلكية والأمور الاتفاقية كالادراكات والإرادات  
الإنسانية والحركات والسكنات الحيوانية ، يختصّ بحال دون حال وبصورة دون صورة  
ترتّباً وانتظاماً معلوماً في القضاء السابق .

فاجتماع تلك الأسباب والشرائط ، مع ارتفاع الموانع ، سببٌ تامٌّ يجب بها  
وجود ذلك الأمر المدبّر المقضي المقدور وعند تخلف شيء منها أو حصول مانع يبقى

في حيز الإمكان أو الامتناع، فإذا كان من جملة الأسباب وخصوصاً القربة - وجود هذا الشخص الإنساني وعلمه وإرادته وقدرته وتشوقه وتفكره وتخيله اللذان هما مختاراً أحد طرفي الفعل والترك، كان ذلك الفعل إختيارياً واجباً وقوعه بجميع تلك الأمور التي هي علّة تامّة لوجود المقدور ممكناً بالنسبة إلى كل واحد منها، فوجوب الفعل لا ينافي إختيارته. كيف! وقدم إن الشيء مالم يجب لم يوجد.

فإن قلت: مع حصول القدرة والإرادة إن كان الترك ممكناً لم يكن الفعل واجباً وإن لم يكن ممكناً لم يكن العبد مختاراً؟

قلت: الترك غير ممكن ولا يلزم من ذلك أن لا يكون مختاراً. فإن الفعل الإختيارى ما يكون الإختيار من جملة أسبابه ويكون صدوره موقوفاً بالإختيار، لا ما يكون ممكناً على تقدير تحقق علته التامة التي من جعلتها الإرادة.

## عقدة وحل

### [ لمية التكليف ]

ثم إذا رجعت إلينا ثانياً وقلت: فما فائدة التكليف على هذا التقدير؟ لأنه إذا كانت الأسباب العالية مقتضية والقوابل السفلية حاملة، والاستعدادات المادية مهيتة أو متأبئة معوقة؛ فصدور الفعل إما واجبة أو مستحيلة، وعلى أي الوجهين فالتكليف بالأفعال عبث.

وأي فائدة للتكليف بالطاعات وبعثة الأنبياء بالمعجزات والآيات، وأي تأثير للسعي والجهد وأي توجيه للوعد والوعد وما معنى الإبتلاء في قوله: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، إذا كان الكل بالتقدير والقضاء؟ إذ مدار التكليف والسعي والجهد والوعد والوعد على الإختيار لا على الإيجاب والاضطرار؟

قلنا: فائدة التكليف والوعد والوعد، تحصيل الشوق الذي هو مبدأ الإرادة



للأفعال الجميلة، فإن المراد هيهنا بالإرادة. هي العزيمة <sup>الثابتة</sup> الباعثة الجازمة على الفعل أو الترك، فإذا أدر كنا شيئاً و علمناه؛ فإن اعتقدنا ملائمة أو منافرة لنا دفعة بالتوهم أو ببديهة العقل، انبعث منه شوق <sup>[مناظر]</sup> إلى جذبته أو دفعه يتبعه إرادة، فإذا انضمت إلى المقدرة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء ليحصل الفعل بالإختيار. وإن لم نعتقد بالضرورة، الملائمة والمنافرة، أعملنا الروية واستعملنا القوى الدراكة لطلب الترجيح بإرادة عقلية أو وهمية.

فربما كان ملائماً ببعض الوجوه، غير ملائم ببعضها، أو ملائماً للحسن، غير ملائم للعقل أو بالعكس، أو نافعاً في العاجل غير نافع في الآجل أو بالعكس، ويحدث بسبب كل ملائمة داع، وبحسب كل منافرة صارف، ويترجح عزم أحد طرفي الفعل والترك بحسب ترجيح دواعيه، وعند تعارض الدواعي وتكافؤ الأشواق، يقع التحير ونستعمل القوة الفكرية حتى يسنح ما يترجح أحد الطرفين، فنعمل بحسبه.

فنقول: كما تفتنت إن الأشياء الداخلة في وجود الإنسان كالعلم والقدرة والإرادة من جملة أسباب الفعل، فاحسن أن هذه الأمور الخارجة أيضاً من جملتها، فالدعوة والتكليف والإرشاد والتهديب والوعد والترغيب والإيعاد والتهديد، أمور جعلها الله مهتجات الأشواق ودواعي إلى الخيرات والطاعات واكتساب الفضائل والكمالات، ومحرضات على أعمال حسنة وعادات محمودة وملكات مرضية وأخلاق فاضلة نافعة لنا في معاشنا ومعادنا، يحسن بها حالنا في دنيانا ويحسن<sup>١</sup> بها سعادة عقابنا.

أو محذرات عن أضرارها من الشرور والقبائح والذنوب والرذائل، مما يضرنا

في العاجل ونشقى بها في الآجل.

وكذلك السعي والجد والتدبير والحذر، إذا قدرت مهية لمطالبنا موصله إيانا إلى

مقاصدنا مخرجة لكما لاتنا من القوة إلى الفعل، فجعلت أسباباً لما يصل إلينا من أرزاقنا

(١) ظ : يحصل .

وما قدرلنا من معايشنا اوهي ء لنا في آخرتنا، اولما يصرفه الله عنا من المكاره ويدفع  
عنا من المضار والمفاسد لم يحصل ذلك إلا بها، وكانت تلك الوسائط أيضاً مقدره لنا  
واجبة باختيارنا كما قال عليه وآله السلام لمن سأله: <sup>١</sup> هل يغني الدواء والرقية من قدر الله؟  
قال: الدواء والرقية أيضاً من قدر الله.

ولما قال عليه السلام: <sup>٢</sup> جفّ القلم بما هو كائن، قيل: فقيم العمل؟ فقال: اعملوا  
فكلّ ميسر لما خلق.

ولما سئل: أنحن في أمر فرغ منه؟ قال: في أمر مفروغ منه وفي أمر مستأنف. ومن  
هذا علم إن كل ما يصدر عنا من الحركات والسكنات والحسنات والسيئات محفوظة  
مكتوبة علينا واجب صدوره عنا مع كونها باختيارنا كما قال: <sup>٣</sup> ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِندَ اللَّهِ بِقَدَرٍ﴾  
كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ [٥٤/٥٢] وغير ذلك من الآيات التي نقلناها.

فهذه معرّفات لسعادتنا وشقاوتنا في العقبى ليست بموجبات. وكذلك ما يصل  
إلينا من الرغائب والمكاهل كما قال النبي صلى الله عليه وآله: <sup>٤</sup> واعلم إن الأمة لو اجتمعت  
على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك  
بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

### تحقيق حكمي

#### [ لاجبر ولا تفويض ]

وإذا ثبت وتحقق أن جميع الممكنات وسلسلة الأسباب التي من جملتها قدرة

(١) ابن ماجه: كتاب الطب، الباب ١: ١١٣٧/٢: الترمذي: كتاب القدر، باب ١٢.

(٢) راجع ص ٣٣١.

(٣) جاء الحديث بألفاظ مختلفة راجع المعجم المفهرس (١٢٢/٥).

(٤) الترمذي: صفة القيامة، باب ٥٩: ٦٦٧/٤.

العبودية وإرادته وعلمه وشوقه ومشيته مستندة إلى مشيئة الله وعلمه، مثبتة في قضائه وقدره، وإن من الأسباب القريبة الظاهرة لأفعالنا إنما هي قدرتنا وإرادتنا فمن نظر إليها قاصر أنظره إلى هذه الأسباب القريبة، قال بالقدَر والتفويض، أي واقعة بتقديرنا مفوضة إلى تدبيرنا .

قال النبي <sup>(١)</sup> صلى الله عليه وآله: «القدرية مجوس هذه الأمة» لأنهم يثبتون مبدئين كالمجوس القائلين بيزدان، وأهرمن.

ومن نظر إلى السبب الأول وعلم كون تلك الأسباب والوسائط بأسرها مستندة على الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات إلى الله إستناداً واجباً وترتيباً معلوماً على وفق القضاء والقدَر و قطع النظر عن الأسباب القريبة مطلقاً، قال بالجبر وخلق الأفعال، ولم يفرق بينها وبين أفعال الجمادات .

وكلاهما أعور لا يبصر بإحدى عينيه . أما القدرية فبالعين اليمنى أي النظر الأقوى الذي به يدرك الحقائق وأما الجبرية فباليسرى أي الأضعف الذي به يدرك الظواهر . فأما من نظر حق النظر فأصاب، فقلبه ذو عينين يبصر الحق باليمنى فيضيف الأفعال إليه خيرها وشرها ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تأثيرهم في الأفعال به سبحانه لا بالاستقلال ولا بمعنى الإشتراك كما توهم بل بمعنى آخر يعلمه العارف الحكيم وأشار إليه الصادق عليه السلام «لا جبر ولا تفويض بل أمرين» فيذهب إليه ويتذهب به وذلك هو الفضل الكبير .

<sup>(٢)</sup>  
روى صاحب الكافي رحمه الله عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: إن الله أرحم بخلقهم أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون.

(١) مضي آنفاً .

(٢) الكافي : كتاب التوحيد ، باب الجبر والقدَر . . . : ١٦٠ / ١ . . .

قال: فسئلا عليهما السلام، هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالوا: نعم أوسع مما بين السماء والأرض.

وعن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن صالح بن سهل، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، يسئل عن الجبر والقدر فقال: لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق، التي بينهما، لا يعلمها إلا العالم أومن علمها إياه العالم.

وأما من أضاف الأفعال إلى الله تعالى بنظر التوحيد وإسقاط الإضافة ومحو الأسباب والمسببات كما هي عليها عند الغايات وعند فناء الممكنات لابعنى خلق الأفعال فينا أو خلق قدرة وإرادة جديدتين مستقلتين عند صدور الفعل عنا كما عليه المجبرة - فهو الذي طوى بساط الكون وخلص عن مضيق البون، وخرج من البين والأين وفنى في العين، لكنه تروح في المحو ولم يجيء إلى الصحو، مستغرقاً في عين الجمع محجوباً بالحق عن الخلق، مازاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وذاته إلى ملاحظة صفاته فاضمحلّت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل عن وجوده وذلك الفوز العظيم. فإذا رجع إلى الصحو بعد المحو، نظر إلى التفصيل في عين الجمع غير محتجب برؤية الحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق ولا مشغلاً بوجود الصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات فذلك فهو الولي المحقّق والصديق المحقّق، صاحب التمكين والتحقيق ينسب الأفعال إلى الله بالإيجاد ولا يسلبها بالكلية عن العباد كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [١٧/٨] وذلك هو الفوز العظيم والمنّ الجسيم.

### عقدة وحل

[بما ذا يتفاضل السعيد على الشقي]

ولعلك تضطرب أيها القدرّي وتصول فتقول: إذا كانت الفضائل والردائل والمحاسن

والقبائح والطاعات والمعاصي وبالجملة الخبرات والشور كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا، معجونة فينا، مربوطة بأوقاتنا التي تصدر فيها عنا، فما بالنا لانتساوي فيها ولانتعادل؟ ولم لانتشاكل فيها ونتمائل؟ وكيف نحترز عمّا يجب الاحتراز عنها فننجو من وبالها وتبعاتها؟ وبأي شيء يتفضل السعيد على الشقي وقد تساويا فيما قدر لهما؟ وأين عدل الله فينا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [٢٩/٥٠].

فنجيبك أيها القدري بما قدم ذكره<sup>(١)</sup> في تفسير قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ من أن الاستعدادات مختلفة والصور النوعية الفائضة عليها من جهة الوسائط العقلية التي مظاهر الأسماء الإلهية متنوعة، فالأرواح الإنسية بحسب الفطرة الأولى متباينة وفي درجات القرب والبعد من الله تعالى متفاوتة، وفي مراتب الصفاء والنورية والكدورة والظلمة متخالفة.

والمواد السفلية التي هي بإزائها أيضاً متفاوتة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي، فقابليتها لما يتعلق بها من الأرواح، متباينة وقد قدر الله بإزاء كل روح فيضها في قضائه، ما يناسبها من المواد، وحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والإدراكات دون بعض موافق لبعض الأعمال والصناعات دون بعض على ما قدر لها في العناية الأولى والقضاء السابق كما قال: «الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة»<sup>(٢)</sup> وتفاوت العقول والإدراكات والأشواق والإرادات بحسب اختلاف الطبائع والغرائز فينزع بعضهم بطبعه إلى ما ينفر عنه الآخر ويستحسن أحدهما بهواه، ما يستقبحه الثاني. والعناية الإلهية تقتضي نظام الوجود على أحسن ما يمكن.

وأما كيف السبيل إلى الاحتراز عمّا يجب الاحتراز عنه، فإن شريف النفس، نجيب الجوهر، طيب الأصل؛ قلما يهيم بشيء مما ليس في فطرته ولم يقدر له من

(١) راجع ص : ١١٧.

(٢) المسند : ٥٣٩/٢.

الفواحش والرذائل لعدم المناسبة، وإذاهم نادراً لغلبة صفة من صفات نفسه وقواه ولاستيلاء داعية من دواعي الوهم وهيجان من شهوة، زجره زاجر من عقله. وهذا كما قال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [١٢/٢٤] فإذا كان دون ذلك في صفاء الاستعداد فلا ينزجراً لآ بزجر زاجر من الشرع والسياسة والناصح والأديب وغير ذلك ويستحي منه، وإذاهم بشيء مما فطر به من المحاسن، وجدباعتاً من عقله ودرابته، وناصرراً من توفيقه وهدايته فيقدر عليه بشوقه وشغفه لمناسبه إياه، لا ينتهي عنه بدفع دافع ولا يمنعه منع مانع. وإن كان دون ذلك، احتاج إلى محرّض باعث ومشوّق من خارج .

والخسيسُ النفسِ الخبيثُ الجوهرِ الرديُّ الأصلُ بالعكسِ وكل يشاق إلى ما يفعله بطبعه وبجبهه ويستحسنه ، وإن كان الثاني يعلم إنضده أجود وأحسن كمحبة الزنجي ولده مع قبحه دون الغلام الترك مع علمه بحسنه. وأما حديث السعادة والشقاوة فسيأتي تحقيقه .

## عقدة اخرى وحل

### [لماذا الثواب والعقاب]

ثم لعلك تعود وترجع إلى حال الثواب والعقاب فتقول : إذا كان الكلّ بقضاء الله وكتابه، فلماذا يعاقب من ساقه القدر إلى ارتكاب خطيئة أو اقتراف سيئة ؟  
فنجيبك يا أخا القدري بأن العقاب على فعل السيئات والخطيئات ليس لمنتقم خارجي غضبان يريد أن ينتقم من عدوه نيلاً ما يطلبه من إزالة ألم الغيظ ؛ أو التشفي عن حرقه لهب الغضب . بل النفس العاصية الخاطئة هي حمالة حطب نيرانها إلى يوم القيمة .

فإنها ستحترق بنيران عقائدها الباطلة و شهواتها الكامنة و يلتدغ بحيات وعقارب

منبعثة عند الآخرة من سموم أخلاقها وعاداتها الرديئة . . . . .  
 فمن أساء عمله وأظلم جوهر نفسه وكدر مرآة قطرته وأخطأ في اعتقاده واحتجب  
 عن مراده بحسب ما اقتضاه في أصل استعداده ، فقد ظلّم نفسه بظلمة جوهره وبطلان  
 استعداده. فكان أهلاً للشقاوة في مرجعه ومعاذه، ينادى على لسان المالك «مهلاً، فبدأك  
 أو كنا وفوك نفع» كما قال سبحانه: ﴿وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [٢٢٥/٢] وقوله:  
 ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٣٣/١٦].  
 فثبت وتحقق إن ترتب العقوبات ومقابلاتها من المثوبات هي ثمرات ولو ازم  
 وتبعات وعوارض لأمر موجود فينا بالقوة، تخرج يوم الآخر من القوة إلى الفعل،  
 بل هي مطوية في نفوسنا في هذه النشأة، مكمونة في مكامن الطبيعة وغشاوات المادة. فإذا  
 قامت القيمة وكُشف الغطاء وحُشرت النفوس ونُشرت الصحائف، أظهرها الله وأبرزها  
 بحيث تترتب عليها المثوبة والعقوبة وينبعث منها النعمة والنعمة والراحق والمصيبة والنعيم  
 المقيم والعذاب الأليم .

## عقدة اخرى وحل

### [ الخلود في النار ]

ولك أن تقول: إن الذي بقي من الإشكالات المتعلقة بهذا المقام، والعقود المفصلة  
 الغير المنحلة إلى الآن عند جمهور العلماء وأهل النظر والكلام - الآمن نور الله بصيرته  
 بنور الكشف - إعضال خلود الكفار في النار بالعذاب الدائم . فإن شيئاً مما ذكر من  
 الأسباب الفاعلة والمدبررات العالية لا يوجب ذلك لأنها مبرأة عن الشرور والنقائص -  
 ولا شيئاً من القوابل المادية يحتمل التعذيب الدائم والانفعال الغير المتناهي كما بين في  
 مقامه والرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء تنافي التعذيب الدائم كما مرّت الإشارة إليه

عند قوله تعالى: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**.<sup>١)</sup>

وهذه إحدى المسائل التي من مواضع الخلاف بين علماء الكشف وعلماء الرسوم بل هي موضع الخلاف بين علماء الكشف بعضهم مع بعض أيضاً فإنهم اختلفوا هل يسرد العذاب عليهم إلى ما لانهاية له، أو يكون لهم نعيمٌ بدار الشقاء فينتهي عذابهم إلى أجلٍ مسمى؟ مع الإنفاق للجميع على عدم خروج الكفار من دار البوار ومحلّ الأشرار، وأنهم ما كانوا.

قلنا: كل ما ذكرته في باب الاستحالة في صدور التعذيب الأبدي والابلام السرمدي وقبولهما من الجهات الفاعلة والقابلة ومخالفة ذلك للرحمة والعناية المقتضيتين لحفظ النظام وإقامة القوام وإبقاء الأنواع بالديمومة السرمديّة بتعاقب الأفراد وتوارد الأعداد، إنما يقتضى الاستحالة والامتناع إذا كان المعدّب واحداً شخصياً على صورة واحدة واستعداد واحدٍ لقابلٍ واحد.

وأما إذا كانت الصور متواردة على قابلٍ واحد والاستعدادات متعاقبة لمادة واحدة ضعيفة الوحدة واهنة الوجود ما بين صرافة الوجود الفعلية ومحوضة العدم والقوة كما يفسح عنه قوله تعالى: **﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾** [٧٤/٢٠] فتوارد العقوبات الإلهية وتعاقب التعذيبات والنقمة الجبارية على حسب توارده الصور المستقبحة وتعاقب الاستعدادات الظلمانية في أزمنة متمادية إلى ما لانهاية له كما قال تعالى **﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْسَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾** [٥٦/٤] مما لاينا في شيئاً من الأصول الحكيمية والقواعد العقلية والسمعية .

فأهل الحجاب الكلّي والشقاء الطبيعي ممّا لا طريق لهم إلا طريق جهنّم ومسلك الطبيعة والهوى وانسدت عليهم سبل الهداء والارتقاء من هذه الهاوية السفلى ولا يفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة والمنزل الأعلى، والأصول الحكيمية دالة على أنّ



القسر لا يدوم على طبيعة واحدة وإن لكلّ موجود غاية يصل إليها يوماً، وإن الرحمة الإلهية نائلة لكلّ أحد واسعة على كل شيء كما قال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [١٥٦/٧].

وعندنا أيضاً أصول دالة على أنّ الجحيم وآلامها وشروورها دائمة بأهلها كما إنّ الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها، إلا أنّ الدوام في كلّ منهما على معنى آخر ولكلّ من الدارين عمار من أهلها. ولهذا المقام شروح كثيرة وتحقيقات لطيفة واستبصارات شريفة، ذكرنا طرفاً منها في آخر سورة الفاتحة، وشرطاً أصالحاً في كتاب الشواهد الربوبية<sup>(١)</sup>، وسنستقصى القول فيها في مواضع متفرقة من هذا التفسير، إن ساعدتني المشيئة الإلهية النافذة في التقدير. وفيما ذكرناه كفاية هيئنا ولنرجع إلى مانحن بصدده مستعينين بالله وتوفيقه وتسديده.

(١) راجع الاشراف الخامس عشر والسادس عشر من الشاهد الثاني من المشهد



الخبسية والنفوس الدنية المحتاج إليها هذه الدار، التي يقوم بها أهل الظلمة والحجاب  
ويتنعم بها أهل الذلة والقسوة وسائر الأنعام والدواب، المبعدين عن دار الكرامة والنور،  
المطرودين عن عالم المحبة والسرور.

فوجب في العناية الأولى والحكمة الكبرى، التفاوت في الاستعدادات لمراتب  
الدرجات في الشرف والخسة والصفاء والكدورة والعلو والدناءة .

وثبت بموجب القضاء اللازم النافذ في القدر المتحتم الحكم بوجود السعداء  
والأشقياء جميعاً، والمؤمنين والكفار والمنافقين كلاً .

قال بعض المكاشفين: يدخل أهل الدارين السعداء بفضل الله في دارهم وأهل النار  
بعذل الله فيها وينزلون فيهما بالأعمال ويخلدون فيهما بالنيات. وفي المقام أسرار أخرى  
تركناها إلى مقام آخر .

### تبصرة

#### [ الختم وقول الأشاعرة فيه ]

الختم والكتم أخوان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتمسأله ،  
والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه. وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالإصابة  
والإمامة .

\* \* \*

واختلف الناس في هذا الختم، أما القائلون بالقضاء والقدر في الكل فهو من فعل  
الله من جهة خصوصية بعض القوابل المتخالفة للطبائع والصور كما مر، ولهم قولان: <sup>١)</sup>  
منهم من قال: إن الختم هو خلق الكفر في قلوب الكفار، ومنهم من قال: خلق  
الداعية التي إذا انضمت إلى القدرة - صار مجموع القدرة معها سبباً لوقوع الكفر.

(١) الأقوال وما جاء في شرحهما منقولة في تفسير الرازي: ٢٧١/١ .

والحق أن هذا الختم موجودٌ لبعض الكفار للجميع، وهو بمنزلة طبيعة جبلية لذلك البعض مستحيل الانفكاك عنه، ونقريه: إن الذي يحصل منه الكفر، إما أن لا يكون قادراً على تركه، أم يكون. فعلى الأول كانت مبدء الكفر صفة لازمة له من غير اختياره وعلى الثاني كانت نسبة قدرته إلى فعل الكفر وتركه على السواء، فإما أن يكون صبرورتهامصدرأ لأحد الطرفين دون الآخر يتوقف على انضمام مرجح أولاً، وعلى الثاني يلزم صدور الممكن من غير مرجح، وتجويزه يؤدي إلى القدح في الاستدلال بالممكن على المؤثر وينسب منه باب اثبات الصانع وذلك باطل.

وعلى الأوّل إما أن يكون المرجح من فعل الله أو من فعل العبد. وعلى الثاني يلزم التسلسل في الأفعال الاختيارية للعبد وهو محال، وعلى الأول وهو كون المرجح ونسبته الختم، من فعل الله يلزم المطلوب.

فنقول: إذا انضم ذلك المرجح إلى تلك القدرة، فإما أن يصير صدور الكفر واجباً أو جائزاً أو ممتنعاً. والأخيران باطلان فتعين الأول. أما بطلان كونه جائزاً فلأنه لو كان جائزاً لكان يصح صدوره في وقت وتركه في وقت آخر. فلنفرض وقوعه إذا المفروض جوازه والجائز ما لا يلزم من فرض وقوعه محال فذلك المجموع تارة يترتب عليه الأثر وأخرى لا يترتب عليه، واختصاص أحد الوقتين بترتبه عليه، إما أن يتوقف على انضمام قرينة إليه أو لا يتوقف، فإن توقف كان المرجح هو ذلك المجموع مع هذه القرينة الزائدة لذلك المجموع والمفروض خلافه هذا خلف.

وايضاً فيعود التقسيم في هذا المجموع الثاني، فإن توقف على قيد آخر لزم التسلسل وهو محال وإن لم يتوقف حصل ذلك المجموع بحيث يكون مصدر أثاره للأثر وأخرى لا يكون كذلك مع أنه لم يتميز أحد الوقتين بأمر لا يكون في الوقت الآخر عنه فيكون هذا قولاً بترجح الممكن لاعتن مرجح وهو محال.

فثبت أن عند حصول ذلك المرجح يستحيل أن يكون صدور ذلك الأثر جائزاً

وأما أنه لا يكون ممتنعاً فظاهراً، وإلا لكان مرجح الوجود مرجحاً للعدم، وهو محال. وإذا بطل القسمان فثبت أن عند حصول مرجح الوجود يكون الأثر واجب الوجود عن المجموع الحاصل من ذلك القدرة ومن ذلك المرجح.

وإذا عرفت هذا، كان خلق الداعية موجبة للكفر أو الأمر الجبلي الموجب له، ختماً على القلب ومنعاً عن قبول الايمان. فهذا هو السبب الفاعلي والذي ذكرنا في الفصل المتقدم هو السبب الغائي لوجود الختم وأشباهه، كالطبع والرّين والغشاوة والصمّ والبكم وغيرها، فإنه تعالى لما حكم بأنهم لا يؤمنون، ذكر عقيبه ما يجري مجرى السبب الموجب له، لأن العلم بالعلّة يفيد العلم بالمعلول والعلم بذى السبب لا يكمل إلا من جهة العلم بسببه، فهذا قول من أضاف جميع المحدثات إلى الله على ترتيب الأسباب والمسببات، وأما الأشاعرة، فهم بمعزل عن ذكر المرجح والعلّة هي هنا، لانكارهم القول بالعلّة والمعلول مطلقاً.

## فصل

### [ اقوال المعتزلة في المراد من الختم ]

وأما المعتزلة فلما لم يجوزوا وابتداءً على أصولهم خلق الكفر وما يشبهه وما استدعيه من قبل الله تعالى، لا يجوز عندهم إجراء هذه الآية على ظاهرها من المنع من الايمان، سيما وقد ذم الله كفاراً قالوا: إن على قلوبنا أكناتاً وظلماتاً وفي آذاننا وقرف فقد التجأوا إلى حمل الختم والغشاوة على أمور أخرى. قالوا: لأن إسناد الختم إلى الله مع كونه دالاً على المنع من قبول الحق والتواصل إليه بطريقة - إسناد أمر قبيح إليه تعالى، والله يتعاطى ممن فعل القبيح علواً كبيراً لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه، وقد نصّ على تنزيه ذاته عنه بقوله:

﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٢٩/٥٠] ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٦/٤٢] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [٢٨/٢] ونظائر ذلك. فذكروا<sup>١</sup> في الآية وجوهاً من المحامل

(١) الاقوال منقولة من تفسير الرازي ٢٧٢/١، والكشاف ١٢١/١.

والتاويلات :

أحدها: القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها، وأما إسناد الختم إلى الله فللتنبيه على أن هذه الصفة في فرط تمكّنها وثبات قدمها كالشيء الخلفي غير العرضي، ولهذا قال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٥/٤] ألا ترى إلى قولهم: فلانٌ مجبولٌ على كذا، مفطورٌ عليه؟ يريدون إنه بليغٌ في الثبات عليه.

وثانيها: إنه يكفى في حسن الإضافة أدنى سبب، والشيطان هو الخاتم بالحقيقة أو الكافر، إلا أن الله تعالى لما كان هو الذي أقدرهم على ذلك، أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب.

قال صاحب الكشاف: إن للفعل ملابسات شتى، يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب، فإسناده إلى الفاعل حقيقة وإلى غيره استعارة لمضاهاتها الفاعل في ملاسته، فيقال: عيشة راضية، وشعرٌ شاعرٌ، ونهاره صائمٌ، وطريقٌ سائرٌ، وبنى الأمير المدينة.

وثالثها: إنهم أعرضوا عن التدبر ولم يصغوا إلى الذكر وكان ذلك عند إيراد الله تعالى الدلائل، فأضيف ما فعلوا إلى الله تعالى لأن حدوده إنما اتفق عند إرادته تعالى عليهم كقوله تعالى في أهل التوراة ﴿زَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [١٢٥/٩] أي ازدادوا بها كفرًا إلى كفرهم.

ورابعها: أن يكون ذلك حكاية لما كان الكفرة يقولون نهكّمأ به في قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [٥/٤١]. ونظيره في الحكاية والنهكّم قوله ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [١/٩٨].

وخامسها: إن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن. أو قلوب مقدرة ختم الله عليها. ونظيره: سأل به الوادي: إذا هلك، وطارت به

العقوبة إذا طالت غيبته .

وسادسها: إن المراد من الختم من الله على قلوب الكفار، هو الشهادة منه عليهم بأنهم لا يؤمنون، وعلى قلوبهم بأنها لا تعي الذكرو لا تقبل الحق. وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إلى الحق كما يقول الرجل لصاحبه: أريد أن يختم على ما يقوله فلأن أي يصدقه ويشهد بأنه حق. فأخبر الله تعالى في الآية الأولى بأنهم لا يؤمنون، وأخبر في هذه الآية أنه قد شهد بذلك وحفظه عليهم .

وسابعها: ما قال بعضهم: إنها جاءت في قوم مخصوصين من الكفار فعل الله بهم هذا الختم والطبع في الدنيا عقاباً لهم في العاجل كما عجل لكثير من الكفار عقوبات في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمُ كُتُوبًا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ [٦٥/٢] وقال تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأَنَسَ عَلَى الْقَوْمِ الْأَفَاسِقِينَ﴾ [٢٦/٥] .

ونحو هذا من العقوبات المعجلة لما علم الله فيها من العبرة للعباد والمصلحة لهم. فيكون من هذا ما فعل بهؤلاء من الختم والطبع. إلا أنهم إذا صاروا أن لا يفهموا سقط عنهم التكليف كسقوطه عن مسخ . وقد أسقط الله التكليف عن بعض العقول كمن قارب البلوغ. ولسنا ننكر أن يخلق الله في قلوب الكافرين مانعاً يمنعهم عن الفهم والاعتبار إذا علم إن ذلك أصلح لهم كما يذهب بقولهم ويعمي أبصارهم ولكن لا يكونون في هذا الحال مكلفين .

وثامنها: يجوز أن يفعل الله هذا الختم بهم في الآخرة، وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه، كما قد أخبر إله يعميهم، قال ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبِكُمَا وَصَمًّا﴾ [٩٧/١٧] وقال: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [٢٠/١٠٢] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [١٠٠/٢١] .

وتاسعها: ما حكوه عن الحسن البصري، وهو اختيار أبي علي الجبائي والقاضي:

إن المراد علامةٌ وَسِمَةٌ وَسَمُّهَا قُلُوبُهُمْ وَسَمِعْتُمْ يَعْرِفُهَا الْمَلَائِكَةُ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِهَا إِنَّهُمْ كَفَرُوا فَيُبْغِضُونَهُمْ وَيَنْفِرُونَ عَنْهُمْ، كَمَا لَا يَبْعُدَانِ يَكُونُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمٌ يَعْرِفُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا كَوْنَهُمْ مُؤْمِنِينَ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ كِتَابٌ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾ [٢/٥٨] وَحِينَئِذٍ يَحْبَوْنَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَالْقَائِدَةُ فِي تِلْكَ الْعِلْمَةِ مُصَلِحَةٌ تَعُودُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ . وَقَالُوا وَإِنَّمَا خَصَّ السَّمْعَ وَالْقَلْبَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا لِلدَّلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْآخَرَى لِلْعَقْلِيَّةِ .

وهؤلاء لم يحملوا الغشاوة في البصر أيضاً على معنى العلامة والسمة، كما حملوا الختم عليه محافظة على مقتضى اللغة من غير مانع في الختم، إذ لا مانع من حمله على معناه بخلاف الغشاوة، لأنها الغطاء المانع عن الإبصار. ومعلوم من حال الكفار خلاف ذلك، فلا بد فيه من حمله على المجاز وهو تشبيه حالهم بحال من لا ينتفع ببصره في باب الهداية .

وعاشرها : إن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق لهم طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر. ثم لم يقع الإلجاء والقسر إبقاءً على غرض التكليف، عبر عن تركه بالختم، فإنه سدُّ لإيمانهم وفيه إشعارٌ على ترامي أمرهم في الغي والضلال وتناهي انهماكهم في البطلان والوبال. فهذا مجموع ما ذكره في هذا المقام.

## فصل

### [ وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ... ]

أكثر المفسرين على أن قوله ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوفٌ على قوله ﴿وَعَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وفاقاً لقوله تعالى ﴿وَوَحَّتْ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ولما مر من أن الأدلة السمعية لا تستفاد إلا من طريق السمع والأدلة العقلية لا تستفاد إلا من طريق القلب ولأنهما لما اشتركا في الإدراك من جميع الجوانب، جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما،



المختم الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما اختصّ بجهة المقابل جعل المانع عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة .

والفائدة في تكرير الجار في قوله: وَعَلَى سَمْعِهِمْ ، لاستقلال كل منهما بالحكم ولأنها لما عيد في السمع كان أدلّ على شدة الختم في الموضوعين ، وإنما وحدّ السمع للأمن عن اللبس كما يقال: أتاني برأس كبشين وكفوله عليه السلام: «كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ» ولأن السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فروعياً بالأصل، دلّ عليه جمع الأذن في قوله: ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْآنٍ ﴾ [٥/٢١] .

ووجه ثالث وهو تقدير مضاف محذوف، أي وعلى حواس سمعهم، ووجه رابع إنّه محذوف بين الجمعين فيراد به الجمع أيضاً كما قال تعالى: ﴿ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [٢٥٧/٢] ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: وعلى أسماعهم . والأبصار جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق على القوّة الباصرة وعلى العضو كما يطلق العقل وهو إدراك الكلّيات على القوّة الناطقة وعلى الشخص المحسوس، وهذا ليس من باب المجاز كما زعموه بل لعلاقة اتحادية بين الفعل والفاعل والقوّة وذو القوّة، كما بين العقل والعامل والنفس والبدن كما ذهب إليه بعض أعظم الفلاسفة المسمّى «بفروريوس» ودلّ عليه كلام استاذه معلم الفلسفة القديمة «أرسطاطاليس» في كتابه الموسوم بمعرفة الربوبية .

وكذا الكلام في السمع حيث يطلق على الإدراك وقوّته ومادّته، واختلف الناس في كون أيّهما أفضل ، فقبل: السمع، لأنّ الله حيث ذكرهما قدّمه على البصر والتقديم علامة التفضيل، ولأنّ شرط النبوة بخلاف البصر، ولهذا ما بعث نبيّاً أصم. وقد كان فيهم مبتلى بالعمى ، ولما مرّ من كونه متصرّفاً في الجهات دون البصر ولأنّه متى بطل، بطل النطق والعين إذا بطلت لم يبطل النطق، ولأنّ بالسمع تصل نتائج العقول بعضها إلى

(١) في الدرّامي (٢/٢٠٢) : حدثنا الحسن ، قال : المؤمن لا يأكل في كل بطنه . . .

بعض فهو كأنه سبب لاستكمال العقل بالمعارف، والبصر لا يوقفك إلا على المحسوسات أقول: وفي هذا الوجه محل نظري وكأن مراد القائل، إن الواسطة بين السمع والعقل أقل مما بين البصر والعقل. فإن العقل يفهم المعاني من النقوش والكتابة بواسطة دلالتها على الألفاظ ودلالة الألفاظ على الصور العقلية و يفهمها من النقوش السمعية لدالتها على الصور العقلية بلا واسطة، وكأن الهواء بما فيها من صور الألفاظ صحيفة مكتوبة يدل على المعاني من غير توسط الألفاظ لأنها نفس الألفاظ .

وقيل بأن البصر أقدم لأن آلة القوة الباصرة أشرف ولهذا يقال لهما: كريمتان. وفي الحديث: «من أحب كريمناه لا يكتنن بالعصر» ولأن متعلق القوة الباصرة هو النور، ومتعلق القوة السامعة هو الريح.

أقول: ولأن البصر يعم إدراكه القريب والبعيد إلى فلك البروج، والسمع لا يتعدى إدراكه عن كرة البخار ولأن إدراك البصر دفعي وإدراك السمع زمني تدريجي والأول أشرف لكونه يشبه إدراك العقل والثاني يشبه الحركة والاستحالة، ومعلوم إن العقل أشرف من الحركة لأنه أشرف الجواهر وهي أحسن الأعراض والشبيه بالأشرف أشرف من الشبيه بالأحسن فالبصر أشرف من السمع.

## فصل فيه ذكر مشرقى

### [ السمع أشرف من البصر ]

لعلك كنت ناظراً فيما ذكرنا من قبل في المفاتيح الغيبية، الفرق بين كلام الله و كتابه وإن أحدهما لكونه من عالم الأمر والإبداع أشرف من الآخر لكونه من عالم الخلق والتقدير .

فاعلم إن للنفس الإنسانية المخلوقة على صورة الكمال وهي على بيته من ربها كتاباً وكلاماً وهما يدلان على كلام الله و كتابه يشهدان عليهما، الكلام على الكلام والكتاب

على الكتاب وكل منهما غير صاحبه بوجه، وعينه بوجه آخر كما مرّ بيانه.  
فكلام الحق يدرك بالسمع الباطني وكتابه يدرك بالبصر الباطني.  
وأما كلام النفس وكتابها، فهما يدركان بهذا السمع وهذا البصر الحسيني الظاهرين.  
فإذا تقرّر هذا ظهر وجهه كونه السمع أقدم من البصر في الشرف والفضيلة، ولهذا  
قدّم ذكره على ذكر البصر في القرآن كما مرّ.  
ومما يزيدك استيضاحاً إنّ النفس الإنسانية متى استيقظت من نوم الجهالة وسنة  
الغفلة وتجاوزت حدود البهيمية فأول ما أدركته هو العدد وبه صارت عادة ماسحة، والعدد  
والمساحة من الخواصّ الشاملة للنفس الناطقة لارتفاع الملائكة العقلية عنها وانحطاط  
النفوس الحيوانية عن نيلها .

فالنفس الأدمية هي العادة الماسحة كما تقرّر عند القوم ؛ فهي في بداية أمرها  
عرفت مراتب العدد لتعلم بها مراتب الملكوت الباطنة، ولكلّ مرتبة منها اسم يخصّه  
فتولدت من مراتب العدد أساميها لكن بحكم أنّ الكلام إنّما يتأتّى من جهة السمع،  
فالحروف والأصوات صارت محصّلة لتلك الأسامي تحصيل البسيط للمركب ،  
فكما إنّ الأسامي المركبة دالة على أشخاص وأعداد مركبة سواء كان في عالم  
الحسّ كزيد وعمر وأوفي عالم العقل كالعقول من الإنسان والفرس والياقوت  
والعسل وغيرها، فكذلك الحروف المبسوطة دالة على أعداد بسيطة كالعقل والنفس والطبيعة  
والهولي .

وأسبق الحروف هي حروف المدّسيما الألف فلذلك صارت حرف أول  
الموجودات البسيطة الذوات، ثمّ يحصل المركبات من هذه البسائط كما يتألّف  
الأسامي من الحروف الواحدان وأسامى المفردات وأرقامها من أرقام المفردات بتركيب  
مفردات كلّ من هذه العوالم العقلية العددية والسمعية اللفظية والحسية الرقمية .  
فالأعداد دلائل على عالم العقل، والحروف بأصواتها دلائل على عالم المثال

البرزخي، والأرقام المادية دلائل على عالم الحسّ والشهادة.  
 فالعدد وجوده في لوح النفس، والحروف وجودها في صحيفة الهواء النفسي  
 المتحرك بسبب قوة التكلم، وإنما يدركها السمع لا البصر. والبصر يدرك نقوش كتابية  
 للحروف والأسمى الدالة عليها وعلى ما في النفس. فلأشياء وجود في النفس ووجود  
 في النفس الإنساني وهو الهواء اللطيف الخارج من باطنه بإزاء النفس الرحماني المنبعث  
 من فيض وجود الحق المنبسط على هياكل المهيئات وصحائف القابليات ووجود في الكتابة.  
 فالأول ليس بمدخله وضع وتعمل بخلاف الأخيرين، والأول قول النفس والثاني  
 كلامها والثالث كتابها.  
 فعلى ما قررنا من المقدمات، ثبت أن الكلام أشرف من الكتابة، كما أن القول  
 أشرف من الكلام فقد تحقق وتبين أن السمع أشرف من البصر

## فصل

### [ اللغة والقراءة ]

ذكر صاحب الكشاف<sup>(١)</sup> : قرء «عشاوة» بالكسر والنصب، و«عشاوة»  
 بالضم والرفع، و«عشاوة» بالفتح والنصب، و«عشاوة» بالكسر والرفع، و«عشاوة»  
 بالفتح والرفع والنصب<sup>(٢)</sup>، و«عشاوة» بالعين غير المعجمة والرفع من «العشاء» .  
 والعشاوة هي الغطاء ومنه الغاشية ومنه غشى عليه، أي زال عقله، والغشيان كناية  
 عن الجماع .

والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول: اعذب عن الشيء إذا أمسك

(١) الكشاف: ١٢٦/١ .

(٢) قراءة الرفع على انه مبتدأ وخبره « على أبصارهم » وقراءة النصب على أنه مفعول  
 فعل مضمر وتقديره « وجعل على أبصارهم عشاوة » ( اعراب مامن به الرحمن : ١٥ ) .

عنه كما تقول: نكل عنه، ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيد ويدلّ عليه تسميتهم إياه نقاخاً لانه ينقح العطش، أي: يكسره، وفراًتاً، لأنه يرفنه على القلب. ثم اتسع فيه فسمى كل ألم قاذح عذاباً وإن لم يكن نكلاً، أي عقاباً يرتد عنه الجاني عن المعاودة.

والفرق بين العظيم والكبير، إن العظيم نقبض الحقير، والكبير نقبض الصغير، فكان العظيم فوق الكبير، كما أن الحقير دون الصغير، ويستعملان في الجثث والأحداث جميعاً تقول: رجلٌ عظيمٌ وكبيرٌ تريد جثته أو خطرته، ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغذية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم بين الآلام العظام نوعٌ عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

## فصل

### [عذاب الكفار وخلودهم في النار]

اتفق أهل الإسلام على أنه بحسن من الله تعذيب الكفار، وقال بعضهم لا يحسن، أما الفرقة الأولى، فمستندهم أدلة سمعية كالكتاب والخبر والإجماع، وأما الفرقة الثانية فمستندهم دلائل عقلية<sup>١)</sup>.

\* \* \*

الأول: أنه سبحانه هو الخالق للدواعي التي توجب المعاصي وذلك لحكمة النظام ومصلحة الخلائق لما مرّ من أن الناس لو كانوا كلّهم صلحاء مؤمنين خائفين من عقاب الله، لاختلف نظام الدنيا وبطل أسباب المعيشة، ولما بيّنا أن صدور الفعل عن قدرة العبد يتوقف على انضمام الداعية من العلم والإرادة وغيرها وبعد انضمام الداعي يجب صدور الفعل. وحصول الداعي ليس بقدرته وإلا لكان للداعي داعٍ آخر ويعود

(١) الأدلة الستة المذكورة من تفسير الرازي: ٢٧٦/١ إلى ٢٧٨ .

الكلام جذعاً فيتسلسل، وهو محال. أو ينتهي إلى داعٍ حصل بخلق الله لا بقدرته العبد إذاً كان الله هو الخالق للدواعي الشيطانية التي توجب المعاصي فيكون هو الملجئ إليها فيقبح منه أن يعاقب عليها .

وربما قرروا هذا بوجه آخر وقالوا: إذا كانت التكاليف الشرعية قد جاءت إلى شخصين قبلها أحدهما فائيب وخالفها الآخر فعوقب، فإذا سئل لم أطاع هذا وعصى الآخر فيجيب لأن المطيع أحب الثواب وحذر العقاب والعاصي لم يحب ولم يحذر، أو لأن هذا أصغى إلى من وعظه وفهم عنه مقالته فأطاع، وهذا لم يصغ ولم يفهم فعصى. فيقال: ولم أحب الخير هذا وأصغى وفهم ولم يكن الآخر كذلك ولم يفهم؟ فيجيب لأن هذا حازمٌ لبيبٌ فطنٌ، وذاك أخرقٌ جاهلٌ غبيٌّ.

فيقال: ولم خص هذا بالعقل والفطنة دون ذلك؟ ولا شك إن الفطنة والبلادة من الأحوال الغريزية. فإذا تناهت التعليقات إلى أمور خلقها الله اضطراراً فاعلم إن سبب الطاعة والعصيان والتوفيق والحرمان من الأشخاص أمور واقعة عليها بقضاء الله وتقديره.

وعند هذا يقال أين من العدل والرحمة أن يخلق في عبد من الفظاظة والقساوة والغباوة والطيش والخرق ما يوجب عنه صدور العصيان، ثم يعاقب عليه وهذه مما هو مجبولٌ عليه كما جبل على أضدادها الطائع .

وأين من العدل أن يسخن قلب العاصي ويقوى غضبه ويلهب دماغه ويكثر طيشه ولا يرزقه ما يرزق المطيع من أستاذ سليم ومؤدبٍ عليم وواعظٍ مبلغٍ وناصحٍ شفيق، بل يقيض له أضداد هؤلاء في أفعالهم وأخلاقهم - فيكتسب منهم ما يكسبه المطيع ثم يؤاخذ به بما يؤاخذ به اللبيب الحازم العالم، البارد طبيعة الراس، الصبور، المعتدل مزاج القلب، الزكي، اللطيف الروح، الدراك، يقظان النفس، الحازم . ما هذا من العدل والكرم والرحمة فثبت بهذا أن القول بالعقاب على خلاف قضية العقول.

الثاني: إن التعذيب في الآخرة ضررٌ خالٍ عن جهات المنفعة، أمّا إنه ضرر

فظاهر، وأما أنه خالٍ عن جهات النفع فلأن تلك المنفعة إما عائدة إلى الله أو إلى غيره والأول باطل لتعالیه عن وَسْمَةِ التغيّر والافعال. والثاني أيضاً باطل لأنها إما عائدة إلى المعذّب أو إلى غيره، أما إليه فهو محالٌ لأن الإضرار لا يكون عين الانتفاع. وأما إلى غيره فهو محالٌ، لأن دفع الضرر أولى بالرعاية من إيصال النفع، فإيصال الضرر إلى شخص لغرض إيصال النفع إلى آخر ترجيحٌ للمرجوح على الراجح وهو باطلٌ. وأيضاً فلا منفعة يريد الله إيصالها إلى أحدٍ إلا وهو قادر عليه بوجوه شتى، فالإضرار عديم الفائدة .

فثبت أن التعذيب ضررٌ خالٍ عن جميع جهات المنفعة وأنه معلوم القبح بديهياً بل قبحه أجلى في العقول من قبح الكذب الغير الضارّ والجهل الغير الضارّ. بل من قبح الكذب الضارّ والجهل الضارّ؛ لأن الكذب الضارّ وسيلة إلى الضرر، وقبح وسيلة الضرر دون قبح نفس الضرر .

وإذا ثبت قبح التعذيب امتنع صدوره من الله تعالى، لأنه حكيمٌ، والحكيم لا يفعل القبيح .

الثالث : إنه كان عالماً بأن الكافر لا يؤمن، كما أخبر عنه في الآية السابقة، فمتى كلف لم يظهر منه إلا العصيان، وهو يكون سبباً للعقاب فكان ذلك التكليف مستعقباً لاستحقاق العذاب، إما لأنه تمام العلة أو لأنه شرطها. فوجب أن يكون ذلك التكليف قبيحاً لكونه مستعقباً للضرر الخالي عن النفع والحكيم لا يفعل القبيح فوجب أحد الأمرين إما عدم التكليف أو عدم العقاب. وعلى أيهما فال مطلوب حاصل .

الرابع : إنه سبحانه، إنما كلفنا النفع لعوده إلينا لأنه تعالى قال ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ فإذا عصينا فقد فوتنا على أنفسنا تلك المنافع. فهل يحسن في العقول أن يأخذ الحكيم إنساناً ويقول: إنّي اعدبكم العذاب الشديد لأنك فوتت على نفسك بعض المنافع. فإنه يقول له إن تحصيل النفع مرجوح بالنسبة إلى دفع الضرر

فهبّ إنّي فوتت على نفسي أدون المطلوبين فأنت تفوتت عليّ لأجل ذلك أعظمها. أو هل يحسن من السيد أن يأخذ عبده ويقول: إنك قدرت على أن تكسب ديناراً لنفسك لتنتفع به خاصة من غير أن يكون فيه شيء <sup>للي</sup> آتية، فلماً لم تفعل فأنا أعدبك وأقطع أعضائك إرباً إرباً. لاشك أن هذه نهاية السفاهة فكيف يليق بأحكام الحاكمين؟!

ثم قالوا: هبّ إنّا سلّمنا هذا العقاب، فمن القول بالدوام وذلك لأن أفسى الناس قلباً وأشدّهم غلظةً وبعداً عن الخير والرحمة؛ إذا أخذ من بالغ في الإساءة إليه عدّبه يوماً وشهراً وسنة ثم إنّه يشبع منه ويملّ. ولو بقي مواظباً عليه يلومه كل أحد ويقال: هبّ إنّه بالغ في الإساءة والإضرار بك. ولكن إلى متى هذا التعذيب؟ فيما أن تقتله وتريبه وإما أن تخلّصه. فإذا قبح هذا من الإنسان الذي يلتذّ بالانتقام فالغني عن الكل كيف <sup>يليق</sup> به هذا الدوام الذي يقال؟!

الخامس: إنّه تعالى نهى عباده عن استيفاء الزيادة فقال تعالى: ﴿فَلَا يَسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [٣٣/١٢] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [٤٠/٢٢].  
ثم إنّ العبد هبّ إنّه عصى طول عمره، فأين عمره من الأبد، فيكون العذاب المؤبد ظلماً؟

السادس: إنّ العبد لو واطب على الكفر طول عمره فإذا تاب ثمّ مات؛ عفى الله عنه وأجاب دعائه قبل توبته. أترى هذا الكرم العظيم ما بقي في الآخرة، أو عقول اولئك المعدّبين ما بقيت، فلم <sup>لا</sup> يتوبون عن معاصيهم، وإذا قابوا فلم لا يقبل الله توبتهم ولم لا يسمع دعائهم ولم يخيب رجائهم ولم كان في الدنيا في الرحمة والكرم إلى حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٤٠/٦٠] ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [٦٢/٢٧] وصار في الآخرة بحيث كلّما كان تضرّعهم إليه أشدّ فانه لا يخاطبهم إلا بقوله: ﴿إِخْسَتُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ﴾ [١٠٨/٢٣].

قالوا: فهذه الوجوه مما يوجب القطع بعدم العقاب.



واعلم إن أكثرها مبنية على أصول المعتزلة التحسين والتقيح العقليين وأن الأصلح واجب على الله ولا محيص لهم عنها من جهة العقل .

و الأشاعر أجابوا عن هذه الشبهة بمنع صحة تلك الأصول وبما تواترت من الآيات والأخبار المنقولة من الرسول صلى الله عليه وآله الواردة في باب خلود الكفار في عذاب النار .

\* \* \*

وأما على أصولنا الحكيمية الايمانية، فالجواب عنها بما مر من أن العقوبة إنما لحق الكفار لامن جهة انتقام منتقم خارجي يفعل الايلام والتعذيب على سبيل القصد وتحصيل الغرض حتى يرد السؤال في الفائدة أو في كون المنفعة عائدة إليه تعالى أو إلى العبد، بل العقوبة إنما يلحقهم من باب اللوازم والتبعات والنتائج والثمرات ، فهذا هو الجواب بحسب الأصول الحققة عن الإشكال الوارد على أصل العقاب .

وأما الإشكال الوارد على دوام العذاب وأبديته للكفار، فوروده من جهة أخرى غير جهة التحسين والتقيح، فلذلك كان موجب تحير الحكماء وتدهش أفاضل العرفاء حتى أن الشيخ العارف السبحاني محيي الدين الأعرابي وتلميذه الشيخ صدر الدين القونوي قدس سرهما، صرحا القول بانتهاء مدة العقاب وعدم تسرمد العذاب وتبعهما غيرهما من شراح الفصوص ومن يحدو حدوهم .

قال في الفص الإسمعيلي<sup>١</sup>: «الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز ﴿ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مَخْلُفًا وَعْدِهِ رَسُولَهُ ﴾ [١٦/٤٦] ولم يقل : ووعيده، بل قال: ﴿ وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [٤٦/١٦] مع أنه توعد على ذلك .

وقال في الفص الميوني من فصوص الحكم<sup>٢</sup> بعد ما بين فضيلة الإنسان وشرفه

(٢) فصوص الحكم : ١٦٩ وفيه فروق .

(١) فصوص الحكم : ٩٣ .

بهذه العبارة: «ولا بد أن يكون في الإنسان جزء يذكر الحق به<sup>٣)</sup> ويكون الحق جليس ذلك الجزء فيحفظ باقي الأجزاء بالعناية وما يتولّى الحقّ هدم هذه النشأة بالمسمى موتاً، فليس بإعدام وإنما هو تفريق، فيأخذ<sup>٥)</sup> إليه وليس المراد إلا أن يأخذه الحق إليه وإليه يرجع الأمر كله، فإذا أخذ الحق إليه سوى له مركباً من جنس الدار التي ينتقل إليها وهي دار البقاء لوجود الاعتدال فلا يموت أبداً، أي لا يفترق<sup>٧)</sup> أجزاءه، وأما أهل النار فما لهم إلى النعيم ولكن في النار إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العذاب أن يكون برّداً وسلاماً على من فيها وهذا نعيمهم. فنعيم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله عليه السلام حين ألقى في النار» - انتهى.

وقال في الباب الثامن والخمسون<sup>٩)</sup> «وأما كتاب الفجّار ففى سجّين، وفيه أصول السدرة التي فيه شجرة الزقوم فهناك أعمال الفجّار في أسفل السافلين، فإن رجمهم الرحمن من عرش الرحمانية بالنظرة التي ذكرناها، جعل لهم نعيماً<sup>١٠)</sup> فلا يموتون فيها ولا يحيون، فهم في نعيم النار دائمون كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور، وربما يكون في فراشه مريضاً ذابؤس وفقر، ويرى نفسه في المنام ذا سلطان ونعمة وملك.

فإن نظرت إلى النائم من حيث ما يراه في منامه وبلتذّبه، قلت: إنه في نعيم وصدق

(٣) المصدر: يذكره يكون .

(٤) المصدر: وليس .

(٥) المصدر: فيأخذه .

(٦) المصدر: فإذا أخذه إليه .

(٧) المصدر: مركباً غير هذا المركب من ...

(٨) المصدر: لا يفترق .

(٩) الفتوحات المكية: ٢٩٠/١ .

وإن نظرت إليه من حيث ما يراه في فراشه الخشين ومرضه وبؤسه وفقره وكلومه، قلت: إنه في عذاب.

هكذا يكون أهل النار، فلا يموت فيها ولا يحيى أي لا يستيقظ أبداً من نومته، فذلك الرحمة التي يرحم الله بها أهل النار الذين هم أهلها وأمثالها كالمحرور منهم ينعم بالمهرير والمقروور منهم يجعل في الحرور.

وقد يكون عذابهم توهم وقوع العذاب بهم وذلك كله بعد قوله ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ذلك زمان عذابهم وأخذهم بجرائمهم قبل أن يلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب الإلهي، فإذا اطلع أهل الجنان في هذه الحالة على أهل النار رأوا منازلهم في النار، وما أعد الله فيها، وما هم عليه من قبح المنظر، قالوا: معدنون. وإذا كوشفوا على الحسن المعنوي الإلهي، بحق ذلك المسمى قبحاً ورأوا ما هم فيه من نومهم، وعلموا أحوال أمر جنهم، قالوا: منعمون. فسبحان القادر على ما يشاء لإله الأهل العزيز الحكيم فقد فهمت قول الله ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون بانتهى.

وقال في الباب الثامن والخمسون وثلاثمائة من الفتوحات المكية: <sup>(٢)</sup> اعلم أسعدنا الله وإياك بسعادة الأبد. إن النفس الناطقة سعيدة في الدنيا والآخرة، لاحظ لها في الشقاء لأنها ليست من عالم الشقاء إلا أن الله ركبها هذا المركب البدني المعبر عنه بالنفس الحيوانية. فهي لها كالدابة وهي كالراكب عليها، وليس للنفس الناطقة في هذا المركب الحيواني إلا المشي بها على الصراط المستقيم الذي عينه لها الحق، فإن أجابت النفس الحيوانية لذلك فهي المركب الذلول المرتاض، وإن أبته فهي الدابة الجموح، كلما

(١) ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الشفاعة: ١٤٤١/٢.

(٢) الفتوحات المكية: ٢٦٢/٣.

أراد الراكب أن يردّها إلى الطريق جمّحت وحرنت عليه وأخذت يميناً وشمالاً لقوّة رأسها وسوء تركيب مزاجها.

فالنفس الحيوانية ما تقصد المخالفة ولاتأتي المعصية انتهاكاً لحرمة الشريعة وإنما تجرى بحسب طبعها لأنها غير عالمة بالشرع واتفق أنها على مزاج لا يوافق راكبها على ما يريد منها.

والنفس الناطقة لا يتمكن لها المخالفة لأنها من عالم العصمة والأرواح الطاهرة، فإذا وقع العقاب يوم القيمة فإنما يقع على النفس الحيوانية كما يضرب الراكب دابته إذا جمّحت وخرجت عن الطريق الذي يريد صاحبها أن يمشي بها عليه.

الأتري الحدود في الزناء والسرقه والإفتراء إنما محلّها النفس الحيوانية البدنية، وهي التي تحسّ الألم القتل وقطع اليد وضرب الظهر، فقامت الحدود بالجسم وقام الألم بالنفس الحساسة الحيوانية التي يجتمع فيها جميع الحيوان المحسّ للآلام. فلافرق بين محلّ العذاب من الإنسان وبين جميع الحيوان في الدنيا والآخرة. والنفس الناطقة على شرفها مع علمها في سعادتها دائمة الأتري أن النبي صلى الله عليه وآله قد قام لجنّازة يهوديّ فقبل له: إنها جنّازة يهودي. فقال: أليست فساداً<sup>(١)</sup> فما علل بغير ذاتها فقام إجلالاً وتعظيماً لشرفها ومكانتها.

وكيف لا يكون لها الشرف وهي منفوخة من روح الله فهي من العالم الأشرف الملكي الروحاني، عالم الطهارة. فلافرق بين النفس الناطقة الموجودة لكل أحد وانها ما عصت وإنما النفس الحيوانية ما ساعدتها على ما طلبت منها وانّ الحيوانية خوطبت<sup>(٢)</sup>

(١) البخاري: كتاب الجنائز: ١٠٩/٢.

(٢) جاء بدلائمها في المصدر: مع هذه النفس البدنية الحيوانية وبين الراكب على الدابة في الصورة - فاما جموح واما ذلول - فقد بان لك ان النفس الناطقة ما عصت وانما النفس الحيوانية ما ساعدتها على ما طلبت منها، وان النفس الحيوانية ما خوطبت . . .

بالتكليف فتستصف بطاعة أو معصية.

فاتفق أن كانت جموحاً اقتضاه طبعها لمزاج خاصّ فاعلم ذلك. وإن الله يعمّ برحمته الجميع لأنها سبقت غضبه لمانجاريا إلى الإنسان<sup>(١)</sup> انتهى كلامه. وقال في الباب الخامس وثلاثمائة من الفتوحات أيضاً: واعلم إن من الأحوال التي هي الامهات من هذا الباب ... أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها وهو أن لا يعبدوا إلا الله كما قال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله، فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله بل جعلوا آلهة على طريق القرية إلى الله ولهذا قال ﴿قُلْ سَمَّوْهُمْ﴾ فإنهم إذا سمّوهم بأن أنهم ما عبدوا إلا الله. فما عبد عابد إلا الله في محل الذي نصب الألوهية له، فصحّ بقاء التوحيد لله الذي أقرّوا به في الميثاق وإن الفطرة مستصحبة.

والسبب في نسبة الألوهية لهذه الصور المعبودة؛ هو إن الحقّ لمّا تجلّى لهم في أخذ الميثاق تجلّى لهم في مظهر من المظاهر الإلهية فذلك الذي أجرأهم على أن يعبدوه في الصور.

ومن قوّة بقائهم على الفطرة، أنهم يعبدوه على الحقيقة في الصور وإنما عبدوا الصور لما تخيلوا<sup>[أتملّوا]</sup> فيها من رتبة التقرب كالشفعاء. وهاتان الحقيقتان إليهما مال الخلق في الدار الآخرة وهما الشفاعة والتجلي في الصور على طريق التحوّل.

فإذا تمكّنت هذه الحالة في قلب الرجل وعرف من العلم الإلهي ما الذي دعى هؤلاء الذين صفتهم هذا وأنهم تحت قهر ما إليه يؤولون، تضرّعوا إلى الله في الدياجير وتملّقوا في حقهم وسئلوه أن يدخلهم في رحمته إذا أخذت منهم النعمة حدّها، وإن كانوا عمّار تلك الدار فيجعل لهم فيها نعيمآبه إذا كانوا من جملة الأشياء التي وسعتهم الرحمة العامة وحاشى الجناب الإلهي من النقيّة وهو القائل بأن رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم

(١) الفتوحات المكية : ٢٤/٣ .

فإن كان شيئاً فهو تحت إحاطة الرحمة الإلهية الواسعة.

وقد قال: <sup>١)</sup> إن الأنبياء عليهم السلام يوم القيمة إذا سُئلوا في الشفاعة قالوا: إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله. وهو من أرجى حديث يُعتمد عليه في هذا الباب أيضاً فإن اليوم المشار إليه وهو يوم القيمة - هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وفيه يكون الغضب من الله على أهل الغضب وأعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار وحلول العذاب والانتقام من المشركين وغيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة والذين يُخرجهم الرحمن كما ورد في الصحيح <sup>٢)</sup> و يدخلهم الجنة إذ <sup>[المراد]</sup> يكونوا من أهل النار - الذينهم أهلها - ولم يبق في النار إلا أهلها الذين هم أهلها. فعمّ الأمر بدخول النار كل من دخل فيها من أهلها ومن غير أهلها لذلك الغضب الإلهي الذي لم يغضب مثله بعده، فلو سرمد عليهم العذاب لكان ذلك عن غضب أعظم من غضب الأمر بدخول النار.

وقد قالت الأنبياء: إن الله لا يغضب بعد ذلك مثل ذلك الغضب. ولم يكن حكمه إلا الأمر بدخول النار فلا بد من حكم الرحمة على الجميع، ويكفي من الشارع التعريف بقوله: «وَأما أهل النار الذين هم أهلها، ولم يقل أهل العذاب. ولا يلزم ممن كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معذبين بها، فإن أهلها وعمارها مالك وخزنتها وهم ملائكة وما فيها من الحشرات والحيات وغير ذلك من الحيوانات التي تبعث يوم القيمة - ولا واحد منها يكون النار عليه عذاباً - كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون وكل من أليف موطنه كان به مسروراً وأشد العذاب مفارقة الوطن، ولو فارق النار أهلها، لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا له، وأن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن.

(١) جامع الاصول: كتاب القيامة، الشفاعة: ١٢٨/١١.

(٢) راجع المسند: ٩٤/٣.

فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضبَ ووسعت كل شيءٍ عِـ جهنمَ ومن فيها والله  
أرحم الراحمين كما قال عن نفسه.

وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبلهم الله على الرحمة أنهم يرحمون جميع عباد الله،  
حتى لو حكمهم الله في خلقه لأزالوا صفة العذاب من العالم، مما تمكن حكم الرحمة من  
قلوبهم وصاحب هذه الصفة أنا وأمالي ونحن مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض  
وقد قال عن نفسه جل علاؤه: إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فلا يشك إنه أرحم منا بخلقه، ونحن  
عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة فكيف يتسر مد العذاب عليهم وهو بهذه الصفة  
العامّة؟ إن الله أكرم من ذلك ولاسيما وقد قام الدليل العقلي على أن الباري لا ينفعه الطاعات  
ولا يضره المخالفات، وأن كل شيء جارٍ بقضائه وقدره وحكمه وأن الخلق مجبورون  
في اختيارهم .

وقد قام الدليل السمعي أن الله يقول في الصحيح: «يا عبادي» فأضافهم إلى نفسه  
وما أضاف قطّ العباد إلى نفسه إلا من سبقت له الرحمة وأن لا يؤبد عليهم الشقاء فقال:  
«يا عبادي لو إن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على أنقى قلب رجل واحد منكم  
ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو إن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا على  
أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً» .

فقد أخبر بما دلّ عليه العقل أنّ الطاعات والمعاصي ملكه وأنه على ما هو عليه لا يتغير  
ولا يزيد ولا ينقص ملكه مما طرأ عليه وفيه، فإن الكلّ ملكه وملكه.

ثم قال من تمام هذا الخبر الصحيح : يا عبادي لو إن أولكم وآخركم وإنسكم  
وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسئلته، ما نقص ذلك من  
ملكى شيئاً. الحديث .

وما نشك أنه ما من أحد إلا وهو يكره ما يولمه طبعاً فما من أحد إلا وقد سأله أن  
لا يولمه وأن يعطيه اللذة في الأشياء ولا يقدح ما أو مانا إليه في الحديث إذا تعلق به المنازع

في هذه المسئلة إدخال «لوفي» ذلك فإن السؤال من العالم في ذلك قد علم وقوعه بالضرورة من كل مخلوق فإن الطبع يقتضيه، والسؤال قد يكون قولاً وحالاً كبكاء الصغير الرضيع وإن لم يعقل عند وجود الألم الحسي بالوجع أو الألم النفسي لمخالفة الغرض إذ يمنع من الثدي، وقد أخذت المسئلة حقها. والأحوال التي ترد على قلوب الرجال لا يحصى كثرتها وقد أعطيناك منها في هذا الباب أنموذجاً على هذا الأسلوب، انتهى كلامه.

وقال العلامة القيصري في شرح الفصّ الهودي من الفصوص: اعلم إن من اكتحلت عينه بنور الحق، يعلم إن العالم بأسره عباد الله وليس لهم وجودٌ وصفةٌ وفعلٌ إلا بالله وحواله وقوته وكلهم محتاجون إلى رحمته وهو الرحمن الرحيم. ومن شأن من هو موصوفٌ بهذه الصفات، أن لا يعذب أحداً عذاباً أبدياً وليس ذلك المقدار من العذاب أيضاً إلا لأجل ابصالهم إلى كمالهم المقدره لهم، كما يذاب الذهب والفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره وينقص عياره، وهو متضمن لعين اللطف والرحمة كما قيل:

وتعذيبكم عذبٌ وسخطكم رضىٌ  
وقطعكم وصلٌ وجوركم عدلٌ

والشيخ رضى الله عنه إنما يشير في أمثال هذه المواضع إلى ما فيه من الرحمة الحقانية وهو من المطلعات المدركة بالكشف، لانه ينكر وجود العذاب وما جاءت به الرسل من أحوال جهنم فإن من يبصر عينه أنواع التعذيب في النشأة الدنياوية بسبب الأعمال القبيحة كيف ينكر في النشأة الآخروية. وهو من أكبر ورثة الرسل صلوات الله عليهم، فلا ينبغي أن يسيء أحد ظنّه في حق الأولياء الكاملين الكاشفين لأسرار الحق بأمره، انتهى.

وقال في موضع آخر من شرحه للفصوص: اعلم إن المقامات الكلية الجامعة لجميع العباد في الآخرة ثلاثة، وإن كان كلٌّ منها مشتملاً على مراتب كثيرة لا تحصى وهي



الجنة والنار والأعراف، الذي بينهما على ما نطق به الكلام الإلهي <sup>[الأنهم - المص]</sup> ولكل منها اسم حاكم عليه يطلب بذاته أهل ذلك المقام لأنه رعاياه ، وعمارة الملك بهم، والوعد شامل للكل، إذ وعده في الحقيقة عبارة عن إيصال كل واحد منّا إلى كماله المعين له أولاً، فكما إنّ الجنة موعود بها، كذلك النار والأعراف موعود بهما. والأياد أيضا شامل للكل؛ فإنّ أهل الجنة إنّما يدخلونها بالجاذب والسائق قال تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ والجاذب المناسبة الجامعة بينهما بواسطة الأنبياء والأولياء، والسائق هو الرحمن بالأياد والإبتلاء بأنواع المصائب والمحن. كما أنّ الجاذب إلى النار المناسبة الجامعة بينها وبين أهلها، والسائق الشيطان فعين الجحيم موعود لهم لامتوّعديها .

والوعد هو العذاب الذي يتعلّق بالإسم المنتقم ويظهر أحكامه في خمس طوائف لا غير. لأنّ أهل النار إما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين، وهو ينقسم بالموحد العارف الغير العامل والمحجوب. وعند تسلّط سلطان المنتقم عليهم . يتعدّبون بنيران الجحيم كما قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [١٨/٩٢] وَقَالُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿٧٧/٤٣﴾ وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٨٦/٢﴾ وقال : ﴿إِنَّكُمْ مَا كِتُوبُونَ﴾ [٧٧/٤٣] ﴿أَخْسَشُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ﴾ [١٠٨/٢٣] فلما مرّ عليهم السّنون والأحقاب واعتادوا بالنيران ونسوا نعيم الرضوان ، قالوا : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ﴾ [٢١/١٤] فعند ذلك تعلّقت الرحمة بهم ورفع عنهم العذاب .

مع إنّ العذاب بالنسبة إلى العارف الذي دخل فيها بسبب الأعمال التي تناسبها عذب من وجه وإن كان عذاباً من آخر كما قيل: وتعذيبكم عذب - البيت . لأنه يشاهد المعدّب في تعذيبه فيصير التعذيب سبباً لشهود الحقّ وهو أعلى ما يمكن من النعيم حينئذ في حقّه .

وبالنسبة إلى المحجوبين الغافلين عن اللذات الحقيقية أيضاً عذب من وجه كما جاء في الحديث: إن بعض أهل النار يتلاعبون فيها بالنار. والملاعبة لا ينفك عن التلذذ وإن كان معذباً لعدم وجدانه ما آمن به من جنّة الأعمال التي هي الحور والقصور.

وبالنسبة إلى قوم يطلب استعدادهم البعد من الحق والقرب من النار وهو المعنى بجهنم. أيضاً عذب وإن كان في نفس الأمر عذاباً كما يشاهد هيهنا ممن يقطع سوا عدهم ويرمي أنفسهم من القلاع مثل بعض الملاحدة .

وقد شاهدت رجلاً سمر في أصول أصابع إحدى يديه خمسة مسامير غلظ كل مسامير مثل غلظ القلم واجتهد المسمر ليخرجه من يده فمارضني بذلك وكان يفتخر به وبقني على حاله إلى أن استدركه الأجل .

وبالنسبة إلى المنافقين الذين لهم استعداد الكمال واستعداد النقص وإن كان اليماء لأدراكه الكمال وعدم إمكان وصولهم إليه ولكن لما كان استعداد نقصهم أغلب؛ رضوا بنقصانهم وزال عنهم تألمهم بعد انتقام المنتقم منهم بتعذيبهم، وانقلب العذاب عذاباً كما يشاهد ممن لا يرضى بأمر خسيس أو لأثم إذا وقع فيه وابتلي به وتكرر صدوره منه، تألف به واعتاد فصار يفتخر به بعد أن كان يستقبحه.

وبالنسبة إلى المشركين الذين يعبدون غير الله من الموجودات ، فينتقم منهم لكونهم حصروا الحق في ما عبده وجعلوا الإله المطلق مقيداً ، وأمّا من حيث أنّ معبودهم عين الوجود الحق الظاهر في تلك الصورة فما يعبدون إلا الله فرضي الله عنهم من هذا الوجه فينقلب عذابهم عذاباً في حقهم.

وبالنسبة إلى الكافرين أيضاً وإن كان العذاب عظيماً لكنهم لم يتعذبوا به لرضاهم بما [هم] فيه فإنّ استعدادهم يطلب ذلك كالاتوني الذي يفتخر بما هو فيه وعظم عذابه بالنسبة إلى من يعرف أنّ وراء مرتبتهم مرتبة وأنّ ما هم فيه عذابٌ بالنسبة إليها.

وأنواع العذاب غير مخلّد على أهل من حيث إنّه عذاب لا يقطعاه بشفاعة الشافعين

وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين كما جاء في الحديث الصحيح ولذلك ينبت الجرجير في قعر جهنم لانطفاء النار وانقطاع العذاب وبمقتضى «سبقت رحمتي غضبي» فظاهر الآيات التي جاءت في حقهم بالتعذيب كلها حق، وكلام الشيخ لا ينافي ذلك لأن كون الشيء من وجه عذاباً لا ينافي كونه من وجه آخر عذاباً. وإنما بسطت الكلام لئلا يسكن <sup>[ينكر المصدر]</sup> على هذا الخاتم المحمدي فيما أخبر، فإن الأولياء رضوان الله عليهم ما يخبرون إلا ما يشاهدونه يقيناً من أحوال الاستعدادات في الحضرة العلمية وعوالم الأرواح والأجساد لعلمهم بالحقائق وصورها في كل عالم. والله أعلم. انتهى كلامه بألفاظه .

ومما يدل أيضاً على نفي تسرمد العذاب حديث سيأتي على جهنم زمانٌ ينبت في قعرها الجرجير وذكر البغوي المشهور بمحبي السنة في معالم التنزيل في تفسير قوله تعالى : ﴿الذِينَ سَعَدُوا﴾ أنه قال ابن مسعود لياتن على جهنم زمانٌ ليس فيها أحدٌ وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً.

## فصل

### [ احتجاجات القائلين بالخلود في النار والنافين له ]

واعلم إن القائلين بنفي تخليد الكفار في العذاب زعموا أن لا دليل يفيد القطع واليقين في تخليدهم في العذاب ، أما التمسك بالدلائل اللفظية فلا يفيد اليقين بل يفيد الظن. والدلائل العقلية في مقابلها تفيد اليقين. والمظنون كيف يعارض المقطوع؟ وإنما قلنا إن الدلائل اللفظية لا يفيد اليقين، لأنها مبنية على أصول كلها ظنية، والمبني على الظني لا يكون إلا ظنياً. وإنما قلنا إنها ظنية لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف. ورواة هذه الأشياء لا يعلم بلوغهم إلى حد التواتر فكانت روايتهم مضمونه.

وأيضاً فهي مبنية على عدم الاشتراك وعدم التخصيص وعدم الاضمار بالزيادة والنقصان وعدم التقديم والتأخير وكل ذلك أمور ظنية. وأيضاً فهي مبنية على عدم المعارض

العقلي، فإن بتقدير وجوده لا يمكن القول بصدقهما ولا بكذبهما معاً ولا يمكن ترجيح النقل على العقل لأن العقل أصل النقل فالطعن في العقل يوجب الطعن في النقل والعقل معاً، لكن عدم المعارض العقليّ مظلونٌ. هذا إذا لم يوجد فكيف [وقد] وجدنا ههنا دلائل عقلية على خلاف هذه الظواهر.

فثبت أن دلالة هذه الدلائل النقلية ظنيةٌ وأما إن الظنيّ لا يعارض فلاشك فيه.  
الثاني هو إن التجاوز عن الوعيد مستحسنٌ فيما بين الناس كما مر في كلام صاحب الفصوص قال الشاعر:

فإني إذا أوعدته أو وعدته لمُحِلِّفٌ ميعادي ومُنَجِرٌ موْعدي

بل الإصرار على تحقيق الوعيد كأنه يعدّ لوماً وإذا كان كذلك وجب أن لا يقبح من الله تعالى. وهذا بناء على حرفٍ وهو إن كثيراً من أهل الإسلام جوّزوا نسخ الفعل قبل مضيّ مدّة الإمتثال. وحاصل حرفهم فيه إن الأمر يحسن تارةً لحكمة تنشأ من نفس المأمور به وتارةً لحكمة تنشأ من نفس الأمر فإن السيد قديقول لعبده: إفعل الفعل الفلاني غدًا وإن كان يعلم في الحال أنه سينهاه غدًا ويكون مقصوده من ذلك الأمر أن يظهر العبد الانقياد لسيدّه ويوطن نفسه على طاعته، وكذلك إذا علم الله من العبد إنّه سيموت غدًا فإنّه يحسن عنده هؤلاء القوم أن يقول: صلّ غدًا إن عشت. ولا يكون المقصود من هذا الأمر تحصيل المأمور به لأنه ههنا محالٌ بل المقصود حكمة تنشأ من نفس الأمر فقط. وهو حصول الانقياد والطاعة وترك التمرد.

وإذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز أن يقال: الخبر أيضاً كذلك. فتارةً يكون منشأ الحكمة من الإخبار هو الشيء المخبر وذلك في الوعد وتارةً يكون منشأ الحكمة هو نفس الخبر لا المخبر عنه؛ كما في الوعيد. فإن الإخبار على سبيل الوعيد مما يفيد الزجر عن المعاصي والإقدام على الطاعات فإذا حسن هذا المقصود جاز أن لا يوجد المخبر وعند هذا قالوا: إن وعد الله الثواب حقٌّ لازمٌ، أما توعيده بالعقاب فغير لازم، وإنما قصد به

صلاح المكلفين مع رحمته الشاملة لهم كوالد يهدّد ولده بالقتل والسّلّ و القطع والضرب، فإن قبل الولد أمره فقد انتفع، وإن لم يقبل؛ فما في قلب الوالد من الشفقة يردّه عن قتله وعقوبته .

فإن قيل: فعلى جميع التقادير يكون ذلك كذباً، والكذب قبيحٌ. قلنا: لانسلم أن كلّ كذبٍ قبيحٌ، بل القبيح هو الكذب الضارّ، أما الكذب النافع فلا، ثم إن سلمنا- لكن لانسلم أنه كذبٌ .

أليس ان جميع عمومات القرآن مخصوصةً ولانسمى ذلك كذباً؟ أليس ان كل المتشابهات مصروفة عن ظواهرها وعند الأكثر لا يسمّى ذلك كذباً؟ فكذا هي هنا.

الثالث: أليس إن آيات الوعيد في حق الكفار مشروطةٌ بعدم التوبة وإن لم يكن هذا الشرط مذكوراً في صريح النصّ، فهي أيضاً عندنا مشروطةٌ بعدم العفو وإن لم يكن هذا الشرط مذكوراً صريحاً.

أونقول: معناها أن العاصي يستحق هذه الأنواع من العقاب، فيحمل الإخبار عن الوقوع إلى الإخبار عن استحقاق الوقوع، فهذا جملة ما يقال في تقرير هذا المذهب

\* \* \*

وأما الذين أثبتوا وقوع العذاب، فقالوا: أنه نقل إلينا على سبيل التواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وقوع العقاب فإنكاره يكون تكذيباً للرسول صلوات الله عليه وآله وتفتيحاً لأبواب القدح في نصوصيّة القرآن، فغير مسموع. والله الهادي إلى سبيل الصواب ويده مفاتيح الأبواب<sup>١</sup>.

(١) الاقوال المذكورة في هذا الفصل منقولة عن تفسير الفخر الرازي: ٢٧٨/١ .

قوله جل اسمه :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ  
وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

اتفق المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين، وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .

واعلم إن الناس بحسب العاقبة، ستة أصناف، لأنهم إما سعداء وهم أصحاب اليمين، وإما أشقياء وهم أصحاب الشمال، وإما السابقون المقربون . قال الله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ [٧/٥٦] الآية .

وأصحاب الشمال إما المطرودون الذين حقّ عليهم القول وهم أهل الظلمة و الحجاب الكلي المختوم على قلوبهم أزلاً كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الآية [١٧٩/٧]

وفي الحديث الإلهي الرباني المتفق عليه نقلاً: هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي .  
وأما المنافقون الذين كانوا مستعدين بحسب الفطرة، قابلين للنور في الأصل و النشأة لكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل و ارتكاب المعاصي و مباشرة الأعمال البهيمة والسبعية و مزاولة المكائد الشيطانية حتى رسخت الهيئات الغاسقة و الملكات المظلمة في نفوسهم و ارتكمت على أفئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهن قد حبطت أعمالهم و انتكست رؤوسهم، فهم أشدّ عذاباً و أسوأ حالاً من الفريق الأول ، لمنافاة مسكة استعدادهم لحالهم و الفريقان هم أهل الدنيا .

(١) جاء ما يقرب منه في البحار : ٢٣٠/٥ و ٢٥٣ . المسند ٢٣٩/٥ و ٦٨ .

وأصحاب اليمين إِمَّا أَهْلَ الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِلْجَنَّةِ رَاجِينَ لَهَا رَاضِينَ بِهَا، فَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهِمْ مِمَّا عَمِلُوا.  
ومنهم أهل الرحمة السابقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المتبوءون درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم، لا على حسب كما لا تنهم من ميراث عملهم .

وإما أهل العفو الذين خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهَمَّا قَسَمَانِ : المَعْفُوعُونَ رَأْسًا لِقُوَّةِ اعْتِقَادِهِمْ وَعَدَمِ رُسُوحِ سَيِّئَاتِهِمْ لِقَلَّةِ مَزَالَتِهِمْ بِآهَائِهِمْ أَوْ لِمَكَانِ تَوْبَتِهِمْ عَنْهَا ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [٢٥/٧٠] .

والمعذبون حيناً بحسب ما رَسَخَ فِيهِمْ مِنَ الْمَعَاصِي حَتَّى خَلَصُوا عَنْ دَرَنِ مَا كَسَبُوا فَنَجَّوْا وَهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْعِقَابِ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، لَكِنِ الرَّحْمَةُ تَنْدَارُ كِهِمْ وَتَنَالُهُمْ بِالْآخِرَةِ .

\* \* \*

وَالسَّابِقُونَ وَهُمْ الْعُرَفَاءُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ خَاصَّةً أَمَّا الْمُحِبُّونَ وَإِنَّمَا مُحِبُّونَ، فَالْمُحِبُّونَ هُمُ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ حَقَّ إِنَابَتِهِ، فَهَدَاهُمْ سَبِيلَهُ .  
والمحبوبون هم أهل العناية الأزلية الذين اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم والصنفان هما أهل الله ومآلهما واحد، لأنَّ أهل المحبة الخاصة ينبرسوا لهم بالآخرة إلى الجذبة، ولهذا جعلناهما في التقسيم قسماً واحداً.

\* \* \*

إذا علمت هذا، فاعلم إن الله سبحانه لما افتتح بشرح حال الكتاب وأشار إلى أنه منزل من عالم الكرامة والغيب مشتمل على العلوم التي لا يعترها وصمة شك وريب وموجب للهداية لمن وفق له بالتقوى، وساق لببانه ذكر المؤمنين الذي أخلصوا دينهم لله واطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، واندرج فيهم الأقسام الخمسة سوى الفريقين الذين هما

من قسم الأشقياء .

فإن القرآن ليس هدىً للفريق الأول من الأشقياء لامتناع قبولهم للهداية، لعدم استعدادهم. ولاللتاني لزوال استعدادهم ومسخهم وطمسهم بالكلية لفساد اعتقادهم فهما جميعاً أهل الخلود في النار .

ولفظ «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» وإن عمّ الأصناف الخمسة لأن المراد بهم في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الأصلية واجتنبوا ربّين الشرك والشكّ لصفاء قلوبهم وبقاء نورهم الفطري فلم ينقضوا عهد الله في الميثاق، فلهم نصيبٌ من القرآن كلُّ بوجيد إلا أنه تعالى خصّ بالإشارة صنفين منهم إلى أحوالهما المزيديتين لهما وحالهما. أحدهما أهل الفضل والثواب من أصحاب اليمين المشار إليهم بقوله ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ .

والثاني : السابقون المقربون المشار إليهم بقوله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فقد علم من أحوالهم إنهم من أهل الرسوخ العلمي .

\* \* \*

ولما ذكر المؤمنين بقسميه أي العالمين والعالمين - ثنّاهم بأضدادهم الذين محضوا الكفر لساناً وضميراً، ظاهراً وباطناً. ولم يلتفتوا لغتاليمان رأسابقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَتِينَ .

وهم الفريق الأول من الأشقياء الذين هم أهل القهر الإلهي لاينجع فيهم الإنذار ولاينفع لهم التذكار ولاخلاص لأحدهم من النار كذلك حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [٤٠/٤٠] سُدَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ إِذَا الْقَلْبُ هُوَ الْمَشْعَرُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي هُوَ مُحَلُّ الْإِلْهَامِ وَمَنْزِلُ الْكِرَامَةِ فَحَجَبُوا عَنْهُ بِخَتْمِهِ .



والسمع والبصرهما مشعران للإنسان اللذان هما بابا الفهم والاعتبار ، فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب. فلا سبيل لهم في الباطن القلبي إلى عالم العلم الإلهي الكشفي ولا في الظاهر السمعي والبصري إلى الباطن القلبي والعلم التعليمي الكسبي.

فحبسوا في سجون الظلمات وحبوس التعلقات وقيود الجحيم والسلاسل والأغلال والعذاب المقيم، فما أشدّ عذابهم.

\* \* \*

ولما ذكر تعالى أوصاف القسمين أعني المؤمنين والكافرين مطلقاً، نلت بذكر القسم الثالث وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلاً للتقسيم، وهم أُنحِتْ قلوباً من الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم موّهوا الكفر بالايان فخلطوا به خداعاً واستهزاءً. ولذلك طوّل في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم، وتهكّم بأفعالهم، وسجّل على عمههم وطغيانهم، وضرب فيهم الأمثال وأنزل فيهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [١٤٥/٤] لأنهم مع ادعائهم الايمان بقولهم ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ سلب عنهم الايمان وما هم بمؤمنين .

لأن حقيقته العلم بحقائق الأمور الإلهية ومحلّه هو القلب لا اللسان ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قَلَّ لَمَ تَوَمَّنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [١٤٩/٤] ومعنى قولهم : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ادعائهم لعلمي التوحيد والمعاد للذين هما أصل الدين وأساسه ، أي لسنا من المشركين المحجوبين عن الحقّ ولان أهل الكتاب المحجوبين عن الدين والمعاد لأن اعتقاد أهل الكتاب ليس مطابقاً للحقّ والصواب .

واعلم إن الكفر هو الاحتجاب كما مرّ ، والاحتجاب إمّا عن الحقّ فهو كما للمشركين ، وإمّا عن الدين كما لأهل الكتاب. والمحجوب عن الحقّ محجوبٌ عن الدين الذي هو طريق الوصول إليه بالضرورة.

وأما المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الحق فهؤلاء ادّعوا رفع الحجابين فكذبوا بسلب الإيمان عن ذواتهم لمخادعتهم لله وأوليائه، ومما كرتهم وزيادة المرض في قلوبهم مع الهلاك الأخرى، فهؤلاء أسوء ما لا وأشدنكالا من عامة الكافرين .  
ولهذا فرق الله بين العذابين بالعظم والألم، لأن عذاب المطرودين في الأزل وإن كان أعظم لنزولهم في مهوى الحشرات والدواب والأنعام فلا يدركون شدة عذابهم ولا يجدون غمّهم وألمهم لعدم صفاء إدراك قلوبهم بواسطة كثافة الحجاب وغلظة النقاب، كحال العضو الميت أو المفلوج أو الخدر بالنسبة إلى ما يجري عليه من القطع والكَيّ وغير ذلك من الآلام.

وأما المنافقون فلبثت استعدادهم في الأصل وبقاء إدراكهم يجدون شدة الألم فلا جرم كان عذابهم أليما مسبباً عن المرض العارض المزمن الذي هو الكذب والخديعة والحسد والنفاق والجهل المشفوع بالإصرار واللداد وغيرها، وإذ انّهوا عن الفساد في الجهة السفلية أنكروا وبالسّوء في إثبات الصلاح والإصلاح لأنفسهم، كما حكى الله عنهم فيما بعد إذ يرون الصلاح في تنظيم أسباب المعيشة وتيسير أمور الدنيا لأنفسهم خاصة، وإن كان مؤدياً إلى خسران العاقبة لتوغلهم في محبة الدنيا وميل الجاه والثروة وانهما كهم في اللذات والراحات البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الحسية عن المصالح العامة والذات العقلية وهم لا يشعرون بذلك، وإن كان معلوماً بالمشاهدة الحسية لأن محبة الدنيا سلب عقولهم وأعمى قلوبهم وأصم نفوسهم، ولذا قيل: «حبك للشيء يعمى ويصم» .

## فصل

### [المنافق والكافر أيهما أسوء حالاً]

قد علمت تحقيق الفرق بين المنافق والكافر الأصلي تصريحاً وتلميحاً في مواضع متعدّدة، لكن القوم اختلفوا في أنّ أيهما أسوء فعلاً أو قبحُ حالاً.

قال قوم: قبح الكافر الأصلي أقبح لأنه جاهلٌ بالقلب، كاذبٌ باللسان، والمنافقُ جاهلٌ بالقلب صادقٌ باللسان.

وقال آخرون بل المنافق أيضاً كاذب باللسان، فإنه يُخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع أنه ليس عليه، ولذلك قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [١٤٩/٤] وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [١٤٣/١] ثم إن المنافق اختص بمزيد أمور منكراً: الأول: إنه قصد التلبيس، والكافر مقصد ذلك.

الثاني: إن الكافر على طبع الرجال والمنافق على طبع الخنوثة. أقول: الكائن على طبع الرجال هم المؤمنون حقاً لا الكفار، فالأولى أن يقال: الكافر على طبع الأنوثة والمنافق على طبع الخنوثة. وطبع الخنوثة أقبح من الأنوثة. وذلك لأن الآخرة دار المبادئ الفعالة والدينامية موضع القوابل المنفعلة، فموطن المؤمن أي عالم القدس؛ موطن الرجال. وموطن الكافر أي الدنيا وهي عروسة غدارة رعناء؛ موطن النسوان.

والمنافق ذو الوجهين لامن هذا ولامن ذلك، فعاقبته البوارز والهلاك وانقطاع النتيجة والبقاء النوعي العقلي في النشأة الدائمة.

الثالث: إن الكافر ماضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه ولم يرض إلا بالصدق، والمنافق رضي بذلك.

الرابع: إن المنافق ضم إلى كفره الإستهزاء، بخلاف الكافر. ولأجل غلظ كفره قال ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [١٤٥/٤]،

الخامس قال مجاهد: إنه تعالى ابتداء بذكر المؤمنين في أربع آيات، ثم ثنى بذكر الكافر في اثنتين، ثم ثلث بذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية. وذلك يدل على أن المنافقين أعظم جرماً.

وهذا بعيد لأن كثرة الاقتصاص بخبرهم لا يوجب كون جرمتهم أعظم، فإن عظم فلغير ذلك، وهو ضمهم إلى الكفر وجوهاً من المعاصي؛ كالمخادعة والاستهزاء

وطلب الغوائل إلى غير ذلك.

ويمكن أن يجاب عنه بأن كثرة الاقتصاص بخبرهم يدل على أن الاهتمام بدفع شرهم أشد من الاهتمام بدفع شر الكفار، وذلك يدل على أنهم أعظم جرماً من الكفار.

### فصل

يستفاد من هذه الآية أمران: أحدهما إن من لا يعرف الله لا يكون مؤمناً وإن أقرب به

لساناً لقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ خلافاً للكرامية.

والثاني بطلان قول من زعم من المتكلمين، إن جميع المكلفين عارفون بالله وإن من لم يكن عارفاً به لا يكون مكلفاً، وذلك لأن غير العارف لو كان معذوراً لما ذم الله هؤلاء على عدم العرفان فبطل قولهم: إن من لا يعرف هذه الأمور فهو معذور وهذا المقام يحتاج إلى تحقيق عميق لا يسع هذا الوقت ذكره.

### فصل

اختلفوا في اشتقاق لفظ «الإنسان» إلى وجوه:

الأول: ما يروى عن ابن عباس: إنه من النسيان. لأنه عهد إليه فنسى. قال أبو الفتح

البستي: نسيْتُ وعَدْتُ والنسيانُ مَعْتَفَرٌ  
فاغْفِرْ فأول ناسي أول الناس

الثاني: إنه من الأنس، لاستيناسه بمثله.

الثالث: إنه سمى إنساناً لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون. قال تعالى ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [٢٨/٢٩] أي: أبصر. كما سمي «الجن» لاجتنانهم.

واعلم إنه لا يجب في كل لفظ أن يكون مشتقاً من لفظ آخر، وإلا تسلسل إلى

مالا نهاية .

والناس أصله اناس ، بدليل قولهم: إنسانٌ وإنسٌ وإناسي ، فحذف الهمزة تخفيفاً كما حذف في لوقه لأن أصلها اللوقه<sup>(١)</sup> وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما إلا شذوذاً كقوله: إنّ المنايا تطلعن على الاناس الآمينا.

وناس: اسم جمع على زنة فعال. لأن الوزن تكون على الأصول و لذلك تقول في وزن قه إفعالٌ وليس معك إلا العين وحدها وهو من أسماء الجمع كرجال، وأمانويس فمن المصغرات الآتى على خلاف مكبره كانيسيان وزوبجل - كذافي الكشاف.

### فصل

لام التعريف في الناس إما للجنس أو للعهد والمعهودهم الذين كفروا، المارز كرههم و «من» على الأول يكون موصوفة كأنه قيل: ومن الناس ناسٌ يقولون آمناً. كقوله :

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ [٢٣/٣٣] .

وعلى الثاني يكون موصولة، كقوله: وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ أَي وَمَنْ هُوَ لاء الذين كفروا من يقول وهم عبدالله بن أبي وأصحابه ومن في طبقتهم ، فإن وقوعهم لأجل النفاق تحت جنس الكفار المختوم على قلوبهم ودخولهم في أبواب الكفر، لا ينافي اختصاصهم بزوائد زادوها على أصل الكفر من الخديعة والاستهزاء والأمراض القلبية وغيرها ولا يخرجهم عن حده وإن يكونوا بعضاً من جنسه ، فإن الأنواع إنما تنوعت بزوائد على طبيعة الجنس بما هي مجرد طبيعته، أي بالمعنى الذي هي مادة. وتلك الزوائد لا تأتي الدخول مع ما يزيد عليه تحت الجنس وصدقه على المجموع بالاعتبار الذي هو به جنسٌ وإن لم يصدق بالمعنى الذي هو به مادة فتفظن.

(١) اللوقه والالوقه : الزبدة بالرطب .

## فصل

اعلم إن اختصاص (بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) بالذكر ، تخصيص لما هو المقصود الأعظم والكمال الأتم وهو العلم بأحوال المبدء والعلم بأسرار المعاد، وتسجيلُ بأنهم مع خستهم ودناءة طبعهم ادّعوا إثبات أمر شريف عالٍ لأنفسهم. وهو الحيازة للإيمان من جانبيه والإحاطة بكلا قطريه .

وهي هنا دقيقةٌ أخرى وهي الكشف عن إفراطهم في خبث الباطن وفساد الضمير وتماديهم في قبح الباطن وسوء السريرة، حيث كان قولهم : آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، خُبْنًا متضاعفًا وكفرًا متراكمًا، لأن القوم كانوا يهوداً وكانوا يعتقدون في الله التشبيهة واتخاذ الولد، وفي اليوم الآخر أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لانتمسهم إلا أياماً معدودة - إلى غير ذلك - فإيمانهم بالله واليوم الآخر كلاً إيمان . فهم منافقون فيما يظنون إنهم مخلصون، فكيف بما يقصدون به النفاق ويرون المؤمنين أنهم آمنوا مثل إيمانهم. فهم في خبث الباطن وسوء الضمير بحيث لو صدر منهم هذا القول لأعلى وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن إيماناً، فلم يكونوا صادقين. كيف وقد صدر منهم تمويهاً على المسلمين وتهكماً بهم .

ولفظ «مَنْ» صالحاً للجمع كما للواحد. كقوله تعالى : وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ فَإِنَّه مَوْحِدُ اللَّفْظِ مَجْمُوعِ الْمَعْنَى . والعائدُ إليه يرجع عند التوحيد إلى اللفظ وعند الجمع إلى المعنى ففي قوله : مَنْ يَقُولُ آمَنَّا، حصل فيه الأمران .

وتكرير الباء يدل على أن علم المبدء وعلم المعاد كلاً منهما علمٌ شريف برأسه ولا يلزم أن يكون داخلاً في مقول قولهم. وإن كان داخلاً فالمعنى ادعائهم الإيمان بكل واحد مفصلاً على الاستحكام .

والقول مصدرٌ معناه التلغظ بما يفيد. وقد يطلق على القضية الملفوظة وعلى صورتها

الذهنية وعلى الرأى والمذهب. وفي ايراد «وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» بدل «وما آمنوا» كما يستدعيه المقابلة من التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لا العكس، انكاراً لما ادّعوه وردع لما انتحلوه بأبلغ وجه وأكده في التكذيب لهم، حيث أخرج ذواتهم من عداد المستعدين لاقتناء أنوار الايمان واليقين مطلقاً .

ولذلك أكد النفي بالباء، ونحوه قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَّا النَّارَ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ﴾ وترك تقييد الايمان في الثاني بما قيده في الأول ، إما لأنه دلّ عليه المذكور أولاً لأن هذا جوابه، وإما للإشعار بأنهم ليسوا من الايمان في شيء أصلاً.

### تنبيه فيه تذكير

#### [اليوم والليلة]

والمراد من اليوم، إما الزمان الذي لاحدّه، وهو الأبد الدائم الذي لا مقطوع له، وإما الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، لأنه آخر الأوقات المحدودة وما بعده فلاحدّه .

وانما سمى زمان الآخرة يوماً، لظهور شمس الحقيقة حينئذ وطلوعها من أفق الأكوان ومطالع الحقائق الروحية كما أنه قد اختفى مادام الكون الدنيوي في مغارب الصور الحسبّه وفي القيمة تصير تلك الصور بعينها مظاهر أنوار الإلهية ومشاهد أسرار الربوبية. فكان مدة الدنيا ليل <sup>(نظ: بيلا)</sup> نهاره يوم الآخرة وصباحه عند قيام الساعة والله أعلم بأسراره .

قوله جل اسمه :

يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَمَا يُخٰدِعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٩﴾

إن للمنافقين قبائح كثيرة من رذائل القلب وخبائث النفس ذكر الله أربعة منها في هذه الآيات: أحدها ما ذكره في هذه الآية وهي المخادعة مع الله والمؤمنين .  
والخِدْع: أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه في نفسك من المكروه لتصرفه عما هو بصدده. من قولهم خدع الضب: إذا توارى في جحره ووضب خادع وخدع إذا أوهم الحارث إقباله عليه ثم خرج من باب آخر .

وأصله الإخفاء. ومنه المخدع: للخزانة. والأخدعان: لعرقين خفيين في العنق. فهو ضرب من النفاق والغرور والرياء في الأفعال الحسنة. وكل ذلك بخلاف ما يقتضيه دين الله وطريقه لأن الدين يوجب الإستقامة والعدول عن الغرور والتدليس والمكرو والإساءة كما يوجب الاخلاص ﴿ اَللّٰهُ الَّذِي خَالِصُ ﴾ [ ٣/٣٩ ] .

وأما أنهم كيف خادعوا الله ولا يخفى عنه خافية وكيف خادعهم الله، والمؤمنون - كما يقتضيه صيغة المفاعلة - والخدعة صفة مذمومة؛ فالمراد من الأول أحد أمور خمسة: أولها: أن يكون ذلك على معتقدهم وظنهم إن الله ممن يرضى عنهم بصورة الأعمال الصادرة عنهم سُمعة ورياء مع أن القصد منهم بهالم يكن إلا أغراض النفس والهوى ومحبة الجاه والثروة ومتاع الدنيا؛ وذلك لاغترارهم وجهلهم بأن الناقد بصير والطريق إليه خطير والبضاعة معيبة مموهة ولا يقبل عند الله إلا العمل الخالص ، وكيف ومن كان ادعاؤه الايمان بالله واليوم الآخر نفاقاً لم يكن قد عرف الحق وصفاته وان له تعلقاً بكل



معلومٌ وله غنىٌ عن كلِّ ما سواه . فلم يبعد عن مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعاً من وجه خفي، وربما يوجد في الناس بل في أكثر الأقباس منهم من كان هذا شأنهم مع الله وقد شاهدناهم وصحبناهم كثيراً .

وثانيها أن يقال: صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان ويستبطنون الكفر - صورة صنيع الخادعين .

وثالثها: إن المراد من يخادعون الله، المخادعة مع رسول الله إما على حذف المضاف، أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث أنه خليفته في أرضه، والناطق عنه بأوامره ونواهي مع عبادته . وهو مع ذلك خارجٌ عن مقام بشريته ذاهبٌ إلى الله وملكوته واصلٌ بكلّيته في بحبوحه قُربه ومطالعة جماله وجلاله مستغرقٌ في شهود إلهيته، كما قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [٤/٨٠] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [٤٨/١٠] وقال صلى الله عليه وآله: «مَنْ رَأَى فَقْدَ رَأَى الْحَقَّ» وفي الحديث القدسي: «مَنْ بَارَزَ وَلِيًّا فَقْدَ بَارَزَنِي وَمَنْ عَادَاهُ فَقْدَ عَادَانِي» .

ورابعها : ما ذكره صاحب الكشاف وهو أن يكون من قبيل قولهم: «أعجبني زيدٌ وكرمه» فيكون المعنى: يخادعون الذين آمنوا بالله، وفائدة هذه الطريقة، قوة الاختصاص . وله نظائر ذكرها .

وخامسها : ما في الكشاف أيضاً وهو أن يقال، عنى به «يخدعون» إلا أنه أخرج في زنة المفاعلة للمبالغة لأن الزنة في أصلها للمبالغة ، والفعل متنى غولب فيه فاعله كان أبلغ وأحكم منه إذا زاو له من غير مقابلة معارض ، وبعضه قرأته من قرء يخدعون ،<sup>(٣)</sup>

(١) البخارى : باب التعبير : ٤٣/٩ .

(٢) جاء ما يقرب منه في التوحيد : ٣٩٩ .

(٣) قرء نافع وابن كثير وابوعمر و « وما يخادعون الا أنفسهم » والباقون « وما يخدعون » (مجمع البيان) .

ولأنه بيان ليقول . ويحتمل الاستيناف لذكر ماهو الغرض من دعويهم الايمان كذباً.

\* \*

والمراد من الثاني هو إن صورة صنع الله معهم صورة صنع الخادع، حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً لهم وتلطفاً في إغفالهم عما عدل أوليائه وردعهم وطردهم من جناب قدسه ومحل كرامته من حيث لا يشعرون مجازاة لهم بمثل صنيعهم .

وكذا صورة صنع الرسول والمؤمنين معهم من حيث امثالهم أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم، وربما كانوا ولاة في البلاد وقضاة في دار الإسلام يحكمون على أموال المسلمين وفروجهم ودمائهم ويجب على الناس الاقتداء بهم في الصلوة والامثال لأمرهم ونهيهم تقيّة ومداراة معهم، كما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله سيكون بعدي اثرة ، وقال للاصحاب: <sup>١)</sup> أنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيمة .

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أنتم وأئمة من بعدي يستاثرون بهذا الفياء قلت: أما والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى القاك. قال: أولئك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني .

### فصل

الداعي لهم على الخديعة مع المؤمنين يحتمل مقاصدو أغراضاً شتى :  
منها : إنهم دفعوا عن أنفسهم أحكام الكفار من قتل نفوسهم و نهب أموالهم

(١) البخاري كتاب الاحكام : ٧٩/٩ .

وسبى ذراريتهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».

ومنها: قبولهم عند أهل الاسلام وإجراؤهم مجرى المؤمنين في التعظيم والإكرام ومنها: إنهم ربما التمسوا من النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين إفشاء أسرارهم وأسرارهم لينقلوها إلى أعداءهم من الكفار .

ومنها: إنهم طمعوا الاقتسام من أموال الغنائم- إلى غير ذلك من المقاصد والأغراض. وليس لك أن تقول: لَمَا كَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُوحِيَ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمِيعَ مَا قَصَدُوهُ وَأَضْمَرُوهُ فِي نَفْسِهِمْ لِيُدْفَعَ شَرَّهُمْ وَخِدَاعُهُمْ وَإِفْسَادُهُمْ. فَلِمَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَلِمَ يَهْتِكْ أَسْرَارَهُمْ ؟

قلنا: وإنه أيضاً قادرٌ على استيصال إبليس وذريته أجمعين، ولكنه أبقاهم وقواهم وأجراهم مجرى الدم في عروق الآدميين لأن في ذلك من الحكمة والمصلحة ما لا يعلم غوره إلا الله ومن اهتدى بنوره واطّلع على وجهه من أهل الرسالة والولاية .

### فصل فيه حكمة مشرقية

[كيف يخدع الانسان نفسه]

قوله: وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، أي خداع المنافقين لا ينجع إلا في أنفسهم بإهلاكها وتخسيرها وإيراثها الوبال والنكال بازدياد الظلمة والكفر والنفاق واجتماع أسباب البعد من الله والشقاء عليها كما في قوله تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ \* وكذا خداع الله المتسبب عن خداعهم يؤثر في أنفسهم أبلغ تأثير، ويوبقهم أشد إيباق لقوله تعالى ﴿وَمَكْرُوا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ \* وهم من غاية تعمقهم في جهلهم ما يحسون بذلك الأمر المكشوف الظاهر، إذ الشعور: علم الشيء إذا حصل

بالحس من الشعار، ومشاعر الإنسان حواسه عني به إن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتماد بهم في الغفلة ، كالذي به خدر لا يحس . والمراد من النفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالأجسام لقوله تعالى ﴿ تَعَلَّمَ مَافِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَافِي نَفْسِكَ ﴾ وقد يطلق على جوهر مفارق عن الأجسام ذاتاً وحقيقة، مقارن لها فعلاً وتأثيراً. ثم قيل للقلب: نفس، لأنه خليفة النفس في البدن كما أن الصدر خليفة الطبيعة .

ويقال للدم نفس، لأن قوام حيوتها البدنية بالدم. وللماء: نفس. لفرط حاجتها إليه قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ وهو للراي في قولهم: فلان يؤامر نفسه: إذا ترد في الامر واتجه له رأيان وداعيان ، كأنهم أرادوا داعي النفس وناجيتها فسموهمما نفسين، لصدورهما عن النفس أو تشبيهاً لهما بمبشرين يأمر أحدهما وينهى الآخر ، وستطلع على هذا السر .

وقرء نافع وابن كثير وأبو عمرو : وما يخادعون . والباقون: يخدعون . وحجة الأولين التطابق في اللفظ بين الكلامين .

وحجة الباقيين : ان المخادعة إنما تكون بين اثنين فلا يكون الإنسان الواحد مخادعاً لنفسه .

أقول: وكذلك الخداع لا يكون إلا بين اثنين. والفرق بينهما بأن الفعل في الأول من الجانبين ، وكذا الانفعال، وفي الثاني: الفعل من جانب والانفعال من جانب آخر. فالإنسان الواحد كما لا يخادع مع نفسه كذلك لا يخدع نفسه أيضاً، فما هو الجواب لذلك ، فهو الجواب لهذا

فالاولى أن يراد حقيقة المخادعة. أي وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمتنونها بالأمانى الباطلة ويحدثونها بالكاذب من الابعاد بالخير والوعد بالشر وغير ذلك ، وكذلك أنفسهم يعدهم ويمتئهم ويحدثهم بالأمانى .

وتحقيق ذلك يبتنى على معرفة النفس الإنسانية وهي إنَّ للنفس الإنسانية نشآت ومقامات متعدّدة كالحيّة والخياليّة والعقليّة ولها مراحل ومنازل متفاوتة كالدنيا والبرزخ والآخرة، وأكثر الناس ماداموا في الدنيا فمقام نفوسهم بالفعل عالم الحسّ ولها بالقوّة نشأة الروح والعقل ، وذلك إذالم يبطل استعدادها لحصول النشأة الباقية. وأما إذا بطل ذلك بمسخ باطنهم وطمسه بالكلية فليست نفوسهم هي أرواحاً ولا عقولاً ولا بالفعل ولا بالقوّة ولا لها نشأة إلا نشأة الحسّ فقط كنفوس سائر الحيوانات .

وبعض الناس ممّن خرجت نفسه من القوّة إلى الفعل في نشأته الثلاث كالكمّل من العلماء الإلهيين والأولياء، فلهم من الأحديّة الحقّة ما حازوا به الأكوان الثلاثة ولا يشغلهم شأن عن شأن ولا يمنعهم موطن عن موطن .

فيذا تقرّر هذا فنقول: النفس بحسب كلّ مقام ونشأة هي غيرها بحسب مقام آخر ونشأة أخرى وبواسطة مزاولة أفعال تناسب النشأة الدنيوية وتكريرها تقوى الجنبه السافله منها وتضعف الجنبه العاليه وبالعكس عند مزاوله أفعال تناسب النشأة الآخرة وتكريرها .

وعند الرسوخ في الأفعال الشهويّة والغضبّيّة والأعمال البهيميّة والسبعيّة، يبطل النشأة العقليّة والحيوة الملكيّة بالكلية بحيث لا يرجى إمكان عودها وذلك هو الخسران المبين، لأنّ النفس خسرت ذاتها الباقية ونشأتها العقليّة وعوّضت عنها بهذه النشأة الفانيّة والحيوة الحسيّة كما قال: ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢/٦] بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة السليمة والعقل السليم .

ومن هذا القبيل وقوع المخادعة بين النفس وذاتها لكونها ذات وجهين: وجهٌ إلى الحسّ والشهوة والدنيا والشيطان ، ووجهٌ إلى العقل والعدالة والعقبى والملك ، ولكلّ من الوجهين أسباب ومهتجات ودواعي وأغراض وأشخاص من جنود الشيطان وجنود الملك [بين القبيلين] والمطاردة قائمة في عرصه باطن الإنسان وميدان

صدره ومعرفة قلبه عند بلوغ الإنسان إلى مرتبة التمييز وصيرورته مكلفاً ، والمملكة الإنسانية وهي البنية بما فيها من القوى والمشاعر والأجزاء مشتركة بين الخصمين إلى أن يفتح لأحدهما ويتخلص عن الآخر .

وأكثر الناس ممن انفتحت عرصة باطنه ومملكة ظاهره للهوى والشيطان وبقي لمقابلهما من العقل والملك اجتيازاً واختلاصاً وعبور فيها على الندرة لإلّا آمن عصمه الله وقوى الملكية على نفسه الشيطانية .

فإذ اثبتت حكم المحاربة بين النفس وذاتها باعتبار كونها ذات الوجهين، فكذلك حكم المخادعة بينها وبين ذاتها. كيف والحرب خدعة فالمحاربة لا تخلوا عن المخادعة ومن هذا الباب حكم الآيات الدالة على مغايرة النفس لذاتها كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [٢٤/٨] وقوله : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [٤٠/٧٩] وقوله : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِبْكُمْ نَارًا ﴾ [٦/٦٦] وقوله ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَبْصُرْ كُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [١٠٥/٥] وقول موسى : ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [٥٤/٢] الآية، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [١١/٩] فاعلم ما ذكرنا فإنه مفتاح من مفاتيح معرفة النفس التي بها يفتح أبواب خزائن علم القرآن بإنشاء الله .

وقرء : وما يخدعون بالتشديد من خدع ، ويخدعون بفتح الباء بمعنى يخدعون ، ويخدعون ويخدعون ، على صيغة المجهول .

قوله جل اسمه :

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠١﴾

اعلم إته كما ان للأبدان صحّة ومرضاً ودواءً وغذاءً ، فكذلك للقلوب صحّة ومرض ودواء وغذاء. وذلك لأنّ الصحّة عبارة عن صفة توجب صدور الأفعال عن موضوعها مستقيمة سليمة، والمرض صفة له توجب وقوع الأفعال عنه مختلة؛ ولما كانت حيوة القلب إتمامي بنور الايمان بالله واليوم الآخر كما ان حيوة البدن بقوة الحسّ والحركة وكان الفعل الخاصّ إنما هو ذكر الله وطاعته وعبوديته كما ان الفعل الخاصّ بالبدن الحسّ والحركة كالأكل والشرب والجماع والمشي وغيرها- فإذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعاً له من هذه الآثار كانت تلك الصفات أمراضاً. وتلك الصفات بعضها سموم قتالة كالجهل المركب والنفاق والجحود والشكّ والعناد والحسد واللداد وغير ذلك من الصفات المهلكات ، فإنّها إذا استحكمت ورسخت في القلب فهي غير قابلة للعلاج .

وبعضها ليست كذلك، كالصغائر من السيئات والتفاريق من الخطيئات .

واعلم إنّ الدنيا دار المرض وليس على ظهر الأرض إلا المرضي، كما ليس في بطنها إلا الأموات، وإنّما يوجد الصحّة والسلامة المطلقة في العالم الأعلى من طبقات الجنان قال تعالى: ﴿إِلَّا آمَنَ آتَى اللَّهُ قَلْبَ سَلِيمٍ﴾ [٨٩/٢٦]

ومرضي القلوب هي هنا أكثر من مرضي الأبدان. والعلماء أطباء القلوب، وحقّام الشريعة قوّم دار المرضي. وكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم ، سلّم إلى الحاكم ليكفّ شرّه عن باقي الناس ، كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمى أو الذي غلب

عليه الجنون إلى القيم ليقبده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن سائر الناس.

وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل:

أحدها: إن صاحب القلب المريض لا يدري إنه مريض.

وثانيها: إن عاقبته غير مشاهد في هذا العالم، بخلاف مرض البدن فإن عاقبته

وهي موت البدن. مشاهد ينفر الطباع منه، وما بعد الموت غير مشاهد لقلّة النفرة عن

موت القلب الذي هو عاقبة مرضه وإن علمها مرتكب الأمراض القلبية والكبائر الموبقة فلذلك

نراه يتكلم على فضل الله ويجهتد في علاج البدن.

وثالثها: وهو الداء العضال وهو إمّا فقد العلماء الذين هم الأطباء كما في هذه

الأعصار، أو فقد الإيمان بما يقول الطبيب كما في عصر النبي صلى الله عليه وآله وأعصار

ورثته عليهم السلام.

فنقول: يحتاج المريض إلى التصديق بأمور:

الأول: إن للمرض والصحة أسباباً يتوصل إليها بالإختيار على مارتبه مسبب

الأسباب. وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج فيزداد مرضه

إلى أن يلحق عليه الهلاك. وهذا وزانه في مرض القلوب هو الإيمان بأصل الشريعة،

وهو إن للحياة الأخروية والسعادة الدائمة سبباً هو الطاعة، وللموت الأخروي والشقاوة

الأبدية سبباً هو المعصية، وهذا هو الإيمان بأصل الشرايع لا بد من حصوله إماماً عن تحقيق

أو تقليد كلاهما من جملة الإيمان.

الثاني: إنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين إنه عالم بالطب حاذق فيه صادق

فيما يخبر به ويعبر عنه لا يلبس ولا يكذب. فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا

الإيمان. ووزانه فيما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وآله، والإيمان بأن كل

ما يقوله حق وصدق ولا كذب فيه ولا خلف.

الثالث: إنه لا بد أن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والأشياء



المضرة على أكله حتى يغلب عليه الخوف في ترك الإحتماء فيكون شدة الخوف باعثاً له على الإحتماء ، ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والترهيب من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بما يلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك وريبة حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذي هو الركن في العلاج .

والركن الآخر هو العلم بما ذكره الطبيب، فإن الشفاء لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء ، فكل داء حصل من سبب ، فدواؤه رفع ذلك السبب وحله وإبطاله، ولا يبطل الشيء إلا بصدده والضدان متساويان في المعرفة والجهالة، فلا سبب للإصرار بالمعاصي إلا الجهل والغفلة والشهوة والهوى، ولا يصاد الغفلة إلا العلم، ولا يصاد الهوى إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للهوى ، والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَاجِرَمَ انَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [١٠٩/١٦] .

فلادواء إذن لأمراض القلوب إلا المعجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما ينفع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن يفهم علاج القلب عن مرضه فإنه لا بد فيه أصلان: العلم والتقوى، والقرآن كله في بيانها كما لا يخفى على أهل البصيرة .

وقدمر إن فائدة الأعمال الشرعية كلها وجودية كانت أو عدمية، تصفية القلب عن ما يكثره ويمرضه ويحجبه عن مطالعة الحق والعلم بالله وصفاته وأفعاله هي الغاية القصوى لوجود الانسان وسائر الأكوان .

## فصل

## [مبدء الخير والشر]

لما كانت الزيادة من جنس المزيد عليه وقد علمت إن مرض القلب هي الصفات المضادة لأفعاله وآثاره الخاصة التي أصلها الايمان بالله والمعرفة بآياته وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر، فرييس الأمراض القلبية هي الكفر بالله والجهل بهذه الأمور فقوله : **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**. محمولٌ على الكفر والجهل؛ فيلزم أن يكون الله فاعلاً للكفر والجهل .

وهذا ممّا استشكله جماعة كالتنوية والمجوس الذين جعلوا فاعل الشر ومبدء آخر غير فاعل الخيرات وقالوا بأصلين قديمين هما عندهم النور والظلمة، أو يزدان وأهرمن . لأن هذا الإشكال بعينه هي الشبهة المشهورة ، وهي: إن في العالم خيرات وشروراً، والموجود الممكني لا بد فيه من مؤثر وينتهي إلى مؤثر قديم دفعاً للدور والتسلسل؛ والمؤثر في الخيرات والشرور لا يمكن أن يكون مبدءاً واحداً وإلا لكان أمراً واحداً خيراً وشريراً معاً .

فخالق الأنوار والخيرات هو القديم المسمى بالنور عندهم أو يزدان ، وخالق الظلمات والشرور، هو القديم المسمى بالظلمة عندهم أو أهرمن وقال تعالى دفعا لهذا الاعتقاد **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾** [١/٦] .

وهكذا قالت القدرية الذينهم مجوس هذه الأمة إن في هذا العالم يوجد الكفر والمعاصي كما يوجد الايمان والطاعات والله تعالى منزّه أن يكون خالق الكفر والمعصية ، فكل معصية وكفر فمنشأ صدورهما وفعالها وخالقها هو الشيطان أو العبد وإن الله تعالى هو فاعل الايمان والطاعات وقال تعالى ردّاً عليهم: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [٩٦٣٧] وقوله: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** [٧/٩١-٨] .

وأما حلّ الشبهة فهو إنّ الفاضل من البارى جلّ اسمه ليس إلّا نور الوجود و الرحمة وهذا النور ينقلب ظلماً من جهة خصوصيّة بعض القوابل المظلمة بواسطة هيئات ردية غاسقة كالشمس التي شأنها الإضاءة والتنوير للأشياء المحاذية لها وإفادة الحياة وإنعاش الحرارة الغريزيّة للمركّبات لكنها قد يوجب اسوداد بعض الأجسام وتعفن بعض الموادّ الفاسدة لخصوصيّة عروض الهيئات المفسدة العائقة لها عن قبول الصلاح والاعتدال والحكماء ذكروا في رفع شبهة الثنويّة أنّ الأشياء على خمسة احتمالات .

أحدها: الخير الذي لا شرّ فيه أصلاً .

والثاني: الشرّ الذي لا خير فيه أصلاً .

والثالث: ما يكون خيريته غالباً على الشرّية .

والرابع: عكس ذلك .

والخامس : ما يتساوى فيه الأمران وذات الواجب الخير لمّا لم يجز أن يصير مبدعاً للشرور وجب أن لا يصدر عنه من هذه الأقسام إلّا قسماً ، أي الأول الذي لا شرّية فيه والقسم الثالث الذي خيريته غالباً على شرّيته لأنّ ترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرٌّ كثير .

فنقول: الثنويّة القائلة بأن الله لا يصير مبدعاً لما فيه شرّاً يمكن إلزامهم وقد تفاخر أرسطو وزير إسكندر الرومي الملقّب عندهم بالمعلم الأول بذلك الكلام . فإن قال قائل: أنّه فقد جاز أن يصدر عن الأول تعالى خيراً محضاً مبرعاً عن الشرّ فيقال: إنّ هذا لم يكن جائزاً في مثل هذا القسم من القسمين المذكورين وإن كان جائزاً في الوجود المطلق على أنه ضرب منه غير هذا الضرب ، وذلك ممّا قد فاض عنه تعالى كالموجودات العلويّة والملائكة السماويّة والنفوس الشريفة والعقول القادسة، وبقي هذا النمط في الإمكان ولم يمكن ترك إيجاده لأجل ما يخالطه من الشرّ، لما علمت من أنّ تركه شرّاً شرّين فكونه خيراً شرّين فالكلّ من عند الله .

١) وقد مرّ في المفاتيح أنّه من الواجب في الحكمة أن يكون في العالم مظاهر جميع الصفات الإلهية فلا بدّ لكل من الوصفين المتقابلين من مظهرٍ فالكفر ونتائجه ومباده كالشياطين ومن ضاهاهم من الأشرار مظاهر القهر والغضب والإيمان و نتائجه ومباده كالملائكة ومن والاهم من الأخيار مظاهر اللطف والمحبة . ثمّ لا اعتراض في تخصيص كلّ بما يخصّه لان هذا الترتيب من لوازم الوجود والايجاد .

\* \* \*

فإن قلت: ما ذكرته من التوحيد في الأفعال متحقق ظاهر مهما ثبت أنّ الوسائطو الأسباب مسخّرات، وكلّ ذلك ظاهر إلّا في أفعال الإنسان وحرّكاته، فإنّه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخّراً في فعله .

فنقول: اعلم إنّ لو كان الإنسان مع هذا بحيث يشاء إن شاء ولا يشاء إن لم يشاء، لكان هذا مزلّة القدم وموقع الغلط ولكن علمته أنّه يفعل إذا شاء وما يشاء يشاء أم لم يشاء . فليست المشية إليه إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشية أخرى وتسلسل الأمر إلى غير النهاية وإذالم يكن المشية إليه بل مهما وجدت المشية التي شأنها تصريف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لامحالة؛ ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة، فالحرّكة لازمة ضرورةً بالقدرة، والقدرة محرّكة ضرورة عند انجزام المشية، والمشية تحدث ضرورةً في القلب، فهذه ضروريات مترتبة بعضها على بعض، وليس للعبد أن يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة وانبعائها إلى المقدور بعدها ولا وجود بعث المشية للقدرة فهو مضطّرٌّ في الجميع .

\* \* \*

فإن قلت: فهذا جبرٌ محضٌ والجبر يناقض الإختيار، وأنّك لا تنكر الإختيار وكونه سبباً للفعل، لا كما زعمته الأشاعرة القائلين بوجود الإختيار من غير أن يكون له سببية

وهو المسمّى عندهم بالكسب.

قلت: لو انكشف لك الغطاء، لعرفتَ إنَّ الإنسانَ في عين الاختيار مجبورٌ فهو إذن مجبورٌ على الإختيار وإنه مضطَّرٌّ في صورة مختار. وهذا كما ورد في الحديث الذي مرَّ ذكره عن الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين» وهذا معنى ما قيل: الوجوبُ بالإختيار لا بنا في الإختيار بل يؤكِّده. يعني: إنَّ الاضطرار في الاختيار يؤكِّد وجودَ الاختيار؛ لأنَّ الشيء مالم يجب وجوده لا يوجد، فالاختيار أيضاً من جملة الأشياء الممكنة التي في وجودها أن يصير أولاً واجباً حتّى يتحقَّق، وإذا وجب الاختيار حتّى يوجد، فقد سبقه الاضطرار المؤكِّد لوجوده.

\* \* \*

وإن أردتَ أن تفهم معنى الاختيار؛ فإنَّ أكثر الناس جاهلون بمعناه فلنشرح إياه شرحاً وجيزاً فنقول: لفظ الفعل يطلق في الإنسان على ثلاثة أوجه، إذ يقال: الإنسان يكتب بالإصبع ويتنفس بالرئة والحنجرة، ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه. فهذه أنحاء من أفاعيله في هذا العالم عالم الشهادة. وله ضروبٌ أخرى من الفعل في عالم الغيب ليس هذا المقام موضع بيان، فإذن ينسب إليه ههنا الخرق في الماء والتنفس والكتابة، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحدٌ ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور أخرى، فأعرب لذلك عنها بعبارات ثلاث: فسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه - فعلاً طبيعياً، وسمي تنفسه فعلاً إرادياً وسميت كتبه فعلاً إختيارياً، والجبر ظاهرٌ في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء انخرق لامحالة فيكون الخرق بعد التخطي من سطح الماء إلى الماء ضرورياً والتنفس في معناه، فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة خرق الماء إلى ثقل البدن، فمهما كان الثقل موجوداً أو وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه، فكذلك ليست الإرادة ولذلك إذا قصد عين الإنسان

بابرة طبق الأجفان بالاضطرار ولو أراد أن يتركه مفتوحاً لا يقدر مع أن تغميض الأجفان فعلٌ إرادي لأنه مسبوق بشعور وإرادة ، ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك ، حدثت الإرادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ، ولو أراد أن يتركه لم يقدر عليه مع أنه فعلٌ بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضرورياً.

وأما الثالث وهو المسمى بالإختياري ويقال له بالقصد فهو مظنة الالتباس كالكتابة والمشى وهو الذي يقال فيه إن شاء فعلٌ وإن لم يشأ لم يفعل، وتارة يشاء وتارة لا يشاء.

فيظن من هذا إن الأمر إليه ومبناه الجهل بمعنى الاختيار فليكشف عنه، وبيانه إن الإرادة مع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافقٌ لك، فإن الأشياء تنقسم إلى ما يحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير ترددٍ وتحيرٍ وإلى ما يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير ترددٍ كما يقصد عينك بابرة أو بدنك بسيف، فلا يكون في علمك ترددٌ في أن دفع ذلك خيراً وموافقٌ لك ، فلاجرم ينبعث الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة ويحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير رويةٍ وفكرٍ.

ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري إنه موافق أم لا، فيحتاج إلى رويةٍ وفكرٍ حتى يتبين إن الخير في الفعل أو الترك ، فإذا حصل بالفكر أن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به أنه خيرٌ من غير رويةٍ وفكرٍ وانبعث الإرادة ههنا كما ينبعث لدفع حوالة السيف والسنان من غير رويةٍ وفكرٍ .

فإذا انبعثت الإرادة للفعل الذي ظهر للعقل أنه خيرٌ، سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو انبعثت إلى ما ظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعثها إلا إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه، إلا إن الخيرية

في دفع السيف، ظهرت من غير روية بل على البديهة، وهذا افتقر إلى الروية.  
 فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة هي التي انبعثت بإشارة العقل فيما له في إدراكه  
 توقف ولا يمكن أن ينبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيّل، كما في القسم الأول منها  
 أو بحكم جزم من العقل كما في الثاني، فداعية الإرادة وهي كون الفعل موافقاً  
 مسخرة لحكم العقل أو الحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة،  
 والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري. فإنما هو محلّ ومجرى لهذه الامور فأما أن  
 يكون فاعلاً فكلّا .

فإذا معنى كون الإنسان مجبوراً أن جميع ذلك وارد عليه حاصل فيه  
 من غيره لامنه، ومعنى كونه مختاراً أنه محلّ الإرادة لا غير فإذا هو مجبور على الاختيار.  
 ففعل النارجبر محض. وفعل الله اختيار محض. لأن الاختيار والداعي فيه عين ذاته، وفعل  
 الإنسان منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار.

### [ التوحيد الافعالى ]

فيان قلت: فهل تقول: إن العلم ولّد الإرادة، والإرادة ولّدت القدرة، والقدرة  
 ولّدت الحركة، وإن كلّ متأخّر حدث من المقدّم؟  
 فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لامن قدرة الله، وإن أبيت ذلك، فما  
 معنى ترتّب البعض من هذا على البعض.

فاعلم إن الفرق حاصل بين مامنه الشيء ومابه الشيء فإن أجزاء الحركة والزمان  
 حصل بعضها من بعض ولم يحصل بعضها بسبب بعض. وكذلك المركّب كالمعجون  
 حاصل من أجزائه وليس بحاصل بسبب أجزائه.

فالقول بأن بعض تلك الأمور حصل بسبب بعض آخر منها، جهل محض، سواء  
 عبّر عنه بالتولّد أو بغيره، بل حوالة جميعها على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية

وهو الأصل الذي لم يقف كافة الخلق على كونه معناه إلا الراسخون، وليس عند غيرهم منه إلا مجرد لفظه مع نوع تشبيهه له بقدرتنا وهو بعيد عن الحق، وبيان ذلك يطول ولكن لا يتقدم متقدّم ولا يتأخر متأخراً إلا بالحق واللزوم . فكذلك جميع أفعال الله المترتبة فإن لها ضرباً آخر من التقدم لبعضها على بعض، غير التقدم المسمّى عند الفلاسفة بالتقدم بالطبع، وغير الذي سموها التقدم بالعلية فإنهما متحققان بين المهيئات بعضها مع بعض بواسطة. وهذا الذي كلامنا فيه تقدم وتأخر بين الموجودات التي هي أنوار مرتبة في الإفاضة عن الحق، أو بين مراتب تنزلات الحق الأول، وقد سمينا هاتين التقدم والتأخر بالحقيقة باعتبار الأول والتقدم والتأخر بالحق باعتبار الثاني، وهذا مما لا يظهر إلا للخواصّ المكاشفين بنور الحق ولا ينفع ذكره للحمقاء الجاهلين المجانين إلا فتنة وتحريكاً لسلسلة جنونهم وحلّ لعقائد ظواهر الشريعة عن سنتهم وأيديهم.

وبالجملة فلولا الترتيب بين الموجودات، لبطل النظام ولم يكن الغايات مترتبة على الأشياء وكان فعل الله ذلك التقدير الذي توهمه جماعة من الناس كأصحاب أبي الحسن الأشعري وغيرهم عبثاً وهذا رأياً وهباءً ولعباً قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ \* مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [٣٩-٣٨/٤٤] .

فكل ما بين السماء والأرض على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث وعلى الترتيب الذي حدث فما تأخر متأخراً إلا لانتظار ما يتوقف عليه ويشترط به والموقوف بعد الموقوف عليه والشرط قبل المشروط.

وعكس هذا الترتيب وخلافه محالان والمحال لا يوصف بكونه مقدوراً فلا يتأخر العلم عن النظر إلا لفقد شرط الحياة، ولا يتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعباً واتفاقاً، بل كل ذلك بحكمة وتدبير.

وتفهم ذلك عسير على الأفهام غير يسير. وللفرق بين سبب به وسبب منه وإطلاق



الفاعل على كل من هذين المعنيين ،نسب الله الأفعال في القرآن مرّة إلى الملائكة ومرّة إلى العباد ونسبها مرّة إلى نفسه فقال في الموت: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١/٣٢] ثم قال: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٤٢/٣٩] وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١٧/١٩] ثم قال: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [٩١/٢١] والنافخ جبرئيل وقال: ﴿ وَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [٢٩/١٥] وقال: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [١٤/٩] والتعذيب هو عين القتل بل صرّح وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [١٧/٨] ثم قال ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [١٧/٨] وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهراً لكن معناه: رميت بالمعنى الذي يكون العبد رامياً، ومارميت بالمعنى الذي يكون الحق رامياً إذ هما معنيان مختلفان. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسداً فيقول: يا رب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج؟ فيقول الله ماشاء، ويخلق الملك .

وفي لفظ آخر ويصوّر الملك فيها الروح بالسعادة والشقاوة .  
وقال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجسام وإنه يتنفس بوضعه ، فيكون كل نفس من أنفاسه روحاً تلج في جسم .  
وقال بعض العرفاء: ما ذكره من مثل هذا الملك صفته فهو حق بمشاهدة أرباب القلوب ببصائرهم ، وأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به تخمين مجرد .

وكذلك ذكر الله في القرآن الأدلة و الآيات في الأرض والسموات وقال :  
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [٥٣/٤١] ثم قال :  
﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٥٣/٤١]

وقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [١٨/٣] فبين إنه الدليل على نفسه .

وليس ذلك بمتناقض بل طرق الاستدلال فكم من طالب عرف الحق بالنظر إلى

الموجودات، وكم من طالب عرف بالنظر إليه، وبه كل الموجودات. كما قال بعضهم:  
عرفتُ ربِّي برَّبِّي ولو لارَبِّي لما عرفتُ ربِّي .

وقد وصف الله نفسه بأنه المحيي والمميت، ثم فوض الموت والحيوة إلى ملكين

ففي الخبر: إن ملك الموت وملك الحيوة تناظرا، فقال ملك الموت: أنا أميتُ، وقال ملك

الحيوة: أنا أحيي الأموات. فأوحى الله إليهما: كونا على عملكما وما سخرتماله من الصنع.

فإني أنا المميتُ وأنا المحيي. لامميتُ ولامحیی سواي.

فالمحقق أضاف الكل إلى الله لأنه عرف الحق والحقيقة.

ولما جرى بيتٌ لبید على لسان بعض الأعراب، قصداً أو اتفاقاً، صدقه الرسول

صلَّى الله عليه وآله فقال: أصدق بيتٍ قاله الشاعر، قول لبید: أأكل شيء ما خلا الله باطل.

أي كل ما لا أقوام له بنفسه، وإنما قوامه بغيره، فهو باعتبار نفسه باطلٌ، وإنما حقيقته

وحقيقته بغيره لا بنفسه. فإذا لاحق بالحقيقة إلا القيتوم الحق الذي ليس كمثل شيء،

فإنه قائم بذاته وكلمة سواه قائمٌ بقدرته، فهو الحق وما سواه باطلٌ، ولنرجع إلى ما

كنا بصدده .

## فصل

### [ رد احتجاجات المعتزلة ]

اعلم إن المعتزلة لما كان أصل اعتقادهم إن فاعل الكفر والجهل والظلمة وسائر

الشور الواقعة في هذا العالم هو غير الله؛ أشكل عليهم قوله: فزادهم الله مرضاً، قالوا:

(١) البخارى: باب أيام الجاهلية: ٥٣/٥: «أصدق كلمة قالها...» .

لا يجوز أن يكون مراد الله منه الكفر والجهل لوجوه مذكورة في التفسير الكبير<sup>(١)</sup> من غير جواب ونحن نذكرها ونجيب عنها:

الأول: إن الكفار كانوا في غاية الحرص على الطعن في القرآن، فلو كان المعنى ذلك، لقالوا للنبي صلى الله عليه وآله: إذا فعل الله الكفر فينا فكيف يأمرنا بالإيمان؟ والجواب أولاً بالنقض، لأن ما ذكره جاربعينه في مثل قوله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [٢٣/٤٥] وقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [٨/٣٥] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [٥٧/١٨] إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في أنه تعالى أبعدا للكفار والمنافقين عن دار كرامته، وصدهم عن سبيله وجنّبهم عن الجنة.

وثانياً: إن المنافقين إذا قالوا ذلك. فللنبي صلى الله عليه وآله أن يقول: إنما طرء عليكم من الله هذه الظلمة والحجاب لشوم ما فعلتم أولاً من الإنكار والجحود والتماذي على الجهل والكفر كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [٢٤/٢] وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [١٥٥/٤] وقوله: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [١٣/٥].

الثاني: إنه تعالى لو كان فاعلاً للكفر لجازمه إظهار المعجزة على يد الكاذب فكان لا يبقى كون القرآن حجة.

والجواب منع هذه الملازمة وأي علاقة لزومية بين إيجاد الكفر في النفوس المظلمة الجاحدة لآيات الله وبين إظهار المعجزة على يد الكاذب؟

الثالث: إنه تعالى ذكر هذه الآيات في معرض الذم لهم على كفرهم، فكيف ينتمهم على شيء خلقه فيهم؟

والجواب إن هذا بعينه مصادرة على المطلوب الأول. فإن أصل الكلام في أن الله

فاعل الكلّ أم لا .

الرابع: قوله تعالى: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، فإن كان تعالى خلق ذلك فيهم كما خلق لو نهم وطولهم، فأَيّ ذنب لهم حتى يعذبهم ؟

والجواب بما مر سابقاً ان العقوبات للجرائم، من باب التوابع والثمرات لبذور المعاصي والسيئات ، والله منزّه عن الانفعال والتغيّر في الصفات كالغضب ونحوه فكان حاصل الجواب عن قول من قال: إذا كان الكلّ به ومنه وإليه، فكيف غضب على نفسه وذمّ فعله ؟ ما قد ذكر سابقاً من تقسيمه عباده وبحسب المشية الى ما سبق لغاية الحكمة وإلى من استوقف دونها فاستعير للنسبة الأولى اسم الرضاء وللثانية عبارة الغضب، وأردف الأول بخلعة الثناء زيادة في القبول والرضاء. وأردف الثاني بنقمة اللعن والذمّ زيادة في النكال، فهو المعطي للجمال والمثني ، وهو المعطي للنكال والمردّي، فيكون بالحقيقة هو المجمل والمثني والمثني عليه في جميع الأحوال والحمد لله على كل حال.

الخامس: إنّه تعالى أضافه إليهم بقوله بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، وعلى هذا وصفهم تعالى بأنهم مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّهُمْ السَّفَهَاءُ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ فِدْلًا عَلَىٰ أَن نَّالِمَرَادَ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرَ .

والجواب بمثل ما مرّ وهو إن إظلام قلوبهم وتسويدها بالكفر مسبّب عن كذبهم وتكذيبهم للرسول صلّى الله عليه وآله وإفسادهم في الأرض واستهزاء هم بالمؤمنين وهذه أيضاً أسباب لاشتداد مرضهم وازدياد كفرهم .

## فصل

### [تأويلات المعتزلة]

ثم قالت المعتزلة: إذا ثبت إنّ المراد ليس ما هو الظاهر من قوله تعالى: فزادهم الله مرضاً، فلا بد من التأويل فيه، وهو من وجوه :

الاول : بحمل المرض على الغمّ لأنه يقال: مرض قلبي من أمر كذا، أو المعنى: إن المنافقين لمارأوا ثبات أمر النبي صلى الله عليه وآله واستعلاء شأنه يوماً فيوماً وذلك كان يؤثّر في زوال رياستهم، فهؤلاء لما اشتدّ عليهم الغمّ وصف الله تعالى ذلك، أي زادهم غمّاً على غمّهم بما يزيد في أمر الرسول وتعظيم شأنه .

الثاني: إن مرضهم وكفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر. فهو كقوله تعالى في السورة ﴿ فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ [١٢٥/٩] والسورة لم تفعل ذلك ، ولكنهم ازدادوا رجساً عند نزولها لما كفروا بها قبل ذلك وكقوله ﴿ وليزيدنّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكُفراً ﴾ [٤٤/٥] وقوله ﴿ فلما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفوراً ﴾ [٤٢/٣٥] وكقولك لمن نصحتَه فلم يقبل وتمادى في فسادِه : ما زادتك نصيحتي إلا شرّاً وفساداً. فكذا هؤلاء المنافقين لما كفروا وازدادوا كفرهم عند التكليف والدعوة من الله إلى شرائع دينه، اضيفت زيادة كفرهم إليه تعالى .

الثالث: أن يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخوف لأن قلوبهم كانت قويّة إما لقوّة طمعهم فيما كانوا يتحدّثون به أن يريح الإسلام تهبّ حينئذ تسكن ولو اؤه يخفق أياً ما ثم يقرّ، فضعت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دينه الحقّ على الدين كله . وإما لجرأتهم وجسارتهم في الحرب فضعت جبناً، حين قذف في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامتد الله لهم بالملائكة .

ومعنى الزيادة إنه كلما زاد الله رسوله نصرةً وتبسّطاً في البلاد ، ازداد واحسداً وبُغضاً وازدادت قلوبهم ضعفاً ويأساً عما طمعوا فيه فجبناً وخواراً ، وأن يحمل المرض على تغيّر مزاج القلب وتألمه، وذلك لأن الإنسان إذا صار مبتلى بالحسد والتناق ومشاهدة المكروه فإذا دام به ذلك ؛ فربما صار ذلك سبباً لتغيّر مزاج قلبه ومرضه، قالوا: وحملُ اللفظ على هذا الوجه حملٌ له على حقيقته فكان أولى من سائر الوجوه .

## فصل فيه حكمة عرشية

[ اللذة و الألم ]

قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قال صاحب الكشاف<sup>(١)</sup> يقال ألم فهو اليم كوجع فهو وجيع<sup>ك</sup> وهذا على طريقة قولهم جدّجده، والألم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجدّ للجدّ.

أقول : إن المؤلم بالحقيقة هو الألم الحاصل في القلب دون السبب الخارجي كما ان صورة اللذة الحاصلة في النفس عند إدراك الملائم النفسي أو البدني هي الملتذة بالحقيقة لا ماخرج عن التصوّر ، وليس الملتذ والموزي بالحقيقة إلا المرتسم في القلب أعنى النفس لا الموجود في الخارج، وكلما ارتسم في النفس صورة العذاب أو مقابلها يفعل فعلها وإن لم يكن سبب من خارج، فإن السبب الذاتي هو هذا المرتسم والخارج سببٌ بالعرض أو سبب السبب ، فالأول كما في اليقظة، فإن الصور الملتذة أو الموزية المرتسمة في النفس (فيها) يبتدىء من الصور المادية الخارجية ، وقد ثبت في العلوم الحقيقية، أن تأثيرها على سبيل الاتفاق والإعداد وانها أسباب بالعرض ، والثاني كما في النوم فإن الصور الملتذة أو المكروهة قد يبتدىء من داخل باطن النفس إليها حتى ينتهي إلى مشهد الحسّ المشترك فتدر كها النفس وقد لا يكون كذلك بل ينتقل صور مخزونات النفس بعضها إلى بعض ، فإذا ابتدأت من داخل النفس، فيكون سبب ارتسامها من عالم الغيب والأسباب الموجودة في عالم الغيب سببها يكون ذاتية فيكون الملتذ والموزي في النوم أو ما يجري مجراه كالموت والبرزخ هي الصورة المرتسمة في النفس وسبب ارتسامها ملتذ ومولم بالواسطة .

(١) الكشاف ١٠ / ١٣٦ .

## فصل

[ في قوله تعالى : بما كانوا يكذبون ]

قوله : بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ، صريحٌ في أن عذابهم الأليم معللٌ بكذبهم ، على قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وذلك يقتضي أن يكون كل كذب قبيحاً حراماً وفيه رمز آخر إلى قبحه حيث علل به استحقاق العذاب ، وترتب عليه دون الكفر مع وجوده ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا ﴾ [ ٢٥ / ٢١ ] وانهم كانوا كفرّة إلا أنه خصت الخطيئات بالسببية استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها .

والكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرامٌ كلّهُ ، وأما ما يروى<sup>١</sup> عن إبراهيم عليه السلام أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به .

والمراد بكذبهم قولهم : آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، والجاحظ لا يسميه كذباً إلا إذا علم كون المخبر عنه على خلافه وهذه الآية حجة عليه .  
وقرء الباقون يكذبون من كذبه ، نقيض صدقه . لأنهم كانوا يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله بقلوبهم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم .

أو من كذب الذي هو مبالغة كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق مشدداً ونظيرهما : بان الشيء وبين وقلص وقلّص ، أو بمعنى الكثرة كقولهم مؤتت البهائم وبركت الإبل .

قوله جل اسمه :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

الجملة معطوفة إماماً على: يكذبون، وإماماً على: يقول آمناً، فيكون التقدير: ومن الناس من إذا قيل لهم: والأول أولى والقائل هو الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وآله أو بعض المؤمنين ولكل قائل والكل محتمل.

والأقرب إن القائل لهم من شافههم ممن يختص بالدين والنصيحة وكثيراً ما كان المنافقون إذا عوتبوا عادوا إلى إظهار الإسلام و الندم وكذبوا الناقلين عنهم وحلفوا بالله عليه كما أخبر تعالى عنهم في قوله ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [٧٤/٩] وقال: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [٩٦/٩] .

وماروي<sup>١</sup> عن سلمان «إن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد»، فلعله أراد به إن أهله ليس مقصوراً على الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من كان حالهم هذا الحال لأن الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها .

والفساد عبارة عن خروج الشيء عن كونه منتفعاً به ، ونقيضه: الصلاح ، وقد يطلق على زوال الصورة ونقيضه: الكون، وأما كون الفساد فساداً في الأرض فيستدعي أمراً زائداً وفيه أقوال :

أحدها: قول ابن عباس والحسن وقتاده والسدي: إن المراد به إظهار معصية الله. وتقريره ما ذكره الفقهاء وهو إن إظهار معصية الله إنما كان فساداً في الأرض لأن الشرائع الإلهية سنن وطرق موضوعة بين العباد فإذا تمسكوا بها زال العدوان ولزم كل أحد شأنه



فحققت الدماء وسكنت الفتن، فكان فيه صلاح الأرض، وأما إذا تركوا التمسك بالشرائع وأقدم كل أحد على ما يهواه بطبعه لزم الهرج والمرج والإضطراب ويهيج الحروب والفتن والفساد في الزروع والمواشي وانتفاء المنافع الدينية والدينيّة، ولذلك قال الله تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [٢٢/٤٧] وقال ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [٢٠٥/٢] نبههم الله تعالى على أنهم إذا عرضوا عن الطاعة لم يحصلوا إلا على الإفساد في الأرض به.

الثاني: أن يقال ذلك الفساد هو مداراة المنافقين للكافرين ومخالطتهم معهم لأنهم لما مالوا إلى الكفار مع أنهم في الظاهر مؤمنون أو هم ذلك ضعف الرسول صلى الله عليه وآله وضعف أنصاره، وكان ذلك يُجرء الكفار على عداوة الرسول صلى الله عليه وآله ونصب الحرب لهم وطمعهم في الغلبة، فلما كان صنيعهم ذلك مؤدياً إلى الفساد قيل لهم: لا تفسدوا. كما تقول للرجل لا تقتل نفسك ولا تلق نفسك في النار، إذا أقدم إلى أمر هذه عاقبته.

الثالث: إن المنافقين كانوا إما يلون الكفار وإما يخالطونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم وفيه فساد عظيم في الأرض.

الرابع: قال الأصم: كانوا يدعون في السر إلى تكذيبه وجحد الإسلام وإيقاع الشبه في قلوب الناس من ضعفاء العقول والإيمان فيرتدون على أعقابهم.

## فصل

وقوله: قالوا إيماننا نحن مصلحون، كالمقابل لما ذكر وهو جواب لـ «إذا» ورد للقاتل

الناصح على سبيل المبالغة لأن «إنما» لقصر الحكم على شيء كقولك: إنما يكتب زيداً،  
ولقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد كاتب. فالمعنى إن صفة الإصلاح مقصورة عليهم  
متمحضة لهم وعند ذلك يحتمل الوجوه:

أحدها: إنهم اعتقدوا في دينهم إنه هو الصواب وكان سعيهم لأجل تقوية ذلك الدين  
لاجرم قالوا: إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ .

وثانيها: إن مداراتنا مع الكفار سعي في الإصلاح بينهم وبين المسلمين وذلك كما

حكى الله عنهم إنهم قالوا ﴿ إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [٤/٦٢] .

قوله جل اسمه :

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

ردُّلما ادَّعوه وإنكارلما صوَّروه من الانتظام في جملة المصلحين بأبلغ ردِّوأشدَّ إنكار وأدلّه على سخطٍ عظيم ، حيث وقع الاستيناف و التصدير (بالأ) و (إن) حرفي التأكيد والتحقق، وعرف الخبر ووسط الفصل مع الاستدراك بلايشعرون، فإن الأولى منهما مركبة من حرفي الإستفهام والنفي لافادة التحقيق كقوله ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ﴾ ولكونها في هذه المرتبة من التحقيق لا يكاد يقع الجملة بعدها إلا مصدرية بنحو ما يتلقى به القسم واختها «أما» التي هي من طلائع اليمين ومبادئ القسم ، والثانية هي المقررة للتنبيه والتحقق .

تنبيهه :

### [الجهال المنتسبون الى العلم]

اعلم إن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله كانوا من المنتسبين ظاهراً إلى العلم و الصلاح مع وفور الجهل وقلة الورع و رداءة الاعتقاد وسوء الخلق، وعند أنفسهم لغاية الحمق والسفاهة إنهم من أهل الصلاح والاصلاح لنفسهم ولغيرهم ونظائرهم موجودون في كلِّ زمان مضادون في أطوارهم وآرائهم لأهل الحق في كل أوان ، واكثرهم من مجادلة أهل الكلام والمتعصبة لمذاهب أخذوها تلقاً وتقليداً من غير بصيرة . وليس من الطوائف المنتسبة إلى العلم والأدب شرُّ على العلماء المحققين ولأضر على الأنبياء الهادين ولأشدَّ عداوة للمؤمنين بالحقيقة ولأفسد للعقول السليمة من كلام هؤلاء المجادلة وخصوماتهم وتعصباتهم في الآراء والمذاهب .

وذلك لأنهم إن كانوا في زمن الأنبياء عليهم السلام فهم الذين لا يصدقون ولا يؤمنون كسائر الناس بل يطالبونهم بالحجج والمعجزات ويعارضونهم بالخصومات ويشوشون عقائد المسلمين بابتداء الشبهات، ويزيغون قلوبهم بالضلالات مثل ما قالوا لنبينا صلى الله عليه وآله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ \* [أوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً] \* [أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً] \* [١٧/ ٩٠-٩٢] و ما قالوا لنوح: ﴿وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الذِّبْنَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ﴾ \* [١١/ ٢٧] .

وهم الذين كانوا إذا مروا بالمؤمنين يتغامزون وقال تعالى في ذمهم وتوبيخهم: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ \* [٤٣/ ٥٨] فهذه حال من كان منهم في زمان الأنبياء عليهم السلام .

وأما إذا كانوا في غير أزمانهم فهم الذين يجادلون أهل الدين والورع بالشبهات، وينبذون كتب الله وراء ظهورهم ويفرغون إلى الآراء والمذاهب بعقولهم السخيفة وآرائهم الفاسدة، ويضعون لمذاهبهم قياسات متناقضة واحتجاجات مغالطة مموهة ، فيضلون العقول السليمة عن سنن الحق ومسلك الدين . والعلة في ذلك أسباب شتى :

منها: شدة تعصبهم فيما اعتقدوه تقليداً من غير بصيرة وأخذوه من آباؤهم وأسلافهم في أوائل العمر .

ومنها: أعجابهم بأنفسهم في حالهم وعلمهم .

ومنها: اعتقادهم لأصول خفي فيها خطأؤها عليهم وهي ظاهر الشناعة فيما يترتب عليها ويتفرع عنها ، فيلتزمون تلك الشناعات في الفروع ، مخافة أن ينتفض عليهم

(١) ما بين [ ] كانت ساقطة من النسخ .

الأصول ويطلبون لها وجوهاً من المراوغة من التزام الحجّة تارةً بالشغب ، وتارةً بالتمويه وتارةً بالمنازعة هرباً عن الجواب والإقرار بالحقّ وتأنفاً عن أن يقولوا لاندري الله ورسوله أعلم، إقتداءً بأدب الله كما قال ﴿وَمَا آخِذْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [٢٢ / ١٠] ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [٤ / ٨٣].

وانك لتجد من فيهم جودة عبارة وفصاحة بيان وسحر كلام ما يقدر أن يصوّر الباطل في صورة الحقّ بالوصف البليغ ويصوّر الحق في صورة الباطل، وهو مع ذلك جاهل القلب ميت النفس عن إدراك حقائق الأشياء، بعيد الذهن عن فهم المعارف العقلية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [٢٧ / ٨٠].

وعن النبي صلى الله عليه وآله إنه كان يقول: أخوف ما أخاف على أمّتي منافق القلب عليم اللسان غير حكيم القلب يغترّهم بفصاحة بيانه ويضلّهم بجهله. وتجد فيهم من يجادل ويحتج وهو عاقل في أشياء كثيرة من أمور الدنيا فإذا اقتشت عن اعتقاده في أشياء اعتقادية متعلّقة بأمور الدين، وجدت رأيه واعتقاده أسخف وأقبح من رأي كثير من الصبيان. والعلّة ما ذكرنا أولاً.

قوله جل اسمه :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا  
ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

ومن قبائح أعمال المنافقين إنهم يستنكفون عن قبول التعليم وعن التقليد للغير والتسليم لأمره ولا يرضون بمشاركة الناس ترفعاً لمقامهم، ومقامهم أدنى من كل أحد، ممن يقبل التعليم والتأديب والإرشاد والتهذيب.

ولما كان كمال الإنسان منوطاً بمجموع أمرين: ترك ما لا ينبغي، وإتيان ما ينبغي. لذلك . نهاهم الله في الآية المتقدمة عن الفساد في الأرض، وأمرهم في هذه الآية بالإيمان ولفظة قوله: «آمنوا» مفعول لم يسم فاعله؛ لمعنى قوله: «قيل»، والإسناد إلى صورة الفعل وافظه جائزاً، والممتنع هو الإسناد إلى معناه، فهو مثل قولك: رُكِبَ «صَرَبَ» من ثلثة أحرف .

وقوله: كما آمن الناس، في حيز النصب على المصدرية، ومامصدرية مثلها في ممارجعت، أو كافة مثلها في ربما.

والتعريف في الناس للجنس أي كإيمان سائر الناس واستدل به على قبول توبة الزنديق وإن الإقرار باللسان إيمان، وإلآلم يفده هذا التقييد.

أو المراد به الكاملون في الإنسانية العاملون بمقتضى العقل، فإن اسم الجنس كما يطلق على مسماه مطلقاً، كذلك يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة والمعاني المختصة بالإنسان التي يمتاز بها عن سائر الأكوان وسائر الحيوان، هي الإيمان والمعرفة والعفة والعدالة والصبر والتقوى والرضا بما أمر الله وغير ذلك فكل

من أخلّ بشيء من ذلك فقد نقص في الإنسانية بحسبه، وكلّ من قصر عنها فصحّ سلب الإنسانية عنه فيقال: زيدٌ ليس بإنسان. وإن كان في قالب الإنسانية، ومن هذا الباب قوله تعالى: صُمُّ بَكْمٌ عُمَى ونحوه، وقد جمع الشاعر بين المعنيين في قوله:

إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانٌ.

ويمكن أن يكون للعهد، والمراد به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَنْ مَعَهُ أَوْ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَابِنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ وَالْمَعْنَى: آمَنُوا كَسَائِرِ النَّاسِ، أَوْ كَأَيَّمَانِ الْخَوَاصِّ إِيْمَانًا مَقْرُونًا بِالْإِخْلَاصِ مَتَمَحِّضًا عَنْ شَوَائِبِ النِّفَاقِ.

والقائل إِمَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ. وَكَانَ مِنْ جَوَابِهِمْ أَنْ سَفَهُوا النَّاصِحَ لِفِرْطِ سَفَهِهِمْ وَجَهْلِهِ لِمَادِي جَهْلِهِمْ وَغُرُورِهِمْ، وَمِنْ شَأْنِ غُرُورِهِمْ وَتَسْفِيهِهِمْ لِأَهْلِ الدِّينِ أَحَدِ أَمْرَيْنِ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ عَلَى ضَرْبَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ غَرَّتْهُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمِنْهُمْ مَنْ غَرَّهُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ.

أَمَّا الَّذِينَ غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَهِيَ الَّذِينَ لَهُمْ زِينَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِيَاةٌ فِي قَوْمِهِمْ وَجَمْعِيَّةٌ وَيَسَارٌ، وَرَأَوْا أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَرَأَتْ تَحْتَ ذَلِكَ الْمَسْكَنَةَ وَالْيَأْسَ وَالْبُؤْسَ، فَاغْتَرَّوْا بِالدُّنْيَا وَقَالُوا: النَّقْدُ خَيْرٌ مِنَ النَّسِيَةِ، وَالدُّنْيَا نَقْدٌ فَيَكُونُ خَيْرًا مِنَ الْآخِرَةِ لِأَنَّهَا نَسِيَةٌ فَلَا بَدَمَ إِثَارَهَا.

وَرَبِمَا قَالُوا أَيْضًا: الْيَقِينُ خَيْرٌ مِنَ الشَّكِّ وَلِذَلِكَ الدُّنْيَا يَقِينٌ وَلِذَلِكَ الْآخِرَةُ شَكٌّ فَلَا يَتْرَكَ الْيَقِينُ بِالشَّكِّ، فَهَذَا هُوَ الْبَسَاعَةُ لَهُمْ عَلَى نِسْبَةِ السَّفَاهَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذِهِ أَيْسَةٌ فَاسِدَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمَلْفَقَ لَهَا الْمَعْوَلُ عَلَيْهَا سَفِيهِ الْعَقْلِ جَاهِلِ الْقَلْبِ، وَلِهَذَا أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ بَاطِنِهِمْ وَسَفَاهَةَ عَقْلِهِمْ بِقَوْلِهِ: أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَذَلِكَ لِأَنَّ قِيَاسَهُمْ فَاسِدٌ يَشْبَهُ قِيَاسَ إِبْلِيسَ، وَلَكِنْهُمْ وَقَعُوا فِيهِ وَاغْتَرَّوْا بِهِ لِأَنََّّهُمْ مَا عَلِمُوا وَجْهَ فَسَادِهِ.

وعلاجه أحد أمرين؛ إما بالبرهان. وإما التصديق بمجرد الإيمان بما أخبره الله

تعالى من قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [٦٠/٢٨] ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [١٧/٨٧] ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [١٨٥/٣] ونحو ذلك.

وأما المعرفة بالبرهان، فهو أن يعرف وجه فساد قياسهم الذي يظنه الشيطان وفيه أصلان: الأول صحيح والآخر وهو قوله: النقد خير من النسبة، محل التلبس، إذ لو كان النقد مثل النسبة في القدر والشرف والمنزلة فهو خير وإفلا. وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أكثر فساداً من الأول. لأن كلاً أصلية باطل، إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله في المقصود وإفلا، فإن الناظر في تبعه ومشقته على يقين، وفي ربحه على شك، والمتفقه في اجتهاده وتبعه على يقين، وفي ادراكه رتبة العلم على شك، وكذا سائر النظائر في هذا الباب.

فكذلك من شك في الآخرة، ينبغي له بحكم الجزم أن يقول «الصبر أياماً قلائل قريباً بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فما قيل فيه إن كان كذباً فلا يفوتني إلا التمتع اليسير في أيام حيوتى، وإن كان صدقاً فأبقي في النار أبداً وهذا لا يطابق» ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الملحدين: «إن كان ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلنا حقاً، فقد تخلصنا وهلكت».

وما قال عليه السلام هذا عن شك منه في أمر الآخرة، ولكن كلم الملحده على قدر عقله، فبين إنه مغرور سفيه.

وأما الأصل الثاني وهو إن الآخرة شك فهو أيضاً خطأ، بل ذلك يقين عند العارفين والمؤمنين وليقينه مدركان:

أحدهما الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء والأولياء وذلك أيضاً يُزيل السفه والغرور وأكثر أهل الدين أطمأنوا به كما يطمئن نفس المريض إلى تصديق قول الأطباء الحذائق في الدواء، ولو اعتمد أحدٌ قوله وترك قول الأطباء، كان سفياً معتوهاً، وهذا القدر من الإيمان كافٍ لجملة الناس، لأنه اعتقادٌ جازم يستحث على العمل، وإليه الإشارة



بوجه في قوله ﴿آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ .

وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة؛ فالوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولاتنظن أيها الحبيب هداك الله ان معرفة النبي صلى الله عليه وآله لأمر الآخرة ولأمر الدين ولسائر المعارف الإلهية ، كانت تقليداً لجبرئيل بالسماع منه و الرواية ، كما ان معرفتك تقليداً للنبي حتى يكون معرفتك كمعرفته، وانما يختلف المقلد فقط. هيهات فإن التقليد ليس معرفة بل هو اعتقاد صحيح، والأنبياء عارفون. ومعنى معرفتهم إنهم كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة، لا عن سماع وتقليد .

وأما الذين غرهم بالله الغرور ، فمنشأ اغترارهم بالله ما قال بعضهم في أنفسهم أو بألسنتهم : إنه إن كان الله تعالى معادولنا عوداً إليه، فنحن أحق به وبالسعادة عنده من غيرنا لأننا أعظم منزلة وأوفر حظاً وأسعد حالاً، كما أخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين في القرآن بقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [٣٦/١٨] وقال تعالى ردّاً على أمثاله ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [٧٨/١٩] كلاً فهذا من الغرور بالله .

ويشبه القياس من أقيسة إبليس وذلك بأنهم ينظرون مرة إلى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا ويقيسون نعم الآخرة عليه، وينظرون مرة إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عذاب الآخرة عليه ، ومرة ينظرون إلى الفقراء المؤمنين وهم شعثٌ غبرٌ وكان منهم في زمان النبي صلى الله عليه وآله موالى كصهيب وبلال وخبّاب، فيزدرونهم ويستحقرونهم، ويسقّهونهم ، و كان بعض المنافقين يقول لبعض : أنؤمن كما آمن سفيه بني فلان وسفيه بني فلان؟! .

و كانوا يقولون: ﴿أَهْوَلَاءِ مَنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [٥٣/٦] ويقولون: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [١١/٤٦] وهذا كله أيضاً لحمقهم وسفه عقولهم وجهلهم

بأحوال الدنيا والآخرة فإن ترتيب القياس الذي رتبته إبليس في قلوبهم أنهم قالوا: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محبٌ وكل محبٌ لأحد فهو يحسن إليه في المستقبل أيضاً كما قال الشاعر:

لقد أحسن الله فيما  
مضى كذلك يحسن فيما بقي

والتلبيس تحت ظنّه إن كل محسن محبٌ لابل تحت ظنّه إن أنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغترّانه كريم عند الله بدليل لا يدلّ على الكرامة ، بل عند ذوي البصائر يدلّ على الهوان، لأن نعيم الدنيا مهلكات مبعثات من الله وإن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه .

وفي الخبر: إن أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا: ذنب عجل لنا عقوبته ، ورأوا ذلك إمارة المقت والإهمال . وإذا أقبل الفقر قالوا: مرحباً بشعار الصالحين .

والسفيه المغرور بوساوس الشيطان بعكس ذلك ، كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَإِذَا مَا ابْتَلَيْهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي ﴾ [١٦/٨٩] .

فبين ان ذلك لجهله وسفاهته .

فكذلك المراد بقوله: **الأنهم هم السفهاء** ، يجوز أن يكون ذلك بياناً لغرورهم وجهلهم بفساد ما تخيلوه من صورة أقيستهم الفاسدة الأصول، باطلة النتيجة ، فإن من باع آخرته بدنياه بقياس مغالطي ألفاه الشيطان، فهو السفيه، ومن خالف طريق الأنبياء والأولياء كلهم فهو السفيه .

وإنما قال في هذه الآية: **لأعلمون**، وفيما قبلها: **لأيشعرون**، لأن الوقوف على ان طريق الايمان حق وطريق الكفر باطل، أمر عقلي فظري، وأما الوقوف على النفاق وما فيه من البغي والفساد في الأرض ، فامرٌ ضروري يجري مجرى المحسوس لأنه

يشاهد من أقوالهم وأفعالهم، ولأن ذكر السفه وهو نقص العقل وخفته - مكان ذكر العلم  
أحسن طباقاً من مكان ذكر الشعور .

واصل السفه الخفة . يقال: سفهت الشيء إذا حرّكته، قال ذو الرمة:

جرّين كما اهتزّت رياحٌ تسفّهت      أعاليها من الرياح الرواسم

وفي الآية تسلية للعالم فيما يلحقه في التعليم والنصيحة من سفاهة الجاهل وصوته

المستنكر وقوله الباطل واعتقاده الفاسد وإعجابه بنفسه .

قوله جل اسمه :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ  
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾

هذا هو النوع الرابع من أنواع الأفعال والأقوال القبيحة للمنافقين المذكورة في هذه الآيات و لهم أنواع كثيرة من القبائح المذكورة في مواضع من القرآن .  
منها : ما ذكره بقوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٥/٣٩] وبقوله : ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [٧٢/٢٢] .  
ومنها : ما وصفهم الله به في قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [٢٠٦/٢] .

ومنها : تقليدهم للآباء والمشايخ وإن كانوا على الباطل كما وصفهم الله في مواضع بمثل قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [٢١/٣١] .  
ومنها : اتباعهم للهوى ﴿ وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ الآية [٢٨/١٨] .  
ومنها : انكارهم واستكبارهم عن طلب الحق وقبوله ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢٢/١٦] .  
ومنها : غمزهم للمؤمنين ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [٣٠/٨٣] .

- ومنها: الهمز واللمز: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةً﴾ [١/١٠٤].
- ومنها: تنابزهم بالألقاب: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [١١/٤٩].
- ومنها: تفاخرهم بالأنساب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْيُكُمْ﴾ [١٣/٤٩].
- ومنها: تزكيتهم أنفسهم: ﴿الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [٤٩/٤].
- ومنها: افتراؤهم على الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ [٩٣/٦].
- ومنها: كتمانهم ما أنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ [١٥٩/٢].
- ومنها: أكلهم أموال اليتامى ظلماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية [١٠/٤].
- ومنها: أكلهم الأموال بالباطل من جهة التشبث بالدين: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [٣٤/٩].
- ومنها: غرورهم بالدين: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٢٤/٣].
- ومنها: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [١٢٠/٣].
- ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [٣٨/٤].
- ومنها: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [١٣٩/٤].
- ومنها: ﴿وَمَا كَانَ صَلَواتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيقَةً﴾ [٣٥/٨].
- ومنها: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [٩/٩].
- ومنها: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١٠٧/٩].

ومنها: إنهم يجعلون الله ما يكرهون من الصفات التشبيهية والانفعالات كالغضب والانتقام على النحو الذي تخيلوه .

ومنها: سعيهم في تحصيل العلوم الظاهرية طلباً للدنيا والاشتهار و انكارهم للعلوم الخفية الإلهية: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [١٨/١٠٤-١٠٥] .

ومنها: مجادلتهم في الله من غير معرفة وبصيرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ \* كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [٢٢/٣-٤] .

ومنها: انهم زين لهم سوء عملهم: ﴿أَقَمَنَّ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [٤٧/١٤] .

ومنها: ارتدادهم عن الهدى بحسب سرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ \* إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ [٤٧/٢٥-٢٦] .

ومنها: استنكافهم عن صحبة الصلحاء ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [٦٣/٨] .

ومنها: كثرة يمينهم وحلفهم في إثبات الدواعي والدعاوي: ﴿وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ حَلَاظٍ مَهِينٍ﴾ [٦٨/١٠] الآيات. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾ [٢/٢٢٤] وقيل: إيمان المرء يُعرف من أيمانه.

ومنها: تولاهم عن ذكر الله إلى الدنيا: ﴿وَاعْرَضَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [٥٣/٢٩] .

ومنها: الاستدراج من الله لهم ﴿فَدَرَنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [٦٨/٤٤] .

ومنها: إعراضهم عن الآيات والحكمة ونسيانهم ذكر الله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آبَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى \* [١٢٦-١٢٤/٢٠] وقوله ﴿فَانسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [١٩/٥٨] وقوله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [٦٧/٩].

ومنها: انهم يضحكون من طور أهل العلم والورع وينسبونهم إلى الضلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ \* وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ \* وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ \* وَإِذَا رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [٣٢-٢٩/٨٣] إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة و أطوارهم النكيرة وآرائهم المردية وأهوائهم الشيطانية التي يطول الكلام بذكرها بل هي خارجة عن الضبط .

\* \* \*

وقرىء «إذا لا قوا» وقوله: ﴿آمَنَّا﴾ المراد به أخلصنا بالقلب، وما صدرت به القصة كان بمعنى «أقرنا» فلا تكرر. والدليل على ما ذكرنا أمران: أحدهما: ان الإقرار باللسان كان معلوماً منهم فما احتاجوا إلى بيانه، انما المشكوك فيه منهم هو الإخلاص بالقلب فاحتاجوا إلى اظهاره.

وثانيهما: ان قولهم للمؤمنين ﴿آمَنَّا﴾ يجب أن يحمل على نقيض ما كانوا يُظهرونه لشياطينهم، فادعاهم هناك كان تكديباً قلبياً، فهيهنا ينبغي أن يكون تصديقاً قلبياً، وقيل هذا بيان لمعاملتهم مع الطرفين، والذي ذكر في صدر القصة فليان مذهبهم وتمهيد كفرهم ونفاقهم قليس بتكرير.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ في الكشاف: إنه من «خلوت بفلان، وإليه»: إذا

انفردت معه، أو من «خَلَا» بمعنى: مضى. و «خَلَاكَ ذَمٌّ» أي: عداك ومضى عنك. و منه «القرونُ الخالية». أو من «خَلَوْتُ بِهِ» إذا سخرت منه. و«عَدِّي بِ» إلى» لتضمين معنى الإنتهاء، والمراد إذا انهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم كما تقول: أحمدُ إليك فلاناً وأدّمه إليك .

### فصل فيه إشراق

وأما ﴿شَيَاطِينَهُمْ﴾ فهم الذين مائلوا الشياطين في تمردهم وعصيانهم و استبدادهم بالرأي وإنكارهم للحق وإبرازهم الباطل بصورة الحق. واعلم إن كل منافق فهو شيطانٌ بالحقيقة وبحسب الباطن، وإن كان ظاهره ظاهر الإنسان ، إذ لا عبرة به، إنما العبرة بالقلب وأحواله وما حشر إليه في يوم الآخرة. ويكون حشر المنافقين يوم القيام من قبورهم إلى الشياطين لغلبة صفة الشيطنة على قلوبهم من المكْر والحيلة والخديعة وسوء الاعتقاد والإغواء للخلق، وحبّ الاستيلاء والتمرد والتجبر وغير ذلك .

وبيانه ان في الإنسان قوة علمية وقوة عملية. والعلمية منقسمة إلى عقلية ووهمية. والعملية منقسمة إلى شهوية وغضببية، وسعادته منوطة بتكميل القوة النظرية والبصيرة الباطنية بتكرير النظر إلى حقائق الأشياء والمطالعة للأمور الإلهية على وجه الحق والصواب، وبتسخير قواه الإدراكية والتحريرية وسياستها إياها لتصير مقهورة تحت أمرها ونهيها ولا تكون متمردة عاصية، ولتلك القوى رؤساء ثلاثة:

الوهم للإدراكية، والشهوة والغضب للتحريرية، إذ كل منها متشعبة إلى فروع كثيرة وخواص هي جنودها، ففي الإنسان مادام كونه الدنيا وي أربع شوائب: العقل والوهم والشهوة والغضب.

والأول ملك بالقوة . والثاني شيطان بالقوة . والثالث بهيمة بالقوة .



والرابع سُبُعُ بالقوة.

وكل منها إذاقوى بتكرير أعمال وأفعال تناسبه ، يصير ذلك الشيء الذي كان هو هو بالقوة بالفعل ، ويكون الحكم له في الإنسان ويحشر إليه.

فمن غلب عليه في الدنيا إدراك المعارف والميل إلى الطاعات والتجرد عن الوسوس والعيادات والتوحش عن الدنيا والخلاق ، يكون معاده إلى عالم الملكوت الرباني صائراً ملكاً مقرباً ربانياً محشوراً إليه مع الملائكة المقربين قال تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥/١٩].

ومن غلب عليه إدراك الوهميات الباطلة وإبداء الشبهات والأقيسة الفاسدة والميل إلى المكر والحيلة والخديعة والسمعة والرياء والاستهزاء والسخرية للعباد، والشهرة في البلاد والاستبداد بالرأي والاتباع للهوى ومخالفة أهل الحق والإغواء للناس، فيكون معاده إلى عالم الشياطين صائراً شيطانياً مريداً ملعوناً محشوراً مع الشياطين كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [٦٨/١٩].

ومن غلب عليه حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغير ذلك من مشتبهات البطن والفرج فمعاده إلى عالم البوار وحشره إلى الحشرات كما قال ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿يَوْمَ يُحْشَرُونَ﴾ [٣٨/٦]. وكذا من غلب عليه صفات السبعية من التهجم والابذاء والعدواة والبغضاء والظلم والوقاحة وغير ذلك فيحشر مع السباع والوحوش كما قال ﴿وَإِذْ الْوَحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فعمل ان حشر الخلائق إلى أحد هذه الأجناس الأربعة ، التي لا يدخلوا عنها شيء من الجواهر الحية المدركة والمحركة.

فقد ثبت وتحقق بهذا البيان والبرهان، ان اطلاق الشياطين على المنافقين، بالحقيقة واليقين ، لا بالمجاز والتخمين. لأن مدار نفاقهم على المكر وابهام الحق وترويح الباطل والتشبه بأهل الايمان والعلم وادعاء الصلاح ، فقد صارت بواطنهم بكثرة أعمالهم

الشيطانية الوهمية، انقلبت إلى حقيقة الشياطين بالفعل وخرجت عن القوة والاستعداد لها ولغيرها ، وتمنى الرجوع منهم إلى اصل الفطرة كما في قولهم ﴿رَبَّنَا فَارْجِعْنَا عَمَلْ صَالِحًا﴾ تمنى امر مستحيل الوقوع، فلاجل ذلك قال تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ إذ المراد بهم أكابر المنافقين، والراسخون في الكفر والنفاق وهؤلاء المترددون إليهم تارة وإلى المؤمنين أخرى من الأصاغر.

## فصل

قوله: إِنَّمَعَكُم ، أي في الضمير وعقيدته ، وقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وخاطبوا الشياطين بالجملة الإسمية المؤكدة «بأن» لأنهم قصدوا بالأولى إحداث الايمان ، وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه، ولأن أنفسهم لاتساعدهم على أن يكون ماخاطبوا به المؤمنين جديراً بكونه أقوى الكلامين ؛ لركونهم إلى أهل البطالة والشهوة ؛ وكرهتهم بالطبع عن لقاء الله وأهله، والقول الصادر عن الكراهة والنفاق. فلماحصل معه المبالغة ، فادعوا عندهم حدوث الايمان لإكمال تحققه، بخلاف ماصدر عنهم عند إخوانهم لعلمهم أيضاً بأن ادعاء الكمال في الايمان، لا يروح على المؤمنين. وأما كلامهم مع إخوانهم في إنكار الشريعة، فعلموا انه مقبول عندهم بأي وجه كان من التأكيد، فأكدوا القول فيه.

## قوله جل اسمه : إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُن

كأنه جواب عن سؤال الشياطين بأن قالوا إِنَّمَعَكُم: إن صح ذلك منكم فما بالكُم تترددون إلى المؤمنين وتوافقونهم في الكلام، وتدعون الإسلام؟ فأجابوا بأنهم مستهزون بهم. أو تاكيد لما قبله؛ لأن المستهزىء بالشيء مصرعاً على خلافه. أو بدل منه لأن من حقر شيئاً فقد عظم نقيضه.

والاستهزاء هو السخرية والاستخفاف يقال : هزأت واستهزأت بمعنى واحد كأجبت واستجبت. وأصله الخفة من الهزع وهو القتل السريع. يقال هزأ فلان إذامات على مكانه وناقته نهزأته أي تسرع وتخف .

### قوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ

ذكروا في تأويل نسبة الاستهزاء إليه تعالى حيث لا ينفك معناه عن التلبيس وهو على الله محال وعن الجهل لقوله تعالى ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا قَالًا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٦٧/٢] والجهل على الله محال، وجوهاً خمسة :

أحدها: إنه من باب صنعة المشاكلة. فسمي ما يفعله الله جزاء لاستهزائهم، استهزاءً كما في قوله ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [٤٠/٤٢] وقوله: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [١٩٤/٢] .

وفي الحديث عنه عليه السلام إنه قال: تكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا وإنه قال عليه السلام: أيضاً اللهم إن فلاناً هو يعلم أنني لست بشاعرٍ فاهجه اللهم والعنه عددٌ ما هجاني .

وثانيها : إن ضرر استهزائهم راجعٌ إليهم غير ضائر بالمؤمنين ، فيصير كأن الله استهزاء بهم .

وثالثها: إن آثار الاستهزاء من الهوان والحقارة لحقت بهم من الله ، فذكر اللازم وأريد به الملزوم تجوّزاً .

ورابعها: إن الله ينعمهم في الدنيا بأنواع النعم، ويظهر عليهم منه تعالى خلاف

ما يفعل بهم في الآخرة كما انهم أظهروا للنبي صلى الله عليه وآله أمر أكان الحاصل معهم في السر خلافة وفيه نظر .

وخامسها: إنه تعالى يعاملهم معاملة المستهزيء، أما في الدنيا فلا لأنه يطلع الرسول صلى الله عليه وآله على أسرارهم مع أنهم بالغا في كتمانها عنه، ويجرى عليهم أحكام المسلمين ويستدرجهم من حيث لا يشعرون ويمهلهم مدة في النعمة و التماذي على الطغيان .

وأما في الآخرة فقال ابن عباس: إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار، فتح الله تعالى من الجنة باباً إلى الجحيم الذي هو مسكن المنافقين فإذا رأى المنافقون الباب المفتوح أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون إليهم، فإذا وصلوا إلى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى ﴿فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [٣٤/٨٣] وهذا هو الاستهزاء.

وإنما استؤنف الكلام ولم يعطف، ليدل على أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمن إلى أن يعارضوهم باستهزاء مثله، وللإشعار بأن استهزاءهم بالمؤمنين لا يعسبأبه في مقابلة ما يفعل الله بهم.

وإنما لم يقل: «الله مستهزاء بهم» ليطابق قولهم، لأن المضارع يفيد الحدوث وقتاً فوقتاً، والتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكيات الله فيمن سلك النفاق وباع آخرته بالدنيا كما قال ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [١٢٦/٩].

وأيضاً فما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أسرارهم وتكشيف أسرارهم واستشعار خوف وحذر من أن يرد عليهم عذاب أو ينزل فيهم آية تفضحهم كما قال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [٦٤/٩].

## بصيرة

اعلم إن للآيمان مراتب متفاوتة في الكمال والنقص، فربّ مؤمن يكون له من المعرفة بالله واليوم الآخر ما لا يمكن له إظهاره وكشفه للمؤمنين؛ كما لا يمكن للكافرين فهو يداري مع الطرفين ويعمل على التقية في الجانبين فيتكلّم مع كل منهما على قدر عقولهم، وهو مع الله لا يبرح ناظرًا في عباده بعين الرضا. وهذا ضربٌ من النفاق لكنّه غير مذموم بل واجب كما دلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: كلّموا الناس على قدر عقولهم. قال بعض العرفاء: اعلم إن الإنسان ذو وجهين: وجهٌ إلى ذاته، ووجهٌ إلى ربّه. ومع أي وجه توجه غاب عنه وجهه الآخر، وكلّ منهما غير وجه ربك ذي الجلال والإكرام، فكل من وجهه هالك دائرٌ إذالم يستحكم علاقته مع وجه ربّه، فإذا انقلب إليه، فنى عنه وجهه فصار غريباً في الحضرة يستوحش فيها ويطلب وجهه الذي كان بانس به فلا يجده فيبقى في عذاب وحسرة.

وأما إذا استحكمت علاقته مع الحق تعالى، فإذا توجه إلى وجهه؛ أقبل عليه ولم يكن له مؤنسٌ سواه ولا مشهودٌ إلاّ إياه، فصار الحق له وجهاً وسمعاً وبصراً بفرح بلقائه وعاد الأنس الأعظم، ويتذكر الأنس الماضي به، فيزيد أنسا إلى أنس ويرى عنده وجه ذاته ولا يفقده، لأنه أصله، فيجمع بين الوجهين في صورة واحدة، فيجد الأنس لا اتحاد الوجهين فيعظم السرور والابتهاج. وهذه حالة جمعية برزخية لكونها جمعت بين الطرفين فمن جمع بينهما في الدنيا، حرم ذلك في الآخرة كالمناق، فإنه يريد أن يكون برزخاً جامعاً بين المؤمن والكافر، فإذا انقلب، تخلّص إلى أحد الطرفين وهو طرف الكفر، إذ لم يستحكم علاقته بالآيمان، ولم يتخلص له؛ فلو تخلّص هنا إلى الآيمان ولم يكن برزخاً كان إذا انقلب، انقلب إلى الله كما ذكرناه من جمعه بين الطرفين. فاحذر هيهنا من صفة

النفاق فإنها مهلكةٌ ولها في سوق الآخرة نفاق اقتضى ذلك الموطن، وما أخذ المنافق هيهنا إلا أمر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء، وقد نبه الله لمن ألقى السمع وهو شهيد، وذلك ان المنافقين هيهنا ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ لوقالوا ذلك حقيقة لسعدوا . لكنهم قالوا لاعن حقيقة واعتقاد. ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لوقالوا ذلك وسكتوا ما أترفهم الدمّ السواقع . وانما زادوا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ فشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين .

فما أخذوا إلا بما أقرّوا به . إذ بناء المؤاخذة والعذاب على ضرب من الاستعداد والشعور به ، وبه يتمّ الحجة لله . وإلا لو أنّهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة في البغي وتمادٍ في العصيان لسعدوا .

ألا ترى الله لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته إياهم كيف قال : ﴿اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فما أخذهم بقولهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ . و انما أخذهم بما زادوا على النفاق . وهو قوله : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ .

وما عرفك الله بالجزاء الذي جازى به المنافق، إلا لتعلم من أين أخذت حتى تجتنب موارد الهلاك .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله إن مداراة الناس صدقةٌ . فالمؤمن يدارى الطرفين مداراة حقيقية ولا يزيد على المداراة ، بخلاف المنافق فإنه يجنى ثمرة الزائد . كان ما كان . فتفطن .

فقد نبهتكم على سرّ عظيم من أسرار القرآن وهو واضح ووضوحه أخفاه، وانظر في صورة كل منافق تجده ما أخذ إلا بما زاد على النفاق ، وبذلك قامت عليه الحجة ولو لم يكن كذلك لحشر على الأعراف مع أصحاب الأعراف .

والمؤمن المدارى منافقٌ، وهو ناجٍ وهو فاعلٌ خبيرٌ، فإنه إذا انفرد مع أحد الوجهين أظهر له الاتحاد ولم يتعرض لذكر الوجه الآخر الذي ليس بحاضر معه، فإذا انقلب إلى

الوجه الآخر كان معه أيضا بهذه المثابة، والباطن في الحالتين مع الله، فإن للمقام الإلهي هذه صورته فإنه لعباده بالصورتين فنزلة نفسه وشبهه، فالمؤمن الكامل بهذه المثابة، وهذا عين الكمال. فاحذر من الزيادة، وكن متخلقا بأخلاق الله.

وقد قال تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وآله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ [١٥٩/٣] واللين خفض الجناح والمدارة، ألا ترى إلى الحق تعالى يرزق الكافر على كفره ويمهل له في المؤاخذة عليه؟

وقال عز وجل لموسى وهرون في حق فرعون: ﴿وَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَبِئًا﴾ [٤٢/٢٠]

وهذا عين المدارة. ومن هذا المقام:

قوله جل اسمه:

وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

في الكشاف من مدّ الجيش وأمدّه، إذا زاده. وألحق به ما يقوّيه ويكثره وكذلك مدّ الدواة وأمدّها؛ زاداها ما يصلحها، ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد. ومدّه الشيطان في الغي وأمدّه؛ إذا وصله بالسوساس حتى يتلاحق غيه ويزداد إنهما كافييه. وقال بعضهم مديستعمل في الشر وأمد في الخير، قال الله تعالى: ﴿وَنَمِدُّهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [٧٩/١٩] وقال في النعمة: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [٦/١٧] وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [٥٥/٢٣] ومن الناس من زعم انه من المدفي العمر والإملاء والإمهال ويخدشه أمران: قراءة ابن كثير وابن محيص: وَيَمُدُّهُمْ، وقراءة نافع: ﴿وَإِخْوَانَهُمْ يُمِدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ فإنه يدل على أنه من المدد دون المدّ، وكون الذي بمعنى «أمهله» إنما هو «مدّله» كما أملى له. والطفيان: هو الغلوفي الكفر وتجاوز الحد في العتوق قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَاطِفَى الْمَاءِ﴾

[١١/٦٩] أي: جاوز قدره. وقال ﴿إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٢٠/٢٤] أي: أسرف. وقرىء طغيانهم بالكسر.

والعمه كالعنى لكنه عام في البصر والرأى والعمه في الرأى خاصه، وهو التردد والتحير .

وعند المعتزلة لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها لوجوه:  
أحدها: انه اضيف مثل هذا الفعل إلى الشيطان في قوله ﴿وَإِخْوَانَهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي  
الْغَىٰ﴾ [٢٠/٢٧] فكيف يضاف إلى الله؟  
وثانيها: إن الله ذمهم على هذا الطغيان ، فكيف يذمهم الله على ما هو فعل له  
بالحقيقة؟

وثالثها: أنه لو كان فعلاً ، لبطلت النبوة والإنذار وبطلت فائدة نزول القرآن  
فكان الاشتغال بتفسيره عبثاً.

ورابعها أنه أضاف إليهم الطغيان بقوله ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فدل على أنه  
ليس مخلوقاً ، ومصداقه أنه حين اسند المد إلى الشياطين اطلق « الغي » ولم يقيد  
بالإضافة إليهم في قوله ﴿وَإِخْوَانَهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَىٰ﴾ فذكر والآية تأويلات اعتزاليه:  
الأول: لما منعهم الله تعالى الطاقة التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم  
وإصرارهم عليه وسد على أنفسهم طرق التوفيق فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة،  
كما تزايدت قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً، وهذا تأويل الكعبي وأبي مسلم الإصفهاني .  
الثاني: أنه لما مكّن الشيطان من إغوائهم وخلق بينهم وبين إغواء عبادته، فزادهم طغياناً  
اسند ذلك إليه تعالى إسناد الفعل إلى المسبب وأضاف الطغيان إليهم لثلاثتهم ان إسناد  
الفعل إليه على الحقيقة.

والثالث: أن يحمل على منع القسر والإلجاع كما قيل: السفه متى لم يُنه فهو أمور  
والرابع: أن يكون يمدهم معناه: يمد عمرهم وهم مع ذلك في طغيانهم يعمهُون.



أقول: جميع ما ذكره في الأشكال والتأويل ضعيف قاصر عن الصواب، أما الوجوه المذكورة في الإشكال فالجواب عن الأول منها: ان نسبة كل فعل إلى مصدره المباشر، غير نسبه إلى المبدء الفياض، والله خالق كل شيء ومع هذا ينسب البعض إلى غيره كالأحراق إلى النار والتبريد إلى الماء والإضاءة إلى الشمس والمطر إلى السماء، أو لا ترى أنه نسب الإضلال إلى الشيطان في مواضع من القرآن، ثم قال:

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [٢٣/٤٥] وقوله: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [٢٣/٣٩] وكذا نسب الوسواس إلى الشيطان في قوله: ﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ [٥/١١٤] وكذلك الهداية منسوبة إليه في آيات كثيرة مثل قوله: ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٢١٣/٢] وقد ينسب إلى غيره كما في مثل قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [١٨١/٧] وكذا نسب التوفى تارة إلى ملك الموت كما في قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [١١/٣٢] وتارة إلى نفسه مثل قوله: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّاكَ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [٢٢/٣٩] وكذا في كثير من النظائر. فليكن ههنا من هذا القبيل. والوجه في الجميع واحد كما سنذكره.

وعن الثاني ان الظم في الفعل القبيح يرجع إلى المباشر، لانفعاله به وتأثره عنه ولا يرجع إلى فاعل الكل لتقدسه وبراءته عن الأنفعال والتغير، ولكونه يفعل الأشياء لأجل الخبر والحكمة والرحمة الواسعة من غير أن يعود إليه خبرها أو شرها.

ومما يبين ويحقق هذا، إن نسبة السواد مثلا إلى الفاعل الموجد له آكد وأشد من نسبه إلى القابل. لأن نسبه إلى الفاعل بالإيجاب والافتضاء، ونسبه إلى القابل بالامكان والصحة، ومع ذلك لا يفسال لموجد السواد: إنه أسود، كما يقال لقابله، وذلك لوجود التأثير والانعصار ههنا دون هناك، وكذا لا يطلق على موجد اللون والطعم الصابغ والطاعم بالمعنى الذي يطلق على المباشر. فلا يقال للباري إنه صباغ مع أنه موجد جميع الأصباغ والألوان على أحسن الوجوه، كما في قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

صِبْغَةً، وكذا لا يقال للباري جل اسمه، انه نجار أو بناء بالمعنى الذي يقال للإنسان وذلك لأنه يفعل النجر والبناء على وجه أعلى وأشرف مما يفعله النجار والبناء، لأن الفعل وقع منهما على سبيل المباشرة ومنه تعالى على وجه الابداع والعناية. ومثال ما ذكرناه النفس الإنسانية، فإنها على بينة من ربها، من عرفها فقد عرف ربه، أو لا ترى ان النفس مع نجردها ووحدتها وكونها من عالم علوى، يفعل في البدن جميع الأفعال المنسوبة في غيره من الأجساد النباتية والجمادية إلى القوى الجسمانية مثل الهضم والطبخ والنضج ودفع الفضلات وسائر الاستحالات وسائر الأفعال الجمادية والنباتية، ومع ذلك ليست بجماد ولا نبات؟

وكذلك يلمس ويشم ويدوق وليست لامسة ولا شامة ولا ذائقة، بل هي خارجة من عالم البصر والسمع بل من عالم التخيل والوهم ولا يخلو عنها عضو من الأعضاء وقوة من القوى.

وهناك يظهر معنى قوله صلى الله عليه وآله: إنه فوق كل شيء وتحت كل شيء قد ملأ كل شيء عظمته، فلم يخل منه أرض ولا سماء ولا بر ولا بحر ولا هواء، هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء؛ وهو الظاهر ليس فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه شيء، فلو دلى على الأرض السفلى لهبط على الله.

وسر قول أمير المؤمنين عليه السلام هو عين كل شيء لا بمزاولة وغير كل شيء لا بمزايلة.

وعن الثالث مامر إن فائدة البعثة والإنزال ترجع إلى اهل الإيمان بالتنوير والتكميل لقلوبهم الصحيحة، وإلى المنافقين بتنقية قلوبهم المريضة والتبديد والطردهم وتبليغ الحججة عليهم، كما ان فائدة ضوء الشمس إنما ترجع إلى العيون السليمة ولا يزيد للخفافيش إلا فراراً ووحشة ونفوراً، ثم تكون عليهم حسرة وعلى نفورهم حجة. وعن الرابع بمثل مامر، وأما الوجوه التي ذكرها في التاويل، فالجواب عن

اولها؛ انه اذا اعيد السؤال بأنه ما السبب المرجح في تخصيص اللطف منه تعالى للمؤمنين والمنع له عن المنافقين، مع أن اللطف واجبٌ عليه تعالى على اصولهم بالنسبة إلى الجميع؟ فإن أجابوا عنه بأن سبق الكفر والإصرار أوجب ذلك من الله عليهم، فلقاتل أن يقول: ما الباعث لهؤلاء على الكفر والإصرار دون المسلمين مع تساوى غرائزهم وفطرهم وتساوى نسبة اللطف والإنذار والتخويف والإرشاد والنصيحة وجميع ما هو من قبل الله وآياته وكتبه ورُسُله لهم وغيرهم؟

فلم يبقَ لهم مهربٌ إلا الرجوع إلى الأمور الإلهية من اختلاف الغرائز بحسب الفطرة الأولى وأن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وأن الشقي منهم شقي في الأزل والسعيد منهم سعيد لم يزل كما قال تعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتُسَوَّىٰ أَسْمُهُمْ فِي اللَّهِ سَوَاءً مَّا يَفْعَلُونَ﴾ [١٠٥/١-١٠٦] الآية .

وعن ثانيها: ان تمكين الشيطان من إغوائهم والتخلية بينه وبينهم دون غيرهم مع أن الكل عباد الله محتاجون إلى رحمته في الدنيا والآخرة، ينافي أصولهم كوجوب الألفاظ واستحالة الترجيح من غير مرجح، وفيه من النظر والجواب مأمراً.

وعن ثالثها: أن تفسير الإمداد في العبي والطغيان بعدم القسر والإلجاء على فعل الخير والطاعة، في غاية البعد فلا يصار إليه من غير ضرورة ولا ضرورة هيهنا كما علمت .  
وعن رابعها: انه بعيد من وجهين: الأول عدم مساعدة اللغة كما مر من أن تفسير يمدهم بالمد في العمر، خطأ.

والثاني: انه على تقدير صحته من جهة اللغة يفيد انه تعالى يمد عمرهم لغرض أن يكونوا في طغيانهم يعمهون، فيعود الإشكال .

وأجاب بعضهم كالقاضي عن ذلك بأنه ليس المراد ذلك، بل المراد انه يُبقيهم ويلطف لهم في الطاعة فيأبون إلا أن يعمهوا .

وقد علمت ان مثل هذا الكلام في اختلاف صنوع الله مع عباده مع تساوى الكل

في الغرائز والفيطر في قبول اللطف من الله، لا يفي بدفع الإشكال على من التزم المحافظة على قضايا العقل التي عليها. يعني إثبات الواجب تعالى وإثبات الشريعة، فلا بد للعاقل في دفع هذا ونظائره إما إلى الرجوع إلى مسلك أهل الله والراسخين في العلم، حتى ينكشف عليه سر المقال <sup>(ط: نابه)</sup> وحقيقة الحال، وإما إلى صريح مخالفة العقل وإنكار الحكمة والقول بالسبب والعللة والغاية وأنه سبحانه بحيث لا يُسئل عما يفعل تعالى عن فعل المجانين والسفهاء والتعطيل كما زعموه علواً كبيراً .

### إضاءة وإشراق

قال الشيخ العارف في الفتوحات : « اعلم إن الكل من عند الله ولكن لما تعلق ببعض الأفعال لسان ذمّ فما كان في الأفعال من باب شرّ وقبح فدبنا بنفوسنا ما ينسب إلى الحق من ذلك ، وقاية وأدباً مع الله . وما كان من خير وحسن رفعنا نفوسنا من البين وأضفنا ذلك إلى الله ، حتى يكون هو المحمود بكل ثناء. أدباً مع الله و إيقاعاً لحقوقه . فإنه لله بلاشك مع ما فيه من الاشتراك كما دل عليه قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٦/٣٧] وقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [٧٩/٤] مع قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [٧٨/٤] فأضاف العمل وقتاً إلينا ، و وقتاً إليه : فلهذا قلنا : فيه رائحه اشتراك . قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [٢٨٦/٢] فأضاف خيرنا و شرنا إلينا . و قال : ﴿ فَالْهَمَّهُمَا فُجُورَهُمَا وَتَقْوِيَهُمَا ﴾ [٨/٩١] فله الإلهام و قد خلق العمل .

فهذه مسألة لا يتخلّص فيها توحيد أصلاً لامن جهة الكشف ولامن جهة الخبر فالأمر الصحيح في ذلك انه مربوط بين حقّ وخلق غير مخلص لأحد الجانبين فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق عين الوجود الذي استفادته الممكنات فمائم الإوجود عين الحق، والتغيرات الظاهرة في هذه العين أحكام أعيان الممكنات ، فلولا

العين مظهر الحكم ، ولولا الممكن مظهر التغيير ، فلا بد في الأفعال من حق وخلق « انتهى كلامه .

أقول: ليس مراده قدس سره من قوله: «فلهذا قلنا فيه رائحة اشتراك» انه يعتمدان فاعل أفاعيل العباد مركب من أمرين حق وخلق، وكذا قوله: «فهذه مسألة لا يتخلص فيها توحيد أصلاً» إلى قوله: «غير مخلص لأحد الجانبين» ليس المراد ماتوهمه ظاهر العبارة وكذا ماورد في أحاديث أئمتنا الأطهار عليهم السلام «إنه أمرين أمرين» ليس المعنى ماتوهمه المحجوبون : ان الفعل واقع بين الرب والعبد غير مخلص لأحدهما ، كيف وهذا شرك محض وظلم عظيم يخالف البرهان والكشف والنقل عن أئمتنا عليهم السلام . بل مقصوده قدس سره مما ذكره، ومرادهم عليهم السلام من قولهم بأنه أمرين أمرين : ان الأفعال كلها مخلوقة لله تعالى من غير اشتراك أصلاً ؛ وكذا الفعل الصادر من العبد هو بعينه صادر عن الحق من غير اشتراك بل لان وجود العبد بعينه شأن من شئون الله ، وقد ذكرنا فيما مر ان للفعل نسبة إلى الفاعل المزاوول وله بعينه نسبة إلى الفاعل المفارق ، والذمائم والنقائص في الأفعال راجعة إلى نسبة المزاوول لانسبة المفارق والمذكور هي هنا أدق وأعلى في التحقيق وأغمض وأدق في المسلك لا يفهمه إلا ذو بصيرة ثاقبة وكشف تام ويد باسطة في الغيب .

فالفاعل من حيث هو واقع بقدره العبد، واقع بعينه بقدره الله بلا اشتراك ، تعالى الله عنه علواً كبيراً. وهذا هو مراده قدس سره من الاشتراك لا غير حاشاه عن ذلك وسائر الأولياء الموحدين ناهيك به قوله : فإنه أعلى ما يكون من النسب الإلهية أن يكون الحق هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات، ثم قال: وفي مذهب بعض العامة ان العبد محل ظهور أفعال الله وموضع جريانها فلا يشهدا الحسن الامن الأكوان ولا يشهدا بصيرتهم إلا من الله من وراء حجاب هذا الذي ظهرت على يدي المرید لها المختار فيها، فهو لها يكتسب باختياره وهذا هو مذهب الأشاعرة .

ومذهب بعض العامة ان الفعل للعبد حقيقة ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق والخلق لا يزول وان هؤلاء يقولون: القدرة الحادثة في العبد الذي يكون بها هذا الفعل من الفاعل، ان الله خلق له القدرة عليها فما يخلص الفعل للعبد إلا بما خلق الله فيه من القدرة عليه، فمزال الاشتراك، وهذا مذهب أهل الاعتزال فهو لاء ثلثة: أصحابنا والأشاعرة والمعتزلة مزال منهم وقوع الاشتراك. وهكذا أيضاً حكم مثبتي العلة لا يتخلص لهم اثبات المعلول الذي لعلته التي معلولة لعله اخرى فوقها إلى أن ينتهي إلى الحق في ذلك الذي هو عندهم علة العلة، فلو لاعة العلة ما كان معلول عن علة إذ كل علة دونه معلولة، والاشترك ما ارتفع على مذهب هؤلاء. وماعدا هؤلاء الأصناف من الطبيعيين والدهريين، فغاية ما يؤل إليه أمرهم ان الذي نقول نحن فيه انه الإله يقول الدهرية: انه الدهر، والطبيعية انه الطبيعة. وهم لا يخلصون الفعل الظاهر منادون أن يضيفوا إلى الدهر أو الطبيعة، فمزال وجود الاشتراك في كل نحلة ومذهب، ومائم عقل يدل على خلاف هذا، ولاخبر الهى في شريعة يخلص الفعل من جميع الجهات إلى أحد الجانبين فلنقره كما أقره الله على علم الله فيه ومائم الاكشف وعقل وشرع، وهذه الثلثة ما خلصت ولا يخلص أبداً دنيا وآخرة جزاء بما كنتم تعملون، فالأمر في نفسه والله اعلم - ما هو إلا كما وقع ما يقع فيه تخليص لأنه في نفسه غير مخلص، إذ لو كان في نفسه مخلصاً لبدأن كان يظهر على بعض الطوائف ولا يتمكن لنا أن نقول: الكل على خطأ. فإن في الكل: الشرائع الإلهية، ونسبة الخطأ اليها محال وما يخبر الأشياء على ماهي عليها الا الله، وقد أخبر فما الأمر إلا كما أخبر فاتفق الحق والعالم في هذه المسئلة على الاشتراك، فهذا هو الشرك الخفي والجلبي وموضع الحيرة، انتهى كلامه.

أقول: حاشا الجناب الإلهي عن الشرك في الأفعال، كما حاشاه عن الشرك في الذات والصفات، بل الأمر ما قررناه وذكرناه مراراً، وما نقله من أولئك الطوائف،

فصادقٌ ان فيها دلالة على الاشتراك ، لكن قوله : فما زال وجود الاشتراك في كل نحلة ومذهب ومائمه عقل يدل على خلاف هذا ولاخبر إلهي في شريعة إلى اخره غير موجه بظاهره ولا مسلم ، فهيهنا مذهب أولياء الله الموحدين الذين لم يروا في الوجود إلا الله وأسمائه وأفعاله. وأما الخبر الإلهي وهو المشار إليه في مثل قوله : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وما جرى مجراه، فالمراد منه ما يوافق مسألة التوحيد الخاصي لاما هو الظاهر على ما يستفاد من مثل قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ وقوله ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ وليس المراد ان الحق والعبد متشاركان في الفعل ، ولان العبد بمنزلة الآلة كالسيف القاطع للحق أو اليد الضاربة له ، لاستغنائه عن الآلة في فعله ، ولا ان العبد علة متوسطة بين الباري وفعل العبد كما زعمه الظاهريون من الفلاسفة وما يجري مجريهم في إثبات الوسائط في الابداد ولا ما زعمه الخاصون منهم كأتباع الرواقين من أن الوسائط شروط معدة لادخل لها في الابداد بل في الإعداد. بل الحق في هذه المسئلة مما لا يدرك إلا بنور البصيرة المستفاد من عالم الملكوت لمن انفتحت كلاً عينيه ، عينه اليمنى لمشاهدة الحق ، وعينه اليسرى لمشاهدة الخلق فيشاهد فعل الحق في عين يشاهد فعل الخلق فيتحقق له سر قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [١٧/٨] وسر قوله : ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [٨٠/٤] ومعنى قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [٢١/٨] مع كونهم سمعوا .

فانظر إلى هذا الذم كيف أشبه غاية الحمد فيمن كان الحق سمعه وبصره فمن كان الحق سمعه ، فقد سمع ضرورة لإلانه لم يسمع إلا به فهو سامع لابنفسه بل به، ومن لم يكن كذلك، فهو سامع بنفسه لا بالحق فوق الذم عليه والمدح على الأول مع أن الفعل في كل منهما لا يصدر إلا من شخص امكاني .

وهذا التفاوت فيهما راجع إلى الشهود وعدمه دون الوجود، إذ الوجود في الواجب كما هو هو . كان لم يزل ولا يزال وفي الممكن كما هو هو في التجدد والزوال وكلمة

«كنت» في الحديث الإلهي «فإذا أحببته كنت سمعه إلى آخره تدل على أن الأمر كان على هذا وهو لا يشعر، وكانت الكرامة التي أعطاهما هذا التعريف الكشف والعلم بأن الله كان سمعه فهو كان يتخيل انه يسمع بسمعه وهو يسمع بربه كما كان يسمع الإنسان في حال حيوته بروحه وهو يظن انه يسمع بأذنه الغضروف في لجهله؛ وفي نفس الأمر إنما يسمع بربه، فالحق يسمع كلامه بالسمع المعنوي دون غيره من غير تجدد ولا زوال في حقه وإن كانت الحروف والأصوات متجددة زائلة، وكذا الكلام في البصر والكلام والقدرة وغير ذلك، ولنمسك عنان الكلام عن زيادة التجوال في هذه المقام ولنرجع إلى ملاحظة كلام الله المفضل المتعال.



قوله جل اسمه :

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى  
فَأَرَبِحَتْ بَعْرُهُمْ وَمَا كَانَ مُهْتَدِينَ ﴿١١﴾

تحقيق الآية يبتني على مقدمات: إحديتها إن الإنسان مادام كونه الدنيوي بمنزلة مسافر يسافر للتجارة أما كونه مسافراً، فأمر قد جبل عليه كل ماهو متعلق الوجود بالطبيعة الجسمانية والكون الدنيوي إذ قد حقق في مقامه بالبرهان الذي لاح لنا بفضل الله ، إن الطبائع الجسمانية أبدأ في التحول والانتقال والتجدد والزوال من حال إلى حال استحالة جوهرية وانتقالاً ذاتياً وتوجهاً جبلياً إلى نشأة أخرى، وأما كونه تاجر أفضماً فيه لاختياره مدخل، إذ الفائز بسعادة الربح الأخرى إنما يفوز به بأعمال صالحة اختيارية والممنون بشقاوة الخسران الأبدي إنما يبتلى به بأعمال فاسدة اختيارية، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [ ٩٥/٩ ] وقوله ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [ ٣٠/٤٢ ] وقوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [ ٨-٧/٩٩ ] .

المقدمة الثانية: انه لما كان كل مسافر للتجارة لا بد له من رأس مال، وقد ثبت أن الإنسان مسافر للتجارة فلا بد له من رأس مال. ورأس ماله هو الفطرة الأصلية التي قد فطره الله عليها وهي القوة الاستعدادية لأجل الوصول إلى الدرجات العاليات والفوز بالمنازل والسعادات. وهذه القوة الفطرية هي المعبر عنها في هذه الآية بالهدى، إذ الهدى عبارة عن كون السالك على الطريق الذي يؤدي إلى مطلوبه ويقابله الضلال، وهو كونه جائراً

منحرفاً عن ذلك الطريق، فعلى ما فسرنا الهدى به ليس لأحد أن يقول: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قطاً؟

لأن كل واحد من الناس في أول نشأته وحادثة وجوده على رأس الطريق منه إلى الله فهو على هدى بحسب الفكرة، وإنما يقع الجور بحسب ما يكتسبه من الأفعال والاعتقادات. كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه».

المقدمة الثالثة: إن الربح والخسران ليسا بأمرين عارضين لغاية هذا السفر، ممكني الانفكاك عن منازل هذه الحركة. بل الوصول إلى كل منزل من منازل الآخرة يلزمه ما يخصه من ربح أو خسران، أو نعيم أو حرمان، أو راحة أو عذاب. بل الربح ههنا بنفس الوصول إلى المنزل الأسنى والمقام الأعلى. وكذا الخسران بنفس الوصول إلى الهوى الأدنى.

سئل بعض أهل الله عن عذاب القبر، فقال: القبر كلة عذاب. إشارة إلى أن العذاب عبارة عن الانحباس في مضيق البرازخ السفلية، والتقيّد بقيود الموزيات الحيوانية والتألم بالأم العقارب والحيات النفسانية، كما إن النعيم والراحة بالخلاص عنها والفوز بالدرجات العاليات، لأن ما فيها كلة روح وريحان وجنة ورضوان، وما في البرازخ السفلية كلة آلام ومحن وموزيات وعقارب وحيات وسموم ونيران وحميم وزقوم.



فإذا تقرر هذه المقدمات، فنقول: قد حكى الله تعالى عن المنافقين والمغترين بلوامع سراب الدنيا من أهل الكتاب وغيرهم، الذين تفقهوا غير الدين وعملوا بغير عمل أهل اليقين طلباً للحطام ومصيدة للعوام: بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الآخرة بالأولى والدرر الفاخرة بالثمن الأوكس الأدنى واستبدلوها به حيث أنهم آخلوا بالهدى الذي جعلهم الله في أصل الفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا إليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فجاروا عن القصد وقدوا الاهتداء.

وأصل الاشتراء بذل الثمن أو ما يجري مجراه لتحصيل ما يطلب من الأعيان سواء كان عيناً محسوساً أو غيره كما في قوله :

اخذت بالجُمَّة رأساً أزعراً وبالثنايا الواضحات الدُرُوراً  
وبالطويل العمر عمراً جيدراً كما اشترى المسلم إذ تنصراً

فإن كان أحد العوضين ناضاً تعيّن من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً و  
بذله اشتراء، وإلّا فسأي العوضين تصوّرتّه بصورة الثمن فبذله يكون مشترياً وآخذه  
يكون بائعاً، ولذلك عدّت الكلمتان من الأضداد.

وقوله: فماربحت تجارتهم، ترشّيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه  
ما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم كما قيل:

ولما رأيت النسر عزّ ابن دأية وعشش في وكره جاش له صدري<sup>١)</sup>

وأما إسناد الربح إلى التجارة والحال انه لأربابها فهو على سبيل الاتّساع لتلبّسها  
بالفاعل أو لمشابهتها أيّاه من حيث انها سبب الربح والخسران .

(١) سمى الغراب «ابن دأية» لانه يركب دأية الحيوان

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاخم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر (منه - ره).  
ونقل الاثري عن الأسمعي : ابن دأية هو الغراب . سمي بذلك لأنه يقع على دأية البعير  
فينقرها . والدأية: هو الموضع الذي يقع عليه ظلفة البعير فتعقره (تهذيب اللغة: ١٤ / ٢٣٣).  
راجع ايضاً الحيوان للجاحظ: ٣ / ٤١٥ و ٤٣٩ .

## فصل

وأما قوله : وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ؛ فمعناه إن الذي يقصده التاجرون في أسفارهم و متصرفاتهم أمران : سلامة رأس المال والربح ، وهؤلاء قد أضاعوا الأمرين وفاتوا المقصدين؛ لأن رأس مالهم هو الفطرة الصافية عن المزاحمات واللوح الصافي النفساني والعقل الهيولاني فلما اعتقدوا هذه الآراء الخبيثة وافتشت نفوسهم بهذه النقوش المزخرفة وانفعلت عقولهم عن هذه العقائد الباطلة . فخرجت فطرتهم عمّا كانت عليها وبطل استعدادها لتحصيل ما هو موجب حيويتها في معادها وزينة ذاتها وسبب عيشها في الآخرة، فهؤلاء مع انهم لم يربحوا فقد خسروا وأفسدوا رأس مال العقل السليم المهتدي إلى طريق الحق والفوز بالنعيم فلهم الحسرة والعذاب الأليم.

وقال قتاده في معنى هذه الآية: انتقلوا من الهدى إلى الضلال ومن الطاعة إلى المعصية ، ومن الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف ومن السنة إلى البدعة.

أقول: والكل صحيح لأنها من لوازم الخروج عن الفطرة الساذجة بالعقيدة الفاسدة في باب المبدء والمعاد، فإن بناء الحسنات والخيرات كلها على معرفة الحق والسلوك بما يوجبه، وبناء السيئات والشروور على الجهل به والحيد عن صراطه.

الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

## تعليقات

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

### الحكيم الالهى المولى على النورى (قده)

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
الطيب الطاهر  
الذي بعثه الله فينا  
مبعوثاً رحمةً وبرهاناً  
للناس كافة  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد  
الذين هم  
أحفادك الطيبين  
الطاهرين  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك  
الذين هم  
أركانك

## بسمه تعالى

### تنبيه واعتذار

كما ذكرت في المقدمة، فللحكيم الإلهي المولى علي النوري - ره - تعليقات على تفاسير صدر المتألهين . ولكنني لم أعر على نسخة الأصل من هذه التعليقات على تفسير سورتي الفاتحة والبقرة . وتوجد نسخة من التفسير في مكتبة المجلس الشورى الإسلامي ، كتب قسم من هذه التعليقات على حواشيتها بخط أحد من تلامذة المولى النوري . حيث جاء في آخر كل تعليقة منها: «نوري مدظله العالی». واسم الكاتب على ما جاء في تعليقة ورقة ٤٢ : « علي نقي » .

وقد أتيتُ بجميع التعليقات الموجودة في هذه النسخة و كذا ما كانت على حواشي النسخة المطبوعة من التفسير .

علامة النجمين (\*\*\*) في آخر كل تعليقة تشير إلى كونها موجودة في النسختين . والنجم الواحد (\*) تشير إلى كونها موجودة في المخطوطة دون المطبوعة . ومالم تكن علامة بآخرها فقد كانت في المطبوعة دون المخطوطة .

كما ان وضع نقط (...) يشير إلى كلمة أو كلمات غير مقروءة أو مطموسة بالكلية .

وحيث لم تكن عندي نسخاً موثوقاً بها فلم أتمكن من تصحيح هذه التعليقات على ما ينبغي ، غير أنني لم أبدأ من طبعها بهذه الصورة حتى لا يترك الميسور بالمعسور .

ومن الله التوفيق وعليه التكلان

محسن بيدارفر

ص ١٧ س ١ قوله : و إبليس و هو الداء - و إبليس لو لم يغلب في فطرته  
جهة الوهم على جهة العقل ولم يتجوهر بملكة الجهل لم يصر إبليساً - ففتن .  
ص ١٩ س ٥ قوله : وفيه بذره - و ذلك الأصل والمبدء في الإنسان البشري  
هو عقله الهولاني الذي هو مادة التحقق بحقايق الأشياء كلها ، و ذلك العقل هو  
خياله الذي هو طراز عالم الحس و صورة الصور في عالم الأجسام و مادة المواد  
في عالم العقل والأمر .

س ١٩ س ١٢ قوله : فعلم إن مطالب الإنسان - والحق ان الحضرة  
الختمية بعد عروجه بمعراجة المعروف أيضاً كان يستكمل بالمجاهدات ولو كيفاً ،  
فما ظنك بمن دونه ، و كل من دونه يكون تحت لوائه . فإن فطرة سائر كمل  
الأنبياء تكون مفطورة من فضل نوره - فافهم واستقم .

ص ٢٠ س ٥ قوله : بين سائر الموجودات - و قد مر أن الكمل من أفراد  
الإنسان و إن كانوا لا يحتاجون إلى الاستعاذة من جهة مقاماتهم الإلهية ، و لكنهم  
ماداموا في الدنيا يحتاجون في مقاماتهم البشرية . اللهم إلا أن يكون تعلقهم بالأبدان  
الديناوية اختيارياً لا افتقارياً - فافهم .

ص ٢٠ س ٩ قوله : و نفوس السعداء - و لعله أراد من نفوس السعداء فسي  
الآخرة كونهم و كون حالتهم في عالم القبر و عالم برزخهم كذلك . لا فسي الآخرة

التي هي دار الخلد - فافهم .

ص ٣٠ س ٤ قوله : إلا الله - يقولون بلسان حالهم و ألسنة أقوالهم - لا بمجرد ألسنة أقوالهم- : حسبي الله وحسبنا الله :

مذهب عاشق زمذهبها جداست عاشقان را مذهب وملت خداست

لا إله إلا هو .

ص ٣٠ س ١٠ قوله : عبادة الرب - ولا معنى لعبادته إلا طلب قرب الحق و طلبه التخلّق بأخلاقه . ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة . ولا تحصل المعرفة إلا بالترفع عن الجسمانيّة والحيوانية . والهوى هو الهوى إلى البهيمية والسبعية أو الشيطنة والنكرى التي هي أمارة بالفحشاء والمنكر .

ص ٣١ س ٣ قوله : إلا بما شاء - إلا بما شاء من بطونه . هو انه لا يحصل مرتبة تلك الإحاطة المرموزه لأحد من الأنبياء والأولياء عليهم السلام إلا بتحقيقه و تخلّقه بمرتبة المشيئة التي هي فوق قاب قوسين . ويسمى بمرتبة أو أدنى . كما تحقّق لمحمد خاتم الولاية وختم النبوة ولآله الوارثين لكماله صلّى الله عليه وآله . لا يحيطون بعلمه إلا بنزولهم في مرتبة المشيئة وعروجهم و وصولهم بها .

وتلك المرتبة هي خاصّة الحضرة الختمية عليه السلام . وهي مرتبة « الكاف » التي هي فوق مرتبة « النون » من قوله : ﴿ كُنْ ﴾ إذ الكاف كناية عن المشيئة التي تتعلّق بالوجود . والنون من « كُنْ » إشارة إلى الإرادة التي تتعلّق بالعين والماهية . ومن ازدواج الكاف بالنون تتولّد الموجودات المقيّدة والذوات الخلقية من الدرّة - وهي العقل الكل وحقيقة حقائق الأشياء - إلى الدرّة ، و من الدرّة إلى (... ) فمنزلة الكاف في وجه من النون منزلة آدم من حواء . إذ الكاف - وهي المشيئة - هي آدم الأول الحقيقي . وذلك التولّد منزلته منزلة بينه عليه السلام وذريته . ومرتبة ذلك [١] آدم الأول هي النور المحمدي الأولي .

ص ٣٦ س ٧ قوله : ولاحد له - والحدّ التام في باب الوجود والبرهان عليه



هما أمر واحد هي علته الفيّاضة . والفيّاض على وجه الاطلاق هو الله تعالى . والحد الناقص في الوجود طرّاً إنما هو نور الله الساري في السموات والأرض . و هو شعاع نور ذاته تعالى ، المسمّى بالنور المحمدي . الذي هو إشراق شمس الأزل فاحسن في الثبّت فيه .

والمراد بنفي الحد ، نفي الحد الذي يكون للماهيات . لانفي الحد الوجودي . وجود المعلول حد ناقص للعلة ، والعلة حد تام له . وفيه سرغامض بالغ في الغموض جدّاً .

ص ٣٦ س ٥ قوله : فضلاً عما هو بين العرض والجوهر - فإن الارتباط بين العرض والجوهر نسبة حلوليّة . وهي كون وجود العرض بعينه وجوده للموضوع ، لا وجود الموضوع . فكل منهما موجود بهذا الاعتبار بنحو « بشرط لا » ولا يحمل أحدهما على الآخر مواطاة ، بل اشتقاقاً . و هو حمل العرضي على المعروف .

ص ٣٧ س ٢٠ قوله : بحسب التحليل - أي إذا كان التغاثر بين المعاني بمجرد تعمّل العقل . كالجنس العالي إذا اعتبر بشرط لا - أي وحده - فالتغاثر بين الشرط والمشروط إنما هو بمجرد الاعتبار . فإنه بسيط في نفسه ، مركب بمجرد التعمّل .

ص ٣٨ س ١٥ قوله : مسمّى لفظاً الله - و من هيهنا تشبّث بما نقل عن كعب الأحبار إنه قال : إن لفظ « الله » عبارة عن وجوده ولو ازمه (منه ره) .

ص ٣٩ س ٣ قوله : والا لم تكن هذه المعاني - لعمر الحبيب ان هذا لهو حق الاستدلال على الاشتراك معنى بين الحق و خلقه ، ولا مخلص عن القول بالاشتراك المعنوي على وجه التشكيك ، ولكن بالسوجه الخاص الذي يكشف عنه قول قلة العارفين عليه السلام : « توحيده تمييزه عن خلقه ، و حكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة » و ينظر إلى محصل كلامه عليه السلام هذا قوله قدس سره هيهنا ، لما تقرر

عندهم انه ما من نعت إلا وله ظلٌّ ومظهر في العالم . والتشكيك والتفاوت بين الشيء وبين ظلّه ومثاله و صورته يسمى بلسان الوقت بالتشكيك الخاصي .

اي سايه مثال ، گاه بينش در حكم وجودت آفرينش  
ص ٤٠ س ٥ قوله : كَلَّهَ بالقوة - يعني ان كليته بالشدة . كما قالوا : انه تعالى غير متناه بالشدة ، و ذلك لكونه تعالى وجوداً بحتاً و نوراً صرفاً - بسيط الحقيقة كل الأشياء بنحو أعلى لأن الكل منه له .

ص ٤١ س ٥ قوله : اعترض - أي اعتراضاً على قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ [٩٨/٢١] بأنه يلزم منه كون الملائكة والمسيح المقدس حصب جهنم . و كذلك حسبما يتضمنه الآية السابقة ﴿ أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [٦٧/٢١]

ص ٥٢ س ١٣ قوله : لا يحصل إلا من جهة العلم - والسر فيه هو كون كل مخلوق ومعلول ذا وجهين : وجه يلي ربه ، و وجه يلي نفسه . والوجه الذي به يلي ربه و علته الفيضة هو مثال ربه و علته الذي القاه في هوية معلوله ومصنوعه المستفيض منه الوجود باتحاده - كما قال قيلة العارفين أمير المؤمنين عليه السلام في جملة ما قال في توحيده سبحانه : « وألقى في هويتها مثاله » وتلك الأمثلة هي بعينها آياته تعالى التي أخبر عنها جل شأنه في محكم كتابه حيث قال : ﴿ سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [٥٣/٤١] ولقد روي عن بعضهم عليه السلام انه قال :

و في كل شيء له آية \* تدل على أنه واحد

وبالجملة فذلك الوجه الظلي المثالي إن هو إلا تجليه تعالى و (...) لانفس الأشياء الذي خلقت و انوجدت ماهيات الأشياء به و خرجت من كتم ظلمات العدم واللبسبة و ظهرت بنص ذلك التجلي في العين وعرفت به ربها الأعلى - تعالى من الاكتناه وعن أن تصل العقول والأفهام والأوهام إلى كنهه تعالى عن ذلك علواً

كبيراً - ولقد تفرر في أن مثال الشيء هو ظهوره وانبثته التي يتعرف بها . فكما يكون ذلك الوجه الاعلى هو الفائض أولاً وبالذات عن العلة وهو الموجود بالاصالة ، و يصدر و ينوجد الوجه الذي به يلى المعلول نفسه - وهو الوجه الاسفل - عن العلة ثانياً وبالعرض . فكذلك يظهر ويتعرف بذلك الوجه . . .

ص ٥٤ س ٢٢ قوله : فرق يعتد به - اذ الفرق حينئذ سره (كذا) ، لامجرد الاعتبار من دون التفاوت بين المطلبين في الواقع . والفرق المعتد به كما صرحوا هو كون الجواب عن الـ « ما » الشارحة مجرد شرح اللفظ . وبيان معنى اللفظ و حاصله يرجع الى اللغة ، وأما الجواب عن الـ « ما » الحقيقية فهو شرح حقيقة الشيء وبيان ماهيته المتحصلة . . .

ص ٦٠ س ٧ قوله : لانها مستغنية عن الجعل - يعني انها بالغة في الجعل بتبعية لوازم الوجود أو الماهية لهما في الجعل والصدور<sup>١</sup> فان اللوازم بعد جعل الملزوم لا يكون بالامكان بالنظر الى ذات الملزوم ، حتى يحوج ذلك الامكان الى جعل على حدة . بل بنفس جعل الملزوم بنوجد اللازم و يتحصّل معاً قطعاً .

ص ٦١ س ٣ قوله : لا دلالة له على الخلاص - والحق الحقيقي هو ان نفس هذه الكلمة الطيبة الدالة على التوحيد (ظ : توحيد) خاص الخاص - اعني كلمة يا هويًا من [لا] هو الا هو - برهان قاطع على كون كلمة « هو » موضوعة للوجود الحقيقي والهوية الوجودية الحقيقية المتشخصة بذاتها ، الممتنع عن التعدد والتكثّر بحسب ( . . . . . ) فانه لا معنى محصلاتها لو اريد منها ان لا ماهية كلية ولا معنى ومفهوماً كلياً الا هو . أى الاحضرت الذات الاقدس تعالى (.....)

ص ٦١ س ٥ قوله : بل الحق - لقائل أن يقول : ان هيهنا احتمالاً غير ما ذكر من الاحتمالات التي أبطلها في الموضع للماهية وهو كون الوضع عاماً في باب الماهية والموضوع له هي خصوصيات الماهيات ، فما وجه بطلانه ( . . . . ) أن

(١) كذا - والظاهر وقوع سقط او تصحيف في العبارة .

تقول في جوابه ان الظاهر من مساق بيانه انه ( . . . ) عن تعداد سائر الاحتمالات الباطلة و ابطالها اختصاراً و اكتفاء بقوله « اذ الوجود حقيقة واحده » الى آخره، فانه يتضمن السرالكاشف عن وجه كلية الاحتمالات الباطلة في المقام . ومن الاحتمالات الباطلة احتمال الوضع التركيبي . اي كون الموضوع له بالوضع العام هو المركب من الهويات الوجودية و من خصوصيات الماهيات . وله جوابان - فافهم .

ص ٦١ س ١٥ قوله : وجوده الذاتي - احتراز عن الوجودات العرضية الزائدة على وجود نفس الماهية من حيث هي .

ص ٦١ س ١٨ قوله : في العلم الحضوري الشهودي - هذا منه يتضمن الاشارة الى سر الامر في المقام الذي هو ملاك وضع الضمائر ونظائرها للهويات الوجودية . و مدار بيانه من اوله الى آخره ومناط استقامته هو ذلك السر - فافهم .

ص ٦٢ س ١٣ قوله : منفصل الذات عنه - يعني بائناً عنه بينونة العزلة . و بينونة العزلة بين الشيتين يمنع العلاقة الوجودية التي تكون بين المعلول والعلة . وهي علاقة خاصة يكون ملاكها ومدارها على بينونة الحكم والصفة . و من ههنا قال أمير المؤمنين وقبلة العارفين عليه السلام : « تسوحبده تميزه عن خلقه . وحكم التمييز بينونة صفة ، لا بينونة عزلة » .

ص ٦٣ س قوله : (...) اي بوجه أعلى و بضرب أطف وأقوى . و هذا هو معنى قولهم بالكثرة في الوحدة . و هو العلة المستلزمة للوحدة في الكثرة ، التي تسمى بالتوحيد الاخص . و كون الكثرة في الوحدة بنحو أشرف وبوجه أعلى انما هو أصل اصول المعارف الالهية وام امهات الحقائق الایمانية . والوحدة في الكثرة تكون من فروع ذلك الاصل . و قل من يتمكن من القول به كما هو حقه . و عليك بالتثبت فيه وفي تحصيله وتحقيقه .

ص ٦٣ س ٥ : قوله : وهو نفي المشارك في الوجود - مراده من المشارك في الوجود المشارك البائن عما يشاركه بينونة العزلة . وقد قررنا قبيل هذا [ان]

بينونة العزلة بين الشبثين يمنع عن علاقة العلية والمعلولية . ولما كانت العلاقة التي بينه تعالى وبين معلولاته و مخلوقاته التي هي الممكنات علاقة العلية والمعلولية وجب ولزم نفي كون البينونية بين الواجب والممكن بينونة العزلة ، فلا يمكن أن يكون الموجودات الإمكانية ووجوداتها بائنة عنه تعالى بينونة العزلة ، مفصلة عنه سبحانه انفصال شيء عن شيء . بل انفصال ظلّ عن شيء . كما قيل شعراً :

اي سايه مشال ، گاه بينش \* در حکم وجودت آفرينش

ولقد قال **إِنَّمَا** : « داخلٌ في الأشياء لا كدخول شيء في شيء ، خارج عن الأشياء لا كخروج شيء عن شيء » أي : بل كخروج ظل الشيء عن ذلك الشيء . هذا هو مرادهم من التوحيد الوجودي

ص ٦٤ س ٥ قوله : لعدم تعلقها – والسرفيه هو كون الماهيات بمنزلة أظلة الوجودات ولوازمها التي سبقها في التقرير .

ص ٦٤ س ١٥ قوله : ولا إشارة إليه – لأنه حاضر غير محدود . وإذا كان غير محدود في الحضور يكون محيطاً قاهراً في الحضور . فلا يمكن من حضور غيرها – فافهم .

ص ٦٤ س ١٦ قوله : و هو المنظور – كيف تخفى وأنت بالمنظر الأعلى ظاهر ، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر ، عميت عين لا تراك . ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ .

ص ٦٤ س ١٩ قوله : فلا كيف لذاته (...) فهو في كل مكان . والسرفيه ذلك ينكشف من قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٥٤/٤١] فلو كان له مكان أو زمان كان محاطاً به .

ص ٦٣ س ٥ قوله وهو نفي المشارك – لقد قلت في التوحيدين نظماً بالفارسية:

گویم [من] و هر که هست در فن ماهر      مقهور [بود] کثرت و وحدت قاهر

در مجمع وحدتست کثرت مضمهر      در مظهر کثرتست وحدت ظاهر

ص ٦٤ س ٥ قوله : نعم للعقل أن يشير - هذا أيضاً إنما هو بضرب من  
التعمل العقلي ، لا بحسب الأمر في الواقع وفي نفسه . كما حقق في محله .  
وقوله : « لعدم تعلقها بذواتها إلى علة فاعلة » : ليس المراد ما يتراءى من ظاهره  
بل المراد كون الماهيات غير مجعولة بالإصالة ، بل بضرب من التبعية للوجودات  
لا يعرفه إلا الراسخ في العلم . والحاصل أن كل من الوجودات والماهيات مجعولة  
حقيقة ، بتفاوت منها في الإصالة والتبعية .

ص ٦٤ س ١٦ قوله : وهو المشهود - فيه نعم ما قبل :

در هر چه بنگرم تو پدیدار بوده ای \* ای نانموده رخ تو چه بسیار بوده ای  
ولقد قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾  
[٥٤/٤١] .

گفتم بکام وصلت خواهم رسید روزی گفتا که نیک بنگر شاید رسیده باشی  
وقال أيضاً : ﴿ اٰیٰنَمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللّٰهِ ﴾ [١١٥/٢] .  
حجاب روی تو هم روی تست در همه حال

نهانسی از همه عالم ز بسکه پیدائی

یا من خفی من فرط ظهوره ، واحتجب بشعاع نوره .

ص ٦٥ س ١٤ قوله : مجازاً رأساً - اعلم إن منزلة الرحمة الرحمانية كالمحمدية  
من الأشياء منزلة الأب . ومنزلة الرحمة الرحيمية كالعلوية منها منزلة الأم . و من هنا  
قال ﷺ : « يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة » .

ص ٦٥ س ١٧ قوله : وبعضها عقلية - إن العقلية هي هنا تقابل الجهلية . والعبادة  
العقلية على ثلاثة وجوه . كما ان الجهلية كذلك وجه منها عبادة الأجر ، وأشار إليه  
بقوله : « ورقة الجنسية » أي بسلب رقة الجنسية عن نفسه . وسر الحريرة هو التخلق  
بأخلاق الله والتنزّه عن سمات ماسواه - وعن التشابه والتجانس والتماثل التي هي  
ملاك صفات الإمكان . وعليها يدور رحى النقيصة والنقصان - فافهم .

ص ٦٧ س ١٣ قوله : بل إنما شأن غيره الإعداد - إن العلية الإعدادية محصلها ترجع إلى رفع الموانع التي يكون الشيء بها ممتنع الوجود . فالإعداد والتخصيص مرجعها إخراج الشيء من حيز الإمتناع بالغير إلى الإمكان الذي يسمى بالقوة والإستعداد فهما ملاك الإمكان ، لا الإفاضة والإيجاب .

ص ٦٧ س ١٣ قوله : بل إنما شأن غيره - مراده من الغير ومما سواه سبحانه وتعالى هيهنا هو الخلق الذي يقابل عالم الأمر . إذ الخلق بهذا المعنى منحصر بالجسم والجسماني . وهما لا يصلحان للإيجاد والإفاضة لكونهما من ذوات الأوضاع الحسية . ولقد تقرر في محلّه ان ذات الوضع لو كانت بوجودها موجودة فاعلة فيأضة ، للزم وجود المعلول قبل وجود العلة أو معه وذلك باطل جداً .

ومن هيهنا حكمت و (...) ألسنة أساطين الحكمة على أن لا يوجد ولا مؤثر في الوجود إلا الله ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّ إِلَهِ إِلَّا هُوَ ﴾ [٦٢/٤٠] ولكن مرادهم من هذا التوحيد الذي يسمى بالتوحيد الفعلي اعتباره بحيث يجمع مع (...) سائر التوحيديات فهو أحسن المخالفين - فافهم .

ص ٦٩ س ٢ قوله : واعلم إن هذا العلم - يشير إلى ضابطه التعميم في المعاني وتجريدها عن الزوائد الخارجة عن أرواحها وحقائقها التي هي ذوات نشآت مختلفة متفاوتة متحصلة في كل نشأة بحسبها - فافهم .

ص ٧٠ س ٧ قوله : أرضاً بيضاء - تلك الأرض البيضاء هي أرض عالم الملكوت الصوري المثالي الواسط بين العالم الجبروت ، عالم الملك والشهادة . وقد يسمى بعالم البرزخ .

ص ٧٠ س ١٠ قوله : ألا ترى - يعني ان من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿ أَلَا أَنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٥٤/٤١] فاستقم كما امرت . ص ٧١ س ١ قوله : فبالرحمة أوجد الله - إن الرحمة الوجودية لهي الرحمة الرحمانية المسماة بالنفس الرحمانى و بالوجود المطلق ، والفيض المقدس ، و

بالمشيئة التي خلقت بنفسها . وهي الحقيقة المحمدية في وجه . وتقييدها بوجودية تفرقة بينها وبين الرحمة الرحيمية ، المسماة بالرحمة المكتوبة على نفسه سبحانه ، المسماة بأم الكتاب واللوح المحفوظ الذي كتب القلم الأعلى المحمدي فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة . أو هي العلوية العليا .

ص ٧١ س قوله : فبالرحمة - أعلم إن الرحمة الرحيمية التي هي مرتبة العلوية العليا وأم الكتاب ، قد يعبر عنها ، وتفسير الماهية العينية الكلية الإلهية التي تقابلها الماهية الجهلية السبخية ومنزلتها من الرحمة الرحمانية التي هي المحمدية البيضاء - منزلة حوّا من آدم ، ومن هنا قال عليه السلام : « يا على أنا وأنت أبوا هذه الأمة » أي : الأمة المرحومة .

ص ٧١ س ١٠ قوله : إن مآل الكل إلى الرحمة - إلى قوله : - انتهى كلامه - جملة ذلك كلها كأنها ناظرة إلى ما ابتدعه الشيخ مميت الدين - المعروف بمحيي الدين العربي في دين الإسلام ، من قوله بانقطاع دار الألم والعذاب والعقاب (...) المسماة بدار جهنم شخصاً - لأنواعاً - وابتداع ذلك القول منه ومن أتباعه نشأ منهم اضطراباً من جهة شبهة أوردوها طائفة من أصحاب البحث والنظر الجمهوري ، على قاعدة كون الحسن والقبح في الأحكام عقليين ذاتيين . حيث الزموا والتزموا بموجب ما توهموا من منافاة تلك القاعدة البرهانية وقوع العذاب الأخروي والعقاب العقباتي الموعود وظاهر المنافاة للحكمة البالغة الباعثة على الجود والإحسان والافضال والأنعام . كما قيل :

من نكردم خلق تاسودی كنم \* بلکه تا بر بندگان جودی كنم

ومن هنا أنكروا وقوع العذاب و صدور الانتقام عنه سبحانه وعمّ إحسانه - في تلك الدار التي هي دار غايات الأشياء ونشأة نهاياتها التي لانهاية لها رأساً ، لاعلى وجه الانقطاع ، ولاعلى وجه الدوام ، وجعلوا هذه الشبهة الوهمية حجة عقلية برهانية ،



وبيّنوا مذهبهم ومسلكتهم في دين الإسلام على مقتضى هذه الشبهة .  
وعند ذلك قد اجتمعوا سائر أهل الحلّ والعقد ، غير هؤلاء النافين للعذاب  
الأخروي ، المنكرين للانتقام العقابي رأساً - على تفحص وجه المتفصّي عن هذه  
الشبهة . وعلى طلب سرّ دفعها . ولم يتيسّر لهم التفصّي بسهولة . واضطرب كل  
طائفة منهم - غير الأشاعرة الذين قالوا بالحسن والقبح الشرعيين وبالإرادة الجزافية  
مع تساوي الطرفين مجتمعين لقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ .

وعند ذلك ابتدع ذلك مميت الدين - على ما نقله صاحب الكبير فيه - القول  
بانقطاع العذاب وبعدم تسرمد الآلام الأخروي شخصاً ، وإن تسرمد نوعاً . ولم يتمكن  
أحد ممّن مضى بقدر ما اطّلت من إقامة البرهان الباهر العقلي على قلع أصول تلك  
الشجرة الخبيثة المبتدعه . ولعلّ الله يوفقني بقلمها وقلمها بحيث لا يكاد يبقى منها  
رقية شرفي أرض قلوب طلاب اليقين - وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولقد حملوا هؤلاء القائلين بنفي العذاب والانتقام الأخروي رأساً الآيات و  
الأخبار والآثار المتواترة في الدين المبين الصريحة في التوعيدات الأخروية على  
رعاية الحكمة في نظام معاش الخلائق واصلاحه وحفظه وحراسته من الفتن المنافية  
لنظام المعاش الدنيوي كسائر الحدود والتعزيرات الشرعية المقررة لإصلاح هذا  
النظام الفاني وذلك كالتوعيدات التي يخوّف بها المربّي والمربّية ...

ص ٧٥ س ٩ قوله : كأرباب الأنواع - يعني إن أرباب الأنواع التي هي  
حقائقها وأرواحها العقلية الكلية الآدمية وملائكة الطباع التي هي بمنزلة أنفس أنواع  
الأشياء المدبررات لها ، وهي الأرواح النفسانية ، هي الحسامدات المسبّحات  
والموجودات التي هي أربابها وأرواحها ومدبرراتها هي جملة تلك الأرباب  
والمدبررات ، فإن منزلة هذه الموجود من اولئك الأرواح منزلة الكلام من  
المتكلم في وجهه ومنزلة الفعل من الفاعل في اعتبار آخر . والكلام أيضاً فعل المتكلم .

فانهم (\*) .

ص ٧٥ س ١٣ قوله : هو العقل الأول - بل المرتبة السابقة<sup>١</sup> على مرتبة ذلك العقل الكل الكلي الجامع ، المسماة بمرتبة المشية التي خلقت بنفسها في البداية . وهي مرتبة أو أدنى ، التي هي فوق مرتبة ذلك العقل الكلي ، المسمى بمرتبة قاب قوسين في النهاية . فهي حقيقة الحمد الذي ظهر بها كلية صفات الله تعالى العليا ، و انكشف بها حقائق أسمائه الحسنی الذاتية الكمالية . والعقل الكلّ هو حامل ذلك الحمد ومحلّه ومظهره و (...) به هو حضرة الذات الأقدس . وهو فيضه المقدّس وظلّه الذي يكشف عن كمال جماله وتمام جلاله سبحانه (\*).

ص ٧٥ س ٢٢ قوله : فله عَلَيْهِ السَّلَامُ جميع المقامات و لقد روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال : « من رآني فقد رأى الحقّ » . أقول : و لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا مقامات من المعاني . منها ما أشرت إليه في الرباعية التي أنشدتها في هذا المقام الذي كلامه قدس سره فيه - وهي هذه :

« رَبِّ أَرْنِي مَكُونِي وَبَرطور مرو از دور جواب « لَنْ تَرَانِي » مشنو

خواهي كه بچشم حق ببيني حق را باز آو حديث « مَنْ رَأَانِي » بشنو

وقال ايضاً : « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » أي : من عرف نفسه بالبصيرة

الفؤادية فقد عرف ربّه بالمعرفة النورانية (\*).

ص ٧٦ س ١٣ قوله على الأول - يمكن أن يرجع محصل الأول إلى القرب

الأكمل ، وهو قرب الفرائض والثاني - وهو قرب النوافل - و يمكن العكس أيضاً ولكل وجهة .

ولعل الثاني فيه إيماء ما إلى السير المحبوبي . وفي الأول إلى السير المحببي .

وبينهما بونٌ ما .

ومحصل المعنى على الأول ان الكل يحمّدونه ويسبّحونه و يمجّدونه تعالى

أي يقولون بألسنتهم الفطرية من الوجوه الثلاثة بأنه تعالى تمامهم و حقيقتهم التي

(١) قولنا : « بل المرتبة السابقة » لا ينافي ما قاله قدس سره بل الكل وجهة في مقامه (منه - ر)

هي كمالهم وغايتهم التي يتحر كون إليها ، منه بدأت وإليه انتهت . فيكون الحمد والتسليم والتمجيد منهم بعينها معرفته تعالى بأنه تمام التمامات وكمال الكمالات . فلأنه (...) وهي بعينها دليلهم وحر كتهم وسلوكهم إلى مقام الوصول إليه تعالى - فافهم (\*) .

ص ٧٦ س ١٦ قوله: على الثاني - ومحصل المعنى على الثاني هو كما ان الأشياء خالصة له تعالى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فكذلك هو سبحانه ايضاً تمام لهم وكمال لهم ، وهو المطلوب لهم والمعشوق لهم يجذبهم إليه ويقربهم من لديه .  
تاكه از جانب معشوق نباشد كشي كشش عاشق بيجاره بجائي نرسد  
فافهم (\*)

ص ٧٩ س ١ قوله : فجمع لمعنى - أي بمعنى صفة العقلاني العالم ، ولتحققه فيه جمع بالواو والتون تغليباً (\*) .

ص ٧٩ س ١٠ قوله فيهما - أي في كل واحد من الناس وفي العالم الكبير ص ٧٩ س ١٧ قوله . لأن نشأته الكاملة - يعني بالوجود الجمعي الإجمالي العلمي ، كما في هذه النشأة . وأما في النشأة الأخروية بعد خروج النفس عن هذه النشأة إليها ، فهذا الوجود الجمعي العلمي الإجمالي يتبدل عيناً أو حقاً تفصيلاً . كما قال تعالى له ﴿ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [١٣٣/٣] بل وقد يزيد على ذلك العرض كما أشار إليه قدس سره بقوله : « ولو كان أعظم من هذا العالم بكثير » . وله وجه لا يخفى على أولى البصائر ، ولا سيما في حق الإنسان الجامع للجوامع كلها . وهي الحقيقة المحمدية البيضاء ولو باعتبار مرتبتها المعروفة بمرتبة أو أدنى (\*) .

ص ٧٩ س ١٨ قوله : متنبعوا آيات الآفاق والأنفس - إن المتنبع لآيات الآفاق والأنفس لهو الحكيم الإلهي الذي يتفحص عن كلية حقائق الأشياء ، ويتحقق بها علماً أو عيناً أو حقاً . أما علماً فهي في حق الحكماء . أما عيناً فهي في وجه من الاعتبار

للأولياء الذين هم أهل اللطائف والرقائق والحقائق . فهي مقام الأنبياء وإن كان لكل من الأخيرين عين وحق والاعتبار متفاوت (\*) .

ص ٧٩ س ٢٠ قوله : والفرق بين الاعتبارين كالفرق بين الاجمال والتفصيل ، كما بين الحد والمحدود . وكالفرق بين الوجود الذهني العلمي والوجود العيني الشهودي . وبون ما بين علم اليقين وبين عين اليقين (\*) .

ص ٧٩ س ٢١ قوله : إذا برز باطنه إلى عالم الآخرة - والفرق بين الاعتبارين كالفرق بين الاجمال والتفصيل ، كما بين الحدود والمحدود . وكالفرق بين الوجود الذهني والوجود العيني الشهودي . وبون ما بين علم اليقين وبين عين اليقين .

ص ٨٠ س ٢٠ قوله : فلا احساس - هذا هو خلاف الحق بل لها احساس ظاهري يكون أن يبلغ درجة الباطن .

ص ٨١ س ٩ قوله سبحانه في القدسي : « ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » ولقد نظمت في الساعة بأبلغ بيان فقلت فيه :

آفریننده اشیا در خسود      مجمع جامع اشیا باشد

بی نهایت کند او خلق و دلش      می نگنجد، زجه آبا باشد

جمع أضداد سرشت گل اوست      ضیق و واسع از اینجا باشد

\* ألم نشرح لك صدرك \* وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي أَنْقَضَ

ظَهْرَكَ \* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ \* فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* [١/٩٤-٦]

ولعل العسر من هنا رؤية الكونين ، فإن في خلعها يسراً فسيحاً يجمع بين الرؤيتين - فاعتبروا يا أولي الأبصار (\*\*).

ص ٨١ س ١٩ قوله : لا وقت البقاء - كيف وبقاء المتدرج في الوجود هو بعينه حدوته . وحدوته هو بعينه بقاؤه . كما يقال لهذا النحو من البقاء « الاستمرار التجديدي » . ولحدوته « التجدد الاستمراري » وهذا هو بعينه قوله قدس سره . ولكن مقصوده هي هنا ابراد الإشكال والرد على البيضاء . وأمثاله ليس لهم منزلة

في العلم الحقيقي (\*\*).

ص ٨٢ س ٤ قوله : والتابعة - أي تابعة أهل بيت النبوة واقتباس مصباح العلم بحقائق الأشياء - كما هي - من مشكوة ولايتهم التي هي ميزان موازين القسط . ولو لم يعتبر الموازنة بذلك الميزان العدل الكلي الإلهي لما استقام الأمر قط - فاستقم كما أمرت (\*\*).

ص ٨٢ س ١١ قوله : بها يستحق العبادة - لعل لاشارة التكرّر نكتة أخرى أيضاً ، وهي الاتيان بالدليل و بسط المطالبين . وهما ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ... مالك يوم الدين ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ مع تقدمها تستدعيان الإعادة . وقد تفرّر في محله ان ملاك البرهان هو تكرر الحد الوسط ...

ص ٨٤ س قوله : ومن هذا القبيل ونادى أصحاب الجنة - يعني : أهل مالك النار ، وأصحاب خازن الجنة . وهو رضوان . و تلك أصحاب النار وهم أصحاب مالك النار . وهذان الأخيران يجريان بهذا الوجه على مشرب الظاهر . وهيهنا مشرب آخر لا يحتاج إلى التقدير (\*).

ص ٨٥ س ١٨ قوله : أعيان منصوبة معروفة بما يجري - له ظهر و بطن ، والظهري من معناه ظاهر . وأما الباطني منه فهو انها معروفة ومعلومة منكشفة لأولي البصائر بما يتجلى عليها شمس الحقيقة . وذلك التجلي منه تعالى على الأشياء هو نور وجهه الذي أضاء به الأشياء ، واستضاءت الأشياء منه وبه . لا انها بأنفسها الهالكة المظلمة الذوات وبحيال ذواتها الباطلة تعرّفت وظهرت بإنارة التي صدرت عن أنفسها . فانكشف بها جلاً ثم كلاً .

ومن هنا قيل انه سبحانه لا يعرف بالأشياء ، بل ولا بالمعارف . بل الأشياء والمعارف إنما يعرف به تعالى . فسبحان ربك ربّ العزة عما يصفون (\*\*).

ص ٨٥ س ٢٠ قوله : بلا تأثير من قبلها - هذا وإن كان كذلك . لكن المشرب الأوفى الأصفى و المنظر الأعلى يقتضيان ما يقتضى التحقيق الأتم . وهو الجمع

بين فاعليته تعالى وفاعلية الأشياء . وهو سبحانه مسبب الأسباب من غير سبب . فإسناد الفاعلية إلى الأشياء يجب أن يعتبر على وجه بينونة الصفة - لا بينونة العزلة - فإن بينونة العزلة تؤدي إلى إساءة الأدب وسلب الربوبية عن حضرة الرب تعالى . وأما النظر الذي أسسته ههنا فهو المناسب للمقام - فافهم (\*\*).

ص ٨٥ س ٢٠ قوله : وإن زمام هذه الأمور كلها بيد ملك الملوك - ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣-٨٢/٣٦] ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠/٣٧] (\*\*).

ص ٨٦ س ١ قوله : الاشتباه والاعتراض ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيَهُ حِسَابَهُ ﴾ [٣٩/٢٤] وفي مقابل هؤلاء الكفرة ﴿ رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٣٧/٢٤] (\*\*).

ص ٨٦ س ١٥ قوله : فهو مالك جميع الأشياء يوم يطوى فيه الأرض و السماء . كذلك كان الأمر في البداية . ومن هنا قال سبحانه : ﴿ مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كُفْرًا وَاحِدَةً ﴾ [٢٨/٣١] يعني ان معاد الأشياء هو مبدئه فعلى ما كانت الأشياء عليه في البداية يرجع الأمر في النهاية . وكما ترتفع الغشاوات عن البصائر و الحجب الظلمانية الوهمية عن الأبصار عند النهاية فكذلك كانت مرتفعة عند البداية وبداية الأشياء هي الأزل . أي الأزل الثاني . ونهايتها هي الأبد الذي لانهاية له . كل شيء يرجع إلى ما نزل منه ، فكل يرجع إلى أصله (\*\*).

ص ٨٦ س ٢ قوله : وفي الآخرة يكشف الغطاء - وذلك في خروج القائم عليه السلام وعند ظهوره الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً . وذلك قوله عليه السلام : « يُغْنِي اللَّهُ كَلَّامًا مِنْ سَعْتِهِ » والسر فيه ان الخاتمة يجب أن تطابق الفاتحة التي هي (...) وعالم الأمر ، قال أمير المؤمنين عليه السلام « له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب - إلى أن قال عليه السلام : ومعنى

المخالفة إذ لا مخلوق .

ص ٨٦ س ٦ قوله: لإبعد بروزهم - وكذلك كان الشأن قبل نزولهم في مكلمن هذه الظلمات والغشاوات ولمّا كان الأمر كذلك في الفاتحة فيؤول الأمر إليه عند الخاتمة (\*\*).

ص ٨٦ س ١٤ قوله: والله مسبب - هذا منه ناظر الى ما أشرنا إليه آنفاً من المنظر الأعلى .

ص ٨٦ س ١٥ قوله: وعند نوره ينكشف كل نور و ضياء ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿ [٨١ / ٢-] وغير ذلك كما جاء به السوحي الصريح .

ص ٨٦ س ١٥ قوله: فهو مالك جميع الأشياء يوم يطوى فيه بساط الأرض والسماء - وهذا هو سرّ قول أساطين الحكمة في تأسيس أساس كون علمه تعالى بالأشياء في مرتبة ايجاد الأشياء حضورياً أزلياً. <sup>(الذِّظ)</sup> إن المكان والمكانيات بالنسبة إليه تعالى كنقطة واحدة في معية الوجود ، والسموات مطويات يمينه ، والأرض جميعاً قبضته ، والزمان والزمانيات بأزالتها وآبادها كأن واحد عنده . و ذلك جفّ القلم بما هو كائن (\*) .

ص ٨٧ س ١٠ قوله: والعبادة - ولقد قيل في التفرقة بين العبودية والعبادة: إن العبودية هي الرضاء بما يفعل المولى. والعبادة هي فعل ما يرضى المولى - اي من العبد والتحقيق الأتم يقول: إن العبدية والعبودية هي الرضاء بقضاء الله تعالى وقدره ، والتسليم لامره. كما ورد في المأثورات عنهم عليهم السلام: « رضاً بقضائه وتسليماً لأمره». وكمال العبودية وتمامها يؤدي إلى صيرورة العبد السالك في سبيله سبحانه منزوية . والله تعالى شأنه محلّ قضائه وقدره ومنزلة مشيئته وإرادته ومحل أمانته التي هي حقيقة ولاية الله تعالى للأشياء في الأشياء كلها تكوينية كانت الولاية والتصرف والتدبير أو تشريعية ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ .

فيصر العبد حالكذ خزينة خزائنه تعالى وخازن خزائنه ومفتاح مفاتيح خزائنه جلّ و علا . فيصير بحيث يكون يده العلياء التي بيده ملكوت كلّ شيء . وحينئذ يتمكن في مقام المعاني ويتفرّج في ذلك المقام الشامخ العالي ويكون عينه الناظرة وأذنه السواعة ولسانه الناطق ويده الباسطة ورحمته الواسعة إلى غير ذلك من المعاني والصفات ، ودون ذلك المقام مقام كونه باب الله تعالى ، ثمّ مقام كونه رسولا واماماً أي إمام الأئمة وفوق ذلك المقام المسمّى بمقام المعاني مقام يسمّى بمقام البيان ليس كمثل شيء .

وكل ذلك مقام الروح الأقدس المحمدي الختمي ، وكذلك مقامات آله الوارثين لكماله ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٥/٢٨] لأنهم عليهم السلام هم آل الله خاصة (\*\*).

ص ٨٧ س ١١ قوله: التذلل - والحق ان العبادة روحها هي السير والسلوك إليه تعالى ليتقرب منه تعالى بالتخلق بأخلاقه العلياء في التنزه عن الصفات والنقائص الإمكانية . والتذلل وانكسار الإنية من لوازم السلوك - فافهم (\*\*).

ص ٩٠ س ٨ قوله فالذات الأحادية أرض كل الحقائق - لايتوهم من ظواهر أمثال هذه الرموز و الإشارات التي هي الآيات المتشابهات النازلة من سماوات مخازن قلوب أساطين الحكمة ما يتراءى للأنظار والمناظر الجمهورية العامية المظمورة في غشاوة شبهات الأوهام المظموسة في الشكوك والشبهات . بل حضرة الذات الأقدس الأحادية أجل من أن يقع في حضرة ذاته الحقّة الحقيقية القبومية سير المسافرين وسلوك السالكين الواصلين البالغين في الكمال . نعم لحضرة الذات الأحادية مجالي ومظاهر التي هي مقاماتها التي لاتعطل لها في كل مكان . وهم الذين هم أركان توحيده . وتلك المقامات الكلية الجامعة الإلهية العالية التامة إنّما هي أنوار محمد وآله الوارثين لكماله صلى الله عليه وآله .



فإنهم عليهم السلام لهم الكلّ في الكلّ، والمقصود من الجلّ والقلّ . كما قيل فيه :

سرخيل توئي و جملة خيلند مقصود توئي جمه طفيلند (\*\*\*)

ص ٩١ س ١٨ قوله : لولا ان العبد - يعني إن الخروج من هذا الوهم الذي هو من جملة رؤساء الجهل المنتزع ملك وجود العبد من يد العقل وجنوده، المتصرف فيه بيد العدو ان المتأدّي تصرفه ذلك بوجود ملك العبد إلى التخریب وإلى هلاكة العبد ، هو الباعث على بعث امير العقل بجنوده التي هي جند (حينئذ - ن) الشرع المقدس لينتزع ويسترد ملكه من يد ( هذه - ن ) الظلمة الجهلة الكفرة الفجرة، و يسلمه إلى مولاه ووليته الذي هو وارث العبد وما في يده ، وذلك الولي هو العقل الذي يعبد به الرحمن وتولد منه لطيفة القلب المعنوي، هو عرش الرحمن عند طاعته ومتابعته لأبيه الذي هو أمير جند الرحمن وحزبه (\*\*\*)

ص ٩٢ س ١٩ قوله : مستغرق - فالاستغراق في الشهود بتفاوت درجاته هو حمل الأمانة في بصيرة (كذا) العبد أميناً عند المولى ما لم يلتفت عنه يميناً وشمالاً. اللهم إلابه وبأمره .

ص ٩٢ س ٤ قوله : لا يبقى شيئاً - سره هو قوله ﷺ : « التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره » الحديث - ومنزلة توحيد الأفعال من توحيد الذات منزلة الظهر من البطن - فافهم (\*\*\*)

ص ٩٣ س ٣ قوله : ولهذا رجع - والتفاوت بين القولين هو تقدم رؤية المعبود المولى على رؤية العبد . كما هو مقتضى العبودية في أحدهما و بالعكس في الآخر . ومن ثمة بون بعيد بين قول موسى بن عمران : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ [١٤٣/٧] و بين قول حبيب الله ﷺ : « من رآني فقد رأى الحق » ونعم ما قلت

فيه بالفارسية فيما سلف :

« رَبِّ ارْنِي » مگو و برطور مرو از دور جواب « لن تراني » مشنو

خواهي كه بچشم حق ببيني حقرا باز آو حديث « من رأني » بشنو

« يك نكته از اين دفتر گفتم وهمين باشد » (\*)

ص ٩٣ س ٩١ قوله : وكان الله له - هذا إنما هو على مجرى تبديل الصفات  
الإمكانية دون الذات . وهو المسمى بقرب النوافل . وأما كمال السير وتمام السلوك  
قد بدأتى لسالكه إلى الغناء الكلي والمحو الطرى ذاتاً وصفة و فعلاً كلّها . و حيثذ  
بصير السالك عين الله الناظرة وبده الباسطة ووجهه المضيء الذي يتقلب بين ظهرائي  
الأشياء كما قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [١١٥/٢].

وقد يسمى ذلك السير التام والمحو العام بقرب الفرائض . كما هو مختص  
السير المحمدي الختمي ﷺ . فبون بين كون العبد لله محوياً في الله بحيث لا يبقى  
عين ولا أثر . وبين كون الله للعبد حيث يبقى من العبد ذاته التي يتزيّن بزينة نور الله،  
وبه يبصر ، كما في القدسي - بين تفاوت ره از كجاست تابكجا (\*\*).

ص ٩٤ س ١١ قوله : وهيهنا موضع تأمل ظاهرة ليظهر عند التأمل سر عدم  
ورود المنع الذي يتوهم فيه باحتمال ان الملوّن بغير السواد إنما يقبل السواد بزوال  
اللون الذي هو غير السواد . و ليس قبوله للسواد من جهة انه بمنزلة اللالون و  
كالخالى من اللون . وذلك السر المستر هو دعوى رجوع كلية الألوان إلى أصلها  
الذي هو ملاك الظلمة التي هي حقيقة السواد فأحسن التأمل .

وهذه الملاك المعنوي هو الماهية التي هي ملاك الجهل وهي برقتها وغلظتها  
تصير ألواناً مختلفة متفاوتة إلى أن تنتهي إلى غاية الغلظة . وهي عالم الليل المظلم  
المنسلخ عنه آية النهار - فافهم (\*\*).

ص س قوله : من غير تغير وتكرره - هذا - مثل اتصال النفس عند كل  
تعقل بالعقل الفعال - كما رآه أساطين الحكمة .

ص س قوله : فكذلك النفس الإنسانية - هذا وجه من وجوه كون  
الهيولى واقعة في الصفّ النعال من التجرد كما يكون العنصر الأول الكمالي المسمى .

بالمشيئة في السلسلة الطولية واقعة في المرتبة الأعلى من التجرد .

ص ٩٥ س ١٨ قوله : باقياً ببقاء الله - فحينئذ يصير محيطاً في الوجود و تمام كمالات الوجود فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . لأن التغير و- التجدد والخروج من حال إلى حال أخرى - أعلى أو أدنى - ينافي الإحاطة و القهر والغلبة . إذ المحيط لم يبق مقاماً غير متحصّل له ، حتى يتصوّر خروجه و انتقاله إليه . فالانقطاع إليه تعالى بمحو تعيّنات أعيان الأشياء هو ملاك السعة التي أخبر عنه سبحانه بقوله لحبيبه و وليّه الفاني فيه ، الباقي ببقائه تعالى : ﴿ اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ \* السورة .

وأما المقيد بضيق الوجود وبوزر القيود فهو الموجود بايجاده تعالى والباقي بابقائه . وهو دائماً في التقلب والإنقلاب إلى يوم ينفخ في الصور . فيتأدّي تقلبه به إلى أية منزلة نزل منه . سواء كانت درجة من درجات الرحمة ، أو دركة من دركات الهلاكة .

وأما الكامل في السير والسلوك إليه تعالى إلى صراط التوحيد والاستقامة والتأمّ في طلب الغايه الحقّة المطلوبة من الفطرة التي فطر الناس عليها ، فهو الإنسان الكامل بتفاوت درجاته . إلا أن الجامع لجوامع السير والسلوك - وهو المسمّى بجامع الجوامع في الإنسانية - فهو البالغ الواصل إلى الغاية القصوى ، والمقام المسمى بمقام أو أدنى ، فهي الخاصة الختميّة المحمّدية والآية (\*\*).

ص ٩٥ س ١٧ قوله : بل مع غيبته - فيكون حينئذ قائلاً : « يا مَنْ لاهُوَ بِلاهُوَ إلهو » بلسان الألسن الذي هو لسان الله تعالى . فيصير السالك العارف حينئذ بمحو المحو ونفي الالتفات إلى المحو بفنائه عن فنائه واستغراقه بسلب الصحو بعد محو المحو في شهود حضرة الذات الأحديّة وليّاً أميناً وعبداً خالصاً . حاملاً للامانة التي هي فناء المعرفة وقرّة عين البصيرة في شهود الوحدانية الكبرى (\*\*).

ص ٩٥ س ١٨ قوله : باقياً ببقاء الله - ولقد كان قبل ذلك الوجوده الوصولي

والوصول الوجودي محتاجاً بادراكه الوهمي إلى العلل الأربع التي هي القابل والصورة والفاعل والغاية . وكان مشركاً برؤيته الوهمية وقائلاً بالشريك له تعالى في العلية وبعد ذلك الوصول يخلص من ظلمة الشرك ولا يرى إلاّ علة واحدة هي الفاعل والغاية . وصدق في قوله : « لا إله إلا هو وحده لا شريك له » وقبل ذلك كان كاذباً غير مصدق . (\*\*).

ص ٩٦ س ٤ قوله : بالحق - هذا الاحتجاب الذي هو الاحتجاب بالحق عن الخلق أحد معاني ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزَرْكَ ﴾ (\*\*).

ص ٩٦ س ٤ قوله : فحينئذ يرجع من الحق بالحق - سواء بعث بالرسالة المعروفة أو لم يبعث بالنبوة والإمامة فيكون ولياً من دون أن يكون نبياً وإماماً . وحينئذ عند الرجوع بالحق في الخلق يجب عليه أن يتبع الرسول والإمام المنصوب بنصبه تعالى ويفتدي بهما في شريعتهما وطريقتهما نفسهما كما كان في السلوك البدوي (\*\*).

ص ٩٦ س ١٤ قوله : فإذا أحببت كنت سمعه وبصره - أي بنوره يرى حقائق الأشياء كما هي . وذلك مرتبة النبوة التي هي دون الولاية وفوق الرسالة . فإن الرسالة فرع العلم بحقائق الأشياء وأحوالها وذلك العلم هو فرع الولاية التي يتوقف عليها حمل الأمانة . وذلك الصحو النبوتي أيضاً وجه من حمل الأمانة . ولكن مرتبته دون مرتبة حمل الأمانة ، هي الصحو في الحق فإن الصحو في الخلق ، ابن وأنّى من الصحو في الحق . (\*\*)

ص ٩٦ س ١٨ قوله : قيل قدمت - وأقول: ولكون المحو الذي هو شأن العبودية ملاكاً للصحو في الحق وشهوده بالعين اليميني ، وكون الصحو في الخلق بعد الصحو في الحق الذي هو ملاك الشهود بالعين اليسرى ملاكاً لهذا الشهود اليسرائى ، واليمين مقدم على اليسار - قدمت العبادة على الاستعانة كما هو مقتضى :

(١) و المحتاج الى العلل الاربع يكون موجوداً بايجاد الله وباقياً بابقائه لان وجود

المنفعل غير وجود الفاعل (منه ره \*\*) .

تقدم الولاية على النبوة والرسالة .

وسر الولاية هو كون حقيقة الشيء وتمامه وكماله أولى بذلك الشيء من نفسه في شبهة ذلك الشيء . وتمامه وكماله الذي هو غايته هو بعينه علته ومبدئه . فتصير منزلة الولاية سراً منزلة تمام الشيء وكماله منه وعلى [هذا] تتقدم الولاية بالوجوه الثلاثة من التقدم . وهي بالشدة وبالعلية وبالاولوية فأحسن التأمل (\*) .  
ص ٩٧ س ٣ قوله : ورسوله - هذا منه في عدم تفرقه هبنا بين النبوة و الرسالة على خلاف ما أومأنا إليه . ولكل وجهة (\*) .

ص ٩٧ س ١٤ قوله : وقيل السواو للحال - فعلى الحالية لايجرى نكات التقديم والتأخير ولايحتاج إليها بما هي نكاتهاما فلا تغفل (\*) .

ص ٩٨ س ٤ قوله : يحتمل أن يكون على سبيل التهكم - أي على سبيل الاستهزاء . كما يقال : تهكم به . أي تهزء به . والحمل علي اشتداد الغضب كأنه بعيد هبنا .

ويمكن الجمع بين الاستهزاء واشتداد الغضب (\*) .

ص ٩٨ س ٥ قوله : هوادي الوحش - في اللغة هوادي الخيل قوادمها وأعناقها . أي : قوادمها التي يتقدمها، تقدم الهادي للشيء عليه في السير والسلوك إلى الصلاح والخير . كما هو شأن قادم الخيل والوحش في هدايتها على وجه أطف وارشادها على وجه الصلاح والساد (\*) .

ص ٩٨ س ٤ قوله : وقوله تعالى - إلى قوله - على سبيل التهكم - جملة معترضة لدفع الاعتراض . وقوله : و منه الهدية - إلى قوله - لمقدماتها : استشهاد منه لقوله : « الهداية لغة الارشاد بلطف » . والهدية المعروفة أيضاً إنما هي فتح باب الملاطفة بين الهادي والمهدى إليه (\*) .

ص ٩٩ س ١٥ قوله : وليس فيه تحصيل للحاصل - له وجوه من التوجيه ولكن الوجه الوجه هو كون هذا الدعاء كشفاً عن الاستدعاء الفطري الذي جبلت

الأشياء أعيانها عليه في حال ثبوتها في العلم قبل وجودها في العين من جهة إجابة الحق الذي يجيب المضطر إذا دعاه . وذلك الاستدعاء في صقع من الأزل هو الباعث في وجه من الاستبصار على اجابته تعالى لأعيان الأشياء فيما سئلته سبحانه من اعطائه جلّ شأنه كلّ شيء حقه .

والمراد من الحكم ههنا أعم من التكويني و التشريعي المعروفين . والكل من الله تعالى تكوين وتنزيل من عنده . فحكم في حق كل وفيما بينهم على ما هم عليه ولما هم عليه . فالعدل منه ومن لديه وعدله هو فضله و رحمته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث ظلموا . فلا تغفل (\*\*).

ص ٩٩ س ١٦ قوله : ومنها ان نفس الدعاء - فمنها إظهاراً لمحبة حكم الحقّ وللمعرفة بحسن العدل وقبح الظلم ذاتاً واعترافاً بالاستواء الرحماني و ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِن تَفٰوُتٍ ﴾ [٣/٦٧] «بهر كس هر چه بايد داد داد» وبأن التفاوت المشاهد في خلقه بالقرب والبعد منه تعالى إنما هو من قبل قابليّاتهم واستعداداتهم الذاتية التي هم عليها لما هم عليه . بمعنى انهم لو كانوا متقرّرين من عند أنفسهم ومتحصّلين بأنفسهم ولأنفسهم كانوا على ما هم عليه . ومن هنا قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلّٰمٍ لِّلْعٰبِدِٖنَ ﴾ [٢٩/٥٠] إلى غير ذلك من الوجوه الموجهة .

ص ١٠١ س ٢١ قوله : انه كتاب الله - إن كتاب الكل الذي هو أم الكتاب لهو النفس الكلّية التي هي مرتبة العلوية العلياء . وهي الصراط المستقيم الكلّي العام الشامل للصراط التكويني والتشريعي . والتكويني منه هو صراط التوحيد الفطري الذي فطرت عليه كلّية الأشياء . وأما الصراط التشريعي فهو المعروف من الشرع المعروف ، سواء كان من الشرايع السابقة ، أو من الشريعة الجامعة الختمية . وكتاب كل نفس تكوينا وتشريعا عرضاً هو لوح وجود تلك النفس - فانهم (\*\*).

ص ١٠٠ س ٥ قوله : و أنوارنا - فيه سر كون الصراط الذي نسلكه في السلوك إلى الحق هو أشعة أنوار أئمتنا عليهم السلام و قادتنا سرّاً و علناً . فإن لهم عليهم السلام فينا تصرفان : تصرف إعدادي هو إراءة الطريق الموصل إلى الحق وهو ظهري ، و تصرف إيجابي هو إيصالنا إلى الحق بقدر قابليتنا و استطاعتنا و متابعتنا لهم عليهم السلام . و هذا هو سري و باطني فبعين الباطن يتقلب صاحبنا عليه السلام في يومنا هذا بين ظهرانينا و إن غاب عنا و عن ظاهر عيننا . و ذلك التقلب الحضوري هو مصدوقة قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [١١٥/٢] و فيه حل و عقد و (كذا) أسرار الغيبة من وجه (\*\*).

ص ١٠٠ س ٦ قوله : و الأولى حمل الآية - أي الحمل على روح معنى الصراط الذي هو حقيقة الحقائق في ماهية الصراط و هي حقيقة العلوية العليا المسماة بأم الكتاب . ينبجس من نورها سائر الكتب السماوية من الكلية و الجزئية التي منزلتها من أم الكتاب منزلة أشعة النور منه ﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِأَبْرَاهِيمَ ﴾ [٨٣/٣٧] و هذا هو الصراط المستقيم ، فاستقم كما امرت (\*\*).

ص ١٠٠ س ٦ قوله : ليكون أجمع و أشبه - بل مآل الكل واحد عند أهل العلم - فلا تغفل (\*).

ص ١٠١ س ١٦ قوله : عالم الخلق و الفعل - أي الفعل بمعنى التكوين ، المقابل للإبداع .

ص ١٠٣ س ٨ قوله : و ما في عالم من العوالم - و بعبارة أخرى إن كل ما يتمثل و يتجسم و يظهر من حال شيء هبنا في وقت من الاوقات الزمانية فقد تروح و تحقق و ظهر بعينها هنالك قبل هذا الوقت بأربعة آلاف سنة مثلاً . و يروح و يتحقق و يظهر بعينها هنالك بعد هذا الوقت بأربعة آلاف سنة . و البعد و القبل هنالك واحد لمكان المعية الجمعية التي هي شأن عالم الأمر ، فضلاً عن السرمد . و من هبنا قال بعض العارفين حين سمع قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [٢٩/٥٥] أي :

شأن يديه ، لاشأن يبتديه . والحاصل « صورتي درزيردارد آنچه دربالاستی » . و بالعكس (\*\*).

فمن لاذوق له من هذا المشرب الصافي لا يتمكّن من نيل المراد من قوله : « ومافي عالم من العوالم العلوية مرّ عليه إلّا و هو بصدد التعويق » (\*).

ص ١٠٣ س ٨ قوله : وهو بصدد التعويق - سرّ ذلك يبتني على التوافق والتطابق بين أحوال هنالك العالم العلوي، و بين أحوال ههنا العالم السفلي . بل الأحوال العلوية هي بعينها الأحوال السفلية . والتفاوت بينهما إنّما هو في المنظر الذي هو مشهد شهود الأشياء ورؤية أحوالنا . (أحوالها -) (\*\*).

ص ١٠٤ س ٢٠ قوله: لسان العبودية - فالأول ناظر إلى توحيد الفعل والإنعام، والثاني وهو ﴿الرحمن الرحيم﴾ إلى توحيد الصفات . والثالث وهو ﴿مالك يوم الدين﴾ إلى توحيد الذات . ﴿لَمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (\*\*).

ص ١٠٦ س ٥ قوله: جسده بيديه - أي اللتين هما العقل الكلي والنفس الكلية (\*\*).

ص ١٠٦ س ٥ قوله: واختار لعبده الأسماء - من الأسماء الكمالية للموجود بما هو موجود (\*\*).

ص ١٠٦ س ١١ قوله : وله في كلّ عالم - فيكون كلّ عالم وحضرة و محل وديعة من ودائعه ومخزن مكنوز من مكنوزات سرائره خدمة له . والحاصل هو ما قيل ولله درّ قائل - في مديحه عليه السلام

سر خيل توئی و جمله خیلند مقصود توئی جمله طفیلند

والحاصل انه لما كان نوعاً جامعاً لجوامع كمالات جميع الأنواع في العالم الكبير فيأخذ في نزوله و صعوده عند كل مرتبة و مقام ومنزلة يمرّ عليه ما هو كمال صاحب تلك المرتبة من جماله و جلاله . وينصبغ في كل مقام بحكمه و يتجوهر بخاصيته الى أن ينتهي سيره و سلوكه إقبالا و إدباراً فلا يبقى شيء أو شويء (كذا) من كمالات الوجود بما هو موجود و وجود إلا و يجمعه و يختزنه في خزانة وجوده التي هي خزينة خزائنه سبحانه (\*\*).



ص ١٠٦ س ١٢ قوله : والتسوية - أي الأمر والخلق وغير ذلك من وجوه معاني البدين المقدستين وكلتا يديه يمين (\*\*).

ص ١٠٦ س ١٤ قوله : بين يديه - أي خمرطينته بيديه (\*).

ص ١٠٧ س ١٤ قوله : بيمينه - و الظاهر إن المراد من اليمين هو روح القدس الأدنى عموماً ، وروح القدس الأعلى خصوصاً واختصاصاً بالخليفة الختمية. وعند ذلك المسح يظهر نور من ناصية الخليفة يرى به سواء السبيل. وهو خير هادله و دليل .

والروح القدس الأعلى هو حقيقة حقائق الأشياء كلّها وهو شمس الضحى والحقيقة المحمدية البيضاء وبهاء الله سبحانه وتعالى وهو العقل الأول في لسان الحكماء والقلم الأعلى في السنة الشرائع الفصحاء وروح القدس الأدنى هي الدرّة الصفراء . وبدر الدجى ذات الله العليا ، شجرة طوبى ، جنة المأوى ، منزلة العلوية العليا ، وهي النفس الكلية الإلهية واللوح المحفوظ وام الكتاب بقرء منهما سائر الأنبياء . وقد يراد من روح القدس جبرئيل . والمراد ههنا هو ما ذكرنا (\*\*).

ص ١٠٨ س ١ قوله : فقال خلق جنة الخلد - أي جنة المأوى وذلك لأن كل تلك الأشياء الأربعة بتفاوت ما بين منزلة التورية وبين الثلاثة الباقية يكون من مراتب الإنسانية الكاملة التي هي حكمة الله البالغة و من مقاماتها الجامعة لكاملات سائر الأشياء . وجنة المأوى وشجرة طوبى إنما هما النفس الكلية الإلهية اللاهوتية التي هي مرتبة العلوية المسمّاة بذات الله العليا وباللوح المحفوظ وبأم الكتاب (\*\*).

ص ١٠٨ س ١٩ قوله : تماماً - لأن استكمالات سائر نفوس الأدمية بما هي أدمية تكون من تنمة استكمالات النفس الكلية الختمية المحمدية والآلية الأدمية ومن مراتبهما - سابقة كانت في الزمان أو لاحقته (\*\*).

ص ١٠٨ س ١٨ قوله : آثار تلك المعاني - لأن هذه الآثار الطبيعية الحسية هي فروع أصول الدواعي ، الداعية الباعثة على صدور هذه الآثار . كما قال عليه السلام :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الظاهرة إن هي لإعنوانات السدواعي و الصفات الباطنة (\*\*).

ص ١٠٩ س ٣ قوله : قوله سبحانه يحبهم ويحبونه - كلمة «هم» ٥٥ روحاً ولفظة «آدم» أيضاً ٤٥ روحاً. والتفاوت في الجسد لا ينافي الاتحاد روحاً ومعنى. و آدم الحقيقي هو الإنسان الكامل . ولاسيما جامع الجوامع (\*\*).

ص ١٠٩ س ٦ قوله : عند قوله : أَلَسْتُ - السؤال من ناحية الكون المقدسة والإجابة من ناحية الماهية . والكون أمر و دعوة و طلب و سؤال . والماهية امتثال و اجابة و قبول و انفعال . ولقد يعكس الأمر حيث ينسب الطلب و السؤال و الاستدعاء و الافتقار إلى الماهية ، و الإجابة و الإعطاء و الإفاضة إلى الكون . و كلمة «كُنْ» جامعة بين الطورين من جهة واحدة . كما هو مختصّ التضاييف و المضايغة (\*\*).

ص ١٠٩ س ٧ قوله : أو مجازفة - لمكان الغالي و المقصّر في جانبي التنزيه و التشبيه، وهو سبحانه خارج عن الحدّين - حدّاً لابطال و حدّاً لتشبيه - و من الطرف الوسطى مسلك التقليد . فإن مسلك التقليد البحت من دون بصيرة لو كان على وجه الاستقامة لهو الأسلم من المسالك الخارجة (الاسلم لمسالك الحاجة - ن) عن حد التوسط . التي عبر عنها هي هنا بالمجازفة . و أما مسلك أهل التوحيد الذين هم أهل الله و آله . فهو الصراط الذي أدقّ من الشعر و أحدّ من السيف (\*\*).

ص ١٠٩ س ٩ قوله : تَلَطَّقْتَ لَأَوْلِيَانِكَ - البلاء للولاء . نحمده على بلائه لأن بلائه لأوليائه . والأولياء لما سمعوا قالوا «بلى» من ناحية الابتلاء المقدسة . قوله : «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» وهي ناحية الجلال الذي يذهب بالأشياء إلى المحو و الفناء و ذلك الابتلاء هو الابتلاء الذي ينتهي مسلكه بسالكة إلى الفقر الذي هو فخر خاتم الأنبياء . وهو مسلك الفقراء (\*\*).

ص ١٠٩ س ١٠ قوله : فلاجرم - و التجلي الذاتي في حق الأولياء مستور فيه التجلي الجمالي و بالعكس في حق الأعداء فإن رحمته في حقهم مستور فيه

غضبه (\*\*).

ص ١٠٩ س ١١ قوله : أو الواقفون - الواقف هو الذي يتوقف في أثناء الطريق لتوهمه الوصول بالمقصد . و الواصل إلى الغاية هو الخاتم صلى الله عليه وآله (\*\*).

ص ١٠٩ س ١١ قوله : أو مردودون - هم أتباع الجهل الذي أعرض عن الرجوع بالامتثال للأمر الإِدباري وأخلدَ إلى النزول علي خلاف العقل الذي امتثل بكلا الأمرين : الأمر بالاقبال إلى الدنيا، والأمر بالإِدبار عنها والاقبال إليه تعالى (\*\*).

ص ١٠٩ س ١٤ قوله : الله يجتنبى من يشاء - بونٌ بعيد بين العبد المجتنبى من بدؤ الأمر إلى آخره ، وبين المنيب المعرض عن الصراط والمنحرف أولاً . ثم استقام بالإنابة والتوبة وصار سالكاً على الاستقامة (\*).

ص ١١٠ س ٧ قوله : لا يشعر بذلك إلا أهل الله - قال قلة العارفين أمير- المؤمنين عليه السلام : « تجلّى للاوهام بها، وامتنع بها عنها » (\*\*).

ص ١١٠ س ٦ قوله : فيتنوّع الخواطر فيها - أي الصور الخيالية التي هي تجليات العقل الوهمي . العقل المضاف المتجوهر بالإضافات التي هي تقييدات العقل بالحسّ والمحسوس . فإذا اخذت التقييدات بما هي تقييدات واعتبرت خروج القيود عن نفس التقييدات يحصل حينئذ العقل المضاف المقيد المسمّى بالوهم . وإذا اخذت صار حسّاً ومحسوساً هذا .

ص ١١٠ س ٩ قوله : فهو الظاهر- أي بارتفاع بينونة العزلة مسع وجود بينونة الصفة . فاحتفظ بهذا . ومحصله ان فيضه المقدس هو عين كل شيء و ذلك الفيض هو المراد من التجلى هي هنا . وهو الرحمة الواسعة (\*\*).

ص ١١٠ س ٩ قوله : إذ هو عين - أي التجلي عين كل شيء . ولو أراد حضرة الذات تعالى عن ذلك علواً كبيراً (\*\*).

ص ١١٠ س ١٣ قوله : هو التضاهي الإلهي - له وجهان : وجه منه ينظر إلى حكم الإنسان ما به يضاهي الإله تعالى في ذلك التجلي الخيالي . ووجه آخر ناظر إلى نفس التجلي بأنه مع تنوعه وتفننه بفنون الاطوار كل نوع آخر ، وطور آخر من التطور والتصور والتجلي . ولكنها متشابهة متضاهية . بحيث يلزم من ذلك التشابه والتضاهي تخيل الثبات على طور واحد بعينه . و ذلك التخيل هو لبس الانسان من خلقه الجديد . ولكل وجهة ومقام يعتبر معه - فاعتبر (\*\*).

ص ١١٠ س ١٨ قوله : مضاهية لصورة الهية - ناظر إلى الوجه الأول من معنى التضاهي ، كما أوأنا اليه (\*\*).

ص ١١٠ ص ١٩ قوله : في عين جوهر ثابت - ينظر إلى قولنا « يكون ايجادته تعالى العالم بماهم عليه وعلى ماهم عليه . والايجاد هو التجلي . والتجلي على عين من الأعيان يكون على حسبه . لأن تجليته هو قبضه المقدس المنبسط على هياكل أعيان الأشياء في كل بحسبه .

ص ١١٢ س ٦ قوله : كما الأونقاصاً - فالحركة كمال والمتحرك ناقص يستكمل بالحركة تدريجياً - فتفتن (\*\*).

ص ١١٢ س ٧ قوله : ذات المتحرك - فان المتحرك جوهر والمسافة في تلك الحركات هي سائر المعقولات التي تقع فيها الحركة .

ص ١١٠ س ١٩ قوله : في عين جوهر - وهي كلمة من كلماته و اسم من أسمائه سبحانه (\*\*).

ص ١١٠ س ١٩ قوله : من حيث أصل جوهره - و ذلك الجوهر الثابت الأصلي هو اسم الله الباطن ، وهو باطن الإنسان (\*\*).

ص ١١٠ س ١٩ قوله أصل جوهره - اي الجوهر الذي هو ربّ نوعه المسمى بروح القدس (\*\*).

ص ١١٠ س ٢٠ قوله : بالثابت منك - والثابت من الحق هو كلمة (\*\*).

ص ١١٠ س ٢١ قوله : ومنه - والظاهر منه تعالى هو الظاهر من العالم من حيث كونه اسم الظاهر بظاهره ، واسم الباطن بباطنه - فافهم (\*\*).

فيكون البيئونة بينونة الجوهر للعرض (\*\*).

ص ١١٢ س ٧ قوله : عندالعقلاء - كأنه احتراز عما هو عند العرفاء (\*).

ص ١١٢ س ١٤ قوله : و السموات مطويات - والطي لا يتصور إلا بالحركة إذ الحركة من عالم الفتق والنفق إلى عالم السرتق والجمع إن هي إلا الطي التدريجي . فينجذب المتفرقات الزمانية والمكانية بذلك الطي إلى مجامعها التي نزلت منها وتفرقت لسقوط ريش أرواحها لخطيئات مندمجة في ذواتها (\*\*).

ص ١١٣ س ١٠ قوله : موطنه الذي تعين - أي اجتمعت كمالات نشأة . فإن كمال نشأة سافلة يكون أدنى مرتبة من النشأة التي فوقها . وذلك لاستحالة الفترة في الحركة (\*\*).

ص ١١٣ س ٢٠ قوله : وسائق خارجي - ذلك السائق الداخلي هو الطبيعة الدهريسة الجمر اوية النارية . كما ان ذلك الشهيد الجاذب للأنفس إلى مواطنها الأصلية هي طبائعها العقلية التي هي مبدؤها ومعادها . فكل ينزل من مبدئها الذي معها و ترجع به إليه في هذا السير والسلوك الفطري ، جبلت الأنفس عليه (\*\*).

ص ١١٤ س ٣ قوله : في البرزخ - كأنها صورة هورقلياوية لمكان قوله : « والنوم والموت في ذلك سواء » إذ النوم من عالم هورقليا (\*\*).

ص ١١٥ س ٢ قوله : رآها واستحسنها - إن هذه الرؤية والاستحالة إنما هو الروحان التمثيليان اللذان منشأهما الرؤية والاستحسان الدنياويان اللذان هما حالتاهما المكتسبتان بإرادة العبد واختياره في نشأته الدنياوية . فإن بين الدنيا والآخرة لا بسد من التطابق والتضاهي . فإن الآخرة لهي نتيجة الدنيا و ثمرتها - فافهم (\*).

ص ١١٥ س ٥ قوله : يقابل كل صورة مقابلة المرأة لسما يواجهها ويتجلى عليها ويجب رعاية المناسبة بين المرأة وبين صورة التجلي . فكما لا يتكرر التجلي

فكذلك يجب أن لا يتكرر المرآة : لتحقق التضاهي . ولا يلزم خلاف العقل ولا يقع الشيء من غير سبب - فافهم (\*\*).

ص ١١٥ س ٥ قوله : ينظر إليه - وذلك على طباق مما له في الدنياوي . فكما لا يمكن التجلي الدنياوي من الحق على خلقه إلا بما يناسب استعداداتهم الخاصة . فكذلك في الآخرة فإن نشأة الآخرة على طباق الدنيا، كما أن الدنيا على طباق البداية . والبداية والنهاية متحدة . بل الثلاث واحدة - فتفطن (\*\*).

ص ١١٥ س ٨ قوله : هي كالاستعداد - لأنها منزلة العين والماهية المناسبة لخصوصية خاصة من الإفاضة فإن الإفاضة على حسب استعداد المستفيض وعلى طبق قابليته الذاتية (\*\*).

ص ١١٥ س ٩ قوله : في صورة الحال - أي إن كانت إنسانية فتحشر في باطنك بها . وإن كانت غير إنسانية - بهيمية أو سبعية أو ممتزجة منهما أو شيطانية نكرائية فكذلك حشر في صورة باطنك التي لا ترى . ولكن يراها في كل حال منك أصحاب البصيرة العيناء (\*).

ص ١١٥ س ١٦ قوله : في سرعة اللحوق - سر ذلك هو كون تلك الحركة الصالحة ملاك أقرب الطرفين إليه تعالى . فإنها لهي الطريقة الوسطى (\*).

ص ١١٦ س ١٢ قوله : والتقرب من الله يرفع الوسائط - ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٥٤/٤١] بعد أن قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ فحاصله : إن العلة محيطة بالمعلول من جميع جهاته ، و هذا التقرب الذي يرجع إلى إحاطة الحق القاهر المحيط القهار لاينا في كون شخص العبد شقياً في الدرك الأسفل من النار . فرفع الوسائط في هذا النحو من التقرب هورؤية كل شيء مرتبة من مراتب عليّة المحيطة به بالشهود الفطري المجبول عليه كل شيء من الأشياء . وهي المعرفة الفطرية التي هي سنة الله التي لا يتبدل و - لا يتحول بوجه أصلاً . كما قال : ﴿ إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ الآية [٤٤/١٧] (\*).

ص ١١٧ س ١١ قوله : إلا إنها منكوس الرأس - انتكاس رؤوس الأشجار -

مثلاً - كما يشاهد من ميل أغصانها الكلية والجزئية وأوراقها إلى الجوانب والجهات المائلة عن وسط الاستقامة الحقيقي الاعتدالي . وهذا الميل هو صورة أشكالها والأظهر من النبات رؤوس الحيوانات الحيوانية - كما لا يخفى (\*) .

ص ١٢٢ س ١٢ قوله : ممدوداً على متن جهنمك - أي تلك الصورة التي هي صورة اهتدائك المسماة بالصراط هي نفس عملك الصالح الذي اتسع شرشر وجودك الطبيعي الجسمي الحيواني ، المجدول على الحيوانية الشهوانية ، وعلى الانقسام في الجهات الثلاث المسماة بالطول والعرض والعمق . والطبيعة نارٌ تخالط ماء مادتك الهولانية ومن اختلاطهما يرفع الأدخنة البخارية ، والأبخرة الدخانية يخلق منها سماوات دماغك و من الرماد المرتبة المخلفة من المادة سائر أعصائك السفلانية الكثيفة (\*\*).

ص ١٢٢ س ١٣ قوله : فيها ظل حقيقتك - ظل الحقيقة هي وجود بدنك الذي هو ظل الروح التي هي حقيقتك (\*\*).

ص ١٢٢ س ١٩ قوله : والمعطل لأقدمه - كالشاعرة ، والدهرية والمجسمة المشبهة أيضاً ضربٌ من المعطلة ، وكذلك الطائفة القائلة بالاشتراك اللفظي . و أما القائل بالاشتراك المعنوي العامي داخل في المشبهة المشتركة . الذينهم مجمع الشرك والتعطيل - كلٌّ باعتبار (\*\*).

ص ١٢٣ س ٣ قوله : فذلك نصيبهم من نعيم أهل الجنان - فالنظر إلى نعيم الجنة إنما هو من جهة ارتكابهم الأعمال الصالحة بظواهر أبدانهم فقط . من دون توجه مواطن أرواحهم وميل قلوبهم طوعاً من غير كره . وأما انصرافهم بعد النظر إلى النار . فهو لانصراف قلوبهم في حال الدنيا عن نعيم الجنة إلى نعيم الدنيا ، التي هي حقيقة النار ، لإبقدر البلغة إلى الآخرة (\*\*).

ص ١٢٣ س ٦ قوله : الكلايب - وهي [ال]تعلقات الدنيوية التي زائدة على قدر الضرورة . وخارجة عن حد البلغة (\*\*).

ص ١٢٣ س ٩ قوله : إن مكان النار - فهو مرتبة الطبيعة التي هي أسفل طبقات النفس الحساسة المتّحدة بالمادة الهولانية في الوجود (\*\*).

ص ١٢٣ س ١١ قوله : وكذا علم حقيقة الايمان أي بواطن العلوم وحقائقها (\*\*).

ص ١٢٣ س ٢٠ قوله : لاشمال له : أي لاجهل له . والكافر لا يمين له - أي

لا عقل له فافهم (\*\*).

ص ١١٨ س ٧ قوله : النفوس البشرية المتخالفة - إن النفوس البشرية

المتخالفة أنواع مختلفة بالشدة والضعف . وأصول النفوس ومعادنها هي أرباب

أنواعها ، وهي حقائق تلك النفوس المتخالفة ، وهي مفاتيح الغيب التي لا يعلمها

إلا هو تعالى (\*\*).

ص ١٢٥ س ١١ قوله : وملكوته - اعلم إن ملكوته تعالى هو عالم حقائق

الأشياء كلها . فإذا كان معرفته تعالى ومعرفة ملكوته أصل السعادة الحقيقية يلزم من

وجود صورة ذلك الأصل في مرتبة الإسلام والايان والإحسان وجود كل شيء من

الأشياء . وفي مرتبة تلك الصور المترتبة وجوداً ووجود الحقيقة في مرتبة الصورة

هو نزولها بعينها إلى تلك المرتبة . ومن هنا ورد عنهم عليهم السلام إن النية هو أصل

العمل . بل هي نفس العمل - فاحسن التأمل لكي تدرك فيه غاية مبتغاك . و سرّ

التوحيد إنما هو جهة الوحدة التي تجمع الأشياء المختلفة الذوات والصفات والأفعال

في حقيقة واحدة إلهية . كما قال إِنْبِلَا : « الهي لك وحدانية العدد » (\*\*).

ص ١٢٥ س ١٢ قوله : وروحها الايمان والاحسان - عبادة أصحاب الايمان

قبل حصول درجة الاحسان تكون معللة بعلة الأغراض النفسانية . وهي الأغراض

التي تكون متصورة للنفس ، باعثة لها على ترك اللذات القانية ، للوصول إلى

اللذات الحيوانية النفسانية الباقية . كما هو درجة العوام الذينهم كالأنعام البهيمية .

وأما الحكم البرزخي الاحساني فهو حال السالك إلى الله تعالى في بداية سلوكه و

خروجه من بيت نفسه الحساسة مهاجراً إلى الله تعالى فشهوده لله تعالى شهود في



حال الاستحضار و طلب الحضور والقيام بين يدي الله تعالى . و هذا الشهود الاستحضاري ( الاستبصاري - ن ) درجته دون مرتبة الشهود الحضوري ، الموجب للوقوف بين يدي الله تعالى فانياً في شهوده عن رؤية ما سواه سبحانه . و سر التوحيد هو حال صيرورة قلب العبد السالك إلى الله تعالى مجلاة تجلياته تعالى و تصرفاته جلّ شأنه . و تلك التجليات الذاتية أو الصفاتية و الأسمائية داعية منه تعالى و جاذبة للعبد تدريجاً إلى درجة الفناء . و الفناء عن الفناء الذي هو الغاية القصوى - هذا هو محصل كلامه قدّس سره ههنا (\*\*).

ص ١٢٩ س ٢ قوله : صورة الباطن - والمراد من الصورة ههنا ما يقابل المعنى - فلا تغفل (\*\*).

ص ١٢٩ س ٦ قوله : سياسة - السياسة هي توسط الوهمية (\*\*).

ص ١٢٩ س ١٩ قوله : تأدّي إلى البدن - كما في جنّة الخلد بعد تصفية النفس من استخلاصها عن عرصات القيامة و خروجها من المواقف و العقبات . فكلما ابصروا الملكات عن الكدورات يتجلّى و يتمثل بصور جميلة بمقدار الصفا و التصفية . و هكذا في الدنيا بشرط غلبة التصفية (\*\*).

والسرفيه هو كون منزلة البدن من النفس منزلة الظل من الشاخص . و لكن البدن في وجه ذاهبين : قسري و فطري غير قسري . فمن هنا يختلف التأدي قوة وضعفاً و بروزاً و كموناً (\*\*).

ص ١٣٠ س ١٣ قوله : فأكثر ما يجني عليه - أي أكثر ما يرد على ضرر العبد هو بذل جهده و صرف جده و اهتمامه (\*\*).

ص ١٣١ س ٥ قوله : و لهذا كلّفوا بتكليف واحد - أي في شرع طهور العقل . و الإقفي شرع طور الولاية فالتكليف مختلف حسب اختلاف أعيان أهالي الولاية في الفطرة الأزلية (\*\*).

ص ١٣١ س ٧ قوله : ثمرة المجاهدة - ثمرة المجاهدة كسبية قبل ظهور

طور الولاية . وأما بعد الظهور فمن هبته (\*\*).

ص ١٣١ س ٧ قوله : ثمرة المجاهدة - والعبد المهتدي بهذه الهداية الثانية إنما هو المسافر من الخلق إلى الله تعالى بقدم المجاهدة بطرح الكونين، بل بطرح ما سواه تعالى مطلقاً. وهذه الهداية مقدمة معدة لصلوح الهداية الثالثة . وأما الهداية الأولى فهي غاية تعم السالك وغيره . وفي حق السالك المسافر من الخلق إلى الحق تعالى تكون مقدمة إعدادية أيضاً مثل الثانية . وأما في حق غير السالك فهي ملك نجاتهم من الهلاكة الأبدية بوصولهم بها إلى ضرب من النعيم الحيواني والتنعم الجسماني ، بتفاوت درجات هذا النعيم النفساني أيضاً .

وفي المقام كلام مبسوط يقتضي تفصيله مجالا أوسع وسبعاً (\*\*).

ص ١٣١ س ١٠ قوله : في عالم الولاية - أي عند اندك إنية العبد بتفاوت مراتب ذلك الاندك كمالاً ونقصاً (\*\*).

ص ١٣١ س ١٨ قوله : من هداية - فالهداية لأصحاب الأعمال الساذجة عن الأحوال هي هداية العامة . والهداية لأرباب الحال هي هداية الخاصة . والهداية لأهل الأنوار هي هداية خاصة الخاصة . وكل سابقة زماناً مقدمة معدة للاحقه . وكمالات (كمال - ن) الكمالات والغاية القصوى لا تحصل إلا باستكمالات خاصة الخاصة، ولا سيما للحضرة الختمية صلى الله عليه وآله (\*\*).

ص ١٣١ س ١٨ قوله : أنوار هي معارف - تلك الأنوار جلها بسل كلها تجليات إلهية موهبية ، ليس لسعي العبد و كسبه بوجه من الإعتبار مدخل فيها . ومن ههنا ورد عنهم عليهم السلام : « ليس للعبد صنع في المعرفة » وبون ما بين المعرفة المقصودة ههنا ، وبين العلم بحقائق الأشياء كما هي . فإن طريق العلم و ملاكه العقل . وطريق المعرفة وملاكها هو الولاية . ﴿ هُنَالِكَ أَلْوَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ ومدار العقل على النظر والفكر النظري المعروف . وملاك الولاية هو المجاهدة بالجهاد الأكبر . وهذه المجاهدة طور وراء طور الفكر والنظر الحكيم المعروف . والعقل

عقال ، والعلم حجاب ، ولكنهما طريق إلى طور الولاية (\*\*).

ص ٣٢ س ٣ قوله : وأما التسديد - أي تسهيل أمر السلوك إلى الله تعالى (\*).

ص ١٤٣ س ٢ قوله : و«لا» زائدة - في البيضاوي : و«لا» مزيدة لتأكيد ما في «غير» من معنى النفي . فكأنه قال : «لا المغضوب عليهم ولا الضالين» ولذلك جاز «أنا زيدا غير ضارب» كما جاز «أنا زيدا لا ضارب» وإن امتنع «أنا زيدا مثل ضارب» (\*\*).

ص ١٤٥ س ٢ قوله : وانحطاط رتبة - والله تعالى هو القاهر فوق عباده ﴿ألا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ والاحتجاب والتعبد والتعبد الجهلي الوهمي من قبل قابلية العباد الذين كانوا أنفسهم يظلمون وما كان الله ليظلمهم و ليس بظلام للعبيد . و أما الخروج والهجرة من دار وجوده بالسير والسلوك إلى صراط التوحيد ، وهو الصراط الجامع بين الأطراف ، وهو الصراط المحمدي - فهو بتوفيق الله تعالى و حُسن تأييده في حق من سبقت له العناية الأزلية بالحسن .

هرچه هست از قامت ناساز بی اندام ماست

ورنه تشریف تو بر بالای کس کوتاه نیست

اگر بزللف دراز تو دست ما نرسد

گناه بخت سیاه است و دست کسوته ما

« السعيد سعيد في بطن أمه ، والشقي شقي في بطن أمه » أي في بطون الأعيان الثابتة في صقع من الأزل ، وهو صقع العلم الأزلي السابق على إيجادها في الأعيان ، وذلك العلم الكمالي الذاتي الذي هو عين ذاته تعالى ، هو علمه تعالى بأعيان الأشياء أي ما هم عليه - والعلم تابع في أحكام الأعيان ، والأعيان تابعة له في أحكام الوجود - أي بما هو وجود - فافهم فإن فيه سرّاً عظيماً ينكشف به سرّ كون الأمرين الأمرين ، وسرّ ابطال الجبر والتفويض والتنزيه عن كل شين ومين (\*\*).

ص ١٤٦ س ٢ قوله : الفريقين - فمنهم من يعرف الله تعالى بجميع الصفات

العلياء و يعبده بجميع الأسماء الحسنى بتفاوت درجات تلك الطائفة المحقة الذين هم أهل الحق تعالى . ومنهم من يعرف الله سبحانه و يعبده على حرف ، و صفة أو صفات ، و اسم أو أسماء خاصة ، دون جميع الصفات العلياء و جملة الأسماء الحسنى . فهم بتفاوت درجاتهم من أهل الجهل ، المقيدون بعقال أغلال تعينات أنفسهم الأمانة و أوامهم الظلمانية (\*\*).

ص ١٤٦ س ٩ قوله : هو المُجمل والمُشني هذا كأنه ناظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [٧٩/٤] (\*\*).

ص ١٤٦ س ١٧ قوله : الأمر العقلي - جفّ القلم بما هو كائن (\*) .

ص ١٤٦ س ١٧ قوله : بإزاء التفصيلي القدري ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٣٩/١٣] التي هي ذلك اللوح المحفوظ (\*\*).

ص ١٤٧ س ١٩ قوله : وقد ضرب الله مثلاً - والتحقيق الآتم يقول : ان

كَلْبَةُ الْإِنْفَسِ كَالْآفَاقِ لَا يَتَكَوَّنُ إِلَّا صُورَ أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الْعَلِيَاءِ ، كَمَا قِيلَ :

اي سايه مثال ، گاه بينش در حکم وجودت آفرينش

فكون نفسك ذاتاً من الذوات وشيئاً من الأشياء بحيال أنفسها أمرٌ وهميٌّ

غير مطابق للواقع . ومن ههنا ينكشف سرّ التوحيد الخاصي والأخصي (\*\*).

ص ١٤٩ س ٢٠ قوله : كلتاها يمين - يمين الله هو العقل الذي يقابل الجهل .

وبعبارة أخرى يقابل الوهم . ولقد خمر تعالى طينة الإنسان - كبيراً كان الإنسان أو

صغيراً - بيديه : العقل والنفس . كما ركّب فينا بين العقل المسمّى بالنفس الناطقة

القدسية ، والنفس الشهوانية المسماة بالنفس الأمارة . والنفس الشهوانية عند

اعتدالها تكون من رؤساء جنود العقل الذي يقابل الجهل - فافهم (\*\*).

ص ١٥٠ س ٨ قوله : قدما ن متدلّيتان - كأنّ المراد من القدمين الطبعيتين

الكليتين . والكرسي لما كان محل التفصيل والفرقة كما يكون العرش محل الاجمال

والجمعية اسند تفرقة القدمين - أي قدم الرحمن و قدم الجبار ، وبوجه آخر : قدم العقل

وقدم الجهل ، بحسب ملاحظة حال أصحابهما - إلى الكرسي . فإن جسم الكرسي يكون بإزاء النفس الكلية التي تسمى بالكتاب المبين ، لا يأتيه بين الحق والباطل والنور والظلمة ، واليمين والشمال . كما يكون العرش الجسمي المسمى بالفلك الأطلس بإزاء العقل الكلّي الإجمالي . فإن منزلة ذلك العقل الكلّي من النفس الكلية التي هي الكتاب المبين منزلة القلم والمداد إلى الكتاب والحروف . والحروف نورانيّ وظلمانيّ ، جماليّ وجلاليّ . وفي الكرسي وجوه من الحكم فافهم .

ص ١٥١ س ١ قوله : في حقوق الإلهية - ملاك حقوق الإلهية إنّما هو الأمر بين الأمرين بوجه يعرفه الخواصّ ، و الإفراط في طرفي الجبر والتفويض . و مرادي بالأمر بين الأمرين وعمّ هيهنا أنحاء التوحيدات الثلاثة . فأحسن التأمل فيه (\*\*).

ص ١٥١ س ١ قوله : والمضيفين إلى نفي العدل - هو الأمرين الأمرين بوجه يعرفه الراسخون وهو السذي يفسّره تارة باسقاط الإضافات ، أي الإضافات الوهمية والنسب الجهلية ، لا الإضافات الحقانية الجامعة بين الأمرين بوجه أعلى و أرفع مما يتخيّله المشركون (\*\*).

ص ١٥١ س ٣ قوله : ظاهر الصورة الإنسانية - ظاهر الصورة في حق الأشقياء عارية . وفي حق السعداء جوهرية (\*\*).

ص ١٥١ س ٩ قوله : في ضمن أبينا آدم عليه السلام - إنّ الحسد الذي ظهر في بيته عليه السلام أصله الغبطة التي ظهر منه عليه السلام في دار الجنة قبل هبوطه إلى هذه الأرض المعروفة . و منزلة تلك الغبطة من حسد حسّاد بني آدم وحقدهم منزلة البذر من النباتات التي هي كمالاته و ثمراته . فاشتدّت تلك الغبطة في أراضي القلوب القاسية إلى أن انتهى إلى الحقد والحسد (\*\*).

ص ١٥٢ س ١١ قوله : بسعة الدائرة الوجودية - سعة دائرة الوجود إنّما

هي جمعية القوسين<sup>١</sup> : قوس النزول الظهوري ، وقوس الصعود والعروج البطوني وتلك الجمعية بكونهم مظهر اسمي المبدء والمعبد ، والأول والآخر ، والظاهر والباطن . كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ الآية (\*\*\*) .

ص ١٥٢ س ١٤ قوله : بل هي منبع سائر النسب و الإضافات - يعني سائر الإضافات المتكررة كالغاضبية والمغضوبية والراحمية والمرحومية . وسر ذلك هو ملاك التوحيد الخاصي . ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [ ] فإن العلة المحيطة بالمعلول من جميع جهاته - فافهم (\*\*\*) .

ص ١٥٢ س ١٦ قوله : فمن ظهر - فيكون البرزخ الجمعي والمظهر الجامع مجعماً للوجوب والإمكان والوجود والماهية التي هي أم الماهيات والأعيان و الذوات المسماة بملاك الظلمات والجهلات والفضلات . وهي نقطة رأس المخروط الإمكاناني كل تكون وجوده الذي هو ملاك أنوار الحقائق والكمالات ومدار تجليات حضرة الذات - فضلاً عن الأسماء والصفات - قاعدة مخروط الوجوب والقدمة . فبالنزول يتقوى ملاك الظلمة إلى أن ينتهي إلى قاعدة مخروطها . و بالعكس حكم الصعود . فلا جرم لامخلص ولماحيص له عن تحمّل المحن باحتمال الشقوة والابتلاء بالفتن ليصفو من كدورات النزول ويصعد إلى قاعدة مخروط النور ، ويصل إلى منازل منه وموطنه الأصلي البرزخي الجمعي الذي محل استواء الرحمن . بل هو نفس الاسم الرحمن . و يكون محل استوائه وظهوره الاستوائي الجسم العرشي الكل الجمعي (\*\*\*) .

ص ١٥٣ س ١ قوله : وكذا في الطرف الآخر - أي في طرف النعمة في حق الأنبياء والأولياء عليهم السلام . ولكن أشدّية الطرف الآخر في حقهم عليهم السلام تكون في نشأة الدنيا كما تكون أشدّية النعيم فيهم عليهم السلام بحسب

(١) قوله ره : جمعية القوسين - هذا هو خاصة الجمعية الحضرة الختمية صلى الله

عليه وآله وأما سائر الجوامع فهي جلية لا بخفية (منه ره) .

الآخرة . وفي الأشقياء بعكس ذلك .

ص ١٥٣ س ٧ قوله : ثوبه و يتأخر عن مكانه - ينبغي أن يعم الثوب مثلاً ، حتى يشمل كل وجود و موجود من المخلوقات يكون منزلته من نور وجوده صلى الله عليه وآله منزلة اللباس من المتلبس به .

ديده بايد كه باشد شه شناس      ناشناسد شاه را درهر لباس

« در هر چه بنگرم تو پدیدار بوده ای » - فاستقم كما امرت ولا تكونن من

الغافلین .

ص ١٥٣ س ٨ قوله : فافهم - إشارة منه - قدس الله روحه - إلى كلية نشأة وجود حضرة النبي الختمي المحمّدي صلى الله عليه وآله وعمومه وشموله لجميع أمته . بل لجميع الأمم وأنبيائهم وأوليائهم الأوصياء ، وإلى سريان وحدة وجوده العامّ الشامل التامّ صلى الله عليه وآله في كثرة وجوداتهم . لكون وحدته صلى الله عليه وآله وحدة حقّة ، ونور وجوده صلى الله عليه وآله منبسطاً . فإن منزلته صلى الله عليه وآله منهم منزلة العلة من المعلولات ، والعلّة المحيطة بمعلولاتها من جميع جهاتها . ومن هنالك ينظر قوله تعالى ﴿ لِيُنْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [٢/٤٨] .

وقد ورد عنهم عليهم السلام : « أي في ذنب امتك » فإن وجودات الأمم كلّها من السلف والخلف ، والصالح والطالح من مراتب تنزلات وجوده صلى الله عليه وآله واستكمالاتهم رحمة وغضباً من مراتب استكمالاته صلى الله عليه وآله .

ومن هنالك أيضاً يتصحّح كون أئمتنا وسادتنا عليهم السلام محتملين لأنفال أوزارنا ، فإنهم عليهم السلام لهم الكلّ في الكلّ . ومن عرف كيفية ارتباط نفسه الناطقة القدسية العاقلة المرتفع عالمها عن عوالم قواها وجنودها العلّامة والعمّالة - فضلاً عن عالم البدن وجوارحه وأعضائه الجسمانية الهولانية ترك القوى والجنود وبهذه الجوارح والأعضاء الخارجة عن عالم القدس والتنزّه الداخلة في عالم التعلق والتشبه وكيفية النسبة الاتحادية المتحققة بين ذلك العالم القدسي اللاهوتي

وبين هذا العالم الظلماني الناسوتي ، يمكن من معرفة ما أظهرنا ههنا ، و أومأنا إلى سر من أسرار ما ذكرنا . فاحسن التثبّت والتفهم واستقم كما امرت من قبل الشرع المقدس ، لكيلا يزلّ قدم عقلك واعتقاد [ك] عن سواء السبيل ، وعن الصراط المستقيم (\*) .

ص ١٥٤ س ٨ قوله : ثم سرى ذلك - هذا على مقتضى سرّيان نورالوحدة في ظلمات الكثرة التي هي صور صفات الوحدة وأسمائها ، ليست بأمر خارجة عنها (\*) .

ص ١٥٤ س ١١ - قوله : و أعطاه - أي الواردات الإلهية و التجليات الموهبية (\*) .

ص ١٥٤ س ١١ قوله : والعلم - يعني العلم الشرعي الحاصل من الكتاب والسنة (\*) .

ص ١٥٤ س ١٢ قوله : يتشخص - أي تنزّل ليحصل المناسبة الموجبة للانس والاستيناس والسمع والاستماع (\*) .

ص ١٥٤ س ١٢ قوله : معنى الإسم - أي و معنى الإسم الإلهي الباطن الظاهر - الظاهر عنوان الباطن . والباطن سريرة الظاهر وحقيقته . وهو بوجه (\*) ص ١٥٤ س ١٩ قوله وظهرت الشفعية من الكرسي - لكون الكرسي محل التفصيل الذي هو الكتاب المبين .

لما كان الكرسي الكتاب المبين فصلّ فيه بين القدمين (\*) .

ص ١٥٤ س ٢٢ قوله : الموجد الأول - أي العقل الكلي الذي هو الصادر الأول ، و العرش الجسمي يكون بازائه في عالم الشهادة كما يكون الكرسي بازاء النفس الكلية التي هي خليفة العقل (\*) .

ص ١٥٤ س ٢٢ قوله : واحد العين - فبون بعيد بين الأحدية وبين الواحدية

التي في الكرسي (\*) .



ص ١٥٥ س ٤ قوله : شكلان - كأنها شكلا الكوكبي الكلبي - فافهم (\*) .  
ص ١٥٥ س ٤ قوله : جنة - مكان الجنة النفس السعيدة . و مكان جهنم  
النفس الأتارة الشقية (\*) .

ص ١٥٧ س ١٣ قوله : ظاهر أو باطناً - يحتمل وجهين ولكل وجهة : أحدهما  
ظاهر وجود العبد و باطنه . و ثانيهما هو الظاهر المحسوس لكل وهي حس و إحساس  
من الناس ، و الباطن الذي هو خلاف هذا الظاهر . و الحمل على المطلق الشامل  
أولى (\*) .

ص ١٥٨ س ٦ قوله : لوجاز - لعل معناه إنه لوجاز اليأس من الرحمة لفشا  
و ظهر حكم اليأس . أو أفشى الشارع صلى الله عليه وآله و أخبر عنه . و لما لم يجز  
في الحكمة لم يظهر منه عين و لا أثر و لا حكم و لا خبر . فمن هنا يلزم كون الناس و  
العباد مجبولين على الرجاء . و الجبلة و الفطرة إنما هي مجرد صنعه تعالى . فلو  
لم يكن مآب الكل إلى الرحمة لم يجز خلق هذه الفطرة . كأن هذا هو مراده في  
هذا الكلام - تأمل فيه .

ص ١٥٩ س ٣ قوله : كل صفة إلهية - أقول : و من صفاته العلياء العدل  
الذي بخلاف ما يراه محبي الدين العربي و أتباعه (\*) .

ص ١٦٥ س ١٧ قوله : و اتصال - هذا الإتصال هو نزول الملك بالوحي  
و ذلك النزول هو مراتب تجليات ذلك المطاع الروحاني على مظهره الجسماني .  
فينزل الرسل من روحانية النبي إلى جسمانيته ، ثم يرجع إليها (\*) .

ص ١٦٥ س ١٧ قوله : و بهائتم سعادة - محصله إن الفطرة الأمية ( ظ :  
الأمية ) التي علمها الله سبحانه الأسماء كلها و جعلها حقيقة معاني الأشياء جلها و قلها  
و خلقها مجمع مجامع الحقائق و جامع جوامع العوالم كلها ، إنما هي خليفة الله  
تعالى في كل عالم من العوالم الكلية المترتبة . فكان آدم الحق الحقيقي المسمي  
بالحقيقة المحمدية البيضاء بعقله . و هو العقل الكل الكلبي الأول . المصدر في عالم

الإمكان ، خليفته تعالى في عالم الجبروت . و نفسه الكليّة اللاهوتية خليفته في [١]عالم الأوسط ، المسمى بالملكوت . وجسمه الشريف خليفته تعالى في عالم الملك المحسوس (\*) .

ص ١٦٦ س ٣ قوله : غفرانك ربنا - « وُجودك ذنبٌ لا يقاسُ به ذنبٌ »  
فغاية غفران الذنب هو محو الموهوم وصحو المعلوم ، المعروف بالحقيقة . ولا يصل السالك إلى الحقيقة إلا بالسلوك على صراط الشريعة والطريقة - فاستقم كما امرت (\*) .

ص ١٦٦ س ٤ قوله : هذه السورة - محصل البسملة هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . فهي مشتملة على مجامع العلوم كلّها . وتخصيصه قدس سره هو التوحيد الذات والصفات لعلّه ناظرٌ إلى ضرب من الاعتبار الذي متعلق بظواهرها وبظاهر كلماتها الثلاث الكاشفة عن الذات والصفات .

ص ١٦٦ س ١٨ قوله : بكلمات الله - وهي كلمات أنفوس الأنبياء والأولياء الذين هم السبل إلى الله تعالى . كما انهم رسلهم . وهم آياته وأدلتة تعالى وبيّناته وحججه .

ص ١٦٦ س ٢١ قوله : لأن الجوهر النفسي - يعني إنه من جهة وجوده الجمعي العلمي وعقله البسيط المحيط الكلّي يكون كلمة إلهية . ومن جهة وجوده التفصيلي العلمي و لوح نفسه المنفعلة المكتوبة بذلك العقل الإجمالي القلمي يكون كتاباً مبيناً ، ولوحاً كتابياً . بمرتبته اللتين هما لوح القضاء التفصيلي العقلي الكلّي ولوح القدر التدريجي الصوري الملكوتي الخيالي . وقلب النبي صلّى الله عليه - وآله هو روحه الذي له سرٌّ ، هو ذلك العقل البسيط الكلامي . وعلانٌ ، هو هذا اللوح الكتابي .

ص ١٦٧ س ٤ قوله : المكاملة الحقيقية - مراده من المكاملة الحقيقية المكاملة المعنوية التي تحققت في مرتبة اللوح والسير الأسمائي في عالم الملكوت

الأعلى الروحاني . وذلك العالم الأعلى المسمى بعالم المعنى منزلته من عالم الملكوت الصوري السماوي منزلة الحقيقة من الوجه والمعنى من الصورة والروح من الجسد . بل ومنزلة القلم والكلام من اللوح والكتاب (\*) .

ص ١٧٦ س ١٢ قوله : يسرى فالنطفة التي مثلاً يسرى إليها ذلك النور المحمدي هي النطفة المستقرّة في صلب المصلى الذي هو الأب ، النازلة منه إلى رحم الأم و الآية (كذا) المصلية . و هكذا إلى نهاية مراتب الخلق - فافهم (\*) .

ص ١٧٦ س ١٢ قوله : يسرى - أي إلى الثلاثة ، إلى آخر مراتب الذي هو النشأ خلقاً آخر (\*) .

ص ١٧٧ س ١١ قوله : نور الأنوار - وهو النور الإلهي الكلي العقلي المصباحي . المسمى بالنور المحمدي . وهو روح القدس الأعلى ، المسمى بالعقل الكلي المحيط بالكل ، المصدر في عالم الإمكان على ما تقرّر في فن الروبيات عن مسفورات الحكماء .

ص ١٧٧ س ١٦ قوله : ثوبه طاهراً - طهارة الثوب والبدن كأنها صورة خلع النعلين بوجه أدنى . ثم ترقى في الحال إلى مرتبة خلع نعلي الكونين وطرح الوجودين الدنياوي والأخروي الجسماني الحيواني . والسواد المقدس هو عالم الروحاني العقلاني (\*) .

ص ١٧٨ س ١٣ قوله : فقل أعوذ بالله - فيه باب المعرفة ابتداء لا يتيسر إلا باندكاك جبل الإنبيّة . فبقدر الاندكاك يفتح ذلك الباب . وبقاء الإنبيّة هو ملاك الشيطنة و مناط تصرفات الشيطان . إذ جهة الإنبيّة و الماهية هي ملاك الجهل و الظلمة (\*) .

ص ١٧٩ س ٩ قوله : أن تنظر - إن لذلك النظر مراتب ، مرتبة في الشرف والخسة والعلو والدنائة ، بجمعها قوله صلى الله عليه و آله : « من عرف نفسه فقد

عرف ربّه . وقال قبله العارفين عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : « تجلّى للاوهام بها و امتنع بها عنها » . وأقصى المرتبة في تلك المراتب وأعلاها هو المرتبة الأولى من المشية ، المسماة بالنقطة والرحمة وهكذا إلى أن ينتهي من مراتب المشية و الصُّنْع الأربيع إلى مرتبة المصنوع والمعلول الذي هو نفس السالك إلى الله تعالى المصلّى له . وهذه هي أخيرة مراتب المعرفة وأدناها . والمراد منها في كونها معرفة وعرفاناً بالله تعالى ، هو أن ينظر السالك العارج بالصلوة إلى نفسه من حيث هي أثر من آثاره تعالى ، وآية من آياته ، ظهر بهالك ، بحيث يكون نفس ظهوره ، لاشيء غير ظهوره ، وآيته تكون واسطة في ظهوره تعالى مظهراً له ودليلاً عليه و كاشفاً عنه . ولو نظرت إلى نفسك وإلى أعمال نفسك وطاعاتها وعباداتها من حيث هي هي ، ومن حيث كون طاعتك وعبادتك أعمال نفسك من حيث هي هي باضافتها إليك من حيث أنت فهذا النظر منك هو رؤية [ال] سراب الذي اذا جثته لم تجده شيئاً . ومن ههنا سمّي هذا النظر السرابي بالوهم و التوهم الكاذب . كما قال عليه السلام عن السؤال عن الحقيقة: « محو الموهوم و صحو المعلوم » وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [٥٣/٤١] الآية . وقال : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٢١/٥١] فاعتبروا يا أولي الأبواب لعلكم تفلحون (\*).

ص ١٨٦ س ٧ قوله : فأفاد الكلمات - إن الكلمات التامات لهي الأرواح الجبروتية الإلهية الكلية ، وهي جوامع الكلم التي تسمى بأرباب الأنواع ، وهي بسائط الموجودات والحروف العاليات . وهي أيضاً من ذلك العالم الجبروتى ، منزلتها من الكلمات التامات في وجه منزلة الحروف المقطّعة من الكلمات المركبة منها ومنزلة السحاب المزجى من السحاب الثقال المتراكم . والحروف كما يكون تدوينية كذلك يكون تكوينية . وذلك انه كما يكون الكتاب تدوينياً وتكوينياً . فكذلك الكلام والكلمة والحروف . وللکلمات والحروف مقامان ، المقام السرمدي وهو مرتبة المشية بمراتبها . والمقام الدهري بأعلاه إلى أسفله (\*).

ص ١٨٦ س ١٢ - قوله : فأجرى فيها - اللوح الكريم هو اللوح المحفوظ والنفس الكلية المسماة بالذرة الصفراء و بالعلوية العليا ، التي كتب القلم الأعلى و هو العقل الأول المصباحي المحمدي ، المسماة بالذرة البيضاء - بأمره تعالى في ذلك اللوح الكريم كل ما هو كائن إلى يوم القيامة . وإجراء ذلك في السموات السبع على حسب ما ذكره وتقديره تعالى في هذه الألواح القدرية القابلة للمحو والإثبات . وذلك تقدير العزيز العليم .

و جسم الكرسي هو [ال] صورة المعروف بفلك البروج . و فلك الثوابت والمنازل بساقيه من الصور والنقوش إنما هو صورة تمثل ذلك اللوح الكريم المحفوظ عن المحو والتغير والإثبات بعد المحو ، والمحو بعد الإثبات كما هو مقتضى المحفوظية . والقدر هو الهندسة الإبداعية التي يقبل التغير والتغيير والتبدل والتحويل . وذلك اللوح القضائي هو محل الثبوت الذي لا يتصور فيه التغير والتحول (\*) .

ص ١٨٦ س ١١ قوله : كرسية - ان الكرسي هو صورة اللوح المحفوظ . اي يحرك بالجسمانية والنفسانية ويسكن بالروحانية والعقلانية - فافهم (\*)

ص ١٨٦ س ١٣ قوله : كلام المشية - إن حرف المشية لهي كاف كلمة «كن» وحرف الإرادة لهي نونها المسماة بالعمق الأكبر . و في دعاء السمات المعروف «الكلمة التي انزجرتها العمق الأكبر» والكلمة: هي المشية. والعمق الأكبر هو بحر الإيمان الذي قد يعبر عنه بالظلمات ، وعن تلك الكلمة بماء الحياة . و تلك الكلمة هي النور المحمدي والحقيقة المحمدية . ومن ذلك الماء كل شيء حي كما قال تعالى : ﴿ وَ [كَانَ] عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [٧/١١] وهي الرحمة الواسعة - فأحسن التفهم (\*) .

ص ١٨٦ س ١٣ قوله : المشية - إن المشية بازاء الوجود والإرادة بازاء العين والماهية (\*) .

ص ١٨٧ س ٤ قوله : كلمات - إن تلك الكلمات لهي [ال] أنوار المحمدية

وأنوار آلها صَلَّى اللهُ عليه وآله والتلقِّي هو قبول ولايتهم بصيرورة فطرة آدم ﷺ محلّ نزول رسل أنوارهم التي هي مثل وأظلة لحقائق أرواحهم الجبروتية . فلما نزل تلك الرسل على قلب آدم ﷺ من عندهم وتنوّر باطن قلب آدم بأشعة أنوارهم صار مقبولاً ومسجوداً للملائكة أجمعين (\*) .

ص ١٨٩ س ٢ قوله : رسالة الملك - هذه الرسالة في قوس النزول (\*)  
ص ١٨٩ س ٢ قوله : رسالة البشر - هذه الرسالة في قوس العروج والصعود .  
ص ١٨٩ س ٣ قوله : وكان الألف - هذه الألف هي سعة الرحمة الواسعة المسماة بالنفس الرحماني ، وهي مرتبة ثانية من مراتب النور المحمدي ، تالية لمرتبة النقطة التي هي المرتبة الأولى منها ، و ثالثها مرتبة الحروف المقطعة . و رابعها مرتبة الكلمة التامة المركبة (\*) .

ص ١٨٩ س ٩ قوله : من أجل حدوثه - لأن العالم الحادث من حيث حدوثه منزلته منزلة الإسم الظاهر الكاشف عن المعنى الغائب - فافهم (\*) .  
ص ١٨٩ س ١٠ قوله : فافهم - لعلّ فيه إشارة إلى أن حدوث الشيء هو وجوده الذي به يلي الشيء ربّه تعالى ، وذلك الوجه هو عينه اليمنى التي بها ينظر الشيء إلى ربّه الأعلى ، وذلك الوجه هو النور الذي به ينظر المؤمن وبه يعرف ربّه . من عرف نفسه من هذه الجهة - يعرف ربّه (\*) .

ص ٢٢ س ١٨٩ قوله : كما ان الهاء - ولقد قيل : إنّ الهاء حرف ليلة القدر التي تنزل فيها الملائكة والروح . والنزول إنما هو بخمس مراتب أمرية : المشية والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء . فالهاء تعمل عمل جميع الحروف . إذ العمل والفعل والتأثير من كلّ شيء إنما هو بقوة الله تعالى ، التي هي تلك الحضرات الخمس . والهاء هي صاحب مرتبة الخمس . وقد قال ﷺ إنّ الهاء في إسم « هو » تثبيت الثابت . يعني إنها هي اثبات ذاته تعالى ، وهي كشف وحدانيته الكبرى ، كما كشفنا عن سرّ ذلك في أثناء مباحثاتنا ومدارساتنا مراراً كثيرة . فالهاء في إسم « هو » إشارة

إلى أوليته تعالى . والواو إشارة إلى آخريته جلّ وعلا . كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ  
وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [٣/٥٧] فصار منزلة كلمة ﴿ هُوَ ﴾ في هذه الكريمة منزلة  
المحدود ، ومنزلة ﴿ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ إلى آخرها - منزلة الحدّ والتفصيل من  
المحدود والإجمال . وهيهنا أسرار لا يسمعها المجال - والله ولي الفضل والإفضال (\*).

ص ١٩٠ س ٢ قوله : أعظم الأشياء - واسم « هُوَ » أعظم الأسماء .

ص ١٩٠ س ٥ قوله : ففي الإنسان - أي ففي الإنسان الواصل إلى مرتبة  
العبودية التامة ، وهو الفقر البحت إلى الحق الغني المطلق ، قوة كل حرف حرف  
و كلمة كلمة من حرف الأسماء الحسنی وكلمات الله سبحانه وتعالى ومن هيهنا  
صار إمام أئمة الأسماء ، وله الولاية الكبرى (\*).

ص ١٩١ س ٧ قوله : ولهذا هو مثال الله الأكبر وفي الزيارة المعروفة بالجامعة :

« وَأَنْتُمْ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » وذلك المثل - بفتح الميم - هو المراد عند أهل اللبّ من  
المثل - بكسرها - في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [١١/٤٢] و مرتبة هذا  
المثل هي المقام (السياس) الذي هو مقام محمد الختمي وآله الوارثين لكمالهم عليهم السلام  
وذلك (السياس) هو توحيد الحق تعالى ذاته الأقدس .

و كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [١٨/٣] المطلق والهوية

المطلقة « يا من لا هو إلا هو » ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [١/١١٢] فالهاء تثبت الثابت .

والواو إشارة إلى الغائب الذي لا يتصور الإشارة بوجه من الوجوه إليه . فإنه حاضر  
غير محدود ، وغائب غير مفقود . وكل ما يقبل الإشارة بأية وجه كانت فهو محدود و

مفقود . والصمد الذي هو المقصود من كل وجه وجهه ، كيف يتصور أن يكون

محدوداً ومفقوداً في جهة من الجهات . و من ثمة قال سبحانه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُ  
وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [١١٥/٢] وقال : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [٣/٥٧] ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ

أَفَلَا تَبْصِرُونَ ﴾ [٢١/٥١] وقال عزّ من قائل : ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾

[٥٤/٤١] وبالجملة فالمادة العرفانية هو النور المحمدي الذي تنوّرت به ومنه الأنوار ،

واستبصرت به البصائر والأبصار . ومن هنا قالوا عليهم السلام : « بنا يُعرف الله ، ولولا نحن ما عُرف الله ولا عُبد » وقالوا : « إتّما يُعرف الله بالله . . . » - الحديث « تقدّس ! چه شأن وجلالست این » فافهم إن كنت أهلاً له (\*) .

ص ١٩٣ س ١٨ قوله للحروف العاليات - وجميع مراتب عدد السبعة ترتفع إلى ثمانية وعشرين منزلاً ومرتبة . والسبع المثاني كذلك ، وتلك المراتب السبع هي المتضمنة لثمان وعشرين مرتبة ، كلّ مرتبة حرف أو كلمة من كلمات الله تعالى ، عالية كانت أو سافلة ، و محلّ نزول الكلمات بأحرفها هي الإنسان الكامل و ظاهره وغيبه وشهادته - فاحتفظ به فإن فيه ما ينبغي وتستبصر أصحاب البصائر (\*) .

ص ١٩٣ س ١٩ قوله : على صورة ربّه : وإذا كان الإنسان الكامل على صورة ربّه الرحمن تعالى ، كان ترتيب الوجود فيه كترتيب الوجود في اللوح الرحماني . ففيه سبع مراتب : مرتبة في النزول : مرتبة الخفي ، ثمّ الروح ، ثمّ السرّ ، ثمّ العقل ، ثمّ القلب ، ثمّ النفس ، ثمّ الطبع . وذلك كما في النفس الرحماني : مرتبة الألف . ثمّ مرتبة الحروف اللاهوتية ، ثمّ الكلمات اللاهوتية المتقدمة على الأمرية والزمانية ، ثمّ النور الأبيض من الأركان الأربعة العرشية ، وهو العقل الكلّي في الدهر الأيمن الأعلى ، ثمّ القلب الكلّي وهو النفس الكلية المسماة بالصدر المعنوي والكرسي في الدهر الأيمن الأسفل وهي اللوح الكريم المحفوظ والكتاب المبين ، ذات الله العليا ، المسماة بالنور الأصفر والدرّة الصفراء من تلك الأركان ، ثمّ النور الأخضر وهو النفس الخيالية الحسّاسة الكلية ، ثمّ النور الأحمر وهو الطبيعة الكلية في الدهر الأيسر الأسفل ، كما يكون النور الأخضر في الدهر الأيسر الأعلى والفيض المقدس الوجود كما نزل و ينزل مرتبة على ترتب طبقات العالم الأكبر . كذلك حكم نزوله في الإنسان الكامل المسمّى بالأصغر (\*) .

ص ١٩٦ س ٨ قوله : الألف الساكنة - فمنزلة الألف الساكنة من الحروف منزلة المخلّق الأول من المخلّق الثاني في باب الكتابة بالمعنى الأعم . فإن المداد الذي



هو المادة والماء الذي به حيوة كل شيء ومنه خلق سائر الحروف والكلمات الكونية هو الخلق الأول والصور الحرفية المخلوقة من المداد بتوسط القلم هو الخلق الثاني كما يكون الروح بالنسبة إلى الجسم والجسد خلقاً أولاً ، والجسم خلقاً ثانياً . فإن منزلة الجسم منزلة الوجه والفرع من الأصل الأصيل في الوجود ، والفرع طفيله فيه . وهذه ضابطة كلية وقاعدة مطردة . ومن يسمي النفس الرحماني بالخلق الأول وسائر الموجودات المخلوقة به ومنه وفيه الخلق الثاني كما صرح به الحديث الرضوي وخبره . (\*)

ص ١٩٦ س ١٠ قوله : لما فيه من سرّ الوحدة : فإن منزلة هذا الألف المحسوس من تلك الوحدة الإلهية منزلة الجسد والصورة من المعنى والروح . فتمثل لك الوحدة بصورة هذا الألف تمثل سرّ الشيء بصورة علنه . الظاهر عنوان الباطن (\*) .

ص ١٩٦ س ١٥ قوله : لام ألف - لا يبعد أن يقال : إن لام ألف لما كان متضمناً للإشارة إلى شدة ميل اللام إلى الألف الذي هو سرّ الوحدة والوجوب والقدرة حيث (...) اللام ساقته بقامة الألف كما يشاهد في صورته التي هي هذه « لا » وذلك الميل ناظر إلى إعراض السالك الكلي عن الباطل الهالك في الحق ، الباقي كل حضرة من الحضرات الثلاث الفعلية التي ينظر إليها قوله صلى الله عليه وآله : « أعودُ بعفوك من عفاك » والإسمية التي ينظر إليها قوله صلى الله عليه وآله « أعودُ برضاك من سخطك » والذاتية التي ينظر إليها قوله صلى الله عليه وآله « أعودُ بك منك » كما سبق بيان تلك الحضرات التوحيدية بوجه ما .

ولقد قيل : إن الألف في « لام ألف » في كل تلك الحضرات الثلاث المرتبة في السير والسلوك تعبير عن الميل إلى الحق . واللام فيه عبارة عن الإعراض عن الباطل المقابل للحق . فعلى هذا أقول . أنه لما كان الإدبار عن الباطل في السير الصعودي مقدماً على الإقبال إلى الحق ومقدّمه له مقدمة التخلية والتصفية على التحلي والتخلية. صدر الألف باللام وقدم اللام على الألف في التلفظ والتكلم . وفي الكتابة

- إشارة إلى ذلك السرّ المستتر. وهنا أسرارُ جَمَّة (\*) .
- ص ١٩٧ س ٢٠ قوله : تصدير الهمزة بغير مسمّاه كأنه أراد من لفظة الهمزة هيهنا نفس هذه اللفظة بعينها ، فإنها إذا اخذت إسماً للألف همزة يلزم عدم تصديرها بمسمّاه التي هي ألف (هـ) لأن لفظتها مصدرّة بالهاء (\*) .
- ص ١٩٨ س ٨ قوله : لا إسم لها - مرادهم من الإسم والرسم ما يصل به العقول والأوهام إلى كنه ذات الحقّ جلّ وعلا - تعالى عن ذلك علواً كبيراً أما قوله : لا مخرج لها على التعيين - إشارة إلى كونها منزّهة عن التحديد ، ولم يخل عنها مخرج من المخارج بلا إشارة - فافهم (\*) .
- ص ٢٠٠ س ٣ قوله : عناصره كائنة - لعله يمكن أن يقال : إنّ العناصر السماوية الأركانبة الأربعة لهي البروج الإثنا عشر ثلاثة منها ناربة و ثلاثة منها هوائية وثلاثة منها مائية ، وثلاثة منها ترابية ، وتركّب من مجموعها فلك الثوابت المسمى بالكرسي شرعاً ، وتقدم الكرسي كالعرش على السموات السبع والأرضين السبع معناً و صورة ثابت كما هو المقرر في محله ، وسرّ تلك العناصر هو الأركان الأربعة القريبة من الأرواح الكلية : جبرئيل ناربي . إسرافيل هوائي ، ميكائيل مائي . عزرائيل ترابي . وسرّ (هـ) ينتهي إلى (هـ) بمراتبها الأربع .
- ومن هيهنا ينكشف سرّ تقدم خلقة الأرض على السموات السبع ، بل و على الأرضين السبع من بسائطها وموالبدها. وعلى كلّ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة (\*) .
- ص ٢٠٣ س ١٥ قوله : لأنها توجد في الأقسام الثلاثة - يعني إن المفردات من الكلمات توجد في الإسم والفعل والحرف لخصوص « ص.ق.ن » فإن «ص» من الحروف المبسوطة لا توجد في الحرف . هكذا بين وفسّر في بعض الحواشي على البيضاوي . هو (هـ) الحكم المعروف (\*) .
- ص ٢١٤ س ٢٢ قوله : باعتبار - حاصله إن الشيء باعتبار ذاته يمكن أن يتقدّم على نفسه باعتبار وصفه وصفته (هـ) من الأوصاف الطارئة (\*) .

ص ٢١٥ س ٤ قوله : سيما - إلى آخره - حاصله إن كل السورة ومجموعها وجوده هو عين وجودات آحاده وأجزائه وآياته وكلماته بأسرارها . وليس له وجودٌ على حدة غير وجودات آحادها بأسرارها . وهذا هو سرّ التفرقة بين الكل بمعنى الآحاد بالأسرو وبين الكل المجموعي الموجود بالوجود الوجداني غير وجودات أجزائه الأحادية - فافهم (\*) .

ص ٢١٧ س ٢٠ قوله : يفعل الحركات الذاتية - لو كانت العبارة هي هنا في نسخة الأصل هكذا فيجب أن يراد من الذاتية الاحتراز عن الحركات التي لها واسطة في العروض . كاسناد الحركة المقاميه مثلا إلى جالسي السفينة تجوزاً في الإسناد . و هذا ظاهرٌ جداً (\*) .

ص ٢١٩ س ١٨ قوله : وبالهاء على الباري وبالواو على العقل - الهاء تثبيت للثابت وبيّنة عليه ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس ، الخارج عن الجهات الست لا كخروج شيء عن شيء ، وعلى الداخل فيها لا كدخول شيء في شيء . في الكافي : « محمدٌ صلى الله عليه وآله حجابُ الله » وهو صلى الله عليه وآله العقل الكلّ الذي هو حجاب الجلّ والقل . والمراد من الإشارة هي هنا كناية عن سلب الإشارة ومحو الإضافة .

لعل في سرّ كون الهاء عبارة [عن] مرتبة إضافة حضرة الباري تعالى إشارة إلى الحضرات الخمس التي هي مراتب قوله تعالى وصنعه المتقدمة على مرتبة المصنوع والمخلوق . كما ينظر إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢/٣٦] ذلك المراتب المترتبة العقلية هي المشيئة ، ثم الإرادة ، ثم القدر ، ثم القضاء ، ثم الإمضاء ، كما ورد في الأخبار عنهم عليهم السلام (\*) .

ص ٢٢٠ س ٣ قوله : ويكون الابداع - مع قوله :- ويكون الأمر - حاصلها أنّ التفرقة بين الابداع والأمر هو ان ايجاد عالم العقل في نفسه يكون إبداعاً وعالم العقل يكون بالنسبة إلى عالم الخلق كله أمراً . كما قال : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ والحاصل

ان ايجاد الخلق الذي يعبر عنه ببيكون - على صيغة المضارع - يعبر عنه - أي عن ايجاد الخلق - بالأمر . و حاصل الحاصل ان منزلة عالم العقل من الخلق منزلة الأمر حسب المؤتمر . فلا تغفل .

وأما عالم العقل في نفسه من دون ملاحظته إلى ما بعده فهو نفس الإبداع . و ظاهراً الإبداع هو صفة المبدع تعالى ، فكون العقل وعالمه إبداعاً و صفة لذات الحق الحقيقي القيومي تعالى يوجّه بكونه منزهاً عن جهات الإمكان و مقدساً عن الماهيات و صفات الماهيات التي هي سمات الإمكان و النقصان . و من ههنا يكون عالم الأمر معدوداً في جملة عالم الحق ، خارجاً عن عالم الخلق - فافهم (\*)

ص ٢٢٠ س ٩ قوله : يكون التكوين - و على اعتبار اختصاص التكوين بعالم العنصري الظاهر أن يقال : ويكون التكوين وهو من إضافة الباري مضافاً إلى الطبيعة ، وهي ذاتٌ مدلول عليه بالكاف - وهذا ظاهر جداً (\*) .

ص ٢٢٠ س ١٥ قوله : ويكون اشتمال الجملة في الإبداع - « چون كه صد آمد نودهم پیش ما است » « بسبب الحقيقة كل الأشياء » . والحاصل ان الإبداع وهو العقل الكل وعالمه هو كل المراتب التي تحته و بعده بنحو أبسط و بوجه أعلى . فيشتمل حينئذ على الصاد ، وما اشتمل عليه الصاد . فتكون مرتبة الإبداع مرتبة الجمع - أي جمع الكل - وتكون مرتبة حضرة الذات الأقدس مرتبة جمع الجمع . وإلى هذا ينظر قوله قدس سره : « ويكون ردّها - إلى آخره » ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿ وَ إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ « كلُّ يرجع إلى أصله » - فافهم ان شاء الله (\*) .

ص ٢٢١ س ٤ قوله : ذي الأمر والخلق - والدلالة على أنه تعالى الأمر والخلق انه لو لم يكن كذلك يلزم وجود الواسطة بين الشيء و نفسه . و هذا من الأسرار التي يحتاج إلى المشافهة . و أما الكتابة فهي ههنا التشابه . و المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم (\*) .

ص ٢٢٣ س ١١ قوله : كما قرءَ من قرءَ ولا الضالين - كأنه يعني مَن قرءَ بفتح الضاد وسكون اللام المشددة بعيد الضاد . ويحتمل أن يراد منه القراءة المشهورة المعروفة ، حيث يفتح فيها اللفظة لاء النافية مع سكون الضاد المشددة ، فلو لم يفتح لاء النفي هبنا لزم التقاء الساكنين (\*) .

ص ٢٢٥ س ٤ قوله : اللوح المحفوظ - هو النفس الكلية المسماة بذات الله العليا وبالدرة الصفراء وشجرة طوبى والعلوية العليا وجنة المأوى - إلى غير ذلك من الألقاب الفاخرة .

ص ٢٢٥ س ٨ قوله : ففي الإشارة إلى القريب - أقول : لعمر الحبيب إن أحسن الوجوه وألطفها لهو الجمع بين نظري الغيبة والحضور من جهة واحدة . فإن النفس الكلية اللاهوتية المسماة باللوح المحفوظ وبأم الكتاب لما كانت محيطة بالكل في الكل ومنبسطة على هياكل الجبل والقل ، وظاهرة في عين بطونها ، وباطنة في عين ظهورها . كانت غائبة بعيدة في عين كونها حاضرة قريبة . بل هي أقرب من نفس كل نفس بنفسها . وسرد ذلك إنما هو كليتها وشمولها وإحاطتها وإلى هذا السر العظيم ينظر قوله سبحانه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [٥٤/٤١] ومنه ينكشف سر قولنا في الغيبة الكبرى يكون الحجة المنتظر الغائب عن النظر <sup>إلى</sup> حاضرًا في عين غيبته وغائبًا في عين حضوره (٠٠٠) (\*)

ص ٢٢٥ س ١٨ قوله : لا يمحوه الماء - عدم المحو وسلب الإنمحاء علامة الختمية والشهادة على التمامية . كما قال صلى الله عليه وآله : « أوتيت جوامع الكلم » ومجمع الجوامع وجامع المجامع لهو الكلمة المحمدية البيضاء التي هي خارجه عن عالم التكوين والتلوين . والتكون والتلون ، فإنها المستقر سلاك التمكين والتمكين عند ملك مقتدر - فأحسن التأمل .

ص ٢٢٧ س ١ قوله : بالإضافة - أي بالإضافة إلى المتكلم يسمى كلاماً ، و بالإضافة إلى المخاطب المستمع كتاباً . وقد مر في المفاتيح ان كل كتاب كلام من وجه

وكل كلام كتاب من وجه . والوجه هو ما أشرنا إليه .

ص ٢٢٧ س قوله : لفظاً بل التلغظ والكتابة في النشآت الدهرية يجتمعان من جهة واحدة ، والتفاوت بينهما تكون بمجرد الاعتبار . ولقد تقرر في محله ان القبل والبعد في الدهر واحد وفي الزمان متعدد - فافهم (\*) .

ص ٢٢٨ س ١٧ قوله : لأن علومه برهانيات - فيه تعريض لسائر الكتب السماوية - فضلاً عن غيرها من الكتب البشرية الغير النازلة بالوحي - وسر التعريض هو الإشارة إلى كون تلك المصاحف والزبور والكتب العلوية مع كونها سماوية نازلة من الألواح القدرية التي هي محل الهندسة الايجادية والقابلة للمحو والسلب والإثبات والايجاب واللوح القدري الهندسي هو محل الإمكان والإحتمال والتجدد والسيلان بمحوه ماء تغيرات الاستعدادات المختلفة الكيانية و الإمكانات الهولانية والسوانح الإتفاقية في عالم البخت والاتفاق . و أما ذلك الكتاب الختمي فهو أم الكتب واللوح الكريم المحفوظ عن تطرق التصريفات والتصرفات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ [٤/٤٣] أي متقن محكم حكمه . ومساق كلامه هي هنا مرموز فيه أسرار وكنوز لا يحتملها إلا الأريب اللبيب . والحمل على ما يتراءى من ظاهر لفظه العامي محمل غير محتمل - فأحسن التأمل (\*) .

ص ٢٣٢ س ١٣ قوله : وهم المحبوبون - أقول : وبون بين السير المحبوبي والسير المحببي . فإن السير المحبوبي يصل بسالكة إلى كون مقامه عين الله الناظرة ، وأذنه الواعية . ويده العليا ، إلى غير ذلك من المعاني . وأما السير المحببي فيصل بسالكة إلى مقام قرب النوافل ، المعروف بـ « بي يبصر وبي يسمع » إلى آخره . والتفاوت بينهما كالتفاوت بين الأرض والسماء . (\*)

ص ٢٣٢ س ١٣ قوله : وأهل المشية الإلهية - أي الإلهية والألوهية المطلقة . ولا يتصور إلا باستجماع جميع الصفات العليا والأسماء الحسنی . ففيه إشارة ما إلى إمام أئمة الأسماء كلها ، وإمام الأئمة هو الحضرة الختمية لا غير وكتابها يكون

أم الكتب كلها . أي النور الذي به ومنه يتنوّز سائر الأنوار (...) وهو مجمع الكل ومرجعها - أحسن التأمل فيه (\*) .

ص ٢٣٢ س ١٨ قوله: نظير هذا المرام أي سر التفرقة بين الكلام والكتاب وكون القرآن قرآناً من جهة كونه كلام الله تعالى وفرقاً من جهة كونه كتاب الله سبحانه وسائر الكتب كتابيٌّ بحث لاحظ لها من الكلامية المطلوبة ههنا . والقرآن من حيث هو قرآنٌ سره من سر ختمية حضرة الخاتم عليه السلام . حيث كشف التفصيل في عين الإجمال ، وهو غاية الكمال (\*) .

ص ٢٣١ س ٩ قوله : وأما النكتة - بظاهره كأنه لا يلائم ما حقق قبيل هذا من قوله : «لأنه علوم برهانيات» . اللهم إلا [أن] يكون من تنمة قول «قيل» وبأبي عنه قوله : «أقول» . والتوجيه الموجّه هو كون نفي الرب ههنا انتفائه عن سائر الكتب أيضاً بمعناه العامي المعروف لا ينافي إثبات الرب لسائر الكتب على الوجه الخاص ، كما هو مقتضى قوله هنالك - فافهم (\*) .

ص ٢٣٤ س ١١ قوله : كالشمس - ينبغي أن يعم التمثيل بحسب يشمل بيان نور الوجود مع ظلمة الماهية . فإن [النور الفاضل عن شمس الحقيقة على هياكل الماهيات يلزمه و يتبعه تقرر الماهية ، كما تقرر في محله إن جعل الماهية تابعة لجعل الوجود بمعنى كونهها مجعولة بعين جعل الفعل ثانياً وبالعرض والنور فائضٌ عن الشمس وقائمٌ بها قيام صدور . فيكون منها ويرجع إليها . وأما الظلمة الظلية التابعة للنور فهي وإن كانت متقررة وقائمة بها ، لكنها ليست منها ولا راجعة فائضة عنها . وكذلك شأن القرآن وكونه هداية و هادياً في صدوره عن حضرة ذات الحق تعالى شأنه المسمى بالقرآن <sup>(كذا)</sup> يكون فائضاً عنه تعالى : قائماً به قيام صدور ، راجعاً إليه رجوع نور النير إليه .

وأما ضلالة من ضل بالقرآن واشتداد ظلمه وجهله وكفره وضلالته بالقرآن فهي أيضاً قائمة بالحق تعالى وتابعة لنوره النازل من عنده ، ومجعولة بعين جعله .

لكنها غير فائضة عنه ولا راجعة إليه . فإن حكمها حكم الماهية التي اجثت شجرتها الخبيثة من فوق الأرض فمالها من قرار . إذ الثبات والقرار والاستقرار هو من الحق الثابت أزلاً وأبداً والماهية كما تقرر - ليست من شؤون الحق . بل إن هي إلا حدود شأنه تعالى الطارية لمنازله ومراتبه النازلة . فهي راجعة إلى العدم الذي هو موطنه الأصلي عند رجوع نور الوجود إلى معدنه الذاتي وموطنه المحيط الكلي يوم ينفخ في الصور ، ويبعث من في القبور ﴿لَمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ومنزلة ظلمات الماهيات من مراتب أنوار الوجودات منزلة القبور لأرواح الأموات من الطيبين والطيبات .

فالمهم ههنا هو التفرقة بين القيام عنه ، وبين القيام به ، من دون عنه ومنه . ورعاية ضابطة « كل يرجع إلى أصله » . فاحتفظ به فإن فيه نوراً يستضيء به كل ظلمة وينكر به النكري والشيطنة (\*).

ص ٢٤٤ س ٣ كأنه يراد من الفطرة ههنا مبدء تأسيس بناء الكلام . فإن لكل بناء محكم يراد أن يستحكم أمره (...). أجزائه التي لا قرار ولا استقرار لها إلا على ذلك الأس ، ذاللائق النفسانية الشهوانية و البهيمية الحيوانية جلها بل كلها ملاك (...). مدار استقرارها واستمرارها غالباً إنما هو إدخار المال الدنياوية . فإن شجرة الخبائث النفسانية يكون (...). ونماؤها بماء الأجاج من الحرص . وأرض لزوجة البخل فسي الإدخار والامساك اللازم للإدخار . وقلع أصول تلك الشجرة الخبيثة لا يتيسر غالباً إلا ببذل المال وترك الإدخار والامساك . وهذا القلع (...). أرض القلب الإنساني عن المانع شاغل له عن قبول زرع بذر الإسلام وعن صلوحه لغرس شجرته الطبيعية التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها . فعلى النسخة التي وجدت فيها لفظة « الفطرة » الموجودة في أكثر النسخ يكون وجه كون الزكوة فطرة (ظ: فطرة) الإسلام أظهر و أوضح من أن يحتاج إلى البيان ويتضح بمزيد الاتضاح بالرجوع إلى ما أوضحنا سبيله وأقمنا دليله في كون الزكوة أس أساس الإسلام .



ص ٢٤٤ س ١٤ قوله : فلاشتمالها على الأذكار - إن الأذكار لهي الإدراكات الباعثة على الدواعي الحالية التي يبعث النفس على السبر و السلوك إلى جوار رحمته تعالى وهي الرحمة المكتوبة للاتقياء والأولياء الأصفياء . وبعبارة أخرى يبعث السالك على السبر من الخلق إلى الحق ، ومن الدنيا إلى الآخرة ، ومن الكثرة إلى الوحدة . و هيئات الخضوع و الخشوع الذين محصل معناهما راجع إلى اندك الإنية والأناية ظاهراً وباطناً إن هي إلا الحركة والخروج من الظلمات - أي ظلمات الشرك والضلالة - إلى عوالم الأنوار المترتبة من مراتب التوحيد<sup>كرو</sup>ات الأربعة المعروفة في عرف العلم والمعرفة . وهي مفاد « لا إله إلا الله » ثم « لا إله إلا هو » ثم « لا إله إلا هو<sup>كرو</sup> » كما تقرر كل ذلك في محله ...

ص ٢٦٤ س ١ قوله : و تصور العناية - أي مرادهم من العناية هي هنا نفس النظام الأحسن الأتم الأكمل السذي هو في غاية حسن النظام ، بحيث لا يشوبه شائبة من خلاف الحسن والتمام ، وهو العدل الذي به قامت السموات والأرضون ويحتمل غير بعيد أن مرادهم من العناية هي هنا العلم بذلك النظام العدل التام .

ص ٢٦٤ س ١٤ قوله : فإن إصلاح الجزء العملي - محصل ذلك الإصلاح يرجع إلى امتحان النفس ببناء التكليف ليتخلص من رين الغل والغش ، حتى يستعد لأن يتصور (...) شمس الحقيقة أو قمرها . والقمر هو كناية عن قلب العارف والشمس عن فؤاده .

ص ٢٦٤ س ١١ قوله : إن هذه السعادة لا يتم إلا بإصلاح الجزء العملي - كما قال عز من قائل : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [١٠/٣٥] وقال أيضاً : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ﴾ [٢/٢٨٢] و نظائرها من الآيات كثيرة و من الأخبار والآثار لا يكاد يحصي . والسرفيه هو كون عالم حقائق الأشياء كما هي من العلم بها ومن معرفتها علماً أو عيناً أو حقاً<sup>(سراً)</sup> إلا بعد خلع النعلين وطرح الكونين تنفاوت درجاتهما .

ص ٢٧٧ س ١٣ قوله : وكان في صلوته يرى من خلفه - كأنه كان يريد منه الإشارة إلى كون هيكل صلوته في عالم الملك و الشهادة من سنخ هياكل عبادات الأرواح العلوية السماوية و صور صلواتهم في هذا العالم . و سر ذلك هو صيرورة وجوده الجسماني المحسوس بالحواس الظاهرة ولا [سيما] في حال الصلوة من سنخ الأجرام العلوية النورية الفلكية . ولهذا صار ﷺ بجميع جهات بدنه العنصري المحسوس بحيث يحس أجساماً محيطاً بجملته الجهات كما هو شأن إحساس نفوس الفلكيات .

و أما قولنا « ولاسيما في حال الصلوة » فلأن صلوة المؤمن كانت معراجاً له . و هو ﷺ لما كان ختماً في الإيمان كان معراجه في الصلوة عاماً تاماً تماماً بحيث صار منزلة بدنه الشريف و عنضه اللطيف في حال صلوته منزلة الفلك العرشي فضلاً عما دونه من الكرسي الذي وسع السموات السبع و الأرضين . فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ص ٣٧٧ س ١٦ قوله : لعموم جدواها - يحتمل غير بعيد أن يرجع ضمير « جدواها » المجرور بالإضافة إلى أعداد صلواتنا . فإن قلة عددنا بتدارك بكثرة عددها . بل القلة الكمية بيننا إنما هي ملاك شدة الكيفية (...) من الكمية . أو الوجود كلما كان أجمع وأقل عدداً وعن الكثرة والتفرق أبعدها كان أكمل وأتم وأشد قوة . وذلك كما يشاهد من حال وجود السبع الشداد - فافهم .

ص ٢٧٨ س ٥ قوله : عن حضيض البرزخ الظلماني - يعني من عالم ظلمات الحس والمحسوس إلى عالم أنوار [ال]هقل والمعقول وهو عالم الأرواح والعقول عالم الألوهية والجبروت ، عالم الموطن الأصلي ، موطن أبينا المقدم .  
ص ٢٧٩ س ٦ قوله : وروح الصلوة ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فيكون صورة الصلوة منزلة صورة الإنسانية الجامعة بجوامع الصور النوعية بوجه أشرف ويكون منزلة روحها الذي هو ذكر الله و

معرفة الحاصلة لجوامع المعارف و مجامع حقائقها منزلته منزلة روح الأرواح الكلية الإلهية الذي قال ﷺ فيه : « أوتيتُ جوامعُ الكلمِ » و هو الحقيقة المحمدية البيضاء التي تنورت منها وبها . بل وعنهما ولها سائر الأنوار الإلهية - فضلاً عن الأنوار الأنفسية والآفاقية .

ص ٢٨٤ س ١٦ قوله : لا بشخصه - ناظر إلى الحديث القدسي المشهور في باب قرب النوافل ، حيث قال عز من قائل : « بي يبصروني بسمع » - الحديث ومقام آخر فوق مقام قرب النوافل ، حيث يصير العارف عين الله الناظرة وأذنه الواعية كما ورد في حق أئمتنا عليهم السلام .

ص ٢٨٧ س ٥ قوله : إلى مسلك آخر غير علم الكلام - محصل ذلك المسلك الآخر الذي هو مسلك أهل الله . وأهله هو كون شخص العبد وكون أسبابه المؤدية المتقررة إلى الغاية التي خلق العبد لأجله صالحاً وصالحاً لطرفي الكمال والتقبص والطاعة والمعصية فلولم يخلق شيء منها كذلك لاضطر العبد بأسبابه والموصلة له إلى الغاية فسي الوصول (...) الطاعة مالم يتمكن من السلوك إلى غيره و (...) لا يلزم كونه مطيعاً لأمر المولى سبحانه ومختاراً في طاعته وعبادته محبباً شائقاً بإرادته واختياره ، ساعياً في السلوك إلى قربه ليكون الأمر والنهي حينئذ منحصرين في التكوين الإضطراري والتكوينات الإضطرارية وبقيت حالة كلية الخلائق المختارين المطيعين أو العاصين في كتم العدم البحت غير مخرجين منه إلى فضاء نيل جود - الوجود . وقد علمت مراراً إن الغاية القصوى من خلق العالم إنما هو وجود الإنسان الكامل ...

ومن ههنا يظهر سر بعت الرسل و إنزال الكتب وسر التكاليف الشرعية ، وفائدة الأوامر والنواهي التشريعية ، ولولم يتمكن العبد العاصي وكذلك لولم يخلق شبهات سلوك العبد وسبيل الطاعة والمعصية . لبطل غاية تلك الأمور المعظمة الكلية الحكمية ، وبطل كلبسة خلق أنواع الموجودات و المخلوقات من السماويات و

الأرضيات والروحانيات والجسمانيات . وإلى ذلك السر الكاشف عن سر الحكمة البالغة ينظر قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [٢/٢٥٦] فالرزق الأصلي لم يخلق حراماً ، وإنما يصير حراماً بتصرف العبد فيه بعد اختياره . ولما مثل لحم الخنزير مثلاً فام بخالق رزقاً ، بل خلق لحكم آخر يتصرف العبد فيه لسوء اختياره ويجعله غذاء لنفسه .

فانضح غاية الاتضاح إن تأدية [١] أسباب القدرية حسب استحقاق العبد واستعداداته الكسبية له إلى خلقه الرزق بحرام وأمثاله من سائر أسباب المناهي والمعاصي لم يخلق أولاً وبالذات أسباباً مؤدية إلى المعصية . بل إنما خلق لصلوح وإصلاحها وبذلك الصلوح يتمكن العبد عن المعصية بإرادته وسوء إختياره .

ص ٣٠٥ س ١٨ قوله : وبين الماء - والظاهر ان لفظ الماء ههنا تصحيف من الهواء كما هو ظاهر سياق كلامه قدس سره . وعلى صحة نسخة الماء ينبغي أن يوجه بما وجهنا في الحاشية .

ص ٣٠٥ س ١٩ قوله : وفيها يتولد درجات الجن والشياطين - ظاهر هذه العبارة صريحها وصريح ما سبق منه ، فيه كون عالم الجن والشياطين من عالم الملكوت الخيالي المثالي الصوري المجرد المرتفع عن المادة الهولانية العنصرية وعن عالمها رأساً . وهذا يؤذن بكون الجن والشياطين (...) على تبديل هياكلهم و تغيير أبدانهم وعلى التشكل بأي شكل يريدون . هذا ، ولكن ظاهر الآثار النقلية قد يتراءى منه كونهم مخلوقة مفطورة على الطبيعة العنصرية المعروفة بغلبة العنصر الناري الدخاني على البواقي ، بخلاف سائر الحيوانات الحيوانية والإنسانية فإنها مفطورة على غلبة العنصر البراني (ظ: الترابي) والموضع محل تأمل لا يسع المجال حتى بيانه واحقاق الحق كما هو شأنه .

ص ٣٣٧ س ١٨ قوله عليه السلام : لا تقل بقول القدرية - الظاهر إن مراده من القدرية المجبرة القائلون بالقدر و باستقلال القدر . و يحتمل الحمل على القول

بالتفويض من القائلين بكون العبد قادراً مختاراً مستقلاً . و هذا الاحتمال أنسب بالمقام الذي هو الاحتجاج على المفوضة . لكل وجه هبهنا .

ص ٣٣٨ س ١ قوله : علينا شقوتنا - يعني إن قضائه تعالى وتقديره على حسب استحقاقنا مما نحن عليه .

ص ٣٣٨ س ٨ قوله : اعز من ذلك - أي أقهر من ذلك . القاهر محيط .

ص ٣٣٨ س ١١ قوله : جعل فيك - « بحول الله و قوته أقوم وأقعد » هذا هو المنزلة بين المنزلتين . وهو الجمع بين الطرفين من جهة واحدة لا من جهتين حتى يلزم كون العبد شريكاً له تعالى - فافهم .

ص ٣٥١ س ٦ قوله : والمتحتم تحكم بوجود السعداء - فاعل « يثبت » قوله « والمتحتم » صفة للقضاء .

توهرنيك وبدى بينى مزن دم كه هم ابليس مى بايد هم آدم

ص ٣٥١ س ١٣ قوله : يضرب الخاتم عليه - الظاهر أن يكون « يضرب » بصيغة المضارع . وأن يكون خبراً للمبتدأ ، الذي هو الشيء - فافهم .

ص ٣٥٢ س ١ قوله : جبلية - أي فطرية ، فطرة الله تعالى عليها . ولكن ذلك يجب أن يعتبر على وجه يجتمع مع كون المجهول فاعلاً مختاراً في صيرورته كافراً مشركاً أو مؤمناً موحداً . فالمراد من كونها جبلية غلبة جهة الميل الذاتي إلى أحد طرفي المتقابلين على جهة الميل إلى الآخر . وذلك كالعصمة في فطرة الأنبياء والأولياء المعصومين عليهم السلام من الخطأ . و ظاهره ان فطرة العصمة لا تخرجهم من الفطرة ( ظ : فطرة ) الاختيار إلى الاضطرار في طاعة الله تعالى وعبادته وعبوديته جل وعلا - فأحسن التأمل حتى لاتضل .

### فهرس المواضيع

١	المقدمة
٤	تفسير الاستعازة .
٥	ماهية الاستعازة وما يلتصق بها .
٧	وجوب الاستعازة دائماً .
٨	لزوم الاستعازة .
٩	المستعاذ به .
١٢	انتهاء مقام الاستعازة .
١٣	المستعبد .
١٤	المستعاذ منه .
١٧	أعظم ما يستعاذ منه .
٢٢	كيف تصح الاستعازة على مذهبي الجبر والقدر؟
٢٤	تيسير الاستعازة لهذه الأمة .
٢٦	نكتتان في الاستعازة .
٢٨	قوله عز وجل : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٢٨	درجات المفسرين وأقسامهم .

٣٧	وصايا المؤلف لقارئ كتابه .	٣٢
٨٧	الاسم .	٣٢
١٨	اسم الله تعالى .	٣٤
٢٨	هل لاسم الجلالة حد ؟	٣٧
٢٨	العبد الحقيقي هو الإنسان الكامل .	٤٠
٢٨	نسبة اسم «هو» إلى «الله» .	٤٢
٢٨	اختصاصية اسم «هو» .	٤٣
٥٨	المواظبة على ذكر «هو» .	٤٥
٢٨	الذكر أشرف مقامات السالك .	٤٦
٨٨	رد مقاله الغزالي والفخر الرازي .	٤٨
٨٨	الوجود هو المجمعول بالذات .	٤٩
١٥	استحالة كون الماهية أثر الجاعل .	٥٢
٢٥	أجوبة عن الشكوك الواردة على إصالة الوجود .	٥٥
٢٥	رد مذهب ذوق التأله .	٥٨
٨٤	إشارة إلى لمعة من لوازم علم التوحيد الخاصي .	٦٢
٢٠١	الباري هو الحق وما سواه باطلٌ دون وجهه .	٦٣
٢٠١	الرحمن والرحيم .	٦٥
١١١	تقديم الرحمن على الرحيم .	٦٧
٢١١	اتصافه تعالى بالرحمة .	٦٨
٢١١	رحمته تعالى الموجود في غضبه .	٧٠
٢١١	قوله جل اسمه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	٧٣
٧١١	معنى الحمد .	٧٣
٨١١	حقيقة الحمد .	٧٤

معنى : «الْحَمْدُ لِلَّهِ» .	٧٦
قوله جل اسمه : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .	٧٨
العالم دائم الحدوث .	٨١
قوله جل اسمه : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .	٨٢
قوله عز وجل : ﴿ مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .	٨٣
انه تعالى مبدع الأشياء ومكونها.	٨٤
اختصاص يوم القيامة بذكر الملك فيه .	٨٥
قوله جل اسمه : ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .	٨٧
وجوه في تقديم « اياك نعبد » .	٨٨
سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب .	٨٨
سر تقديم « اياك نعبد » .	٩١
إشارة إلى السفر الثالث من الأسفار السلوكية .	٩٢
سر تقديم العبادة علي الاستعانة .	٩٦
قوله جل اسمه ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٩٨
الصراط ومرور الإنسان عليه .	١٠١
الإنسان أشرف الخلائق .	١٠٦
حركة الكل إليه تعالى .	١١٠
الصراط واستقامته .	١١١
للإنسان حركتان ذاتية وإرادية	١١٢
من أين السعادة والشقاوة ؟	١١٦
سبب تفاوت النفوس .	١١٧
فائدة التكليف والدعوة .	١١٨
لماذا وقع التفاضل ؟	١١٩



الصراط في الدنيا والآخرة.	١٢٢
معنى كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف.	١٢٣
قوله جل اسمه : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	١٢٤
أقسام الخيرات والنعم .	١٢٦
مجامع النعم .	١٢٨
مراتب الهداية .	١٣١
ذكر بعض النعم .	١٣٣
قوله جل اسمه : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	١٤٢
لمية وجود السعادة والشقاوة وأهلها.	١٤٥
لاموثر في الوجود إلا الله تعالى .	١٤٧
مظاهر الرحمة والغضب .	١٤٩
مراتب غضبه تعالى .	١٥٧
نبذ من فضائل سورة الفاتحة.	١٥٩
جامعية سورة الفاتحة لأهم المعارف.	١٧٠
نظم هذه السورة وترتيبها .	١٧٢
منهج آخر في نظم السورة .	١٧٤
ثلاثة وجوه في تأويل السورة.	١٧٦
* * *	
تفسير سورة البقرة	١٨٥
المقدمة	١٨٧
تشابه النفس الإنساني والنفس الرحماني .	١٩١
نبذ من أسرار الحروف .	١٩٤
الألف وأسرارها .	١٩٧

٢٢١	الروح البخاري مثال للعلماء.	١٩٩
٢٢١	الإشارة إلى الحروف المقطعة في أوائل السور.	٢٠٠
٢٢١	رد القول بعدم إمكان فهمها.	٢٠٥
٢٢١	الأقوال في تفسير فواتح السور.	٢١٠
٨٢١	تفسير فواتح السور حسبما قاله الشيخ الرئيس.	٢١٥
١٦١	مراتب الوجود.	٢١٨
٢٢١	دلالة الحروف على مراتب الوجود.	٢١٩
٢٢١	إعراب فواتح السور.	٢٢١
٥٣١	قوله جل اسمه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَآرِيبَ فِيهِ﴾	٢٢٥
٧٣١	أسامي القرآن.	٢٢٧
٢٥١	في اتصال ﴿الْم﴾ بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.	٢٢٨
٧٥١	في قوله تعالى: ﴿لَآرِيبَ فِيهِ﴾.	٢٢٩
٢٥١	قوله جل اسمه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.	٢٣٢
٠٧١	الهداية وكون القرآن هدى.	٢٣٣
٢٧١	التقوى.	٢٣٥
٢٧١	التقوى في الكتاب والسنة.	٢٣٧
٢٧١	إعراب ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٢٤١
٥٨١	قوله جل اسمه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٢٤٣
٧٨١	التقوى والمتقين.	٢٤٤
١٨١	الايان والأقوال في ماهيته.	٢٤٥
١٨١	تحقيق في ماهية الايمان.	٢٤٩
٢٨١	تكميل فيه دفع.	٢٥٧
٧٢١	الايان الحقيقي وأساميتها في الشرع.	٢٥٩

٢٦٦	المراد من الغيب .	٢٦٥
٢٦٧	توجيهات عقلية .	٢٦٧
٢٦٧	قوله جل اسمه: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾	٢٧٠
٢٧٠	معنى الصلوة واقامتها .	٧٠
٢٧٧	أهمية الصلوة .	٢٨٤
٢٧٧	مكاشفات عقلية متعلقة بأسرار الصلوة .	٢٧٥
٢٧٧	لمية وجوب الصلوة مطلقاً بوجهه عقلي .	٢٧٧
٢٧٧	لمية وجوب الصلوتين. القلبية والقلبية .	٢٧٨
٢٨١	سر الصلوة وروحها .	٢٨١
٢٨٦	قوله جل اسمه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٢٨٦
٢٨٨	نكات في هذه الآية .	٢٨٨
٢٨٩	الرزق من الله تعالى .	٢٨٩
٢٩٠	حكاية في هذا الباب .	٢٩٠
٢٩١	أقسام الرزق .	٢٩١
٢٩٣	قوله جل اسمه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	٢٩٣
٢٩٤	المراد بـ «ما أنزل إليك» .	٢٩٤
٢٩٥	كيفية إنزال الوحي على الأنبياء .	٢٩٥
٣٠٢	فصل مشرفي متعلق بقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٣٠٢
٣٠٨	احتجاجات الوعيدية والمرجئة بهذه الآية .	٣٠٨
٣٠٩	هل توجب الكبيرة الخلود في النار؟	٣٠٩
٣١٠	قوله جل اسمه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾	٣١٠
٣١٨	تحقيق في ماهية الكفر .	٣١٨
٣١٣	الأقوال في حدوث كلامه تعالى .	٣١٣

٣١٢	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ .	٣١٢
٣١٥	الفعل لا يخبر عنه .	٣١٥
٣١٧	التكليف بما لا يطاق .	٣١٧
٣٢٠	الجبر والتفويض .	٣٢٠
٣٢٣	رد احتجاجات المجبرة .	٣٢٣
٣٢٨	توضيح الفرق بين المجبرة والقائلين بالتوحيد الأفعالي .	٣٢٨
٣٣٠	فيما يرد على المفوضة .	٣٣٠
٣٣٦	علمه تعالى وقضائه .	٣٣٦
٣٣٩	اختيارنا في أفعالنا .	٣٣٩
٣٤٠	لمية التكليف .	٣٤٠
٣٤٢	لاجبر ولا تفويض .	٣٤٢
٣٤٤	بماذا يتفاضل السعيد على الشقي ؟	٣٤٤
٣٤٦	لماذا الثواب والعقاب ؟	٣٤٦
٣٤٧	مسألة الخلود في النار .	٣٤٧
	قوله جل اسمه : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ .	
٣٥١	الختم وقول الأشاعرة فيه .	٣٥١
٣٥٢	أقوال المعتزلة في الختم .	٣٥٢
٣٥٥	﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ...﴾	٣٥٥
٣٥٧	السمع والبصر أيهما أفضل ؟	٣٥٧
٣٥٨	شرافة السمع على البصر .	٣٥٨
٣٦٠	القراءة واللغة .	٣٦٠
٣٦١	عذاب الكفار وخلودهم في النار .	٣٦١
٣٦٧	قول ابن العربي بانتهاء مدة العقاب .	٣٦٧

- ٣٧٥ احتجاجات القائلين بالخلود في النار .
- ٣٧٨ قوله جل اسمه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا... ﴾ .
- ٣٧٨ أصناف الناس في الآخرة .
- ٣٨٢ المنافق والكافر أيها أسوء حالاً ؟
- ٣٨٥ المقصود من المنافق .
- ٣٨٦ « بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ » لماذا خص بالذكر ؟
- ٣٨٧ اليوم والليلة .
- ٣٨٨ قوله جل اسمه : ﴿ بِخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ .
- ٣٨٨ المراد من المخادعة.
- ٣٩٠ دواعي المنافقين لمخادعة المؤمنين .
- ٣٩١ كيف يخدع الإنسان نفسه ؟
- ٣٩٥ قوله جل اسمه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا... ﴾ .
- ٣٩٦ مقايسة بين مرض البدن ومرض القلب .
- ٣٩٨ مبدء الخير والشر .
- ٤٠١ ما هو الإختيار ؟
- ٤٠٣ التوحيد الأفعالي .
- ٤٠٦ الجواب عن احتجاجات المعتزلة .
- ٤٠٨ تأويلات المعتزلة .
- ٤١١ قوله تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ .
- ٤١٢ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾ .
- ٤١٢ المراد من الفساد في الأرض .
- ٤١٣ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ .
- ٤١٥ قوله جل اسمه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ... ﴾ .

٤٧٢	الجهال المنتسبون إلى العلم .	٤١٥
٨٧٢	قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمَنُوا كَمَا آمَنَ ... ﴾ .	٤١٨
٨٧٢	قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذِ الْقَوْمِ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا ... ﴾ .	٤٢٤
٢٨٢	حشر المنافقين إلى عالم الشياطين .	٤٢٨
٥٨٦	في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ .	٤٣٠
٩٨٢	قوله جل اسمه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴾ .	٤٣٠
٢٨٢	قوله جل اسمه : ﴿ اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .	٤٣١
٨٨٢	لمية أخذ المنافق .	٤٣٢
٨٨٢	قوله جل اسمه : ﴿ وَيَمْدُهُمْ فِي طَعْنَانِهِمْ يَعْهَوْنَ ﴾ .	٤٣٥
٤٢٢	قول المعتزلة في تفسير الآية ، والابرادات الواردة عليه .	٤٣٦
١٢٢	نسبة الخير والشر إلى الله أو إلينا؟	٤٤٠
٥١٢	لامؤثر في الوجود إلا الله تعالى .	٤٤٢
٢١٢	قوله جل اسمه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ ... ﴾ .	٤٤٥
٨٤٢	* * *	
١٠٢	تعليقات الحكيم الإلهي المولى علي النوري قدس سره .	٤٤٩
٢٠٢		
٢٠٢		
٨٠٢		
١١٢		
٢١٢		
٢١٢		
٢١٢		
٥٢٢		

١٨١	... عيال بقا... منسوخاً منسوخاً... بيها... انزل	
٧٧	... اذات... وا... ان... ان... ان...	
١٣٦-١٣٧	... ان... ان... ان... ان... ان...	
١١١-١١٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	
١٠٥	... ان... ان... ان... ان... ان...	
٢١	... ان... ان... ان... ان... ان...	
٦	... ان... ان... ان... ان... ان...	
٠٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	
٥١	... ان... ان... ان... ان... ان...	الأئمة من قريش . ١٣٠
٢٥١	... ان... ان... ان... ان... ان...	ابشر بنورين او تيتهما لم يؤتتهما نبيُّ قبلك ... اننا انما...
٢٠٣	... ان... ان... ان... ان... ان...	أتظن ان الذي نهالك دهالك؟ انما دهالك... ان... ان...
٢٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	[أجبر الله العباد على المعاصي؟] قال النبي: لا... ان... ان...
٠٧١	... ان... ان... ان... ان... ان...	أجل يا شيخ! ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد... ان... ان...
٢٥١	... ان... ان... ان... ان... ان...	أحببت من دنياكم ثلاثاً... ان... ان... ان...
١٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	احتج آدم وموسى عند ربهما، فحج آدم موسى... ان... ان...
٨٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه... ان... ان...
١٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	أحياناً يأتيني مثل سلسلة الجرس وهو أشد... ان... ان...
٣٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	أخوف ما أخاف على أمتي منافق القلب عليم اللسان... ان... ان...
٢٨٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا . ٩٠
٨٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	إذا خلق خلقاً للخلافة مسح بيمينه على ناصيته . ١٠٧
١٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب... ان... ان...
٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	إذا ذبحت فاحسن الذبحة، وإذا قتلت... ان... ان...
١٢٢	... ان... ان... ان... ان... ان...	إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي... ان... ان...

- ١٨١ إذا قال العبد: «سَمِعَ اللهُ لَمَنَ حَمَدَهُ» نظر إليه...
- ٧٧ أربّ غنم أنت، أم ربّ إبل؟
- ٦٩١-٣٣١ اعلّموا علماً يقينياً ان الله لم يجعل للعبدين...
- ٣٣١-١١٩ اعملوا، فكل ميسّر لما خُلق له.
- ٥٠١ أعوذ بعفوك من عقابك
- ١٢ أعوذ بك منك.
- ٩ أعوذ بكلمات الله
- ١٠ أعوذ بكلمات الله التامات...
- ١٥ أعوذ بوجه الله الكريم و...
- ١٥٢ أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء...
- ٤٠٦ أصدق بيت قاله شاعرٌ قول لبيد...
- ٢٩٧ أطلت السماء وحق لها أن تئط...
- ١٣٠ اطلبوا الخير عند حسان الوجوه...
- ١٥٣ ألم تعدني يارب انك لاتعذبهم وأنا فيهم.
- ٣٢٦ الله تعالى أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذبهم...
- ٣٣٨ الله أعزّ من ذلك...
- ٣٢١ اللهم أرنا الأشياء كما هي.
- ٢٤ اللهم إني أعوذ بعفوك عن عقابك...
- ٤٨٤ إلهي لك وحدانية العدد.
- ٣٦٨ أليست نفساً؟
- ٣٩١ أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا...
- ٢٤ إن إبليس لعنه الله كان له فيما مضى الولوج...
- ٣٣١ إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم...



- ٢٨٥ إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحبب الدنيا...<sup>١</sup>
- ٢٤٥ إن الايمان هو التصديق بالقلب والإقرار...
- ٣٧٤ إن بعض أهل النار يتلاعبون فيها بالنار.
- ٧١ إن الخير كله بيدك، والشر ليس إليك.
- ١٢٣ إن الصراط يظهر يوم القيامة منه للأبصار...
- ٢٨٨ إن علماً لا يقال ، ككنز لا ينفق .
- ١٦٩ إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب ...
- ٤٢٢ إن كان ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا...
- ٣٩٠ إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة ...
- ١٠٧ إن الذي باشر الحق سبحانه ايجاده أربعة ...
- ٧٠ إن لله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ...
- ٣٤٣ إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه ...
- ١٥٣ إن الله جميل بحب الجمال.
- ١٨٧-١٠٧ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن .
- ١٥٨-٣٧٠ إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله...
- ١٦٨ إن الله عز وجل قال: يا محمد ولقد آتيناك سبعاً...
- ١٥٨ إن الله لم ينظر إلى الأجسام منذ خلقها.
- ٢٠٠-٦٠٧ إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب...
- ٤٠٦ إن ملك الموت وملك الحياة تناظرا ...
- ٣٣٦ إن مما اوحى إلى موسى وأنزل عليه ...
- ١٧٩ إن المنبت لأرضاً قطع ولاظهوراً أبقى.
- ٢٠٨ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا ...
- ١٠٩ إن الموت ينتقي خيار الناس .

٥٨٦	إنما الأعمال بالنيات.. أ	٤٧٨
٥٣٦	إنما يعرف الله بالله...	٥٠٠
٣٧٦	إنها (الرؤيا الصالحة) جزء من ستة وأربعين...	٣٠٦
١٧	إنه ليس شيء فيه قبض أو بسط مما أمر الله...	٣٣٢
٢٢١	إنه (ملك الأرحام) يدخل الرحم فيأخذ النطفة...	٤٠٥
٨٨٢	إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً...	٢٠٧
٢٢١	إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن.	١٩٤
٢٢٢	إني وجدت لذة غريبه في ليلتي هذه.	٢٨٣
٠٨٢	الإنسان أعجب موجود خلق.	١٠٨
٧٠١	اهتز عرش الرحمن لموته.	١٠٩
٠٧	أوتيت جوامع الكلم.	٥١١-٥٠٥
٢٢٢	أول رسول الله صلى الله عليه وآله اللبن بالعلم.	٢٩١
٢٥١	إياكم وخضراء الدمن.	١٣٠
٧٨١-٧٠١	أيد لك على الطريق وبأخذ عليك المضيق؟	٣٢٥
٨٥١-٠٧٢	أيما مسلم قرء فاتحة الكتاب أعطي من الأجر...	١٦٨
٨٤١	الإيمان سر والإسلام علانية.	٢٥٢
٨٥١	الإيمان قولٌ مقولٌ وعملٌ معمولٌ.	٢٤٥
٠٠٧-٧٠٢	باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء.	٣٣
٢٠٣	بعثت بالشرعة السهلة السمحاء.	٢٧٧
٤٣٢	بنا يعرف الله.	٤٩٩
٢٧١	بي يبصر وبي يسمع.	٥١١
٨٠٢	تجلى للأوهام وامتنع بها عنها.	٢٧٩-٤٩٦
٢٠٢	تخيروا لنظفكم.	١٢٠
٢٠٢	التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك...	٢٣٨

- ٤٤٩ التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره .
- ١١٩-٣٣١-٣٤٢ جفّ القلمُ بما هو كائن .
- ١٥٣ حفّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .
- ٢٢٤ حم لا ينصرون .
- ٧٣ الحمد رأس الشكر .
- ٤٢ خطّ ( رسول الله ﷺ ) خطأ مستقيماً ، ثم خط ...
- ٤٥٧ داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء ...
- ٢٢٩ دع ما يريك إلى ما لا يريك .
- ١١٩ الدواء والرقية أيضاً من قدر الله .
- ٣٠١ رأى رسول الله ﷺ جبرئيل بصورته الحقيقية ...
- ٤٦٧ رضى بقضائه وتسليماً لأمره .
- ٢٢٤ الزكوة قنطرة الإسلام .
- ١٥٢ سبحان من اتسعت رحمته لأولياته في شدة ...
- ٣٧٥ سيأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير .
- ٣٩٠ سيكون بعدي أثره ...
- ٣٢٤ سيكون في أمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم ...
- ١٥٨-٧١ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ...
- ٩٩ الصراط المستقيم كتاب الله .
- ٢٧٦ الصلوة إلى الصلوة كفارة ما بينهما من الصغائر .
- ٢٧٧ صلوا كما رأيتموني أصلي .
- ٢٨٢-٢٤٤ الصلوة عماد الدين .
- ٢٨٢-١٦٨ الصلوة معراج المؤمن .
- ٢٥ الصوم جنة من النار .

٢٥	ضيقوا مجاري الشيطان بالجوع .
١٨٢	الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك... .
٢٧٨	علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل .
٢٠٧	عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم... .
١٩٧	في الألف ستّ صفات من صفات الله عزوجل... .
١١٩-٣٤٢	في أمر مفروغ منه وفي أمر مستأنف.
٧٤	فيلهمني الله محامداً أحمده بها ...
١٠٥	قسمتُ الصلوة بيني وبين عبدي ...
٣٣٣	قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض... .
٣٤٣-٣٢٤	القدرية مجوس هذه الأمة.
١٩٩	كان ربنا قبل أن يخلق الخلق في عماء ...
٢٧٢	كان يصلي رسول الله ﷺ وفي صدره أزيز... .
١٨١	كل أمرذي بال لم يبدء فيه باسم الله فهو أبتر.
٢٧٥	كلكم ضال إلا من هديته، فاسئلوني أهدكم... .
٣٢٥	كلما استغفرت الله منه فهو منك وكلما حمدت... .
٣٥٧	كلوا في بعض بطنكم.
٣٩٠	كيف أنتم وأئمة من بعدي ستأثرون بهذا الفيء... .
٤٠	كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه... .
٣١	كل مولود يولد على الفطرة... .
٢٩٧	الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر .
٢٨٧	لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة... .
٧٤	لا أحصى ثناء عليك . .

- ٣٢٤ لا بد أن يكون المعصية من العبد...
- ٢٤٠ لا تحتج عليهم بالقرآن ، فإنه حمال ذو وجهين .
- ٤٠١-٣٤٣ لاجبر ولا تفويض ، بل أمرٌ بين أمرين .
- ٣٤٤ لاجبر ولا قدر ، ولكن منزلة بينهما فيها الحق .
- ١٢٨ لا عيش إلا عيش الآخرة .
- ٢٣٦ لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به...
- ٢٤١ لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس ...
- ٣٣٢ لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال ...
- ٣٣٢ لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع ...
- ٣٢٤ لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً .
- ٢٠٥ للعلماء سرٌّ ، وللخلفاء سرٌّ ، وللأنبياء سرٌّ ...
- ٢٥٥ لكل حق حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟
- ٤٦٦ له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ...
- ٣٠٥ لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء .
- ٣٢٥ لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزر ...
- ٢٤٨ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ...
- ٣٧٥ ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد ...
- ٧٦ لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملك مقرب ...
- ٣٣٣ ليعد كل صلوة صلّوها خلفه .
- ٢٥٣ ليس الدين بالتمني .
- ٣٢٦ ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعله ...
- ١٥٢ ما اودى نبيٍّ مثل ما اوديت .
- ١٥٩ ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددني في قبض ...

٢٠٧	ما شكر الله من لم يحمده .	٧٣
٢١٧	ما من قبض وبسط إلا والله فيه مشيئة وقضاء و ...	٣٣٢
٢٥٦-٢٥٧	ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني ...	٤٦٤-٨١
٢٥٧	محو الموهوم وصحو المعلوم .	٤٩٦
٨٢٢	المصلي مناخ ربه .	٢٨٣-٢٧٩
٢٧٢	من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ...	٢٣٨
١٩٢	من أحب كريمناه لا يكتبين بالعصر .	٣٥٨
٢٧٢	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .	٤٦
٢٣٧	من أطاعني فقد أطاع الله .	١٩٤-٧٦
١٦٧	من بارز ولياً فقد بارزني، ومن عاداه فقد عاداني .	٣٨٩
٥٠٢	من ذكرني في ملاذكرته في ملائخير من ملائه ...	١٨٠
٤٥٢	من رآني فقد رأى الحق .	٤٦٩-٤٦٢-٣٨٩-١٩٤
٢٤١	من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب ...	٣٣٨
٥٠٧	من عرف نفسه فقد عرف ربه .	٤٩٥
٥٧٦	من قرء حرفاً من كتاب الله فله حسنة ...	٢٠١
٨٩٢	من كان لله كان الله له .	٧٦
٥٧٢	من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار .	١٧٦
٢٧	من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء .	١٦٨
٢٧٦	من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ...	٣٣٦
٢٧٦	المنزل عليه (رسول الله صلى الله عليه وآله) تسعة وعشرين حرفاً .	١٩٥
٥٢٧	منهومان لا يشبعان : منهوم العلم ومنهوم المال .	٨
٢٥٦	الناس أبناء ما يحسنون .	٣٠٥
٢٥٦	الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .	١٠٨-٣٤٥

١٥٣	نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء في الدنيا .	٨٥١
٢٩١	نفث روح القدس في روعي ان نفساً لن تموت ...	٢٨١
٤٩٨	الهاء في اسم هو تثببت الثابت .	٢٠٤
٣٤٢	هل يغني الدواء والرقية من قدر الله ...	٨٥٢
٣٣٣	هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة ...	١٧٧
٣٧٨	هؤلاء خلقتهم للنار ولا أبالي ...	١٥١
١٦٨	هي (فاتحة الكتاب) شفاء من كل داء .	٢٧٣
٣٣٢	واعلم إن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ...	٢٧٧
٤٥٤	وألقى في هوياتها مثاله .	
٣٦٧	وأما أدل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ...	
١٦٨	والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة والإنجيل ...	
٤٥٣	وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة .	
٩	وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل عن غيري ...	
٤٥٤	وفي كل شيء له آية ...	
٢٥	ونوراً في شعري ونوراً في دمي ...	
١٣٥	ويل لمن قرء هذه الآية ثم مسح بها سبلته .	
١٦٨	يا جابر ألا اعلمك بفضل سورة أنزلها الله؟ ...	
٢٨٤	يا داود إن أدني ما أصنع بالعالم إذا كثرت ...	
٣٧١	يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وإنسكم ...	
٣٠٣	يا عجباً كل العجب من الشاك في الله ...	
٤٥٨-٤٦٠	يا على أنا وأنت أبوا هذه الأمة.	
٢١٠	يا كهيعص . يا حمعسق .	

يا محمد ﷺ ما تركت لغضب ربك شيئاً.	١٥٨
يا موسى خالف هواك فإنني ما خلقت خلقاً...	١٨٣
يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة...	١٠٦
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة...	٢٥٨
يسلك بالسعيد طريق الأشقياء حتى يقول...	٣٣١
يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن...	١٥٠
يغني الله كلاً من سعته.	٤٦٦
يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي...	٣٢٤



## فهرس الأعلام

- آدم: ١٧-٢٧-٧٠-١٣٠-١٥١-١٩٥  
 ٢٦-٢٦٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥  
 ٤٥٢-٤٦٠-٤٨٩  
 آل البيت: ٣١٣  
 آل محمد: ٤٦٩-٤٧٥  
 الأئمة، أئمتنا: ١٠٠-٤٩١-٤٤١  
 ابراهيم: ٤-٧٤-٤١١ = خليل الله  
 ابراهيم بن آدم: ٢٣٨  
 ابلّيس: ١٧-٢٤-٧٠-١٤٨-٣٢٧  
 ٣٣٧-٣٩١-٤١٩-٤٢٠-٤٢٢  
 ٤٥١  
 ابن أبي عبله: ٣٥٧  
 ابن جنّي: ٢٠٢  
 ابن الزبير: ٤١  
 ابن عباس: ١٠٠-١٢٥-١٦٩-٢٠٥  
 ٢١٠-٢١١-٢١٤-٢٥٢-٢٣٨  
 ٢٣٩-٢٦٨-٣٨٤-٤١٢-٤٣٢  
 ابن عيلة: ٧٤  
 ابن سلام: ٤١٩  
 ابن سينا: ٢١٥ = صاحب الاشارات  
 = صاحب الشفاء  
 ابن كثير: ٩٨-١٤٢-٣٩٢-٤٣٥  
 ابن محيص: ٤٣٥  
 ابن مسعود: ١٠٠-١٢٥-٢٠١-٢٦٨  
 ٢٦٩-٣٧٥  
 أبو بصير: ٣٣٨  
 أبو بكر الزهري: ٢١٢  
 أبو جهل: ٣١٠  
 أبو حامد الغزالي: ٣١ = الغزالي  
 أبو الحسن الأشعري: ٢٤٧-٤٠٤ = الأشعري  
 أبو الحسين البصري: ٢٨٦-٣٢٠  
 أبو حنيفة: ٢٤٧-٣٢٤-٣٢٥  
 أبو الدرداء: ٢٦١  
 أبو ذر (ره): ١٣٦-٣٩٠  
 أبو ذؤيب: ٧٨  
 أبو زيد: ٢١١  
 أبو الشعثاء: ٢٣٠  
 أبو صالح: ٢١٠  
 أبو ظبيان: ٢٠٥  
 أبو العالية: ٢١١-٢١٢-٢١٤  
 أبو علي الجبائي: ٨٥-٢٤٦-٣٢٠-٣٥٥  
 أبو علي النحوي: ٢٠١  
 أبو عمر: ٣٩٢  
 أبو عيسى الترمذي: ٢٠١  
 أبو الفتح البستي: ٣٨٤  
 أبو لهب: ٣١٠  
 أبو مسلم الاصفهاني: ٢٦٥-٤٣٦  
 أبو هاشم: ٢٤٦-٣٢٠  
 أبو الهذيل: ٢٤٦  
 أبو ياسر بن أخطب: ٢١١  
 أبو يزيد: ٢٤٥  
 أبو يزيد البسطامي: ٨١-٨٢  
 أبي بن كعب: ١٦٨  
 أتباع الرواقيين: ٥١

- أخبار اليهود : ٣١٠-٣١٣  
 أخفش : ٢١١-٢١٣  
 أرسطو : ٣٥٧-٣٩٩  
 أساطين الحكمة : ٤٦٧-٤٧٠  
 إسحاق بن محمد : ٣٣٦  
 إسرائفيل (ع) : ٥٠٢  
 إسكندر الرومي : ٣٩٩  
 إسماعيل (ع) : ٢٢٦  
 إسماعيل بن مسلم : ٣٣٣  
 الأشاعرة : ٣١٣-٣١٨-٣٣٠-٣٥٣  
 ٢٩٦-٣٦٥-٤٠٠-٤٠٤-٤٤١  
 ٤٤٢-٤٦١-٤٨٣  
 بعض الأشاعرة : ٢٨٧  
 الاشراقيين : ٧٨  
 أصحاب الأشعرى : ١٤٦  
 أصحاب البحوث : ٣٢١  
 أصحاب التوحيد : ٢٦٢  
 أصحاب ذيمقراطيس : ١٤٦  
 أصحاب العدل : ٢٦٢  
 أصحاب عيسى : ١٢٥  
 أصحاب الفراسة : ١٢٩  
 أصحاب موسى : ١٢٥  
 أصحابنا : ٢٦٨-١٠٠  
 الأصم : ٢٢٦-٤١٣  
 الاطباء : ٢٦٢  
 أفلاطن : ٢٧٤  
 بعض الأكابر : ٢٠٦  
 أكابر الحكماء : ١٩٢  
 أكابر العرفاء : ٣٢٧  
 أكثر المتكلمين : ٢١٠  
 أكثر المفسرين : ٩٩-١٤٢-٣٥٦  
 أمير المؤمنين (ع) : ١٥٢-١٦٨-٢٠٠  
 ٢٠٧-٢١٠-٢٣٨-٢٣٩-٢٩١  
 ٣٠٥-٣٢٥-٣٣١-٣٣٧-٤٢٠
- أمير المؤمنين (ع) : ٤٣٨-٤٥٣-٤٥٤  
 ٤٥٨-٤٦٠-٤٧٩-٤٩٦  
 الأنباري : ٣١٠  
 الأنبياء : ٢٩٥-٢٣٢-٣٧٠  
 أهل الارتياح : ٦٩  
 أهل الاسلام : ٣٦١  
 أهل الله : ٣٢٨-٤٤٠  
 بعض أهل الله : ٣٥  
 أهل الانصاف : ٢٤٧  
 أهل البيت (ع) : ٣٣١-٣٣٢-١٢٤  
 أهل التوحيد الأفعالي : ٩١  
 أهل الحديث : ٢٤٥-٢٤٦  
 أهل الحرمين : ٨١  
 أهل الحق : ٦٦  
 أهل السنة : ٣١٧  
 أهل الذوق : ٨٠  
 أهل الكشف والشهود : ٣٩  
 مؤمنوا أهل الكتاب : ٢٩٣  
 جمهور أهل اللسان : ٦٩  
 بعض أهل النظر : ٨٠  
 الأولياء الكاملون : ٤٨  
 \* \* \* \* \*
- بشر بن غياث المرسي : ٢٤٧  
 البغوي : ٣٧٥  
 بلال : ٤٢١  
 بلقيس : ١٦٩  
 بني اسرائيل : ٢٢٦  
 بني أمية : ٣٣٥  
 بني تميم : ٨٧  
 بني حنيفة : ٦٥  
 بيضاوي : ٨١-٢١٤-٤٦٤  
 \* \* \* \* \*
- ثعلبي أبو اسحاق : ١٩٧  
 الشنوية : ٣٩٨-٣٩٩

- جابر: ١٠٠-١٦٨-٣٢٤  
 جاحظ: ٤١١  
 جبرئيل (ع): ١٣-١٥-١٤٨-٢١٠  
 ٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٣٠١-٤٠٥  
 ٤٢١-٤٧٧-٥٠٢  
 الجبرية: ٣٤٣  
 جعفر بن محمد الصادق (ع): ١٩٧-١٩٨  
 ١٦٨-٣٢٦-٣٣١-٣٣٢-٣٣٨  
 ٣٤٣-٤٠١  
 جهم بن صفوان: ٢٤٧  
 \*\*\*\*\*  
 حارث بن هشام: ٣٠١  
 حارثة الأنصاري: ٢٥٥  
 حبيب الله: ٩٣ = رسول الله (ص)  
 حجاج بن يوسف: ٣٢٦-٣٢٥  
 حذيفة اليمان: ١٦٩  
 الحسن البصري: ٧٤-١٤٣-٢١٠  
 ٢٦١-٢٦٨-٣٣٨-٣٢٥-٣٥٥  
 ٤١٢  
 حسن بن علي الوشاء: ٣٣  
 حسين بن الفضل: ٢٤٥-٢٠٥  
 حسين بن محمد: ٣٣٨  
 الحكماء: ٧٢-١٥٤-٢٠٥-٢٦٣-٣٩٩  
 الحكماء الإلهيين: ٢٦٢  
 الريانيون من الحكماء: ٧٠  
 بعض أكابر الحكماء: ٣٣٥  
 جمهور الحكماء: ٥٠  
 الظاهريون من الحكماء: ٣٠٠  
 محملي الحكماء: ٥٣  
 حماد بن عثمان: ٣٣٨  
 حمزة: ٩٩-٤١١  
 حواء: ٤٦٠  
 حبي بن أخطب: ٢١١  
 \*\*\*\*\*
- خازن الجنة: ٤٦٥  
 خباب: ٤٢١  
 خليل الله (ع): ١٧٨-٣٦٦ = ابراهيم  
 الخليل: ٢٠١  
 خلف: ٨١  
 بعض الخلفاء العباسية: ٢٩٠  
 الخوارج: ٢٤٥  
 \*\*\*\*\*  
 داود (ع): ٢٨٤  
 الدهرية: ٢٤٢-٤٨٣  
 \*\*\*\*\*  
 الرسل: ١٥٨  
 رسول الله (ص): ٦-٨-١٠-١٢-١٣  
 ١٥-٢٤-٢٥-٣١-٣٢-٤١-٤٢  
 ٤٦-٤٥-٧٠-٧١-٧٣-٧٥-٧٦  
 ٧٨-٩٠-٩٢-٩٦-٩٧-٩٩  
 ١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩  
 ١١٩-١٢٥-١٢٨-١٣٠-١٣٥  
 ١٤٢-١٥٠-١٥٢-١٥٣-١٥٨  
 ١٦٣-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٧  
 ١٩٤-١٩٥-٢٠١-٢٠٦-٢٠٧  
 ٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٤-٢٢٤  
 ٢٢٥-٢٢٦-٢٢٩-٢٣٢-٢٣٤  
 ٢٣٦-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٧-٢٤٨  
 ٢٤٩-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥  
 ٢٥٨-٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٧٣  
 ٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩  
 ٢٨٠-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٧  
 ٢٨٨-٢٩١-٢٩٦-٢٩٧-٣٠١  
 ٣٠٣-٣٠٥-٣١١-٣١٣-٣٢١  
 ٣٢٤-٣٣١-٣٣٣-٣٣٨-٣٤٢  
 ٣٤٣-٣٤٥-٣٦٧-٣٦٨-٣٧٧  
 ٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩٦-٤٠٥  
 ٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١١

- صاحب التفسير الكبير : ٢٧٣-٣١٥  
 صاحب الشفاء : ٢٦٣ = ابن سينا .  
 صاحب الفصوص : ٣٧٦ = محيي الدين .  
 صاحب الكافي : ٣٤٣ = الكليني .  
 صاحب الكشاف : ٢٢٨-٢٣٣-٢٤١ .  
 ٢٤٥-٢٤٥-٢٧٣-٢٨٦-٣٥٤ .  
 ٣٦٠-٣٨٩ = زمخشري .  
 صالح بن سهل : ٣٤٤ .  
 جماعة من الصحابة : ٢٦٨ .  
 صدرالدين القونوي : ٣٦٥ .  
 الصدوق : ١٣٥ .  
 صهيب : ٤٢١ .  
 الصوفية : ٢٦٢ .  
 جماعة من الصوفية : ٢٤٧ .  
 محققوا الصوفية : ٣٢٧ .  
 \*\*\*\*\*  
 الضحّاك : ٢١٠ .  
 \*\*\*\*\*  
 الطبيعية : ٤٤٢ .  
 \*\*\*\*\*  
 العارف الحكيم : ٣٤٣ .  
 العارفين المحققين : ٧٤ .  
 بعض أكابر العارفين : ٨١ .  
 بعض العارفين : ٢٠٤-٢٠٨-٢٧٥ .  
 عاصم : ٨١-٢٣١-٤١١ .  
 عامر الشعبي : ٣٢٥ .  
 عبد القاهر : ١٤٣ .  
 عبد الله الأنصاري (خواجه) : ١٠٩ .  
 عبد الله بن أبي : ٣٨٥ .  
 عبد الله بن سعيد الكلاب : ٢٤٦ .  
 عبد الله بن سلام : ٢٩٣-٢٩٤ .  
 عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٣٣ .  
 عبد الله بن مسعود : ٢٢٨ .  
 العراقي : ٧٢ .
- رسول الله (ص) : ٤١٢-٤١٣-٤١٧-٤١٩  
 ٤١٦-٤٢١-٤٣١-٤٣٣-٤٣٤-٤٦٨  
 ٤٣٢-٤٣٥-٤٣٨-٤٤٦-٤٥١-٤٧١  
 ٤٥٢-٤٥٨-٤٦٠-٤٦٢-٤٦٩-٤٧٧  
 ٤٧٨-٤٧٩-٤٩١-٤٩٤-٤٩٥-٤٧٧  
 ٤٩٨-٤٩٩-٥٠٣-٥٠٥-٥١٠  
 ٥٠٦-٥٠٧ = حبيب الله .  
 رويس : ٩٨ .  
 \*\*\*\*\*  
 زمخشري : ٣٢٤ = صاحب الكشاف .  
 زيد بن أسلم : ٢١٠ .  
 زيد بن حبيش : ٢٦٩ . (زر) .  
 زيد بن علي : ٧٨ .  
 الزيدية : ٢٤٥ .  
 \*\*\*\*\*  
 سعيد بن جبير : ٢١٠ .  
 سدي : ٤١٢ .  
 بعض السلف : ٤٠٥ .  
 سلمان (ره) : ١٣٦-٤١٢ .  
 سليمان (ع) : ١٦٨ .  
 سهل بن زياد : ٣٣٦ .  
 سيبويه : ٢١٤-٢٠٢-٢٢٣-٣١٧ .  
 سيرافي : ٢٢٣ .  
 \*\*\*\*\*  
 شراح الفصوص : ٣٦٥ .  
 شعبي : ٢٠٠-٢٠٥-٢٠٨ .  
 شمس الدين بن اسمعيل سودكين : ٣٢٩ .  
 الشيخ المقتول : ٥١ .  
 الشيطان : ٢٦-٢٧-٨٨-٣٧٣-٣٩٤  
 ٤٢٠-٤٣٦-٤٣٩ .  
 \*\*\*\*\*  
 صاحب الاحياء : ٢٦٠-٢٥٧ = الغزالي .  
 صاحب الاشارات : ٩٠ = ابن سينا .  
 صاحب عباد : ٣١٩ .

- فصحاء العرب : ٠٨٨  
 العرفاء : ٣٣-٥٤-٥٨-١٩١-٢:٢  
 ٠٣١٢  
 العرفاء الكملون : ٠٤١  
 العرفاء المكاشفون : ٠٩١  
 العرفاء المحققون : ٠٤٨  
 بعض العرفاء : ٠٤٠٥-١٠٤-٩١-٤٣٣  
 بعض العرفاء الموحدين : ٠٢٥٤  
 طائفة من العرفاء : ٠٥١  
 عزرائيل (ع) : ٠٥٠٢  
 بعض العلماء : ٠٥١  
 جماعة من علماء الاسلام : ٠٣٢٤-٣٢٥  
 علماء الاسلام : ٠٣٣٣  
 علماء الباطن : ٠٢٠٥  
 علماء الرسوم : ٠٣٤٨  
 علماء الكشف : ٠٣٤٨  
 علماء اللسان : ٠٢٠٤  
 علي (ع) = أمير المؤمنين  
 علي بن إبراهيم : ٠٣٤٤-٣٣٣-٣٣٧  
 علي بن محمد بن سهل : ٠٣٣٦  
 علي بن موسى الرضا (ع) : ١٩٧-١٣٥  
 ٠٢٤٥-٣٣٧-٣٢٦  
 عمر بن الخطاب : ٠١٢٤  
 عمرو بن الزبير : ٠١٢٤  
 عمرو بن العبيد : ٠٣٢٥  
 عيسى (ع) : ٠٢٢٦-٣٠٥ = المسيح  
 الغزالي : ٠٢٥٩-٤٧ = أبو حامد =  
 صاحب الإحياء  
 غزاة : ٠٢٧٠  
 غيلان بن مسلم دمشقي : ٠٢٤٨  
 \* \* \* \* \*
- فتح الموصلي : ٠٢٩١  
 الفخر الرازي : ٢١٤-٢١٢-٤٧  
 = صاحب التفسير الكبير
- فرعون : ٠٧٩  
 فرفور يوس : ٠٣٥٧  
 فرقد السبخي : ٠٢٦١  
 فضل بن سهل : ٠٣٢٦  
 الفضل الرقاشي : ٠٢٤٨  
 الفقهاء : ٠١٣٠  
 عامة الفقهاء : ٠٢٤٧  
 الفلاسفة : ٠١٩١  
 الفلاسفة الموحدون : ٠٢٦٢  
 الظاهريون من الفلاسفة : ٠٤٤٣  
 \* \* \* \* \*
- القائم (ع) : ٠٤٦٦-٤٧٥-٥٠٥  
 القاضي عبد الجبار : ٠٢٤٦-٣٢٠-٣٥٥  
 ٠٤٣٩  
 قتادة : ٠٤٤٨-٤١٢  
 القدرية : ٠٣٩٨-٣٣٧-٣٤٣  
 قريش : ٠٩٩  
 قطرب : ٠٢١٢-٢١١  
 قفال : ٠٤١٢  
 قنبل : ٠٩٨  
 قوم نوح : ٠٤  
 القيصري : ٠٣٧٢  
 \* \* \* \* \*
- الكرامية : ٠٣٨٤-٢٤٨  
 الكسائي : ٠٤١١-٨١  
 الكعبي : ٠٢٤٨-٣٢٠-٤٣٦  
 كعب الأحبار : ٠٤٣٥-١٥  
 كعب بن الأشرف : ٠٢١١  
 كليني (ره) : ٠٣٠٢ = صاحب الكافي  
 كلیم الله = موسى (ع) : ٠٩٣  
 الكندي : ٠٣١٠  
 الكوفيين : ٠٢٢٣  
 \* \* \* \* \*
- لسيد : ٠٤٠٦-٧٨

- مالك (خازن النار) : ١٥٨-٣٧٠-٤٦٥ .  
مالك بن دينار : ٢٨٥ .  
المبرد : ٣١٠ .  
جماعة من المتأخرين : ٥١ .  
المتكلمون : ٢٦٢-٢٩٥-٣٢٢-٣٨٤ .  
بعض المتكلمين : ٢٤٧ .  
مجاهد : ٣٨٣ .  
المجبرة : ٣٢٢-٣٢٦-٣٤٤ .  
المجسمة : ٤٨٣ .  
المجوس : ٣٩٨-٣٤٣ .  
المحجوبين : ٧٤ .  
المحققين : ٥٤-١٠٠ .  
بعض المحققين : ٢٨٩ .  
محمد (ص) : رسول الله .  
محمد بن الحنفية : ١٠٠ .  
محمد بن عبد الرحمن : ٣٣٢ .  
محمد بن علي الباقر (ع) : ٤٠-١٣٦-٣٤٣ .  
محمد بن علي الرضا (ع) : ١٣٥ .  
محمد بن علي المكي : ٣٢٤ .  
محمد بن عيسى : ٣٤٣-٣٤٤ .  
محمد بن كعب : ٨٥ .  
محمد بن مسعود العياشي : ١٦٨ .  
محمد بن يعقوب : ٣٣١-٣٣٢-٣٣٦ .  
= الكليني .  
محيي الدين بن العربي : ٢٧-٣٨-٤٠-٧١-١١٠-١١٤-٣٢٧ .  
٣٢٩-٣٦٥-٣٧٢-٣٧٥-٤٤٠ .  
٤٦٠-٤٦١-٤٩٣ = صاحب الفصوص .  
المكاشفين : ٧٤ .  
المرجئة : ٣٠٨ .  
مريم (ع) : ١٣ .  
المسيح (ع) : ٢٤-٤٥٤ = عيسى .  
مسيلمة : ٦٥ .
- المشائين : ٥١ .  
توابع المشائين : ٥٩ .  
المشبهة : ٤٨٣ .  
المعتزلة : ٢٤٥-٢٤٦-٢٥٤-٢٨٦ .  
٢٩٦-٣٣٠-٣٣٤-٣١٢-٣١٨ .  
٣٢٠-٣٥٣-٣٦٥-٤٠٦-٤٠٨ .  
٤٣٦-٤٤٢ .  
المعلم الأول : ٣٩٩ .  
معلي بن محمد : ٣٣٨ .  
المفسرون : ١٤٣-٣٧٨ .  
بعض المفسرين : ٢٦٨ .  
جمهور المفسرين : ٢٦٦ .  
جماعة من المفسرين : ٢٩٥ .  
ملك الحياة : ٤٠٦ .  
ملك الموت : ٤٠٦ .  
المنجمون : ٢٦٢ .  
المهدي (ع) : ٢٦٨ = القائم .  
موسى (ع) : ١٣-١٨٢-١٨٣-٢٢٦ .  
٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥-٤٣٥ .  
٤٦٩ = كلبيم الله .  
موسى بن جعفر (ع) : ١٣٥-٢٢٤-٣٣٢ .  
ميكائيل (ع) : ٢٩٤-٥٠٢ .  
نافع : ٢٣١-٣٩٢-٤٣٥ .  
النصاري : ١٤٣ .  
النيشابوري صاحب التفسير : ٤٧ .  
نوح (ع) : ١٣ .  
واصل بن عطاء : ٢٤٦-٣٢٥ .  
الواقدي : ٢٣٨ .  
الوعيدية : ٣٠٨ .  
وليد بن المغيرة : ٣١٠ .  
يعقوب : ٨١-٩٨ .  
يوسف (ع) : ١٣-٣٤٦ .  
يونس بن عبد الرحمن : ٣٢٧-٣٢٣-٣٤٤ .  
اليهود : ١٤٣-٢٢٦-٣١٣-٣٣٤-٣٨٦ .

## فهرس الموضوعات واصطلاحات الهامة

- الآخرة : ٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥ الاعتقاد بها  
 ٣٠٣ ، تسمية زمانها يوما ٣٨٧ ، التجلى  
 فيها ٣٦٩ ، حكمة وجود النار فيها ١٥٩  
 دارالمبادى الفعالة ٣٨٣ ، الشك فيها  
 ٤٢٠ ، العذاب فيها ٣٦٣-٣٧٢ ،  
 عظم شرورها وخيراتها بالنسبة الى الدنيا  
 ١٧ ، عدم توقف اليجاد فيها على القابل  
 ٨٦ ، عدم لزومها فعلها لشيء من المضار  
 ١٢٦ ، غضبه تعالى فيها ٣٧٠ النفاق  
 فيها ٤٣٤ ، مقاماتها ٣٧٢ ، نسبتها  
 الى الدنيا ٦٧  
 آدم الاول : ٤٥٢  
 آدم الحق الحقيقي : ٤٩٣-٤٧٨  
 الأئمة : ١١١ - محدثون ٣٠٢  
 الإبتلاء : ٣٤٠  
 الإبداع : ٨٤-٢١٨-٢٢٠-٥٠٣  
 الإبداعات حد وثبات فعي : ١٠  
 إبراهيم عليه السلام ، نسبة الكذب إليه ٤١١  
 الإبصار : ٢٩٨-٣٥٧  
 إبليس : ١٤٨-٤٥١ ، ولوجه في  
 السموات ٢٤  
 الإتحاد بالعرض : ٣٥  
 الأثري : ٢١٨  
 الإحتجاب بالحق عن الخلق : ٤٧٢  
 الأحديث الإلهية : ٤٠  
 الإحسان : ٤٨٤  
 الأحوال : ٢٤٩-٢٥١  
 الإختيار : ٣٢٠-٣٢٩-٤٠٠  
 الأذكار : ٥٠٩  
 أرباب الأنواع : ٤٦١-٤٩٦  
 الإرادة : ١٣٩-٣٤٢-٤٠٢  
 الإرادة الجرافية : ٤٦١  
 أرحم الراحمين (اسم) : ٧١  
 الأرض : ٥٠٢  
 أرض بيضاء نيرة : ٧٠  
 الأركان الأربعة : ٥٠٢  
 الأرواح : ٢٩١-٣٤٥  
 الأسباب والعلل : ٣٣٩  
 الإستعانة : ٥ إلى ٢٧-٤٥١ ، إختصاصها  
 بالإنسان ٢٠ ، شمولها للجميع الشرور ٢١  
 صحتها على مذ هبى الجبر والقدر ٢٢ ،  
 تسييرها لهذه الأمة ٢٤ ، ماهيتها ٥ ،  
 دوام وجوبها ٧ ، لزومها ٨ ، المستعيز ١٣  
 المستعاز منه ١٤ ، ما يستعاز له ١٩ -  
 الإستعانة بكلمات الله ٩  
 الإستعانة : ٤٧٢  
 الإستعدادات : ٣٤٥  
 الإستهزاء : ٤٣١  
 الإستيداع : ١٠٢-١٠٣  
 الأسماء الحسنى : ١٩٢ - مظاهرها ٣٨

- الله تعالى: قضاؤه ١٤٦-٣٣٦، قدميه ١٥٠  
 قهره ١٤٥، قوله وكلمته ٩، كلامه ١٩٤-  
 ٢٩٦-٢٩٧-٣١٣-٣٥٩، كلماته  
 التامات ١٩٣، كتابه ٣٥٩، لامعبود  
 سواءه ٣٦٩، لا يدرك ذاته ٣٨-٣٩-  
 لا حد له ولا برهان عليه ٣٧، لا مؤثر في  
 الوجود غيره ١٤٨، لا يصدر عنه إلا الواحد  
 ٢١٦، لطفه ٤٥، معنى ان أسمائه و  
 صفاته عين ذاته ٣٦، محبوبه ١٤٥-  
 مشيئته ١٤٥، معرفته ٢٥٠ مناجاته ٣٨٣  
 مبدع الأشياء ٨٤-٢١٦، الملك ٨٦،  
 ٢١٦، ٣٨٨، مظاهر صفاته ٤٠٠-  
 نسبة الأفعال إليه ٤٣٧-٤٤٠، وحدته  
 ٤٢-٤٤، هدايته ١١١-٢٣٤، هل  
 يحسن منه العذاب ٣٦٢، يديه ١٤٩-  
 يمينه ٤٨٨  
 الله (اسم): ٣٤ إلى ٤٢  
 الالتفات: سره ٨٨  
 الألفاظ: دلالتها ٣٧٥  
 الألف: ٥٠٠-٤٩٨-٣٥٩، كل الحروف  
 ١٩٢، حرف هاوي ١٨٨  
 الألف اللينة ظل الوحدة الإلهية: ١٩٥-١٩٦  
 فيه ست صفات ١٩٧، أسرارها ١٩٧  
 الالم: ٤١٠  
 الإلهام: ٢٥  
 الإلهيات: ٢٥٠  
 الألواح القدرية: ٤٩٧-٥٠٦  
 أم القرآن: ١  
 أم الكتاب: ٤٧٤-٤٧٥-٤٦٠-٤٧٧-٥٠٥  
 إمام الأئمة: ٥٠٦  
 الأمر: ١٥٤-٢١٨-٢٢٠-٣٧٦-٥٠٣  
 الأمر يتشارك الدعاء: ٩٩  
 الأمرين الأمرين: ٤٤١
- الاسم: ٣٢  
 اسم الله تعالى: ٣٣-٣٤-٤٢  
 الاسناد إلى غير ما هو له: ٣٥٤  
 الإشتراء: ٤٤٧  
 أصحاب الايمان: ٤٨٤  
 أصحاب الشمال: ٣٨٧  
 أصحاب العلوم الظاهرة: صلوتهم ٢٨٤  
 أصحاب اليمين: ٣٧٩  
 الأصنام الوهمية: ٤٠  
 الإشارة: ٢٨  
 الأشقياء: ١١٧-٣٨٠  
 الاعتدال: ٣٤٥  
 الاعتقادات: طرق معرفتها ١٨٧  
 الأعمال: ٢٤٩  
 الأعيان الثابتة: ٣٦-١٩٣، عدم تعلقها  
 بذواتها إلى فاعل ٤٤  
 الله تعالى شأنه: ٢١٩-٢٢١، أسمائه  
 الحسنی ٣٣-٧٢-٧٤-٧٥-١٩٢-  
 إنتقامه ١٢٢، إنه الحق ٦٣، بسيط  
 الحقيقة وكل كمال حاصل له ٦٢- اتصافه  
 بالرحمة ٤٨- إنه الراحم ٦٦- جوده ٦٦  
 خلقه الأفعال ٣٦٢، حكمته ١٤٥، رحمته  
 ٣٤٨-٣٧٢-١٥١، رضاه ١٤٦-٤٠٨  
 توحيد الفعل ٤٠٦- شأنه ١١٠  
 الظاهر الباطن ١٩٤، علمه ٢٢٩-٣٣٦  
 ٤٨٧، العلم بوجوده وصفاته ١٧٤  
 عدله ١٤٨، العلاقة بينه وبين المعلول  
 ٤٥٧، عنايته ٣٤٥-١٢٠، غضبه-  
 ١٤٣-١٤٦-١٥٠-٤٠٨-٣٦٩-  
 مراتب غضبه ١٥٧، باطن غضبه ١٥٩-  
 هو الفاعل الحقيقي ٨٥، فعله بالأسباب  
 ٢٢٧  
 قدرته ١٤٥-٤٠٤، قدره ١٤٦-٣٣٦



- الإمكان ، معناه في الوجود والماهية : ٥٥٠  
 أمة الاسلام ، صفاتها : ٢٧٧٠  
 الأنبياء ، إنزال الوحي عليهم ٢٩٥ ، كشف  
 الحقائق لهم ٤٢١ ، استعادتهم ١٢  
 حكمة بعثهم ٢٧٨٠  
 الإنذار : ٣١٧٠  
 إنزال الكتب : ٤٣٨٠  
 الإنسان : ٤٩٩ اشتغاله على ما في العالم  
 الكبير ٧٩ أشرف الخلائق ١٠٦ اختصاصه  
 بالاستعاذة ٢٠ ، اشتغاله ٣٨٤ ،  
 أيامه ثلاثة ١٧٤ ، اختياره ٣٣٩ تحوله  
 ٣٠٩-٤٤٥ ، تشخصه ظل حقيقته  
 ٢٨ ، تشابه بدنه مع الجحيم ٧ -  
 خلقته بيد الله ١٠٦ ، حركته الارادية  
 إلى الله تعالى ١١٥ ، حركته الجوهرية  
 ١١٢ ، حشره ٤٢٩ ، خلافته لله ٩١ -  
 خلقته على صورة الرحمن ١٨٧ ، ٣٢٩ ،  
 ذو وجهين ٣٩٣ ، سلوكه ٢٧١ ، سياقه  
 إلى السعادة ٢٧٦ ، سعاده ١١٧ -  
 سيره في مراتب النزول والصعود ١٠٢ -  
 شباهته بالعلويين حين الصلوة ٢٨١ -  
 ٢٨١ ، شقاوته ١١٧ ، شوقه إلى الكمال  
 ٨ ، صدره بمثابة الكرسي ١٩٤ ، عالم  
 كبير ٨٠ ، عبادته لمعتقداته ٤٠ ، قواه  
 ٤٢٨ ، فعله ٤٠١ ، كماله ١٩٠ ، له  
 جميع المراتب ١٩٠ ، منازل ٣٠٤ ،  
 مناجاته مع الرب ٢٨٣ ، مسخر ومختار  
 ٤٠٠ ، مركب من روح وبدن ٩١ ، نسبته  
 مع الأفلاك ٢٤ ، وجوب الاستعاذة له  
 ١٣ ، يصير إنسانا بالايان ٢٥٩٠  
 الانسانية : ٣٠٤٠  
 الانسان الكامل : ١٥٢-١٨٨-٤٧١-٤٧١  
 ٤٧٧-٤٧٨-٥٠٠ ، أطواره ٧٥
- الانسان الكامل : عالم كبير ٨ ، عبد الله  
 حقيقة ٤٠ ، على صورة ربه ١٩٣ ، فيه  
 كل الموجودات ١٩٢ ، الحق المخلوق به  
 ١٩٠ ، الانسان المعنوي الحقيقي ١٠٨  
 الانفاق : ٢٨٨٠  
 الانقياد : ٣٧٦٠  
 أنوار محمد وآله : ٤٦٨٠  
 أيّا : ٨٧٠  
 أهرمن : ٣٩٨٠  
 أهل الله : انجذابهم ١٠٩٠  
 أهل التنزيه : ٤١٠  
 أهل الجنة : ١٥٥٠  
 أهل الحجاب الكلي : ٣٤٨٠  
 أهل الشفاء الطبيعي : ٣٤٨٠  
 أهل الرحمة : ٣٧٩٠  
 أهل الشهود : لا يمكنهم نيل الذات ٣٩٠  
 أهل العبارة : ٢٩٠  
 أهل العفو : ٣٧٩٠  
 أهل الكشف : ٣٩٠  
 أهل النار : ١٥٣-١٥٥-١٥٦-٣٦٦  
 ٣٦٧-٣٧٠ ، مسؤولون ١١٤٠  
 الأهواء : ٣٢٢٠  
 الاولياء : استعادتهم ١٢ ، رؤيتهم  
 للعوالم الاخرى ٣٠٢٠  
 الایعاد : ١٥٢٠  
 الايمان : ١٢٩ ، أساميه ٢٦٠ ، أعظم  
 النعم ١٢٦ ، درجاته ٢٥٤ ، ماهيته  
 ٢٤٥ إلى ٢٥٤ مظهر اللطف الإلهي  
 ٤٠٠ ، مراتبه ٣١٢-٤٢٣٠  
 الايمان بالغيب : ٢٤٤٠  
 الايمان الكشفي : ٢٩٣٠  
 الباطن : (اسم) ٣٨-٣٩٠  
 بحر الامكان : ٤٩٧٠

- بحر الامكان : ٠٤٩٧  
 البدعة : ٠٢٥٦  
 البدل : فرقه مع الصفه ٠١٢٤  
 البدن : ٣٦٧-٤٨٥ ، خادم الروح  
 ٩١ ، عالم صغير ٠١٩٩  
 البرزخ : ٠٤٥٩  
 البروج الإثنا عشر : ٠٥٠٢  
 البرهان (اسم القرآن) : ٠٢٢٧  
 بسيط الحقيقه كل الوجود وكله الوجود : ٠٦٢  
 بسائط الموجودات : ٠٤٩٦  
 البصر : ٠٣٥٨-٣٥٧-١٣٧  
 بعث الرسل : ٠٤٣٨-٥١١  
 بينونه العزله : ٠٤٥٧  
 \* \* \* \* \*  
 التام : ٠١٠  
 التأيد : ٠١٣٢  
 التجرد الامتزازي : ٠٤٦٢  
 التجلي : ٠٣٦٩  
 التجلي الإلهي يوجب تنوع الخواطر : ٠١١٠  
 التجلي الذاتي والجمالي : ٠٤٧٨  
 التجلي في الفعل : ٠٣٦٩  
 التجليات : ٠٤٨٥  
 التخلق بالأسماء : ٠٣٢٩  
 التذكرة (من أسامي القرآن) : ٠٢٢٧  
 تسديد الله تعالى : ٠١٣٢-١٢٩  
 التشكيك الخاصي : ٠٤٥٣  
 تعذيب الكفار : ٠٣٦١  
 التعيينات الوجودية : ٠١٩٣  
 التفسير : درجاته ٢٨ ، العلوم اللازمه  
 للمفسر ٠٢٩  
 التفويض : ٣٢٠-٣٤٢ ، كيف تصح  
 الاستعاذه مع الاعتقاد به ٠٢٣  
 التقدّم والتأخر بالحقيقه والحق : ٠٤٠٤
- التقوى : ٢٣٥ ، أساميهافي القرآن  
 ٢٣٦ ، غايتها ٢٤٤ ، مراتبها ٢٣٦ ،  
 ما بعد بازائها ٢٣٧  
 التقيّة : ٠٤٣٣  
 التكليف : لميته ٣٤٠-٢٧٥ ، فائدته  
 ٠١١٨-٣٢٤  
 التكليف بالمحال : ٠٣٢٣  
 التكليف بما لا يطاق : ٠٣١٨-٣٢٣  
 التكوين : ٠٢١٨-٨٤-٢٢٠-٢٢٠-٤٠٤  
 التنزيل : (اسم القرآن) ٠٢٢٧  
 التوحيد : من أسامي الايمان ٠٢٦٢  
 التوحيد الأخصي : ٠٦٣  
 التوحيد الأفعالي : ٣٣٦-٣٢٧-٤٠٠  
 ٠٤٦٩-٤٥٩-٤٤٠-٤٠٥  
 التوحيد الخاصي : ٠٤٨-٤٢  
 توحيد الذات : ٠٤٦٩  
 التوحيد الوجودي : ٠٤٥٧  
 التوفيق : ٠١٣٠  
 \* \* \* \* \*  
 الشنوية : ٠٣٩٨  
 الثواب لماذا : ٠٣٤٦  
 \* \* \* \* \*  
 الجاذب : ٠١٥٣-٣٧٣  
 جامع الجوامع في الإنسانية : ٠٤٧١  
 الجاهل : ٠١٤٤  
 الجبر : ٠٣٢٠-٣٤٢-٤٠٠  
 كيف تصح معه الاستعاذه ٠٢٢  
 الجسم : ٥٠١ ، العرشي ٠٤٩٠  
 الجسمانيات مطيع الروحانيات : ٠١٦٥  
 الجمال : ٠١٢٩  
 الجميل : ٠١٢٨  
 الجن : ادراكاتها ٠٣٠٤  
 الجنة : ٠١٥٥-٣٤٩-٣٧٣

- جنة المأوى : ٥٠٥ .  
الجهل بالله : رئيس الأمراض القلبية ٣٩٨ .  
الجهنم : ١٥٥ ، تسعها الرحمة ٣٧١  
دوامها ٣٤٩ .  
الجوع : أثره في الرياضات ٢٥ .  
الجوهر : ٤٥٣-٥٣ .  
\*\*\*\*\*  
الحبل : من أسامي القرآن ٢٢٧ .  
الحد ، تركيبه وتشاركه مع البرهان ٣٧ .  
الحد التام : ٤٥٢ .  
الحدود ، قيامها بالبدن : ٣٦٨ .  
الحديث ، اسم القرآن : ٢٢٧ .  
الحرام ، هل يكون رزقا : ٢٨٦ .  
حرف الارادة : ٢٩٧ .  
حرف المشية : ٢٩٧ .  
الحرف : عدد هاروجها ١٩٦ .  
حرف ليلة القدر : ٤٩٨ .  
الحرف الهاوي : ١٨٨ .  
الحروف : ١٨٨-٣٥٩-٤٩٦ أسمائها  
٢٠١-تكونها وعدد ها ١٩٥ ، الحلقية  
٢٠٣ ، الذلقية ٢٠٣ ، الصغير ١٩٢ ،  
العاليات ١٩٣ ، المشبهة بالفعل ٣١٠  
المقارب ٢٠٣ ، المطبقة ١٩٢ المستعلية  
١٩٢ ، المهموسة ١٩٢ .  
الحروف المقطعة في أوائل السور : ٢٠٢ الى  
٢٢٤ .  
حروف : البدل ١٩٢ ، الرخوة ١٩٢ ،  
المد ٣٥٩ ، العاليات ٤٩٦ ، العلة  
١٨٨ ، اللاهوتية ٥٠٠ .  
الحركة الجوهرية ، الذاتية : ١١٢ .  
الحسن المشترك : ١٣٧ .  
الحسد : ٤٨٩ .  
حسن النظام : ١٢١ .
- الحسن والقيح الشرعيين : ٤٦١ .  
الحضرة الأحديّة : ٣٤ .  
الحضرة الجمعية : ١٥٢ .  
الحقّ الأول : أصل الوجود ١٩٢ .  
الحقّ المتخيل : ٣٥ .  
الحقّ المخلوق به : ١٩٠-١٩١-٦ .  
حقيقة الوجود الانبساطي : ١٩٥ .  
الحقيقة المحمدية : ٤٧٧-٤٩٧-٤٦٠ .  
أقصى مراتب الحمد ٧٥ ، صورة نظام  
العالم ٧٧ .  
الحكم : اسم القرآن ٢٢٧ .  
الحكمة : ٣٣٥ ، اسم الايمان ٢٦٠ .  
اسم القرآن ٢٢٧ .  
الحكيم : ٢٢٧ .  
الحكيم الالهى : ٤٦٣ .  
الحمد : معناه ٧٣-٧٤ .  
الحمل : أقسامها ٣١٥ .  
حمل الأمانة : ٤٧٢ .  
حملة العرش : ١٤٩ .  
الحواس الخمس : ٩٤-١٣٦ .  
الحيوانية : ٣٠٤ .  
\*\*\*\*\*  
الخاتمة : عين الرجوع الى السابقة ١٠٩ .  
الختم : ٣٥١ .  
الخدع : ٣٨٨ .  
الخلق : ٥٤-٢١٨-٢٢٠-٤٥٩ .  
الخلق الاول ، الثاني : ٥٠١ .  
خلق الأفعال : ٣٤٣ .  
الخلود في النار : ٣٠٩-٣٤٧-٣٦٤-٣٧٧ .  
٤٦٠ .  
خواتيم سورة البقرة : ١٦٥ .  
الخواطر : ١١٠ .  
الخيال : تجرد ها ٢٩٨ .

- الخير : دائمي ١٢٢ .  
 الخير بالذات ، بالغير : ١٢٧  
 \*\*\*\*\*
- دائرة الوجود : ٤٨٩ .  
 الداعي على المعصية : ٣٦١ .  
 الدرّة : ٤٥٢ ، البيضاء ٤٩٧ ،  
 الصفراء ٤٩٧-٤٧٧-٥٠٥-٥٠٠ .  
 الدليل اللفظي موجب للظن : ٣٧٥ .  
 الدنيا : ٣٠٣ ، دارالمرضى ٣٩٥ ،  
 لا يسرى أحكامه إلى عالم الآخرة ٦٩ ،  
 موضع القوابل المنفصلة ٣٨٣  
 \*\*\*\*\*
- الذائقة : ١٣٧ .  
 الذكر : ١٦٧ ، أشرف المقامات ٤٦ ،  
 اسم القرآن ٢٢٧ ، صفات الجلال و  
 الاكرام ٤٤ .  
 ذكر " ياهو " : ٤٣ .  
 الذكرى : ٢٢٧ .  
 ذلك : ٢٢٥ .  
 ذوق التأله : ٥٨  
 \*\*\*\*\*
- الراسخون في العلم : ١٤٩ .  
 الرب : ٧٨-٤٢-٤١ .  
 الرجاء : ٤٩٣ .  
 الرجيم : ٤ .  
 الرحمن : ١٥٥-٦٥ ( اسم ) ٤٢ .  
 الرحمة : ٤٩٦ ، إتصافه تعالى بها ٦٨  
 الرحمة الرحمانية ، الرحيمية : ٤٥٨-٤٥٩  
 الرحمة العامة : ١٥١ .  
 الرحمة الوجودية : ٤٥٩ .  
 الرحيم : ٦٥ .  
 الرخوة : ٢٠٢ .  
 الرزق : ٢٨٩-٢٩١-٢٨٦ .
- رسول الله له معراجان : ١٧٧ .  
 الرسول أفضل من الولي : ٩٧ ، هدايته ١١١ .  
 الرشد : ١٢٩-١٣١ .  
 الروح : ٥٠١-٤٠٥ - مخدوم الجسد  
 ٩١ ، اسم القرآن ٢٢٧ ، المنسوبة إليه  
 تعالى ٣٠٤ .  
 روح الأمين : ١٤٨ .  
 روح القدس : ١٤٨-٤٨٠ ، أخذ العلم عنه  
 ٢٩٩ ، الأدنى ٤٧٧ ، الأعلى ٤٧٧ ، ٤٩٥  
 الروحانيات مطاع الجسمانيات : ١٦٥ .  
 الرؤيا الصالحة : ٣٠٢ .  
 الريب : ٢٢٩ .  
 \*\*\*\*\*
- الزندق : توبته ٤١٨ .  
 \*\*\*\*\*
- السائق : ١٣٨-١٥٣-٣٧٣-٤٨١ .  
 السابقون : ٣٧٩ .  
 السالك : ٩٥-١٠٩-٤٨٤-٥٠١ .  
 سببه و سبب منه : ٤٠٤ .  
 السجين : ٣٦٦ .  
 السرمد : ٤٧٥ .  
 السعادة : ١١٧-١٢٨-٣٤٦ .  
 السعداء : ٤٥١ .  
 السفه : ٤٢٣ .  
 السلوك إليه تعالى : ٩٠ .  
 السمع : ١٣٧-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨ .  
 السموات العلى أفلاك نورية : ٧٠ .  
 السواد : نسبه إلى الألوان الأخرى ٩٤ .  
 سورة البقرة : مدنية إلا آية منها ١٨٦ .  
 سورة الحمد ، الفاتحة ، الكنز ، المثاني ،  
 الواقعة ١ .  
 السير المحبّي ، المحبوبي : ٤٦٢-٥٠٦ .  
 السير المحمدي : ٤٧٠ .

- شجرة طوبى : ٥٠٥ .  
 شديد العقاب : (اسم) ٠٧١ .  
 الشديدة : ٠٢٠٢ .  
 الشر : أقسامه ١٢٨ ، نادر ١٢٢ ،  
 كيفية وقوعه ١٦ .  
 شرع طور العقل ، طور الولاية : ٠٤٨٥ .  
 الشرور : فواعلها ٣٩٨ ، أقسامها ٢٠ .  
 شرور الآخرة : ٠١٧ .  
 الشرك في الأفعال : ٠٤٤٢ .  
 الشريعة المحمّدية السهلة : ٠٢٧٧ .  
 الشعور : ٠٣٩٢ .  
 الشفاعة : ٠٣٧٥-٧١-٧٢ .  
 الشفاء : من أسامي القرآن ٠٢٢٧ .  
 الشقاوة : ٣٤٦-٣٤٧ سبب ظهورها  
 ١٥٥-١١٧ ، لا ينافي فعلية الوجود  
 ٠١١٦ .  
 الشكر : ٠١٤٦-٧٣ .  
 الشم : ٠١٣٧ .  
 الشمس : ٠١٣٤ .  
 الشهادة ظل الغيب : ٠٢٨ .  
 الشهوة : ٠٤٢٨-١٨٢ .  
 الشهود الاستحضاري ، الحضورى : ٠٤٨٥ .  
 الشهيد : ٠٤٨١-١٣٨ .  
 الشوق : مبدأ الارادة ٠٤٠ ، يستلزم  
 الوصول ٠٤٥ .  
 الشيطان : ٠٤-٦-١٥٣ ، مداخله ١٨٢  
 عدم تجرده ١٤ ، هو السائق ٠٣٧٣ .  
 الشياطين : ادراكاتها ٠٣٠٤ .  
 \* \* \* \* \*  
 صاحب المشرب الختمي : ٠١٥٦ .  
 صاحب المقام الجمعي : ٠١٥٦ .  
 صاد : ٠١٩٢-٥٠٤ .  
 الصحة : ٠٣٩٥ .
- الصحو : بعد المحو ٩٥ ، في الخلق  
 ٤٧٢-٣٤٤ ، في الحق ، النبوتى ٤٧٢  
 صحيفة الهواء النفسى : ٠٣٦٠ .  
 الصدر : ٤٧٤-٤٧٨ ، مسكن الحيوانية  
 ٠١٧ ، بمثابة الكرسي ٠١٩٤ .  
 الصدر المعنوي : ٠٥٠٠ .  
 الصراط : ٩٨ إلى ١٢٣ ، صفته ١٢٣-  
 صورة الهدى في الدنيا ١٢٢ ، صراطان  
 ١٢٢- على متن جهنم ١٢٣ ، ماهيته  
 واستقامته ٠١١١ .  
 الصراط المستقيم : ٠٤٢-٩٩ .  
 الصفة : فرقها مع البدل ٠١٢٤ .  
 الصلاح : ٠٤١٢ .  
 الصلوة : ٥١٠ ، إقامتها ٢٧٠ ، أثرها  
 ٢٧٢ ، أهميتها ٢٧٤ ، سرها وروحها  
 ٢٨١- القلبية والقلبية ٢٧٢ ، لمية  
 وجوبها ٢٧٧ ، مبدأ وجوبها ٢٨٢ معناها  
 ٢٧١ ، معراج جسماني وروحاني ١٧٨  
 ١٧٩ ، قياسه مع فاتحة الكتاب ١٧٦-  
 إلى ٠١٨١ .  
 الصد : ٠٤٩٩ .  
 الصوم : جنة من النار ٠٢٥ .  
 \* \* \* \* \*  
 الضار : ٠١٢٨ .  
 الضالين : هم النصارى ٠١٤٣ .  
 الضلال : ٠١٤٣ .  
 \* \* \* \* \*  
 الطاعة : ٢٤٥ ، فرقها مع العبادة ٠٨٧ .  
 الطاعات : حكمة التكليف بها ٠٢٧٥ .  
 الطبع : ٠٣٥٥ .  
 الطبيعة : ٠٢١٩-٤٨٣ .  
 الطبيعة الدهرية الجبروتية : ٠٤٨١ .  
 الطغيان : ٠٤٣٥ .

- الطهارة : أثرها ٢٨٠ .  
 \* \* \* \* \*
- الظاهر : ( اسم ) ٣٨-٣٩ .  
 الضلال : ٤٤٥ .  
 الظلم : ١٨٢ .  
 الظلمة فاعل الشرور : ٩٣٨ .  
 \* \* \* \* \*
- العالم : دائم الحدوث ٨١ .  
 العالم الأعلى ، الأسفل ٢٧٩ .  
 عالم الأمر : ١٠-١١-١٤-١٦-١٠١ .  
 ٤٧٥ .  
 عالم الأنوار الملكوتية : ٢٧٢ .  
 عالم البداية : ١٨٨ .  
 العالم الجسماني : ٢١٨ .  
 عالم الخلق : ١٠١ .  
 العالم الصغير ، الكبير ٧٩-٨٠ .  
 عالم الطبيعة : ٢١٧ .  
 عالم العقل : ٢١٧-٣٥٩ .  
 عالم الغيب : ١٦٥-٣٠٤ .  
 عالم المثال البرزخي : ٣٦٠ .  
 عالم المعنى : ٤٩٥ .  
 عالم الملائكة المقربين : ٢١٧ .  
 عالم الملكوت : ٣٠٥ ، الصوري المثالي ٤٥٩ .  
 عالم المواليدي : ١٠٣ .  
 العالم النفسي : ٢١٧ .  
 عالم النهاية : ١٨٨ .  
 عباد الرحمن : ٣٠ .
- العبادة : ٨٧-٤٧٢-٤٦٧-الحقيقي  
 ٩٢ ، العقلية ٤٥٨ . أشرف من  
 الاستعانة ٩٧ ، لا يمكن لغير الله ٣٦٩ ،  
 الغرض منها ٢٧٩ .  
 العبارة : ٢٨ .  
 العبد : إحتياجه إليه تعالى ٦ -  
 نسبة الفعل إليه ٤٤٢ .
- العبودية : ٤٦٧ .  
 العدالة : ١٢٩ ، النفسانية ٩٥ .  
 العدد : ٣٥٩ ، الدلالة به على مراتب  
 الوجود ٢١٩ .  
 العدوان : ١٨٢ .  
 العذاب : ٣٦٠ ، ثمرة الغضب ١٥٧ ،  
 هل يحسن من الله تعالى ٣٦١ -  
 الخلود فيها ٣٧٧ .  
 العرش : ١٥٤-٤٨٩ .  
 العرض : ٤٥٣ .  
 العرضي : ٣٥ .  
 العرفاء بالله : ١٠٩-٣٧٩ .  
 العصمة : ١٣٢ .  
 العظيم : ٣٦١-٢٢٧ .  
 العقائد : رمز الاختلاف فيها ٤١ .  
 العقاب : ٣٤٦ .  
 العقل : ١٣٧-٢١٩-٤٨٦-٤٧٩ .  
 ٤٦٩ ، إطلاقاته ٢٦٢ ، ترجيحه على  
 النقل ٣٧٦ .  
 العقل الأول : ٤٧٧ ، إعتبراته ١٩٢ ، صورة  
 العالم ٧٥ ، عين الوجود الإنبساطي ١٩٦  
 العقل المضاف : ٤٧٩ .  
 العقل بالفعل : ٢٦٣ .  
 العقل بالملكة : ٢٦٣ .  
 العقل البسيط كل الموجودات : ١٩٢ .  
 العقل الكلبي : ٤٦٢-٤٩٥-٥٠٠ .  
 العقل الكل الكلبي الأول : ٤٩٣ .  
 العقل المستفاد : ٢٦٢-٢٦٣ .  
 العقل الهيلولاني : ٢٦٣-٤٥١ .  
 العلماء : أطباء النفوس ٣٩٦ .  
 علماء الباطن : هم الحكماء ٢٠٥ .  
 علماء الرسوم ، الكشف : ٣٤٨ .  
 العلم تبع للمعلوم : ٣٢٠ ، بمنزله البحر  
 ٢٠٤ ، التحريف الواقع فيه ٢٦١ .

- علم الأسماء : ٠٧٢  
 العلم الحسولي بالوجود العيني : ٠٥٣  
 علم القرآن : ٠٣٠  
 العلوم : ٠٢٤٩  
 علوم المكاشفة : ٠٢٥٠  
 العلوية العليا : ٤٩٧-٤٦٠-٤٧٥-٥٠٥  
 العلة الفاعلية : ٨٥ ، الأعداد ٤٥٩-٨٥  
 العماء : ٠١٩٩-٠٢٠٠  
 العمق الأكبر : ٠٤٩٧  
 العمل : أثره في القلب : ٠٢٥١  
 نسبه بالايمان : ٠٢٥٦  
 العمل الصالح : ٠٢٤٤-٠٢٤٤  
 العمه : ٠٤٣٦  
 العناصر السماوية : ٠٥٠٢  
 العناية : ٠٥٠٩ ، الأولى ٣٤٥ الالهية  
 : ٠١٢٠ ، الكلية ٠٢٢١  
 العنصري : ٠٢١٨  
 العوذ : ٠٠٤  
 العين : ٠١٣٨  
 عين الجمع : ٠٣٤٤  
 \* \* \* \* \*  
 الغذاء : ٠٢٩١  
 الغشاوة : ٠٣٥١-٠٣٥٦-٠٣٦٠  
 الغضب : ٠١٨٢-٠٣٦٩-٠٤٢٨ باطنه  
 : ٠١٥٩ ، شمول الرحمة له : ٠٧٠  
 الغواسق الظلمانية : ٠١٦  
 الغيب : ٠٢٦٥ الى ٠٢٦٩  
 \* \* \* \* \*  
 فاتحة الكتاب : أساميها ١ ، جامعيتها لأهم  
 المعارف : ١٧٠ ، نظمها ١٧٢-١٧٤ ،  
 تطبيقها بأفعال الصلوة ١٧٦ ، نبذ من  
 فضائلها ٠١٦٣  
 الفاسق : ٠١٤٤-٠٢٤٥  
 الفجار : ٠٣٦٦  
 الفرقان : من أسامي القرآن ٠٢٢٧  
 الفساد : ٠٤١٢  
 الفصل : من أسامي القرآن ٠٢٢٧  
 الفضائل البدنية : ٠١٢٩  
 الفطرة : ٠٣٦٩-٠٤٤٥  
 الفطرة الأولى : ٠١١٨  
 الفعل لا يخبر عنه : ٠٣١٤  
 الفعل : نسبه إلى فاعله ٠٤٤١  
 الفعل الإرادي ، الطبيعي ، الجبري ٠٤٠١  
 الفقه : اسم للإيمان ٠٢٦٠  
 الفقيه : ٠٢٦١  
 الفكر : ٠١٢٦-٠٢٠٩  
 الفلك : ٠٢٠٠  
 فلك البروج : ٠٤٩٧  
 فلك الثواب : ٠٤٩٧-٠٥٠٢  
 الفلك الأعظم : ٠٢١٧  
 الفناء : ١٢ ، في التوحيد ٠٩٥  
 فواتح السور : ٠٢٢٢  
 فوق التمام : ٠١٠  
 الفيض المقدس : ٠٤٥٩  
 \* \* \* \* \*  
 القابل : أثره في تمامية الفيض ونقصه ٢٣٤  
 القابليات الذاتية : ٠٤٧٤  
 القبر : كله عذاب ٠٤٤٦  
 قبضة الشمال : ٠١٥٠  
 القبيح : ٠١٢٨  
 القدر : ٠١٤٦-٠٣٣٣-٠٣٣٦-٠٤٩٧  
 القدر اللاحق : ٠١٨٨  
 القدرة الأرية : ٠٤٠٣  
 القدرى : ٠٣٤٤  
 القدرية : ٠٣٢٤-٠٣٧٧-٠٣٩٨  
 القدامان المتدليتان : ٠١٥٧-٠٤٨٨

- الكذب : ٣٧٧-٤١١ .  
 الكرسي : ١٥٤-٤٨٨-٤٩٧-٥٠٢ .  
 فلك المنازل ومثاله فينا ١٩٥ .  
 الكريم : من أسامي القرآن ٢٢٧ .  
 الكسب : ٤٠١ .  
 الكشف : ١٠١ .  
 الكفار : تعذيبهم ٣٦١-٣٨٠-٣٨٢ .  
 خلود هم في النار ٣٤٧ ، العذاب عذب لهم ٣٧٤ ، على ضربين ٤١٩ .  
 الكفر : ٣١١ ، رئيس الأمراض القلبية ٣٩٨ ، عند العرفاء ٣١٢ ، مظهر القهر الإلهي ٤٠٠ .  
 الكفران : ١٤٦ .  
 الكلام : ٣٦٠-٣٢٢-٥٠٥ .  
 الكلام (علم) : ٢٥٦-٢٦٢ .  
 الكلمات : ٤٩٦ ، التامات ١٠-١٩٣-٤٩٦ .  
 الكلمات اللاهوتية : ٥٠٠ .  
 كلمة الله تعالى : ٩ .  
 الكلمة الإيجادية : ١٥٤ .  
 الكلمة الروحانية : ١٥٥ .  
 الكمل من العلماء الإلهيين : ٣٩٣ .  
 كن : ١٥٤-٤٩٧-٤٥٢ .  
 الكون : ٤٧٨-٤١٢ .  
 \* \* \* \* \*  
 اللام : ١٩٦-٥٠١ .  
 لام ألف : حرف واحد ٥٠١-١٩٥ .  
 اللبن : تأويله بالعلم ٢٩١ .  
 اللذيد : ١٢٨ .  
 اللمس : ١٣٦ .  
 لعد الملك ، الشيطان : ٢٥ .  
 اللوح الأعظم : ١٨٨ .  
 لوح القدر : ٤٩٤ .  
 اللوح القضائي : ٤٩٧-٤٩٤ .  
 قدم الجبروت ، الصدق : ١٥٠ .  
 قدما الله تعالى : ١٥٠-١٥٥ .  
 القرآن : ٣٩٧-٥٠٦-٥٠٧ ، فهمه ٣٠-٣٨٠ ، هداية ٣٨٠ ، لا ريب فيه ٢٣٠ ، هدى ونور ٢٣٢ الى ٢٤٠ ، أساميه ٢٢٧ ، حجية ظاهره ٢٧٣ ، خطه على غير قياس ٢٣٣ ، خصوصياته ١٦٤ .  
 قرب الفرائض ، النوافل : ٤٧٠ .  
 القسر : لا يدوم ٣٤٩ .  
 القضاء : ١٤٦ ، السابق ٣٤٥ .  
 القضاء والقدر : ٣٢٥-٣٣٦-٣٣٩ .  
 القضية المعقولة والمفوضة : ٣٢٥-٣٣٦ .  
 القلب : ٣٥٦ ، بمثابة عرش الرحمن ١٩٤ ، عرش الناطقة ١٧ ، اصلاحه ٢٥١ ، يقال له نفس ٣٩٢ ، مرضه ٣٩٥ .  
 عن عالم الغيب ٢٨٠ .  
 القلقلة : ٢٠٢ .  
 القلم الأعلى : ١٨٨-١٠٢ .  
 القمر : ١٣٤ .  
 القوابل المظلمة : ٣٩٩ .  
 القول : ٣٨٦ .  
 القوة المتخيلة : ٩٥ .  
 القوى النباتية هي النفاثات : ١٦ .  
 القهار (اسم) : ٧١ .  
 \* \* \* \* \*  
 الكاتب : ليس كله متحرك الأصابع ٦٩ .  
 الكافر : ٢٤٥-٢٥٩ .  
 الكبير : ٣٦١ .  
 الكبيرة : هل توجب الخلود ٣٠٩ .  
 الكتاب : ٥٠٥ ، من أسامي القرآن ٢٢٧ .  
 كتاب الفجار : ٣٦٦ .  
 الكتابة : ٣٦٠ .  
 الكثرة : هل يصدر عنه تعالى ٢١٦ .



- اللوح المحفوظ : ٤٩٧-٤٦٠-٤٧٧-٥٠٥
- لوح النفس : ٣٦٠
- اللوح النفسي : ١٠٢
- اللينتين : ٢٠٢
- الليلة : ٣٨٧
- \*\*\*\*\*
- مامنه الشيء ، مابه الشيء : ٤٠٣
- ماء الحيوة : ٤٩٧
- مادة صورة الكائنات : ١٩١
- ما قبل الطبيعة : ٣٠٥
- الماهية : ٤٨٧ ، اعتبارية ٤٩ إلى ٥٢
- الماهية الجهلية : ٤٦٠
- ماهيات الأشياء : ١٩٣
- المبتدع : ٢٥٦
- المبصر : ٢٩٨
- المتشابه في القرآن : ٢٣٩
- المتقى : جليس الاسم الالهي ٧١
- المتقين : هداية القرآن لهم ٢٣٧
- المتكلم : ٢٥٦-٣٢٢
- المثاني : ١
- مجادلة أهل الكلام : ٤١٥
- المجاز : ٣٥٤
- المجاهدة : ٤٨٥-٤٨٦
- المجبرة : ٣٢٣
- المجدوبون : ١٠٩
- مجمعية القوسين : ٤٩٠
- المجهورية : ٢٠٢
- المجوس : ٣٩٨
- المجهول المطلق لا يخبر عنه : ٣١٥
- المحسوب لله تعالى : ١٤٥
- المحبوبون من العرفاء : ٣٧٩
- المحجوب : ٣٨١-٣٧٣-٣٧٤-٧٤
- من العرفاء : ٣٧٩
- المحدثين : ٣٠٢
- المحدود : رابطته مع الحد ٣٧-٣٩
- المحققين : حظهم من الصلوة ٢٨٢
- محمد (ص) : أفضل الأنبياء وخاتمهم ١٦٥
- المحمدية البيضاء : ٤٦٣-٤٦٠-٤٩٣
- المحو : ٩٥-٤٧٢
- المخلوق : ذو وجهين ٤٥٢
- مرتبة أو أدنى : ٤٥٢-٤٦١
- المرتبة الختمية : ٧٥
- مرتبة الكاف : ٤٥٢
- مرتبة الحروف المقطعة : ٤٩٨
- مرتبة قاب قوسين : ٤٦١
- مرتبة الكلمة النازلة : ٤٩٨
- مرتبة المشية : ٤٦٢
- مرتبة النقطة ، النون : ٤٥٢
- المرض : ٣٩٥
- المركبات : ٣٥٩
- المسبب : العلم به من جهة السبب ٥٢
- المستكفي : ١٠
- المستعلية : ٢٠٢
- المسموع : ٢٩٨
- المشبهة : ٤١
- المشرك : حاله في الآخرة ١٢٢
- المشركون : العذاب عذب لهم ٣٧٤
- المشية : ٤٧١-٤٦٠-٤٩٦-٤٠٠
- المغضوب عليهم : ١٤٣-١٤٥
- المطيفة : ٢٠٢
- المطر : ١٣٤
- مطلب "ما" الشارحة ، الحقيقية : ٥٤
- مظاهر اللطف والقهر : ٤٠٠
- المظاهر الأمرية والخلقية : ٣٤
- المخروط الإمكانية : ٤٩٠
- مخروط النور : ٤٩٠
- المعارف : ٢٤٩ ، الالهية ٢٩٥
- المعاصي : ٣٦١-٢٤٥

- المعاصي : ٢٤٥-٣٦١  
 المعراج : ١٧٧، مانزل فيها ١٦٥-١٦٧  
 نزول حكم الصلوة فيها ٢٨٢  
 المعراج الروحاني في الصلوة : ١٧٨  
 المعرفة : ١٢٦-٤٩٦-٤٨٦  
 المعرفة بالقلب : ٢٤٧  
 معرفة الله تعالى : ٢٤٠-٦٨  
 المعلول : لا يباين علته ٦٤، مراتب  
 النقصانات اللازمة للمعلولية ١٩٥  
 المفسر : ٢٤١  
 المفلج : ٣٠٧  
 المفلح : ٣٠٧  
 مقام الاستعاذه : ١٢، الإمامة ٤٦٨، أو أدنى  
 ٤٧١، باب الله ٤٦٨، البيان ٤٦٨،  
 الرسالة ٤٦٨، المحمود ٧٦، المعاني  
 ٤٦٨، الفقر ٩٣  
 مقولة المضاف من أقسام الماهيات ٥٣  
 المكاشفون : ٧٤  
 الملائكة : متحيزون ٢٩٦  
 ملائكة السموات : ١٤٩  
 الملوك : ٤٩٤  
 المنافع : ٢٤٥، حاله في الآخرة ١٢٣  
 ٣٧٨، العذاب عذب له ٣٧٤، أخبث  
 من الكافر ٣٨١، عذابه ٣٨٢، مخادعته  
 لله تعالى ٣٨٨، ٤٨٨  
 ملك الموت والحيوة : ٤٠٦  
 الملد والمولم في النوم : ٤١٠  
 المنخفضة : ٢٠٢  
 منزل العبودية : ٩٣  
 منزلة العلوية العليا : ٤٧٧  
 المنفتحة : ٢٠٢
- الموت : ١١٣-١١٤-٣٦٦  
 الموجودات قائمة ومتحركة : ١٠١  
 الموحد : حاله في الآخرة ١٢٣  
 الموعدة : من أسامي القرآن ٢٢٧  
 المولم : ١٢٨  
 المؤمن : مراتبه ٢٥٦-تقيته ٤٣٣،  
 ليس باللسان ٣٨٤، يمدح بالصلوة  
 الحقيقية ٢٨٤  
 المهموسة : ٢٠٢  
 المهيمن : من أسامي القرآن ٢٢٧  
 الميثاق : ٣٦٩  
 \* \* \* \* \*
- النار : ٣٧٣، حكمه وجوده هافي الدنيا  
 والآخرة ١٥٩، ورود الانسان فيها ٢٧٢  
 الناس : اشتقاقه ٣٨٥، أصنافهم ٣٧٨  
 عباد ما يتصورونه ٤٠  
 النافع : ١٢٨  
 الناقص : ١٠  
 النبي : كيف يوحى إليه ٣٠١، يرى الملك  
 الموحى ٢٩٧، معرفته للحقائق ٤٢١  
 النبوة : ٩٦-٤٧٣  
 النزول القلبي، السمعي : ٢٩٤  
 النسب : ١٣٠، الإلهية ٤٤٠  
 النسخ قبل مضي مدة الامتثال : ٣٧٦  
 نشأة الأولي والآخرة متضايقتان : ٣٠٣  
 نشأة الحسن : ٣٩٣  
 نظام الخلقة : ٤٠٤  
 النعم التوقيفية : ١٣٠  
 النعمة : ١٢٥ إلى ١٤١  
 النعيم : ثمرة الرضا ١٥٧  
 النفاق الغير المذموم : ٤٣٣

- النفس : ٢١٩-٤٨٥ ، اطلاقاتها  
 ٣٩٢ ، أفعالها ٤٣٨ ، توجيهها إلى  
 العالم الأعلى ٢٩٩ ، درجاتها ٢٦٣ ،  
 سمعها وبصرها وزوقها ٢٩٨ ، كتابها  
 وكلامها ٣٥٨ ، لوحها كالمراة ٢٤٩ ،  
 مراتب إدارتها ٣٥٩ ، نشأتها ٣٩٣ .  
 النفس الإنسانية : سعادتها وشقاوتها  
 ١١٧ ، سبب تفاوتها ١١٨ ، قبولها  
 الآثار ٣٠٩ ، قابليتها لأخذ العلوم ٢٤٣ ،  
 قبولها لكل الصور العقلية ٩٣ .  
 النفس الحيوانية : ٣٦٧-٣٦٨ .  
 النفس الكلية : ٥٠٥-٤٧٤-٤٩٧ .  
 النفس الناطقة : ١٩٩-٣٦٧-٣٦٨ ،  
 عاقله للمعقولات بريئة عن الشرور ١٤ .  
 النفس الكلية الإلهية : ٤٧٧ .  
 النفس الكلية اللاهوتية : ٤٩٤ .  
 النفس : مادة الحروف ١٩٥ .  
 النفس الإنسانية : ٣٦٠ ، تشابهه مع  
 النفس الرحمانى ١٨٨ .  
 النفس الرحمانى : ١٨٨-١٩١-٣٦٠-  
 ٤٩٨-٥٠٠-٥٠١-٤٥٩ ، انتهى  
 بالإنسان ١٩٠ .  
 النقل : لا يرجح على العقل ٣٧٦ .  
 النور : من أسامي الأيمان ٢٦٠ .  
 النور : فاعل الخيرات ٣٩٨ .  
 النور الأصفر ، الأخضر ، الأبيض ٥٠٠ .  
 نور البسطة : ١٢ .  
 النور المحمدى : ٤٩٧-٤٩٩-٤٥٢-٤٥٣-  
 ٤٩٥ .  
 النوم : ٤١٠ .  
 \* \* \* \* \*  
 الهاء : ١٨٩-٤٩٨-٥٠٣ .  
 الهداية : ٩٨-٢٣٣-٢٣٤-١٣٠ .
- الهداية : ٢٨٦ ، مراتبها ١٣١-٣٠٦ .  
 هداية الله : ١٢٩ ، أقسامها ١٠٠ .  
 الهدايتين الكونية والوصفية : ١١١ .  
 الهدى هي الفطرة : ٤٤٥ .  
 الهدى (اسم القرآن) : ٢٢٧ .  
 الهزمة : ١٩٦ .  
 هو : ٤٩٩ ، نسبه إلى الله ٢٢٠ ،  
 لاحد له ولا إشارة ٤٣ .  
 هود : ١٩٠-١٩١ .  
 الهوى : ١٨٢-٤٥٢ .  
 الهوى : ٢٢٠-٤٧٠ ، الأولى ٩٣ .  
 \* \* \* \* \*
- الواحد : مبداء الأعداد ٢١٦ .  
 الواصلون : ٩٢-٤٩٩ .  
 الواو : ٥٠٣ .  
 وار العلة : حد وثق ١٨٨ ، فيه قوة جميع  
 الحروف ١٨٩ .  
 الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار : ٤٠١ .  
 الوجود : إصالته ٥٥ ، إتصافه بالماهية  
 أمر عقلى ٥٦ ، خير بالذات ٥٤ ، مجعول  
 بالذات ٤٩ ، الأقوال في مجعوليته ٥١-  
 إلى ٥٥ ، مراتبه ٢١٦ ، نزوله ١٧٥ ليس  
 جوهر ولا عرضا ٥٧ ، الحق : ٣٥ .  
 الوجود الاجمالي العلمي : ٤٦٣ .  
 الوجود الانبساطى : ١٨٨-١٩٦ .  
 الوجود المطلق : ٤٥٩ .  
 الوجود الوجودى : ٤٧٢ .  
 الوجود الوصولى : ٤٧١ .  
 الوجه الظلى المثالى : ٤٥٤ .  
 وحدة الوجود وكلية الموجود : ٥٨ .  
 السوحى : ٣٠١ ، كيفية انزاله ٢٩٥ .  
 السواس الخناس : ١٧ .

يا العلة : ١٨٨ .	الوضع الخاص والموضوع له العام : ٦١ .
يد الله : ١٤٩ .	الوعد : ١٥٢-٣٦٥-٣٧٣-٣٧٦ .
يزدان : ٣٩٨ .	٣٤٠ .
اليقين : ٣٠٢ .	الوعيد : ٣٦٥-٣٤٠-٣٧٣-٣٧٦ .
اليمين : ٤٧٧ .	الولاية : ٩٦-٤٨٦-٤٧٣ .
اليوم : ٣٨٧ .	الولي : الرسول أشرف منه ٩٧ .
يوم الآخرة : وجه تسميتها بيوم الدين ٨٤ .	الولي المحق : ٣٤٤ .
يوم الفصل : ١٥١ .	الوهم : ٤٢٨-٤٧٩ .
يوم الكشف : ١٥١ .	إطاعته للشيطان ١٤ .
يوم القيامة : ٣٤٧ . غضبه تعالى فيها ٣٧٠ .	*****

## فهرس الكتب

الفتوحات المكية : ٢٧-٧١-١١٠-١١٤	الأسفار الأربعة : ١١٢ .
٣٢٧-٣٢٩-٣٦٩-٤٤٠	الإشارات : ٩٠ .
فصوص الحكم : ٣٨-٤٠-٣٦٥-٣٧٢	تفسير البيضاوي : ٧٩ .
الكافي : ٣٠٢ .	تفسير الفاتحة : ٣٤٩ .
الكشاف : ٣٠-٩٨-١٩٧-٢٤٣-٢٨٨	تفسير الفخر الرازي (الكبير) : ١٧٦-١٩٧
٣٨٥-٣٨٩	٤٠٧ .
اللمعات : ٧٢ .	تفسير النيشابوري : ٤٧-١٧٦ .
النواميس : ٢٧٤ .	التورية : ٣٣٤-٣٣٥ .
مجمع البيان : ١٢٥ .	حواشي البيضاوي : ٥٠٢ .
معالم التنزيل : ٣٧٥ .	رسائل اخوان الصفاء : ٢٩٠ .
معرفة الربوبية : ٣٥٧ .	رسالة الحدوث : ١١ .
مفاتيح الغيب : ٤-٩-١٠-٦٩-٢٢٧	الرسالة النيروزيه : ٢١٦ .
٢٣٢-٣٠٢-٣٥٨-٤٠٠	شرح فصوص الحكم للقيصري : ٣٧٢ .
من لا يحضره الفقيه : ٣٢٧ .	الشواهد الربوبية : ١١-٢٩٢-٢٩٩
*****	٣٤٩ .
***	عيون أخبار الرضا (ع) : ١٣٥ .

